سال چاپ کتاب از جلد سوم برداشت شده است.

هذا كتاب التفسير
المسمى بغرائب
القرآن من مؤلفات
الحسن محمد القمي
النيسابوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الكريم رغبتي في ابداع غرائب القرآن وبفضله العميم ما أهب لابداع رغائب الفرقان فاليه منتهى الامل والنوال وهذا حين افتتح فاقول الحمد لله الذي
جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجبلني ذا نفس ابية وهمة علية لا تكاد تنثني الا بذكر حبه اعاف سفساف الامور
واعاف الموبقات الموجبات للثبور واميل عن زخرف الدنيا وزبرجها واكبح النفس ان تحوم حول مخرجها وموبجها اني النفس ما حملتها تتحمل ان ارسلت
استرسلت وان قدعت تقدعت في اولياء الله السلف الشرائف العيون الى الاماني الفانية والاضاليل الملهية عن السعادات الباقية فاقنت
قلوبهم الى الكرامات الدائمات واشتاقت ارواحهم الى اللذات الحقيقيات وتاهت ضمائرهم في بيداء عظمة الملك والملكوت وتلاشت سرائرهم في
دماء ديمومية العزة والجبروت فخلصوا من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت فتولهوا بشهوده وبقوا بوجوده ورضي كل منهم بقضاء معبوده فتجلت
لهم الذات واتحدت عندهم المختلفات فطابت لهم الغدوات واعتدلت لهم العشيات ولم تطمح اعينهم الا الى تحصيل ما يقرب الى الله زلفى وما جرت السنتهم
الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى اسئلك اللهم الاقتداء باولئك والتوفيق لشكر ما اسبغت علي من عطائك واتممت من نعمائك واعوذ بك ان ازل او اضل
فيما اقول وازاول وان اركن الى الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض الاكبر ثبت قدم اقلامي على الصدق ولا تقيضن ان ينطق بكلام سوى الحق واجعلني بفضلك
ممن لا ينظر الا اليك ولا يرغب الا فيما لديك برئني من غير ما بقدر علم مني وبيني من غير حق يوجب الي عليك فان افتخرت فبما انعمت علي وان تحدثت
واما بنعمة ربك فحدث وان استغفرت فيما اسرفت على نفسي وقد قلت ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
فيا من لا يوجد في جود مشوب غرض ولا علة شرفني في الاخرة بالعزة واحرسني في دنياي من الذلة ولا تؤاخذني بالنقصان الامكاني ولا تعاقبني
بالتسبب الانساني حتى يكون لك الفضل في الاخرة والاولى ولك الثناء في المبداء والمحمدة في العقبى دعوتك دعاء البائس الفقير المستعين وتضرع اليك
تضرع الذليل المهين المستكين الماثل بين يدي مولاه الآيس بالكلية عمن سواه فاسمع فانك سميع الدعاء واجب فانك قادر على ما تشاء والصلوة
والسلام على عبيدك المخصوصين بتاييدك المنزهين عن الادناس الجسمية المطهرين عن الارجاس النفسية الفائزين باشرف مراتب الانس الواصلين
الى اعلى مدارج الانس الصائرين في ارقى معارج القدس ولا سيما محمد الذي اشرق في سماء النبوة بدرا واشرف على بساط الرسالة صدرا سيد الثقلين
وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين الكائن نبيا وادم بين الماء والطين المعترف بجاهه الاملاك المشرف بلولاك لما خلقت
الافلاك صلى الله عليه وآله مفاتيح الجنة واصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا وبعد فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام النيسابوري
نظم الله احواله في اولاه واخراه يقول من المعلوم عند ذوي الافهام ان كلام الملوك ملوك الكلام وبقدر البون بين الواجب لذاته والممكن لذاته يوجد
التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقات ولا سيما اذا وقع في معرض التحدي الذي يظهر النبي هناك من المتنبي وهذا شان القرآن العظيم
والفرقان الكريم الذي اخرس شقاشق المناطيق فقضهم بقضيضهم واوقر مسامع المصاقع فما بين اوجهم وحضيضهم حتى اختاروا المقارعة بالسيوف
على المعارضة بالحروف والمقاتلة بالاسنة على المقاولة بالالسنة والمكالمة باللهاذم على مبارزة الاقران على الاتيان باقصر سورة من
القرآن قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله وقال ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور
مثله مفتريات وقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله درج لهم الامر فاوقع التحدي على القرآن جملة ثم على سورة
فاضطرهم التحير الى ايثار الاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر هو الاصعب في نفس الامر وذلك من ادل الدلائل على حقية المنزل وصدق

المنزل



المنزل عليه كيف لا وفيه نباء الاولين وخبر الاخرين وحكم ما بين الخلائق اجمعين قال في صفته هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله
ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا يزيغ به الاهواء ولا يلتبس به الالسنة
ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا ينقضي عجائبه هو الذي لم ينته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا
به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم ولقد انتسج جم غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين والراسخين
والفضلاء والمحققين والائمة المتقنين في كل عصر وحين للخوض في تيار بحاره والكشف عن استاره واسراره والفحص عن غرائبه والاطلاع على رغائبه
نقلا وعقلا واخذا واجتهادا فتباينت مطامح هممهم وتفاوتت سوابغ نياتهم وتشعبت مسالك اقدامهم وتشتت مقاطر اقلامهم فمن بين
وجيز واوجز ومطنب ومغرق ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك لحظ المعاني والنكات فعم اللحاظ شكر الله تعالى مساعيهم وصان
عن ازراء القادح معاليهم فمنهم من اعرض عن التفسير واقبل على التاويل وهو عندي ركون الى الاضاليل وسكون على شفا جرف الا باذن الله الامر عصمه الله
وانه لقليل ومنهم من مرج البحرين وجمع بين الامرين فللراغب الطالب ان ياخذ العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلتقط الدر الثمين ويسقط
السبح والزجاج وقد وفقني الله تعالى لتحريك القلم في اكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين اهل الزمان وكان علم التفسير من
العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان وكان قد رزقني الله تعالى من ابان الصبي وعنفوان الشباب حفظ لفظ القرآن وفهم معنى
الفرقان وطالما طالبني بعض اجلة الاخوان واعزة الاعوان الاخدان ممن كنت مشارا اليه عندهم بالبنان في البيان والله المنان يجازيهم
عن حسن ظنونهم ويوفقنا لاسعاف سؤلهم وانجاح مطلوبهم ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا على ما وقع الينا من نقل
الاثبات واقوال الثقات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتاخرين جعل الله تعالى سعيهم
مشكورا وعملهم مبرورا استعنت بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون لا كمن بابنه وشعره مفتون
كيف وقد قال عز من قائل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا ولما كان التفسير الكبير المنسوب
الى الامام الافضل والهمام الاكمل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الفائز بالفروع والاصول افضل المتاخرين فخر الملة والحق و
الدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطائف والبحوث ما لا
يحصى ومن الزوائد والفنون ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين واعوز تحصيله على الراغبين فحاذيت
سياق مرامه وورد حاصل كلامه وترتيب مسائله تداركا والتقطت عقود نظامه من غير اخلال بشيء من الفوائد واهمال لما يعد من اللطائف
والعوائد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات او رزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة واثبتت القراءة
المعتبرة والوقوف المعللة ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات مع اصلاح ما يجب اصلاحه واتمام ما ينبغي تمامه من المسائل الواردة
في التفسير الكبير والاعتراضات مع كل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فان ذلك يورث ضما من ظن ان تصحيح
القراءة وغرائب القرآن انما يكون بالامثال والمستشهدات كلا فان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا ان نقتصر في غرائب القرآن
على تفسيرها بالالفاظ المشتهرات وعلى ايراد بعض المجانسات التي تعرف منها اصول الاشتقاقات وذكر طرفا من الاشارات المقنعات والتاويلات
الممكنات والحكايات المبكيات والمواعظ الرادعة عن المنهيات الباعثة على اداء الواجبات والتزمنا ايراد لفظ القرآن الكريم اولا مع ترجمة على
وجه بديع وطريق منيع يشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان
هذا النوع من الترجمة مما تسكب فيه العبرات وتزل المترجمون هنالك الى العثرات وقلما يفطن له الناشي لو وقف على متن اللغة العربية فضلا عن
الدخيل الزحيل القاصر في العلوم الادبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف التمام ليكون الكتاب كالبدر في
التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملال ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام فخير الكلام ما قل ودل
وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسؤول ممن بيده مفاتيح الفضل والاحسان وخزائن البر والامتنان
وهذا اوان الشروع في تفسير القرآن ولنقدم امام ذلك مقدمات المقدمة الاولى في فضل القراءة والقاري وآداب القراءة وجواز اختلاف
القراءات وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن ابي طالب امير المؤمنين ع قال قال رسول الله ص من قرا القرآن فاستظهره واحل حلاله
وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار وعنه ع ان النبي ص قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وعن ابن عباس
قال قال رجل يا رسول الله ص اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال يضرب من اول القرآن الى اخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين عن عائشة
قالت قال رسول الله ص الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة ان رسول الله
قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة و
حفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ الجهني ان رسول الله ص قال من قرا القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيمة ضوؤه
احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله ص قال انما مثل صاحب القرآن

مثل الابل المعلقة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقران
وعن عبد الله عمرو بن العاص ان رسول الله قال يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقراها في الصحاح
كلاهما عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن الحكم بن حزام يقرا سورة الفرقان في حيوة رسول الله فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرئنيها
رسول الله فكدت اساوره في الصلوة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقراها قال اقرانيها
رسول الله صلعم فقلت كذبت فان رسول الله صلعم اقرانيها على غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى رسول الله فقلت يا رسول الله صلعم اني سمعت هذا
يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ارسله اقرا يا هشام فقرا عليه القراءة التي سمعته يقرا فقال رسول الله صلعم هكذا انزلت
ثم قال النبي صلعم اقرا يا عمر فقرات القراءة التي اقراني فقال رسول الله هكذا انزلت ان القران انزل على سبعة احرف فاقرءوا ما تيسر منه اذا تقرر ذلك فمن
مذكره في الكتاب من القراءات السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونرى ان نفصل ههنا اساميهم واسانيدهم
لتعين ما ننسب في اثناء التفسير الى كل منهم والله ولي التوفيق ذكر القراء السبعة وتمييز نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات ابو عمرو زبان بن العلاء
البصري روى عن مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلعم ومات سنة اربع وخمسين ومائة ورواته ثلثة ابو محمد يحيى
بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمر وحفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريق ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وابو الفتح عامر بن صالح التوحي
المعروف باوقية وطريق ابي نصر حاتم بن اسحق الموصلي وابي شعيب صالح بن زياد السوسي طريق ابي الحرث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابراهيم بن حماد
طريق ابي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي ره ابو نعيم شجاع بن ابي نصر الخراساني روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب طريق ابي علي الحسين بن الحسين
الصواف وعباس بن فضل الانصاري روى عنه ابو عمر ومحمد بن عمر روى طريق ابي اسحق ابراهيم بن كعب الموصلي وطريق شهاب بن خليفة و
هو الاصح واوقية طريق ابي اسحق ايضا عن اوقية ره ابن كثير هو ابو محمد عبد الله بن كثير المكي روى عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن
كعب عن رسول الله وتوفي سنة عشرين ومائة وراوياه البزي ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله بن القسم بن نافع بن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن
كثير رجال لانه روى عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى عن البزي ربيعة
محمد بن اسحق بن اعين الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق ابي بكر احمد بن محمد الطرسوسي وطريق ابي القاسم الزيدي وطريق ابي الحسن علي بن الرزين (الطوابيقي ره)
القرائي وطريق ابي بكر محمد بن عيسى بن بندار الجصاص وابو علي الحسين بن محمد الحداد طريق الهاشمي عن البزي ره عبد الله بن فليح عن رجاله
عن ابن كثير ورجاله محمد بن سبعون وداود بن شبل عن اسمعيل عن عبد الله عن ابن كثير روى عن ابن فليح ابو علي الحداد طريق النقاش وطريق الهاشمي
وطريق الخزاعي وطريق ابن شنبوذ ره ابو الحسن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير ايضا رجال لانه روى عن ابي الاخريط وهب بن واضح (احمد بن مح)
عن اسمعيل بن عبد الله ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير وروى عن القواس قنبل طريق الزينبي طريق ابي ربيعة طريق ابي
نجاح طريق ابي عون القاضي طريق ابن شنبوذ طريق ابي القسم الزيدي نافع ابن نعيم المدني قرا على ابي جعفر القاري وعلى سبعين من
التابعين على ابن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب على النبي صلعم وتوفي سنة تسع وستين ومائة ورواته ثلثة ره معتمر بن صالح عن ابن كثير طريق
عبد الله بن سعود وطريق شعيب بن مرة اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه ابو الزعراء وابو بكر بن الحسن علي بن بشار النحوي وابو
جعفر احمد بن فرج الضرير ورش اسمه عثمان بن سعيد المصري روى عنه محمد بن عبد الرحيم الاصفهاني طريق ابي الحسن محمد بن احمد المروزي ره
قالون واسمه عيسى بن مينا النحوي روى عنه ابو علي الحسن بن العباس الرازي طريق ابي بكر احمد بن حماد المقري وابو ابراهيم مصعب بن ابراهيم
الزبيري طريق ابي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وابو نشيط محمد بن هرون المروزي طريق ابي حسان محمد بن احمد بن الاشعث الجيزي وطريق ابي القسم
هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق البخاري طريق ابي اسد احمد بن ابراهيم الفقير وطريق ابي بكر محمد بن محمد بن مرثد
التميمي وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريق حسن بن العباس الرازي وطريق ابي عون القاضي عبد الله عامر اليحصبي الشامي قرا على المغيرة بن
شهاب المخزومي على عثمان بن عفان على رسول الله صلعم وتوفي سنة ثمان عشرة ومائة وله راويان روى عنه عن رجاله ره ابو محمد عبد الله بن
احمد بشير بن ذكوان الدمشقي ورجاله ايوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابن عامر روى عنه احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريق الحسن بن عبد الله
المقري وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المفسر طريق الحسن بن عبد الله ايضا وابو الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعي المعروف بابن الاخرم
على الاخفش عن ابي ذكوان هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر ورجاله ايوب بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث روى عنه
البخاري عن الحلواني عن هشام عن طريق احمد بن الحسين بن مهران وابو الحسين احمد بن يزيد الحلواني الصفار طريق ابي الحسن علي بن حماد
الازرق وابو اسحق بن ابراهيم بن يونس الرازي عاصم بهدلة بن ابي الاسك قرا عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله
وقرا ايضا على عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين على علي ره على رسول الله صلعم وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة وراوياه ابو عمرو حفص
بن سليمان بن المغيرة البزاز الاسدي وكان ربيب [illegible] روى عنه ابو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الحسنون بن الهيثم وطريق احمد بن علي الخزاز
وابو حفص عمرو بن الصباح طريق عبد الصمد بن محمد ابو بكر شعبة بن عياش روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب الشكري



البصري وابو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد الاعشى وله روايتان روى عنه محمد بن غالب محمد بن حبيب الشموني حماد بن ابي زياد طريق يحيى بن
محمد العليمي الانصاري ره المفضل بن محمد الضبي روى عنه جبلة بن مالك البصري طريق ابي زيد عمر بن شبة وابو زيد سعيد بن اوس الانصاري طريق محمد بن يحيى
القطعي ره حمزة بن حبيب الزيات العجلي قرا على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي بن ابي طالب وعثمان وابن مسعود على
النبي صلعم وتوفي سنة ست وخمسين ومائة ورواته اربعة ابو اسحق ابراهيم بن زربي طريق ابي المستنير جابر بن عيسى بن سماء الجوهري عبد الرحمن قلوقا طريق
ابي المستنير ايضا ابو محمد عبد الله بن صالح العجلي طريق ابي اسحق حمدان بن الطيب بن اسمعيل وطريق ابي اسحق ابراهيم بن نصر بن عبد العزيز المقري ره نصير بن عبد الله
المقري وهو الاصح سليم بن عيسى الحنفي روى عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القسم بن يزيد الوزان وابو محمد خلف
هشام بن البزار طريق ابي الحسين ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق محمد بن سليمان طريق ابي واصل احمد بن واصل
وابو عمر الدوري طريق ابي الزعراء علي بن حمزة الكسائي قرا على حمزة بن حبيب على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي صلعم
توفي سنة تسع وثمانين ومائة بزره وله ستة رواة ابو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الازاذاني روى عنه ابو الفرج محمد بن ابرهيم الاصبهاني المقري طريق ابي الفضل العباس بن
الوليد بن مرداس وابو بكر احمد بن الحسين بن مهران طريق [illegible] ابو المنذر نصر بن يوسف النحوي روى عنه محمد بن ادريس الاشعري المعروف [illegible]
طريق ابي علي الحسين بن علي بن حماد الازرق المعروف ابو عبد الله محمد بن عيسى الاصفهاني طريق ابي علي الحسن بن العباس الرازي وابو جعفر احمد بن محمد بن رستم الطبري
طريق بكار بن احمد المقري ابو جعفر علي بن ابي نصر النحوي طريق الازرق المذكور ابو الحارث الليث بن خالد طريق ابي عبد الله محمد بن يحيى الكسائي وطريق محمد
ابن ميمون الزجاج طريق ابي العباس احمد بن يعقوب التمار ابو محمد بن الطيب بن اسمعيل طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف ابو عمر حفص بن ابي عمر
بن عبد العزيز الدوري روى عنه ابو بكر الحسن علي بن بشار النحوي طريق ابي الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم وابو الزعراء طريق ابي بكر بن مجاهد وابو الحسن علي
سليم طريق ابي القسم هبة الله بن جعفر وطريق ابرهيم بن احمد الخرقي ابو جعفر احمد بن فرج الضرير طريق ابي بكر النقاش الموصلي ذكر الائمة المختارين وتمييز
رواتهم ابو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني وقار موضع من المدينة وروايته اثنان ابو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون عيسى بن مينا النحوي
ابو سلم سليمان بن مسلم الجماز الزهري طريق ابي عبد الرحمن قتيبة بن مهران ابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وقرا على ابي
المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم ابي بكر عمرو ورواته ثلثة روح بن عبد المؤمن طريق احمد بن يحيى المعدل ابو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب
برويس طريق ابي بكر محمد بن هرون وطريق ابي الحسن احمد بن محمد بن يعقوب بن مقسم ابو احمد زيد بن احمد بن اسحق طريق المعدل ايضا وطريق محمد بن هرون
ابو محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب البزار طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار وقرا خلف على سليم على حمزة
ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني طريق ابي علي الحسن بن تميم وطريق ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق مسبح بن حاتم وقرا سهل على يعقوب وايوب بن المتوكل
فهذا هو المعول عليه علم القرآت واما الشواذ فلا نتعرض منها الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك في اثناء التفسير في خلال القرآت والله اعلم بالصواب المقدمة الثانية
الاستعاذة المندوب اليها في قوله عز من قائل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قراها ابو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وعاصم غير
هبيرة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قراها ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وعلي الكسائي وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
ان الله هو السميع العليم وقد يروى عن حمزة استعيذ بالله ونستعيذ بالله جهرا وقرا سهل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله
الرحمن الرحيم ومنشأ هذه الاختلافات انه قد جاء في سورة النحل فاذا قرات القران الاية وفي حم السجدة فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وروى جبير بن
مطعم ان النبي صلعم حين افتتح الصلوة قال الله اكبر كبيرا ثلث مرات والحمد لله كثيرا ثلث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلث مرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقي في كتاب السنن عن ابي سعيد الخدري انه قال كان رسول الله صلعم اذا قام من الليل كبر ثلثا وقال اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس ان اول ما نزل جبرئيل على محمد صلعم قال قل يا محمد استعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال قل (السميع العليم)
بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك الذي خلق ثم في المقدمة مسائل الاولى الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراءة اذ المراد من قوله تعالى فاذا
قرات اذا اردت قراءة القران كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا المراد اذا اردتم القيام الى الصلوة والاخبار المذكورة ايضا تؤيد ذلك وعن النخعي
وقد يروى عن حمزة وابن سيرين ايضا ان وقتها بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ لانه قد يدخل المرء اعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب
فيناسب ان يستعيذ من ذلك الثانية الاكثرون على ان الاستعاذة مندوبة لان النبي لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة وذلك لان الخبر غير
مشتمل على بيان جملة واجبات الصلوة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطاء ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها
لان النبي واظب عليها وقال تعالى فاتبعوه ولان الامر في فاستعذ للوجوب وانما تجب عند كل قراءة لانه قال فاذا قرات فاستعذ وذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين وجوبها
في العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان ج المستحب فيها الاسرار في الصلوة وان كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من الذكر
وهو دعاء الاستفتاح ولان الجهر كيفية وجودية والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم وانما تستحب في كل ركعة لما مر من ان الحكم
يتكرر بتكرر العلة ولكنها في الاولى آكد د اعلم ان الكلام في معنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ

به والمستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فههنا ابحاث البحث الاول معنى العوذ الالتجاء او الالتصاق قال الجوهري اطيب اللحم عوذه وهو ما التصق منه
بالعظم اى التجئ الى رحمة الله او التصق بفضله والباء في بالله للالصاق كما ان من في من الشيطان للابتداء لانه ابتداء بالتبرئ من الشيطان والتصق
برحمة الله تع واعانته والاستعاذة لاتتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة وان الله تع
قادر على ايصال المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه تولي يتولد عن هذا العلم في القلب حالة هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب
ان يصير العبد مريدا لان يصونه الله تع عن الافات ويفيض عليه الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك فيقول اعوذ بالله فالركن الاعظم في الاستعاذة
هو ان يعلم العبد ان الله تع عالم بكل المعلومات والا جاز ان لا يعلم حاله فيقع الاستعاذة عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا
عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه جواد مطلق والا جاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مرامه والا لم يكن صادق الرغبة في
الاستعاذة والحاصل ان العبد ما لم يعرف عز الربوبية وذل العبودية لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض الاكياس
ربما يبقى في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الى ان يجيئ بعده من يحلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب ولولا اعانة الله تع وارشاده
لم يتخلص سفينة فكره من امواج الضلالات وايضا كل احد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر وكم من ضل مبتلى في الدنيا فلا
خلاص من ظلمات الشبهات الا باعانة رب الارض والسموات ولا يقع الحد الاوسط للمطالب في الذهن الا بهداية من بيده مفاتيح الخيرات وايضا البدن
يشتمل الجحيم عليها التسعة عشر من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب فما لم تصرف كل منها عن
بحسب الشخص والعدد ويحصل من كل منها آية في القلب بحر من امواج عالم الروحانيات الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور
الله تع وايضا كما انه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخياليات وكما انه لا يمكن تحصيل الكمالات التي لا نهاية لها كذلك
لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واهب السعادات الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية قال الله تع وعزتي وجلالي لاقطعن امل
من يؤمل غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي
وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في سائر الادعية
والعبادات التي جعلها الله تع سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد ذلك انه تع فعال لما يريد خالق لما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه
وعلى افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وامرك بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع
الوساوس والهواجس كما انه جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فانك تاكل وتشرب ولا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب ان كان الاشباع
والارواء من الله تع وان كان بقدرة الله تع وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبرية والمعتزلة لانها تحوم حول ما اشرنا اليه ولا
ينبهك على سر الاستعاذة مثل قوله صلعم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
البحث الثاني المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق مفتقر الى الاستعاذة به لهذا قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لي به علم فاعطى
السلام والبركات في قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك قال يوسف معاذ الله انه ربي احسن مثواي فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فاغرق الله تع عدوه واورثه ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امرأة عمران اني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقد امر نبينا صلعم وقال تع قل اعوذ برب الناس فوقي شر النفاثات
في العقد وكفى شر الوسواس الخناس البحث الثالث المستعاذ به انما هو الله وكلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامة اما البحث عن اسم
الله فسيجيئ في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تع بكلمة كن من غير مادة ومدة وكان الارواح البشرية تستعيذ وتستعين
بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة وانما يحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقي في نظره التفات الى ما سوى الله تعالى
واما اذا تغلغل في بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله من الله كما قال صلعم اعوذ بك منك واذا فني عن نفسه وفني ايضا عن فناء نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك
البحث الرابع المستعاذ منه الشيطان وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول ما اشتقاقه فمن شطن ويقال شطن الدار اي بعدت والشيطان بعيد
عن السداد والرشاد وقد سمي كل متمرد من الانس والجن والدابة شيطانا قال تع وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وركب عمر برذونا فطفق
يتبختر فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه فقال ما حملتموني الا على شيطان هذا احد قولي سيبويه وعلى هذا فنونه اصلية ووزنه فيعال وقد جعل
سيبويه في موضع آخر النون زائدة وجعله فعلان من شاط يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد كالباطل في نفسه لانه مبطل لوجوه مصالح نفسه سمي شيطانا
والرجيم معناه المرجوم كاللعين بمعنى الملعون ومعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تع واما انه تع امر الملائكة برمي الشيطان بالشهب الثواقب ثم
وصف بذلك كل شرير متمرد واما من ضم الى الاستعاذة قوله ان الله هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتداء بما ورد في القرآن ان العبد كانه يقول
يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل خفي انت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وانت القادر على دفعها عني فادفعها عني بفضلك ولنتكلم في الجن
والشياطين فنقول من الناس من انكرهم لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان يراه كل من كان سليم الحس لكنا لا نراه وان كان جسما
لطيفا ان يتمزق ويتفرق عند هبوب الرياح العاصفة وايضا ان لا يقدر على الاعمال الشاقة التي ينسبها اليه المثبتون والجواب انه لم لا يجوز ان يكون جو



مجردا وبتقدير ان يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تع عنه ابصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالافلاك الوجه الثاني قالوا الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس ولوقعت
بينهم العداوة والصداقة وليس كذلك واهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما ينسبون الجن اليهم ومجال المنع في هذا الوجه لا يخفى لشوب
الاختلاط العداوة منهم بالنسبة الى الكثيرين قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ومن
يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان قد يجري من ابن آدم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم الوجه الثالث قالوا ان اخبار الانبياء عنهم لا يفيد اثباتهم اذ على تقدير
ثبوتهم يجوز ان يقال كل ما اتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع وكل فرع ادى الى
ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء كما يجيئ يدل على صدق اخبارهم ومن جملة ما اخبروا عنه وجود الجن والشياطين
فصح وجودهم واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز زعموا انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون
الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويليهم مرتبة الارواح المعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم
ملائكة الكرسي ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم ملائكة كرة الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم الملائكة المسلطة على
الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد يكون مشرقة خيرة وهم من قبيل الملائكة وقد
يكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظة الجن ماخوذ من الاستتار عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة
للانسان وطوائف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذاتيات كما بين الانسان والفرس
وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين اشرارهم والمشهور ان الجن لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد في كونهم
متصرفين في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الآدمي كيف وقد ورد في القرآن لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا خلاف في ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال صلعم في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القرآن افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
واما كيفية الوسوسة فيروى ان عيسى عم دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني آدم فاراه ذلك فاذا راسه مثل راس الحية واضع راسه على قلبه
فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره وضع راسه على حبة قلبه وقال صلعم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وقال
ايضا صلعم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد
ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ صلعم الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والاية فمن الخواطر ما هو
اصل السعادة ومنها ما هو اصل الشقاوة وسبب اشتباه الخواطر بعضها ببعض احد الاشياء اما ضعف اليقين او قلة العلم بصفات النفس واخلاقها
او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا وجاهها ومالها فمن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا
اتفق المحققون على ان من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح
فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيف امكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى
ان الانسان بينا هو ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان ذلك فيحدث له ميل ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكان الذي اتى به الشيطان من خارج
ليس الا ذلك التذكر واليه الاشارة في القرآن حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل هذا التذكر
وانما يقدم الشيطان على ذلك لعداوة جبلية وقع في فطرته الاولى لحكمة عرفها الله تع به والمقصود من الاستعاذة لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان
ذلك معظم المقاصد ولهذا اخص بالذكر في القرآن ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية فلا ضير نكتة في الاستعاذة الاولى اعوذ بالله
عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الى الواجب لحاجته التامة وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ومن عرف نفسه بالقصور
عرف الله بانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب الثانية سر الا
الالتجاء الى قادر يدفع عنك الآفات وقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القرآن عن مسئلتي اعطيته فضل ما اعطي السائلين
فلهذا اختصت الاستعاذة بالقراءة الثالثة عند الفرار من العدو العدو يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار في حضرة الملك
الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم الرابعة الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلوة الحقيقية وهي ذكر الله
فيقول بسم الله الخامسة العبد مامور بمحاربة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومحاربة العدو الباطن ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حاربت العدو الظاهر كان مددك الملك يمددكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين واذا حاربت العدو الباطن كان مددك
الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن اولى لان العدو الظاهر ان غلب يفسد الدين واليقين كنا ماجورين وان غلب العدو الباطن
نكنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا ولا خلاص من شره الا بان تقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

السادسة قال الله تعالى يا عبدي قلبك بيتي وجنتي بستانك فلما لم تبخل علي ببستانك بل انزلت معرفتي فيه لم ابخل عليك ببيتي وانزلتك فيها
تنبيها لطيفة وهي ان الله تعالى كانه يقول للعبد انت الذي انزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك ومن اراد ان ينزل سلطانا في حجرة يجب عليه كنس الحجرة
وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من تلوث الوسوسة وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم السابعة اقسم فبعزتك ... وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدليهما بغرور
واقسم فبعزتك لاغوينهم اجمعين فما ظنك بعاقبة معاملته معك فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الثامنة انما اختص اسم الله للاستعاذة من بين
سائر الاسماء لان العبد كلما كان اشد احتياجا الى عدد اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما هو الله وكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم
الذي لا يخفى عليه شيء من المكونات من الشيطان الرجيم التاسعة الشيطان اسم والرجيم صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد ان
الشيطان بقي في الخدمة الوفا من السنين ولم يقع على معصية ما ومع ذلك رجمناه وطردناه وانت لو صاحبك الشيطان لخطرة واحدة لخلد
في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العاشرة يقول الله تعالى عبدي انه يراك وانت لا تراه فينفذ كيده فيك فتمسك
بمن يرى الشيطان ولا يراه الشيطان وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحادية عشر الالف واللام في الشيطان للجنس ليفيد الاستعاذة من هذا الجنس
مطلقا للجنس مرئيا او غير مرئي ولو جعل للعهد جاز ويدخل نوعه فيه تبعا الثانية عشر الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فكما
ان الشيطان لا يجعله الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنته تبديلا فاعرف انه لا يجعلك الله تعالى بعيدا حيث جعلك قريبا الثالثة عشر ان
الشيطان رجيم وان الله رحمن رحيم فاخذ من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم الرابعة عشر الشيطان عدو وغائب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
والله تعالى حبيب غالب والله غالب على امره فاذا قصد العدو الغائب فافزع الى الحبيب الغالب المقدمة الثالثة في مسائل مهمة المسئلة الاولى القراءات
السبع متواترة لا بمعنى ان سبب تواترها اطباق القراء السبعة عليها بل بمعنى ان ثبوت التواتر بالنسبة الى المتفق على قرائته كثبوته بالنسبة الى كل من المختلف
في قراءته ولا مدخل للقارئ من ذلك الا من حيث ان مباشرته لقراءته اكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراءات متواترة لانه لو لم يكن كذلك
لكان بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوهما اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان احدهما قرآن بالاتفاق وتخصيص احدهما بانه
متواتر دون الآخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا اقل او لوية فكلاهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف
الهمزة ونحوها الثانية اتفقوا على انه لا يجوز القراءة في الصلوة بالوجوه الشاذة لان الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن
لبلغت في الشهرة الى حد المتواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلوة للاحتمال فوجب ان يبقى قراءتها في الصلوة على اصل المنع
الثالثة السبعة الاحرف التي نزل بها القرآن في قوله ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند اكثر العلماء
انها سبع لغات من لغات قريش لا يختلف ولا يتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جائز عندهم ان يكون في القرآن لغة لا يعرفها قريش لقوله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وذلك ان قريشا تجاور البيت وكان احياء العرب يأتي اليهم للحج ويستمعون لغاتهم ويختارون من كل
لغة احسنها وصفاء كلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان سبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن
مسعود قال اقرؤا القرآن على سبعة احرف وهو كقول احدكم هلم وتعال واقبل وقال بعضهم هي سبع قبائل من العرب قريش وقيس وتميم وهذيل واسد
وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من اي لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني لقوله انه قد سمع ان اقرأ
كل قوم بلغتهم وقيل معناه ان يقول في صفات الرب تبارك وتعالى مكان قوله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي انه قال اقرؤا
القرآن على سبعة احرف ما لم يختم مغفرة بعذاب وعذابا بمغفرة او جنة بنار او نارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل لانه لو كان
في كلمة اكثر من سبع قراءات جاز ان يقرأ بها وعن مالك بن انس انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى انه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمة ربك كلمات
وكالتذكير والتأنيث في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف
الادوات في مثل قوله ولكن الشياطين بالتشديد تنصب بعدها او بالتخفيف والرفع وكاختلاف اللفظ في الحروف نحو تعلمون بالتاء والياء وننشرها بالراء
والزاء وكالتفخيم والترقيق والامالة والمد والقصر والهمزة وتركه والاظهار والادغام ونحوها وذهب جماعة الى حملها على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن
دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وامر ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده المحققون من قبل ان الاخبار الواردة في
مخاصمة الصحابة في القراءة تدل على ان اختلافهم كان في اللفظ دون المعنى قال بعض العلماء اني تدبرت الوجوه التي منها اختلف بها لغات العرب فوجدتها
على سبعة انحاء لا يزيد ولا ينقص وبجميع تلك نزل القرآن الوجه الاول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قرأها
ابن مسعود كالصوف المنفوش الثاني ابدال الحرف بحرف كالتابوت والتابوه الثالث تقديم وتأخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما
في الحروف نحو افلم ييأس الذين وافلم يايس الرابع زيادة حرف او نقصانه نحو ماليه وسلطانيه فلا تك في مرية الخامس اختلاف حركات البناء نحو تحسبن
بفتح السين وكسرها السادس اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقرأ ابن مسعود بالرفع السابع التفخيم والامالة وهذا اختلاف في اللحن والتزيين
لا في نفس اللغة والتفخيم اعلى واشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلف لغات العرب قد انزل الله بها كلها القرآن
متفرقا فيه ليعلم بذلك ان من زل عن ظاهر التلاوة بمثله او من تعذر عليه ترك عادته فخرج الى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه وكل





في القدما

هذا فيما اذا لم يختلف فيه المعنى فان قيل فما قولكم في القراءات التي تختلف بها المعاني قلنا انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه
السبعة الاحرف وليس يجوز ان يكون فيما انزل الله من الالفاظ التي تختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى التضاد والتناقض لكن مجرى التغاير الذي لا
تضاد فيه ثم انها تجيء على وجوه فمنها ان يختلف بها الحكم الشرعي على المبادلة بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا واحد القراءتين تقتضي فرض
المسح والاخرى فرض الغسل وقد بينهما رسول الله فجعل المسح للابس الخف وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا الضرب هو الذي لا يجوز القراءة الا
اذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه وليس يعذر من زل في مثله عما هو المنزل حتى يرجع الى الصواب ويفزع الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم
فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن مشددا ومخففا من التطهر فان القراءتين هيهنا تقتضيان حكمين
مختلفين بلزوم الجمع بينهما وذلك ان الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة في مثل هذا
الا بالنقل الظاهر ومن زل في مثله الى ما يقتضي امرا قد علم ثبوته ولم يقرأ به يلزمه فيه حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا لو صحفه احد فيقرأه الربا بالراء
والباء من الربوا في المال فانه منهي عنه كالزنا فان كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك واما التضاد والتنافي فغير
موجود في كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التنافي وعند ورود الناسخ ينتهي المنسوخ وتبين ان في علم الله حكم المنسوخ
كان موجلا الى ورود الناسخ والله اعلم وقوله لكل آية ظهر وبطن اي ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم منقول في ذلك الى امر
ونكل علمه الى الله تعالى وقيل من هو يؤمن به ظاهرا ومن يؤمن به باطنا كما يؤمن به ظاهرا وقوله ولكل حد مطلع اي لكل طرف من حدود الله التي يوقف عندها لا يتجاوز وغيره من امر
او نهي او مصعد وما يؤتمنه ويفهم كما هو ومقدارا من الثواب والعقاب يعاينه في الآخرة ويطلع عليه كما قال عمر لو ان لي ما في الارض من صفراء وبيضاء
لافتديت به من هول المطلع يعني ما يشرف عليه من امر الله بعد الموت المقدمة الرابعة في كيفية جمع القرآن روي عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل
اهل اليمامة واذا عنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب
قرآن كثير واني ارى ان تأمر بجمع القرآن قال فقلت كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله فقال لي هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري
له ورأيت فيه الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه فتتبعت
القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال وكانت الصحف عند ابي بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة بنته الى
ان ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك فارسلت الى عثمان فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن
زبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فامرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلثة ما اختلفتم فيه
انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل افق بمصحف من تلك المصاحف و
امر بما سوى ذلك من القرآن ان يحرق ويخرق قال زيد بن ثابت فرأيت اصحاب محمد يقولون احسن والله عثمان احسن والله عثمان وقال علي لو وليت لفعلت
في المصاحف التي فعل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود كره ان ولي زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ كتاب الله ويتولاها
رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يعني زيدا فكان اول من امر بجمع القرآن في المصحف ابا بكر مخافة ان يذهب منه شيء غير انه لم يجمع الناس
عليه وكان الناس يقرؤن بقراءات مختلفة على سبيل ما اقراهم رسول الله واصحابه الى وقت عثمان ثم ان عثمان جمع الناس على مصحف واحد وحرف
واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلموا ان القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله فانه ما انزلت آية الا وقد امر رسول
الله من كان يكتب له ان يضعها في موضع كذا من سورة كذا ولا نزلت سورة الا وقد امر رسول الله الكاتب ان يضعها بجنب سورة كذا وروي عن ابن
عباس قال كان رسول الله اذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال
جمع القرآن على عهد رسول الله اربعة من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي غيرهم لم يكونوا
قد جمعوا الا فيما بين الدفتين ولم يلزموا القراءة توالي سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله او كتبها ثم خرج
في سرية ثم فنزلت في وقت معين سورة فانه كان اذا رجع ياخذ في حفظ ما نزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما
يكتبه تقديم وتاخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ انسابها واشعارها من غير
كتابة ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسيب ثقة منهم بما كانوا يتعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون
باكثرهم حاجة الى مصحف ينظر فيه فلما ان مضى رسول الله لسبيله وجند المهاجرون والانصار اجنادا افترقوا في اقطار الدنيا واستحر القتل في بعضهم كما مر
خيف حينئذ ان يتطرق اليه ضياع فامروا بجمعه في المصحف المقدمة الخامسة في معاني المصحف والكتاب والقرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وغير ذلك المصحف مفعل
من اصحف اي جمع فيه الصحف والصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه وقد يقال مصحف بكسر الميم وروي ان ابا بكر الصديق استشار الناس
بعد جمع القرآن في اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض لانه مصدر كتب اي جمع قال الله
تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي جمع حتى آمنوا بجميع ما يجب عليهم فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشيء باسم الفاعل
نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبينا محمد كما ان التورية اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل للمنزل

على عليه الزبور المنزل على داود ع والقران يهمز ولا يهمز فمن همزه وهو الاكثر فوزنه فعلان مثل قربان والتركيب يدل على الجمع الضم ومنه القرء
الطهر والحيض لاجتماع الدم في ذلك الوقت ومنه قولهم قريت الماء في الحوض فالقران نزل شيئا بعد شئ فلما جمع بعضه الى بعض سمى قرانا وقيل سمى
قرانا لانه جمع السور وضمها قال تعالى ان علينا جمعه وقرانه اى تأليفه وضم بعضه الى بعض وقولك قرات معناه جمعت الحروف بعضها الى بعض
ومن لم يهمز القران وهو قراءة اهل مكة فاما على تخفيف الهمزة واصله كما مر واما ان وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمى بذلك لانه قرن
السور والايات بعضها الى بعض وقيل ان القران اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتورية والانجيل وقيل القران فرقانا لانه يفرق بين الحق
والباطل والمؤمن والكافر والحلال والحرام واما السورة من القران فانها تهمز وتترك وهذا اكثر عليه القراءة والسورة اسم لاى جمعت وقرنت
بعضها الى بعض حتى تمت وكملت وبلغت في الطول المقدار الذى اراد الله تعالى ثم فصل بينها وبين سورة اخرى ببسم الله الرحمن الرحيم ولا تكون
السورة الا معروف المبتداء معلوم المنتهى وقيل اشتقاقها من سور البناء والمدينة لان السور يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهى
الى الارتفاع الذى يراد فالقران ايضا وضع اية الى جنب اية حتى بلغت السورة في عدد الاى المبلغ الذى اراد الله تعالى وقيل سميت سورة لانها
وضعت بالعلو والرفعة كما ان سور المدينة سمى سورا لارتفاعه قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب اى
شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بما فيها من الايات كما ان سور المدينة محيط بساكنها وابنيتها وجمع سورة القران سور بفتح الواو
مثل جلة وجلل وجمع سورة البناء سور بالسكون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من اسارت اى ابقيت سورا اى فضلت ومنه بقية ومنه
سور الذوائب كلها قطعة من القران على حدة واما الاية فقد قال جمع من العلماء انها في القران عبارة عن كلام متصل الى انقطاعه انقطاع
معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف الاية على التوقيف وقال غيرهم معناها العلامة لانها تدل على نفسها بانفصالها عن الاية المتقدمة عليها والمتأخرة
عنها وقيل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم بايتهم اى بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيئا وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لبيانها كلام
المخلوقين من قولهم فلان اية من الايات واختلف في وزنها وفعلها فقال الفراء وزنها فعلة بسكون العين واصلها ايه فاستثقلوا التشديد فابدلوا
الفتحة التى قبله وقال الخليل واصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل ايية قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكسائى اصلها ايية فاعلة
وكان يلزمه للياءين الادغام على نحو دابة وخاصة فيكون مستثقلا فحذفوا احدى الياءين واما الكلمة فان تراكيبها لم تفيد القوة والشدة وتقاليب
هذه الحروف الثلثة بحسب الاشتقاق الكبير ستة واحد مهمل والبواقى معتبرة منها كلم فمنه الكلام لانه يقرع السمع ويؤثر فيه وايضا يؤثر في الذهن
بواسطة افادة المعنى ومنه الكلم للجرح وفيه شدة ومنها لكم لان الكامل اقوى من الناقص ومنها كمل ومعنى الشدة في الاكم واضح ومنها ملك
منه بئر مكول اذا قل ماؤها واذا كان كذلك كان ورودها مكروها فيحصل نوع شدة عند ورودها وايضا انها تدل على شدة منابعها ومنها
ملك ملكت العجين اذا انعمت عجنه ومنه ملك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد يستعمل في اللفظة الواحدة وقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط
بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على الكلام المركب مجاز
اما من باب اطلاق الجزء على الكل واما من باب المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه المفرد في الوحدة وافعال الله تعالى كلماته اما لانه حدث بقوله كن
او لانه حدث في زمان قليل كما يحدث الكلمة كذلك وعند النحويين الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وفائدة القيود تذكر في ذلك العلم والكلام ما تضمن
كلمتين بالاسناد ومنكر الكلام النفسى تعقوا على ان الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلمات والاشاعرة يثبتون الكلام النفسى ويقولون ان الكلام
لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا وقد يسمى الكلمات والعبارات احاديث لان كل واحدة منها تحدث عقيب صاحبها قال تعالى فليأتوا بحديث
مثله وجمع الكلمة كلم والتاء في الكلمة ليست للوحدة كالتمرة واللبنة والرطبة والرطب لان الرطب واللبن مذكر والكلم مؤنث وتصغير رطب رطيب
وتصغير كلم كليمات الى كلمة ثم جمعه بالالف والتاء وقد يكون الكلام مصدرا بمعنى التكليم كالسلام بمعنى التسليم قال تعالى يسمعون كلام الله ثم يحرفونه
فسره ابن عباس بتكليم الله موسى وقت المناجات واما الحرف فهو الواحد من حروف المعجم سمى حرف القلة وكذلك قيل حرف الشئ لطرفه لانه اخره
والقليل منه والحرف ايضا القراءة بكمالها والقصيدة بتمامها والحرف ايضا احد اقسام الكلمة وذلك لان الكلمة ان احتاجت في الدلالة على معناها الافرادى
الى ضميمة بحيث تقدمه فهو حرف والا فان دلت في اصل الوضع بهيئتها التصريفية على احد الازمنة الثلاثة الماضى والحال والاستقبال فهو فعل نحو
نصر وسينصر والا فهو اسم كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان اصلا ومثل اليوم والساعة والزمان فان الزمان كل معناه ومثل الصبوح والغبوق
لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل ومضرب فان معناه يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب فانه لو سلم ان معناه
يدل على الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منهما هيئة مخصوصة لغرض الانشاء ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لان
قولنا لاحد الازمنة تحديد لكنها ليست في اصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو عسى بما لا يدل على زمان لان تجرده عن الزمان عرض لغرض الانشاء
ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لان قولنا باحد الازمنة تحديد لا مدى درجات الاقتران ولو سلم باحد الازمنة
فقط فذلك في اصل الوضع لا مانع من اقترانه بغيره لك بزمان اخر مجازا المقدمة السادسة في ذكر السبع الطول والمثانى والمائين والطواسيم والحواميم
والمفصل والمسبحات وغير ذلك السبع الطول مضموم الطاء مفتوحة الواو جمع الطولى كالفضلى والفضل هي البقرة وال عمران والنسا والمائدة والانعام





والاعراف والانفال مع التوبة لانهما نزلتا جميعا في مغازى رسول الله وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال بعضهم
السابعة من السبع سورة يونس لا الانفال مع التوبة واما المثانى فسبع سور تتلو السبع الطول ولها سورة يونس واخرها سورة النحل لانها تثنى
الطول اى تتلوها واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثانى سور القران كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثانى وقوله ولقد اتيناك
سبعا من المثانى وقيل المثانى في هذه الاية ايات الفاتحة لانها نزلت مرتين او لانها تثنى في كل صلوة واما المائون فهن سبع اولها سورة بنى
اسرائيل واخرها سورة المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة اية وقيل المائون ما ولى السبع الطول ثم المثانى بعدها وقيل ان ما بعد السبع
الطول من المائين الى الحواميم وبعد الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت الطواسين قال الراجز وبالطواسين
التى قد ثلثت وفي الحديث واعطيت طه والطواسيم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب واما الحواميم فان شئت قلت هكذا وان شئت
قلت الحم قال ابن عباس ان لكل شئ لبابا وان لباب القران الحم وقال الحواميم فكان من قال الحم نسب السور كلها الى حم وهو من اسماء الله تعالى
بدليل قوله عليه السلام انكم تم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم عرائس القران عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدى قال قرات على على بن ابى طالب ع
القران في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت عرائس القران فلما بلغت راس العشرين من حم عسق والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الى السماء وقال يا زر امن على دعائى ثم قال اللهم انى اسئلك
اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك
والفوز بالجنة والخلاص من النار يا زر اذا ختمت القران فادع بهؤلاء الدعوات فان حبيبى رسول الله ص امرنى ان ادعو بهن عند ختم القران واما
المفصل فما بعد الحواميم من قصار السورة الى اخر القران لكثرة التفصيل فيها بالبسملة واما المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن
والاعلى لان في فواتحهن ما يدل على التسبيح في الحديث كان رسول الله ص لا ينام حتى يقرء المسبحات ويقول ان فيها اية كالف اية وافضل المسبحات
سبح اسم ربك الاعلى فقد كان العلماء يقرؤن هذه السورة في التهجد والجمعة يتعرفون بركتها واما المقشقشتان فسورة الكافرون والاخلاص لانهما تبريان
من النفاق والشرك يقال قشقشه وتقشقش المريض من علته اذا افاق منها وبرا واما المعوذتان فالفلق والناس وقد يضم اليهما الاخلاص فيقال
المعوذات المقدمة السابعة في ذكر الحروف التى كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف وهى في الاصل واحد وهو ان يكتب بالالف وانما حذفت من
باسم الله فقط لانها الف وصل ساقطة من اللفظ كثيرا قد كثر استعمال الناس اياها في صدور الكتب وفواتح السور وعند كل امر يبتدء به فامنوا
ان يجهل القارى معناها وكتب فيما موصولا في كل القران الا في البقرة فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وفيها فيما فعلن في انفسهن من معروف
وفي الانعام فيما اوحى الى محرما وفيها ليبلوكم فيما اتيكم وفي الانفال لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وفي الانبياء في ما اشتهت انفسهم و
في النور في ما افضتم وفي الشعراء في ما ههنا امنين وفي الروم في ما رزقناكم وفي الزمر فيما هم فيه يختلفون وفيها فيما كانوا فيه يختلفون و
في الواقعة فيما لا تعلمون فذلك اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك فموصول وكتب انما موصولا كل القران الا ثلثة مواضع في النساء فمن ما ملكت
ايمانكم وفي المنافقين من ما رزقناكم وكتب انما موصولا كل القران الا في الحج وانما تدعون من دونه هو الباطل وفي لقمان وان ما تدعون من دونه
الباطل وفيها ولو ان ما في الارض وكتب انما موصولا كل القران الا في الانعام ان ما توعدون لات وكتب لكيلا مقطوعة كل القران الا ثلثة
مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا تاسوا وكتب بئسما مقطوعا حيث كان الا ثلثة مواضع البقرة
بئسما يامركم به ايمانكم وفيها ولبئسما شروا به انفسهم وفي الاعراف بئسما خلفتمونى وكتب اينما مقطوعا في جميع القران الا اربعة مواضع في البقرة
فاينما تولوا وفي النحل اينما يوجهه وفي الشعراء اينما كنتم وفي الاحزاب اينما ثقفوا وكتب الا موصولا كل القران الا عشرة مواضع في الاعراف ان لا اقول
الا الحق وفيها ان لا تقولوا على الله الا الحق وفي التوبة ان لا ملجاء من الله الا اليه وفي هود ان لا تعبدوا الا الله وفيها ان لا اله الا هو وفي الحج
ان لا تشرك بى شيئا وفي يس ان لا تعبدوا الشيطان وفي الدخان وان لا تعلوا على الله وفي الممتحنة ان لا يشركن بالله شيئا وفي القلم ان لا يدخلنها
اليوم واختلف في يوسف الا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو الا مدغما بغير نون وكتب الا باسقاط النون كل القران من غير استثناء مثل الا تفعلوه
والا تغفر لى وكتب لم موصولا في كل القران الا في الانعام ان لم يكن ربك وفي البلد ان لم يره احد كتب في هود فالم يستجيبوا لكم موصولا مدغما وفي
القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب امن موصولا كل القران الا اربعة مواضع في سورة الانعام ام من يكون عليهم وكيلا وفي التوبة
امن اسس بنيانه وفي الصافات ام من خلقنا وفي السجدة ام من ياتى امنا وكتب ما واما موصولا الا في الرعد وان ما نرينك وكتب عما موصولا
الا في الاعراف عن ما نهوا عنه وكتب ان لن مقطوعا الا ثلثة مواضع في الكهف الن نجعل لكم موعدا وفي المزمل الن لن تحصوه وفي القيمة الن نجمع عظامه
وكتب كلما موصولا الا خمسة مواضع في النساء كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا وفي الاعراف كل ما دخلت امة وفي سبحان كل ما جاء امة وفي الملك كلما القى
فيها وفي نوح كل ما دعوتهم وكتب يومهم موصولا الا في المؤمن يوم هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتب الرحمة في جميع القران
بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة اولئك يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب وفي هود رحمت الله وبركاته وفي مريم ذكر رحمت ربك
وفي الروم الى اثار رحمت الله تعالى وفي الزخرف اهم يقسمون رحمت ربك وفيها رحمت ربك فانها بالتاء وكتب النعمة بالهاء الا احد عشر موضعا في البقرة

واذكروا نعمت الله عليكم وفى آل عمران واذكروا نعمت الله عليكم وفى المائدة واذكروا نعمت الله عليكم اذ هم وفى ابرهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها وان تعدوا نعمت الله وفى النحل وبنعمت الله هم يكفرون وفيها يعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله وفى لقمن فى البحر بنعمت الله وفى الملائكة اذكروا نعمت الله وفى الطور بنعمت ربك بكاهن وكتب امرأة بالهاء الا سبعة مواضع فى آل عمران اذ قالت امرأة عمران وفى يوسف امرأت العزيز تراود فتها وفيها امرأت العزيز الان وفى القصص وقالت امرأت فرعون وفى التحريم امرأت نوح وامرأت لوط وامرأت فرعون وكتب سنة بالهاء كل القران الا خمسة مواضع فى الانفال مضت سنت الاولين وفى فاطر الا سنت الاولين ولن تجد لسنت الله تحويلا وفى المؤمن سنت الله التى قد خلت وكتب معصية بالهاء حيث كانت الا موضعين فى المجادلة ومعصيت الرسول بالتاء وكتب لعنة بالهاء كل القران الا فى آل عمران فنجعل لعنت الله وفى النور ان لعنت الله وكتب جنة بالهاء الا فى الواقعة وجنت نعيم وكتب شجرة بالهاء الا فى الدخان ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا فى القصص قرت عين لى ولك وكتب بقية بالهاء الا فى هود بقيت الله وكتب من ثمرة بالهاء الا فى حم السجدة من ثمرت من اكمامها وكتب كلمة بالهاء الا اربعة مواضع فى الانعام وتمت كلمت ربك وفى يونس حرفان كلمت ربك وفى المؤمن حقت كلمت ربك وكتب غيابت الجب بالتاء فهم على بينت منه بالتاء وكتب كل ما فى القران من ذكر الاية بالهاء الا فى العنكبوت لولا انزل عليه ايت فانها بالتاء وكتب فطرت وعفريت فرايتم اللات والعزى ولات حين مناص وذات بهجة وهيهات ومريم ابنت عمران ومرضات كلها بالتاء وكتب الملاء بالالف الا اربعة مواضع فى المؤمنون فقال الملؤا الذين كفروا وفى النمل يا ايها الملؤا افتونى يا ايها الملؤا انى يا ايها الملؤا ايكم ياتينى فانها كتب بالواو وكتب فى البقرة ويبصط بالصاد وما سواه بالسين كتب فى البقرة بسطة بالسين وفى الاعراف بالصاد وكتب فى آل عمران منهم تقية بالياء وحق تقاته بالالف وكتب فى اول يوسف والزخرف قرانا عربيا بغير الف وسائر القران قرانا بالالف كذا وفى الاعراف وفى يونس بكل سحر عليم بغير الف وفى الشعراء سحار عليم بعد الحاء بالالف وكتب فى الذاريات ساحر ومجنون بالالف سواء بغير الف وكتب فى يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة واختلف فى قوله انا لننصر رسلنا فى المؤمن وكتب فى يونس ننج المؤمنين بنونين وحذف الياء وفى اخر يوسف فنجى من نشاء بنون واحدة وفى الانبياء وكذلك نجى المؤمنين بالياء ونون واحدة وكتب جميع ما فى القران من ذكر الايد بياء واحدة الا فى الذاريات والسماء بنيناها بايد فانها كتبت بياءين والاصل كتبهم بياء واحدة وكتب لن بغير الف كل القران الا فى الجن فمن يستمع الان فانه بالالف وكتب فى حم السجدة سماوات بالالف وما سوى كتب سموات بغير الف وكتب فى اول سبا عالم الغيب بغير الف وكتب فى البقرة خطيكم بحرف واحد بين الطاء والكاف وفى الاعراف خطيئكم بحرفين بينهما وكتب بغير ياء كل القران الا فى النجم لقد راى من ايات ربه الكبرى وما كذب الفؤاد ما راى وكتب فى يونس وما تغنى الايات بالياء على الاصل وفى القمر فما تغن النذر بغير ياء على اللفظ وكتب فى البقرة يؤت الحكمة بالياء وفى النساء وسوف يؤت الله بغير ياء وكتب ويمح الله الباطل بغير واو ويمحوا ما يشاء بالواو والالف وكتب لداع بغير ياء حيث كان الا قوله اجيبوا داعى الله وكتب ثمودا بالالف فى حال النصب فى اربعة مواضع فى هود والفرقان والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير الف وكتب فى النمل وما انت بهادى بالياء وفى الروم بهاد بغير ياء والاصل فيهما الياء وكتب فى الحج ولؤلؤا بالالف وفى فاطر بغير الف وكتب فى الاعراف قال ابن ام بالالف مقطوعا وفى طه يا ابنؤم بالواو موصولا وكتب فى الحجر وق اصحاب الايكة بالالف وفى الشعراء وص ليكة بغير الف وكتب فى يوسف لذو علم لما علمناه وفى المؤمن ذو العرش وفى السجدة لذو مغفرة وذو عقاب اليم وفى الجمعة ذو الفضل العظيم وفى البروج ذو العرش بغير الف فى هذه المواضع وما سواها ذوا بالالف وكتب الربوا وبعدها الف كل القران الا قوله وما اتيتم من ربا فانه بغير واو وكتب لدى الحناجر بالياء وكتب لاوضعوا خلالكم ولا اذبحنه بزيادة الف فى مصاحف الشام ولا امة مومنة بزيادة الف انهم وكتب به المؤمنون وايه الساحر وايه الثقلان بغير الف وما سواها وبا ايها بالالف وكتب فى الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا بالالف فى القران ام هم ضلوا السبيل وفى الاحزاب هو يهدى السبيل فهما راسلة وكتب فى الانسان قواريرا بالالف قوارير من فضة بغير الف وكتب فى الانعام ائنكم لتشهدون وفى الاعراف ائنكم لتاتون الرجال وفى العنكبوت ائنكم لتاتون الرجال وفى حم السجدة ائنكم لتكفرون بالياء وما سواها بغير ياء وكتب فى الاعراف ان لنا لاجرا بالياء وكتب فى النمل ائنا لمخرجون بالياء وكذلك فى الصافات ائنا لتاركوا وما سواها فهو انا بغير ياء وكتب فى الواقعة ائذا بالياء فى سائر القران اذا بغير ياء وكتب فى هود فى اموالنا ما نشا بالالف بعد الواو ومثله فى الانعام يا تيهم انبوء وفيها لهم فيكم شركوا وفى حم عسق ام لهم شركوا وفى الروم من شركائهم شفعوا وفى ابرهيم فقال الضعفؤا وفى الشعراء فسياتيهم انبوء وفيها ايضا ان يعلمه علموا وفى فاطر من عباده العلموا وفى الصافات لهو البلوا وفى حم الاولى وما دعوا الكافرين وفى الدخان ما فيه بلوا وفى الممتحنة انا برءوا وكتب جزاؤا بالواو الا فى الكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امرء واهلك فى يتفيؤا ظلاله ويعبؤا بكم ولتنوؤا عليها وتفتؤا تذكر ويدرؤا عنها وينبؤا الذين وينبؤا الخصم ينشؤا فى الحلية ولا تظمؤا فيها ويبدؤا الخلق وما اشبهها بواو والف ليشفوه انها الهمزة المضمومة او على لغة من لا يهمز فلو كتب كلها بالواو وحدها وبالالف وحدها لجاز وكتب فى الانعام من نباى المرسلين بياء بعد الهمزة وكذلك فى يونس من تلقاى نفسى وفى النحل وايتاى ذى القربى وفى طه ومن اناى الليل وفى عسق ومن وراى حجاب وكتب كلما فى القران من ذوات الواو بالالف مثل دعا وعفا وتلا الا ضحها وتليها وطحيها وسجى وما زكى وذوات الياء يكتب بالياء مثل هدى ومضى وقضى الا الحرف هى وما مثل الاولين وجنا الجنتين





دان وطغا الماء واقصا المدينة واحيا الناس وكل اثنين اجتمعتا فى كلمة مثل الدنيا والعليا جعلت الاخيرة الفا كراهة الجمع بين اليائين الا فى قوله تعالى يحيى وامات وليحيى فى بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة ومشكوة والغدوة بالواو وكتب الصلوة بالواو الا فى الانعام وهم على صلاتهم يحافظون وصلاتى ونسكى وفى الانفال وما كان صلاتهم وفى اول المؤمنين فى صلاتهم خاشعون وفى الواقع على صلاتهم وفيها على صلاتهم يحافظون وفى ارايت عن صلاتهم ساهون وكتب فى ذا الايات يون الناس بغير الف وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف الوقف عليها بالالف وكتب فى البقرة واخشونى ولاتم بالياء وفى المائدة واخشون اليوم واخشون لا بغير ياء وكتب فى يوسف ومن اتبعنى وسبحان الله بالياء وفى آل عمران ومن اتبعن وقل بغير ياء وكتب فى سبحان الذى لئن اخرتن بغير ياء وفى المنافقون لولا اخرتنى بالياء وكتب فى يوسف ما نبغى بالياء وفى الكهف ما كنا نبغ بغير ياء وفى هود يوم يات لا تكلم بغير ياء وفى النحل يوم تاتى كل نفس بالياء وفى الدخان يوم تاتى السماء بالياء وفى الا وقد هدان بغير ياء وانتى هدانى بالياء وفى الاعراف ثم كيدون بغير ياء وفى هود فكيدونى جميعا بالياء وفى هود فلا تسئلن بغير ياء وفى الكهف فلا تسئلنى بالياء وفى الكهف ان يهدين ربى بغير ياء وفى القصص ان يهدينى سواء السبيل بالياء وفى طه فاتبعونى واطيعوا امرى بالياء وفى الزخرف واتبعون هذا بغير ياء وكذلك فى المؤمن وفى الاعراف فهو المهتدى بالياء وفى سبحان الذى وسورة الكهف فهو المهتد بغير ياء وفى ابرهيم قل لعبادى الذين امنوا بالياء وفى الزمر فبشر عباد الذين بغير ياء وكتب الذى والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب جزاء بغير واو وهزوا وكفوا بالواو وكتب بين المرء وجزء مقسوم ويخرج الخبا وملء الارض وحذف باسقاط الهمزة ومن غرايب الهجاء ونوادره ما كتب فى الفرقان وعتوا عتوا كبيرا بغير الف وفى سبا والذين سعوا بغير الف وفى الحشر والذين تبوؤا الدار بواو من غير الف وفى المعصرات كنت ترابا بغير الف وفى القلم بايكم المفتون بيائين وفى آل عمران افائن مات بالياء وفى الانبياء افائن مت بغير ياء وكتب تاقلتم ونحوه بالالف كتب فا لئلا تلتبس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء الف جميع المصحف وكتب فى الكافر لبيان الحركة كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وفى القارعة ما هيه باثبات الهاء واختلف فى لم يتسنه فبهديهم اقتده ان الهاء فيها لبيان الحركة ايضا وكتب فى سورة النساء فمال هؤلاء القوم وفى الكهف مال هذا الكتاب وفى الفرقان مال هذا الرسول وفى الواقع فمال الذين كفروا باللام مع ما مقطوعة عما بعدها واعلم ان هجاء المصحف كثير وقد ذكرنا منها ما هو انفع للقارى واكثر فائدة واما الحركات كلها فقد اعتبرناها الا ما شاء الله فى كتابة متن القران من هذا الكتاب بالغنا عن تقدمنا من السلف الصالحين والعلماء المتقنين ودوانهم وجدنا فى الامام كذلك فسرناها فى مواضعها ان شاء الله وانما كتبت هذه الحروف بعضها على خلاف بعض فى الاصل الواحد لان الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه اخر جمعا بين المذهبين على انهم كتبوا اكثرها على الاصل وكل ما كتب فى المصحف على اصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القران يلزمه لكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع المصحف فى هجائه واجب ومن طعن فى شىء من هجائه فهو كالطاعن فى تلاوته لانه بالهجاء يتلى والفائدة للقارى فى معرفته ان يكون على يقين ان الذى يقرأ هو القران الذى انزله الله على نبيه محمد بلا خلل فيه من جهة من الجهات وقال جماعة من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء واهل الكتاب ان يتبعوا هذا الرسم فى خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله وكاتب وحيه علم من هذا العلم بدعوة النبى ما لم يعلم غيره فما كتب شيئا من ذلك الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنها ابناء الاثر لانه لو كتب على صلوتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو وبالالف من غير واو لما دل ذلك الا على وجه احد وقراءة واحدة وكذلك سيعلم الكفار لمن عقبى الدار كتب سيعلم الكفر بغير الف قبل الفاء ولا بعدها ليدل على القرائتين والله تعالى اعلم

المقدمة الثامنة فى اقسام الوقف الوقف هو قطع الكلمة اسما او فعلا او حرفا عما بعدها لو فرضا وله عند اكثر الائمة خمس مراتب لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة فاللازم من الوقف ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله تعالى وما هم بمؤمنين اذ لو وصل بقوله يخادعون الله صارت الجملة صفة للمؤمنين فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هو بمؤمن مخادع ومراد الله جل ذكره نفى الايمان واثبات الخداع وفى نظائر ذلك كثرة يوصلك المرء بها الى العثور عليها والمطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدا به نحو الله يجتبى اليه من يشاء وكالفعل المستانف مع السين نحو سيقول السفهاء سيجعل الله بعد عسر يسرا ونحو يعبدوننى لا يشركون بى شيئا الى غير ذلك من النظائر والجائز ما يجاذب فيه طرفا الوقف والوصل مثل وما انزل من قبلك لان واو الوصل يقتضى العطف وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالاخرة والمجوز لوجه مثل اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة لان الفاء فى قوله فلا يخفف تعقيب يتضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم الفعل على الاستيناف يرى للفصل وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغنى ما بعده عما قبله لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام ولا يلزمه الوصل بالعود لان ما بعده جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله وانزل لا يستغنى عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى الصريح المذكور قبله غير انها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق واما ما لا يجوز الوقف عليه ففى مواجبه مواقعه كثرة وسيتلى عليك مواقع الفصل والوصل فى جميع القران مع علل ذلك مفصلة ان شاء الله تعالى وبعضهم قسم مراتب الوقوف الى ثلث التام والكافى والحسن لا مشاحة فى الاصطلاح بعد غاية المعنى فيكن علامة اللازم م المطلق ط والجائز ج والمجوز ز وما لا وقف عليه فعلامته لا وعلامة الاية دائرة صغيرة هكذا ٥ وانما الرمز بما اراد هذه الوقوف لدقة مسلكها وبلوغها فى الغوض الى حيث قصر البلغاء على معرفة الفصل والوصل الا ان ذلك بحسب الصناعة وكل منها فائدة تام

المقبول

فلكن يجد لسنت الله تبديلا

بغير ياء وفى الشعراء انئن لنا لاجرا بالياء

وبغير السين

والمرخص ص

لزم بحسب الصناعة وما لحن

المعنى بالمعنى وانفصاله عنه بالكل وبالبعض وسيتلى عليك تفاصيلها وبالله التوفيق المقدمة التاسعة في تقسيم يعرف منها اصطلاحات مهمة اللفظ
اما ان يعتبر دلالته على تمام مسماه او على جزء مسماه او على لازمه الذهني الاولى دلالة مطابقة كدلالة البيت على مجموع الحائط والسقف والثاني دلالة
تضمن كدلالة البيت على السقف او الحائط والثالث دلالة الالتزام كدلالة السقف على الحائط والدلالة الاولى وضعية صرفة والاخريان بمشاركة
من الوضع والعقل تقسيم آخر اللفظ اما ان يقصد بجزء منه دلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد وهو المفرد ويشمل ما لا جزء
له اصلا مثل ق علما وما كان له جزء ولكن لا يدل على معنى اصلا نحو زيد وما كان له جزء دال على معنى لكن لا في ذلك المسمى نحو اسد الله علما لشخص
انسانى وما له جزء دال على معنى في ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له تقسيم آخر اللفظ المفرد باعتبار وحدة مدلوله وتعدده اربعة
اقسام الاول اللفظ واحد والمدلول واحد الثانى مقابل ذلك اى اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد اللفظ
كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون مجردا عن سبب من خارج فهو الكلى ويقال له اسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجود او معدوم والموجود
اما واحد او كثير والواحد اما ان يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكواكب او غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود
في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها اولى او اول واشد كالوجود للخالق
والمخلوق فان وقوعه على الخالق اول واولى واشد وكالابيض فانه على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكك الناظر بالنسبة الى
السامع انه متواطئ نظرا الى اشتراك الكل في اصل المعنى او مشترك نظرا الى الاختلاف فيها في ذلك وان لم يكن في وقوعه تفاوت فمتواطئ كالانسان بالنسبة
الى افراده فان كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها وان لم يشترك في مفهومه كثيرون فهو الجزئى علم ان استقل في الدلالة بحيث لا يحتاج الى انضمام
اليه من ضم قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد والاشارة مضمر ان احتاج الى احد القرائن الثلث الاول ومبهم ان احتاج الى شئ من الباقيين
والعلم اما اسم كابرهيم وموسى وعيسى واما ان يكون لقبا اشهر المسمى به مدحا او ذما كاسرائيل او كنية ويختص بما فى اوله الاب او الام او البنت والابن
نحو ابى لهب وام القرى وابنة عمران وابن مريم وقد يكون العلم علما لجنس باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجية اولى بذلك من بعض لكونه للحقيقة
الخارجية واذا اطلق على فرد من افراده الخارجية نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل بالمطابقة كلى طبيعى لجزئياته فهذه تمام الاقسام القسم الاول
وهو ان اللفظ واحد والمعنى واحد الثانى من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان كان اللفظ حقيقة للمتعدد من مدلولاته بان كان
موضوعا للجميع فمشترك والا فمنقول ان نقل من الموضوع له الى معنى آخر لعلاقة واشتهر فيه عرفى ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحى ان
العرف الخاص شرعى او لا فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان لم ينتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان
كان العكس وان نقل لا لعلاقة فمرتجل الرابع من الاقسام مترادفة كالليث والاسد لا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع ثلثتها نصوص في
معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثرة اللفظ والمعنى فلانه يكون لكل معنى لفظ فلا يحتمل اللفظ
غير ذلك واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد والمعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر وماول لان اللفظ بالنسبة
الى تلك المعانى ان كان متساوى الدلالة فهو المجمل بازائه المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المؤول فالاول كقوله تعالى
ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثانى نحو واقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب كذا يحتمل ذات الاركان يحتمل
الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلوة بالنسبة الى الهيئات المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق ايديهم فان اليد تحتمل
القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمؤول ويسمى
المتشابه والنص يمتاز عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والماول مرجوح والتاويل اشتقاقه
من آل يؤول اى رجع وفى الاصطلاح كما يقرر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فيشتمل التاويل الفاسد والتاويل الصحيح فان اريد التاويل الصحيح فقد زيد
فى الرسم بدليل يصيره راجحا اى يجب ذلك الدليل ان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا او عرفا كما قلنا فى اليد بمعنى القدرة واذا عرفت
الاقسام الاربعة باسرها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة الى الوجود والضرب فان معنى
الاشتقاق ان تجد بين اللفظين تناسبا فى المعنى والتركيب فترد احدهما الى الاخرى وقد يكون غير مشتق ان فقد له اصل كالوجود والانسان وغير
المشتق صفة ان دل على معنى قائم بالذات كالعلم والكتابة وغير صفة ان لم يدل كالجسم مثلا تنبيه العلاقة المعتبرة فى المجاز انما يقع بحكم الاستقراء
على نيف وعشرين وجها منها الاشتراك فى صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وهذا معظم انواع المجاز لانه اطلاق
اسم الملزوم على اللازم واكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك فى الشكل كالانسان للصورة المنقوشة ومنها كونه آيلا الى ذلك كالخمر
للعصير او كائنا عليه كالعبد على من عتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب اى الجارى فى الحقيقة هو الماء لا الميزاب المجاور له ومنها اطلاق اسم الحال على المحل
مثل واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون اى فى الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله صلعم لا يفضض الله فاك اى اسنانك
اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله صلعم بلوا ارحامكم ولو بالسلام اى صلوها فانهم لما راوا بعض الاشياء يتصل بالندا
استعاره البل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم للخمر اثما لكون الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم فى آذانهم اى اناملهم





ومنها العكس نحو كل شئ هالك الا وجهه اى ذاته ومنها اسم المطلق على المقيد كقوله فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس قبل اليوم يلتقيان
اى قبل يوم القيمة ومنها العكس كقول شريح اصبحت ونصف الخلق على غضبان يريد المحكوم عليهم ظانهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام
كقوله سبحانه وحسن اولئك رفيقا اى رفقاء له تعالى ومنها العكس كقوله سبحانه حكاية عن محمد صلعم وانا اول المسلمين لان الانبياء قبله كانوا كذلك
ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسئل القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا اى ابن رجل جلا ومنها اطلاق
اسم آلة الشئ عليه مثل واجعل لى لسان صدق اى ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها اطلاق اسم الشئ على بدله كما يقال فلان اكل الدم اى ديته فانه
يأكلن كل ليلة اكافا اى ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله عز من قائل علمت نفس ما احضرت اى كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين
على الآخر مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتله الله ما احسن ما قال يريد به الدعاء له ومنها اطلاق
المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اى بابا من ابوابها وسيجئ ومنها الحذف نحو يبين الله لكم ان تضلوا اى لئلا تضلوا
او لاجل ان تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شئ واعلم ان المجاز بالحقيقة فرع من فروع التشبيه فانك اذا قلت زيد اسد فكانك قلت زيد كالاسد فكانك
قلت زيد كالاسد فى الجرأة فتسمى زيدا مشبها والاسد مشبها به ووجه الشبه بينهما والمشبه والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خد كالورد او عقليين كالعلم
اذا شبه بالحيوة او احدهما محسوسا والآخر معقولا كالعطر اذا شبه بخلق كريم او كالعدل اذا شبه بالقسطاس والخياليات كالشقيق اذا شبه باعلام
ياقوت منشرة ملزوزة فى قرن الخيال والوهميات فى قولك نطقت الحال بكذا فالحال شبه باللسان فانه صورة وهمية محضة وكذا الوجدانيات
كاللذة والالم والشبع والجوع ملحقة بالعقليات ووجه التشبيه اما ان يكون امرا واحدا او لا وعلى الثانى اما ان لا يكون فى حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا
بالشمس فى حسن الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة او يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط الزند شبه بعين الديك
الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكروى والمقدار المخصوص واما اوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة كقول الشاعر كان مثار النقع
فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من
النقع الاسود والسيوف البيض حال كون السيوف متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة فى جوانب منه ويسمى هذا
تشبيه المركب بالمركب متى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقى وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل كما فى قوله عز من قائل مثلهم كمثل الذى
استوقد نارا الآية وسيجئ تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلى اذا استعمل على سبيل الاستعارة لا غير سمى مثلا كقولك لمن يردد فى امر يقدم
رجلا ويؤخر اخرى وذلك ان الاستعارة هى ان تذكر احد طرفى التشبيه تريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه فى جنس المشبه به دالا على ذلك
باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول فى الحمام اسد انت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه
الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده فى الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه ومشبه به فاذا افردت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه
فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان المستعار له وهو زيد مثلا فى قولك زيد اسد برز فى معرض المستعار منه وهو الاسد نظرا الى الدعوى وهذا
شان العارية وانما اجراؤهم على الدعوى ما اوليتهما من الاشتراك فى اللازم وهو الشجاعة والاستعارة فى نحو عندى اسد اذا لم يعقب بصفات ملائمة
كلام لا يكون مجردة ولا مرشحة لفقد موضوعى التجريد والترشيح انما يلحقها التجريد والترشيح سميت مرشحة نحو شاورت اسدا فى البراثن محصورا او
قد بقى من الاصطلاحات قولهم هذا عام وخاص ومطلق ومقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشتركت فيه مطلقا ضربة فقولنا ما دل
ليشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعانى بتحقيقه كقولهم عم المطر والخصب كالمعنى الكلى كالانسان لشموله جزئياته
التى تحته وقولنا على مسميات يخرج المثنى وليدخل فيه المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على اشياء لخرجا بناء على انهما ليسا بشئ وقولنا باعتبار امر
اشتركت تلك المسميات فيه يخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد النكرات فانها وان دلت على مسميات هى احادها الكلام باعتبار امر اشتركت هى فيه بل
باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام فى كل ذى اجزاء حسية وعقلية وقولنا مطلقا يخرج الرجال المعهودون فانها بقرينة العهد ضربة لخروج افراد
من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل منها ذكرا من بنى آدم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا اخرج نحو رجال واذا تاملت فى تحديد
العام والخاص بخلافه فهو ما دل لا على مسميات الى آخره ومن صيغ العموم اسماء الشرط والاستفهام مثل من وما والموصولات نحو الذى والتى والجموع المعرفة
تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضافة نحو عبيدكم واسم الجنس المضاف وتعريف المعرف الجنس مثل غلامى والعلام والنكرة فى سياق النفى نحو ما
نحو ما فى الدار احد والتخصيص قصر العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما
كما يطلق عليه ايضا انه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين للمعهودين وكضمائر الجمع لا يستقيم تخصيص لا فيما يستقيم توكيده
بكل لكونه ذا اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما الا النكرة مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاء فى رجال كرماء والمخصص متصل بعد اشياء الاول
الاستثناء بالا ونحوها والثانى الشرط وهو ما يتوقف تاثير المؤثر عليه لا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه قضاؤه الرجم لا وجود الزنى
الثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية نحو ثم اتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص بالمتصل وقد يخص بالمنفصل وذلك ما العقل
كقوله تعالى الله خالق كل شئ واما الحس نحو واوتيت من كل شئ واما الدليل السمعى كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء فخصص

الاية الاخرى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن و يوصيكم الله فى اولادكم خصصه قوله القاتل لا يرث والمطلق هو اللفظ الدال على
الماهية من حيث هى هى ويلزم منه تمكن المامور من الاتيان بفرد منها اى فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا باتيان فرد ما تصور الاطلاق
فى معرض الخبر المتعلق بالماضى مثل رايت رجلا ضرورة تعينه باسناد الرؤية اليه والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شايع فى جنسه
فيدخل فيه الدال على المتعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وانا وانت والدال على الشايع لا فى جنسه بل فى افراده كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا
ويطلق المقيد على ما اخرج من شايع بوجه بان يذكر الدال على الماهية بوصف زائد عليها كرقبة مؤمنة فانها وان كانت مطلقة فى جنسها
من حيث هى رقبة مؤمنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهى مطلقة من وجه مقيدة من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص العام فيجوز التقييد بالمتصل
استثناء كان او صفة او شرطا او غاية او بدل بعض و بالمنفصل عقلا كان او نقلا كتابا او سنة ومنها تقسيم اخر للتركيب المفيد اعنى الكلام قسمان احدهما
الذى يحتمل ان يقال لقائله صدقت و كذبت من حيث ذلك التركيب لا من امر خارج عن ذات التركيب يقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال
العقل تواطؤهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر واحد والثانى ما لا يحتمل ذلك ويقال له الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية
والشرطية والظرفية والثانى نوعان نوع لا يستدعى مطلوبا بامكان الحصول وهو التمنى ونوع يستدعى مطلوبا بذلك ثم ان كان طلب فعل فامر وان
كان طلب ترك فنهى وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب اقبال فنداء فيه امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالاستبطاء
والاغراء والتعجب والتوبيخ ونحو ذلك تقسيم اخر الحكم خطاب الله او من اذن له الله متعلقا بافعال المكلفين بالاقتضاء او التخيير او الوضع اما
التخيير فيراد به الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك فهو الوجوب او مع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع
الفعل وهو الحظر والتحريم او مع جوازه وهو الكراهة واما الوضع فيراد به ما جعله الشارع بوضعه دليلا على شئ كدلوك الشمس على وجوب الصلوة
او سببا كالزنى لوجوب الحد او شرطا كالوضوء لصحة الصلوة واما الصحة والبطلان او الحكم بهما فامر عقلى لا حكم شرعى لان صحة العبادات ما كون
الفعل مسقطا للقضاء كالفقهاء او موافقة امر شرعى كالمتكلمين ولا يشك ان العبادة اذا اشتملت على اركانها وشرائطها حكم العقل بصحتها بكل
تفسير من سوء حكم الشارع بها اولا والصحة فى المعاملات ايضا حكم عقلى لانها فيها كون الشئ بحيث يترتب عليه ثمره واذا كان البيع مشتملا على الاسباب
والشرائط وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب ثمره عليه سوا حكم الشرع بها او لم يحكم و تفسير البطلان والفساد على ما قلنا و حكم ثابت على خلاف
الدليل لعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر والقصر والفطر للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى عليك
المقصود من ايراده الا ان فى كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه ومنها مجمل ومبين ومنها المنسوخ والناسخ باعتبار لان النسخ بيان انتهاء امد
الحكم الشرعى ومنها مطلق ومقيد ومنها امر ونهى ومنها ظاهر و ماول ومنها حقيقة ومجاز ومنها التشبيه و تمثيل ومنها كناية وتصريح ومنها الكلى
والجزئى ومنها الخبر والطلب باقسامها ومنها الاحكام باصنافها ولا ريب ان تصور هذه الاصطلاحات نذكرها فى علم التفسير مهم والله اعلم

المقدمة العاشرة فى ان كلام الله تعالى قديم ولا ذكر قوم من ائمة الامة ان كلام الله تعالى قديم بعد ان عنوا بكلامه هذه الحروف المنتظمة المسموعة اما
ان كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ومعلوم ان المسموع ليس الا من هذه الحروف واما
انها قديمة فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم ايضا كل حادث متغير والتغير على ذات الله تعالى وصفاته محال وزعم قوم ان الكلام
المؤلف من الاصوات والحروف يمتنع ان يكون قديما بالبديهة وكيف لا وانها اصوات تحدث عن فارها شيئا بعد شئ فلو قلنا انها عين كلام الله تعالى لزمنا القول
بان الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى وحالة فى بدن هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا للشئ وجود فى الاعيان
ووجود فى الاذهان ووجود فى العبارة ووجود فى الكتابة فللقران وجود عينى وهو القائم بذات الله تعالى وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شئ من سمات النقص
ووجود ذهنى كحفاظ القران ووجود فى العبارة وهو على لسان القارى ووجود كتابى وهو المثبت فى المصاحف ولا ريب ان القران من حيثيات
هذه الوجوه حادثة بل القران انما يطلق على المحفوظ والمتلو والمكتوب لمجاز من حيث انها دالة على الكلام القائم بذات الله تعالى واعلم انه لا برهان على
ان كل صوت فانه يقوم بجسم ولا على ان كل حرف انما يقدر عليه بجارحة بل العلم بذلك فى الشاهد فقط فالكلام للقديم كما ل قديم نطق وسمع وبصر
اله ولا جارحة كما انه ادرك وعلم من غير ما نوى عضو من لم يدرك ادراكه كما ينبغى فليتلو من الا نفسه كلامه كتابه صواب قوله تفضل
وحكمه عدله نوره ظهوره ووجوده شهوده وعيانه بيانه والكفر بما سواه ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام

المقدمة الحادية عشرة فى كيفية استنباط المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا فى تفسير قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فههنا
مباحث لفظية ومباحث معنوية واما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها
ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعنى المحسنات اللفظية واما المعنوية فمنها ما يتعلق بالمعانى ومنها ما يتعلق
بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه ومنها ما يتعلق بعلم الاحوال اما القراءة فكما
واما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه كذا واسم الله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء واللام ومن معانيها ههنا كذا فكل واحد منها
مسئلة واما الاشتقاق فان اعتبرنا الاشتقاق الكبير قلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ مهملة مستعملة او مهملة وكذا كل من تراكيب



ال ش ط ن او ش ن ط ومن تراكيب ر ج م واذا كانت مستعملة فاصل المعنى فى كل من المستعملات كيف يعتبر فيحصل مسائل كثيرة وان اعتبرنا الاشتقاق
الصغير فهل للعوذ معنى اخر غير الالتجاء وان كان فما به الاشتراك بينهما اى شئ هو فيحصل مسائل واما الصرف فكان نقول اعوذ فعل مضارع متكلم
واصله اعوذ مثل اطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله الاله كالناس اصله الاناس فعال بمعنى مفعول نقلت الكسرة من الهمزة
الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى وادغمت فى الثانية وقالوا يا الله فى النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض عن
المحذوفة فكانك قلت يا اله لا الله وقيل اصله لاه الحقوا بها الالف واللام وانشد والخليفة من ابى رباح يسمعها لاهه الكبار ولو عدت هذه المسئلة
من اللغة جاز لانها غير قياسية والشيطان فعلان او فيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول كلاهما للمبالغة فهذه مسائل واما النحو فاعوذ فعل فاعله
ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم نحو سرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان معرف
مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا علم فهذه مسائل واما البديع فان نقول انما اختير الرجيم دون اللعين والمرجوم مثلا ليوافق الفاصلة الاخرى
وهو الرحيم اذا ابتدأ القارى بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثر مع ان اول القران ايضا البسملة واعتبار الاستعاذة ههنا اولى وليكون تجنيسا
خطيا وترصيعا واما المعانى فان نقول انما اختير المضارع على الماضى ليدل على الاستمرار والدوام اى شانى انى اعوذ كقولك يشرب الخطيب وانما لم يقل
انا اعوذ وانا عائذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد انى على تجدد وهذا القول منى لحظة فلحظة ثابت مستمر الا ان عوذى مستمر
انما لم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما يقال فى بسم الله ابتدأ لان الاستعاذة ههنا اهم امتثالا للامر ولانه لا يعوذ الا بالانقطاع عن الغير والتبرى عن سوى
الحق جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص ولانه موافق لما ورد فى القران فاستعذ بالله وانما اختير اسم الله لانه كالعلم والمقام مقام احضاره فى ذهن السامع
بعينه ليكون ادل على انقطاعه عما سواه وانما ذكر الشيطان معرفا باللام الجنسى ليدل على هذه الحقيقة التى هى مادة كل شر ويشمل كل فرد منها ضرورة
وجود الحقيقة فى اى فرد يفرض ولو اريد العهد ايضا جاز كما مر ولو نكرت بان قلت من شيطان رجيم لم يفد العموم وان قلت من كل شيطان لا طلت
والمقام مقام اختصار وانما وصف بالرجيم لان المقام مقام تاكيد ذم ولا ذم ابلغ من البعد عن حضرة من هو منشأ كل كمال ومصدر كل خير واما البيان
فان قوله اعوذ معناه التصوق ولا ريب ان الالتصاق بالله محال لان ذلك من شان الاجسام والمراد التصوق برحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوى وفى
نفس الالتصاق ايضا بعد تقدير الرحمة تجوز بعيد على ما لا يخفى ولو اريد بالشيطان شيطان الانس ايضا ويثبت كون اللفظ موضوعا لشيطان
الجن فقط كان استعارة واذا قدرنا الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان ايضا واما ما يتعلق بالاستدلال فاما من جهة التصور
واما من جهة التصديق اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقعة فى التركيب من مفهوم العوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم
وان كلا منها كيف يعرف بالحد او الرسم فان عرف بالحد فكيف يرتب جنسه وفصله وان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه واما معرفة الجنس والفصل
واللوازم انفسها لكل منها فمن الامور العامة واما الثانى فان قولنا اعوذ لفظه خبر ومعناه اما دعاء اى اللهم اعذنى واما انشاء نحو بعت واشتريت
واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على احدهما واستعمال الخبر فى معنى الطلب من مسائل علم المعانى ايضا واما
ما يتعلق باصول الدين فان يسلم ذات الله تعالى وصفاته من انه قادر مختار عليم الى غير ذلك من الصفات التى بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار
والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته بنحو مما سبق فى المقدمة الثانية واما ما
يتعلق باصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة فى الكتاب والسنة واجبة ام لا بل مندوبة وان كانت واجبة فيتكرر بتكرر القراءة ام لا و
انها يقتضى الفور او يحتمل التراخى واما ما يتعلق بالفقه فانها يستحب فى الصلوة ام لا وان استحب فيجوز فى المكتوبة ام لا وان جازت ففى كل ركعة ام
فى الاولى وحدها ويسرها ام يجهر واما ما يتعلق بعلم الاحوال فكالنكت التى نذيلها المقدمة الثانية وانها لا تكاد تنحصر فهكذا يجب ان يستنبط المسائل
من كل كلام يراد تفسيره من غير ان يتخطى فى شئ من ذلك الى ما ليس من العلم كان نقول فى كل قراءة الاستعاذة والقراءات المشهورة هى سبع كذا وكذا ورد
كل قراءة من هم وما طلب كل قراءة وفى اللغة ان واضعها من هو وكيف نشات اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدته وفى الصرف انه معرفة احوال
الكلم التى ليست باعراب وبناء من جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناها وما حد الفعل والكلمة الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث
الحرف والصوت بل مقولة الكيف وفى النحو ان التركيب مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف ومبنى
وما سبب الاعراب والبناء والصرف ومنع الصرف وانواع الاعراب كم هى وكل منها يختص باى شئ من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ولم يختص بكل صنف
ما يختص واصناف الفعل كم هى واصناف الحرف كم هى لا سيما حروف الجر وما معنى كل منها الى غير ذلك وبالجملة فمن كل علم يوجد نكتة مخصوصة بهذه
المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد والقوانين لزم ايراد كل العلوم او اكثرها فى تفسير كلام واحد انه محال شنيع اذ
يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وايضا لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من انواع الضلالات والجهالات والعقائد الفاسدة والمذاهب
الباطلة فى الملة الاسلامية وغيرها او فسر بما هو مباين عنه كانواع الافات واصناف المخافات حتى يلزم تكثير المسائل لم يخل عن التعسف الا
ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد نطق بالخلف وزاغ عن الجادة وانحرف عن سواء السبيل نعم لو اورد طرف من الاصطلاحات والمسائل على
سبيل التصدير من غير اشارة الى ماخذها الاصلية ودلائلها الكلية الا ما دار الامر الى ذلك ضرورة ومقدار الواجب كما اشرنا اليها فى

المقدمات وقد بقي مما يمكن ان يعد من المقدمات ذكر ابتداء الوحي وكيفية نزول القرآن شيئا بعد شيء وبيان كيفية اعجاز القرآن ونحن قد راينا الاليق بها ايرادها في مواضعها اذا افضت النوبة اليها فلنشرع الآن في المقصود وهو التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان

## سورة الفاتحة وهي سبع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

القراءة مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف الباقون ملك الرحيم ملك مدغما ابو عمرو وكذلك يدغم كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل فالهم او مخرج واحد مثل وقالت طائفة او قريبي المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل انبتت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير او متحركا فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى بالادغام الكبير الا ان يكون مضاعفا نحو احالكم ومس سقر او منقوصا مثل ما كنت ترابا ونعني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين او مفتوحا قبله ساكن مثل البحر لتاكلوا والحمير لتركبوها الا في مواضع اربعة كاد تزيغ وقال رب كل القرآن والصلوة طرفي النهار وبعد توكيدها او يكون الاظهار اخف من الادغام نحو افانت تهدي افانت تسمع وعن يعقوب ادغام المتجانسين في جميع القرآن اذا التقيا من كلمتين الصراط باشمام الزاي ههنا وفي جميع القرآن حمزة ويعقوب بالسين كل القرآن وعن الكسائي باشمام السين كل القرآن والباقون بالصاد عليهم واليهم ولديهم بضم الهاءات كل القرآن حمزة وسهل ويعقوب ضم كل ميم جمع يزيد وابن كثير ونافع غير ورش مخير ورش يضم الميم عند الالف القطع فقط نحو انذرتهم ام الوقوف العالمين لا لاتصال الصفة بالموصوف الرحيم لا لذلك الدين ط للعدول عن الغائب الى المخاطب نستعين ط لابتداء الدعاء المستقيم لا لاتصال البدل بالمبدل انعمت عليهم لا لاتصال البدل او الصفة الضالين ه التفسير روي عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برايه فاصاب فقد اخطا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن بالراي لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط او المراد به امر آخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وانما النهي يحمل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بان المراد من الآية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برايه وهواه ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول المراد بفرعون في قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وما يدري بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد الاصلية والفرعية واعلم ان من مقتضى الديانة ان لا ياول المسلم شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث يبطل له الاعيان التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها ولكن يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقائق اخرى ورموزا ولطائف بحسب ما كوشف فلا باس فان الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب وما خلق في العالمين شيئا الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم والتفسير اصله الكشف والاظهار وكذلك سائر تقاليبه من ذلك سفرت المراة كشفت عن وجهها والفرس لانه يكشف عن وجوه الحوائج ومنه السرو لانه ينكشف عن طالع والرفس لانه يكشف عن عضو وانكشاف حال المقيد في سفائه واضح فمن التفسير ما يتعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف او النحو والمعاني والبيان الى غير ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في المقدمة العاشرة ومنه اسباب النزول وذكر القصص والاخبار وغير ذلك ونحن على ان نورد بعد القرآن مع الترجمة القراءة ثم الوقوف ثم اسباب النزول ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التاويل ان كان ولم نذكره في التفسير نذكر منه ما هو اقرب الى الامكان والله المستعان فنشتغل بتفسير الفاتحة فنقول في البسملة مسائل الاولى الجار والمجرور لا بد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدرا وانه يكون فعلا او اسما فيه رائحة الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما او مؤخرا نحو ابدا باسم الله وابتدائي باسم الله وبسم الله ابدا وبسم الله ابتدائي وبسم الله مبتدئ والابتداء وتقدير الفعل اولى من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدا في فعله ببسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدا له فيكون المراد ان ذلك الفعل انما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله اقرا او اتلو وابدا لان الذي يتلو التسمية مقروء ومبدوء به كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله





والبركات كان المعنى بسم الله احل وارتحل وكذلك الذابح ونظيره في حذف متعلق الجار قولهم في الدعاء للمعرس بالرفاه والبنين اي بالرفاء اعرست وتقدير المحذوف متاخرا اولى على نحو قوله تعالى بسم الله مجريها ومرساها لان تقديم ذكر الله ادخل في التعظيم ولان ما هو السابق في الوجود يستحق السبق في الذكر ولهذا قال المحققون ما راينا شيئا الا وراينا الله تعالى قبله ولانهم كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل وانما قدم الفعل هناك اقرا باسم ربك لانها اول سورة نزلت وكان الامر بالقراءة اهم قال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى اقرا اوجد القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقا باقرا الثاني وذكر في معنى تعلق اسم الله بالقراءة وجهان اما تعلق الكتبة بالقلم في قولك كتبت بالقلم كان فعله لا يجيء معتدا به شرعا الا بعد تصديره بذكره قال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدا فيه ببسم الله فهو ابتر واما تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن اي متبركا باسم الله اقرا كما في قوله بالرفاء والبنين اي اعرست ملتبسا بالرفاء وهذا اعرب واحسن اما كونه اعرب فلانه ادخل في العربية فلانه لا يعرفه الا من له دربة بفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه مبتذل واما كونه احسن فلان جعل اسم الله كالآلة خروج عن الادب لان الآلة من حيث انها آلة غير مقصودة بالذات واسم الله تعالى عند الموحد اهم شيء وانه مقول على السنة العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه كيف يعظمونه وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره الثانية انهم استحسنوا تفخيم اللام وتغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات في الذكر ولان التفخيم مشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة تذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل فيه ادخل في الثواب وهذا كما جاء في التوراة احبب ربك بكل قلبك واما الثاني فلان النقل من الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار ولما بعد اللام الغليظة حرفا آخر كما عدوا الذال حرفا والظاء حرفا آخر مع ان نسبة الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الظاء فان الدال بطرف اللسان والظاء بكل اللسان لاطرد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة ما لم يعق عائق الكسرة وعدم اطراد الظاء مكان كل دال الثالثة طولوا الباء من بسم الله اما للدلالة على همزة الوصل المحذوفة واما لانهم ارادوا ان لا يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال اهل الاشارة الباء حرف منخفض في الصورة فلما اتصل بكتبة لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا اتصل بحضرة الله يرتفع حاله ويعلو شانه الرابعة ابقاء لام التعريف في الخط على اصله في لفظ الله كما في سائر اسماء المعرفة واما حذف الالف قبل الهاء فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة في الصورة عند الكتابة ولانه يشبه اللات في الكتابة قال اهل الاشارة الاصل في قولنا الله الاله وهي ستة احرف ويبقى بعد التصرف اربعة في اللفظ الف ولامان وهاء فالالف من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذه حال العبد يبتدئ من النكرة والجهالة ويترقى قليلا قليلا في مقامات العبودية حتى اذا وصل الى آخر مراتب الوسع والطاقة ودخل في عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهي الى الفناء في بحر التوحيد كما قيل النهاية رجوع الى البداية واما حذف الالف قبل النون من لفظ الرحمن فهو جائز في الخط ولو كتب كان احسن الخامسة الاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون وهو عند البصريين في الاصل سمو بدليل تكسيره على اسماء وتصغيره على سمي وتصريفه على سميت ونحوه فاشتقاقه من السمو العلو وهو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشارة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف في المعلومية فهو عال عليه حذف عجزه كما في يد ودم فبقي حرفان اولهما متحرك والثاني ساكن فلما حرك الساكن للاعراب سكن المتحرك للاعتدال فاحتيج الى همزة الوصل اذ كان دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من اللكنة والبشاعة ومنهم من لم يزد الهمزة وابقى السين بحاله فيقول سم كما قال باسم الذي في كل سورة سمه وقد يضم السين فيقال سم كان الاصل عنده سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم السمة لان الاسم كالعلامة المعرفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه اوساما السادسة قال بعض المتكلمين منهم الاشعري ان الاسم عين المسمى وغير التسمية وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما كلفظ المعدوم والمنفي ونحو ذلك وقد يكون بالعكس كالحقائق التي لم توضع لها اسماء ولان الاسماء قد تكون كثيرة مع كون المسمى واحدا كالاسماء المترادفة وكاسماء الله التسعة والتسعين وبالعكس كالاسماء المشتركة ولان كون الاسم اسما للمسمى وكون المسمى مسمى له من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمضافان متغايران لا محالة ولا يشكل التضايف لانهما متغايران اعتبارا ولان الاسم اصوات وحروف هي اعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا بل واجب الوجود لذاته ولانه يلزم من التلفظ بالعسل وجود الحلاوة في اللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى لقوله تعالى تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك والجواب انه كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقائص يجب تنزيه اسمه عما لا ينبغي وايضا قد يراد لفظ الاسم مجازا كقوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا قلنا المراد بالذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا مغايرة للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فافترقا السابعة وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان الحروف روابط بينهما والظاهر ان وضع الاسماء سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشيء من الاشياء في زمان معين فكان الاسم مفردا والفعل مركبا والمفرد سابق على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الى

الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل وايضا الاسم مستقل في الافادة عن الفعل دون العكس لا ظهر ان الاسماء للماهيات سابقة بالرتبة على الاسماء
المشتقات لان الاولى مفردة والثانية مركبة وايضا ان يكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة على اسماء الذوات القائمة بانفسها لانا لا نعرف
الذوات الا بتوسط الصفات القائمة بها والمعرف معلوم قبل المعرف فتناسب لسبق في الذكر الثامنة اقسام الاسماء الواقعة على المسميات
تسعة اولها الاسم الواقع عليه بحسب ذاته على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشيء بحسب جزء من اجزائه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع
عليه بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشيء انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك
خامسها الواقع عليه بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية لها اضافة كالعالم والقادر عند القائل بان العلم
صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات وكذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا انه قادر لا يعجز عن شيء
وعالم لا يجهل شيئا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية اضافية وصفة سلبية
فهذه اقسام الاسماء لا تكاد تجد اسما خارجا عنها سواء كان لله تعالى او للمخلوقات التاسعة هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم ام لا ذكر بعضهم ان
حقيقته تعالى لما كانت غير مدركة للبشر فكيف يوضع له اسم مخصوص بذاته وما الفائدة في ذلك اقول لا ريب ان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة
والمحاط لا يمكن ان يحيط بمحيطه ابدا وانه تعالى بكل شيء محيط فلا يدركه شيء مما دونه كما ينبغي لكن وضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه كما ينبغي وانما
ينافي عدم ادراكه مطلقا فيجوز ان يقال الشيء الذي تدرك منه هذه الآثار واللوازم مسمى لهذا اللفظ وايضا اذا كان الواضع هو الله تعالى وانه يدرك
ذاته على ما هو عليه فله ان يضع لذاته اسما مخصوصا لا يشاركه فيه غيره حقيقة اذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكنا فينبغي ان يكون ذلك
الاسم اعظم الاسماء وذلك لان الذكر شرف لا انكار لان شرف العلم والذكر بشرف المعلوم والمذكور فلو اتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك
الاسم حال ما يكون قد تجلى له معناه لم يبعد ان ينقاد له عوالم الجسمانيات والروحانيات ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه
على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام لهذا قال الظوا بياذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال من الصفات السلبية والاكرام من الاضافية
ومن البين ان حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات ومنهم من قال انه الحي القيوم لقوله صلعم لابي بن كعب حين قال له ما اعظم آية في كتاب الله فقال
الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال صلعم ليهنك العلم يا ابا المنذر وزيف بان الحي هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة ولانه صفة واما القيوم
فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره والاول مفهوم سلبي هو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها
عظيمة لا ينبغي ان يفاوت بينها ورد بما مر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا اقرب لانا
سنقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة ويؤيد ذلك ما روت اسماء بنت يزيد ان
رسول الله صلعم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
وعن بريدة ان رسول الله صلعم سمع رجلا يقول اللهم اني اسئلك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سئل الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا شك ان اسم الله في الآية والحديث
اصل والصفات مرتبة عليه هذا واما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى منزه عن شائبة التركيب بوجه من
الوجوه واما الاسم الدال بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة فتلك الصفة اما ان تكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات الوجود
واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود فهذه ثلثة اقسام القسم الاول الاسماء الدالة على الوجود منها الشيء ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند
الاكثرين لقوله تعالى قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ اي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شيء غيره
ولان الشيء عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شيء فلو كان الله تعالى شيئا لزم ان يكون خالق نفسه
ومثله وهو على كل شيء قدير قلنا خص بدليل العقل قالوا ليس من صفات المدح قلنا نعم هو خير من لا شيء وان كان سائر الاشياء مشتركة
معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم بل الشيء بالحقيقة هو وباقي الاشياء شيئيته
مستعارة كوجودها ومنها الموجود واطبق المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله
ومنها الذات ولا شك في جواز اطلاقه عليه لانه يصدق على كل حقيقة انها ذات الصفات اي صاحبة الصفات القائمة بها ويؤيد ذلك ما روي عن
ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ان ابرهيم لم يكذب الا في ثلث كذبات ثنتين في ذات الله اي في طلب مرضاته ومنها النفس قال تعالى تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ
مَا فِي نَفْسِكَ وقال صلعم كما اثنيت على نفسك اي على ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص عير من الله تعالى ومن اجل غيرته حرم مِنَ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ ولا شخص احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص
الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ومنها النور قال من قائل اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وليس المراد انه الظاهر في نفسه المظهر لغيره وان كان ظهوره
واظهاره فانه واجب الوجود لذاته ازلا وابدا ومخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس وسنوفي بابك تمام
التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور وهو محقق لحقائق الامور ومنها الظاهر والباطن ومنها الصورة وقد ورد في الخبر ان الله خلق آدم على

ولكيفيات الوجود صح







صورته فقيل معناه خلق آدم على صورته التي كان عليها يعني ما تولد من نطفة ودم وما كان جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة واحدة
وقيل في حديث آخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال صورة هذه المسئلة كذا اي خلقه
على صفته في ارضه متصرفا في جميع الاجسام الارضية كما انه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن ان يقال الصورة اشارة الى جهة المناسبة
التي ينبغي ان يكون بين كل علة ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن النور وبالعكس كما قد كتبنا في هذه الرسالة ومنها الجوهر وانه لا يطلق عليه بمعنى
موجود لا في موضوع اي اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به ليستغني المحل عنه لان ذلك ينبئ عن كون وجوده زائدا على ماهيته
وانما يمكن ان يطلق عليه بمعنى آخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شيء في شيء اصلا لكن الاذن الشرعي حيث لم يرد بذلك وجب الامتناع عنه
ومنها الجسم ولا يطلقه عليه الا المجسمة فان ارادوا الجوهر القابل للابعاد الثلثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وان ارادوا معنى القيوم بذاته من كونه
موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فلا اذن الشرعي لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية والانية اي الحقيقة التي يسئل عنها بما هي وثبوتها
الدال عليه لفظ انا ولا باس باطلاقهما عليه اذا اريد بهما الحقيقة والذات المخصوصة الا من حيث الشرع ومنها الحق فانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم
اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله والحق يقال بازاء الباطل والباطل يقال للمعدوم قال لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل واما بحسب
ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر حق وصدق واما بحسب ما يقال هذا الاعتقاد حق فلان اعتقاد وجوده ووجوبه اصوب الاعتقادات
المطابقة القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يرادف الازلي ويراد بهما ما لا اول
له في الطرف الماضي كما ان الابدي في الطرف المستقبل وكذا السرمد واشتقاقه من السرد التوالي والتعاقب زيدت الميم للمبالغة ونعني بالنسبة في هذه الالفاظ
انه منسوب الى عدم البداية والنهاية في كل طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها الممتد المستمر ونعني بهما تلاحق الاجزاء وتعاقب الابعاض وكذا يعلم
ان امثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات واما في حق الله جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال
تعالى كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ وانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم ومنها الدائم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود لذاته اي ذاته اقتضى وجوده
وما بالذات لا ينفك عنه ابدا فهو ممتنع الفناء والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل خداي معناه خوداي اي انه جاء بنفسه ومنها الكائن قال تعالى وكان
الله عليما حكيما وفي بعض الادعية المأثورة عن النبي صلعم يا كائنا قبل كل كون ويا حاضرا مع كل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون واعلم ان لفظ كان
يفيد الحصول والثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشيء في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفية شيء لشيء والاول يسمى
باسناده الى ذلك الشيء وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما اي حصل موصوفية زيد بالعلم
وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة للوجود ولكيفيات الوجود الفلاسفة والمعتزلة انكروا قيام مثل
هذه الصفات بذات الله تعالى اشد انكار لان واجب الوجود لذاته يجب ان يكون واحدا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود
لزم شريك الباري مع ان الجمع بين الوجوب الذاتي وبين كونه صفة للغير لان الصفة مفتقرة الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فلها علة
موجدة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولان ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة فيكون ذاته بدون تلك الصفة
كاملة في العلية وهو المطلوب وان لم تكن كافية لزم النقص المنافي لوجوب الوجود حجة المثبتين ان اله العالم يجب ان يكون عالما قادرا حيا ثم
انا ندرك التفرقة بين قولنا ذات الله تعالى وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات واذا قلنا باثبات
الصفات الحقيقية فنقول العلم صفة يلزمها كونه متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صفة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية
العارية عن النسب والاضافات في حقه تعالى ليست الا صفة الحيوة ان لم نقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بل يقال انها صفة باعتبارها
يصح ان يكون عالما قادرا والتحقيق ان الحيوة عبارة عن كون الشيء بحيث يصدر عنه ما من شانه ان يصدر عنه كما ينبغي ان يصدر عنه ولا ريب ان
واجب الوجود تعالى احق الاشياء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشياء الممكنة عنه على النحو
الافضل ولهذا مدح الله تعالى نفسه فقال اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ واما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية
فمنها التكوين وهو عند المعتزلة والاشعري نفس المكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان يؤثر على سبيل
الصحة وهي القدرة لا غير او على سبيل الوجوب فيلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وايضا ان كانت قديمة لزم قدم الآثار وان كانت
حادثة افتقرت الى تكوين آخر وتسلسل الآخرون قالوا كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية
موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير للمعقول من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد منها كونه تعالى
معلوما مذكورا مسبحا ممجدا فيقال يا ايها المسبح بكل لسان ويا ايها الممدوح عند كل انسان ويا ايها المرجوع اليه في كل حين واوان ولما كان هذا
النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسماء الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية ومنها الفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا
مثل الموجد ومعناه المؤثر في الوجود والمحدث وهو اخص لانه الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد والمنشئ ومعناه ينشئ على
التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منها الايجاد الدفعي وكذا الفاطر ومثل الصانع ويفهم منه تكلف ما والخالق هو المقدر وانه في حق الله تعالى يرجع

كونه خلـ

الى العلم واما البارى فهو الذى يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة يقال برأ القلم اذا اصلحه وجعله موافقا لغرض معين ومنها الفاظ تدل على ايجاد شئ
بعينه وانها تكاد تكون غير متناهية ومنها الفاظ تدل على ايجاد النوع الفلانى لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمى نافعا واذا خلق الالم
سمى ضارا واذا خلق الحيوة سمى محييا واذا خلق الموت سمى مميتا واذا اختصهم بالاكرام سمى برا لطيفا واذا اختصهم بالقهر سمى قهارا جبارا واذا قلل العطا
سمى قابضا واذا اكثر سمى باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمى منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمى عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا حصل المنع والاعطاء فى
المال سمى قابضا باسطا واذا حصلا فى الجاه والحشمة سمى خافضا رافعا واما الصفات السلبية فمنها ما يعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا
جسما ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى شئ غيره تعالى فى ذاته وفى صفاته وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما يعود
الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب تنزيه الله عنها وذلك ما راجع الى اضداد العلم كنفى النوم لا تأخذه سنة ولا نوم
وكنفى النسيان وما كان ربك نسيا وكنفى الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم ببعض
لا يشغله شان عن شان واما راجع الى اضداد القدرة لكونه منزها فى افعاله عن التعب والنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج فى فعله الى الآلات
وتقديم المادة والمدة انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت فى قدرته القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب وانه لا ينتهى قدرته ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفى الانداد و
الاضداد ليس كمثله شئ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله والى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها
ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لا يخلق اللعب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يؤذى من غير سابقة جرم ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وآمنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين ولا يتضرر بمعاصى المذنبين ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فليس لاحد ان يعترض
عليه فى افعاله واحكامه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يخلف الله الميعاد ومن اسماء السلوب القدوس والسلام لانه منزه وسالم من نقائص
الامكان ومنها العزيز وهو الذى لا يوجد له نظير او لا يغلبه شئ والحليم الذى لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة والصبور الذى لا يعاقب
المسئ مع القدرة عليه واما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك و
المليك والقوى ذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشئ من علمه عالم الغيب والشهادة وهو بكل شئ
عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته علم الله انكم كنتم تختانون والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلم آدم الاسماء ولم يرد
علامة وان كان يفيد المبالغة لان ذلك بتأويل مادة وجماعة والخبير يقرب من العلم وكذا الشهيد اذا فسر بكونه مشاهدا لها اما اذا اخذ من الشهادة
كان من صفة الكلام والحكمة تشارك العلم من حيث انه ادراك حقائق الاشياء كما هى وتباينه بانه ايضا صدور الاشياء عنه كما ينبغى واللطيف
تدبيره ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والتحقيق انه الذى ينفذ تصرفه فى جميع الاشياء ومنها ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا واذنه ما يبدل القول لدى ومن اصدق من الله قيلا انما امره ان الله يأمركم وعد الله حقا
فاوحى الى عبده ما اوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيكم مشكورا وذلك انه اثنى على عبده بمثل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار
هم يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما يرجع الى الارادة يريد الله بكم اليسر رضى الله عنهم اى صادر بذلك لانعامهم يحبهم ويحبونه والله
يحب المطهرين بمعنى يريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها الاشعرية الكراهية عبارة عن ارادة عدم الفعل المعتزلة
صفة اخرى غير الارادة ومنها ما يرجع الى السمع والبصر انى معكما اسمع وارى انه هو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
واما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين احدهما انه سابق على غيره والثانى لا يسبق عليه غيره وكالآخر فانه الذى يبقى
بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذى يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن اى انه ظاهر بحسب الدلائل باطن
بحسب الماهية واما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالاله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ فى الاسلام على
غير الله واما الله فسيأتى انه اسم علم وقد بقى ههنا اسماء يطلقها عليه تعالى اهل التشبيه لكونه متحيزا او حالا فى المتحيز استبعادا منهم انه كيف يكون
موجود خال عن كلا الوصفين وهو عند اهل التقديس محال للزوم الافتقار اللهم الا ان يقال استصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى
المكان ومنها العظيم والكبير وهما مستفادان لقوله تعالى فى موضع وهو العلى العظيم وفى آخر وهو العلى الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء
ردائى والعظمة ازارى والرداء ارفع من الازار وايضا اختص تحريم الصلوة بالله اكبر دون الله اعظم ولا ريب ان اطلاق العظيم والكبير على الله تعالى
بحسب الحجمية والمقدار كما للاجسام محال للزوم التبعيض والتجزية ومنها العلى والمتعالى فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله فاما
ان يراد بمثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات واما ان يقال انا نطلق هذه الاسماء للاذن الشرعى ونكل معانيها الى مراد
الله تعالى واما ان نستمد فى ادراكها بضرب من الكشف والعيان فى الاسماء المضمرة قال عز من قائل اننى انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره
هذا الذكر الا حكاية وما جاء من قول بعض اهل الكمال انا من اهوى ومن اهوى انا اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفنائه

ارادته



ارادته فى ارادته وقال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ولا يصح هذا الانس العبد الا بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو
وانما يصح هذا من الغائبين واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلى ونقصانه فكل حاضر غائب بالنسبة الى ما فوق تلك
الدرجة ورب غائب حاضر كما قيل ايا غائبا حاضرا فى الفؤاد سلام على الغائب الحاضر وفى لفظة هو اسرار عجيبة منها ان العبد اذا قال يا هو
فكانه يقول ما للتراب ورب الارباب وما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا ينادى نداء الغائبين
ويقول يا هو ومنها انه اذا قال يا هو فقد حكم على ان كل ما سوى الله تعالى نفى محض لانه لو حصل فى الوجود شيئان لكان قوله هو صالحا لهما
جميعا فلا يتعين الندا ومنها اذا قال يا رحمن فكانه يتذكر رحمته او يطلب رحمته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات فاما اذا قال يا هو
فكانه استغرق فى بحر العرفان وفنى عما سوى الذات ومنها اذا قال يا هو فكانه يقول جل حضرتك ان امدحك واثنى عليك بسلب نقائص
المخلوقات عنك وهى صفات الجلال لا جسم لا جوهر لا عرض لا فى المحل وباسناد كمالات الممكنات اليك وهى صفات الاكرام لكونه مربيا
للموجودات على النحو الاكمل بل لا امدحك ولا اثنى عليك الا بهويتك من حيث هى ومنها ان هذا الذكر يفيد ان المنادى بسيط محض لا طريق الى تصوره
الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد كانه دهش وذهل عن كل ما يوصف به ما لكه الا عن هذه الاشارة ولاختصاص هذا الذكر بهذه الاسرار
ذكر الغزالى لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص وذلك ان قوله لا هو معناه كل شئ هالك وقوله الا هو الا وجهه ومن جملة
الاذكار الشريفة يا هو يا من لا هو يا ازل يا ابد يا دهر يا ديهور يا من هو الحى الذى لا يموت ولقد لقننى بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من لا هو الا هو يا
من لا هو الا هو فالاول فناء عما سوى الله والثانى فناء فى الله والثالث فناء عن سوى الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات يا فى بقية
مباحث الاسماء اختلفوا فى ان اسماء الله تعالى توقيفية ام لا فقال بعضهم الى التوقيف لانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا
وفقيها ومستقيما فلولا ان اسمائه توقيفية لوصف بمثلها وان كان على سبيل التجوز القائلون بعدم التوقيف احتجوا بان اسماء الله تعالى
وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيئا منها لم يرد فى القرآن ولا فى الاخبار مع ان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها والجواب ان
التوقيف فى غير اللغة العربية لا يوجب عدمه فى العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وكل اسم دل على صفات الكمال و
نعوت الجلال كان حسنا فيجوز اطلاقه والجواب انه يجوز ولكن بعد التوقيف لم قلتم انه ليس كذلك والغزالى فرق بين اسم الذات وبين اسماء الصفات
فمنع الاول وجوز الثانى واعلم انه قد ورد فى القرآن الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة فى حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ
بهم والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها التعجب
بل عجبت ويسخرون فيمن قرأ بضم التاء والتعجب حالة للقلب تعرض عند الجهل بسبب الشئ ومنها التكبر الجبار المتكبر ومنها الحياء ان الله لا يستحيى
ان يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب والوجه عند فعل شئ قبيح والقانون فى تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل واحدة من هذه الاحوال
امور توجد معها فى البداية وامور يقصد منها فى النهاية مثاله الغضب حالة تحصل فى القلب عند غليان دم سخونة مزاجه لاجل الاثر الحاصل وايصال الضرر
الى المغضوب عليه فالغضب فى حقه تعالى محمول على الاثر الحاصل فى النهاية لا الامر الكائن فى البداية وقس على هذا قيل ان لله تعالى اربعة الاف اسم
منها فى القرآن والاخبار والالف فى التورية والالف فى الانجيل والالف فى الزبور وقد يقال الالف الآخر فى اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا
غير مستبعد فان اقسام صفات الله تعالى بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر وكل من كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى فى تدبير العالم العلوى
والعالم السفلى اكثر كان اطلاعه على اسماء الله اكثر وان قلنا ان له بكل مخلوق اسما وكذا بكل خاصية ومنفعة فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات
والاحجار خرجت الاسماء عن حيز العد والاحصاء كما قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت انا نرى فى كتب العزائم اذكارا غير
معلومة ورقى غير مفهومة وقد يكون كتابتها ايضا غير معلومة فما بال تلك الاذكار والرقى قلت لا شك ان تلك الكلمات ان لم تدل على شئ اصلا لم تفد
وان دلت فاحسن احوال تلك الكلمات ان تكون شيئا من هذه الادعية ولا ريب ان الاذكار المعلومة ادخل فى التاثير من قراءة تلك المجهولة الا ان
اكثر الناس اذا قرأوا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم نفوس مشرقة تجذبهم الى عالم القدس بلوح عليهم اثر الالهيات لم يكد يظهر عليهم شرق انوارها
ولهذا قد ورد رب تالى القرآن والقرآن يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرأوا تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا منها شيئا وحصلت عندهم
اوهام انها كلمات عالية استولى الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد عن الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتتأثر نفوسهم
ويؤثر وهذا وجه مناسب فى قراءة الرقى المجهولة واعلم ان بين الخلق وبين اسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والجنسية علة الضم فكل
اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب صاحبه على ذلك الاسم كان انتفاعه به اسرع والله الموفق حكى ان الشيخ ابا النجيب البغدادى كان يامر المريد
بالاربعين مرة بعد ما يرى مصلحته فيه ثم يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر الى وجهه فان رآه عدم التأثر عند قراءتها قال
له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان رآه تأثر عند سماع اسم خاص امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال
ان ابواب المكاشفات ينفتح عليك من هذا الطريق وذلك ان الرياضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن احوالها الفطرية ولكنها تضعفها بحيث
لا تستولى على الانسان ولهذا قال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا تمام البحث

عس

عن مطلق الاسماء الثاني عشر في الابحاث المختصة باسم الله المختار عند الخليل وسيبويه وعند اكثر الاصوليين والفقهاء ان هذا اللفظ ليس بمشتق
البتة وانه اسم علم له سبحانه لانه لو كان مشتقا لكان معناه معنى كليا لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه فح لا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا
للتوحيد المحض فلا يدخل الكافر بقوله اشهد ان لا اله الا الله في الاسلام كما لو قال اشهد ان لا اله الا الرحمن او الا الملك لا يدخل بذلك في
الاسلام بالاتفاق وايضا الترتيب العقلي ذكر الذات ثم تعقيبه بالصفات نحو زيد الفقيه الاصولي النحوي ثم انا نقول الله الرحمن الرحيم العالم القادر
ولا نقول بالعكس فدل ذلك على ان الله اسم علم وقراءة من قرأ الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض بخفض اسم الله بدل
لاجل انه جعله وصفا وانما هو للبيان فوزانه وزان قولك مررت بالعالم الفاضل الكامل زيد وايضا قال تعالى هل تعلم له سميا وليس المراد به الصفة
والا لزم خلاف الواقع فوجب ان يكون المراد اسم العلم وليس ذلك الا الله حجة القائلين بالاشتقاق قوله عز من قائل وهو الله في السموات وفي
الارض فانه لا يجوز ان يقال هو زيد في البلد وانما يقال هو العالم في البلد قلنا لم لا يجوز ان يكون ذلك جاريا مجرى قولك هو زيد الذي لا نظير له
في البلد قالوا لما كانت الاشارة ممتنعة في حقه تعالى كان اسم العلم له ممتنعا ايضا العلم للتمييز ولا مشاركة فلا حاجة الى التمييز قلنا وضع العلم لتعين الذات
المعينة ولا حاجة فيه الى الاشارة الحسية ولا يتوقف على حصول الشركة وكان النزاع بين الفريقين لفظي لان القائلين بالاشتقاق متفقون على ان
الاله مشتق من اله بالفتح الاهة اي عبد عبادة وانه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كان النجم اسم
لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود
الحق لم يطلق على غيره وينبغي ان يكون المراد من لفظ الله تعالى معبود الكونه مستحقا ومستاهلا لان يعبده كل من سواه كما يليق بحال العابد فان اللائق
بحال المعبود ان لا يقدر عليه احد من المخلوقات ولا يخفى ان الاستحقاق والاستيهال حاصل له ازلا وابدا فيكون الها ازلا وابدا وان كل من سواه
عابد له بقدر استعداده وعلى حسب حاله حتى النبات والجماد والكافر والفاسق وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ان كل
من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا والعبد الصالح من يعبد الله تعالى لذاته لا لغرض غير في الثواب ورهبة من العقاب حتى لو فرض
حصول المرغوب وفقد المرهوب لم يكن عابدا ومع ذلك فينبغي ان ينقطع النظر عن عبادته رأسا وقيل اشتقاقه من اله الى فلان اي سكنت اليه
فالنفوس لا تسكن الا اليه تعالى والعقول لا تقف الا لديه لان الكمال محبوب لذاته الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وقيل من الوله وهو ذهاب
العقل سواء فيه الواصلون الى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان وقيل من لاه ارتفع لانه تعالى ارتفع عن مشابهة الممكنات
ومناسبة المحدثات وقيل من اله في الشيء اذا تحير لان العقل وقف بين اقدام على اثبات ذاته نظرا الى وجود مصنوعاته وبين تكذيب لنفسه لتعاليه
عن ضبط وهمه وحسه فلم يبق الا ان يقر بالوجود والكمال مع الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه الجلال والجمال وههنا العجز عن درك الادراك ادراك وقيل من
لاه اذا احتجب لانه بكنه صمديته محتجب عن العقول فانا انما نستدل على كون الشعاع مستفادا من الشمس بدورانه معها وجودا وعدما وشروقا
وافولا ولو كانت الشمس ثابتة في كبد السماء لما حصل الطمينان بكون الشعاع مستفادا منها ولما كان ذاته تعالى باقيا على حاله وكذا الممكنات
التابعة له فربما يخطر ببال الضعفاء ان هذه الاشياء موجودة بذواتها فلا سبب لحجاب نوره الا كمال ظهوره فالحق محجب والخلق محجوب
وقيل من اله الفصيل اذا ولع بامه لان العباد يتضرع اليه في البليات واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه هذا شان الناقصين
اما الكاملون فهو حليتهم ابدا يحكى ان بعض المريدين شكا كثرة الوسواس فقال الشيخ كنت حدادا عشر سنين وقصارا عشرا وبوابا عشرا
فقيل كيف ما راينا منك قال القلب كالحديد الينه بنار الخوف عشرا ثم شرعت في غسله عن الاوضار والاوزار عشرا ثم وقفت على باب
القلب عشرا اسل سيف لا اله الا الله فلم ازل حتى يخرج منه حب غير الله ويدخل فيه حب الله فلما خلت عرصة القلب عن غيره وقويت فيه
محبته سقطت عن بحر عالم الجلال قطرة من النور فغرق القلب فبقي في تلك القطرة وفني عن الكل فلم يبق فيه الا محض سر لا اله الا الله
وقيل من اله الرجل اليه اذا فزع من امر نزل به فالهه اي اجره والمجير للخلائق من كل المضار هو الله وهو يجير ولا يجار عليه ومن لطائف اسم الله
انه لم يتلفظ بالهمزة بقي لله ولله جنود السموات والارض فان تركت من هذه البقية اللام الاولى بقيت البقية على صورة له ما في السموات وما
في الارض وان تركت اللام الباقية بقي الهاء المضمومة من هو قل هو الله احد والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع هما هم هذا بحسب
اللفظ واما بحسب المعنى فاذا دعوت الله به فكانك دعوته بجميع الصفات بخلاف سائر الاسماء ولهذا صحت كلمة الشهادة به فقط والله
اعلم الثالث عشر فيما يتعلق بالرحمن الرحيم الرحمن فعلان من رحم والرحيم فعيل منه واشتقاقه من الرحمة وهي ترك عقوبة من يستحقها وارادة
الخير لا لاهله واصله الرقة والتعطف منه الرحم لرقتها وانعطافها على ما فيها واختلف في منع صرف رحمن اذ ليس له مؤنث على فعلى كعطشى ولا
على فعلانة كندمانة فمن شرط في منع صرف فعلان صفة وجود فعلى صرفه ومن شرط فيه انتفاء فعلانة لم يصرفه واذا تساقط الدليلان
للتعارض فالصرف حجة وهو ان الاصل في الاسماء الصرف ولمنع الصرف حجة وهو القياس على اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وزعم
قوم انهما بمعنى واحد كندمان ونديم وجمع بينهما للتاكيد لا الاتباع كقولهم جاد مجد قال طرفة متى ادن منه ينا عني ويبعد قال قوم الرحمن
اشد مبالغة استدلالا بان زيادة في اللفظ على الزيادة في المعنى قالوا ولهذا جاء الرحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وربما يقال الرحمن

Margin: عزيز التجويع

الدنيا



Margin: سورة الحمد

الدنيا ورحيم الآخرة لان رحمته في الدنيا عمت المؤمن والكافر والبر والفاجر وفي الاخرة اختصت بالمؤمنين فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى
والرحيم بالعكس اما خصوص الرحمن فمن حيث لا يسمى به الا الله تعالى لانه من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق واما عمومه فمن حيث انه يشمل جميع
الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع واما عموم الرحيم فاشتراك تسمية الخلق به واما خصوصه فرجوعه الى اللطف بالمؤمنين والتوفيق
فالرحمن باهل السماء حيث سكنهم السموات وعلمهم الطاعات وانطق السنتهم بانواع التسبيحات وجنبهم الآفات وقطع عنهم المطامع
واللذات والرحيم باهل الارض حيث ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب قال عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة كما قال ان الله تعالى
مائة رحمة وانه انزل منها رحمة واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها
عباده يوم القيمة قال ابن المبارك الرحمن الذي اذا سئل اعطى والرحيم الذي اذا لم يسئل غضب قال من لم يسئل الله يغضب عليه الرحمن بالنعماء
وهي ما اعطى وحبا والرحيم بالآلاء وهي ما صرف وزوى الرحمن بالانقاذ من النار وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها والرحيم بادخالهم
الجنان ادخلوها بسلام آمنين الرحمن الرحيم القادر على كشف الضر والرحيم الراحم وان لم يقدر على كشف الضر وتسمية مسيلمة الكذاب بالرحمن تعنت
منهم وانقطاع من اسماء الله تعالى قال عطا ولذلك قرنه الله تعالى بالرحيم لان هذا المجموع لم يسم به غيره وانما قدم الرحمن وهو الاعلى على الرحيم
العادة التدرج من الادنى الى الاعلى لان الرحمن يتناول عظائم النعم واصولها واردفه بالرحيم كالتتمة ليتناول ما دق منها ولطف واعلم ان الاشياء
التي انعم الله تعالى بها على الخلق اربعة اقسام الاول ما يكون نافعا وضروريا معا وذلك في الدنيا التنفس فانه لو انقطع لحظة واحدة مات وفي الآخرة
معرفة الله فانها اذا زالت عن القلب لحظة مات القلب واستوجب عذاب الابد الثاني ان يكون نافعا لا ضروريا كالمال في الدنيا وكسائر العلوم
والمعارف في الآخرة الثالث ان يكون ضروريا لا نافعا كالآفات والعلل ولا نظير لهذا القسم في الآخرة الرابع ان لا يكون نافعا ولا ضروريا كالفقر
في الدنيا والعذاب في الآخرة وبالجملة فكل نعمة او نقمة دنيوية او اخروية فانما تصل الى العبد او يندفع عنه برحمة الله تعالى وفضله من غير شائبة
غرض ولا ضميمة علة لانه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى الا رحمته ولا يخشى الا عقابه وتبدك في نكت شريفة الاولى كل العلوم
يندرج في الكتب الاربعة وعلومها في القرآن وعلوم القرآن في الفاتحة وعلوم الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم وعلومها في الباء من بسم الله
وذلك ان المقصود من كل العلوم وصول العبد الى الرب وهذا الباء باء الالصاق فهو يوصل العبد الى الرب وهو نهاية الطلب واقصى الامل قيل انما
وقع ابتداء كتاب الله تعالى بالباء دون الالف لان الالف تطاول وترفع والباء انكسر وتساقط ومن تواضع لله رفعه الله الثانية مرض موسى عم واشتد وجع
بطنه فشكا الى الله فدله على عشب في المفازة فاكله فعوفي باذن الله ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر فاكل ذلك العشب فازداد مرضه فقال يا رب اكلته
اولا فاشتفيت به واكلته ثانيا فضرني فقال لانك في المرة الاولى ذهبت مني الى الكلاء فحصل فيه الشفاء وفي الثانية ذهبت منك الى الكلاء فازداد
المرض اما علمت ان الدنيا كلها سم قاتل وترياقها اسمي الثالثة بات رابعة ليلة في التهجد والصلوة فلما انفجر الصبح نامت فدخل السارق دارها واخذ
ثيابها وقصد الباب فلم يهتد الى الباب فوضعها فوجد الباب ففعل ذلك ثلث مرات فنودي من زاوية البيت ضع القماش واخرج فان نام الحبيب
فالسلطان يقظان الرابعة كان بعض العارفين يرعى غنما فحضر في غنمه الذئب ولا يضر غنما مر عليه رجل فناداه متى اصطلح الغنم والذئب
قال الراعي من حين اصطلح الراعي مع الله الخامسة روي ان فرعون قبل ان ادعى الالهية قصد وامر ان يكتب بسم الله على بابه الخارج فلما ادعى
وارسل الله اليه موسى ودعاه فلم ير به اثر الرشد قال الهي كم ادعوه ولا ارى به خيرا فقال تعالى يا موسى لعلك تريد اهلاكه انت تنظر الى كفره وانا انظر
الى ما كتبه على بابه والنكتة ان من كتب هذه الكلمة على بابه الخارج صار آمنا من الهلاك وان كان كافرا فالذي كتبه على سويداء قلبه من اول
عمره الى آخره كيف يكون حاله السادسة سمى نفسه رحمانا ورحيما فكيف لا يرحم روي ان سائلا وقف على باب رفيع فسأل شيئا فاعطى قليلا فجاء
في الغد ومعه فاس واخذ يخرب الباب فقيل له لم تفعل قال اما ان تجعل الباب لائقا بالعطية او العطية لائقة بالباب الهي ان بحار رحمتك صغيرة
فلا تجعلنا محرومين من فضلك السابعة اذا اشترى العبد شيئا من الدواب او المتاع وضعوا عليه سمة الملك لئلا يطمع فيه العدو فالله تعالى يقول
عبدك عدوك الشيطان فاذا شرعت في عمل وطاعة فاجعل عليها سمتي وقل بسم الله الرحمن الرحيم الثامنة اجعل ذكر الله قرينك حتى لا يتعد عنه في
احوالك روي ان النبي عم دفع خاتما الى ابي بكر وقال اكتب فيه لا اله الا الله فدفعه الى النقاش وقال اكتب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله فكتب النقاش
ذلك فاتى ابو بكر بذلك الخاتم الى النبي عم فراى فيه لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق فقال يا ابا بكر ما هذه الزوائد فقال يا رسول الله
ما رضيت ان افرق اسمك من اسم الله فما رضي الله ان يفرق اسمي عن اسمك التاسعة ان نوحا عم لما ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها فنجا بنصف
هذه الكلمة فما ظنك بمن واظب على الكلمة طول عمره كيف يبقى محروما عن النجاة العاشرة الناس ثلثة سابق والمجرات ومقتصد وظالم لنفسه فقال
للسابقين الرحمن وللمقتصد الرحيم وللظالمين الله معطي العطاء الرحمن المجاوز عن الاولياء الرحيم الساتر للعيوب الاغنياء يعلم منك ما لو
ابواك لفارقاك ولو علمت المرأة لجفتك ولو علمت الامة لقدمت على الفرار ولو علم الجار لسعى في تخلية الدار والله يوجب لك بيت الله ولي الذين آمنوا
الرحمن يستدعي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الرحيم يقبض ملكا وكان بالمؤمنين رحيما هو رحيم بهم في سبعة مواضع في
القبر وحسراته والقيمة وظلماته وعاقبته والصراط ومخافته والنار ودركاته والجنة ودرجاته الحادية عشرة من علي عم يعبر فرأى ملائكة العذاب

Margin: في ملك ... ماثبت الله

Margin: بكاز ... في صحة

يعبدون

يعذبون مبنا فلما انصرف من حاجته مر بالقبر فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك ودعا الله من هذه فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى
كان هذا العبد عاصيا وكان امرأته حبلى فولدت وربته له حتى كبر فسلمته الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي ان اعذبه
بناري في بطن الارض وولده يذكر اسمي على ظهر الارض الثانية عشرة كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل في كفنه فقيل له في ذلك فقال
اقول يوم القيمة الهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك الثالثة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا
والزبانية تسعة عشرة فالله تعالى يدفع بليتهم بهذه الحروف التسعة عشر الرابعة عشرة اليوم بليلة اربع وعشرون ساعة فرض خمس صلوات
في خمس ساعات فبقي التسعة عشر ساعة لا يستغرق بذكر الله تعالى وهذه التسعة عشرة حرفا تقع كفارات الذنوب الواقعة في تلك التسع عشرة
الخامسة عشرة لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم والسنة ان يقال عند الذبح بسم الله والله اكبر
ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوة المفروضة دل ذلك على انه ما خلقك للقتل
والعذاب وانما خلقك للرحمة والثواب السادسة عشرة قال صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله
من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا من المشركين عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما انزلت
هذه الاية على آدم قال امن ذريتي من العذاب ما داموا على قرائتها ثم رفعت فانزلت على ابراهيم عليه السلام فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار
بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما انزلت الا على سليمان وعندها قالت الملائكة الآن تم والله ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى علي ثم يأتي امتي يوم
القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال يا ابا هريرة اذا توضأت
فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك لا يستريحون ان يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ واذا غشيت اهلك فقل بسم الله فان حفظتك
يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك المواقعة ولد كتب لك الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس اعقابه
ان كان له عقب حتى لا يبقى منهم احد يا ابا هريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة واذا ركبت سفينة
فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين اعين الجن وعورات بني آدم اذا نزعوا ثيابهم
ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وفي الاشارة فيه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين اعدائك من الجن في الدنيا افلا يصير حجابا بينك وبين
الزبانية في العقبى شعر كانت لنفسي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك النفس اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى
مذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي هذا تمام الكلام في تفسير البسملة واما تفسير الفاتحة ففيه ابواب
مسائل الاولى في اسماء هذه السورة وهي كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى فالاول فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف
وفي التعليم وفي القراءة في الصلوة ولان الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن وقيل لانها اول سورة نزلت من السماء الثاني سورة الحمد لان
اولها الحمد الثالث ام الكتاب ام القرآن لانها اصل القرآن واصل كل كتاب منزل لاشتمالها على الالهيات والمعاد واثبات القضاء والقدر
والنبوات ولان فيها حاصل جميع كتب السماوية وذلك هو الثناء على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات
او لان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية او لانها افضل سور القرآن كما ان مكة وهي ام القرى اشرف البلدان او
اصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها وكما ان الحمى سميت ام ملدم لانهم جعلوها معظم الاوجاع والملدم الضرب الرابع السبع المثاني لانها سبع
آيات ولانها تثنى في كل صلوة او لان نصفها ثناء العبد للرب ونصفها الآخر عطاء الرب للعبد ولانها مستثناة لهذه الامة قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ما انزلت في التورية والانجيل ولا في الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثاني والقرآن العظيم ولانها ثناء ومدح لله تعالى الخامس
الوافية لانها يجب قراءتها كلها ولا يجزي بعضها في الصلوة السادس الكافية قال صلى الله عليه وسلم ام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابع الشفاء
والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم الثامن الاساس لانها اول سور القرآن فهو كالاساس او لانها تشتمل على اساس العبادات
والمطالب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القرآن واساس القرآن فاتحة الكتاب واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم
فاذا اعتللت واشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله تعالى التاسع الصلوة قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين
عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو من باب تسمية الشيء بمعظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة في الصلوة العاشر سورة تعليم المسئلة
لان الله تعالى علم عباده فيها اداب السؤال كانه قال فابدأ بالثناء ثم بالاخلاص ثم بالدعاء الحادي عشر سورة الكنز لما روي عن علي بن ابي طالب
انه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ولهذا قال اكثر العلماء انها مكية وخطأ مجاهد في قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي
في حديث ابي بن كعب انها من اول ما نزل بالقرآن وانها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني
ولا يسعنا القول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب فجمع طائفة من العلماء بين القولين فقالوا انها نزلت بمكة
مرة وبالمدينة اخرى وعلى هذا فانها لم تثبت في المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضائل هذه السورة انه لم يوجد
فيها الثاء وهي الثبور لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهو جهنم وان جهنم لموعدهم اجمعين والخاء وهو الخزي يوم



لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه والزاي وهو الزفير والزقوم والشين وهو الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو لظى كلا انها لظى والفاء
وهو الفراق ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فلما اسقط الله تعالى من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب وهي بعدد ابواب جهنم لقوله
تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن ان من قرأ الفاتحة نجى من جهنم ودخول ابوابها وتخلص من دركات
النار وعذابها الثاني في المباحث اللفظية الحمد مبتدأ ولله خبره اي الحمد ثابت لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم
شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله فعدل الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره نحو قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام ولهذا كانت تحية
ابراهيم عليه السلام احسن من تحيتهم كما جاء واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها او يدل على ان اصله النصب ان قوله اياك نعبد واياك نستعين بيان لحمدهم
وكانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد والاصل توافق الجملتين واللام في الحمد للتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من
ان الحمد ما هو والاستغراق وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق في الحمد لربه مثلا لا يدخل فيه ايضا نحو نحمد الله لا يفهم منه الا حقيقة
الحمد من حيث هي فكذا ما ناب منابه وهو الحمد لله وقرأ بعضهم بكسر الدال اتباعا وبعضهم بضم اللام والرب المالك ربه يربه فهو رب ثم وصف
للمبالغة كالعدل وهو مطلقا مختص بالله تعالى ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار ارجع الى ربك وقرئ بالنصب على المدح او بتقدير الحمد
والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين قاله ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر
والاعراض كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب
وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمي به وجمع بالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء مالك يوم الدين اليوم هو المدة
من طلوع نصف جرم الشمس الى غروب نصف جرمها ومن ابتداء طلوعها الى غروب كلها ومن طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع
ويراد به ههنا الوقت لعدم الشمس ثمة والدين الجزاء بالخير والشر كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء للظرف مجرى المفعول
به مثل يا سارق الليلة اهل الدار وانما افادت التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه ما بمعنى الماضي نحو ونادى اصحاب الاعراف وسيق
الذين اتقوا او بمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون بمعنى من يملك المفيد للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع ولا نحل فيكون الاضافة
حقيقة وقرئ بنصب الكاف ورفعها مدحا وبسكون اللام مخفف ملك مكسور اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم ومليك نعتا ونصبا
وجرا اياك ضمير منصوب منفصل ولا محل لكاف الخطاب نحو ارأيتك وهو مذهب الاخفش والمحققين والمحققين في حكاية الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه
واياي الشواب شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة
والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره فان قيل لم عدل عن الغيبة
الى الخطاب قلنا هذا يسمى الالتفات في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وقد
يختص مواقعه بفوائد وسننظم لك في سلك التقرير فائدته في هذا الموضع والعبادة اقصى غاية الخضوع طريق معبد اي مذلل ثوب ذو عبدة في غاية
الصفاقة وقوة النسج هدى يتعدى باللام او بالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في
قوله واختار موسى قومه والاصل فيه امالة ومنه انا هدنا اليك اي ملنا والهداية لانها تمال من ملك الى ملك والهدي للذي يساق الى الحرم
اي امل قلوبنا الى الحق والصراط الجادة واصله السين من سرط الشيء ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم ومثله مسيطر
ومصيطر والصراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل وصراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم وفائدته التوكيد كقولك هل
ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان ويكون ذلك ابلغ في صفته بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك بينت ذكره
مجملا اولا ومفصلا ثانيا وقراءة ابن مسعود صراط من انعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين او صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة
لان تعريف الذين كلا تعريف كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني او لان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة
غير السكون ويجوز ان يكون بدلا وان كان من معرفة ولا نعت للافادة في الفرق بين عليهم الاولى والثانية ان الاولى محلها النصب على
المفعولية والثانية محلها الرفع على انها مفعول اقيم مقام الفاعل واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه اي بالغت
في دقه وكل ما في القرآن من ذكر النعمة بكسر النون فهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش ونعمة كانوا فيها فاكهين والغضب
اللغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب اطلاقه على الخلق وعلى الخالق واصل الضلال الغيبوبة ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر
غاب عن الحق قال ائذا ضللنا في الارض وغير ههنا بمعنى لا ولذلك جاز عطف احدهما على الآخر تقول انا زيدا غير ضارب كما تقول انا زيدا لا
ضارب يعضده ما قرئ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جان وآمين مدا وقصرا معناه استجب كما
ان رويد معناه امهل وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه افعل الثالث في المباحث الفقهية البحث الاول جمع الاكثرون ومنهم الشافعي على
ان قراءة الفاتحة واجبة في الصلوة وان ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم يصح صلوته وعند ابي حنيفة قراءتها غير واجبة لنا انه صلى الله عليه وسلم واظب
طول عمره على قراءتها في الصلوة فيجب علينا القول فاتبعوه وايضا اقيموا الصلوة معناه الصلوة التي اتى بها الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه كان يقرأ الفاتحة

بها فيجب ايضا وروى في ذلك اخبار كثيرة مثل لا صلوة الا بفاتحة الكتاب كل صلوة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج وروى رفاعة بن مالك ان
رجلا دخل المسجد فصلى فلما فرغ من صلوته وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمني الصلوة يا رسول الله قال اذا توجهت الى القبلة فكبر واقرأ بفاتحة الكتاب وظاهر
الامر للوجوب لا سيما في معرض التعليم وايضا الخلفاء الراشدون واظبوا على قراءتها طول العمر وقال عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين وايضا
المواظبة على قراءة الفاتحة يوجب هجران سائر السور وذلك غير جائز ان لم تكن واجبة حجة ابي حنيفة فاقرءوا ما تيسر من القرآن
قلنا الفاتحة هي الميسرة المحفوظة على جميع الالسنة ثم قال اذا قرأ اية واحدة كفت مثل الم او حم والطور مدهامتان ابو يوسف ومحمد لا بد من
قراءة ثلث ايات او اية واحدة طويلة مثل اية الدين البحث الثاني قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة
ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه لذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة
وفقهاؤهما على انها اية من كل سورة وعليه الشافعي واصحابه لما روى عن ام سلمة انها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فقال بسم الله
الرحمن الرحيم اية الحمد لله رب العالمين اية الرحمن الرحيم اية مالك يوم الدين اية اياك نعبد واياك نستعين اية اهدنا الصراط المستقيم
اية صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اية وعن سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب
سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن ابي بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اخبرك باية لم تنزل
على احد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى فقال باي شيء تفتتح القرآن اذا افتتحت الصلوة قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وباسناده
عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلوة قال اقول الحمد لله قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وباسناده
عن علي بن ابي طالب عليه السلام انه كان اذا افتتح السورة في الصلوة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص صلوته و
باسناده عن ابن عباس في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس فاين السابع فقال بسم الله الرحمن الرحيم
وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله سبحانه قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدني عبدي واذا
قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الي عبدي واذا
قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل الى غير ذلك
من الاخبار وايضا التسمية مكتوبة بخط القرآن في مصاحف السلف مع توصيتهم بتجريد القرآن عما ليس منه ولذلك لم يثبتوا امين
ايضا قال عليه السلام لابي بن كعب ما اعظم اية في كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انها ليست اية تامة في قوله انه من سليمن وانه
بسم الله الرحمن الرحيم فيكون اية في غير هذا الموضع وايضا ان اكثر الانبياء اوجبوا على انفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عند ركوب السفينة
بسم الله مجريها ومرسيها وكتب سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم وقوله انه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب فلما فتحت
الكتاب قرأت التسمية فقالت انه بسم الله الرحمن الرحيم ولما ثبت الابتداء بالتسمية في حقهم ثبت في حق نبينا ايضا اولئك الذين هدى
الله فبهديهم اقتده وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر قال نزلت بسم الله
الرحمن الرحيم في كل سورة وايضا البسملة من القرآن في النمل ثم انا نراه مكررا بخط القرآن فوجب ان نعتقد كونه من القرآن مثل فباي الاء ربكما
وويل يومئذ للمكذبين حجة المخالف خبر ابي هريرة ايضا في رواية اخرى قال يقول الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد
الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي الى اخره فالمراد بذكر التسمية ولو كانت اية من الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايتان فالترجيح
للمثبت لا للنافي قالوا التنصيف انما يحصل اذا لم يعد التسمية اية حتى يحصل للرب ثلث ايات ونصف وللعبد ثلث ونصف من اياك
نستعين الى اخر السورة اما اذا قلنا التسمية اية صار القسم الاول اربع ايات ونصفا ولا يتحقق التنصيف قلنا نحن نعد التسمية اية ولا نعد انعمت
عليهم وهذا اولى لغاية تشابه المقاطع ولان غير صفة او بدل ويختل الكلام بجعله منقطعا عما قبله لان طلب الاهتداء بصراط المنعم عليهم لا
يجوز الا بشرط كون المنعم عليه غير المغضوب عليه ولا ضالا لا بدليل قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا فهذا المجموع كلام واحد وهذا
بخلاف الرحمن الرحيم فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان الكلام مع الموصوف غير مختل النظام قالوا روت عائشة ان النبي كان يفتتح الصلوة بالتكبير
والقراءة بالحمد لله رب العالمين قلنا قال الشافعي لعل عائشة جعلت الحمد لله رب العالمين اسما لهذه السورة كما يقال قرأ فلان الحمد لله الذي
خلق السموات والارض قالوا لو كانت من الفاتحة لزم التكرار في الرحمن الرحيم قلنا التكرار للتاكيد غير عزيز في القرآن فان قيل اذا عد التسمية
اية من كل سورة على ما روي عن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله فما وجه ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
في سورة الملك انها ثلثون اية وفي الكوثر انها ثلث ايات مع ان العدد حاصل بدون التسمية قلنا اما ان يعد التسمية مع ما بعدها اية وذلك
غير بعيد الا ترى ان قوله الحمد لله رب العالمين اية تامة وفي قوله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين بعض اية واما ان يراد ما هو خاصة
الكوثر ثلث ايات فان التسمية كالشيء المشترك فيه بين السور البحث الثالث عن احمد بن حنبل ان التسمية اية من الفاتحة ويسر بها في كل
ركعة ابو حنيفة ليست باية ويسر بها مالك لا ينبغي ان يقرأها في المكتوبة لا سرا ولا جهرا الشافعي اية ويجهر بها لانها بعد ما ثبت كونها من







الفاتحة والقرآن لا يفعل فرق بينها وبين باقي الفاتحة حتى يسر بهذه ويجهر بتلك ايضا انه ثناء على الله وذكره فيوجب ان يكون الاعلان به مشروعا
لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا وايضا الاخفاء والسر مما يليق بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة قال صلى الله عليه وسلم طوبى
لمن مات ولسانه رطب من ذكر الله وكان علي بن ابي طالب عليه السلام يقول يا من ذكره شرف للذاكرين وكان مذهبه الجهر بها في جميع الصلوات وقد ثبت
هذا منه تواترا ومن اقتدى في دينه بعلي فقد اهتدى قال صلى الله عليه وسلم اللهم ادر الحق مع علي حيث دار وروى البيهقي في السنن الكبير عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر في الصلوة
ببسم الله الرحمن الرحيم عن عمر وابنه وابن عباس وابن الزبير مثل ذلك وروى عن الشافعي باسناده ان معوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله
الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معوية سرقت من الصلوة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين
التكبير عند الركوع والسجود ثم انه اعاد الصلوة مع التسمية والتكبير قال وكان معوية شديد الشكيمة ذا شوكة فلولا ان الجهر بالتسمية كان مقررا عند
كل الصحابة لم يجسروا على ذلك حجة المخالف ما روى البخاري في صحيحه عن انس قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر وعثمان فكانوا
يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين وفي رواية ولم اسمع احدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية ولم يجهر احد منهم ببسم الله الرحمن
الرحيم وعن عبد الله بن المغفل انه قال سمعني ابي وانا اقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال اي بني اياك والحدث في الاسلام قد صليت خلف ابي بكر فقال
الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عثمان فقال الحمد لله رب العالمين فاذا صليت فقل الحمد لله رب العالمين والجواب ان حديث انس معارض
بما روي عنه ايضا ان معوية لما ترك التسمية في الصلوة انكر عليه المهاجرون والانصار وروى ايضا ابو قلابة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر و
عمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروي ايضا انه سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويروى الاسرار به فقال لا ادري هذه المسئلة
واذا اضطربت الروايات عنه وجب الرجوع الى سائر الدلائل وايضا ففيها تهمة اخرى وهي ان عليا كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما كان زمن بني امية
بالغوا في المنع من الجهر سعيا في ابطال اثار علي بن ابي طالب عليه السلام فلعل انسا خاف منهم فلهذا اضطربت اقواله وايضا من المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدم
اولي الاحلام والنهى والاكابر والعلماء على غيرهم ولا شك ان عليا وابن عباس وابن عمر كانوا امام انس وابن المغفل واقرب موقفا وانه
ما كان يبالغ في الجهر لقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فلهذا لم يسمعا ورواية المثبت اولى من النافي والدلائل
العقلية معنا ويؤيدها عمل علي بن ابي طالب عليه السلام البحث الرابع تقديم التسمية على الوضوء سنة عند العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض اهل
الظاهر حيث قالوا لو تركها عمدا او سهوا لم يصح صلوته لنا قوله صلى الله عليه وسلم توضأ كما امرك الله والتسمية غير مذكورة في اية الوضوء والصحيح عندنا ان الجنب
والحائض لا تقولها بقصد القراءة والتسمية عند الذبح وعند ارسال الصيد وعند ارسال الكلب مستحبة فلو تركها عامدا او ناسيا لم يحرم
الذبيحة عند الشافعي ولكن تركها عمدا مكروه وعند ابي حنيفة ان ترك التسمية عمدا لم يحل وان نسي حل والعلماء اجمعوا على انه يستحب ان لا يشرع في عمل
من الاعمال الا ان يقول بسم الله فاذا نام قال بسم الله واذا قام من المقام قال بسم الله واذا اكل او شرب قال بسم الله واذا اعطى واخذ قال بسم الله و
يستحب للقابلة اذا اخذت الولد من الام ان تقول بسم الله وهذا اول احواله من الدنيا واذا مات وادخل القبر قيل بسم الله وهذا اخر احواله
من الدنيا واذا قام من القبر قال بسم الله واذا حضر الموقف قال بسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله البحث الخامس قال الشافعي ترجمة القرآن لا
يكفي في صحة الصلوة لا في حق من يحسن القراءة ولا في حق من لا يحسنها وقال ابو حنيفة انها كافية في حق القادر والعاجز وقال ابو يوسف ومحمد انها كافية
في حق العاجز لا القادر لنا انه والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرءوا في الصلوة الا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم وكيف يجوز عاقل
قيام الترجمة باي لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر قالوا عن عبد الله بن مسعود انه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطأ في القرآن ان يقرأ مكان العليم الحكيم بل ان تضع اية الرحمة مكان اية
العذاب قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك قالوا انه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى ولا ريب ان القرآن بهذا اللفظ
ما كان في زبر الاولين لكن بالعبرية والسريانية قلنا ان القصص والمواعظ موجودة فيها لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك ان يكون الموجود فيها
قرآنا فان النظم المعجز جزء من ماهية القرآن والكل بدون الجزء مستحيل البحث السادس للشافعي في القول الجديد قال يجب قراءة الفاتحة على المقتدي
سواء اسر الامام بالقراءة او جهر بها وفي القديم يجب في اسرار الامام ولا يجب في جهره وهو قول مالك واحمد ابو حنيفة يكره القراءة خلف الامام بكل
حال لنا قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القرآن وقوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب يشمل المنفرد والمقتدي وايضا روى الترمذي في جامعه باسناده
عن عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني اراكم تقرءون خلف امامكم قلنا اي والله قال لا تفعلوا
الا بام القرآن فانه لا صلوة لمن لم يقرأ بها قال هذا حديث حسن ايضا وقراءتها لا تبطل الصلوة عندهم ولكن يجوزون تركها ويبطلها عدم القراءة
عندنا فالاحوط قراءتها احتج المخالف بقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وباخبار بين ضعفها البيهقي في كتابه ونحن نقول اما
القرآن فمخصوص بغير الفاتحة لما ذكرنا واما الاخبار فهب انها صحيحة الا ان الترجيح معنا لان الاشتغال بقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولانه
احوط البحث السابع مذهب الشافعي ان الفاتحة واجبة في كل ركعة فان تركها في ركعة بطلت صلوته وبه قال ابو بكر وعمر وعلي عليه السلام وابن مسعود ومعظم
الصحابة لانه صلى الله عليه وسلم كان يقرأها في كل ركعة ولانه قال للاعرابي الذي علمه الصلوة وكذلك فافعل في كل ركعة وعن ابي سعيد الخدري انه قال امرنا

وصليت خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين

ان تقرا فاتحة الكتاب في كل فريضة كانت ونافلة وايضا القراءة في كل ركعة احوط فيجب المصير اليها وقيل غير واجب اصلا وقيل يجب في كل صلوة
ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند ابي حنيفة القراءة تجب في الركعتين الاوليين لقول عائشة فرضت
الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فهما اصل والزائد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين وتكره
في الاخريين وعند مالك يجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنتين وفي الرباعية في ثلاث البحث الثامن اذا ثبت ان
القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا بطلت صلوته وكذا سهوا على الجديد وما روي ان عمر بن الخطاب صلى المغرب
فترك القراءة فقيل له تركت القراءة قال كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال فلا باس معارض بما روى الشعبي عنه انه اعاد الصلوة ولعله
ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة البحث التاسع يجب رعاية الترتيب في اجزاء الفاتحة وما وقع غير مرتب فغير محسوب البحث العاشر ان لم
يحفظ شيئا من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القرآن ثم ذكر من الاذكار ثم على مثل قدره فقف بقدرها فان لم تعلم قراءة ما لم يفرغ منه البحث الحادي
عشر ما نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر ان يكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن الظن به ان هذا النقل عنه كاذب لان جحد المتواتر كيف
يليق بحاله الرابع فيما يختص بتفسير الحمد لله من فوائد الفائدة الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤ والياقوت
الثمينة والحمد للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال
احثوا التراب في وجوه المداحين والحمد مامور به مطلقا قال ص من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع
من انواع الفضائل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة اختيارية معينة وهي فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولا بد
ان يكون على جهة التفضيل لا على سبيل التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب و
الجوارح قال الشاعر افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احد شعب الشكر ومنه قوله الحمد راس الشكر
ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح
لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم ولهذا قيل الشهير
يوكل ويذم والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفران اذا عرفت ذلك فنقول لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لما مر
ان المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكانه يقول سواء اعطيتني او لم
تعطني فانعامك واصل الى كل العالمين وانت مستحق للحمد العظيم وكان هذا اولى وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على
ما اعطى من النعماء والنعمة في الاعطاء اكثر من النعمة في دفع البلاء فكانه يقول انا شاكر لادنى النعمتين فكيف باعلاهما ويمكن ان يقال ان المنع غير
متناه والاعطاء متناه والابتداء بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له اولى وايضا دفع الضرر اهم من جلب النفع فتقديمه احرى الثانية لو قال
احمد الله افاد كون ذلك القائل على حمده واذا قال الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد والثناء
لله معناه ان مطلق الحمد الشامل حق لله ملكه كما ينبئ عنه اللام الجنسي واللام الجارة وذلك بسبب كثرة الائه وانواع الائه على عبيده
وامائه ولا يخفى ان هذا اولى من ان يحمده شخص واحد فقط ولهذا لو سئلت هل حصل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن
حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلائق كان كاملا فان قيل اليس ان المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاد يستحق الحمد من التلميذ
والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال ص من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذلك
المنعم بعد ان خلق تلك النعمة وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع وحفظه من آفات الانقطاع ولهذا قال عز من قائل وما بكم من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق ينعم على غيره
فانه يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا او ثناء او تحصيل خلق او تخليصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد في
الحقيقة اما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه جودا محضا فثبت ان لا مستحق
للحمد الا الله تعالى الثالثة انما لم يقل احمد الله لان الانسان عاجز من الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف فوق ما يستطيعه وذلك ان
نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وايضا انما يمكنه
القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره الله على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وازال عنه العوائق والصوارف وكل ذلك انعام من الله ف
فيتسلسل وايضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعم الله فقد
اشرك وهذا معنى قول الواسطي الشكر شرك اما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كل الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الاتيان به او لم يقدروا
ونقل ان داود ع قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو ان توفقني لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكري
فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك الرابعة عن النبي ص اذا انعم الله على عبد فيقول الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدي اعطيته ما لا قدر له
فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه ان ما انعم الله على العبد شيء واحد واذا قال الحمد فمعناه المحامد التي اتى بها الاولون والآخرون من الملائكة والثقلين
لله تعالى وكذا المحامد التي سيذكرونها الى قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين





والى ابد الابدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهي من غير المتناهي بقي غير المتناهي فالذي يبقى للعبد المؤبد ما
غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي الخامسة لا شك ان الوجود خير من العدم وان
وجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه فاذا قال العبد الحمد لله فكانه قال الحمد لله على كل مخلوق و
على كل محدث حدث من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من ازل الازال الى ابد الاباد وانا
اشهد انها باسرها لله لا شركة لاحد فيها معك السادسة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقول سبحان الله والحمد لله فما السبب في وقوع البداية بالتحميد
الجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرأ في ذاته وصفاته عن النقايص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون
محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مواقع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدرات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليها والا اذا كان
غنيا في نفسه والا شغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه منزها عن النقايص والآفات السابعة الحمد لله تعلق
بالماضي وهو وقوعه شكرا على النعم السابقة وتعلق بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم فبالاول يغلق عنك
ابواب النيران وبالثاني يفتح لك ابواب الجنان فان الحمد لله ثمانية احرف بعدد ابواب الجنة الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ذكرها في موضعها
ليحصل المقصود قال السري منذ ثلثين سنة استغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق في بغداد واحرقت دكاكين
الناس فاخبرني واحد ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروة ان لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلثين سنة
فالحمد على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث انها عطية المنعم اولى من الحمد عليها من حيث
هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللائق به التاسعة اول ما بلغ الروح الى سرة آدم عطس فقال الحمد لله رب
العالمين وآخر دعوى اهل الجنة الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد ان يكون اول اعمالك
وآخرها مقرونا بكلمة واحدة العاشرة لا يحسن عندنا ان يقال قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده
اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر الفلاني ينبغي ان يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يجيبه ويطيعه وان كان عاقا كان اثمه
اقل وكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه اقل بخلاف ما لو قيل قولوا الحمد لله الحادية عشر شنعت الجبرية
على المعتزلة ومن يجري مجراهم بانكم تثبتون للعبد فعلا واختيارا واستحقاق الحمد انما يكون على اشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان
بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الايمان باختيار العبد لكن الاختيار ايضا مستند الى الله تعالى فاستحق الحمد لذلك و
شنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبح في فعله ولا جور في قضيته ومذهبكم
لا قبح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبتان لو امكن تصور الفعل المخصوص في القابل المخصوص احسن واتم
مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة الى المحل المخصوص الثانية عشرة اختلفوا في ان شكر
المنعم واجب عقلا او شرعا فمنهم من قال عقلا ومن جملة ادلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وايضا عقبه بقوله
رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على ان استحقاقه للحمد ثابت بكونه
ربا للعالمين قبل مجيء الشرع وبعده والجواب ان استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه من قبل الشرع واعلم ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار و
العبادات في انها انما يؤتى بها لا لان الله تعالى مستكمل بها ولا لانه تعالى يجازي بها ولكنها لتحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان الى الله
في فوائد قوله رب العالمين الاولى الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه وتعالى فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم
وذلك اما متحيز او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد فالجسم اما علوي او سفلي والعلوي
كالسموات ويندرج فيها العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض
بما عليها وفيها والماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه في القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهواء الصافي
والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين انواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض باجناسها وانواعها القسم الثالث
الارواح جنسين وهي اما سفلية خيرة كالجن او شريرة كالشياطين واما علوية متعلقة بالاجسام كملائكة السموات قال ع ما في السموات موضع
شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد او غير متعلقة وهي الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى
الواجب في الوجود وفي البقاء ايضا فهو رب العالمين من حيث انه يربيها حال استقرارها فكل من كان اكثر احاطة باحوال الموجودات وتفاصيلها
كان اكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين الثانية المربي قسمان احدهما ان يربي ليربح عليهم والثاني ان يربي ليربحوا عليه والاول شان المخلوقين الذين
غرضهم من التربية اما ثواب او ثناء او تعصب او غير ذلك والثاني دأب الحق سبحانه وتعالى كما قال خلقتكم لتربحوا علي لا لاربح عليكم وكيف لا
يربحون عليه وانه متعال عن الاستكمال منزه عن ان يحدث في جوده بسبب التربية والاراده والافاضة اختلال يحب الملحين في الدعاء ويزيد
في الخلق كيف يشاء يكفي علمه عن المقالة يغني كرمه عن السؤال وسع كل شيء رحمة وعلما وربى كل حي كرما وعلما ولقد خلقنا الانسان من

سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا الثالثة لما كان الله احسن الاسماء عقبه باكمل الصفات وهو رب العالمين ادعنا ان وجود ما سواه فائض عن تربيته واحسانه وجوده ولطفه الآية فالاول يدل على التمام والثاني على انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم انه يربيك كانه ليس له عبد سواك وهو الله الواحد الاحد الصمد وانت تخدم كان لك ربا غيره فانصف ايها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن خلقت لعبادة الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الآدمي بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب الخامسة في فوائد قوله الرحمن الرحيم الاول رحمن بما لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا الرحمن لانك تسلم الي نطفة مذرة فاسلمها اليك صورة حسنة انا الرحيم لانك تسلم الي طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لمهم يسير فقال اطلب للمهم اليسير من الرجل اليسير فكان الله تع يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت مني ولتعذر عليك سؤال الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب مني شراك نعلك وملح قدرك الثالثة الوالدة اذا اهملت حال ولده ولم يؤدبه ظن ان ذلك رحمة وهو في الحقيقة عذاب ومن لم يؤدبه الابوان ادبه الملوان وعكسه حال من يقطع يده تنبيها لاكلة فيها او يضرب لتعليم حرفة او التأدب بخصلة شريفة فكل ما في العالم من محنة وبلية فهو في الحقيقة رحمة ونعمة عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر كما يجيء في موضعها يؤيد ما ذكرناه والحكيم المحقق هو الذي يبني الامور على الحقائق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة اعطى مريم عليها رحمة ولنجعله اية للناس ورحمة منا صارت سببا لنجاتها من توبيخ الكفار والفجار واعطانا رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا ننجو بسببه من عذاب النار الخامسة وصف النبي ص بالرحمة فكان من حاله انه لما كسر سنانه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وانه يوم القيمة يقول امتي امتي فلما وصف نفسه بكونه رحمانا رحيما ايض فكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفي لصلاح المخلوقات فذرني وعبيدك فاني انا الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية والمتناهي لا يدرك غير المتناهي فيستغرق معصيتهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة حكي عن ابرهيم بن ادهم انه قال كنت ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب ذلك الرغيف على وجهه وعن ذي النون انه قال كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرايت عقربا قويا يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر فقفز العقرب عليه واخذ الضفدع يسبح فركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع الى الطرف الاخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو فتبعته فرايت شابا نائما تحت شجرة وعنده افعى يقصده فلما قرب الافعى من ذلك الشاب وصل العقرب الى الافعى ولدغها والافعى ايضا لدغتها وماتتا معا وفي ادعية العرب يا رزاق النعاب في عشه وحكايته ان ولد الغراب كما يخرج من البيض يكون كانه قطعة لحم فيهجره امه تنفرا حتى اذا خرج الى ريشه عادت اليه فيبعث الله تعالى اليه في تلك المدة ذبابا يتغذى به وروي ان فتى قرب فاتر واعتقل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي ص واخبروه فقام فدخل عليه وكان يعرض الشهادة ولا يعمل لسانه فقال ص اما كان يصلي اما كان يزكي اما كان يصوم فقالوا بلى فقال هل عق والدته قالوا نعم فقال هاتوا بامه فاتي بعجوزة عوراء فقال النبي ص هلا عفوت عنه فقالت لا اعفو لانه لطمني ففقا عيني فقال ص هاتوا بالحطب والنار فقالت وما تصنع بالنار فقال ص احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت عفوت أللنار حملته تسعة اشهر للنار ارضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت رحيمة فقط ولم تجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على ذكر الرحمن الرحيم سبعين سنة قال ص ان لله تع مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته بلا نهاية السابع في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى عرفت بمقتضى العدالة الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي والموافق والمخالف ولا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروي انه يجاء برجل يوم القيمة وينظر في احوال نفسه ولا يرى لنفسه حسنة البتة فياتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت فيقول الله الست لما كنت نائما تقلبت من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم في الحال فنسيت ما انا فلا تاخذني سنة ولا نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل ويوزن حسناته فيأتيه بطاقة فيثقل ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره واعلم ان حقوق الله تع على المسامحة لانه غني عن العالمين واما حقوق العباد فهي اولى بالاحتراز عنها روي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله ص اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وزكوة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل





مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار الثانية من قرا مالك احتج بوجوه الاول ان فيه حرفا زائدا فيكون ثوابه اكثر الثاني في القيمة يكون ولا مالك الا الله الثالث المالكية سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك الرابع العبد ادون حالا من الرعية فيكون القهر في المالكية اكثر منه في الملكية الخامس الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما المملوك فيجب عليه خدمة مالكه وان لا يشتغل في الامر الا باذنه حتى انه لا يصح منه القضاء والامامة والشهادة ويصير مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة حجة من قرا ملك ان كل واحد من اهل البلد يكون مالكا والملك لا يكون الا اعلاهم شانا ايض قل اعوذ برب الناس لم يقرا فيه غير ملك فتعين وايضا الملك قصر ومالك يلزم منه تطويل الامل فانه يمكن ان يدركه الموت قبل تمام التلفظ به واجيب بان العزم يقوم مقام الفعل لو مات قبل الاتمام كما لو نوى بعد غروب الشمس صوم يوم يجب صومه بخلاف ما لو نوى في النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القراءتين احكام اما المتفرعة على الاولى ففي قراءة مالك ارجى من قراءة ملك لان اقصى ما يرجى من الملك العدل والانصاف وان ينجو الانسان منه راسا براس اما المالك فيطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والانعام يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم والملك يطمع فيك والمالك انت تطمع فيه والملك لا يختار من العسكر الا كل قوي سوي وترك من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه الملك له هيبة وسياسة والمالك له رافة ورحمة واحتياجنا الى الرافة والرحمة اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه في الدنيا ملك لمملوك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفي الاخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا قلت خزائنهم ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان اكثر عطاء كان اوسع ملكا فانا اعطاك عشرا اعبد ومن لوازم ملكه كمال الرحمة فلهذا قرن بقوله ملك يوم الدين قوله رب العالمين الرحمن الرحيم مثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه ظل الله في الارض الكفر سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة تتضمن صلاح المعاش والمعاد من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف نفسه بانه ملك يوم الدين اظهر للعالمين كمال عدله بنفي الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا خصلة للملك اعم نفعا واتم وقعا من ان يكون عادلا ومن هنا يظهر البركة في العالم او يرتفع ان كان السلطان عادلا او جائرا يحكى ان انوشروان خرج يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى عليه العطش فراى بستانا فيه رمان فلما دخله قال للصبي اعطني رمانة فعصرها واخرج منها ماء كثيرا فشربه واعجبه ذلك فعزم على ان ياخذ ذلك البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبي اعطني رمانة اخرى فاعطاه فوجدها فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا فقال ايها الصبي لم صار الرمان هكذا فقال الصبي فلعل ملك البلد عزم على الظلم فلشوم ظلمه صار هكذا فتاب انوشروان في قلبه وتاب فقال للصبي اعطني رمانة اخرى فعصرها فوجدها اطيب من الاولى فقال للصبي لم بدلت هذه الحالة فقال الملك تاب عن ظلمه فلما وجد انوشروان مقالة الصبي مطابقة لاحواله في قلبه تاب بالكلية فكان من هيامن عدله وروي تحت قول نبينا ولدت في زمن الملك العادل الثالثة كونه مالكا وملكا معناه انه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من غير مانع ولا منازع وعلى قضية الحكمة والعدالة فهو الملك الحق وانه ملك يوم الدين ايضا لان القدرة على احياء الخلق بعد اماتتهم والعلم بتلك الاجزاء المتفرقة من ابدان الناس لا يختص به احد غيره فاذا كان الحشر والنشر لا يتاتى الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تنفذ في كل الممكنات فلا مالك ليوم الدين الا الله فان قيل لا يكون مالكا الا اذا كان المملوك موجودا لكن القيمة غير موجودة فينبغي ان يقال مالك يوم الدين بالتنوين بدليل انه لو قال انا قاتل زيد كان اقرارا ولو قال انا قاتل زيدا كان تهديدا قلنا لما كان قيام القيمة امرا حقا لا يجوز الاخلال به في الحكمة جعل وجوده كالشيء القائم في الحال ولو قيل من مات فقد قامت قيمته زال السؤال الرابعة قالت القدرية ان كان الكل من الله فثواب الرجل على ما لم يعمل عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم فيبطل كونه مالكا ليوم الدين قلنا خلق الجنة وخلق اهلا لها وخلق النار وخلق اهلا لها وذلك ان له صفة لطف وصفة قهر كما ينبغي لكل صفة مظهر ولا يسئل عما يفعل لان كل سؤال ينقلب فهو باطل الخامسة في هذه السورة من اسماء الله تع خمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك كانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك باصناف النعم فانا الرب ثم عصيت فسترت عليك فانا الرحمن ثم تبت فغفرت لك فانا الرحيم ثم اجازيك بما عملت فانا مالك يوم الدين وذكر الرحمن الرحيم مرة في التسمية ومرة في السورة اخرى دليل على ان العناية بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين كيلا يغتر بهما ونظيره غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب السادسة الحمد المدح والتعظيم فيما بين الناس انما يكون لكونه كاملا في ذاته وان لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء وطمعا في المستقبل واما خوفا ورهبة فكانه سبحانه يقول ان كنتم تعظمون للكمال الذاتي فاحمدوني فاني انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السالف فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فانا الرحمن الرحيم وان

كنتم تعطون رهبة عن العقاب فاما مالك يوم الدين الثامن في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لا شك ان تقديم المفعول مفيد للاختصاص اي لا نعبد احدا
سواك والحاكم فيه الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا يليق الا لمن صدر منه غاية الانعام
وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا ثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما فاوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا و
كان ميتا فاحياه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اسمعه وابصره واعقله وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة فهو اله بهذه المعاني واما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة من ولد ومن عمره الى الخرة مع انفتاح ابواب المعصية وانخلاع
ربقة الطاعة فهو رب رحمن رحيم من هذه الوجوه واما المستقبل فاموره المتعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع
للعبد في شيء من احواله الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وايضا ثبت بالدلائل القاطعة وجوب كونه تعالى عالما قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك
من الصفات الكاملة واما كون غيره من الفلكيات والطبائع والنفوس كذلك فمشكوك فيه وان لم نجزم بانه لا تاثير لها فوجب طرح المشكوك والاخذ
باليقين فلا معبود بالحق الا الله سبحانه وايضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف واعلى كانت العبودية اهنا وامرا ولما كان الله تعالى اشرف
الموجودات واعلاها واولاها بالصفات العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني ممكن فقير والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه دفع
غيره فدافع الحاجات هو الله فلا يستحق العبادة الا هو وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى
لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس يحكى ان واحدا من المصارعين الاستاذين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرعه
الاستاذ فانصرع في الحال فما ذاك الا احتشامه بعد عرفانه وايضا ذكره اولا مما يورث العبد قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه
كان من اراد حمل ثقيل يقدم عليه دواء او غذاء يعينه على ذلك كما ان العاشق يسهل عليه جميع الالام عند حضور معشوقه وايضا ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة طلع لها جلال الله
من مشرق اياك نعبد فتصير مبصرة مستعدة لاداء العبودية وايضا ان بدا بالعبادة فقد يلبس ابليس قلبه ان المعبود من هو فيلقي في نفسه وساوس
اما اذا غير هذا الترتيب فقال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته متقدم في الوجود فيناسب ان يكون مقدما في الذكر
وايضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود عندهم
اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية
عن نفسه نحن نقص عليك احسن القصص كانه قال لما ظهرت عبوديتي عبدا لي جعلناك امة ان ابراهيم كان امة ومنها انه لو قال اياك اعبد
كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك ولا ريب ان الثاني ادخل في الادب والتواضع ومنها
ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة اولى فان التكبيرة الاولى في صلوة خير من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهي ان الانسان اذا اكل
الثوم والبصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتاذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يفي بهذا القدر من الايذاء فكيف يفي بما هو اكثر
من ذلك ايذاء المسلمين من الغيبة والتهمة والنميمة والسعاية وسائر انواع الظلم ومنها ان يكون المراد اعبدك والملائكة معي والحاضرون
بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان المؤمنين اخوة فكان الله تعالى قال لما اثنيت علي بقولك رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
ارتفع منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك بالسعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين ومنها
ان العبد يقول الهي عبادتي مخلوطة بالتقصير فاني اخلطها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات ولا ان ترد الكل
وفيها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كان الرجل اذا باع من غيره عشرة اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد
الكل وليس له ان يقبل البعض دون البعض في تلك الصفقة الرابعة من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها
لان الكمال محبوب لذاته واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جماله ولهذا ورد من
كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان واداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واداء الامانات من احد الجانبين سبب لاداءها
من الجانب الاخر قال بعض الصحابة اتى اعرابي باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا
فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي اديت امانتك فاين امانتي قال الراوي فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده و
سلم الناقة اليه قال عم لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم
الغرور الى دار السرور وكون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن ابي حنيفة ان حية سقطت من السقف وتفرق
الناس وهو في الصلوة فلم يشعر به وعن رسول الله عم انه حين يشرع في الصلوة كان يسمع من صدره ازيز كازيز المرجل ومن استبعد
فليقرأ فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن فاذا كان لجمال البشر مثل هذا التاثير فكيف جلال الله وعظمته اذا تجلى على قلب العابد الموحد
وقد يحدث الحيرة والدهش عند رؤية بعض السلاطين فكيف لا كان الوقوف بين يدي رب العالمين واعلم ان العبادة لها ثلاث درجات

لانها



لانها اما ان يعبد الله رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه وتسمى عبادة وتختص باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو اشرف منها
وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما ان يعبد الله تشرفا بعبادته وبقبول تكاليفه وبالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة
وتسمى بالعبودية واما ان يعبد الله لكونه الها ولكونه عبدا له والالهية توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخضوع والذلة وهذه
اعلى الدرجات وتسمى بالعبودة واليها الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله او هربا من عقابه فسدت صلوته يحكى
ان عابدا في بني اسرائيل اعتزل وعبد الله تعالى سبعين سنة فارسل الله تعالى اليه ملكا فقال عبادتك غير مقبولة فلا تتعب على نفسك
تجاهد فاجاب العابد بان الذي علي هو العبودية واني لا ازال افعل ما علي فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال
الله بم اجاب العابد فقال انت اعلم يا ربنا انه قال كذا وكذا فقال الله تعالى اليه قل له قبلنا طاعتك بسبب ثبات نيتك والتحقيق ان اثبات
نسبة الامكان هو قصارى مجهود العابدين ونهاية مطامح ابصار العارفين وفي العبادة انشراح صدور المؤمنين وانها عاقبة حال المتقين
قال عز من قائل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين و
العبودية اشرف المقامات مدح الله تعالى به نبيه في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وافتخر عليه السلام بذلك واول ما نطق فقال اني عبد الله
وكان علي عم يقول كفى لي فخرا ان اكون لك عبدا وكفى لي شرفا ان تكون لي ربا اللهم اني وجدتك الها كما اردت ومنهم من قال العبودية اشرف
من الرسالة فالعبودية اشرف من الرسالة فبالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن
التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال شرفا التقدم في قول الموحد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون التاسع في فوائد قوله واياك نستعين الاولى لا شك ان للعبد قدرة
بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بد ان ينتهي الى الله تعالى وايضا كل الخلائق يطلبون
طريق الحق مع استوائهم في القدرة والفعل والجد والطلب لا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وايضا قد يطلب الانسان حاجة من
غيره ويدافعه مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا
قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فائدة الاستعانة في انه انما جعل الله تعالى ذلك واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل
الطعام ونحوه فيسقط اعتراض الجبري والقدري فانهم الثانية لقائل ان يقول شرعت في العبادة فتستعين في ان الاستعانة على العمل انما يجوز
قبل الشروع فيه لا بعده فهلا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة فاستعين بك في اتمامها حتى لا يمنعني مانع ولا يعارضني صارف فان قلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وايضا ان قيل الاستعانة مطلقة بينا ولكل مستعان فيه فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة
على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا اريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل عم حيث قيد نمرود يديه ورجليه ورماه الى النار فجاءه
جبرئيل وقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فاسئل الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي ان المؤمن في الصلوة مقيد رجلاه
عن المشي ويداه عن البطش ولسانه عن الكلام الا عن القراءة والذكر فكان الله قال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فكذلك يقول لنار جهنم جوزي يا مؤمن
فقد اطفأ نورك لهبي الرابعة لا استعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فانا اقطع الواسطة ولا انظر الا الى عنايتك الخامسة اياك
نعبد يورث العجب بالعبادة فاردفه بقوله واياك نستعين لازالة ذلك السادسة ههنا مقامان معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند
اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكمالها مذكور في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين فانتقال العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على كونه الها وحصول الفوائد للعبد حال وجوده يدل على كونه
ربا رحمانا ورحيما واحوال معاده يدل على انه مالك يوم الدين واما معرفة العبودية فمبدؤها اياك نعبد وكمالها اياك نستعين في جميع المطالب واذا
تم الوفاء بالعهدين ترتبت عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الى اخره وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه السابعة في الالتفات الوارد في السورة وجوه منها ان
المصلي كان اجنبيا عند الشروع في الصلوة فلا جرم اثنى على الله بالالفاظ الغائبة الى قوله مالك يوم الدين ثم الله تعالى كانه يقول حمدتني واقررت
باني اله رب العالمين رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت فاعيد رفعنا الحجاب وابدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل اياك نعبد ومنها
انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه ربا لا يخرج شيء من ملكوته منعما على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها
مالكا للامر كله في العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة فليكون الخطاب دل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به ومنها
ان الدعاء بالحضور اولى كما ان الثناء في الغيبة اوقع واحرى وهكذا فعل الانبياء عم ربنا ظلمنا انفسنا رب هب لي حكما رب ارني
رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين ومنها انه اذا شرع في الصلوة نوى القربة فاثنى على الله بما هو اهله فاستجاب الله دعاءه في تحصيل
تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة الثامنة اعلم ان المشركين طوائف منهم من اتخذ الهه من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب
والفضة والنحاس ومنهم من اتخذه من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذه الاجسام البسيطة

اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس والعلوية كعبدة الشمس والقمر وسائر الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال
الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من انواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا
وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملائكة ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والاخر شرير وهو ابليس اذا عرفت ذلك فنقول قد ثبت
ان الحمد لله يتضمن التسبيح له وسائر الصفات منبئة عن سبب ثبات جميع انواع الحمد له واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل
ما يعبد من دون الله وان الله اكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة الى هنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم العاشر في فوائد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل ان طلب الهداية من المؤمن وهو مهتد تحصيل للحاصل
واجيب بان المراد منه صراط الاولين في تحمل المشاق العظيم لاجل مرضات الله تعالى يحكى ان نوحا كان يضرب في كل يوم مرات
بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وايضا ان كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط هما مذمومان والحق هو الوسط
والصواب فالمؤمن بعد ان عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه لابد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين
الطرفين ومستقيم بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط وهو استعمالها في
مواضعها على قضية العدالة والشريعة محمود وهو عفة وكذا في القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذموم والوسط وهو الشجاعة محمود
وفي القوة النفسانية الجربزة والبله ومذمومان والوسط وهو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من توسيط استعمال القوة الشهوية الحياء
والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروة والمسامحة ويلزم من توسط استعمال القوة
الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والتواضع والحمية والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن
وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلث كمال العدالة ويتبعها الصداقة والالفة والوفاء والشفقة و
وصلة الرحم والمكافاة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود الحق وملائكته وانبيائه واولي الامر وانقيادا اوامرهم ونواهيهم والتقوى
تكمل هذه المعاني وتتمها ولان القوة النطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق للبدن فكمال التوسط في النطقية
ان يستعملها بحيث لا يمكن ازيد منها وكمال التوسط في الاخريين ان يستعملها بحيث لا يمكن اقل من ذلك ليفضي الى تحصيل سعادة الدارين وايضا العلم
العظيم يقبل الزيادة بمعنى توصلا او فاترة وقلة التغيرات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فلا موجود من اقسام الممكنات
الا وفيه دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته وربما صح دين الاسلام بالدليل الواحد وبقي غافلا عن سائر الدلائل
فكانه يقول عرفنا الهنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وعلمك وقدرتك وايضا قد يراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء
وهو ان يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو امر بذبح ولده لاطاع كالخليل ولو امر ان ينقاد
انقاد كاسمعيل ولو امر بالقاء نفسه في البحر امتثل كيونس ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه بعد بلوغه اعلى منصب ثم كموسى مع الخضر وعن خباب
قال شكونا الى الرسول ص وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال ص قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر
له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه
وايضا كان العبد يقول الاحباب يدعونني الى طريق والاعداء الى طريق ثان والشيطان الى ثالث وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات
والاراء والعقل ضعيف والعمر قصير والقضاء عسير فاهدني هذا الطريق السوي الذي لا ازيغ به حكي عن ابراهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا
اعرابي على ناقة له فقال يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال ابراهيم ان لي مراكب كثيرة
ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت على بلية ركبت مركب الصبر واذا اسديت الي نعمة ركبت مركب الشكر واذا الم بي القضاء ركبت مركب
الرضاء واذا دعتني النفس الى شيء علمت ان ما بقي من العمر اقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وانا الراجل وقيل الصراط القرآن
او الاسلام ولئن يصير المعنى اهدنا الصراط المتقدمين مع انه لم يكن لهم قرآن ولا اسلام اللهم الا ان يراد اصول هذه الشريعة وقوانينها كما
قال فبهديهم اقتده وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم لم يزل مهتديا يضل وفي
في اختيار لفظ الصراط دون الطريق والسبيل تذكير بالصراط الذي هو الجسر الممدود على متن جهنم سهل الله تعالى علينا عبوره وورودها الثانية
انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب ولهذا قال بعض العلماء لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك
وعن جماعة المسلمين فاياك وان تنساني في قولك وعن جماعة المسلمين فان ذلك اوضع عندي من قولك رضي الله عنك لان هذا تخصيص
بالدعاء ويجوز ان لا يقبل واما قولك وعن المسلمين فانه رجاء لانه لابد ان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله دعاء
البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن ثم ورد في السنة ان يصلي على النبي ص قبل كل دعاء وبعده لان الدعاء في الطرفين مستجاب
البتة لانه في حق النبي ص فيستجاب الوسط بتبعية ذلك لا محالة الرابعة قال ص ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول الله ومن لنا بتلك

الالسنة



الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وايضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة
الجميع واياك نستعين لاستعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا في قوله صراط الذين انعمت
عليهم والفرار من الطالحين جميعا في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا يرجى ان يكون كذلك في الاخرة
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
الثالثة الخط المستقيم اقرب خط يصل بين النقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم وايضا المستقيم واحد وما سواه معوج
يشبه بعضها بعضا في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص وايضا ميل الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سئل الصراط
المستقيم الحادي عشر في فوائد قوله صراط الذين انعمت عليهم الاولى حد النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد
الفاعل منفعة نفسه او لا على جهة الاحسان لم يكن نعمة فلا يستحق الشكر ثم نقول كل ما يصل الى الخلق من نفع او دفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما
بكم من نعمة فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله ينتهي اليه ايضا لانه الخالق لتلك النعمة ولذلك المنعم ولداعيته ذلك الانعام فيه والنعم
الواصلة الينا بطاعاتنا فهي ايضا من الله تعالى لانه بتوفيقه واعانته بان اتاح الاسباب وازاح الاعذار واول نعمة من الله تعالى على عبيده
نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن المضار قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم عقب ذلك بقوله هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة ام لا انكر ذلك بعض اصحابنا لوجوه منها قوله صراط الذين انعمت عليهم
فانه لو كان لله على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه هو الصراط المستقيم في حكم المنحى والجواب ان قوله غير المغضوب عليهم ولا
الضالين يدفع ذلك منها قوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما والجواب انه لا يلزم من ان لا يكون
الاملاء خيرا ونعمة لهم ان لا يكون اصل الحيوة وسائر اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تاخير النقمة بعد ثبوت استحقاقها فما قبل هذه الحالة
لا يكون كذلك على ان نفس الاملاء ايضا تمتع حالي قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وليس هذا كمن جعل السم في الحلواء
على ما ظن وانما هو كمن ناول شخصا حلواء لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه لاستعمال الحلواء لا كما ينبغي فسد مزاجه
ايضا وصيره كالسم القاتل بالنسبة اليه ولهذا قال ص نعم المال الصالح للرجل الصالح وكيف لا يعم نعم الله تعالى وقد قال على العموم يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء وقال وكنتم
امواتا فاحياكم كل ذلك في معرض الامتنان وشرح النعم وقال وقليل من عبادي الشكور ولا تجد اكثرهم شاكرين والشكر لا يكون الا بعد
النعمة الثالثة ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم قلنا يتناول كل من كان لله عليه نعم دينية ودنيوية ثم انه يخرج بقوله غير المغضوب
عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دنيوية فقط ويبقى الذين انعم الله عليهم في الدنيا والاخرة من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين وكما ان اصل النعم الدنيوية هو الحيوة المستتبعة لكل المنافع فكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات
وكما ان كمال البدن بالحيوة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع الموتى وما انت بمسمع من في القبور وكما ان حيوة البدن من الله
فكذا الايمان منه وبتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل وبذلك القبول يستاهل الثواب فالمؤمن لا يبقى مخلدا
في النار فان من تشرف بالله تعالى ما اعظم الانعام ان يعاقب باشد الالام فما الانعام الا بالاتمام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن
ذلك انعاما لان اداء الواجب لا يسمى انعاما قلنا النزاع لفظي لان الاصلح لا بد ان يصدر منه وغيره لا يليق بحكمته وكماله خلاف ذلك ثم ما شئت
فسمه الثاني عشر في فوائد قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاولى من المغضوب عليهم ومن الضالون قلت المغضوب عليهم هم المائلون في
كل خلق واعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان
الغضب لوازمه البعد والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير معتد بطائل فهو بعيد عن ذلك واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فغاب
عن المقصود ومني بالحرمان كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوه واذوه حتى قالوا بعد ان
نجيهم الله من عدوهم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قائل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كا
الذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا والنصارى افرطوا وقالوا المسيح ابن الله ان الله ثالث ثلثة روي عن عدي بن حاتم ان رسول الله ص قال غير
المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى وتصديق ذلك من كتاب الله حيث قال في اليهود وباؤا بغضب من الله وفي النصارى وضلوا عن
سواء السبيل هذا شان الفريقين واما المؤمنون فطلبوا الوسط من المنحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وكذلك جعلناكم
امة وسطا كنتم خير امة اخرجت للناس خير الامور اوسطها الثانية الاية تدل على ان احدا من الملائكة والانبياء ما اقدم على عمل او عقد
يخالف الحق الا كان ضالا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ولم يصلح للاقتداء به والاهتداء بطريقه الثالثة ما الفائدة في ان عدل من ان
يقول اهدنا الصراط الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل قلت لان الايمان انما يكمل بالرجاء و
الخوف كما قال ص لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين انعمت عليهم يدل على الرجاء وباقي الاية يدل على الخوف فيكمل

الايمان بطرفيه وركنيه الثالث عشر في تفسير السورة مجموعة وفيه مناهج المنهج الاول لنسبة عالم الغيب الى عالم الشهادة كنسبة الاصل الى الفرع
والنور الى الظل فكل شاهد فله في الغائب اصل والا كان كسراب بقيعة وخيال باطل وكل غائب فله في الشاهد مثال والا كان كشجرة بلا ثمرة
ومدلول بلا دليل وكل شريف فهو بالنسبة الى ما دونه مطاع كما قال عز من قائل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ولكل مطاع
في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات فالمطاع في عالم الارواح هو المصدر والمطاع في عالم الاجسام هو المظهر ولا بد من ان يكون
بينهما مقابلات ومجانسة وبهما يتم سعادة الدارين لانهما يدعوان الى الله بالرسالة وحاصل الدعوة امور سبعة يشتمل عليها خواتيم سورة
البقرة اربعة منها يتعلق بالمبدأ وهي معرفة الربوبية اعني معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله واثنان منها يتعلق بالوسط احدهما مبدأ العبودية وقالوا سمعنا
واطعنا والثاني كمال العبودية وهو الالتجاء الى الله وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك
الوهاب واليك المصير ويتفرع على هذه المراتب سبع مراتب في الدعاء والتضرع اولها ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فضد النسيان
هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من
قبلنا ودفع الاصر والثقل يوجب الحمد الحمد لله رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن
الرحيم ورابعها واعف عنا واغفر لنا انك انت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين وخامسها واغفر لنا لانا التجأنا بكليتنا
اليك وتوكلنا في جميع الامور عليك اياك نعبد واياك نستعين وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذه المراتب ذكرها محمد في عالم الروحانيات
عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاض اثر المصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها في صلوته صعدت هذه الانوار
من المظهر الى المصدر كما نزلت في عهد الرسول من المصدر الى المظهر فلهذا السبب قال الصلوة معراج المؤمن المنهج الثاني المداخل التي
يأتي الشيطان منها في الاصل ثلاثة الشهوة والغضب والهوى فالشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية ولهذا
قال فالشهوة آفة لكن الغضب اعظم منها والغضب آفة لكن الهوى اعظم منه قال تعالى وينهى عن الفحشاء اي الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوى
فبالشهوة يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا قال الظلم ثلثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله
ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم
الانسان نفسه ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة ويحصل من اجتماع هذه الست
في بني آدم خصلة سابعة هي الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله
تعالى مجامع الشرور الانسانية بالحسد في قوله ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة في قوله يوسوس في
صدور الناس من الجنة والناس وروي ان ابليس اتى باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون من هذا قال ابليس لو كنت الها ما جهلت
فلما دخل قال فرعون اتعرف في الارض شرا مني ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت فيما وقعت ثم نقول الاسماء الثلثة في التسمية
دافعة للاخلاق الثلثة الاصلية والآيات السبع التي في الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة بيان ذلك من عرف الله تباعد عنه شيطان
الهوى أفرأيت من اتخذ الهه هواه يا موسى خالف هواك فاني ما خلقت خلقا نازعني في ملكي الا هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب
لان منشأ الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالافعال
البهيمية واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد
وبخله فيما وجده من عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه من قال اياك نعبد واياك نستعين زال
كبره بالاول وعجبه بالثاني واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم زال كفره واذا
قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زالت عنه الاخلاق الستة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القرآن كالنتائج
والشعب عن الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتائج والشعب من تلك السبعة فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة
وههنا دقيقة يتعلق بالرب والملك والاله وبسببها ختم القرآن عليها كأنه قال ان اتاك الشيطان من قبل الشهوة قل اعوذ برب الناس
وان اتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان اتاك من قبل الهوى فقل اله الناس المنهج الثالث في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما
يفتقر اليه الانسان في معرفة المبدأ والوسط والمعاد الحمد لله اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحليم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب
العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين ملكه وملكه وليس في العالم اله سواه ولهذا جاء في القرآن الاستدلال بالخلق
كثيرا قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت الذي خلقني فهو يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب آبائكم الاولين
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وهذه الحالة كما انها في نفسها

دليل على وجود الرب فكذلك هي في نفسها انعام عظيم فان تولد الاعضاء المختلفة الطبايع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن
الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب وموافق للغرض كما يشهد به تشريح الابدان
فلا جرم كان احق بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل احسانه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين
يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يقدر بعد هذا اليوم يوما آخر يظهر فيه تمييز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت
معرفة الربوبية ثم ان قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان الاعمال والآثار المتفرعة على
الاعمال اما الاعمال فلها اركان احدها الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك
نستعين واما الآثار المتفرعة على الاعمال فهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين اهدنا
الصراط المستقيم الى آخره وفي قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار ارباب الكمال خلة محمودة وسنة مرضية بين
القوم لا يشقى بهم جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى التجنب
عن مرافقة اصحاب البدع والاهواء واجب عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي والجمر يوضع في الرماد فيخمد المنهج
الرابع قال حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا
قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني
عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل علي عبدي وفي رواية
واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فقوله
قسمت الصلوة بيني وبين عبدي اشارة الى ان اهم مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلا جرم انزل الله تعالى هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد في الوفاء
بذلك العهد وقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب لقوله تعالى فاذكروني اذكركم انا جليس من ذكرني فان
ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه والذكر مقام عال شريف كرره الله تعالى في القرآن كثيرا يا ايها الذين آمنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك في نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به
وقوله ذكرني عبدي يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان الله اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب
العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك وآخر كلام في الجنة وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ولان الفكر في ذات الله تعالى غير ممكن تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله وكل
من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فيحمد الله تعالى اكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله تعالى
على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وانعامه في ترتيب العالم وتربية العالمين وانه اقر بقلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم
يقول الله عظمني عبدي يدل على ان الاله الكامل المكمل المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا
شك ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين
يقول الله مجدني عبدي اي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي
والضعيف بحيث لا يبقى الظالم في ظلمه ان اهمله القادر وامهله بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال
الله هذا بيني وبين عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على اقدام العبد غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا
قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل تقريره ان اهل العالم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية
او اكثرها وفي المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل في العقل والنظر فالاهتداء الى ما هو الحق في الامر نفسه ليس الا بهداية الله تعالى وارشاده
كما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابرهيم لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري المنهج الخامس ان آيات الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه و
السجود الاول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح
بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا ترى الباء في بسم الله لما اتصل باسم الله حصل قائما مرتفعا وايضا التسمية لبداية
الامور وكل امر ذي بال لم يبدأ باسم الله فهو ابتر والقيام ايضا اول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظر
الى الحق والى الخلق والمنع والنعمة لانه الثناء على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما ان
الركوع متوسط بين القيام والسجود وايضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فينحني وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله
بالركوع فاللائق برحمته ان يرده الى الانتصاب ولهذا قال اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب

للسجدة الاولى لدلالته على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين مناسب
للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة التي تقدمت واياك نستعين استعانة بالله في ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله
اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى اخره مناسب
للقعود لان العبد لما اتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وحينئذ يقرا التحيات كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم قراها في معراجه فالصلوة
معراج المؤمن المنهج السادس ايات الفاتحة سبع اعمال الصلوة المحسوسة سبع كما تقدم ومراتب خلق الانسان سبع وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ
مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا
الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ فنور ايات الفاتحة يسري الى الاعمال السبعة ونور الاعمال السبعة يسري
الى هذه المراتب فيحصل في القلب نور على نور ثم ينعكس الى وجه المؤمن من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار المنهج السابع انه كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا في عالم الحس واما في عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى
غيب الغيب بهذا بمنزلة قوسين متلاصقين تخطاهما محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين وقوله او ادنى اشارة الى فنائه في نفسه والمراد بعالم
الشهادة كل ما يتعلق بالجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بالسماء سماء الى الملائكة الحافين
من حول العرش ثم الى حملة العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثناء عليه لانهم في خدمته لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون هكذا يتصاعد الى ان ينتهي الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها
الا الله ومن ارتضاه والمقصود ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما عرج واراد ان يرجع قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه فقيل ان تحفة امتك الصلوة
الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار فليكن المصلي ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالواد المقدس طوى وايضا
عنده ملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش وقناعة وحرص وسائر الاخلاق
المتضادة والصفات المتنافية فلينظر ايهما يختار فانه اذا استحكم المرافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه في الدنيا وفي
القبر ويكون معه في القيامة وفي الجنة وصحب كلب اصحاب الكهف فلزمهم في الدنيا والاخرة قال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ ثم اذا تطهر فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والاخرة وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر اي من كل الموجودات
بل هو اكبر من ان يقاس اليه غيره بانه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وفي هذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك
اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل في القدم وحقيقة الابد في البقاء فيتجلى له نور الازل والابد ثم ليقل
وتعالى جدك اشارة الى انه اعلى واعظم من ان يكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة في القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى
ان صفات الجلال وسمات الكمال له تعالى لا لغيره فهو الكامل الذي لا كامل الا هو وفي الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل اللسان ويدهش
الالباب ثم عد ايها المصلي الى نفسك وحالك وقل وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة
المقربين حيث قالوا وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ وهو ايضا معراج محمد صلى الله عليه وسلم لان معراجه مفتتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وقولك وجهت
وجهي معراج الخليل صلى الله عليه وسلم وقولك إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي معراج الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فقد جمع المصلي بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء
الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليدفع العجب عن نفسك وفي هذا المقام يفتح لك احد ابواب
الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب
الرجاء وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية
وبقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعوني استجب لكم وبقولك صراط الذين انعمت الى اخره يفتح باب الاقتداء بالارواح
الطيبة والاهتداء بانوارهم فبجنات المعارف الربانية تفتحت لك ابوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحاني في الصلوة
واما الجسماني فاولى المراتب ان يقوم بين يدي الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام اهل القيامة يوم يقوم
النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ثم اقرا سبحانك اللهم وبحمدك ثم وجهت وجهي ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القران واجهد في ان تنظر من الله
الى عبادتك حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عبادتك الى الله فانك ان فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين
واعلم ان نفسك الى الان جارية مجرى خشبة عرضتها على نار خوف الجلال فلانت فاجعلها منحنية بالركوع حتى تترك الاستقامة مرة اخرى فان هذا
الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى استقامتها فانحدر الى الارض
بغاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلثة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تنجو من عقبة الهوى
الداعي الى كل المضلات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات
الصالحات وانتهيت الى عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوات بالاركان والطيبات





بالجنان وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحك وينزل نور روح محمد صلى الله عليه وسلم فيتلاقى الروحان ويحصل هناك الروح والريحان فقل السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل لك بم نلت هذه الكرامات فقل بقولي
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا رسول الله فقيل ان محمدا الذي هداك اي شيء هديتك له فقل اللهم صل على
محمد وال محمد فقيل لك ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤك له فقل كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين
فيقال لك هذه الخيرات من محمد وابرهيم او من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله تعالى بهذه الاثنية والمدائح
ذكره الله تعالى في محافل الملائكة اذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله تعالى ان
الملائكة اشتاقوا الى زيارتك وهم جاؤك زائرين فابدا بالسلام عليهم لتكون من السابقين فتلتفت عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته فلا جرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار المنهج الثامن اعظم
المخلوقين جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية له وخلاء لا غاية له والزمان امتداد وهمي شبيه بنهر خرج من قعر جبل الازل
فامتد ودخل في قعر الابد فلا يعرف لانفجاره مبدأ ولا لاستقراره منزل فالاول والاخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكمال
هذه الاربعة الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان اولا واخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه
كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لانجرى الزمان
يشبه جري الماء فالعلو صفة الكرسي وسع كرسيه والعظمة صفة العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ
والعلو والعظمة درجتان من درجات الكمال الا ان العظمة اقوى وفوق الكل درجة الكبرياء ردائي والعظمة ازاري ولا يخفى ان الرداء اعظم من
الازار وفوق جميع الصفات صفة الجلال وهي تقدسه في هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات وبه استحق الالهية ولهذا قال تعالى الله يا ذا
الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يبتغي وجه الله والداخل على السلطان يجب ان يتطهر من الادناس
والارجاس واولى المراتب التطهر من الذنوب دينا توبوا الى الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا
والاخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الى اعماله وهو مقام الاخلاص ثم من الالتفات الى عدم الالتفات وهو مقام المحسنين ثم الالتفات
الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين ثم قم قائما ووجهك لله دين حنيفا واستحضر في نفسك جميع اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات
فقل الله اكبر من الكل كما امر ومن ان لا يراني ولا يسمع كلامي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
او اكبر من ان يصل اليه عقول الخلق وافهامهم كما قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه التوحيد ان لا تتوهمه او اكبر من ان يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته
فاذا قلت الله اكبر فاجل طرف عقلك في ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الى عالم الامر والتكليف
واجعل سورة الفاتحة مرآة لكي تتبصر بها عجائب الدنيا والاخرة وتطلع منها على انوار اسماء الله الحسنى وصفاته العليا والاديان السابقة
والكتب الالهية والشرائع النبوية فتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات الناقصين فاذا قلت
بسم الله الرحمن الرحيم ابصرت به الدنيا فباسمه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين ابصرت به الاخرة فبالحمد
قامت الاخرة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ابصرت به عالم الجمال المشتمل على اصول النعم وفروع النوال واذا قلت مالك يوم الدين
ابصرت به عالم الجلال وما يحصل هنالك من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين
ابصرت به عالم الطريقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم ابصرت به درجات ارباب السعادات واصحاب الكرامات واذا قلت غير
المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات اهل التفريط والافراط فاذا انكشفت لك هذه المقامات فلا تظنن انك قد بلغت
الغايات بل عد الى الاقرار للحق بالكبرياء ولنفسك بالهوان وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربي العظيم ثم انتصب قائما
وادع لمن وقف موقفك وحمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا سئلتها الغيرك وجدتها لنفسك فان الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه
المسلم ولا تكبير في هذا المقام لان التكبير من الكبرياء والهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير واتخذه سلما الى غاية العلو وقل سبحان
ربي الاعلى لان السجود اكثر تواضعا وروي ان لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى اليه ايها الملك طر فطار ثلثين الف سنة ثم ثلثين سنة
فلم يبلغ من احد طرفي العرش الى الثاني فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الى طرف الثاني من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان
ربي الاعلى ما فوائد السجدتين فالاولى الازل والثانية الابد والقعدة بينهما هي الدنيا فتعرف بالاولى انه لا اول له فتسجد له وبالثانية انه لا
اخر له فتسجد له ثانيا وايضا الاولى فناء الدنيا في الاخرة والثانية فناء الاخرة في جلال الله تعالى وايضا الاولى فناء الكل في انفسها والثانية
بقائها ببقائه وايضا الاولى انقياد عالم الشهادة لقدرته والثانية انقياد عالم الارواح لعزته لا اله الخلق والامر وايضا الاولى سجدة الشكر بمقدار
ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته والثانية سجدة الخوف مما فاتنا من اداء حقوق كبريائه وايضا صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فتوا
السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد وايضا ليكونا شاهدين للعبد على اداء العبادة وايضا ليناسب الوجود الاخذ من الوحدة الى الكثرة

ومن الفردية الى الزوجية وايضا الانتصاب صفة الانسان والانحناء صفة الانعام والجثوم صفة النبات ففي الركوع هضم للنفس بمرتبة واحدة وفي السجود بمرتبتين ولعل ما فاتنا من الفوائد اكثر مما ادركنا المنهج التاسع في اللطائف عن النبي ان ابرهيم ع سئل به فقال ما جزاء من حمدك فقال تع الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته وقال اهل التحقيق من ههنا جعلها الله فاتحة كتابه وخاتمة كلام اهل الجنة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وعن علي ع ان اول ما خلق الله العقل من نور المكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب عزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي منك ونقل عن ادم ع لما عطس قال الحمد لله فاول كلام لفاتحة المحدثات الحمد واول كلام لخاتمة المحدثات الحمد فلا جرم جعلها الله تع فاتحة كتابه واول كلام الله الحمد لله واخر انبيائه محمد رسول الله ص وبين الاول والاخر مناسبة فجعل الحمد لله اول اية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك وضع لمحمد رسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد واحمد عند هذا قال ع انا في السماء احمد وفي الارض محمد فاهل السماء في تحميد الله ورسوله احمدهم والله تع في تحميد اهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله محمد الاخرى الحمد لا يحصل الا عند الفوز بالرحمة والنعمة فلما كان الحمد اول الكلمات وجب ان يكون الرحمة اول الافعال فلهذا سبقت رحمتي غضبي الاخرى ان رسول الله ص اسمه احمد اي اكثر الحامدين حمدا فوجب ان يكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جعله رحمة للعالمين الاخرى ان من اسماء رسول الله سوى اسمه محمد واحمد الحامد والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة فقال تع نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وقوله نبي اشارة الى محمد هو مذكور قبل العباد الياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في اني وانا والغفور والرحيم صفتا الله فالعبد يمشي يوم القيمة ونداء الرسول ص مع حسنة اسمائه تدل على الرحمة وخلقه حسنة الفاظ من اسماء الله تع تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ورحمة الله تع غير متناهية ورحمتي وسعت كل شيء فكيف يضيع المذنب فيما بين هذه الاصناف من الرحمة الاخرى في الفاتحة عشرة اشياء خمسة من صفات الربوبية الله الرب الرحمن الرحيم المالك وخمسة من صفات العبودية العبادة الاستعانة طلب الهداية طلب الاستقامة طلب النعمة في قوله انعمت عليهم كانه قيل اياك نعبد لانك انت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن وارزقنا الاستقامة يا رحيم افض علينا سجال فضلك يا مالك الاخرى الانسان مركب من خمسة اشياء بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فتجلى اسم الله للجوهر الملكي فاطمأن له الا بذكر الله تطمئن القلوب وتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان وانقاد لطاعة الديان وربما عن ذنبه من همزات الشياطين وتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان وتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فترك العصيان وتجلى للابدان القهر والمالكية لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الى قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فاذا ذلك كان هذه التجليات انغلقت له ابواب النيران وفتحت عليه ابواب الجنان ورجع القهقرى كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال واياك نستعين على ترك اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة فقال اهدنا الصراط المستقيم ولجوهر العقلي الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة العلوية فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاخرى بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت فشهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة تجلي نور اسم الله ومن تجلي نور اسم الرب لان الرب من التربية والعبد يربي ما مر عند الصلوة وايتاء الزكوة من تجلي اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم لان الصائم اذا جاع يذكر جوع الفقراء فيعطيهم يحكى ان يوسف حين تمكن من مصر كان لا يشبع فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع وايضا الصائم يرحم نفسه لانه اذا حصل له فطام عن الالتذاذ بالمحسوسات عند الموت يسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلي اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجرة الوطن ومفارقة الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيمة وايضا الحاج يكون عاريا حافيا حاسرا وهو يشبه احوال القيمة الاخرى الحواس خمس ولكل ادب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا اولي الابصار وادب السمع الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وادب الذوق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب الشم اني لاجد ريح يوسف وادب اللمس والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فاستعن بانوار الاسماء الخمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك على تاديب هذه الحواس الخمس الاخرى الشطر الاول من الفاتحة مشتمل على الاسماء الخمسة لله فيفيض انوارها الى الاسرار والشطر الثاني مشتمل على الصفات الخمسة للعبد فيصعد منها اسراره الى تلك الانوار ويحصل للعبد معراج في قراءته وتقرير الاسرار ان حاجة العبد اما لدفع ضر او جلب خير وكل منهما اما في الدنيا واما في الاخرة فهذه اربعة وههنا قسم خامس هو الاشرف وذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة فان شاهدت نور اسم الله لم تطلب منها شيئا سوى الله وان طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت نور الرحيم طلبت منه العصمة عن مضار الاخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن افات الدنيا الموقعة في عذاب الاخرة اعاذنا الله منها الاخرى التجلي ثلث مراتب تجلي الذات قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا لعظماء الانبياء والملائكة المقربين وهذا





نهاية الاحوال ويدل عليها اسم الله وتجلي الصفات وهو في واسط الاحوال يكون للاولياء واولي الالباب الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ويدل عليه اسم الرحمن وتجلي الافعال والايات وهو في بداية الاحوال يكون لعامة العباد الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى ويدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما الاخرى في الفاتحة كلمتان مضافتان الى اسم الله بسم الله والحمد لله بسم الله لبداية الامور والحمد لله لخواتم الامور ولبسم الله ذكر والحمد لله شكر ببسم الله استحق الرحمة رحمن الدنيا وبالحمد لله استحق رحمة اخرى رحيم الاخرة وكلمتان اضيف اليهما اسمان لله رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية لبداية حالهم الست بربكم قالوا بلى والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما اسمان مطلقان لوسط حالهم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء المنهج العاشر للخلق خمس احوال اولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربية في مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب ثالثها التربية في معرفة المبدأ ويدل عليه اسم الرحمن ورابعها في معرفة المعاد ويدل عليه اسم الرحيم كي يقدم على ما ينبغي ويحجم عما لا ينبغي وخامسها نقل الارواح من عالم الاجساد الى المعاد ويدل عليه اسم مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا انتفع بهذه الاسماء صار من اهل المشاهدة فقال اياك نعبد لانك انت الله الخالق واياك نستعين لانك الرب الرزاق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك اياك نستعين لانك المالك نعبد لانا ننتقل من دار الشرور الى دار السرور ولا بد من زاد وخير الزاد العبادة واياك نستعين لان الذي نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد ما عانتك فالشقة شاسعة والطرق كثيرة فالطريق لا ان يطلب الطريق ممن هو بارشاد السالكين حقيق اهدنا الصراط المستقيم ثم انه لا بد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم فالانبياء ادلاء والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب قسمان نارية وهي الدنيا بما فيها ونورية وهي ما سواها اللهم ارفع عنا كلها الحجب بيننا وبيننا انك رب العالمين

ومالك يوم الدين

سورة البقرة مدنية مائتان وست وثمانون اية وأربعون ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون

القراءة لا ريب بالمد خلف والعجلي عن حمزة وخلف لنفسه كذلك قوله تع لا جرد لا جرم هاء كناية في جميع القران هدى للمتقين مدغما من غير غنة حمزة وعلي وخلف ويزيد وورش من طريق النجاري والهاشمي عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين في الراء حيث وقعت ابو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها الباقون باظهار الغنة واسقاطها وهي صوت من الخيشوم يؤمنون غير مهموز ابو عمرو ويزيد وورش والاعشى وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الافعال والاحرف يسيرة تذكر في مواضعها الباقون بالهمزة باب في المد بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمد عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين مد الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع والباقون يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف في اختياره والاعشى ومدهم بمنزلة ربع الالف واوسطهم مدا علي وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى واقصرهم مدا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد الف ساكنة على قدر فتحة فيك فتحا فما وبالاخرة بترك الهمزة ونقلها الى الساكن الذي قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة في الوقف فان مذهبه ان يقف على كل كلمة مهموزة بغير همزة باب السكتة عن روى عن حمزة وحماد الشموني انهم يسكتون على حرف ساكن بعد همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا امنا واشباه ذلك والسبب فيه التمكين والمبالغة في تحقيقها لان الهمزة بعد السكتة كالمبتدأ بها والاختيار في الكلمة الواحدة ان لا تسكت على ساكن غير لام التعريف احترازا عن قطع الكلمة الوقوف الم للاختلاف لا ريب ج على حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه ثم تستأنف فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبر لا او وصف ريب وحذف خبر لا تقديره لا ريب فيه عند المؤمنين والوقف على التقدير بن على فيه وهدى خبر مبتدأ محذوف اي هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب لاعمال معنى الاشارة في ذلك على تقدير اشير الى الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين لا لان الذين صفتهم ينفقون للعطف لئلا يدخل عبد الله بن سلام واصحابه في المتقين فان القران لهم هدى كما يدخل الصحابة المؤمنون بالغيب في ثناء الهدى ووعد الفلاح ولو ابتدأ والذين

كان اولئك على هدى خبرهم مختصا بهم ولخص هدى القران واسم المتقوى بالذين يؤمنون بالغيب من قبلك لاختلاف النظم بتقديم المفعو
يوقنون ط لان اولئك مبتدا واولئك ليس بخبر عما قبله وكذلك على كل اية وقف بها الا ما اعلم بعلامة لا المفلحون التفسير وفيه ابحاث البحث
الاول في الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها في قولهم الف با تا ثا اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظ
مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد
اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالامالة نحو با تا وبالتفخيم نحو با تا وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضا
وقولهم با تا ثا متهجيا ومقصورة نحو لا وقولهم كتبت ياء بالمد نحو كتبت لا لا يدل على انها حروف مثل لا فانهم انما قالوا كذلك في التهجي
لكثرة الاستعمال واستدعائها التخفيف والذي رواه ابن مسعود ان النبي قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول
الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وايضا ما وقع في عبارات المتقدمين انها حروف التهجي خليق بان يصرف الى التسامح والتجوز
لانه اسم للحرف وهما متلازمان ولان الحروف قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى عن الخليل انه سئل اصحابه كيف تنطقون
بالباء التي في ضرب والكاف التي في ذلك فقالوا نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم لا الحرف وقال اقول ب ك ثم انهم راعوا في هذه التسمية
لطيفة وهي انهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع
اللفظ دلالة على المعنى البسملة والحيعلة والتهليل ونحوها وحكم هذه الاسماء سكون الاعجاز ما لم تلها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا
عليها لفقد مقتضى الاعراب نحو واحد اثنان ثلثة دار ثوب جار بقر فاذا وليها العوامل ادركها الاعراب نحو هذه الف وكتبت الفا ونظرت
الى الف والدليل على ان سكونها وقف ليس بناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها
بين الساكنين وللناس في الم وما يجري مجراه في فواتح السور قولان احدهما ان هذا علم مستور وسر محجوب استاثر الله به والتخاطب بالحروف
المفردة سنة الاحباب في سنن المحابة فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه
عن ابي بكر في كل كتاب سر وسره في القران اوائل السور وعن علي كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي
قال بعض العارفين العلم بحر اجري منه واد ثم اجري من الوادي نهر ثم اجري من النهر جدول ثم اجري من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل البحر
والنهر لا يحتمل الوادي ولهذا قال عز من قائل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحر العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اودية
ثم اعطى الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت العامة سواقي الى اهاليهم
بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد في الخبر للعلماء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله من بعد كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم ولو
اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة
على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا بائدين والسبب في ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش
وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس قال عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هو من المتشابه وزيف
هذا القول بنحو قوله تعالى افلا يتدبرون القران تبيانا لكل شيء هدى للمتقين وانما يمكن التدبر ويكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما
وبقوله اني تركت فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وبانه لا يخاطب المكلف
بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي بالعجمي ولا يجوز التحدي بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والوقف هنا لان
الراسخين لو كانوا عالمين بتاويله كان الايمان به كالايمان بالمحكم فلا يكون في الايمان به مزيد مدح ولا يكون في قوله كل من عند
ربنا فائدة على ما الاولى وبقوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد روينا عن اكابر الصحابة ما رويناه وايضا الافعال التي كلفنا
بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فان فيها تواضعا للمعبود والصوم ففيه كسر الشهوة والزكوة ففيها سد خلة المساكين ومنها ما
لا يظهر فيه الحكمة لكثير من افعال الحج ويحسن من الله تعالى الامر بالنوعين ليظهر الامتثال بل كمال الانقياد في النوع الثاني اظهر واكثر
فلم لا يجوز ان يكون في الاقوال ايضا مثل ذلك مع ان فيه فائدة اخرى هي اشتغال السر بذكر الله والتفكر في كلامه القول الثاني ان المراد
من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول انها اسماء وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن
لام الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت نون وسيعود تمام الكلام في هذا القول الثاني انها اسماء الله تعالى
روي عن علي انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ويقرب منه ما روي عن سعيد بن جبير انها ابعاض اسماء الله تعالى فان الر وحم ون مجموعها
اسم الرحمن لكنا لا نقدر على كيفية تركيبها في الجميع الثالث انها اسماء القران وهو قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف
دال على اسم من اسماء الله تعالى وصفة من صفاته فالالف اشارة الى انه احد واول واخر وازلي وابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه
مجيد ملك منان وفي كهيعص الكاف كاف لعباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق او الكاف محمول على الكبير
الكريم والياء على انه مجير والعين على العزيز والعدل ويروى هذا عن ابن عباس وعنه ايضا في الر انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وافصل



وفي الر انا الله ارى الخامس انها صفات الافعال الالف الاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد بن كعب القرظي السادس الالف من الله واللام
من جبرئيل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبرئيل على محمد السابع الالف انا واللام لي والميم مني قاله بعض الصوفية
الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد يكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقران اي ان هذا المتلو عليهم وقد
عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجم
غفير التاسع كانه تعالى يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك هذا على طريقة تعليم الصبيان
قاله عبد العزيز بن يحيى العاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه انزل الله تعالى هذه الاحرف غمة في اسماعهم ليهجم عليهم
القران من حيث لا يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادي عشر قول ابي العالية انه حساب على ما روى ابن عباس انه مر ابو ياسر بن
اخطب برسول الله وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم اتى اخوه حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف فسئلوا عن الم وقالوا ننشدك
الله الذي لا اله الا هو احق انها اتتك من السماء فقال نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا اني لاعلم اجل هذه الامة من السنين
ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى ملته احدى وسبعون سنة فضحك رسول الله فقال
حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حيي مائة واحدى وستون فهل غير هذا فقال نعم الر فقال حيي نشهد ان كنت صادقا ما ملكت امتك
الا مائتين واحدى وثلثين سنة فهل غير هذا فقال نعم المر فقال حيي لا ندري باي اقوالك ناخذ فقال ابو ياسر اما انا فاشهد ان انبياءنا
قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا انها كم تكون فان كان محمد صادقا فيما يقوله اني لاراه سيجمع له هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه
علينا امرك فانزل الله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الثاني عشر انها تدل على
انقطاع كلام واستيناف كلام اخر الثالث عشر قول الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات
بها يتغاورون ويذكرون الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قرات الحمد تريد السورة كلها اقسم الله بها ان هذا
الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ الرابع عشر ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون واهل الخط والكتاب
بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا فلما اخبر الرسول بها من غير تعلم خط وقراءة كان ذلك دليلا على انه استفاد ذلك
من قبل الوحي الخامس عشر قال القاضي الماوردي معناه الم بكم ذلك الكتاب اي نزل هذا الكتاب الاتيان في كل فاتحة السادس عشر الالف اشارة
الى ما لا بد منه من الاستقامة على الشريعة في اول الامر ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات وهو
رعاية الطريقة والذين جاهدوا فينا اشارة الى صيرورة العبد في مقام المحبة كالدائرة التي يكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء في الله
بالكلية وهو الحقيقة قل الله ثم ذرهم السابع عشر من الالف اقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو اخر
المخارج اي اول ذكر العبد ووسطه واخره لا ينبغي الا لله الثامن عشر سمعت بعض الشيعة يقول هذه الفواتح اذا حذف منها المكررات
يبقى ما يمكن ان يركب منه علي صراط حق نمسكه وهذا غريب مع انه متكلف فلهذا اوردته واعلم ان الباقية من الفواتح بعد حذف المكرر
اربعة عشر نصف عدد حروف التهجي بعد الكسر وقد اورد الله الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على
انصاف اجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء
والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الكاف ومن الرخوة نصفها المرصعين من المطبقة نصفها ص ط ومن
المنفتحة نصفها الر كهيعص ج ق ي ن ومن المستعلية نصفها ق ص ط ومن المنخفضة نصفها ا ل م ر ك ه ي ع س ح ن ومن حروف القلقلة
نصفها ق ط واكثر الفاظ القران من هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم
واظهارا لعجزهم كما مر في الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين والله اعلم التاسع
عشر قيل معناه الست بربكم الالف واللام من اوله والميم من اخره اي اخذت منكم كتاب العهد في يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند
الاكثرين القول بانها اسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت في التسمية بالم وحم والمقصود من العلم رفع
الاشتباه الثاني لو كانت اسماء لاشتهرت وتواترت الثالث العرب لم يتجاوزوا فيما سموا به مجموع اسمين نحو معدي كرب وبعلبك ولم يسم
احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة فالقول بانها اسماء السور خروج عن لغتهم الرابع لو كانت اسماء لاشتهرت السورة بها لكنها
اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وال عمران الخامس هذه الالفاظ داخلة في السور وجزؤه جزء الشيء متقدم على الشيء بالرتبة واسم الشيء
متاخر عن الشيء فلزم ان يكون متقدما متاخرا معا وهو محال ليس هذا كتسميتهم صاد بالحرف الاول منه فان هذا كتسمية المفرد بالمؤلف
فلا يلزم الا تاخر المركب من المفرد بوجهين وهذا تسمية المؤلف بالمفرد ويلزم المحال المذكور واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام
المشتركة من انها ليست بوضع واحد مع انه لا يبعد ان يجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الاخر بعلامة اخرى لحكمة خفية وعن الثاني بان تسمية
السورة بلفظة معينة ليست من الامور التي يتوفر الدواعي على نقلها وعن الثالث بان التسمية بثلثة اسماء خروج عن كلام العرب

ولكن تجعلت اسما واحدا لما مسرودة نثر اسماء فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية نحو برق نحره وكالو سمي ببيت شعر وطائفة من اسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لا يبعد ان يصير اللقب اشهر من الاسم وعن الخامس ان تأخرها هو متقدم باعتبار آخر غير مستحيل وفي لسان الصوفية ان هيئات الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود اي من قرء فاتحة الكتاب في الصلوة التي هي معراج المؤمن شرفه الله بالهداية في قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما ما لا يتأتى فيه الاعراب نحو كهيعص المر وثانيهما ما يتأتى فيه الاعراب لكونه اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكقولك طسم اذا فتح نونها صار كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا والثاني فيه امران الاعراب والحكاية فاذا اعرب منع الصرف للعلمية والتأنيث قال الشاعر يذكرني حاميم والرمح شاجر ∴ فهلا تلا حاميم قبل التقدم والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو قولك بدأت بالحمد لله قال ذو الرمة شعر سمعت الناس ينتجعون غيثا ∴ فقلت لصيدح انتجعي بلالا ∴ واما من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات فيفعل مضمر نحو اذكر او حركت لالتقاء الساكنين واستكره جعلها مقسما بها على طريق قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقلم بعدها محلوف بهما واستكره الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى واو العطف لا القسم نحو لحيوتي ثم حيوتك لافعلن ولو كان انقضى قسم بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر نحو بالله لافعلن تالله لاخرجن ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم ان يقدر مجروره باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا واعرابها فتحة في موضع الجر لكونها غير منصرفة واما من قرأ صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها لان المألوف انه اذا قيل للكاتب اكتب صاد مثلا فانه يكتب صادها ص ايضا اشعارا بان المراد بها الاسامي لا المسميات امن وقوع اللبس فيها وايضا خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لان المعتبر هناك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح اسماء السور فلا محل لها عنده كالا محل للجمل المبتدأة والمفردات المعددة ومن جعلها اسماء السور فسنخبرك عن تأليفها مع ما بعدها ان شاء الله تعالى البحث الثاني في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد لانه وقعت الاشارة بذلك الى الم بعد ما سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد ولهذا يصح في الحساب ان يقول فذلك كذا او لانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احفظ بذلك او لانه وان كان حاضرا نظرا الى ذاته لكنه غائب نظرا الى اسراره وحقائقه او لانه على مقتضى الوضع اللغوي والعرفي او لانه اشارة الى ما نزلت بمكة قبل سورة البقرة وقد يسمى بعض القرآن قرآنا او لانه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او لانه اشارة الى ما اخبر به الانبياء ان سينزل على النبي المبعوث من ولد اسمعيل او المراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة في بعض الوجوه نظرا الى الصفة وهو الكتاب كقولك هند ذلك الانسان قال الذبياني نبئت نعما على الهجران عاتبة ∴ سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري ∴ وان جعلت الكتاب خبرا فنظرا الى ان ذلك في معناه ومسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك الثالثة للقرآن اسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقا في نيف وعشرين سنة او لانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكرى والذكر وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وانه لذكر لك ولقومك اي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه او شرف وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث شبهه بما يتحدث به فان الله تعالى خاطب به المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك انزلناه حكما عربيا حكمة بالغة يس والقرآن الحكيم كتاب فصلت آياته ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنها الهدى والهادي هدى للمتقين ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطي مستقيما ومنها حبل الله واعتصموا بحبل الله جميعا ومنها الروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لانه سبب لحيوة الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبيانا لكل شيء تلك آيات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم بمواقع النجوم لانه نزل نجوما ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لانه يثنى فيه القصص والاخبار ومنها النعمة واما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس اي القرآن ومنها البرهان قد جاءكم برهان من ربكم ومنها البشير والنذير قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ومنها القيم قيما لينذر بأسا شديدا ومنها المهيمن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ومنها النور واتبعوا النور الذي انزل معه ومنها الحق وانه لحق اليقين ومنها العزيز وانه لكتاب عزيز ومنها الكريم انه لقرآن كريم ومنها العظيم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ومنها المبارك كتاب انزلناه اليك مبارك فهذه

جملة



الرابعة

جملة الاسماء وسيجيء تفاسيرها في مواضعها الرابعة في تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول اي هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية وكقوله شعر هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم وذلك الكتاب جملة اخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفي قراءة عبدالله بن مسعود الم تنزيل الكتاب البحث الثالث في قوله لا ريب فيه مصدر رابني وحقيقته قلق النفس وفي الحسن بن علي عن النبي دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة اي كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة وفي الحديث ان النبي مر بظبي حاقف اي معوج منطبح وهم محرمون فقال لا يريبه احد بشيء اي لا يتعرض له والحاصل ان الريب شك مع زيادة ظن سوء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من شقي مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب مظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه ومثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله لم يقل واذ كنتم مع وقوع الشك منهم في الواقع دلالة على ان الشك فيه مما لا ينبغي ان يوجد الا على سبيل الفرض والتقدير ولو فرض فوجه ازالته ان يجردوا انفسهم ويبرزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلنا لان المقصود منها ليس الا نفي الريب عنه واثبات انه حق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس بمراد ولا هو بصادق في نفس الامر وهو التعريض بان ريبا في غيره من الكتب كما ان في قوله لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا تغتال العقول وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع قيل والفرق بينها وبين المشهور ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا ان الاول بطريق نفي الماهية والثاني لان قوله لا ريب جواب قول القائل هل ريب فيه وهذا يفيد ثبوت فرد واحد فنقيضه يكون بسلب جميع الافراد البحث الرابع في قوله هدى للمتقين وفيه مسائل الاولى في حقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه في مقابلة الضلالة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدي في معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدي فلم يهتد لم يكن مدحا ولان مطاوعه اهتدى فيلزمه واجيب بان مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا مهدي انما افاد المدح لانه من المعلوم ان الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من ان اهتدى لازم هدى لزوما كليا اذ يصح في العرف ان يقال هديته فلم يهتد قال عز من قائل واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى قال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم مطلقا فخطأ لوقوعه صفة للقرآن وان زعم حينا فصحيح لوقوعه في مقابلة الضلالة الثانية المتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابها ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقيه حافره ان يصيبه ادنى شيء وهو في الشرع المؤتمر بالمأمورات المجتنب عن المحظورات واختلف في الصغائر انه اذا لم يتقها هل يستحق هذا الاسم وروي عنه انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس حقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد وقد يراد التوبة ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا اي تابوا وقد يراد الطاعة ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله وقد يراد الاخلاص فانها من تقوى القلوب اي من اخلاصها والتقوى مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وعن ابن عباس ان النبي قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وقال علي التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابراهيم بن ادهم ان لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون في افعالك عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا وقال الواقدي ان تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القائل خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى ∴ كن مثل ماش في طريق الشوك يحذر ما يرى ∴ لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى ∴ وفي قوله هدى للمتقين وفي موضع آخر شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس دليل على ان الناس محصورون في المتقين والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم خص كون القرآن هدى للمتقين وايضا المتقي مهتد فكيف يهدى ثانيا والجواب ان المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا كقوله انما انت منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر مع انه منذر لكل الناس وايضا قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة واستدامة ما هو ثابت فيه ونوع آخر سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه فهذا مجاز من باب تسمية الشيء بما يؤول اليه وفي اللطف فيه انه لو قال الهدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال كان اطنابا في غير موضعه فان تصدير السورة

البحث الثالث

البحث الرابع وفيه مسائل الاولى

الثانية

في معنى التقوى ومراتبها

الثالثة

هي

هي على الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاختص الكلام باجرائه على الطريقة
التي ذكرنا فان قلت كيف وصف القرآن بانه كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى
في ذلك للعقل لا للقرآن ومما يؤكد ما قلنا ما نقل عن علي عليه السلام انه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحتج عليهم بالقرآن فانه خصم
ذو وجهين ولهذا كان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد معه على التعيين عقلا كان
او سمعا صار كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون القرآن هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته وكمعرفة النبوة فالقرآن ليس
هدى فيه فكيف جعل هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرائع والمطلق لا يقتضي العموم او كونه هدى في تاكيد ما في
العقول ايضا بحث الرابعة محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف وخبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتداء اذا جعل الظرف المقدم خبرا
عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال الم جملة برأسها او طائفة
من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف بينها لمجيئها متآخية
اخذا بعضها بحجزة بعض لانه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفي
عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان تسجيلا بكماله فلا كمال اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا
لا يحوم الشك حوله ثم في كل من الجمل نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه كما مر في الوجه الثامن وفي
الثانية ما في التعريف من الفخامة اي الكتاب الذي يستاهل ان يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين البحث الخامس في قوله تعالى الذين يؤمنون الآية
وفيه مسائل الاولى الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين صفة او نصب على المدح او رفع كذلك بتقدير اعني الذين او هم
الذين او مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة يكون اما واردة بيانا وكشفا
وذلك اذا فسر المتقي بانه الذي يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان اساس الحسنات والصلوة ام العبادات البدنية
قال عليه السلام الصلوة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة افضل العبادات المالية قال عليه السلام الزكوة قنطرة الاسلام فاختصر
الكلام اختصارا بذكر ما هو كالعنوان لسائر الطاعات وكالاصول لبواقي الحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله
عز من قائل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر واما مسرودة مع المتقين مفيدة غير فائدتها وذلك اذا فسر المتقي بالمجتنب عن
المعاصي فقط ثم انه يكون قد وصف بالايمان وهو فعل القلب وباداء الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب
لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقائد الحقة والاخلاق الحميدة واما معدودة عدا على سبيل
المدح والثناء وذلك اذا فرض المتقي موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات
الله الجارية عليه تعالى تمجيدا وتعظيما الثالثة الايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته
آمنه التكذيب والمخالفة والتعدية بالباء لتضمينه معنى اقر واعترف او وثق به قال في التفسير الكبير اختلف اهل القبلة في مسمى الايمان
على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية واهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا
الايمان اذا عدي بالباء فمعناه التصديق على تضمين الاقرار او الوثوق كما مر من حيث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى آخر وهو
ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن
عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة او مندوبة او من باب الاقوال والافعال او
الاعتقادات وبعضهم كابي علي وابي هاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل
ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر ما لم يرد فيه من الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب كل الكبائر والمؤمن عندنا من اجتنب
كل ما ورد فيه الوعيد الخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او نقليا من الكتاب و
السنة ويتناول طاعة الله في جميع ما امر به من الافعال والتروك صغيرا كان او كبيرا فمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك خصلة
من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة
وهذه الطاعات لا يكون منها شيء ايمانا الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل معصية
بعده كفر على حدة ولم يجعل شيئا من الطاعات ايمانا ما لم يوجد المعرفة والاقرار ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار
الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فرضها ونافلتها الا انه اذا ترك فريضة انتقص ايمانه وان ترك نافلة لم ينتقص ومنهم من قال
الايمان اسم للفرائض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان
اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابي حنيفة وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم





من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم
من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم ماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته
على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلا جرم اقدم كل طائفة على تكفير من عداه من الطوائف الا
ان المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلعم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته مرئيا او غير مرئي
لا يكون داخلا في مسمى الايمان المذهب الثاني ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب ابي الحسن الاشعري و
بشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص
بالقلب القول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل القلب فقط فمن هؤلاء من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان
من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم ان معرفة
الكتب والرسل واليوم الآخر غير داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه ان الايمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه
من دين محمد صلعم ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم
من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا الى هذا الشرط ايضا بل المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة له حكم المؤمن
في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهذا قول الكرامية ثم قال الامام ره عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة
كونه من دين محمد صلعم مع الاعتقاد ففيه قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك ان الايمان كثير الالفاظ دورانا على السنة
المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقل هذا او تواتره وليس كذلك وايضا الايمان المعدى بالباء على صلته
اتفاقا فغير المعدى ايضا يكون كذلك وايضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن اضافه الى القلب وقلبه مطمئن بالايمان كتب في قلوبهم
الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار وايضا قرن الايمان
بالمعاصي الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والذين آمنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في
ترك الهجرة قال ابن عباس في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص انما يجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك ندبه
في الخطاب ثم قال فمن عفي له من اخيه شيء وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان انما المؤمنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
بمؤمنين القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق التصديق لان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مؤمنا القيد الرابع لا يشترط التصديق
بجميع صفات الله تعالى لقوله عليه السلام اعتقها فانها مؤمنة بعد قوله لها اين الله قالت في السماء ويعلم مما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل
وكاتم العرفان مات ووجد من الوقت ما امكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مؤمنا وكان الامتناع عن التلفظ جاريا
مجرى المعاصي التي يؤتى بها مع الايمان وبهذا حكم الغزالي ره قلت وبالله التوفيق التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان ووجودا
في العبارة ولا ريب ان الوجود العيني لكل شيء هو الاصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود العيني للايمان هو النور الحاصل للقلب
بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا النور قابل للقوة والضعف
والاشتداد والتنقص كسائر الانوار واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا كلما ارتفع حجاب ازداد نور فيتقوى الايمان ويتكامل الى
ان ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشياء ويتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب فيعرف كل شيء في موضعه فيظهر له
صدق الانبياء عليهم السلام ولا سيما محمد صلعم خاتم النبيين في جميع ما اخبر عنه اجمالا او تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره و
ينبعث من قلبه داعية العمل بكل ما امروا والاجتناب عن كل محظور فيتضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء واما الوجود الذهني فملاحظة المؤمن لهذا النور ومطالعته
له ولمواقعه واما الوجود اللفظي فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلعم ولا يخفى ان مجرد
التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله صلعم من غير النور المذكور لا يفيد للعطشان التلفظ بالماء الزلال الا ان التعبير عما في الضمير
لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل مشتبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم بايمان
المرء وكفره فصح جعل ذلك فيما ينخرط في سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليهما وتفويض امر الباطن الى عالم
الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب صلة للايمان اي يعترفون او يثقون به على هذا يكون الغيب بمعنى الغائب اما تسمية
بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب يسمي المطمئن من الارض غيبا واما ان يكون مخففا فيعل والمراد
به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان
يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشر والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان بالغيب

حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفاء اى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب نحو الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم انى
لم اخنه بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين حيث ان باطنهم يخالف ظاهرهم وغيبتهم تباين حضورهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدى المنتظر الذى وعد الله فى القران وورد فى الخبر وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض لو لم يبق من الدنيا الا يوما واحدا لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل
من امتى يواطى اسمه اسمى وكنيته كنيتى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة الصلوة احد ثلثة اشياء اما
تعديل اركانها وحفظها عن ان يقع فى فرائضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها والمحافظة والذينهم على صلوتهم
دائمون والذينهم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها اى الاسك شعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل
العراقين حولا قميطا غزالة اسم امراة شبيب الخارجى قتله الحجاج فحاربته سنة تامة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا
اى كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذى يتوجه اليه الرغبات واما التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون فى مؤديها فتور عنها
ولا توان من قولهم قام فى الامر خلاف تقاعد عنه فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت
القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى فلولا انه كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة بجميع
هذه المعانى تستحق المدح والثناء السادسة الصلوة فى عرف الشرع عبارة عن الهيئات والاقوال المخصوصة التى مفتتحها التحريم ومختتمها
التسليم فرضا كانت ونفلا الا انه يحتمل ان يقال المراد بها فى الاية الفرض لان الفلاح قد نيط بها فى قوله للاعرابى افلح والله ان صدق
بعد قول الاعرابى والله لا ازيد على هذا ولا انقص اى على الصلوة المفروضة واشتقاقها لغة اما من الصلوة بمعنى الدعاء قال الاعشى
وقابلها الريح فى دنها وصلى على دنها وارتسم اى وضع عليها الوسم وهو الخاتم واما من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها
قال الشاعر فلا تعجل بامرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم والمصلى يسعى فى تعديل ظاهره وتقويمه بالمحنة كالخشب الذى يعرض على النار
واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا اى ملازما للسابق لان راسه عند صلوه والصلوان ما عن يمين الذنب وشماله والمصلى ملازم لفعله من
حين شروعه الى اوان فراغه والصلوة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلوة ولا يقال تصلية قال فى الكشاف الصلوة فعلة
من صلى كالزكوة من زكى وكتبها بالواو على لفظ المفخم وحقيقته صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من
التعسف السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشمل الحلال والحرام المأكول وغيره والملبوس وغيره والمعتزلة ومن يجرى مجراهم زادوا وافتدوا
اخرى هو ان لا يكون ممنوعا عن الانتفاع به فعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا قال فى الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون
الحلال المطلق الذى يستأهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهى عنه
وقدم مفعول الفعل لدلالته على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والحق ان التمكين والانتفاع بالمرزوق مسند
الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل يفعله به الا ان مذهب المعتزلة الى الادب اقرب لا سيما فى هذا المقام ليستحقوا المدح بالانفاق منه الثامنة
انفق الشئ وانفده اخوان وكل ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب وما قرب منه ويدخل فى هذا الانفاق الواجب
من الزكوة التى هى اخت الصلوة وشقيقتها ومن الانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته ومن الانفاق فى الجهاد ويمكن ان يتناول
كل منفق فى سبيل الخير للاطلاق قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى احدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق و
اكن من الصالحين البحث السادس فى قوله تعالى والذين يؤمنون الاية وفيه مسائل الاولى يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحى نزل من عند الله سالف او مترقب سبيله سبيل السالف لكونه معقودا
بعضه ببعض ومربوطا اتيه بماضيه وايقنوا بالاخرة ايقانا ازال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى و
ان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وان اهل الجنة لا يلتذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون
المعطوف غير المعطوف عليه ما مغايرة المباينة وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن ابتداء بمحمد من غير ايمان قبل ذلك بموسى
وعيسى واما مغايرة الخاص للعام وذلك اذا اريد بالاولين كل من امن بمحمد سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى او لم يكن
ويكون السبب فى ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرفهم وترغيبا لامثالهم فى الدين ويحتمل ان يراد بهؤلاء الاولون وتوسيط
العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه كقوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم
بالمعنى تابعة ثابتة للحارث الصابح فالغانم فالائب الثانية قال فى التفسير الكبير المراد من انزال الوحى ان جبرئيل سمع فى السماء كلام
الله تعالى فنزل على الرسول كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يستمع الرسالة فى علو فينزل فيؤدى
فى سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل فيؤدى بلفظ نفسه فان قيل كيف سمع جبرئيل كلام الله و
كلامه ليس حروفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا لكلامه ثم اقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز





ان يكون خلق الله فى اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص فقراه جبرئيل فحفظه ويجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص
فى جسم مخصوص فيتلقفه جبرئيل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المؤدية لذلك الكلام واقول لك اذا تاملت ما اشرت اليه فى
المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب انكشف لك الغطاء عن هذه المسئلة الثالثة الايمان بجميع الكتب السماوية اعنى التصديق بها
واجب لان الفلاح منوط بذلك ويجب تحصيل العلم بما انزل على محمد على سبيل التفصيل ليقوم بواجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية لقوله
تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين الاية واما المنزل على الانبياء المتقدمين
فالايمان به واجب على الجملة لان الله تعالى ما تعبدنا الان به حتى يلزمنا معرفته مفصلة لكنا ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب
علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الاخرة صفة الدار تلك الدار الاخرة وهى من الصفات الغالبة تانيث الاخر نقيض الاول وكذلك
الدنيا تانيث الادنى لانها اقرب اليقين هو العلم بالشئ ضرورة او استدلالا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله
تعالى بانه متيقن ولا يقال تيقنت ان السماء فوقى وانى موجود وفى تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا
عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته ومن غير ايقان وان اليقين بما عليه من امن بما انزل على محمد وعلى غيره من الانبياء
وهذا فى معرض المدح ومعلوم انه لا يمدح بتيقن وجود الاخرة فقط بل به وبما يتبعه من الحساب والسؤال وادخال المؤمنين الجنة
والكافرين النار عن النبى يا عجبا كل العجب من الشاك فى الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشاة الاولى ثم ينكر النشاة الاخرة
وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى يعنى النوم واليقظة وعجبا ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار
الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة البحث السابع فى قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم
الاية وفيه مسائل الاولى فى كيفية تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه احدها ان ينوى الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب على سبيل الاستيناف
واولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين خص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسئل فيقول ما بال المتقين
مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستيناف
يجئ تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل احسنت الى زيد
صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة كما فى الاية احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه وثانيها
ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل اولئك
الموصوفون غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا وثالثها ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين و
يرفع الثانى على الابتداء واولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله
وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون فى انهم سيفلحون عند الله تعالى والفصل من هذه الوجوه اولها لان الكلام المبنى على السؤال والجواب
اكثر فائدة ولان الاستيناف باعادة الصفة ابلغ ولان السؤال على الوجه الاخير كالضائع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علمت و
ايضا انه يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول كما من الكلام الثانية الاستعلاء فى قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى
كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد صرح بذلك فيقال جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى
من ربهم اى منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اما اللطف والتوفيق الذى اعتضدوا به على اعمال الخير والترقى من الافضل واما
الارشاد الى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة اى هدى لا يبلغ كنهه
قال الهذلى شعر فلا وابى الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم اى لحم واى لحم واوب بالمكان اذا اقام به والابهام
للاستعظام اذ الكنى انما يكون للاشراف كما ان الاقسام بالطير بناء لاستعظامهن لو قوعهن على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الله
ولا يبصر الا ببصر ولا يعمل به الا بيسر الا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدى بها الا العلماء الثالثة فى تكرير اولئك تنبيه على
انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شئ واحد الرابعة هم فصل فائدته
بعد الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة التوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدا والمفلحون
خبره والجملة خبر اولئك الخامسة المفلح الفائز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كانه الذى انفتحت له وجوه الظفر وكذلك اخواته فى الفاء والعين
يدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه سمى الزارع فلاحا ومعنى التعريف فى المفلحون اما العهد اى المتقون هم الناس الذين بلغك
انهم المفلحون فى الاخرة او الجنس على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت
الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على
طرق شتى وهى ذكر اسم الاشارة فان فى ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التى عددت

لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين توسيط الفصل للاهتمام بالتلبس بالتقوى احشرنا في زمرة من صدقت بذكرهم اولى النهى وبين ذلك في الخبر يحشر الناس يوم القيمة ثم يقول الله عز وجل لهم طالما كنتم تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم اني رفعت نسبا وابيتم الا انسابكم قلت إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ وابيتم انتم فقلتم لا بل فلان بن فلان ترفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم فسيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم اين المتقون فليأخذ العاقل بحكمة الله تعالى وهو نوط الثواب تعليق بالعمل الصالح والسبي الا بما هو غير مضبوط من عفوه عن بعض المذنبين ورده طاعة بعض المطيعين كان حكمته لما اقتضت ترتب الشبع والري على الاكل والشرب لم يعهد الاتكال على ما يمكن ان يقع بالمشية الى قدرته من اشباع شخص وارواء من غير تناول الطعام والشراب او بالعكس وهذه نكتة شريفة ينتفع بها

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

بدرستیکه آنانکه کافر شدند یکسانست بریشان چه بترسانی ایشانرا یا نترسانی ایشانرا که نگروند مهر نهاده است خدا بر دلهای ایشان و بر گوشهای ایشان و بر دیدهای ایشان پرده است و مر ایشانراست عذابی بزرگ

القراءة أأنذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن ذكوان وروى حلواني عن هشام آأنذرتهم بينهما مدة الباقون يحققون الاولى ويلينون الثانية والتليين جعل الهمزة بين بين اى بين الهمزة وبين الحرف الذى منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم ممالة ابو عمرو وعلى غير ليث وابن حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمر وكذلك قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفخار والغار ومن انصار واشعارها واشباه ذلك حيث كان يعنى اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة في موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة المفضل وقرأ حمزة في رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وابو اسحق ابرهيم بن احمد عن ابي الحرث عن على وورش من طريق النجارى مدغمة النون والتنوين في الواو في جميع القرآن عظيم بالاشمام في الوقف وكذا اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلى وخلف وهو الاختيار عندنا الوقوف لا يؤمنون على سمعهم ط لان الواو للاستيناف غشاوة ز لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى بيان وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم التفسير فيه مسائل الاولى فيما يتعلق بان اما عمله من نصب الاسم ورفع الخبر فمعلوم من علم النحو واما فائدته فما ذكره المبرد في جواب الكندي من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم نحو والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس شعر عليك باليأس من الناس ؛ ان غنى نفسك في اليأس حسن موقع ان لان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجيء اذا ظن المتكلم في الذي وجد انه لا يوجد كقولك انه كان منى اليه احسان فقابلني بالسوء وكانك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطأ فيما توهمت كقوله تعالى حكاية عن ام مريم قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وكذلك قول نوح رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ الثانية لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لامتداحهم ذكر بعد ذلك بذكر اضدادهم وهم المردة من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى وسواء عليهم الانذار وعدمه وانما فقد العاطف بين القصتين خلافا في نحو قوله إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ لتباين الجملتين ههنا في الغرض والاسلوب الاولى مسوقة بذكر الكتاب وانه هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكذلك اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدأ واولئك خبره لان الكلام المبتدأ على سبيل الاستيناف مبنى على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتصيير تبعا له في المعنى فحكمه حكم الاول وكذا اذا جعلت الموصول الثاني مبتدأ واولئك خبره لان الجملة برأسها من مستتبعات هدى للمتقين لارتباط بينهما من حيث المعنى الثالثة التعريف في الذين اما ان يراد به ناس معهودون باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واما ان يراد به الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوى بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين اسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف الايمان وقد تقدم واصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحق بجحده والزارع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شيء والكافر الذي كفر درعه بثوب اى غطى ولبسه فوقه قال في التفسير الكبير كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون المخبر عنه متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذا على ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلت التحقيق في هذا وامثاله ان كلامه ازلى الا ان حكمته في باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم مزمنين فكل ما هو متقدم على زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متأخر عن زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ المستقبل نحو لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هذا يعلم ان قوله سنلقي ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين وانما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الآية فافهم الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وأأنذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الفاعل اى مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم





واخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون أأنذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما يصح مع عطف الاسم فان ان مع الفعل في تقدير المصدر على الفعل وهو النهي وقد جردت الهمزة وام لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذاك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء في الداخل عليه الهمزة وام استواؤهما في علم المستفهم لانه قد علم ان احد الامرين كائن لكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين والحاصل ان الاستفهام يلزمه معنيان احدهما استواء طرفي الحكم في ذهن المستفهم والثاني طلب معرفة احدهما فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب فائدة العدول عن العبارة الاصلية وهي سواء عليهم الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول اليأس عليهم انما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا عنهم الايمان لا في علم الله ثم بل في علمنا فنزلت الآية بحسب ما يليق بحال الناس في باب التفهيم والتصوير ونقول فائدته ان يعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح احد الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن ان يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف ما لو اخبر عن الامرين بطريق الهمزة وام فافهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي وانما ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام المبالغة وتأثير الانذار في الفعل والترك اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقوله لا يؤمنون اما جملة مؤكدة للتي قبلها او اعتراض السادسة الختم والكتم اخوان لانهما لاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب يراد به تارة اللحم الصنوبري المودع في التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيواني الذي هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء بتوسط الاوردة والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهي والقيام بموجب التكاليف إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ وهي من عالم الامر الذي لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ فكان القلب بل اللحم الصنوبري من عالم الخلق الذي هو نقيض ذلك أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا وبالروح قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي السمع قوة مرتبة في العصب المفروش في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتأدى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتأدى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس امواج تلك الحركة تلك العصبة فتسمع قاله ابن سينا ولعل هذا في الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتأدية في الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام الصيقلية وزعم غيره ان البصر يخرج منه شيء فيلاقي المبصر ويأخذ صورته من خارج ويكون من ذلك ابصارا وفي الاكثر يسمون ذلك الخارج شعاعا والحق عندي ان نسبة البصر الى العين نسبة البصيرة الى القلب لكل من العين والقلب نور اما نور العين فمظنة انه من عالم الخلق فهو نور جزئي مدركه جزئي واما نور القلب فمفارق لانه من عالم الامر فهو نور كلي ومدركه كلي وادراك كل منهما عبارة عن وقوع مدركه في ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهي اليه بحسب شدته وضعفه ويتدرج في الضعف بحسب تباعد المرئي حتى لا يدركه او يدركه اصغر مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان للبصر نورا ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة في موضع واحد قياسا على انوار الكواكب والسرج فان ذلك لا نضمام من خواص الانوار المحسوسة والملزومات المختلفة لا يستدعي الاشتراك في اللوازم وهذا القدر من التحقيق في تفسير القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية الا ان الاولى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ولهذا يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفي تكرير الجار ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها امن اللبس كما في قوله شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا ؛ فان زمانكم زمن خميص ؛ اذ لا يلبس ان لكل واحد بطنا ولهذا اذا لم يؤمن نحو فرسهم ثوبهم والمراد الجمع رفضوه ومنها ان السمع في الاصل مصدر والمصادر لا تجمع فلمح الاصل لهذا جمع الاذن في قوله وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ومنها ان يقدر مضاف محذوف اى على حواس سمعهم ومنها الاستدلال بما قبله وبما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين والشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور السابعة من الناس من قال السمع افضل من البصر لتقديمه في اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسول اصم بخلاف البصر فمن الانبياء من كان مبتلى بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف والنتائج المعقولة الى الفهم والبصر سبب وصول المحسوسات الى البصر ولان السمع يتصرف في الجهات الست دون البصر ولان فاقد السمع في الاصل فاقد النطق بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق الاسماع الريح والبصر يرى من بعيد دون السمع ولان عجائب الله في تخليق العين اكثر منها في تخليق السمع وقد اسمع الله كلامه موسى من غير سبق سؤال ونوقش في الرؤية وفي المثل ليس وراء العيان بيان و

العين جمال الوجه ون السمع والحواس من فقد حسا فقد فقد علما وهو المتوقف على تلك الحواس ولا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس في موضعه ضروري وتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طائل تحته من دقق في كل مصنوع حكمته واحسن كل شئ خلقه الثامنة الاولى فيها الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار وعدمه عليهم سواء والاية الثانية فيها بيان السبب الذي لاجله لم يؤمنوا وهو الختم والتغشية فاحتج اهل السنة بالايتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق وعلى ان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم ومنعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسئل عما يفعل واما المعتزلة وامثالهم فيقولون كيف يليق بالشئ فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم ما به لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل ونحو ذلك من الايات الدالة على ان الكفر باختيار العبد وقدرته فتاولوا الاية على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا او مفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وعلى انها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى تخلو في زمرة الانعام لا تعي شيئا ولا تفقه كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء والشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة او انهم لما ترامى امرهم في التصميم على الكفر الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كانوا يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ويحكى ان الامام ابا القاسم الانصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسئلة فقال لا لانهم نزهوه لما يشبه الظلم والقبيح لا يليق بالحكمة وسئل عن اهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتاثير وايجاد وزعم الامام فخر الدين ان اثبات الاله يلجئ الى القول بالجبر لان الفاعلية لو لم يتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعثة الرسول وانزال الكتب ونقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الاخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وذلك يقتضي مذهب الاعتزال فلذلك بقيت هذه المسئلة في حيز الاشكال قلت وبالله تعالى التوفيق عندي ان المسئلة في غاية الاستنارة والسطوع اذا روعيت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن قادرا على كل الممكنات وخرج شئ من الاشياء عن علمه وقدرته وتاثيره وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح لمبدئية الكل فالهداية والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتاثيره وعلمه وارادته والايات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى ولو شاء لهديكم اجمعين ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها قل كل من عند الله كثيرة وكذا الاحاديث علوا فكل ميسر لما خلق له كل شئ بقدر حتى العجز والكيس احتج ادم وموسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل والنقل بقي الجواب عن اعتراضات المخالف اما حكاية التنزيه عن الظلم والقبائح فاقول لا ريب انه تعالى منزه عن جميع القبائح ولكن لا بالوجه الذي يذكره المخالف ليلزم منه النقص من جهة اخرى وهو الخلل في مبدئيته للكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى صفتي لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك ولا سيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام الاخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولا بد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين ومن والاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر القهر هم اهل النار والافعال المعقبة اياها وههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار انما يصح وجود كل من كل منهما بوجود الاخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف ولولا النار لم تثبت الجنة كما انه لولا الالم لم يتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يظهر الشبع والري ولله در القائل وبضدها تتبين الاشياء فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون بعمل اهل الجنة وللنار خلقا يعملون بعمل اهل النار ولا اعتراض لاحد عليه في تخصيص كل من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا يظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد وقال صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي او سعيد الحديث واذا تؤمل فيما قلت ظهر ان لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل الصريح ولا سيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح العقليين وليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيرا قريبا وبعضهم كناسا بعيدا كل منهما من ضرورات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص به مع ان كلا منهم ضروري في مقامه فهذا القائل يهدم بناء حكمته تعالى ويدعي انه يحفظه فاسد من حيث اصلح واما قوله اي فائدة في بعثة الرسل وانزال الكتب ففي غاية السخافة لانها لما



بينا انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فكيف يبقى للمعترض ان يقول لم جعل الله تعالى الشئ الفلاني كما انه ليس له ان يقول مثلا لم جعل الشمس سببا لانارة الارض غاية ما في الباب ان يقول اذا علم الله تعالى ان الكافر لا يؤمن فلم يامره بالايمان ويبعث اليه النبي فاقول فائدة بعث الانبياء وانزال الكتب بالحقيقة يرجع الى المؤمنين الذين جعل الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة لاهتدائهم انما انت منذر من يخشها كما ان فائدة نور الشمس تعود الى اصحاب العيون الصحاح واما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم على قلوبهم فكفائدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمه واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم ظاهرا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة النعي عليهم بانهم في اصل الخلقة ناقصون اشقياء وهذا المعنى مما لا يظهر لهم ابدا لغاية نقصانهم كما ان الاكمه ربما لا يعرف النقصير والنقصان منه وان سائر الشرائط من محاذاة المرائي وظهور النير موجودة وانما يعرف نقصانهم ارباب البصائر والابصار واما حديث التفرقة الضرورية بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا فاقول لا ريب ان للانسان ارادات وقوى بها يتم له حصول الملائم واجتناب المنافي الا ان تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فكانه لا اختيار والتفرقة المدعاة سببها في الرعشة نقصت واسطة هي الداعية وفي الحركة المسماة بالاختيارية زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات واستعن بها في سائر ما يقرع سمعك من هذا القبيل فلعلنا لا نكررها في كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستضئ بمصباح لم يستفد بنار والله يقول الحق وهو يهدي السبيل التاسعة العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول عذب عن الشئ اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير ويستعملان في المعاني والاعيان جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله منه العاشرة اتفق المسلمون اكثرهم على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفسروا قوله ولهم عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد في القران بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب العفو وذكروا ايضا دلائل عقلية مبنية على الحسن والقبح كقولهم التعذيب ضرر خال عن المنفعة لان الله تعالى منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم انه ينتفع به فالله قادر على ايصال النفع اليه من غير توسط ذلك العذاب والضرر الخالي عن المنافع قبيح بالبديهة كقولهم علم ان الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه امر متى لم يفعل ترتب عليه العذاب ما كان مستعقبا للضرر من غير نفع كان قبيحا فلم يبق الا ان يقال لم يوجد هذا التكليف ووجد لكنه لا يستعقب العقاب وكقولهم انه سبحانه هو الخالق للداعية المعصية فيقبح ان يعاقب عليها وكقولهم ان العبد لو واظب على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفى الله عنه فترى هذا الكرم العظيم ما بقي في الاخرة او سلبت عقول اولئك المعذبين فلا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يقبل الله منهم توبتهم ولم كان في الدنيا بحيث قال ادعوني استجب لكم وفي الاخرة بحيث لا يجيب عن دعائهم الا بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون والجواب بان تعذيبهم نقل الينا بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مصير الى انكاره والشبه التي تمسكتم بها تنهدم بانهدام قاعدة الحسن والقبح واقول قد ثبت بالبرهان اليقيني في المسئلة الثامنة ان وقوع فريق في طريق القهر ضروري في حكمته تعالى وكل ما يقتضيه حكمته وكماله كان حسنا والعقليين من ظن انه قبيح كان لخلل في عقله وقصور في فهمه فلا قبيح في النظر الا وهو حسن من جهات اخرى لا يعلمها الا منشئها وموجدها وهل يستقبح احد وقوع بعض الاحجار للملوك تيجانا وبعضها للحشوش جدرانا او وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلده الناس وبعضه نعالا يطأها الافراس حيث يرى كلا منها في مصالح الوجود ضروريا ثم العذاب في هو بالحقيقة البعد من الله تعالى لازم للكفر والعصيان والملزوم لا ينفك عن اللازم واما سبب عدم انتفاع الكافر والعاصي بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك لان محل الكسب هو الدنيا والتكليف بامتثال الاوامر والنواهي انما وقع فيها فليس لاحد ان يؤخر الامتثال الى الاخرة الا ترى انه لو قال الطبيب الحاذق لمريض اشرب الدواء الفلاني في اليوم الفلاني فقصر واخر حتى اذا مضى وقته واشرف على الهلاك قال اني امتثل الان لم ينفعه ذلك الدواء ولا يبعه الا الهلاك وكذا لو قال ملك لواحد افعل الامر الفلاني في هذا الوقت ففعله في وقت اخر لم يعد ممتثلا ولا ينفعه الايمان الا ان غرض الامتثال قد فات ولا سيما اذا فعل بعد ان يرى امارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون صدق الله العظيم ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم

بمؤمنين يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم

واز مردمان کسی است که میگوید که گرویدیم بخدا و بروز واپسین ونیستند گروندگان مخادعه کنند خدارا وانانکه گرویدند وفریب نمیدهند بجز نفسهای خودرا ودرک نکنند در دلهای ایشان ناخوشی است پس افزود ایشانرا خدا ناخوشی را ومر ایشانرا عذابی دردناک بجهة تکذیب ایشان وچون گفته شود بایشان که فساد مکنید در زمین گویند که جز این نیست که ما اصلاح کنندگانیم بدانکه ایشان

المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن
فساد كنندگان ولكن نمیدانند و چون گفته شد ایشانرا که بگروید چنانکه گرویدند مردمان گفتند آیا بگرویم چنانکه گرویدند بیخردان آگاه باش ایشان بیخردانند ولکن
لا يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ
نمیدانند و چون رسیدند بآنانکه گرویدند گفتند گرویدیم و چون تنها شدند بدوستان خود گفتند که ما با شمائیم جز این نیست که ما استهزاء کنندگانیم خدا استهزاء میکند
بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
بایشان و مهلت میدهد ایشانرا در سرکشی ایشان حیران ماندگان آن گروه آنانند که خریدند گمراهی را براستی پس سود نبخشید سوداگری ایشان و نبودند راه یابندگان

القراءة من الناس بمالة قراءة قتيبة ونصير كل القرآن ما كان مكسورا من يقول مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقعت حمزة وعلي وخلف وورش من طريق النجار يؤمنين غير مهموز ابو عمرو غير شجاع ويزيد الاعشى وورش وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الاسماء وما يخادعون ابو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم الله وبابه بما كان ماضيا بالامالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق ابن مجاهد النقاش ابن الاخرم ههنا بالامالة فقط يكذبون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف قيل وغيض وجيء بالاشمام علي وهشام ورويس السفهاء الا بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف ابن عامر السفهاء ولا بقلب الثانية واوا ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع السفهاء الا بقلب الاولى واوا وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة وكذلك ما اشبهها مما اختلفت الهمزتان فيها الا ان يكون الاولى منهما مفتوحة مثل شهداء الخاتمة واشباه ذلك مستهزؤن وبابه بترك الهمزة في الحالين يزيد وافق حمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها ومن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتليين شبه الياء والواو وطغيانهم حيث كان قتيبة ونصير وابو عمرو بالهدى وما اشبهها من الاسماء والافعال من ذوات الياء بالامالة حمزة وعلي وخلف وقراء اهل المدينة بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وكذلك كل كلمة يجوز الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم الوقوف بمؤمنين لما مر في المقدمة التامة آمنوا العطف الجملتين المتفقتين مع ابتداء النفي لا يشعرون لا لابتداء وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الجار بما بعده مرض لان الفاء للجزاء وكان تأكيدا لما في قلوبهم مرض عطف جملتين مختلفتين يكذبون في الارض لان قالوا جواب وعامله مصلحون لا يشعرون كما آمن السفهاء للابتداء بكلمة التنبيه ومن وصل فليجعل رد السفه عليهم لا يعلمون آمنا لتبدل وجه الكلام معنى مع ان الوصل اولى لبيان حاليهم المتناقضين وهو المقصود شياطينهم لان قالوا جواب اذا معكم تحرزا عن قول ما لا يقوله مسلم وان جاز الابتداء بانما مستهزءون يعمهون بالهدى لانقطاع النفس ولا يلزم العود لان ما بعده بدون ما قبله مفهوم مهتدين التفسير فيه مباحث المبحث الاول في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية وفيه مسائل الاولى عن مجاهد قال اربع آيات من اول هذه السورة نزلت في المؤمنين وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلث عشرة بعدها نزلت في المنافقين فاقول احوال القلب اربع الاعتقاد المطابق عن الدليل وهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك واحوال اللسان ثلث الاقرار والانكار والسكوت كل منها بالاختيار او بالاضطرار فيحصل من التراكيب اربعة وعشرون قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر النوع الاول العرفان القلبي ان انضم اليه الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مؤمن حقا بالاتفاق واضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما اقر فهو بقلبه منكر مكذب وجوب الاقرار وان انضم اليه الانكار اضطرارا فهو مسلم لقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان واختيارا فهو كافر معاند وان انضم اليه السكوت اضطرارا فمسلم حقا لانه خائف كما عرف من نجاة فيكون معذورا واختيارا فمسلم ايضا عند الغزالي وعند كثير من الامة لقوله صلعم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان النوع الثاني الاعتقاد التقليدي ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو المشهور من ان المقلد مؤمن ام لا والاكثرون على ايمانه واضطرارا فمنافق بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا فلا شك في كفره واضطرارا فمسلم عند من حكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على اسلام المقلد واختيارا فكافر معاند النوع الثالث الانكار القلبي مع الاقرار اللساني اضطرارا نفاق وكذا اختيارا لانه اظهر خلاف ما اضمر ومع الانكار اللساني كفر كيف كان وكذا مع السكوت النوع الرابع القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختيارا فان كان صاحبه في مهلة النظر لم يلزمه الكفر لكنه فعل ما لا يجوز له حيث اخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه ام لا وان كان لا في مهلة النظر ففيه نظر اما اذا كان اضطراريا فلا يكفر صاحبه لان توقفه اذا كان في مهلة النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الاقرار لم يكن عمله قبيحا والقلب الخالي مع الانكار اللساني كيف كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في مهلة النظر فذلك هو الواجب وان كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم ان المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره وباطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره او كان باطنه خاليا عما يشعر به ظاهره ومنه النافقاء احدى حجرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق اي خرج الثانية زعم قوم ان الكفر الاصلي اقبح من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الآخرون المنافق ايضا كاذب باللسان لانه يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه قال عز من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وايضا انه قصد التلبيس والكافر

الاصلي



الاصلي لا يقصد ذلك وايضا الكافر الاصلي على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخناثى وايضا الكافر ما رضي لنفسه بالكذب بل استنكف منه والمنافق رضي بالكذب وايضا المنافق ضم الى الاستهزاء والخداع دون الكافر الاصلي ولغلظ كفر المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الكفار في آيتين وحال المنافقين في ثلث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة الثالثة قصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس بدليل انسان وانس واناسي حذفت الهمزة تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم وقوله شعر ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا قليل ونويس من المصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان سموا بذلك لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول كما يقال وزن قِ افعِل وهو اسم الجمع كرخال للانثى من اولاد الضأن واما الذي مفرده رخل بكسر الخاء فبكسر الراء ومن في من يقول موصوفة ان جعلت اللام في الناس للجنس كقوله من المؤمنين رجال اذ لا يكون يعني الكلام ان في جنس الانس طائفة كيت وكيت فيعود فائدة الكلام الى الوصف فان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطائفة الموصوفة بكونها محالة من الناس ولا يجوز ان يكون من موصولة ح لان الصلة تكون جملة معلومة الانتساب الى الموصول فيبطل فائدة الوصف فيه فيبقى الكلام غير مفيد راسا وان جعلت اللام للعهد فمن يكون موصولة نحو ومنهم الذين يؤذون النبي ويكون اللام اشارة الى الذين كفروا لما ذكرهم ولا يجوز ان يكون موصوفة اذ ذاك لان فائدة الكلام تعود الى الوصف ايضا ولكن لا يحاوبه نظم الكلام اذ يصير المعنى ان من المختوم على قلوبهم طائفة يقولون كيت وكيت وما هم بمؤمنين ومن البين ان مدلول قوله وما هم بمؤمنين معلوم من حال المطبوع على قلوبهم فيقع ذكره ضايعا والضمير العائد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ومجموعا اخرى باعتبار المعنى مثل ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في الآية في يقول وآمنا وانما اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر لانهما قطرا الايمان ومن احاط بهما فقد حاز الايمان بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت ان كان هؤلاء المنافقون من المشركين فظاهر عدم ايمانهم بالله واليوم الآخر وان كان من اليهود فكيف يصح ذلك قلت ايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فقولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة واستهزاء وتخييلا للمسلمين انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا وكفرا الى كفر والمراد باليوم الآخر اما طرف الابد الذي لا ينقطع لانه متأخر عن الاوقات المنقضية او الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت بعده فان قلت كيف طابق قولهم وما هم بمؤمنين قولهم آمنا والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني بالعكس قلت لما اتوا بالجملة الفعلية ليكون معناها احدثنا الدخول في الايمان ليروج دعواهم الكاذبة جيء بالجملة الاسمية ليفيد نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع وانهم ليس لهم استيهال ان يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين وكان هذا اوكد وابلغ من ان يقال انهم لم يؤمنوا ونظير الآية قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ثم ان قوله وما هم بمؤمنين يحتمل ان يكون مقيدا وترك لدلالة التقييد في آمنا ويحتمل الاطلاق اي انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما البحث الثاني في قوله يخادعون الله الى بما كانوا يكذبون اعلم ان الله ذكر من قبائح افعال المنافقين اربعة اشياء احدها المخادعة واصلها الاخفاء ومنه سميت الخزانة المخدع والاخدعان عرقان في العنق خفيان وخدع الضب خدعا اذا توارى في جحره فلم يظهر الا قليلا والخديعة مذمومة لانها اظهار ما يوهم السلامة والسداد وابطان ما يقتضي الاضرار بالغير او التخليص منه فهي بمنزلة النفاق في الكفر والرياء في الافعال الحسنة فان قيل مخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا كما قال والله شعر تلك اللقانات اللتي علقتها عرضا ان الحليم وذا الاسلام يختلب لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم ويحتمل ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم ويحتمل ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته والناطق باوامره ونواهيه مع عباده ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم هذا المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا الغرض ذكر الاحاطة بفضل زيد لان زيدا كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد لكن ذكره توطئة وتمهيد ووجه الاقتصار بخادعت على ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله

وحده من غير مغالبة ولا مبارزة لزيادة قوة الداعي اليه يخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كأنه قيل لم يدعون الايمان كاذبين فقيل يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن انفسهم احكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين اياهم واعطائهم الحظوظ من المغانم واطلاعهم على اسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي يذكر ههنا من انه تعالى لم ابقى المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر امره حتى لا يصل من اغراض الخداع الى ما وصل وارد على استبقاء الكفار وسائر اعداء الدين بل على استبقاء ابليس وذريته وتحل العقدة في الجميع بما سلف لنا من الحمائق ولا سيما في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقراءة من قرأ وما يخادعون الا انفسهم اي وما يعاملون تلك المعاملة الا انفسهم لمعاملة المخادعين الا انفسهم لان مكرها يحيق بهم ووبالها عائد عليهم لان الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين ويصرفه اليهم كقوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل ان يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وانفسهم ايضا تمنيهم وتحدثهم بالاماني الكاذبة ويراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تعالى تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس ومشاعر الانسان حواسه المعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لكن لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له والمرض حالة توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة بان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض ومجازا بان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي فان صدورهم كانت تغلي على الرسول عليه السلام غلا وحنقا واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وناهيك بما كان من ابن ابي وقوله لسعد بن عبادة لرسول الله عليه السلام اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر شبه التاج اي يجعلوه ملكا فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك ويراد ما يداخل قلوبهم من الضعف والخور لانهم كانوا يطمعون ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق وما قذف الله في قلوبهم من الرعب ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فكفروا به ازدادوا كفرا الى كفرهم فاسند الفعل الى المسبب كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا كما قال الحكيم البدن الغير النقي كلما غذوته زدته شرا وكلما زاد رسوله نصرة وتبسطا ازدادوا حسدا وبغضا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع ويحتمل ان يقال الغل والحسد قد يفضي مزاج القلب ويؤدي الى تلف صاحبه كقوله شعر

اصبر على مضض الحسود ❊ فان صبرك قاتله
النار تأكل نفسها ❊ ان لم تجد ما تأكله

فافضا صاحبه الى الهلاك هو المعنى بالزيادة والاليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والالم بالحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفي ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وسمجه وما روي عن ابراهيم عليه السلام انه كذب ثلث كذبات احدها قوله اني سقيم وثانيها قوله لسارة حين اراد ان يغصبها ظالم انها اختي وثالثها قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر بكون المخبر عنه مخالفا للخبر والصدق نقيضه وقراءة من قرأ يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذي هو نقيض صدقه واما من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونحوه بان الشيء وبين ومنه قولهم قد بين الصبح لذي عينين او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره مذبذب بين ذلك قال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية اي بكذبهم وكان مقحمة لتفيد الثبوت والدوام اي بسبب ان هذا شأنهم وكيفيتهم البحث الثالث في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع الثاني من قبائح افعال المنافقين فقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون اي ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا اذا قيل لهم كذا قالوا كذا اما على يقول اي ومن الناس من اذا قيل لهم ويحتمل ان يقال الواو للاستيناف واسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا ليس من اسناد الفعل الى الفعل فانه لا يصح لكنه اسناد الى لفظ الفعل اي واذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل لهم اما النبي عليه السلام اذا بلغه عنهم النفاق ولم يقطع بذلك نصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وانهم في الصلاح واما بعض من كانوا يلقون اليه الفساد كان لا يقبل منهم وبعظهم واما بعض المؤمنين ولا يجوز ان يكون القائل ممن لا يختص بالدين والفساد خروج الشيء عن ان يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي ان المراد بالافساد المنهي عنه اظهار معصية الله تعالى فان الشرائع سنن موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل احد شأنه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج وكان ذلك صلاح الارض واهلها اما اذا اهملت الشريعة واقدم كل واحد على ما يهواه اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم اياهم لانهم اذا مالوا الى الكفار مع انهم في الظاهر مؤمنون اوهم ذلك ضعف امر النبي عليه السلام واصحابه فيصير سببا لطمع الكفار في المؤمنين فيهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر الى تكذيبه ويلقون الشبه ويفشون اسرار المؤمنين ولما نهوا عن الافساد في الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له فههنا احتمالات احدها انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الصواب وكان

سعيهم لا



سعيهم لاجل تقوية ذلك الدين فزعموا انهم مصلحون وثانيها اذا فسروا الافساد بموالاتهم الكافرين ان يكون مرادهم ان الغرض من تلك الموالاة هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد انكار ذلك اعني افشاء اسرار المسلمين ونسبة انفسهم الى الاستقامة وجيء باداة القصر دلالة على ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت اي حالنا مقصورة على الاصلاح لا تتعداه الى غيره والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي فيفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله تعالى اليس ذلك بقادر ولافادتها التحقيق لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها قال اما والذي ابكى واضحك والذي امات واحيا والذي امره الامر رد الله ما ادعوه من الانضمام في زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف فان ادعائهم ذلك مع توغلهم في الفساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكمهم فرد الله عليهم وكان وروده بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما في الا وان من التاكيد ومن قبيل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون البحث الرابع في قوله واذا قيل لهم آمنوا الآية هذا هو النوع الثالث من قبائح افعال المنافقين وذلك ان المؤمنين اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لما يجر الى الفساد والفتنة والثاني دعوتهم الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وبعبارة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما ينبغي لان كمال الانسان في هاتين وكان من جوابهم فيما بينهم او للقائل ان سفهوهم وفي هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل شعر

واذا اتتك مذمتي من ناقص ❊ فهي الشهادة لي بأني كامل

وما في كما يجوز ان تكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولك ربما عمرو واو تصديقي كما عمرو واحي ويجوز ان تكون مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن الرسول عليه السلام ومن معه وهم ناس معهودون اي ليكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هؤلاء ثابت وتحصيل ايمانكم كحصول ايمان هؤلاء او آمنوا كما آمن عبد الله بن سلام واتباعه لانهم من اجلائهم اي كما آمن اصحابكم ويحتمل ان يكون للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية من الاقرار اللساني الناشئ عن الاعتقاد القلبي وجعل المؤمنون كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس في عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه وللجنس ويطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه وهو ضد الحلم واصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجرة اذا مالت به قال ذو الرمة شعر

جرين كما اهتزت رماح تسفهت ❊ اعاليها مر الرياح النواسم

وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم واضلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق ولانهم كانوا في رياسة وثروة وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم كما قال قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه لما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم عن انس انه سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله عليه السلام وهو في ارض يخترف فاتى النبي فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال عليه السلام اخبرني بهن جبرئيل آنفا اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله عليه السلام يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسألهم بهتوني فجاءت اليهود فقال اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله بن سلام قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى الحق عليهم هذا اللقب مقرونا بالمؤكدات التي بيناها في قوله الا انهم هم المفسدون وذلك ان من اعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع آخرته بدنياه قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واي من السفه معاداة المحدودين يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم كالطود يحتم نطحة الاوعال انما فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل امر عقلي نظري واما النفاق وما يؤل اليه من الفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات وخصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان فيما بينهم من التجالب والتحارب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له البحث الخامس في قوله واذا لقوا الآيات هذا هو النوع الرابع من قبائح افعالهم والفرق بين هذه الآية وبين قوله ومن الناس من يقول آمنا ان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله عليه السلام فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي واخبروه بذلك فنزلت ويقال لقيته اذا استقبلته قريبا منه ولاقيته

ولاقيته

بفلان واذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا اى اذمه اليك اى انهي اليك حمد فلان او ذمه وعن ابن عباس انى احمد اليكم غسل الاحليل اى اعلمكم انه امر محمود وشياطينهم رؤساؤهم واكابرهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اما اكابر المنافقين فالقائلون انا معكم اى مصاحبوكم وموافقوكم على امر دينكم اصاغرهم واما اكابر الكافرين فالقائلون يحتمل ان يكون جميع المنافقين وانما فسرنا بالرؤساء لانهم هم القادرون على الافساد في الارض وانما خاطبوا المؤمنين باضعف الجملتين وهي الفعلية وشياطينهم باقواها اعنى الاسمية المحققة بان لانهم في ادعاء حدوث الايمان الناشئ عن صميم القلب منهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان كاملون اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه وهكذا كل قول لم يصدر عن صدق رغبة وباعث اعلى واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار القائلين ربنا اننا امنا واما خطابهم اخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة وفي خبر القبول والرواج فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وانما فقد العاطف بين قوله انا معكم وبين قوله انما نحن مستهزءون لان الاول معناه الثبات على الكفر والثاني رد الاسلام لان المستهزئ بالشئ منكر له دافع ودفع نقيض الشئ اثبات وتاكيد للشئ او لان الثاني بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او لانه قيل لهم لما قالوا انا معكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم ان الله تعالى اجابهم باشياء احدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استيناف في غاية الجزالة والفخامة كانه سئل ما مصيرهم وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفي الالتفات من الحكاية الى المظهر ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي استهزاؤهم بالنسبة الى ذلك كالعدم وفي تخصيص الله بالذكر مع قرينة ان المؤمنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزاء الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد الاقصى للمستهزئ او سمى جزاء الاستهزاء استهزاء مثل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او عاملهم الله معاملة المستهزئ في الدنيا لانه كان يطلع الرسول على اسرارهم مع كونهم مبالغين في اخفائها وفي الاخرة على ما روي عن ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم في الموضع الذي هو مسكن المنافقين فاذا راى المنافقون الباب مفتوحا اخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون الى الجنة واهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهناك يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فهذا هو الاستهزاء وانما لم يقل الله مستهزئ ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون لان المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الايات في شانهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم في طغيانهم هو من مد الجيش وامده اذا زاده والحوه بما يقويه وكذلك مد الدواة والسراج زادهما ما يصلحهما وانما قلنا انه من المدد لا من المد في العمر والامهال لقراءة نافع في موضع اخر واخوانهم يمدونهم في الغي على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملي له قاله في الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهري مده في غيه اى امهله والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو ومعنى مد الله تعالى اياهم في الطغيان يعرف في تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بانه لما منعهم الطاف التي منحها المؤمنين بقيت قلوبهم تتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في صدور المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا او بانه لم ينورهم او بانه اسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره ولا يخفى ما في هذا الوجه من التكلف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب من هذا القبيل كما قيل ان النكتة في اضافة الطغيان اليهم هي ان يعلم ان التمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم وان الله بريء منه فان الانتهاء الى الله تعالى لما كان ضروريا فكيف يتبرء من ذلك يعمهون في موضع الحال والعمه كالعمى الا ان العمى في البصر وفي الراى والعمه في الراى خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه وثالثها قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروها واستبدلوها به وهذه استعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر قال ابو النجم شعر اخذت بالجمة راسا ازعرا ❁ وبالثنايا الواضحات الدردرا ❁ وبالطويل العمر عمرا جيدرا ❁ كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني اسرائيل يتفقهون لغير الدين ويعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل الاخرة جعلوا التمكن من الهدى بحسب الفطرة الانسانية الشخصية كانه في ايديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهي الجور عن القصد وفقد الاهتداء ومنه الضلال فما ربحت تجارتهم تقفرا اى حجره والدعوة لها الفاقة ونحوها يضرب لمن يعيى بامره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس المال والتجارة مصدر وانما اسند الخسران اليها وهو لصاحبها اسنادا مجازيا بالملابسة التجارة بالمشترين وقد يقال ربح عبدك وخسرت جارتك مجازا اذا دلت الحال ولما ذكر الله سبحانه شرى الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ما يشاكله ويواخيه من الربح والتجارة ليكون الاستعارة مرشحة كقوله شعر فلما رايت النسر عز ابن داية ❁ وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب

شعر   غلب   الغراب   ... الفرخ ...



اتبعه ذكر التعيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لان مطلوب التاجر في متصرفاته شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة والضلالة امر عدمي فلا عوض ولا معوض فلا ربح ولا راس المال وهكذا حال من يدعي الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عشرة الكفار وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واذا اقبل الليل من ههنا ادبر النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسئله ان يعصمنا من الضلالة بعد الهداية مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم

مانند ايشان چون حال ... افروزند ... پس چونکه روشن گردانيد آتش گرداگرد او را ببرد خدا روشنی ايشان را وواگذاشت ...

في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون او كصيب من السماء فيه ظلمات و

در تاريکيها که نتوانند ديد کران وگنگان وکوران پس ايشان باز نگردند يا چون ابری از آسمان که در ان تاريکيهاست و

رعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين

رعد وبرق بگردانند انگشتهاشان را در گوشهاشان از صاعقها از ترس مردن وخدا احاطه کننده است بکافران

يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب

نزديکست که برق ببرد چشمهای ايشان را هرچند که روشنی دهد ايشان را بروند در ان وچون تاريک شود بر ايشان بايستند واگر خدا خواهد هر اينه ببرد

بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير القراءة اذانهم وبابه بالامالة نصير وابو عمرو بالكافرين وما اشبهها مما كان في

گوش ايشان را وچشم ايشان را هر اينه خدا بر هر چيز تواناست

الخفض بالامالة ابو عمرو وقتيبة ونصير وابو عمرو ويعقوب غير روح شاء الله حيث كان بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان وعلي الوقوف نارا لان جواب لما فيها من معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون ه لا يرجعون ه للعطف باو وهو للتخيير ومعنى التخيير لا يبقى مع الفصل ومن جعل او بمعنى الواو جاز وقفه لعطف الجملتين مع انها راس اية وقد اعترضت بينهما اية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر المحذوف اى هم يجعلون او حالا عاملها معنى التشبيه في الكاف وذو الحال محذوف اى كاصحاب صيب الموت بالكافرين ه ابصارهم لان كلما استيناف فيه لان تمام المقصود بان الحال المضاد للحال الاول قاموا وابصارهم ط قدير التفسير لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان ولضرب الامثال شان ليس بالخفي في رفع الاستار عن الحقائق حتى يبرز المتخيل في معرض اليقين والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد ولامر ما اكثر الله تعالى في كتبه امثاله وتلك الامثال نضربها للناس وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل خلق ان طلبته تباعد ان تركت تتابع مثل الجليس الصالح كمثل الداري وامثال العرب اكثر من ان تحصى حتى صنف فيها كتب مشهورة والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر المشبه مضربه بمورده مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ عن التغيير واما ههنا فاستعير المثل للحال او الصفة او القصة التي فيها غرابة ولها شان شبهت حالهم العجيبة الشان من حيث انهم اوتوا ضربا من الهدى بحسب الفطرة ولما نطقت به السنتهم من كلمة الاسلام تحقنوا دماءهم واموالهم عاجلا ثم لم يتوسلوا بذلك الى النعيم الابدي باستبطانهم الكفر فيؤل حالهم الى انواع الحسرات واصناف العقوبات بحال الذي استوقد نارا في توجه الطمع الى شيء مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب والمراد بالذي استوقد ما جمع كقوله وخضتم كالذي خاضوا وحذف النون لاستطالته بصلته او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا ولولا عود الضمير الى الذي مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة على انه يمكن ان يشبه قصة جماعة بقصة شخص واحد نحو مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار وتوقد النار سطوعها وارتفاع لهبها واوقدتها انا واستوقدتها ايضا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندا الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء او يستتر في الفعل اللازم ضمير النار ويجعل اشراق ما حول النار بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة والعام حول لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى الذي استوقد نظرا الى المعنى كما ان الضمير في حوله راجع اليه من حيث اللفظ وقيل الاولى ان يقال الجواب محذوف مثل فلما انهبوا به لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من الذكر في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله كان ما كان من حصولهم خابطين في ظلام متحيرين خائبين بعد الكدح في احياء النار ثم ان سائلا كانه يسئل ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم اى بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل ان يكون الذي مفردا ويمكن ان يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان اى مثلهم كمثل الذي استوقد ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل الى الله انه اذا طفئت النار بسبب سماوي كريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد او يكون المستوقد مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة

مدة اشتغالها واضاءتها فمنافعها الدنيوية قليلة البقاء وللباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله واما نارا حقيقية او قدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفأها الله وخيب امانيهم وانما لم يقل ذهب الله بضوئهم على سياق فلما اضاءت لان ذكر النور ابلغ في الغرض وهو ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا فان الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه وامسكه وما يمسكه الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة شعر فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور عما من شأنه ان يستنير وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد الرؤية وتمنع في جمع الظلمة وتنكيرها واتباعها ما يدل على انها ظلمة لا يترآى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون دلالة على ان الظلمة بلغت مبلغا يبهت معها الواصفون وكذا في اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد ليسوا من اهل الابصار عن سعيد اصلا ومحل لا يبصرون اما جر صفة لظلمات اي لا يبصرون فيها شيئا واما نصب مفعولا ثانيا او حالا منهم مثل ونذرهم في طغيانهم يعمهون اي حالكونهم ليسوا من اهل الابصار عن سعيد بن جبير نزلت في اليهود وانتظارهم لخروج النبي صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك النور ثم انه كان من المعلوم من حالهم انهم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا بمن ايفت مشاعرهم فقيل هم صم بكم عمي حيث سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويستبصروا بعيونهم وانما قلنا ان ما في الاية تشبيه لا استعارة مع ان المشبه مطوي ذكره كما هو حق الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به لانه بقي الخبر بلا مبتدأ ومعنى لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه وعن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون والى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون شعر ووقف الهوى بي حيث انت فليس لي : متأخر عنه ولا متقدم : ومثله حال مريد الطريقة الذي له بداية ولازم خلوته وصحبته حتى برقت له من صفات القلب شوارق الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق الذوق طرقته الهواجس وازعجته الوساوس فرجع قهقرى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة فغابت شمسه واظلمت نفسه وضل يومه امسه ثم انه تعالى ضرب للمنافقين مثلا اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف ايضاحا غب ايضاح لان المقام مقام تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنافقين كمثل المستوقدين او كمثل ذوي صيب على معنى ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين فانهما سواء في صحة التشبيه بهما فانت مخير في التشبيه بايهما شئت نحو جالس الحسن او ابن سيرين والتمثيلان جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به بل يراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وهي انهم في مقام المطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لا يحظون الا بضد المطموع فيه من مجرد مقاساة الاهوال وشدائد الاحوال ولا يخفى ان التمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا او كمثل ذوي صيب مع انه لا يلزم في التشبيه المركب ان يلي حرف التشبيه مفردا يتأتى التشبيه به الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء اذ الكاف فيه داخل على الماء لا ان التشبيه مركب لان الضمير في يجعلون لا بد له من راجع هذا هو التحقيق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يحوم حوله من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا يكون تقدير المضاف ضروريا بالتصحيح تشبيه المنافقين بهم ويكون المعنى مثلهم كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا ويكون ذكر المشبهات مطويا على سنن الاستعارة والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد بدليل ما ذكرنا في التمثيل الاول لما ذكر السماء هذه المظلة والفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الافاق ولكنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وبنه مبالغات من جهة التركيب من صدور البناء على فيعل والتنكير مد ذلك بان جعله مطبقا واعلم انه اذا وقعت القوى الفلكية على العناصر باذن الله تعالى فحركتها وخلطتها حصل من اختلاطها موجودات شتى فاذا هيج الفلك باسخانه الحار ميخرج عن الاجسام المائية دخن من الاجسام الارضية واثار شبيها بين البخار والدخان من الاجسام المائية والارضية اما الدخان فانه قد يتعدى صعوده حيز الهوى الى ان يوافي تخوم النار فيشتعل وربما سعى به الاشتعال فيرى كانه كوكب ينقض وربما لم يشتعل بل احترق وثبت فيه الاحتراق فرأيت العلامات الهائلة الحمر والسود واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا فيتراكم ويكثر مدده في اقصى الهوى عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا فينزل

كما يوافقه



كما يوافيه برد الليل قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي اعني السحاب فنزل ان كان ثلجا وربما جمد البخار الغير المتراكم في الاعالي اعني مادة الطل فنزل ان كان صقيعا وهو ما يسقط بالليل من السماء شبيها بالثلج وربما جمد البخار بعد ما استحال وقطرات ماء فكان بردا وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب في الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء وجمد لشدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا واما الجواهر البخارية والدخانية المركبة من مادتي الرطوبة واليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فيكون منها الرياح اذا تصعدت فتميز البخار من الدخان انعقد البخار سحابا وبرد فتغلغل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فيحصل من تغلغله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما امتد ذلك التغلغل لكثرة وصول المواد ويكون اعالي السحاب اكثف لان البرد هناك اشد ويكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع الى اسفل وقد اشعلته المحاكة والحركة نارا برقا فتنشق السحاب شعلة كجمر يطفى فيسمع من ذلك ضرب من الرعد ان كان قويا شديدا غليظ المادة كان صاعقة وربما وجد منفذا فيه سهل الانشقاق فخرج بلا رعد واشتغالنا بهذا القدر من الحقائق في هذا المقام لا ضير في معرفتها بعد ان يعتقد انتهاء اسبابها الى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ارتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق من سيبويه والاخفش لاعتماده على موصوف والصيب ان كان سحابا فظلماته سحمة وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه وانتساجه تتابع القطر وظلمة اظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فكونه متلبسين به في الجملة سوغ ذلك وانما لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحتري : يا عارضا متلفعا ببروده : يختال بين بروقه ورعوده : وكما قيل ظلمات لانهما في الاصل مصدران فروعي حكم الاصل ويمكن ان يراد بهما الحدث كانه قيل وارعاد وابراق ونكرت هذه الاشياء لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب لانه في حكم المذكور قال حسان : يسقون من ورد البريص عليهم : بردى يصفق بالرحيق السلسل : ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى وهي واد بدمشق والبريص نهر من انهارها ويصفق اي يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا كانه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم ثم سئل فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما لم يقل انا ملهم مع انها التي تجعل في الاذن لان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا ايديهما والمراد الرسغ وليس بعض الاصابع كالمسبحة مثلا لجعلها في الاذن اولى من بعض حتى يقال لم ذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق اي من اجل الصواعق نحو سقيه من العيمة وقد يحصل بما ذكرنا ان الصاعقة قصيفة رعد تنقض معها شقة من نار تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله شعر واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض يعاقب الحيوة لا يصح معه احساس واحاطة الله بالكافرين مجاز اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من افعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودا ومكادة وضعت لمقاربة الشيء فعل او لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفي الفعل ومقرونه بالجحد ينبئ عن وقوع الفعل وخبر كاد فعل مضارع بغير ان وهو ههنا يخطف والبرق واسمه والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه قيل كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفوته واما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم في مطرح نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة وفوقها السعي وفوقه العدو واظلم اما لازم وهو الظاهر واما متعد منقول من ظلم الليل اي اظلم البرق الطريق عليهم بان فتر عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد وانما قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه كلما صادفوا منه فرصة انتهزوها فخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف والتحبس ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها وهذا الحذف في شاء واراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله شعر فلو شئت ان ابكي دما لبكيته : عليه ولكن ساحة الصبر اوسع : قال عز من قائل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الثاني لانتفاء الاول وقد يجيء للمبالغة كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فان المراد ان عدم العصيان ثابت على كل حال لانه على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى تقدير الخوف اولى والشيء اعم العام كان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل العقل لان الاشياء ما لا يتعلق به للقادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته واما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده لان جميع ذلك بقدرة القادر فلا ينبغي ان نأمن الافات ونحذر من اللحظات عن تأثير القادر فيه وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته

ونقيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي
ای مردمان بپرستید پروردگار تانرا آنکه آفرید شمارا وآنهارا که پیش از شما بودند شاید که شما پرهیزید آنکه
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
گردانید از جهت شما زمین را مانند بساط گسترده وآسمان را چون خانه وفرود آورد از آسمان آبی پس برآورد بدان آب از میوها بهره شما پس مگردانید برای خدای همتایان و شما میدانید

القراءة خلقكم مدغما ابو عمرو كذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وصدقكم ويورقكم وميثاقكم واشباه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها باظهار صوت القاف قال غيره وهو ابن مهران لا يظهر ذلك كل صواب الوقوف تتقون لان الذي صفة الرب تعالى بناء لعطف الجملتين المتفقتين لكم لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون التفسير لما قدم الله تعالى احكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم ومجارى امورهم عاجلا واجلا اقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذي يورث الكلام رونقا وبهاء ومزيدا للسامع هزة ونشاطا ومن لطائف المقام انه تعالى كانه يقول جعلت الرسول واسطة بيني وبينك ولا والان اريد في اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الادلة شرف المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل بالعبودية ازداد قربا وحضورا وايضا الايات المتقدمة حكايات احوالهم وهذه امر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة وهي ان يرفع الملك الواسطة من البين يخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف بالتكليف ويسهل هذا وقد صح الاسناد عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة بحسب هذا النقل وان كان من الجائز ان يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف وضع لاجل التخفيف مقام انادي لانشائية لا الاخبارية وههنا نكتة وهي ان اقوى المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يأتلف الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعوني استجب لكم واذا سألك عبادي عني فاني قريب فاذكروني اذكركم ويا وضع في اصله لنداء ما ليس بقريب حقيقة او تقديرا لكونه ساهيا او غافلا او نائما او لتبعيد المنادي عن ساحة عزة المنادي هضما واستقصارا كقول الداعي في جواره يا رب يا الله مع انه اقرب اليه من حبل الوريد ليتحقق الاجابة بمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم وقد ينادى القريب المفاطن في غير هذه الصورة بيا ويكون المراد بان الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا نحو يا ايها الذين امنوا يا عبادي يا ايها النبي لان ما يعقبها امور عظام وخطوب جسام من الاوامر والنواهي والعظات عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليتضح المقصود بالنداء مع ضرب من التاكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح وفي حرف التنبيه المقحم فائدتان معاضدة حرف النداء بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان الجمع المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تاكيده بكل واجمعون في مثل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وبدليل صحة الاستثناء فلا قرابة لا يتناول الذين سيوجدون بدليل منفصل هو ما عرف بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان حكم الموجودين في عصره حكم من سيوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركي مكة فيدخل سائر الناس بالتبعية على قياس ما قلنا والمراد من قوله اعبدوا اصحوا نسبة العبادة وذلك بان عرف نفسه بالامكان ليعرف ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالمالكية ويعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية ويعرف نفسه بالمملوكية ليعرف ربه بالمالكية والذلة ليعرف ربه بالامرية والعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس هذه القضايا فلا يرى لنفسه تصرفا بوجه من الوجوه ولا قدرة بنوع من الانواع وانما يكون عبدا ذليلا ماثلا بين يدي مولاه طائعا له بكل ما يامره وينهاه لانه اذا تصور كونه عبدا فلا بد ان يطلب لنفسه سيدا واذا وجد السيد فلا محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده ولا يرى مخالفته في شيء اصلا اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين والا لم يصح نسبة العبودية عن الاصمعي انه اتى بغلام ليشتريه فقال له ما اسمك قال ما تسميني قال اي شيء تاكل قال ما تطعمني قال ما تشرب قال ما تسقيني قال لله درك ان اشتريك فالعبد لا يكون له ارادة والامر بالعبادة بهذا المعنى يشمل الكافر والمؤمن وكل من له اهلية الخطاب ويندرج فيه المبادي والنهايات والاصول والفروع ثم انه تعالى لما علم القصور البشري وضعف قواهم الفطرية والفكرية ارشدهم اليه ونبههم عليه بقوله ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واعلم ان الطريق الى معرفة الواجب سبحانه وتعالى بعد ما قلنا من الرجوع الى النفس والتنبه لسمة العبودية اما الامكان او الحدوث ومجموعهما كل منها في الجواهر او في الاعراض اما الاستدلال بامكان الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء وان الى ربك المنتهى واما الاستدلال بامكان الصفات خلق الله السموات والارض جعل لكم الارض فراشا وبحدوث الاجسام قول ابراهيم عليه السلام لا احب الآفلين وبحدوث الاعراض دلائل الانفس ودلائل الافاق فان كل احد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك الموجد بعد العدم له موجد



ليس هو نفسه ولا الابوان ولا سائر الناس لعجز الكل ولا الطبائع الفصول والافلاك الافلاك في افق الامكان فهو شيء غير متسم بسمة الحدوث والنقصان وهذا الطريق هو اقرب الطرق الى الافهام فلهذا اورده الله تعالى في فاتحة كتابه لينتفع به الخاص والعام مع ان فيه تذكير النعم السابغة ومتضمنه عطية السابقة عليهم وعلى ابائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الى الانصاف وترك الجدال واما قوله لعلكم تتقون ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي او الاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعاقبة وهو على الله تعالى محال والجواب ان الترجي راجع الى العباد لا الى الله تعالى كقوله لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما في ايمانه ثم على ما يؤول اليه سره وفيه نمن دين الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ولا يبقى لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح بالمطلوب فجاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم او وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ونظيره ليبلوكم ايكم احسن عملا وهذا الجواب مبني على ان قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لا باعبدوا وقيل لعل بمعنى كي وجه بانها للاطماع والكريم الرحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة بجري اطماعه مجرى عده المحتوم فلهذا قيل انها بمعنى كي قال القفال في لعل معنى التكرير والتاكيد اذ اللام للابتداء نحو لقد وكقولهم علك ان تفعل كذا وعل يفيد التكرير ومنه العلل بعد النهل فقول القائل افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فان فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك عليه البحث الثاني اذا كانت العبادة تقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم تعبدون والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما وخصوصا على ما فسرنا اذ المعنى يعود الى قولنا صححوا نسبة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى وهي الاجتناب عن المعاصي فقط او هو مع الاتيان بتمام الاوامر واما ان يكون رفعا على المدح ايضا اي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للاشارة الى المفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جعل لكم الارض فراشا قضية معلومة فادخل عليها الذي ليتنبهوا للجاعل والحاصل انه تعالى عدد في هذا المقام عليهم خمسة دلائل اثنين من الانفس وهما خلقهم وخلق اصولهم وثلثة من الافاق جعل الارض فراشا والسماء بناء والامور الحاصلة من مجموعهما وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما منه منشأه واصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون وينقلبون كما ينقلب احدهم على فراشه ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلة والمظلة من انزال الماء عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الحيوان من الوان الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني ادم وايضا خلق المكلفين احياء قادرين اصل لجميع النعم واما خلق الارض والسماء فذاك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة وذكر الاصول مقدم على ذكر الفروع وايضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحيوة والقدرة والشهوة والعقل ولما كانت وجوه الدلالة فيه اتم كان تقديمه في الذكر اهم ويترتب ههنا مسائل الاولى في منافع الارض الفراش اسم لما يفرش كالمهاد اسم لما يمهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش ان يكون سطحا مستويا كالفراش على ظن فسواء كانت كذلك او على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد اطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الافلاك لان الاثقال بالطبع تميل الى تحت كما ان الخفاف بالطبع تميل الى فوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء والتحت ما يلي المركز فكما انه يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السماء فليستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لان ذلك الهبوط صعود ايضا الى السماء فاذن لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة من فوقها ولا الى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما اعطاها خالقها وركز فيها من الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ومما امتن به على عباده في خلق الارض ان لم يجعلها في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم والمشي عليها وامكنت الزراعة واتخاذ الابنية منها وبناء الحفر الابار واجراء الانهار ومنها ان لم يخلق في نهاية اللطافة والشفيف ليستقر الانوار عليها ويتسخن منها فيمكن جوارها ومنها ان جعلت بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف ما برز منها وهو من ربعها ان لم يخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هي والماء بحيث اذا انجذب الماء بطبعه الى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي شيء منها مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها وغروبها للمغربيين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب وتركب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاغراض الخاصة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البر وراكب البحر ونتوء الجبال وان شمخت لا يخرجها عن اصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة لا في استدارتها ومنها الاشياء المتولدة

فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها ان يتميز الرطب فيحصل التماسك في
ابدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات وفي الارض
قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض
ذات الصدع ومنها جذبها للماء المنزل من السماء وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ومنها العيون والانهار العظام
التي فيها والارض مددناها ومنها ان لها طبع الكرم والسماحة تاخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة ومنها حيوتها وموتها واية لهم الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النبات
المتنوعة وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روائحها دلالة فمنها قوت البشر
ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان
وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار
مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى فيها من المعادن
الشريفة كالذهب والفضة ثم تامل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير
من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه ان معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة و
والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن ههنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيميا
افلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما اشد الحاجة اليه في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا
من المنافع اكثر مما عددناه فاذا تامل العاقل في هذه الغرائب والعجائب اعترف بمدبر حكيم ومقدر عليم ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر
الثانية في منافع السماء البناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وبالشمس
وجعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وباللوح وفي لوح محفوظ وبالقلم نون
والقلم وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا وذكر ان خلقها مشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا
باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء و
محل الضياء والصفاء وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير ونجومها رجوما للشياطين و
علامات يهتدي بها في ظلمات البر والبحر وقيض للشمس طلوعا يسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف وغروبا يصلح معه الهدو و
والقرار في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وايضا لولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة
والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة
سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم ترفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح
قطان الارض ومنها انه كان الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء فالغني قد يرفع بناء على كوة الفقير فلا يصل النور
الى الفقير لكني امرت الفلك فاسيرها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه ما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعله الله سببا لاقامة الفصول
الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويلتطف الهواء فيكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوانات
بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطباع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء ويشور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي
الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار ويتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيا للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس
فيدرك الثمار ويستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب ويضبط المواقيت
الشرعية ومنه يحصل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمل له ففقده
فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا
اسئله لك ان اهديت الى بعد فقد اهدى الله اليك نورا ثم انشا يقول شعر ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر وقد كفيتني التفصيل
والجملا ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا او قلت زانك ربي فهو قد فعلا وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يدرك
الهارب ويهتك العاسق ويبلي الكتان ويهرم الشاب وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني الحين وكيفية ارتباط القمر وسائر
الكواكب بالشمس وكيفية حركتها وبيان اختلافات اوضاعها وعلل كل منها فن براسه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ اذا تاملت
في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة في
مصالحه كالمصابيح والانسان كالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيات لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة في مصالحه





فهذه جملة واضحة الدلالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية الثالثة في ان السماء افضل ام الارض
قال بعضهم السماء افضل لانها متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصي الله فيها ولما اتى ادم عليه السلام بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال الله تعالى
لا يسكن في جواري من عصاني وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وورد في الاكثر
ذكر السماء مقدما على ذكر الارض والسموات مؤثرة والارضيات متاثرة والمؤثر اشرف من المتاثر وقال آخرون بل الارض افضل لانه
تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا في البقعة المباركة الى المسجد الاقصى الذي باركنا
حوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض الشام ووصف جملة الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في
اربعة ايام فان قيل واي بركة في المفاوز المهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن خلق
لا يعلمهم الا الله تعالى فلهذه البركات قال تعالى وفي الارض ايات للموقنين تشريفا لهم لانهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وخلق الانبياء
من الارض منها خلقناكم واودعهم فيها وفيها نعيدكم واكرم نبيه المصطفى فجعل الارض كلها له مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض
وكانت كالصدفة والدرة المودعة فيها ادم عليه السلام واولاده ثم علم الله اصناف حاجاتهم قال يا ادم لا احوجك الى شيء غير هذه الارض التي
هي لك كالام فقال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدي
ان اعز الاشياء عندك الذهب والفضة ولو اني خلقت الارض منهما هل كان يحصل منها هذه المنافع ثم جعلت هذه الاشياء في الدنيا
مع انها سجن لك فكيف الحال في الجنة فالحاصل ان الارض ملك بل اشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك
الوانا من الاطعمة ثم قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم معناه يردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه ذلك لان مقامك
من الام التي ولدتك ضيق ومقامك من الارض ثم انك كنت في بطن الام لتستقر تسعة اشهر فما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام
الكبرى ولكن الشرط ان تدخل بطن الام الكبرى كما كنت في بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا
لله فحيث عصاك مرة ما الخروج الى الدنيا اخرجتك اليها بالراس طاعة منك لربك واليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة فلا تجيبه برجلك
الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته بانه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد
وهو قادر على انشاء الاشياء بلا اسباب ومواد كما انشا نفوس الاسباب والمواد ولكن له في هذا التدريج والتسبيب حكما يتبصر بها من يتبصر
ويتفطن بها من يتعبر ومن في من الثمرات للتبعيض لانه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى البعضية لانه مقدر في سياق الاثبات فكانه قيل و
انزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع
الثمرات ولا جعل الرزق كله من الثمرات فيكون كل الثمر بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز ان تكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم
الفا ثم ان كانت من للتبعيض كان انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به
العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم وانما قيل الثمرات على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا لانه
قصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة او لان القلة
وضعت موضع الكثرة نحو ثلثة قروء او تنبيها على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الاخرة الخامسة قوله فلا تجعلوا اما ان يتعلق بالامر
اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد ان لا يجعل لله ندا ولا شريك او بلعل فينتصب تجعلوا بعده
مثل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع في رواية حفص عن عاصم او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي
نصب لكم هذه الادلة القاطعة والايات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له تعالى شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي
من نادت الرجل خالفته ونافرته وند ندودا اذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه قوله وانتم تعلمون
بترك المفعول معناه وانتم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش
وكنانة لا يشق غبارهم في الدهاء والفطنة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العارفون المميزون ثم ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله
اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون
انها لا تفعلون مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واعلم انه ليس في العالم احد يثبت لله شريكا يساويه في
الوجوب والعلم والقدرة والحكمة ولكن الثنوية يثبتون الهين حكيم يفعل الخير وسفيه يفعل الشر واما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين
اليه كثرة الفريق الاول عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعالى خلق هذه الكواكب وهي المدبرات في هذا العالم فيجب علينا ان
نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله تعالى والفريق الثاني عبدة المسيح عليه السلام والفريق الثالث عبدة الاوثان فنقول لا دين اقدم من دين عبدة
الاوثان لان اقدم الانبياء الذي نقل الينا تاريخهم هو نوح عليه السلام وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا
سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق الى الان والدين الذي هذا شانه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة ولكن العلم بان هذا

الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض وبمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض اخر سوى ذلك والعلماء ذكروا فيه وجوهاً احدها ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي ان كثيراً من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون انه جسم وصورة كاحسن ما يكون من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان الواجب عليهم ان يصوغوا تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعكفون على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى الى الله تعالى وملائكته فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد التشبيه ثانيها ما ذكره اكثر العلماء وهو ان الناس لما رأوا تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب اعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس بالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة لله الاكبر لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات عن الابصار اتخذوا لها اصناماً واقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ولما طال الزمان تركوا ذكر الكواكب وتجردوا للعبادة تلك التماثيل فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب ثالثها ان اصحاب الاحكام كانوا يرتقبون اوقاتاً في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون ان من اتخذ طلسماً في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم نسوا مبدأ الامر بتطاول المدة واشتغلوا بعبادتها في ذلك التعظيم ورابعها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مستجاب الدعوة مقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنماً على صورته وعبدوها على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعاً لهم يوم القيمة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة لصلواتهم وطاعاتهم وليسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها وسادسها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التأويل فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل لما رجع حاصل مذهب عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع عنها قلنا لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما هكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا انداداً كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط ولا يفيد في طريق عبادته الا الحنفية والاخلاص ورفع الوسائط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة باسماء القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى هو عندهم للامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصور مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدساً وهيكل المشتري مثلثاً وهيكل المريخ مستطيلاً وهيكل الشمس مربعاً وهيكل الزهرة مثلثاً في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثاً في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمناً وزعم اصحاب التاريخ ان عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على طبقاتهم وولي امر البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى قوماً يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه اوثان نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يكرموه بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في اول ملك شابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان ومنها نوبهار الذي بناه سلطان منوچهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلعم ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول شعر ارباً واحداً ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ

واگر هستيد در شک از آنچه فرستاديم بر بنده خود پس بياريد يک سوره مانند آن و بخوانيد گواهان خود را اگر هستيد راستگويان پس اگر نکرديد و هرگز نخواهيد کردن پس بترسيد از آتشی که هيزم آن مردمان و سنگهای کبريت که آماده شده برای کافران

القراءة ما يتعلق بها من ضم ميم الجمع ومن امالة الناس تعرف مما مر الوقوف من مثله صادقين والحجارة على تقدير هي اعدت للكافرين والوصل اجوز لان قوله اعدت بدل الجملة الاولى او لها صلة للتي للكافرين ه التفسير لما نبه بالآيتين السابقتين على طريق الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته اعقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلعم وحقيقة ما نزل عليه صلعم ونذكر في كون القرآن معجزاً طريقان الاول انه اما ان يكون مساوياً لكلام سائر الفصحاء او زائداً عليه بما لا ينقض العادة او بما ينقضها والاولان باطلان لانهم وهم زعماء وملوك الكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين ومنفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا منهمكين





في ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا في الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل فتعين القسم الثالث الطريق الثاني ان يقال ان بلغت السورة المتحدى بها في الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين امره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل وما يدريك انه لن يعارض في مستأنف الزمان وان لم يعارض الى الآن قلت لانه لا احتياج الى المعارضة اشد مما في وقت التحدي الا لزم تقرير المبطل المشبه للحق وحيث لم تقع المعارضة وقتئذ علم ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجيء واعلم ان شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ومدرك الاعجاز هو الذوق ومن الاعجاز بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو كون اسلوبه مخالفاً لاساليب الكلام او بانه هو كونه مبرأ عن التناقض او بكونه مشتملاً على الاخبار بالغيوب مما ينخرط في سلك هذه الآراء فقد كذب بن اخت خالته فانا نقطع ان الاستغراب من سماع القرآن انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر في القلوب تأثيراً لا يمكن انكاره لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال احد معجزتي ان اضع الساعة يدي على راسي ويتعذر ذلك عليكم وكان كما قال جاء الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل واية تسمية كل اسلوب غريب معجزاً باطل وكذا التسمية كل كلام مبرأ عن التناقض ومشتمل على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف نعتقد اعجاز القرآن بحيث يعجز عنه الثقلان فقط والزائد غير معلوم الحال او بحيث يعجز عنه المخلوقات باسرها قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثاني الا ان التحدي لم يقع الا بالقدر الاول وبه يثبت صحة النبوة لكن النبي صادق وقد اخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم ان كلامه صفته يجب ان يكون في نهاية الكمال ونهاية الجلال فالقرآن اذن في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة بلوغ المتكلم حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وهي فيما كانها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علم المعاني والبيان والفصاحة اما معنوية وهي خلوص الكلام عن التعقيد والتعقيد ان يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك فلا تدري من اين توصل وباي طريق معناه يتحصل واما لفظية وهي ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر وان تكون اجرى على قوانين اللغة العربية وان تكون سليمة عن التنافر عذبة على العذبات سلسة على الاسلات والحاكم في ذلك هو الذوق السليم والطبع المستقيم فقلما يجمع هنالك الا ذلك ثم انه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان الفصاحة ومع ذلك فانه بلغ في الفصاحة النهاية التي لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزاً منها ان فصاحة العرب اكثرها في وصف المشاهدات كبعير او فرس او جارية او ضربة او طعنة او وصف حرب او وصف غارة وليس في القرآن من هذه الاشياء مقدار كثير منها انه تعالى راعى طريق الصدق وتبرأ عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه لهذا كان لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما اسلما وتركا سلوك سبيل الكذب والتخييل ركّ شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق في بيت او بيتين من قصيدة والقرآن كله فصيح بكل جزء منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلاماً لم يكن الثاني في الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر في القرآن فهو في نهاية الفصاحة وغاية الملاحة شعر اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات والحث على مكارم الاخلاق والزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة في هذه المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء والقرآن جاء فصيحاً في كل فن من فنون الكلام فانظر الى الترغيب في قوله فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ وفي الترهيب وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وفي الزجر فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وفي الوعظ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ وفي الالهيات اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ومنها ان القرآن اصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والنحو والصرف والنجوم والمعاني والبيان وعلم الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فانه كان الاتيان باقصر سورة منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق طاقة البشر شعر فدع عنك بحراً ضل فيه السوابح وانما قيل وان كنتم دون اذ كنتم لما عرفت في تفسير لا ريب فيه وانما الخبر نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو انزله الله لانزله جملة واحدة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة اي على خلاف ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقاً شيئاً فشيئاً حيناً فحيناً حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة فقيل لهم ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجماً من نجومه اصغر سورة وهي الكوثر ومعنى السورة مذكور في المقدمة الخامسة وانما قيل على عبدنا دون ان يقال على محمد كقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد تشريفاً له صلعم واعلاماً بانه صلعم ممن صح نسبة العبودية المأمور بها

في قوله يا ايها الناس اعبدوا واضافة العبد الى الضمير ايضا تؤيد ذلك كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقيل ان السعادة كل السعادة
في نسبة العبدية فهي التي توصل الى العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر وانا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي وكمال العندية في كمال الحرية
عما سوى الله واما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل الانواع على الاصناف كان افراد
كل صنف منها احسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول ونحوها ومنها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في اخرى كان
انشط له كالمسافر اذا قطع ميلا او طوى فرسخا ومن ثم جزءوا القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحاذق اذا حذق السورة اعتقد
انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل في نفسه ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وال عمران جد فينا ولهذا كانت القراءة
في الصلوة بسورة تامة افضل ومن مثله متعلق بصفة فاتوا اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا
والضمير للعبد معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وفي النظم الانيق او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم
يقرأ الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير هناك ولكنه كقول من قال للحجاج وقد توعده بقوله لاحملنك على الادهم مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب
اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسط اليد لم يقصد احدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل اوجه وعليه المحققون
ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لان ذلك يطابق الايات الاخر فاتوا بسورة من مثله فاتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع
في المنزل عليه اذ المعنى وان ارتبتم ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم شيئا مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول فمقتضى الترتيب
ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا صلعم منزل عليه فاتوا بسورة ممن يماثله والحق لو كان عائدا الى القران اقتضى ان يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله
مجتمعين ومتفرقين اميين او قارئين ولو عاد الى النبي صلعم اقتضى ان يكون الشخص الواحد الامي الذي هو مثله عاجزا ولا شك ان الاعجاز على
الوجه الاول اقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثاني تقرير نقص للنبي صلعم وايهام ان الاتيان بالقران ممن يكون قارئا ممكن وايضا الاول
هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد قليات واحد اخراج بنحو ما اتى به هذا الواحد لم يحتج ان يستظهر بالشهداء وهي جمع
بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة والمراد بها اما الهتهم كانه قيل ان كان الامر كما تقولون من انها تستحق العبادة لما انها تنفع وتضر فقد وقعتم
في منازعة محمد صلعم فانه شديدة فتعجلوا الاستعانة بها والا فاعلموا انكم مبطلون فيكون في الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال كونها الهة
ومن جهة ما انكروه من اعجاز القران واما اكابرهم ورؤساؤهم اي ادعوهم ليعينوكم على المعارضة او ليحكموا لكم وعليكم ومعنى دون ادنى مكان من الشيء
ومنه الشيء الدون وهو الحقير ودون الكتب اذا جمعها لتقليل المسافة بينها ويقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اي
خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال
لعدوه وقد كان يثني عليه رياء انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق بشهداءكم
او بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا
الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهي دونه : اي تريك القذى قدام الزجاجة
والحال ان الخمر قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم
بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
والاشعار بان شهداءهم وهم فرسان البلاغة تأبى عليهم الطباع ويحجرهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد و
على الثاني يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد انما ندعي حق كما يقوله
العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم ظاهرة تصحح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم و
بيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا لصادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشي
والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة والمراد بالشهداء الا الله تعالى وكل من له اهلية الحضور من الجن والانس فكانه قيل ادعوا غير الله
من الجن والانس من ادنى دتم كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما استثنى الله لانه القادر وحده على ان ياتي بمثل دون كل شاهد وعالم
ان التحقيق في التحدي هو ان النبي يقول اني مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة والنور وجعلني واسطة بينكم وبين هدايتكم فاتبعوا هداكم
سبيل الخير والرشاد وان كنتم في ريب مما اقول فانظروا الى هذا الذي قد اعطيته باظهار الله تعالى اياه على يدي وانتم لا تقدرون عليه لعدم
اقداره لتعرفوا اني خصصت بمزيد فضل من عنده واني صادق فيما اقول فان انصفوا من انفسهم بتيسير الله تعالى وتوفيقه وهدايته تبعوا
واهتدوا والا بقوا في الضلالة خائضين كل هذا من عالم الاسباب التي يظهر منها الوقائع والحوادث حسب ما اراد الله لا يلزم من هذا ان يكون للعبد
قدرة مستقلة يقع الفعل عليها بل الله يهدي من يشاء وكل بقدره وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فاتوا ولقوله وادعوا لان قوله فاتوا مقيد
بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثاني محذوف لدلالة ما قبله وهو مثله عليه التقدير وان كنتم في ريب فاتوا وان كنتم صادقين في ان اصله كم





نعينكم او في ان القران غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام
ولهذا لم يلزم الفاء في قولك انت مكرم ان جئتني وانما تقدم ما يدل عليه ومثل هذا في القران كثير فاعتبره في كل موضع واما قوله فان لم تفعلوا ولن
الاية فاقول اولا انها تدل على اعجاز القران وصحة نبوة محمد صلعم من وجوه احدها انا نعلم بالتواتر ان العرب كانوا يعادونه صلعم اشد المعادات
ويتهالكون في ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم من اقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع وهو
قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها انه صلعم ان كان متهما عندهم
فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل فلو خاف صلعم عاقبة امره لتهمة فيه صلعم حاشاه عن ذلك لم يبالغ في التحدي الى هذه
الغاية وثالثها انه صلعم لو لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع في الكلام قطعا
وحيث جزم دل على صدقه ورابعها ان قوله ولن تفعلوا ولن تاكيد بليغ في نفي المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب وقد وقع كما قال صلعم لان احدا
لو عارضه صلعم لم يمتنع ان يتواضعه الناس ويتناقلوه عادة لا سيما والطاعنون فيه صلعم اكثف عددا من الذابين عنه صلعم واذا لم يقع المعارضة
الى الان غلب على الظن بل حصل الجزم انها لا يقع ابدا لاستقرار الاسلام وقلة شوكة الطاعنين وانما جيء بان الذي للشك دون اذا الذي
للوجوب والقطع مع ان انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم
على بلاغتهم وايضا فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو الخبير قوله فان
لم تفعلوا ولن تفعلوا على قوله فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال
وحذف مفعول فعل كثير دون مفعول اتي فهو جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا يغنيك عن طول المكنى عنه كما لو قلت اتيت فلانا
واعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلت وقوله ولن تفعلوا جملة معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستيناف والمعترضة تجيء
بالواو وبدون الواو وقد اجتمعا في قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر لان اتقاء
النار لصيقه وضمنه ترك العناد فوضع موضعه من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه ان
اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاتبعوني وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز الذي هو من
حلية القران وتهويل شان العناد بانه الموجب للنار ولهذا شنع بتفظيع امرها والوقود ما يرفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء
فيه الفتح فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع
ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله او يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل نزول هذه بالمدينة وذلك
في سورة التحريم قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ولهذا عرفت ههنا مشارا بها الى ما عرفوه ثمة اولا والمعنى اتقوا
نارا ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة او بانها توقد بنفس ما يراد احراقه واحماؤه او بانها لافراط حرها اذا
اتصلت بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب
والحجارة قيل هي حجارة الكبريت وقيل هي ما نحتوها اصناما انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانهم لما اعتقدوا فيها انها شفعاؤهم
عند الله وانهم ينتفعون بها ويدفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا في ايلامهم وتوريثا لنقيض مطلوبهم ونحوه ما يفعل
بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله اي يمنعون حقوقها حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والتاء
في الحجارة لتاكيد التانيث في الجماعة نحو صقورة وقد يدور في الخلد من هذه الاية ومن قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
ومن قوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ان المراد بالحجارة هي الافئدة اي وقودها الناس وقلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف
الاعضاء واولى بالاحراق ان كان مقصرا في درك ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وانما فقد العاطف
لانها بدل من الصلة او استيناف كانه قيل لمن اعدت هذه النار فقيل اعدت للكافرين وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ومژده ده آنها را که گرویدند و کردند شایستها
که مر ایشان راست بهشتها که میرود از زیر ایشان جویها هرچند که روزی داده شوند از میوه ای آن روزی را
قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ گویند که این آنست که روزی داده شدیم از پیش و اورده شوند
مانند یکدیگر را و مر ایشان راست در بهشت جفتهای پاکیزه و ایشان در ان همیشه الوقوف الانهار ط رزقا لا قالوا ج وابه ج متشابها ط خالدون ه
التفسير انه سبحانه لما ذكر صلعم دلائل التوحيد والنبوة وانجر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا على سننه
المعهود من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد والجنة والنار وهل هما الان مخلوقتان ام لا ظاهر الاية من نحو
قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين والاحاديث كقوله صلعم في حديث صلوة الخسوف اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار
فلم ار كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا اسكن ادم وحواء الجنة وقد جمع الله في الاية جوامع اللذات من المسكن وهو الجنات ومن المطعم

هو الثمرات ومن المنكح وهو الازواج المطهرة ازال عنهم نقص الزوال بقوله وهم فيها خالدون تماما للنعمة والحبور وتكميلا للبهجة والسرور والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولهذا قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه فاما قوله فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم قال بعض المحققين انه معطوف على فعل مقدر اي قيل يا ايها الناس فان تقدير القول في القرآن مع وجود القرينة غير عزيز كقوله وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا اي يقولان ربنا ثم المأمور في قوله وبشر اما الرسول واما كل من له استيهال ان يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة شعر كيف الهجاء وما تنفك صالحة : من آل لام بظهر الغيب تأتيني : واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف واستدل بهذه الاية من قال ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم ان الايمان هو المجموع ان يقول عطف بعض الاجزاء على الكل جائز لغرض من الاغراض كقوله وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ثم ههنا مذاهب منهم من قال العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا استحقاقا عقليا واجبا وهو قول اهل السنة ولا يرد عليه اشكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وبالندم على ما وجد من الطاعة وترك المعصية بدليل نحو قوله لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وانما طوى ذكر هذا الشرط في الاية للعلم به فانه قد تقرر في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وهذا قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من احال القول بالاحباط لان من آمن وعمل صالحا استحق الثواب الدائم فلو فرض احباطه بكفره لاستحق العقاب الدائم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل اهل النار وانه من اهل الجنة ويعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على معنى الستر كأنها لفرط التفافها تستر ما تحتها ومنه الجن والجنون والجنين والجنة وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فلهذا انكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي لان الجاري هو الماء وكذا من تحتها اي من تحت اشجارها وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا روح فيها وصور لا حيوة لها وانما عرفت الانهار لان المراد بها الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة مثل وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ الاية وكُلَّمَا رُزِقُوا اما صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف اي هم كلما رزقوا او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله ومن في منها ومن ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقني فلان فيقال من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة فتقول من الرمان فالرزق قد ابتدأ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار وجاز ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق كما ان نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف ابتداء الرزق من الجنات فان ذلك مما يكون بنوع التفاح ولا وبالذات وبالشخص ثانيا وبالعرض لان التشخص امر زائد على حقيقة الشيء فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذي اي هذا مثل الذي رزقنا من قبل نحو ابو يوسف ابو حنيفة لان ذات الذي رزقوه في الجنة لا يكون هو ذات الذي رزقوه في الدنيا والضمير في قوله وَأُتُوا بِهِ يرجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين والغرض في تشابه ثمر الدنيا وثمر الآخرة ان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وفرط ابتهاج طال استعجابه وتبين كنه النعمة فيه فاذا ابصر الرمانة والنبقة في الدنيا وحجمها ثم ابصر رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة كقلال هجر كما يرون الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها كان ذلك ابين للفضل وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر في ظهور المزية وكمال الاستغراب في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق



كان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه متشابها وثوابهم في كل الاوقات في القدر والدرجة لا يزيد ولا ينقص واما لان الانسان اذا التذ بشيء واعجب به لا يتعلق نفسه الا بمثله فاذا جاءه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية اللذة وعن الحسن الاشتباه في اللون فقط قال يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اوتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة الانسانية في معرفة ذات الله تعالى وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل في الدنيا ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لمكان العلائق فبعد الموت وشاهد تلك المعارف قال هذه هي التي كانت حاصلة لي في الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور فقال اهل التحقيق الجنة جنة الوصول والاشجار هي الملكات الحميدة والاخلاق الفاضلة والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشراقات والالهامات وغيرها من المواهب وانهم يشاهدون احوال الاشياء في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذي شاهدته قبل هذا فيكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة اخرى كما ان موسى عليه السلام شاهد نور الهداية في صورة نار فيكون تارة تلك النار صفة غضبية كما كان لموسى اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة تكون نار المحبة يقع في محبوبات النفس فيحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فافهم وايضا كل شيء له صورة في الدنيا فله في الآخرة معنى آخر غيبي كقوله في دماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك فاعلم قوله وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك فلان احسن الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والادناس لا سيما التي تختص بالنساء وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات السوء وهما العيان فضيحتان للنساء فعلت وهن فاعلة والمعنى ولهم جماعة ازواج مطهرة وفي مطهرة فخامة لصفتهن ليست في الطاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم وههنا نكتة وهي ان المرأة اذا حاضت فالله تعالى يمنع من مباشرتها قال فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ مع انها معذورة في تحيضها فاذا كانت اللواتي في الجنة مطهرات فلان يمنعك عنهن اذا كنت نجسا بالمعاصي مع انك غير معذور فيها كان اولى وايضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع من الدخول في المسجد الذي يدخل فيه كل بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التي لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج ادم منها بسبب الزلة الصادرة عنه وايضا من كان على ثوبه ذرة من النجاسة لا يجوز صلوته او يستكره فكيف بمن صلى وعلى قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصي والخلد عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع بدليل قوله وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ومنهم من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل دام او لم يدم ولو كان التأبيد داخلا في مفهوم الخلد كان قوله خالدين فيها ابدا تكرارا ويقال في العرف حبسه حبسا مخلدا ووقف وقفا مخلدا والحاصل ان خوف الانقطاع ينقص النعمة وذلك لا يليق باكرم الاكرمين

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

الوقوف فما فوقها من ربهم لان الجملتين وان اتفقتا فكلمة اما للتفصيل بين الجمل مثلا لانه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما هو ابتداء اخبار من الله عز وجل جوابا لهم ويهدي به كثيرا الفاسقين لان الذين صفتهم ميثاقه ص لعطف المتفقتين في الارض الخاسرون التفسير لما بين كون القرآن معجزا اورد شبهة اوردها الكفار قدحا في ذلك واجاب عنها عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب قالوا الله اجل واعلى من ان يضرب الامثال فانزل الله هذه الاية وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجرأ من الذباب واضعف من بعوضة وكلفني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان حب يخالط البر وكحبة خردل والنحل والحصاة والارضة والدود والزنابير قال مثل ملكوت السماء كمثل زرع في قرية حنطة جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع واشتد غلب عليه الزوان فقال عبيد الزارع يا سيدنا

ليس حنطة جيدة نفيسة زرعت في تربتك فقال بلى قال فمن اين هذا الزوان قال لعلكم ان ذهبتم ان تقلعوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوه
يتربيان جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلتقطوا الزوان من الحنطة وان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين وانا اقول لكم
ذلك الرجل الذي زرع الحنطة الجيدة هو ابو البشر والقرية هي العالم والحنطة الجيدة النفيسة هو ابناء الملكوت الذين يعملون بطاعة الله و
العدو الذي يزرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصي التي يزرعها ابليس واصحابه والحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى يدنو آجالهم
فيحصدون اهل الخير الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية وكما ان الزوان يلتقط ويحرق بالنار فكذلك رسل الله وملائكته يلتقطون
من ملكوته المتكاسلين وجميع عمال الاثم فيلقونهم في اتون الهاوية فيكون هنالك البكاء وصريف الاسنان ويكون الابرار هنالك
في ملكوت ربهم من كانت له اذن تسمع فليسمع واضرب لكم مثلا آخر يشبه ملكوت السماء رجلا اخذ حبة خردل وهي اصغر الحبوب فزرعها
في قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول وجاء طير السماء فعشش في فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه ضاعف الله اجره وعظم
ورفع ذكره ونجا بمن اهتدى به وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون الغل في
صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التي لا ينضجها النار ولا يلينها الماء ولا يقصفها الرياح وقال لا تدخروا ذخائركم عباد الله [illegible]
عليها لباسها وهنالك رزقها وهن لا يغزلن ولا يشخصن ومنهن ما هو في جوف الحجر الاصم وفي جوف العود من يأتيهن بلباسهن و
ارزاقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تنثروا الزنابير فتلدغكم كذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم هذا ونحن نرى ان الانسان يذكر معنى
فلا يلوح كما ينبغي فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك ان من طبع الخيال حب المحاكاة فاذا ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال
واذا ذكر التشبيه معه ادركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك ان الثاني يكون اكمل واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره
في الكتاب الذي نزل تبيانا لكل شيء ثم ان الله تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمته في كل ما خلق وبرء عامة بالغة وليس الصغير اخف اليه
من الكبير ولا الكبير اصعب عليه من الصغير والمعتبر انما يليق بالقصة فاذا كان اللائق بها الذباب والعنكبوت حسن ضرب المثل بهما فكيف
يضرب بالفيل وبني مستحكم النسج والصفاقة وهذا مما لا يخفى على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت دفع الواضح وانكار المستقيم
وكم من عائب قولا صحيحا ۞ وآفته من الفهم السقيم والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال
حيي الرجل كما قال نسي وحشي اذا اشتكى النسا والحشا وكان الحيي صار منتقص القوة منتكس الحيوة وقد عرفت في الاسماء الحسنى ان امثال هذه
الصفات انما يجوز ان يطلق على الله تعالى بعد الاذن الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار المبادي ففي حديث سلمان قال رسول الله صلعم ان الله حيي
كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على سبيل التمثيل لانه مثل تركه تخييب العبد بترك من يترك رد المحتاج اليه
حياء ومعنى قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة في كلام
الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق وهو فن بديع قال ابو تمام شعر من
مبلغ افناء يعرب كلها : اني بنيت الجار قبل المنزل : فلولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه شعر اذا ما استحى
الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد فيصف كثرة مياه الامطار في طريقه وانه اينما ذهب رأى الماء وكانه يعرض نفسه على النوق
فتستحيي فتكرع فيه مشافرها السبت هو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبه الارض وفيها الماء وحواليه الازهار باناء من الورد وفيه لغتان استحييت
منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن ضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلعم خاتما من ذهب وما
هذه ابهامية اذا اقترنت باسم نكرة زادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم اي
مثلا حقا والامر البتة وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا وذلك انما يضرب به المثل قد يسمى مثلا كما يقال الحاتم مثل في الجود او مفعول ليضرب
ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليها او انتصبا مفعولين لجري ضرب مجرى جعل والبعوض في اصله صفة على فعول من البعض القطع فغلبت
ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه وفي معناه البضع والعضب ومن غرائب خلقته انه مع صغره اعطى كل ما اعطى الفيل مع كبره ففيه اشارة الى ان
خلق احدهما ليس اصعب من خلق الاخر واشارة الى حالة الانسان وكمال استعداده كما قال صلعم ان الله خلق ادم على صورته اي على صفته فاعطاه
على ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا ليشاهد في مرآة نفسه جمال صفاته ومن العجائب في خرطومه فانه في غاية الصغر ومع ذلك
مجوف ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه في الخبيص وذلك لما ركب الله تعالى في راس خرطومه من
السم قوله فما فوقها اي فالذي هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم انكروا تمثيل الله بكل هذه الاشياء او اراد
فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضربه صلعم مثلا للدنيا وهذا اولى لان الاية نزلت في بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء
الحقير فيجب ان يكون المذكور ثانيا احقر من الاول والفاء ههنا يفيد الترتيب في الذكر بذكر في هذا المقام الاخر فالاخر كقوله [illegible]
فالسنة لانه يذكر في تعريف الامكنة الاخص فالاخص لا الاعم فكان العليا موضع يسع يشتمل على مواضع منها السكة اما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفاء وفائدته التوكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت التوكيد ان الذهاب منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما





يكن من شيء فزيد ذاهب ليس مراده من هذا التفسير ان اما بمعنى مهما كيف وهذه حرف ومهما اسم بل قصده الى المعنى البحت اي يكن في الدنيا شيء ما
يوجد ذهاب زيد فهذا جزم بوقوع ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول اي شيء في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول
شيء فيها ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم
انه الحق ونعي على الكافرين بميهم بالكلمة الحمقاء الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر ثبت ووجب والضمير في انه الحق للمثل ولان يضرب
وما فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما
واحدا فيكون منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله جوابه على الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب وقد يجيء على العكس كما تقول
في جواب من قال ما رأيت خير اي المرئي خير وفي جواب الذي رأيت خيرا اي رأيت خيرا والارادة نقيض الكراهة قال الامام الرازي الارادة
ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته والمه ولذته فالمتكلمون انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي
الجائز على الاخر لا في الوقوع بل في الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة واختلفوا في كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين على اطلاق
هذا اللفظ على الله تعالى فزعم النجار انه معنى سلبي ومعناه انه غير ساه ولا مكره ومنهم من قال انه ثبوتي ثم اختلفوا فالجاحظ والكعبي وابو الحسن
البصري معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي والصارف والاشاعرة وابو علي وابو هاشم واتباعهما
انه صفة زائدة على العلم ثم القسمة في تلك الصفة انها اما ان تكون ذاتية وهو القول الاخر للنجار واما ان تكون معنوية وذلك المعنى اما
ان يكون قديما وهو قول الاشعري او محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية او قائما بجسم وهو لم يقل به احد
او موجودا لا في محل وهو قول ابي علي وابي هاشم واتباعهما وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله
عمرو بن العاص حين افتى بنقض النساء ذوائبهن في الاغتسال يا عجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث
ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما واهل الهدى كثير في انفسهم وحيث يوصفون بالقلة وقليل من عبادي
الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة ان الكرام
كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب المثل ازداد به المؤمنون
نورا الى نورهم فنسب لهديهم وازدادت الكفرة رجسا الى رجسهم فنسب لضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة شعر فواسقا
عن قصدها جوائرا : يذهبن في نجد وغورا غائرا : والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند اهل السنة من اهل الايمان
الا انه عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن
في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلوة
لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يعني اللمز
والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب وانما ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد
بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك عالم يغترف منه الناس فتنبه بالاغتراف على العالم
بانه بحر لتسكت عن المستعار لانك رمزت اليه بذكر شيء من روادفه والعهد الموثق عهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد بالناقضين ما كل
من ضل وكفر لانهم نقضوا عهد الله وهو ما ركز في عقولهم من اقامة الادلة على الصانع وعلى حقية شرائعه
بعد ان احتج العلماء وازال الشبهات واما قوم من اهل الكتاب يدل اخذ عليهم العهد الميثاق في الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلعم و
بين لهم امرهم وامر امته فنقضوا ذلك واعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الذي اخذه على جميع ذرية ادم
واذ اخذ ربك الاية وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اسم
بمعنى الموثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واسم لما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد
توثقته عليهم او من بعد ما وثق الله تعالى به عهده من اياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم ما بينهم وبين
رسول الله صلعم من القرابة والرحم وقطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين او قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع
على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو
اليه من يتولاه شبه بامر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به وللامر حرف واحد هو اللام الجازم نحو ليفعل
وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل ونزال وصه وقد يستعمل في الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره للوجوب وغيره من الندب والاباحة
يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذي ينبغي ان يعاد مقدر تقديره بان يوصل اي بوصله والا

فسادٌ فی الارض اما الظفار المعاصی و اما التنازع واثارة الفتن اولٰئک هُمُ الخاسرون فی قوله لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور بثوابها إن الانسان لفی خسر الا الذین اٰمنوا وعملوا الصالحات الاٰیة

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي

چگونه کافر میشوید بخدا و بودید مردگان پس زنده کرد شما را پس بمیراند شما را پس زنده کند شما را پس بسوی او برگردانیده میشوید اوست آنکه آفرید برای شما آنچه در

الْاَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ اِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ القراءة فاحیاکم و بابه بالامالة علی ترجعو

زمین همه را پس بعد کاشت بجانب آسمان پس درست کرد آنها را هفت آسمان و او بهر چیزی داناست بفتح التاء وکسر الجیم کل القران یعقوب وهو و بابه بسکون الهاء ابو جعفر و نافع غیر ورش وعلی و ابو عمرو الوقوف فاحیاکم للعدول ای ثم هو یمیتکم مع اتحاد مقصود الکلام ترجعون ط سموات ط علیم التفسیر هذه الایة موقعها بیان التعجب من حال الکفرة وذلک ان الاستفهام من علام الغیوب یمتنع اجراؤه علی اصله فیتولد بمعونة قرائن الاحوال ما ذکرنا و وجهه هو ان الکفار حین صدر الکفر منهم لابد من ان یکونوا علی احد الحالین اما عالمین بالله و اما جاهلین به فلا ثالث فاذا قیل لهم کیف تکفرون بالله من المعلوم ان کیف للسؤال عن الحال وللکفر مزید اختصاص من بین سائر الاحوال الکافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا یمکن تصور کفر الکافر بالصانع مع الذهول عن کونه عالما بالله و جاهلا به بخلاف سائر احواله المتقابلة کالقعود والقیام والسکون والحرکة فانه یمکن تصور کفره مع الذهول عنها وان کان لا ینفک الکافر فی الوجود عنها کما لا ینفک من العلم بالصانع او الجهل به فی الوجود توجه الاستفهام الی ذلک الذی له مزید اختصاص فافاد الاستفهام ای فی حال العلم بالله تکفرون ام فی حال الجهل لکن الجهل بعید عن العاقل لان الحال حال علم بهذه القصة وهی ان کانوا امواتا فصاروا احیاء وسیکون کذا والحال کذا من الاماتة ثم الاحیاء ثم الرجع الیه فینبغی ان یکون الحال حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الکفر فصدور الفعل عنهم بصورة اختیار فی الترک مع الصارف القوی مظنة تعجب و تعجیب وانکار وتوبیخ وکانه قیل ما اعجب کفرکم والحال انکم عالمون بهذه القصة وهی ان کنتم امواتا نطفا فی اصلاب ابائکم فجعلکم احیاء ثم یمیتکم بعد هذه الحیوة وهذه مما لا شک فیها لانها من المشاهدات ثم یحییکم حین ینفخ فی الصور وحین تسئلون فی القبور ثم الیه ای الی حکمه ترجعون ای بعد الحشر للثواب والعقاب او من قبورکم وهذه القضایا ایضا مما لا شک فیها لنصب الادلة وازاحة العلة والاموات جمع میت کالاقوال جمع قیل وقد یطلق المیت علی الجماد کقوله بلدة میتا ویجوز ان یکون استعارة لاجتماعهما فی ان لا روح ولا احساس و یحتمل ان یقال المراد به خمول الذکر کقوله هَلْ اَتٰی عَلَی الْاِنْسَانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ یَکُنْ شَیْئًا مَذْکُورًا قال ابو بجیلة السعدی واحییت لی ذکری وما کنت خاملا ۞ ولکن بعض الذکر انبه من بعض ۞ ولا یخفی ان الایة بالنسبة الی العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم ثلث مرات فاماته الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم احیاهم ثم بعثناکم من بعد موتکم لعلکم تشکرون وکذلک بعثناهم لیتسائلوا بینهم واتیناه اهله ومثلهم معهم واعلم ان هذه الایة دالة علی امور منها اشتمالها علی وجود ما یدل علی الصانع القادر العالم الحی السمیع البصیر الغنی عما سواه ومنها الدلالة علی انه لا قدرة علی الاحیاء والاماتة الا الله فیبطل قول الدهری وما یهلکنا الا الدهر ومنها الدلالة علی صحة الحشر والنشر مع التنبیه علی الدلیل العقلی الدال علیه لان الاعادة اهون من الابداء ومنها الدلالة علی التکلیف والترغیب والترهیب ومنها الدلالة علی وجوب الزهد فی الدنیا لانه قال فاحیاکم ای عقیب کونکم نطفا من غیر تخلل حالة اخری بینهما ثم یمیتکم بعد انقضاء مهلة الحیوة ثم بین انه لا یترک علی هذا الموت بل لابد من حیوة ثانیة للسؤال وللحشر ثم من الرجوع الیه للثواب والعقاب فبین سبحانه انه بعد ما کان نطفة فانه احیاه وصوره واحسن صورته وجعله بشرا سویا واکمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملکه الاموال والاولاد والدور والقصور ثم انه تعالی یزیل کل ذلک عنه بانه یمیته ویصیره بحیث لا یملک شیئا ولا یبقی منه فی الدنیا اثر ولا عین ولا خبر ویبقی مدة مدیدة فی اللحد ومن ورائهم برزخ الی یوم یبعثون ینادی فلا یجیب یستنطق فلا یتکلم ثم لا یزوره الاقربون بل ینساه الاهل والبنون شعر اقاربی بجزاء قبری کان اقاربی لم یعرفونی الهی اذا قمنا من ثری الاجداث مغبرة رؤسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادیة لاهل القیمة سوآتنا فلا تضعف مصائبنا باعراضک عنا یا واسع المغفرة و یا باسط الیدین بالرحمة ولما ذکر الله تعالی فی الایة الاولی اصل جمیع النعم وهو الاحیاء الذی من حقه ان یشکر ولا یکفر اعقبها بذکر ما هو کالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما فیها وخلق السماء ومعنی لکم لاجلکم ولانتفاعکم فی دنیاکم وذلک ظاهر وفی دینکم من النظر فی عجائب الصنع الدالة علی الصانع القادر الحکیم ومن التذکیر بالاخرة وبثوابها وعقابها لاشتمالها علی اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواکه والمناکح والمراکب الحسنة البهیة وعلی اسباب الوحشة والالم من النیران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف فظاهر الایة لا تدل الا علی خلق ما فی الارض لاجلهم دون الارض فان ارید بالارض الجهات السفلیة دون الغبراء کما یذکر السماء ویراد به الجهات العلویة جاز ان یراد خلق لکم الارض وما فیها وجمیعا نصب علی الحال من الموصول الثانی وهو ما ای مجموعة والمجموع الذی جمع من ههنا وههنا وان لم یجعل کالشیء الواحد ویندرج فیها جمیع البسایط من الماء والهواء والنار وجمیع المولید من المعادن والنبات والحیوان وجمیع الصنایع والحرف وبعضهم استدل





بهذا علی ان الاصل فی الاشیاء الاباحة عقلا لکل احد ان یتناولها ویستنفع بها و یمکن ان یقال بل بهذه الایة والا کان تصرفا فی ملک الغیر من غیر اذنه ولا یلزم من انه تعالی خلق ما فی الارض لاجل المکلفین ان یکون فعله معللا بغرض فانه وان کان لا یخلو من فائدة وغایة والا کان عبثا لانه لا یلزم من استتباع الفعل الغایة ان تکون تلک الغایة علة العلیة فاعله لان هذه الغایة اذا کانت فاعلیته ناقصة تستکمل بتلک الغایة اما اذا کانت فاعلیته تامة فانه یوجد الشیء ذا الغایة من غیر ان تکون تلک الغایة حاملة له علی ذلک وهذا فرق دقیق یتنبه له من لم یتبر علیه قیل انه تعالی خلق الکل للکل فلا یکون لاحد اختصاص بشیء اصلا قلنا قابل الکل بالکل فیقتضی مقابلة الفرد بالفرد والتعیین یستفاد من دلیل منفصل والاستواء بمعنی الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تعالی منزه عن ذلک وایضا ثم یقتضی التراخی فلو کان المراد بهذا الاستواء العلو بالمکان لکان ذلک العلو حاصلا اولا ولم یکن متاخرا عن خلق ما فی الارض فیجب التاویل وتقریره انه یقال استوی العود اذا اعتدل ثم قیل استوی الیه کالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستویا من غیر ان یلوی علی شیء ومنه استعیر قوله ثم استوی الی السماء ای قصد الیها بارادته ومشیته بعد خلق ما فی الارض من غیر ان یرید فیما بین ذلک خلق شیء اخر والمراد بالسماء جهات العلو کانه قیل ثم استوی الی فوق وهذا کقولک لاخر اعمل هذا الثوب و بما معرا علی الهاکانه حانا ثم سواها سبع سموات وثم ههنا اما للتراخی فی الوقت والمراد انه حین قصد الی السماء لم یحدث فیما بین ذلک ای فی تضاعیف القصد الیها خلقا اخر کما قلنا او للتفاوت بین الخلقین وفضل خلق السموات عن خلق الارض کقوله فکسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر وکقوله ثم کان من الذین اٰمنوا وتفسیر هذه الایة فی قوله قُلْ اَئِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْاَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ وَتَجْعَلُوْنَ لَهٗ اَنْدَادًا ذٰلِکَ رَبُّ الْعَالَمِیْنَ وَجَعَلَ فِیْهَا رَوَاسِیَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَکَ فِیْهَا وَقَدَّرَ فِیْهَا اَقْوَاتَهَا فِیْ اَرْبَعَةِ اَیَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِیْنَ یعنی تقدیر الارض فی یومین کما یقول القائل من الکوفة الی المدینة عشرون والی مکة ثلثون یرید ان جمیع ذلک هذا القدر ثم استوی الی السماء فی یومین ومجموع ذلک ستة ایام فان قیل ما ینافی هذا قوله والارض بعد ذلک دحیها قلنا اجاب فی الکشاف لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض فی موضع بیت المقدس کهیئة الفهر علیها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسک الفهر فی موضعه وبسط منه الارض فذلک قوله کانتا رتقا وهو الالتزاق و نبه بان الارض جسم عظیم یمتنع انفکاک خلقها عن التدحیة وایضا قوله هو الذی خلق لکم ما فی الارض جمیعا ثم استوی الی السماء یدل ان خلق الارض وخلق ما فیها مقدم علی خلق السماء لکن خلق الاشیاء فی الارض لا یمکن الا اذا کانت مدحوة وقال بعض العلماء فی دفع التناقض قوله والارض بعد ذلک دحیها یقتضی تقدم خلق السماء علی الارض ولا یقتضی ان یکون تسویة السماء مقدمة علی خلق الارض وزیف ایضا بان قوله أ انتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمکها فسواها واغطش لیلها واخرج ضحیها والارض بعد ذلک دحیها یقتضی ان یکون خلق السماء وتسویتها مقدما علی تدحیة الارض علی خلقها الا انها مثلا زمان وح یعود التناقض والمعتمد عند بعضهم فی دفعه ان یقال ثم لیس للترتیب ههنا وانما هو علی جهة تعدید النعم مثاله ان تقول لغیرک الست قد اعطیتک النعم العظیمة ثم دفعت عنک الخصوم ولعل بعض ما اخرته فی الذکر مقدم فی الوقوع قلت هذا صحیح معقول من حیث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف ان ساعده النقل والا فلا احالة فی انه تعالی خلق الارض اولا فی غایة الصغر وجعل فیها اصول الجبال ووضع فیها البرکة وقدر الاقوات ثم استوی الی السماء فسویهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها اعظم مما کانت علیه کهیئتها الان والله تعالی اعلم والضمیر فی سویهن ضمیر مبهم وسبع سموات تفسیره نحو ربه رجلا وفائدة الابهام اولا ثم البیان ثانیا ان الکلام هکذا اوقع فی النفس لان المحصول بعد الطلب اعز من المنساق بلا تعب وقیل الضمیر راجع الی السماء والسماء فی معنی الجنس وقیل جمع سماءة والوجه العربی هو الاول ومعنی تسویتهن تعدیل خلقهن وتقویمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بکل شیء علیم فمن ثم خلقهن خلقا مستویا محکما من غیر تفاوت مع خلق ما فی الارض علی حسب الحاجات ووفق المصالح ومقتضی الحکمة والتدبیر وهذا عام لم یدخله التخصیص قط وبه یهدم بناء من زعم انه غیر عالم بالجزئیات لانه تعالی لو لم یعرف تفاصیلها لم یکن تخلیقها علی الاتقان والاحکام فسبحانه من خبیر یعلم الدر فی الاجواف والدرة فی الاصداف والقطرة فی البحر والخطرة فی النحر وهذا به نظام العالم وبه یحصل قوام ما هو بنو ادم ثم ان العقل قد یدل علی وجود سبع سموات وتخصیص عدده بالذکر لا یدل علی نفی الزائد فاثبت اهل الارصاد تسعة افلاک علی ما استقر علیه رایهم اولها من الجانب الاعلی للحرکة الیومیة لان هذه الحرکة تشتمل جمیع الاجرام فیجب ان یکون فلکها حاویا للکل وثانیها للثوابت جمیعها لاتحاد الادنی الدرجات لاتحاد الحرکات وان کان کونها علی افلاک شتی جائزا والسبعة الباقیة للسیارات السبعة جمیع ذلک بوجود اختلاف المنظر وعدمه وعلی ترتیب کسف بعضها بعضا واولها مما یلینا للقمر وفوقه للعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمریخ ثم للمشتری ثم لزحل وزاد عنهم بعض الناس فی زیادة الفلکین الثامن والتاسع فقال من المحتمل ان یتصل نفس مجموع السبعة فتحرکها حرکة الکل ثم یکون لکل فلک نفس علی حدة تحرکها حرکة الخاصة ویکون علی عدد ممثل حل منلا و بالجملة فلم یتبین لاحد من الاوائل والاواخر کمیة اعداد السموات علی ما هی علیه لا عقلا ولا سمعا وَمَا یَعْلَمُ جُنُوْدَ رَبِّکَ اِلَّا هُوَ وَمَا هِیَ اِلَّا ذِکْرٰی لِلْبَشَرِ

وَاِذْ قَالَ رَبُّکَ لِلْمَلٰئِکَةِ اِنِّیْ جَاعِلٌ فِی الْاَرْضِ خَلِیْفَةً قَالُوْا اَتَجْعَلُ فِیْهَا مَنْ صدق الله العلی العظیم

وچون گفت پروردگار تو مر فرشتگان را که من قرار دهنده ام در زمین جانشینی را گفتند که آیا قرار دهی در زمین کسی را

مَن يُفسِدُ فيها ويَسفِكُ الدِّماءَ ونَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ قالَ إنّي أعلَمُ ما لا تَعلَمونَ القراءة خليفة وشبا
کسی را که فساد کنند در ان و بریزد خونها را و حال آنکه ما تسبیح می‌نماییم بستایش تو و تقدیس کنیم از برای تو گفت که من میدانم آنچه را که شما نمیدانید بالامالة عند الوقف
ابو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي الا ان يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف
نحو خاصة وقبضة وحطة وغلظة وصبغة وصاخة وشقة واما العين والحاء والراء فعلى الاختلاف عن اهل المدينة فاشدهم امالة
حمزة وعلي فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر الى الفتح اقرب اني اعلم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو
والوقوف خليفة ط بناء على ان عامل اذ محذوف اي اذكر ومن جعل قالوا عامل اذ وصل الدماء ج لان انتهاء الاستفهام على قوله يسفك الدماء
يقتضي الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال في قوله ونحن نسبح بحمدك يقتضي الوصل ونقدس لك ط ما لا تعلمون التفسير هذا ابتداء الاخبار من
كيفية خلق آدم ع وعن كيفية تعظيمه اياه فينخرط في سلك ما تقدم من النعم فان النعمة على الآباء نعمة على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرف
اي اذكر وقت قول ربك كقوله واذكر اخا عاد اذ انذر اي وقت انذاره على انه بدل من اخا عاد لان الذكر في ذلك الوقت ممتنع والخطاب
للنبي ع او لكل احد من بني آدم ويجوز ان ينتصب بقالوا فيكون للمجازاة والملائكة جمع ملأك واصله مألك بتقديم الهمزة من الالوكة
وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك وجمع على فعائل مثل شمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها
على اللام والحاق التاء لتانيث الجمع نحو حجارة وقد لا تلحق واعلم ان الملك قبل النبي بالشرف العلية وان كان بعده في عقولنا واذهاننا
وقد جعله الله واسطة بينه وبين رسله في تبليغ الوحي والشريعة وقدم الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء في ان شرف العالم العلوي بالملائكة كما ان شرف العالم السفلي بوجود الانبياء
فيه وللناس في حقيقة الملائكة مذاهب فمنهم من زعم انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهو قول
اكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس وانها احياء ناطقة فالمسعدات
ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب ومنهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران
قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا
يبلي وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة عن الحكيم والضوء من المضيء
وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم
طوائف من النصارى انها هي الانفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين
وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية نسبة الشمس
الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت انواعا اخر من الملائكة وهي الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلي
خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل على ما ذهب اليه يطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة
المكاشفة واصحاب الحاجات والضرورات من جهة مشاهدة الآثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة والتركيب للمعجونات و
استخراج صنعة الترياقات كما يحكى انه كان لجالينوس وجع الكبد فرأى في المنام كان آمرا امره ان يفصد الشريان الذي على ظهر كف اليمنى
بين السبابة والابهام ففعل فعوفي ومما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء ع في اثبات الملائكة وذلك كالامر
المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال ع اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني
آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض
الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في
ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه
وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيها فانها كلها يكون شيئا يسيرا وقدرا قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد
او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم
الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل ع والملائكة الذين هم جنود جبرئيل وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون
عن عبادته ولا يسأمون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم اكابر الملائكة جبرئيل صاحب
الوحي والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة وملائكة يدخلون
يدخلون عليهم من كل باب ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم الموكلون ببني آدم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا
العالم والصافات صفا واما اوصافهم فكما قال امير المؤمنين علي ع منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون و
مسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه





وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من
الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة
واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم انه روى
الضحاك عن ابن عباس انه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تع لما اسكن الجن الارض فافسدوا
فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند من الملائكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال تع لهم اني جاعل
في الارض خليفة وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين انه تع قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص
خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان لان معناه مصير في الارض خليفة وانما لم يقل اني خالق كما قال اني خالق بشرا من طين لانه باعتبار
الخلافة من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد روي عن النبي ص ان الارض ههنا ارض مكة التي دحيت
الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وجمع خلائف مثل كريمة وكرائم
وجاء خلفاء لانهم جمعوه على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء والمراد به آدم ع اما لانه صار خليفة لاولئك الجن الذين تقدموه ويروى
ذلك عن ابن عباس واما لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو
المروي عن ابن مسعود والسدي وعن الحسن ان المراد بالخليفة ابناء آدم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض
وانما وحد بتاويل من يخلف او خلفا يخلف وبالحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات
ولا يخلفه شيء منها اذ لم يجتمع في شيء منها ما اجتمع فيه وليس للعالم مصباح يضيء بنار نور الله فيظهر انوار صفاته خلافة عنه الا مصباح
الانسان لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكوة الجسد وفي زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها من صفاء العقل يضيء ولو لم تمسسه
نار نور على نور وفي مصباح السر فتيلة الخفي فاذا استنار مصباحه بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل
والاحسان والرأفة والرحمة واللطف والقهر ولا يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك فاعلم والفائدة في اخبار الملائكة بذلك اما
تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك واما ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا واعلم ان الجمهور
من علماء الدين على ان الملائكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تع يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون فلا شيء
من المامورات الا وهم يفعلونه ولا شيء من المنهيات الا وهم يتركونه لان المنهي مامور بتركه فيدخل فيه بدليل صحة الاستثناء وايضا لقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى غير ذلك من الآيات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا اتجعل والاعتراض
على الله من اعظم الذنوب وايضا نسبوا بني آدم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر وايضا مدحوا انفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك
وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب وايضا قوله تع ان كنتم صادقين يدل على انهم كانوا كاذبين فيما
قالوه وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض يدل على انهم كانوا مرتابين في انه تع عالم بكل المعلومات وايضا علمهم بالافساد
وسفك الدماء اما بالوحي وهو بعيد اذ لم يكن لاعادة الكلام فائدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي ولا تقف ما ليس لك به علم
وايضا قصة هاروت وماروت وان ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان غرضهم من ذلك
السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه الله على شيء لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان قاطعا
بحكمة غيره ثم رآه يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الانسان الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكانهم قالوا اعطاء هذه النعم العظام من
يفسد ويسفك لا تفعله الا لوجه دقيق وسر غامض فابلغ حكمتك ومنها ان ابداء الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكانه قيل الهنا انت الحكيم
الذي لا يفعل السفه البتة وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا على ان
الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تع فكانوا على مذهب اهل العدل قالوا ومما يؤكد ذلك انهم اضافوا الفساد وسفك الدماء
الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح بحمدك والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام ونقدس والتقديس تنزيه فعاله عن صفة الذم
ونعت السفه ومنها ان الخير في هذا العالم غالب على شره وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة نظروا الى الشر فاجاب
الله تع بقوله اني اعلم ما لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لاجل الشر القليل وهذا جواب الحكيم ومنها ان سؤالهم كان
على وجه المبالغة في اعظام الله تع فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه ومنها ان قولهم اتجعل مسألة منهم ان يجعل
الارض او بعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى اتهلكنا بما فعل السفهاء اي لا تهلك فقال تع اني اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم
وصلاح هؤلاء فبين ان الاختيار لهم السماء ولهؤلاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله له ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج
الايجاب كقول جرير شعر الستم خير من ركب المطايا اي انتم كذلك والا لم يكن مدحا فكانهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك
لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة فقال تع اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي يقتضي

ايجادهم وفيه ان استحقاق تلك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غنى عن طاعة المطيعين كما انه لا يضره معصية المذنبين والجواب
عن الغيبة ان من اراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال فلذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب ان مدح النفس غير ممنوع
منه مطلقا واما نسبح بحمدك فكانهم قالوا اما سالناك للقدح في حكمتك يا رب فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل لطلب وجه الحكمة
وعن الاعتذار انه لم يكن للذنب بل لان ترك السؤال كان اولى وروى عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق آدم همس الملائكة
فيما بينهم وقالوا ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا اعلم منه واكرم عليه فلما خلق آدم ع وفضله عليهم وعلمه الاسماء
كلها قال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه ففزعوا الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا
ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها منها انهم قالوا ذلك ظنا اما لانهم قاسوهم على حال الجن
الذين كانوا قبل آدم ع في الارض وهو مروي عن ابن عباس والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط
المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد وللغضب الذي منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود
وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في
الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او انه تعالى كان قد علم الملائكة انه
اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء او لانه لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا
ذلك ولان معنى الخليفة اذا كان النائب لله في الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود
الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق النار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لم خلقت هذه النار فقال
لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن في الارض الخلق البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا ان المعصية
منهم تظهر واما قصة ابليس وهاروت وماروت فسيجيء الكلام فيها واختلف الناس في ان الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشر ام لا فالفلاسفة
وكثير من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعتزلة اثبتوا لهم قدرة على الامرين لان قولهم اتجعل اما معصية او ترك الاولى
وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وايضا قال تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم مكلفين وقال لا
يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله تعالى
فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب والواو في ونحن نسبح للحال كقولك تحسن الى فلان وانا احق بالاحسان والتسبيح تبعيد الله
من السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد فالتبعيد عن السوء اما في الذات ويحصل بنفي الامكان المستلزم
لنفي الجسمية والعرضية والضد والند واما في الصفات بان يكون مبرأ عن العجز والجهل والتغيرات محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات
واما في الافعال بان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى انا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون
انا الغني عن الكل سبحانه هو الغني انا الذي كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة
والولد سبحانه ان يكون له ولد انا الذي اخلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون انا الذي سخرت الانعام القوية
للبشر الضعيف سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين انا الذي علم لا بتعليم المعلمين ولا بارشاد المرشدين سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
انا الذي اغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان اردت رضوان الله فسبح ومن آناء الليل فسبح و
اطراف النهار لعلك ترضى وان اردت الخلاص عن النار فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان اردت الفرج عن البلاء فسبح لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين ايها العبد واظب على التسبيح وسبحوه بكرة واصيلا والا فالضرر يعود اليك فان استكبروا فالذين
عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يسبح لي الحجر والمدر والرمال والجبال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار
والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله ما في السموات والارض وان من شيء الا يسبح بحمده
ايها العبد انا الغني عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح ولا اضيع ثواب
هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بي وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لكني اوصل ثواب هذه الاشياء اليك ليعرف ان من اجتهد
في خدمتي اجعل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ايها العبد اذكرني بالعبودية
لتنتفع به لا انا سبحان ربك رب العزة فانك اذا ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الفلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما اقرضني وان كنت انا الغني حتى ارد الواحد عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم لا حاجة لي الى العسكر ولو يشاء الله
لانتصر منهم ولكن اذا انصرتني نصرتك ان تنصروا الله ينصركم اخدمني يا ايها الناس اعبدوا ربكم لا لاني احتاج الى خدمتك فاني انا الملك
ولله ملك السموات والارض ولكن اصرف خدمتي عن ضمير التراب ملكا كبيرا وخيرا كثيرا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك الفوز العظيم قوله بحمدك في موضع الحال اي



نسبح متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسئل عن رسول الله ص اي الكلام افضل فقال ما اصطفاه الله للملائكة
سبحان الله وبحمده ويروى ان اهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان ذي الملك والملكوت واهل السماء الثانية قيام الى يوم
القيمة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون سبحان الحي الذي لا ينام ولا يموت وعن ابن عباس
وابن مسعود نسبح اي نصلي والتسبيح الصلوات وعن مجاهد نقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء مرضاتك وقيل نطهر قلوبنا
عن الالتفات الى غيرك حتى تصير مستغرقة في انوار معرفتك اني اعلم ما لا تعلمون معناه لا تعجبوا ولا تعتقدوا ان فيهم من يفسد ويسفك فاني
اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره واعلم ان معكم ابليس وفي قلبه من الحسد والكبر والنفاق كثيرا وانكم لما وصفتم انفسكم بهذه المدائح فانتم
تسبحون انفسكم لا انا سبحي اصبروا حتى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبدونني ثم يخشونني يؤدون حق العبادات ثم لا يتكلون على تلك الطاعات
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذينهم من خشية ربهم مشفقون والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين او اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم ولكم في هذه الاجمال ما يغنيكم عن التفصيل فان افعالي كلها حكمة
ومصلحة وان خفي عليكم وجه كل واحد واحد على انه قد بين لهم بعض ذلك في قوله **وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم**
**على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا**
**انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني**
**اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** القراءة انبئوني وكذلك خاطئون وخاسئون
وقالون ونحن المنشؤن وليطفؤا وليواطؤا ومتكئين وقد استهزئ ومتكاء وليستنبؤنك وبابه بريا وبريون وبابه كهيئة واشباه
ذلك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وهؤلاء بغير المد ولاء بالمد يزيد ويعقوب وقتيبة ومصعب عن قالون قال ابو اسحق هما كلمتان لا يمد
ويمد هؤلاء من يهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وقرا ابو عمرو والبزي من طريق الهاشمي بترك الهمزة الاولى واثبات الثانية
وكذلك في المضمومتين واما في المفتوحتين فكابي عمرو وانبئهم عن ابن عامر ويايان مهموزة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة
الهاء والباقون مهموزة مضمومة الوقوف صادقين علمتنا الحكيم انبئهم باسمائهم ج لمكان فاء التعقيب باسمائهم لا لان قال جواب
فلما تكتمون التفسير فيه ابحاث الاول الاشعري والجبائي والكعبي على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك
الالفاظ وتلك المعاني وبان تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعاني بدليل قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها لا علم لنا الا ما علمتنا وهذا
يدل على ان الملائكة وآدم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم اصحاب ابي هاشم الذاهبين الى ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر
واحدا وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال فقالوا المراد الهمه بعث داعية على الوضع مثل وعلمناه صنعة
لبوس اي الهمنا او المراد علمه ما سبق من اصطلاحات قوم كانوا قبل آدم واجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر فالوا ثم عرضهم يدل
على ان المراد بالاسماء اسماء المسميات فان قلنا المسميات غير معقول فاذن المراد اسماء المسميات وعوض اللام عن المضاف
اليه كما في قوله واشتعل الرأس اي علم اسماء كل ما خلق من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولده اليوم من
العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد آدم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد طائفة
واحدة معينة من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون نسوا سائر اللغات ثم لا يبعد بل ينبغي ان يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك
صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة او من السمو فالاسم هو
العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء فان العلم
بالمدلول انما قلنا ينبغي ذلك لان الفضيلة في معرفة حقائق الاشياء اكثر من الفضيلة في معرفة اسمائها ثم من الحقائق ما يتوقف ادراكها
على انه يدل بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فاذا كان لآدم تلك الآيات وقد عرفها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وايضا العربي
لا يحسن منه ان يقول لغيره تكلم بلغتي لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل انما يحصل بالتعليم حصل العلم بها والا فلا اما العلم بحقائق الاشياء
فالعقل يتمكن من تحصيله فصح وقوع التحدي به وانما قيل ثم عرضهم بلفظ المذكور لان في جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فغلب
الكامل على الناقص والتذكير على التانيث ومن الناس من تمسك بقوله انبئوني باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف
لانه انما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله ان كنتم صادقين اي في اني لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منهم وقيل اي في قولكم انه لا شيء
مما يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له وتقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل علموني باسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين

في ذلك الاعلام وقيل اخبروني لا تقولون الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوكيد لما هم عليه من القصور ولانه متى تمكن في انفسهم العلم بانهم
ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل لم يجتروا على الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم اتجعل قالوا انهم لما عرفوا خطأهم
تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والذين انكروا معصيتهم قالوا قالوا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كانهم
قالوا لا نعلم الا ما علمتنا ذلك فكيف نعلمه وانهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لان الله تعالى اعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك علمتنا انهم
يفسدون في الارض فقلنا لك اتجعل واما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك تسبيحا اي ننزهك تنزيها وهو مصدر
غير متصرف اي لا يستعمل الا محذوف الفعل منصوبا على المصدرية فاذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح فان العلمية كما تجري
في الاعيان تجري في المعاني قالت المعتزلة ههنا المراد انه لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الادلة وقالت الاشاعرة بل الجميع بالتعليم
لان المؤثر في وجود العلم ليس هو ذات الدليل بل النظر في الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى وتسهيله ثم احتج اهل الاسلام بالاية على انه لا
سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة وللمنجم ان يقول للمعتزلي اذا فسرت التعليم بوضع الدليل
فعندي حركات النجوم دلائل خلقها الله تعالى على احوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه الله تعالى انك انت العليم بكل المعلومات فامكنك
تعليم ادم الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكيم انه هو الذي حكم بجعل ادم خليفة في الارض وقوله
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض مستحضرا لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون الا انه تعالى جاء به على وجه ابسط واشرح فيه لج
فيه علمه باحوال ادم قبل ان خلقه وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها فيبطل مذهب هشام بن الحكم انه لا يعلم الاشياء الا عند
وقوعها وقد روى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود انه يريد بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون
ما اسر ابليس في نفسه من الكفر والكبر ان لا يسجد قيل لما خلق ادم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا
الا كنا اكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموه ويجوز ان يكون هذا القول سرا اسروه منهم فابداه بعضهم لبعض واسروه عن غيرهم فكان في
هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والظاهر انه عام كقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون انه يعلم الجهر وما يخفى البحث الثاني
قالت المعتزلة ما ظهر من ادم معجز دل على نبوته في ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حواء او الى من توجه التحدي اليهم لانهم وان كانوا رسلا
فقد يجوز الارسال الى الرسل كبعثة ابرهيم الى لوط واحتجوا بان حصول ذلك العلم له ناقض للعادة ومنع بان حصول العلم بالاسماء لمن علمه
الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وايضا انهم علموا ان تلك الاسماء موضوعة لتلك المسميات والا فان علموا فقد تدروا
على المعارضة والا فكيف عرفوا ان ادم اصاب فيما ذكر اللهم الا ان يقال ان لكل صنف منهم لغة من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف حضروا
وان ادم عرض عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا او يقال انه تعالى عرفهم قبل ان سمعوا من ادم تلك الاسماء فاستدلوا به على صدق ادم
والظاهر انهم قد عرفوا صدقه بتصديق الله تعالى اياه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق للعادة فلم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات
او من باب الارهاص وهما عندنا جايزان قال الطاعنون بانه ما كان نبيا في ذلك الوقت قالوا صدرت الكبيرة منه بعد ذلك والاقدام عليها يوجب
الطرد والتحقير فوجب ان يكون النبوة متاخرة عنها كيف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه والرسالة هي الاجتباء فيكون بعد الزلة وايضا لو
لو كان رسولا فان لم يكن مبعوثا الى احد فلا فائدة وان كان مبعوثا فاما الى الملائكة وهم افضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز جعل الادون
رسولا الى الاشرف لان المرء الى قبول القول ممن هو من جنسه اسكن ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما الى الانس ولا انسان الا حواء
وانها عرفت التكليف لا بواسطة ادم بدليل ولا تقربا هذه الشجرة واما الى الجن وما كان في السماء احد من الجن البحث الثالث في فضل العلم
لو كان في الامكان شئ اشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل ادم بذلك الشئ ومما يدل على فضيلة العلم الكتاب والسنة والمعقول اما الكتاب فمن ذلك
ما روي عن مقاتل ان الحكمة في القران على اربعة اوجه احدها مواعظ القران وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة
بمعنى الفهم والعلم واتيناه الحكم صبيا واتينا لقمن الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة ولقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة ورابعها القران
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين
سبعة نفر في كتابه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوي الخبيث والطيب لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات فاذا تاملت وجدت كل ذلك
ماخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي العلماء في اصح الاقوال لان الملوك
يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم جعلهم في الايتين في المرتبة الثالثة ثم زاد في الاكرام
فجعلهم في المرتبة الثانية وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك
قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون في العلم يقولون امنا به و
بشهادة التوحيد شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وبالبكاء والسجود والخشوع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى





عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وبا
انما يخشى الله من عباده العلماء واما الاخبار فمنها ما رواه انس عن النبي صلعم من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين
فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة سنة وبنى بكل قدم مدينة في الجنة له ويمشي على الارض
والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن انس ايضا ان النبي صلعم قال من طلب العلم لغير
الله لم يخرج من الدنيا حتى ياتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه
الرجل خير له من ان يكون ابو قبيس ذهبا له فانفقه في سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان
بينه وبين الانبياء درجة في الجنة وعنه صلعم رحمة الله على خلفائي فقيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها
عباد الله وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء اني لم اضع نوري فيكم الا
لعلمي بكم ولا اضع علمي فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال صلعم معلم الخير اذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الارض وحيتان البحر
عن ابي هريرة مرفوعا من صلى خلف عالم من العلماء فكانما صلى خلف نبي من الانبياء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد بسبعين
درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاما وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم ويزيلها والعابد يقبل على عبادته
لا يتوجه اليها ولا يتعرف لها وقال صلعم لعلي حين بعثه الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وعن معقل
مرفوعا من طلب العلم ليحدث الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا وعن عامر الجهني مرفوعا يؤتى بمداد العلماء ودم الشهداء
يوم القيمة لا يفضل احدهما على الاخر وفي رواية فيترجح مداد العلماء وعن ابي واقد الليثي ان النبي صلعم بينما هو جالس والناس معه اذ اقبل ثلثة نفر
فاما احدهم فراى فرجة في الحلقة فجلس اليها واما الاخر فجلس خلفهم واما الثالث فانه رجع وفر فلما فرغ صلعم من كلامه قال الا اخبركم عن النفر
الثلثة فاما الاول اوى الى الله فاواه الله واما الثاني فاستحيى من الناس فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض الله عنه وعنه صلعم يشفع يوم
القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوي فاعظم بمرتبة هي الواسطة بين النبوة والشهادة وعن ابي هريرة مرفوعا اذا مات الانسان
انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له بالخير وعن النبي صلعم اذا سالتم الحوائج فاسئلوها الناس قيل يا رسول الله
ومن الناس قال صلعم اهل القران قيل ثم من قال صلعم صباح الوجوه قال الراوي والمراد باهل القران من يحفظ معانيه وقال كن عالما مجتهدا او متعلما
او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك قال الراوي وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخرى الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس
همج لا خير فيه ان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما احسن قول بعض الاعراب لولده كن سبعا خالسا او ذئبا او كلبا حارسا واياك ان تكون
انسانا ناقصا وعن النبي صلعم انه كان يحدث انسانا فاوحى الله تعالى اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذي تحدثه الا ساعة وكان هذا وقت العصر
فاخبره الرسول بذلك فاضطرب الرجل قال يا رسول الله دلني على اوثق عمل في هذه الساعة قال صلعم اشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم فقبض قبل
المغرب قال الراوي فلو كان شئ افضل من العلم لامره النبي صلعم به في ذلك الوقت واما الاثار فقال مصعب الزبيري قال لابنه تعلم العلم فان يك لك مال كان
لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال علي بن ابي طالب رضه لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وقيل مثل العالم بالله
وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص وهو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له
وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى الخلق صار كواحد منهم واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا
سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى وهو المستغرق في المعارف الالهية غير متفرغ لتعلم
علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون اسرار جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضئ
غيره وقال سفيان الناس يقومون من مجلسي على ثلثة اصناف وذلك اني افسر القران فاقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقني فهو كافر
محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم ان لا يكون كان مؤمنا مخلصا وقال ايضا ثلثة من النوم يبغضها الله
وثلثة من الضحك النوم بعد صلوة الفجر وقبل صلوة العتمة والنوم في الصلوة والنوم عند مجلس الذكر والضحك خلف الجنازة و
في المقابر والضحك في مجلس الذكر وقيل العالم اراف بالتلميذ من الاب والام لان الاباء والامهات يحفظونهم من نار الدنيا والعلماء
من نار الاخرة وشدائدها وقيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول وقال بعضهم سل مسئلة الحمقى واحفظ
حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان تزينت بخمسة اشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة العباد وامانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء
ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فركزه في جنب العلم وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة
وجاء بالخيانة فركزه بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة وقال علي بن ابي طالب رضه العلم افضل من المال بسبعة اوجه العلم ميراث الانبياء
والمال ميراث الفراعنة العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ اذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره
المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل الا للمؤمن جميع الناس محتاجون الى العالم في امر دينهم ولا يحتاجون الى صاحب المال العلم يقوي الرجل

عند المرور على الصراط والمال يمنعه منه قال الفقيه ابو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيئا فله سبع كرامات
ينال فضل المتعلمين وكان محبوسا من الذنوب مادام جالسا عنده واذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العلم
نزلت الرحمة عليهم حصل له نصيب مادام يكون في الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر فيكون في زمرة عند المنكسرة
قلوبهم لاجلي واذا راى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق يبغض عن الفسوق ومال الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغي للشريف ان يانف منه وان
كان اميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذي يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشياء علم
آدم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتني من تاويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع
وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى عليه السلام علم التوراة والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة
وعلم محمدا عليه السلام علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم آدم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى
ويوشع له وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس الغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن
امه وعلم محمد عليه السلام لوجدان الشفاعة فمن علم اسماء المخلوقات وجد آدم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملائكة سلام
قولا من رب رحيم والخضر وجد بعلم الفراسة صحبة موسى فامة محمد بعلم الحقيقة لا يجدون صحبة محمد عليه السلام فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين ويوسف بتاويل الرؤيا نجا من حبل البلاء فمن كان عالما بتاويل كتاب الله لا ينجو من حبل الشبهات ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم وايضا فان يوسف عليه السلام ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث فانت يا عالم اما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك
مفسر الكلام وسميا النفس ووارث النبيين وداعيا الخلق وواعظ العباد وسراجا لاهل البلاد وقائد الخلق الى الجنة وثوابه وزاجرا لهم عن ناره
وعقابه كما جاء في الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء وروي عن نافع
بن الازرق قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع الفخ يغطى
له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضاء عمي البصر وقال لولده يا بني عليك بالادب فانه دليل على المروة وانس في الوحشة
وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسائل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك
وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر على ان يخدمك فيه احد كما تجد من يخدمك في سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك ولا يقدر احد على سلبه
عنك وقيل لبعض الحكماء لا تنظر فغمض عينيه وقيل له لا تسمع فسد اذنيه وقيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه وقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه وعن
بعض الحكماء عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا في عينك وكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد ولا تلم احدا على فعل يمكن ان يعتذر منه ولا ترفع
شكايتك الا الى من ترجو نفعه عنده حتى تكون حكيما فاضلا ولبعضهم آفة الزعماء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة واما النكت فالمعصية
عند الجهل لا يرجى زوالها انظر الى زلة آدم فانه بعلمه استغفر والشيطان عصى وبقي في العذاب لان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف عليه السلام لما صار ملكا احتاج
الى وزير فسأل جبرئيل عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فراه في اسوء الاحوال فقال لجبرئيل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله
فقال له جبرئيل ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من ذب
عن يوسف استحق الشركة في مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل اراد واحد خدمة
ملك فقال الملك اذهب تعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه فقال اترك التعلم فقد صرت اهلا لخدمتي فقال
كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك وحين رايتني اهلا لخدمتك رايت نفسي اهلا لخدمة الله وذلك اني كنت اظن ان الباب بابك
لجهلي والان علمت ان الباب باب الرب قال حكيم القلب ميت وحياته بالعلم والعلم ميت وحياته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوي
بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا آخر له وان نملة واحدة
نالت الرياسة بمسئلة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة الى تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البرئ من غير جرم
فقالت لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم حقائق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين
والدنيا وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة اذا تلوثت باوزار المعصية كيف لا تطهر ببركة
العلم بالله بصفاته واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا الشارب يقول حسبته حلالا وكذا الزاني يقول
تزوجتها فانه لا يحد واما الحكايات فحكي ان هرون الرشيد كان بحضرته فقهاء منهم ابو يوسف فاتي برجل فادعى عليه انه اخذ من بيتي مالا
بالليل ثم اقر الاخذ بذلك في المجلس فاتفق العلماء على انه يقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لا بد
من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا له اخذتها سرقة فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف لا قطع عليه
لانه وان اقر بالسرقة لكن بعد ما اوجب الضمان عليه باقراره بالاخذ واذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه
فلا يسمع اقراره فتعجب الكل وعن الشعبي كنت عند الحجاج فاتي بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا في الحديد فقال الحجاج انت زعمت ان







الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلى فقال الحجاج لتاتيني بها بينة واضحة من كتاب الله او لاقطعنك عضوا عضوا فقال آتيك بها بينة واضحة
من كتاب الله يا حجاج قال فتعجب من جراته بقوله يا حجاج قال ولا تاتني بهذه الآية ندع ابناءنا وابناءكم فقال آتيك بها واضحة من كتاب
الله قال تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى فمن ابو عيسى فقد الحق تعالى عيسى بذرية
نوح قال فاطرق مليا ثم رفع راسه فقال كاني لم اقرا هذه الآية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا ويحكى ان جماعة من اهل
المدينة جاؤا الى ابي حنيفة ليناظروه في القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة
الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم قالوا نعم قال فالمناظرة معه كالمناظرة معكم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا
نعم قال وان ناظرته والزمته الحجة فقد الزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا قال ابو حنيفة فنحن لما
اخترنا الامام في الصلوة فقراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم ويحكى ان المنصور دعا ابا حنيفة يا ابا حنيفة يوما فقال الربيع و
هو يعادي ابا حنيفة يا امير هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جائز وابو حنيفة ينكره فقال ابو حنيفة هذا الربيع يقول ليس لك
بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فيبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال يا
ربيع لا تتعرض لابي حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت في دمي قال كنت البادي ويحكى انه دخل اللصوص على رجل واخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق
ثلاثا ان لا يعلم احدا فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه فجاء الرجل يشاور ابا حنيفة فقال
احضر لي امام مسجدك واهل محلتك فادخلهم جميعا في دار واحدة واخرج واحدا واحدا فقال للرجل ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت
فلما سكت قبض على اللص ورد الله تعالى عليه جميع ما سرق منه ويحكى انه كان لجوار ابي حنيفة فتى يغشى مجلس ابي حنيفة فقال يوما اني اريد
التزوج من آل فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله تعالى يسهل الامر عليك بعد ذلك
فاقرضه ابو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل
ذلك فاشتد على اهل المرأة وجاؤا الى ابي حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم له ذلك والطريق ان ترضوه بان تردوا عليه ما اخذتموه فاجابوا
اليه فقال الزوج اني اريد شيئا آخر فوق ذلك فقال له ابو حنيفة ترضى بهذا والا اقرت لرجل بدين فلا يمكن المسافرة بها حتى تقضي ما عليك
فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضي بذلك فحصل ببركة علم ابي حنيفة فرج كل واحد من الخصمين سئل ابو حنيفة عن رجل حلف ليقربن امرأته في نهار رمضان فلم يعرفوا احد من الجواب فقال يسافر بامرأته فيطأها نهارا في رمضان وقال بشر المريسي للشافعي
كيف تدعي انعقاد الاجماع مع اهل المشرق والمغرب على شيء واحد كان هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على
خلاف هذا الجالس فتحير خوفا وانقطع ويحكى ان اعرابيا سأل الحسين على حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسئلوها
من احد اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل القرآن او صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدابكم وسيرتكم
واما القرآن ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله عليه السلام يقول اذا اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين فقال الحسين
ما حاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين عليه السلام سمعت ابي عليا عليه السلام يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة
فاسألك عن ثلث مسائل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن ثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلث
فلك ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال عليه السلام اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله قال
فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال عليه السلام فان اخطاء ذلك قال فمال معه كرم قال عليه السلام فان اخطاء
ذلك قال فقر معه صبر قال عليه السلام فان اخطأ ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين عليه السلام ورمى عليه السلام بالصرة اليه واما الوجوه العقلية
فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم يرضاه الشهوة والعقل وهو
العلم والجنة وقسم لا يرضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة
حاضرة وكما يعيش يموت ويبعث ومنها ان اللذة ادراك المحبوب كلما كان المدرك اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم ومدرك العقل هو الله
وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع حكامه واوامره واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال
العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ
وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كانه قال كنت في اول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في آخر حالك في
غاية الشرف وايضا ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما يستحق الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية واعظم
موهبة ومنها انه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم
جنات عدن الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس اهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة انما المفيدة للحصر لاجل لام الاختصاص
في قوله لمن خشي والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية ان من لم يكن عالما بالشيء استحال ان يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل

معه من العلماء بامور ثلثة احدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه
ثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند
السلطان عالم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبائح افعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد
من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم
العلم بالله وبهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا امر حبيبه صلعم بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى ع
بما علم بل قال للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظمى بل افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف
ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ
القول على السلاطين وما ذاك الا ببركة العلم ومنها انه صلعم قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك ان التفكر يوصلك الى الله والعبادة
يوصلك الى ثواب الله وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال لموسى عظم الحكمة
فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال
سبحانه قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا
العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان
التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا من ان الخشية لا يحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا
قدم العالم على العاقل لان العالم لا بد وان يكون عاقلا واما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر واما
الانجيل فقد قال عز من قائل في السورة السابعة عشرة منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه
فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم فلا نعمل ولكن
قولوا نرجوا ان نعلم فنعمل والعلم شفيع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه وان الله تع يقول يوم القيمة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون
ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي الى
جنتي برحمتي وبالجملة فكون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل
العالم يا جاهل تاذى بذلك وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك والعلم انما جد
كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا راى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان
ذلك الحيوان اقوى بكثير من الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا كانوا رؤساء بالطبع على من دونهم في العلم وان كثيرا ممن كانوا يعاندون رسول الله
ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه القى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له ولو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تغنيك
عن خبره ما فضل الانسان على سائر الحيوان الا لاختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق
الاشياء والاشتغال بعبادة الله تع والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا اخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت ويسبح
في بحار المعقولات فيطالع الموجودات والمعدومات والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط و
المركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها وانواع انواعها واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره
ويعرف اثر كل شيء ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليه وجزئيه فيصير كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها
وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا وواسطة بين الله وعباده ولامر ما لم يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال من
القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء عن المكان والحيز جوابا للملائكة وموجبا لسكوتهم وانما جعل تع صفة
العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وهكذا اظهر فضيلة آدم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس وان ابرهيم اشتغل في اول امره
بطلب العلم متنقلا بفكره من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بالدليل الباهر والبرهان الظاهر الى المقصود وهو الملة
الحنيفية وان الله تع سمى العلم تارة بالحيوة اومن كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وتارة بالنور
يهدي الله لنوره من يشاء وضرب المثل في العلم بالماء انزل من السماء ماء فعلم التوحيد كماء العين لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر كذلك لا ينبغي طلب
كيفية الله كيلا يفضي الى الكفر وعلم الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهواء وكذلك
علم الزهد صاف ويتكدر بالطمع وعلم البدع كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق واما الاخبار والآثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه
او طلب العلم لغير ذات الله فمنها انه صلعم قال لا تجالسوا العلماء الا اذا دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن
العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد وقال ص الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم عن عدي بن حاتم ان النبي صلعم قال يؤتى بناس يوم القيمة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا



الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع احد بمثلها ويقولون يا ربنا
لو ادخلتنا النار قبل ان تريناما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فنودوا ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم
بي بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تضمرون عليه في قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوا جلالي
الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي ولم تتركوها لي كنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم وقيل طلب اربعة
من الموضع السلامة ومن المصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من
المصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة والكراهة فالكلب خير منه واذا لم تجد من مالك الفراغة فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم
المنفعة فالموت خير منه وقيل لا يتم اربعة اشياء الا باربعة اشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا تتم المروة الا بالتواضع
ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر وقال
علي بن ابي طالب ع لجابر بن عبد الله الانصاري قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع آخرته
بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة
وقيل اذا وضعت على سواد عينك جزءا من الدنيا لا ترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا
البحث الرابع في حد العلم الاشعري العلم ما يعلم به وربما قال ما يصير الذات به عالما القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه القفال اثبات
المعلوم على ما هو به الكل دائر المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لسكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج
علم الله تع عنها فانه لا يطلق هناك النفس وفيه مفاسد اخر يطول ذكرها ههنا وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل اصح الحدود صفة توجب
تميزا لا يحتمل النقيض والحق في هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كل ما يقع في ذلك
النور فهو مدركه فكذا للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور وهكذا ادركت جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد النفس نورية وشروقا ازداد انبساطه فيقع فيه المعلومات اكثر
وهكذا يكون الحال في كل مستكمل اما اذا كان العالم بحيث يكون كمالاته الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزداد نوريته ولا يتجاوز من تلقاء
في العلم وما منا الا له مقام معلوم ثم ان كان الكمال والنور بحيث لا يمكن اكمل منه ولا انور كان جميع الاشياء واقعة في نوره بل يكون نوره
نافذا في الكل متصرفا فيها محيطا بها ازلا وابدا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وههنا اسرار اخر لا يجوز التعبير عنها
لعزها فيفطن لبعضها من وفق لها من اهلها البحث الخامس في الفاظ تقرب من العلم الاول الادراك وهو الوصول لان القوة العاقلة تصل
الى حقيقة المعقول الثاني الشعور وهو ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تع
الثالث التصور مشتق من الصورة فكان حقيقة المعقول حلت في العاقلة حلول الشكل في المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة
في العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة التفات النفس الى
عالمها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال الشاعر الله يعلم اني لست اذكره وكيف
اذكره اذ لست انساه ويوصف القول بانه ذكر لانه سبب حصول المعنى في النفس قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر السابع المعرفة وقد اختلفوا
في تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان اشرف من
العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية
وقال بعضهم من ادرك شيئا وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذي ادركه ثانيا هو الذي كان ادركه
اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معرفة بالربوبية الا انها في ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت
من قيد العلائق عرفت بها وعرفت انها كانت عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشيء من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع
التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تع لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يقفون على المقصود الاصلي من التكاليف
العاشر العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ونفعها وضرها حتى يصير مانعا من الفعل مرة ومن الترك
اخرى فيجري ذلك مجرى عقال الناقة ومن هنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله امره ونهيه الحادي عشر الدراية
وهي المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهي ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تع الثاني عشر الحكمة وهي اسم لكل علم حسن وعمل صالح
وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وقيل هي الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر الطاقة البشرية وذلك
ان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وعدله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان متحققا بانفصال
عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والآراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال

النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه يجرى مجرى التضرع الى الله تعالى فى استنزال العلم من عنده السادس عشر الحدس وهو قوة للنفس بها يهتدى بغير عنا الى الحد الاوسط فى كل قياس السابع عشر الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه الغاية القصوى من كثرة النار اشتعلت الثامن عشر الفطنة وهى التنبه لشئ قصد تعريضه كالاحاجى والرموز التاسع عشر الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حق وحظ العشرون الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم باموز جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة الام وعداوة الذئب الحادى والعشرون الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قبل ومدح وعليه مدار اكثر احوال العالم وان كان عن امارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم الثانى والعشرون الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك فى النوم قد يخص باسم الطيف الثالث والعشرون البديهة وهى المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات الرابع والعشرون الروية وهى ما كان من المعارف بعد فكر كثير الخامس والعشرون الكياسة وهى تمكن النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت السادس والعشرون الخبرة وهو معرفة تحصل بطريق التجربة وحدث الناس اخبر تقله السابع والعشرون الراى وهو اجالة الخاطر فى المقدمات التى يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من الراى والراى للفكرة كالالة للصانع ولهذا قيل اياك والراى الفطير الثامن والعشرون الفراسة وهى اختلاس المعارف من فرص السبع الثانى ضرب منها يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب لاصفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عنى النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ان فى امتى لمحدثين وان عمر منهم وقد يسمى النفث فى الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل افمن كان على بينة من ربه اشارة الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثانى والله اعلم التاويل عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم فتجلى فيه فالتجلى علة التخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المراة تكون خليفة المتجلى فيه انبئونى باسماء هؤلاء المخلوقات دون اسماء الله صفاته ان كنتم صادقين فى دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الموجودات مسبحات لجلاله وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات المخلوق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا فيخلف عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال انبئهم ولم يقل علمهم كقوله تعالى وعلم ادم لان الملائكة ليس لهم الترقى فى الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا ولا يتجاوزون ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيمكن انباؤهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا واما الالهيات فليس لهم استعداد الترقى اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم ادم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لا يطاق وانما كان ادم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه فى انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على اعلى الشجرة كذلك ادم عبر على اجزاء شجرة الوجود وكان فى كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل من ذلك اسم يلائمه حتى ان اسماء الله تعالى جاءت على وفقه فضلا عن غير اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان الله رزاقا ولما كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معيوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان عليه السلام مظلوما كان منتقما وعلى هذا فقس

**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**

ع٥

القراءة للملائكة اسجدوا برفع الهاء للاتباع يزيد وقتيبة روى ابن مهران عنهما اشمام الكاف الكسر ورفعها الهاء وروى





الخزاعى وابن شنبوذ عن اهل مكة الملائكة بغير همز وكذلك كل كلمة فى وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين والسائل والبائس فانها بالهمز شئتما وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهانى وحمزة فى الوقف فازلهما حمزة آدم بنصب كلمات رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداى ومحياى ومثواى بالامالة كل القران على غير ليث النار بالامالة كل القران وكذلك كل كلمة فى اخرها راء مكسورة بعد الالف فى موضع اللام من الكلمة قرأها على غير ليث وابى حمدون وحمدويه والنجارى عن ورش وحمزة فى رواية ابن سعدان وابو عمرو الا انه لا يميل الجار والغار فى بعض الروايات فروى ابرهيم بن حماد عن اليزيدى الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن اليزيدى الغار بالامالة وسائر الروايات عنه بالتفخيم لقلة دورها واختلفوا فى وقف ابى عمرو فى مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد والحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة عن عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر الوقوف ابليس لانه معرفة والجملة بعده لا يكون صفة له الا بواسطة الذى ولا عامل يجعل الجملة حالا الكافرين شئتما لاتفاق الجملتين الظالمين ه كذا فيه ص للجملتين المتفقتين عدو لاختلاف الجملتين حين فتاب عليه ط الرحيم جميعا لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون النار لان ما بعدها مبتدا وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لا ولئك لان تمام المقصود بوعيد هو الخلود مثل ما ان حلوحامض خالدون التفسير لما خص الله تعالى ابانا ادم بالخلافة ثم علمه من العلوم ما ظهر به بانه مزيته على جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجودا لهم وهذا مقتضى السنوهها ههنا ظاهرا لان قوله تعالى فى موضع اخر فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين يقتضى ان يكون الامر بالسجود قبل تسوية خلقه وانه كما صار حيا صار مسجودا لهم وتعليم الاسماء ومناظرته مع الملائكة فى ذلك حصل بعد سجدتهم والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين اجمعوا على ان ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يامر بالكفر والعبادة لغيره كفر فزعم بعضهم ان السجود كان لله تعالى وادم كالقبلة فقوله اسجدوا لادم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت شعر ما كنت اعرف ان الامر منصرف ؛ عن هاشم ثم منها عن ابى حسن ؛ اليس اول من صلى لقبلتكم ؛ واعرف الناس بالقران والسنن ؛ وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم ادم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه حالا من الساجد وزعم اخرون ان المراد بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه فى عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فوجب ان يكون فى اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغيير واصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة فى قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ويجوز ان يختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف المليون فى ان ابليس من الملائكة ام لا فقال اكثر المتكلمين ولا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى فى الكهف الا ابليس كان من الجن فلا يكون من الملائكة وايضا قال ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبان كان يحتمل ان يكون بمعنى صار والثانى بانه لا يلزم من كون الجن فى هذه الاية نوعا مغايرا للملائكة ان يكون فى الاية الاولى ايضا مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى اصل اللغة وهو الاستتار وقالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دونى والملائكة لا ذرية لها لانها تحصل من الذكر والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن كذلك وايضا انه من النار خلقتنى من نار وانهم من نور لقوله خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهرى عن عروة عن عائشة ومن المشهور الذى لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل جاعل الملائكة رسلا ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالته حجة الاخرين انه استثناه من الملائكة وحمله على المتصل اولى لان تخصيص العموم فى كتاب الله اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جنى واحد مغمور بين ظهرانى الوف من الملائكة فغلبوا عليه وهذا لا ينافى كون الاستثناء متصلا واجيب بان التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار اما اذا كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب فلو لم يكن من الملائكة لم يتناوله الخطاب باسجدوا وح لم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشأ معهم فتوهم فتناوله الامر لما بين فى اصول الفقه ان خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الصنفين ولا ان يقال انه وان لم يدخل فى هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ اخر ما حكاه فى القران بدليل قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك لان قوله ابى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بان المخالفة بسبب هذا الامر هذا ما قيل عن الجانبين ومما يناسب تفسير الاية الكلام فى ان الانبياء افضل من الملائكة ام بالعكس قال اكثر اهل السنة بالاول وقالت المعتزلة والشيعة الى الثانى واختاره الباقلانى وابو عبد الله الحليمى من فقهاء اهل السنة المعتزلة احتجوا بامور احدها ومن عنده لا يستكبرون وليس المراد عندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وعورض بما حكى عنه سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلى بل هذا ابلغ لان كون الله تعالى عند العبد ادخل فى التعظيم من كون العبد عنده قالوا الاية تدل على انه تعالى يقول الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم من

المرد والموضوع والآفات لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم وقصورهم اولى بذلك واجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الافضلية بمعنى كثرة الثواب الثانية عباداتهم اشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله عليه السلام اجرك على قدر نصبك ولقوله افضل العبادات احمزها اي اشقها واما بيان ان عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنان ومنتزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون الى نعيمها ويقبلون على طاعاتهم خائفين وجلين كانه لا يقدر احد من بني آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ويؤكده قصة آدم فانه اطلق له في الجنة جميعها الا شجرة واحدة ومع ذلك فلم يملك نفسه الثاني ان انتقال المكلف من نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام الى طعام والاقامة على نوع واحد يورث السآمة وهذا شأن الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا وعورض الوجه الاول بان اسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك فان العبيد والخدم يطيب قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر احد منهم على مشقة الخدمة الا من كان في نهاية الاخلاص الثاني بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال عليه السلام افضل الصوم صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما الثالثة عباداتهم ادوم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخير الاعمال ادومها مع ان اعمارهم اكثر وعلى الآية سؤال روي عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب ارأيت قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا واولئك عليهم لعنة الله والملائكة افلا يكون الرسالة واللعن مانعين عن التسبيح فاجاب بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشيء آخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بان آلة النفس مغايرة لآلة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في آن واحد محال واجيب باحتمال ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون الله تعالى ببعضها ويلعنون اعداءه ببعض اخر وبان ثناء الله يستلزم بعيد من اعتقد في الله ما لا ينبغي والمراد لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على ادائها في اوقاتها ونوقضت المحبة بان الطاعة القليلة من الانسان قد تقع على وجه يستحق بها ثوابا اكثر من ثواب طاعاتهم الرابعة انهم اسبق السابقين في كل العبادات والسابقون السابقون اولئك المقربون من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الخامسة الملائكة رسل الى الانبياء علمه شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول افضل من الامة قياسا على الشاهد ومنع بان هذا اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم متوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى اممهم اما في مطلق الرسول فلم قلتم انه كذلك كما لو ارسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره او الى ملك آخر السادسة انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة النزاع والرياسة فيهم لهذا قالوا اتجعل فيها وان لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل ان اكرمكم عند الله اتقاكم ورد بان تقوى الانسان اكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج ايضا السابعة لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثاني مخرج التأكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف من خدمة الوزير ولا الملك فيفيد افضلية الملائكة المقربين في المعنى المصحح للعبودية من نهاية الخضوع والخشوع وما يتبعهما مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن خدمة القاضي ولا السلطان ولا يفيد الا ان السلطان اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من القاضي في سائر الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم افضل من المسيح فقط دون غيره كمحمد الثامنة ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فهذا وان كان حكاية قول ابليس لآدم وحواء الا ان آدم وحواء لو لم يعتقدا افضلية الملك لم يغترا بذلك واعتقادهما حجة ورد بان آدم لعله اخطأ في ذلك الاعتقاد اما لان الزلة جائزة على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا هب انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا فلا يلزم من مفضوليته وقتئذ مفضوليته نبوة وان سلم مفضوليته ونبوته وقتئذ فلم لا يجوز ان ذلك في باب الثواب بل في باب القدرة والقوة والحسن والجمال ونحو ذلك فانهم خلقوا من الانوار وآدم خلق من التراب فاغتر ورغب فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد الا ان تقلبا ملكين فصح استدلالكم وان يكون المراد ان النهي مختص بالملائكة الخالدين دونكما كما تقول لغيرك ما نهيت انت عن كذا الا ان تكون فلانا ويكون المعنى ان المنهي عنه هو فلان دونك فكان غرض ابليس ايهام انهما لم ينهيا وايضا غاية ما في الباب ان الآية تدل على مفضولية جميع الانبياء كمحمد التاسعة ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك اي لا ادعي القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا ادعي قدرة مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك انه لم يرد به نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض وانما نفي ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الجميلة والقوى العظيمة ورد بانه لا يلزم من عدم الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها العاشرة ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ولا يخفى ان التشبيه في السيرة من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكرم لا في الصورة ورد بان قولها فذلكن الذي لمتنني فيه كالتصريح بان مراد النساء تعظيم حال يوسف في الحسن والجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها ولئن سلمنا ان التشبيه في الاخلاق المرضية فذلك لا يوجب مفضوليته من جميع الجهات على ان قول النساء لا يصلح لان يكون حجة الحادية عشرة وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وذلك ان المخلوقات اما غير المكلف او المكلف والانسان افضل منهم واما المكلفون فهم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا ريب ان الانس افضل من الجن والشياطين فلو كانوا افضل من الملك ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فلا ينبغي ان يقال وفضلناهم على جميع من خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير يدل على انه ليس بافضل من الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وايضا ان جنس الملائكة





افضل من جنس بني آدم ولكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل من المجموع الآخر ان يكون كل احد من افراد المجموع الاول افضل من افراد المجموع الثاني وايضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في اول الآية ولقد كرمنا بني آدم ولا يلزم من كون الملك افضل من البشر في تلك الكرامات وهو حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة ان يكونوا افضل منهم في الاشياء الموجبة للثواب الثانية عشرة الانبياء ما استغفروا الا بدأوا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابراهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ثم قال واغفر لابي وقال لمحمد استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا لانفسهم لكن طلبوا المغفرة للمؤمنين فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا الابتداء لا على صدور الزلة من البشر وعدم صدورها عنهم وهذا لا يوجب فضليتهم في الفرد والثواب على الاطلاق ومن الناس من قال استغفارهم للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم اتجعل فيها الثالثة عشرة وان عليكم لحافظين ويدخل فيه الانبياء وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم فيكونون افضل ورد بان الحافظ والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود الرابعة عشرة يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله ورد بان هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان لما جلس وقف حول سريره ملوك الاطراف ولا يدل على انهم اكرم عند السلطان من ولده الخامسة عشرة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله والمشركين وقع التنازع في تقديم الاسم كذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية ومنع من ان الواو لا يفيد الترتيب وعورض بتقديم ثبت على الاخلاص السادسة عشرة ان الله وملائكته يصلون على النبي جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي وعورض بقوله يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وليس تشريف بل الامة بذلك السابعة عشرة ان جبرئيل افضل من محمد لان الله تعالى وصفه بست صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم وصف محمدا بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين ورد بانه وان وصفه ههنا بهذا القدر لاقتضاء المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا الثامنة عشرة ان جبرئيل كان معلما للنبي ولغيره من الانبياء لا في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله تعالى بل في العلم بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجائب والعلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار واطباق السموات واصناف الموجودات واحوال الامم الخالية والقرون الماضية والمعلم افضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة اعلم بدليل قصة آدم ولان تعليم جبرئيل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبرئيل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم فمع كثرة ثوابهم التاسعة عشرة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل على انهم بلغوا في الترفع الى حد لو خالفوه الا في دعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب مزيد ثوابهم العشرون قال عليه السلام حكاية عن الرب تعالى اذا ذكرني عبدي في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه وهذا يدل على ان الملأ الاعلى اشرف ورد بعد قبول خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملأ الاعلى خير من ملأ عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم افضل من الانبياء واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه الاول الملائكة ذواتها بسيطة مبرأة عن الكثرة والبشر مركب من النفس والبدن ولكل منهما قوى واجزاء والبسيط خير من المركب لان اسباب العدم للمركب اكثر منها للبسيط وعورض بان المستجمع للروحانيات والجسمانيات ينبغي ان يكون افضل مما له طرف الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجودا للملائكة وبان الملائكة ليس لها الا الاستغراق في مقاماتها والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط احوال العالمين فيكون افضل الثاني الجواهر الروحانية بريئة عن الشهوة والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر ورد بان الخدمة مع كثرة العلائق ادل على الاخلاص وايضا من الين ان درجتهم حين قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا اعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب الانكسار الحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر ولهذا قال عليه السلام حاكيا عن ربه انين المذنبين احب الي من زجل المسبحين الثالث انها بريئة من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها بحسب انواعها انحصر في اشخاصها فقد خرج الى الفعل والانبياء ليسوا كذلك ولهذا قال عليه السلام واني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ولا خفاء ان ما بالفعل التام اشرف مما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها لعلها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل استخراج التعلقات من القوة الى الفعل كالتحريكات العارضة لارواحنا الحاملة القوى الفكر والتخيل الا ان هذا المنع لا يجري في الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة وانما يجري في النفوس الفلكية الرابع الروحانيات ابدية الوجود مبرأة عن التغير والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك ورد بانه لا قديم في الوجود الا الله ولئن سلم انها وان كانت ممكنة الوجود لذاتها فهي واجبة الوجود بمباديها وعورض بما عليه كثير ان النفوس البشرية ازلية بمباديها وكانت كالظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الا ان المبدأ الاول امرها بالنزول الى عالم الاجساد والشبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام عشقتها واستحكم الفها بها فبعث من تلك الظلال اشرفها واكملها لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكور في كتاب كليلة ودمنة الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين احدهما من الآخر ورد بان الشرف

عندنا ليس بمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين السادس الارواح السماوية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل اما الاول فبالاتفاق على
احاطة الارواح السماوية بالمغيبات ولان علومهم فعلية فطرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون الليل
والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى بالجوع فلا يكون لذة الملائكة من العلم والعمل
كلذة البشر لعروض الفترات لهم في اكثر الاوقات بسبب العلائق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر ولعل هذا هو المراد
من قوله انا عرضنا الامانة الآية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق اشد منها في حمى الغب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت
بطل الشعور بها فهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستمرار ولا لغير الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد السابع الروحانيات لها
قوة على تقليب الاجسام وتصريف الاجرام وقواهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب وانك ترى الخامة اللطيفة تشق الصخرة الصما
وما ذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر انفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين
على الامور الصعاب ممنوع وان سلم فالارواح العلوية اقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى منازل العالم السفلي لا فيما هو شر لهم واعترض
بانه لا مانع من ان يتفق نفس ناطقة بشرية كاملة مستعلية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف الثامن الملائكة لهم اختيارات فائضة
من انوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه الى الخير باعانة الملك على ما ورد
في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه ويحتمل ان يقال فيكون اذن اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر التاسع الافلاك كالابدان
والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما ان اختلافات احوال الافلاك مبادي
لحصول الاختلافات في هذا العالم العلوي يجب ان يكون مستولية على ارواح العالم السفلي بل تكون عللا ومبادي لها فهذه هي الآباء وهناك
المنابع والمعادن فكيف يليق بالعقل ادعاء المساواة فضلا عن الزيادة واجيب بانه لا مؤثر عندنا الا الله تعالى العاشر الروحانيات الفلكية مبادي
لروحانيات هذا العالم ومعادلها منها نزلت فتوسخت باوضار الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها ومصدر
الشيء ومصعده اشرف منه المبداء واليه المنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد دون ذلك خرط القتاد الحادي عشر اليس ان
الانبياء لا ينطقون الا عن الوحي اليس ان الملائكة يعينونهم في المضائق ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط وكيوم بدر وحنين وكما في قصة
نوح من نجر السفينة فمن اين لكم تفضيل الانبياء مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامور واجيب بان اول الفكر آخر العمل ولا يلزم من كون
الشيء واسطة افضليته الثاني عشر القسمة العقلية بان الاحياء اما خيرة محضة وهم الملائكة او شريرة محضة وهي الشياطين او خيرة من وجه
اخروهم البشر تحكم بافضلية الملك كذا التقسيم بالناطق المائت هو الانسان والناطق غير المائت هو الملك والمائت غير الناطق وهي
البهائم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل قلب القسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود وا
تمام عهده من ان النزاع في كثرة الثواب حجة القائلين بتفضيل الانبياء على الملائكة الاول ان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لادم وثبت ان
ادم لم يكن كالقبلة وامر الاشرف بنهاية التواضع للادون مستقبح والجواب ان القبح العقلي غير ثابت الثاني جعله خليفة له خلافة الولاية
كما مر وخلق الدنيا منبعة لبقائه والآخرة مملكة لجزائه ولعن ابليس لتكبره عليه وجعل الملائكة حفظة لاولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين
لزلاتهم ومع جميع هذه المناصب يقول ولدينا مزيد فاذن لا نهاية لهذا الشرف والكمال الثالث انه كان اعلم لقوله انبئهم باسمائهم
والاعلم افضل الرابع ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل
هذا بقوله يا بني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان تلك الآية دخلها التخصيص لما يعلم انهم غير مفضلين على محمد وهاهنا
لا دليل فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم الخامس وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والتقريب ظاهر السادس عبادة البشر اشق لان الادمي
له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الادمي مامور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا اولي الابصار ولا يخفى ما فيه من مطالعة
المشقة والملائكة لا يعلمون الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للادمي من الشبهات ككون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث اليومية
فيحتاجون الى دفعها والملائكة حيث انهم يشاهدون عالم الملكوت مسلمون من ذلك ولان الشيطان مسلط على الادمي دون الملك واذا
كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر السابع خلق الملائكة عقولا بلا شهوة والبهائم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للادمي ثم اذا غلب
هواه عقله صار ادون من البهيمة اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله هواه وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين
بالآخر الثامن الملائكة حفظة بني آدم والمحفوظ اعز من الحافظ التاسع روي ان جبرئيل اخذ بركاب محمد حتى اركبه على البراق ليلة المعراج
ولما وصل محمد الى بعض المقامات تخلف عنه جبرئيل فقال لو دنوت انملة لاحترقت العاشر قوله ان لي وزيرين في السماء ووزيرين
في الارض اما اللذان في السماء فجبرئيل وميكائيل واما اللذان في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا كالملك وجبرئيل وميكائيل كالوزيرين
فهذا تمام الكلام في حجج الفريقين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك ثم انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز
ان يظن ان به عذرا بين انه غير ذي عذر بقوله ابى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا افاد العاطف نحو قولك اتيته ما سرك عيني





تخلج لا تقول نعيني كونها بيان ثم انه جاز ان لا يكون الاباء مع الكبر فعطف استكبر عليه ليعرف ان الاباء منضم الى الاستكبار وكان
من الجائز ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فازيل الظن بقوله وكان من الكافرين وللعقلاء هاهنا قولان احدهما ان ابليس حين اشتغاله
بالعبودية كان منافقا كافرا اما عندنا فمن منع الاحباط فلانه لما كان على الكفر علم انه ما كان مؤمنا قط واما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستاني
في اول الملل عن شارح الاناجيل الاربعة شبه مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله اني سلمت ان البارى تعالى
الهي واله الخلق عالم قادر حكيم الا ان لي على مسائل حكمه اسولة الاول انه قد علم قبل خلقي اي شيء يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه
اياي الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية
وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة
فاطعت وعرفت فلم كلفني بطاعة ادم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي الرابع
اذ خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذ لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة واوجب عقابي مع انه لا فائدة له في ذلك ولي فيه اعظم الضرر
الخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ومن وسوسة ادم بعد ان لو منعني من دخول الجنة استراح مني ادم وبقي خالدا
في الجنة السادس اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين ادم فلم سلطني على اولاده
حتى اراهم من حيث لا يروني ويؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة وابقاهم على ذلك
فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بالحكمة السابع سلمت هذا كله فلم اذا استمهلته امهلني وما الحكمة في ذلك بعد ان
لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم اليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر قال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له
انك في تسليمك الاول اني الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت اني اله العالمين ما احتكمت علي بلم وانا الله الذي لا اله الا انا لا اسأل
عما افعل والخلق مسؤلون هذا مذكور في التورية ومسطور في الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور ولن تعدو
عقائد فرق الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالخلق والى الجنوح الى الهوى في
مقابلة النص ولا جواب عنها بالتحقيق الا الذي ذكره الله تعالى فاللعين لما ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق
او حكم الخلق في الخالق فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا التحكيم
الرجال وقالوا لا حكم الا لله كقوله أأسجد لبشر خلقته من صلصال لا اسجد الا لك فالشبهات كلها ناشئة من اللعين وتلك في الاول
مصدرها وهذه في الآخر مظهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي كل فرقة ضالة من هذه
الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه الامة والرافضة يعني الغلاة نصاراها وقال
جملة لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول الثاني ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد
ذلك ثم اختلفوا فمن قائل معناه وكان من الكافرين في علم الله اي كان الله عالما في الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم
ومن قائل ان كان بمعنى صار وقيل انه كفر في وقت معين بعد ان كان مؤمنا فبعد لحظة يصدق عليه انه كان من الكافرين وانما حكم بكفره
على هذا القول الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد بدليل قوله انا خير منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر عندنا
وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله
من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يذكر
البعض الموجود بالاضافة الى كل موجود لا الى كل سيوجد ومما يؤكد ذلك ما روي عن ابن بريدة انه قال انه تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال
لهم اني خالق بشرا من طين قالوا لا نفعل ذلك فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك وقال الآخرون معنى الآية انه صار من
الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك لان الكفر كان ظاهرا عند نزول الآية ولان الافراد الذهنية يكفي في صحة الجمع فان الحيوان المخلوق اولا
يصح ان يقال انه فرد من افراد هذا الحيوان اي من افراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر وهو قول الاكثرين واعلم ان الملائكة
المامورين بالسجود هم كل الملائكة عند اكثر الائمة لان الجمع المعرف للعموم ويؤكده قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وايضا استثناء الشخص الواحد
يدل على ان ما عداه داخل في ذلك الحكم ومن الناس من انكر ذلك وقال هم ملائكة الارض استعظموا ان يكون اكابر الملائكة مامورين بذلك
واما الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المامورون بالسجود
القوى الجسمانية الطبيعية للنفس الناطقة قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن الآية الاصح ان هذا الامر يشتمل على ما هو اباحة لانه كان ماذونا في الانتفاع
بجميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان المنهي عنه كان حاضرا روي عن قتادة انه قال ان الله ابتلى آدم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود
وذلك لانه كلفه ان يكون في الجنة ياكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة ان ياكل منها فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهي عنه فاسكانه موضعا
يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع منعه عن تناوله من اشد التكاليف وانما لم يقل واهبط منك الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكانه

الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال جل الغيرة اسكنتك دارى كا يصير الدار ملكا له واجمعوا على ان المراد بالزوجة حواء وان لم يتقدم ذكرها فى
هذه السورة ففى سائر القران ما يدل على ذلك انها مخلوقة خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال صلعم ان المراة خلقت من ضلع لن
تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدى عن ابن عباس وابن مسعود
وناس من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكن ادم الجنة جعل فيها وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم
ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند راسه امراة قاعدة فسألها من انت قالت
امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الى فقالت له الملائكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من شئ حى فقيل لما اراد
ادم مد يده اليها فمنعه الملائكة وقالوا ادّ مهرها قال فما صداقها قالوا ان تصلى على محمد قال ومن محمد صلعم قالوا من اولادك خاتم النبيين
ولولاه لما خلقت وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا ادم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على
كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى ادم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخل الجنة فهذا الخبر يدل على
ان حواء خلقت قبل دخاله الجنة والخبر الاول دل على انها خلقت فى الجنة والله اعلم بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت فى الارض او فى السماء
وعلى تقدير كونها فى السماء هى دار الثواب ام جنة اخرى فقال ابو القاسم البلخى وابو مسلم الاصفهانى هى فى الارض وحملا الهبوط على الانتقال
من بقعة الى بقعة كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا قالا لان دار الثواب للخلد ولو كان فى جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد ان غضب الله عليه
كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزاء يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا عمل لادم وقتئذ ولانه تعالى خلقه فى الارض ولم يذكر
نقله الى السماء ولو كان قد نقله لكان ذكره اولى لان ذلك النقل من اعظم النعم وقال الجبائى هى فى السماء السابعة اهبط منها الى السماء الدنيا
ثم منها الى الارض وقال الجمهور هى دار الثواب والدليل عليه ان اللام فى الجنة ليست للعموم لان السكنى فى جميع الجنان محال فهى للعهد ولا معهود بين
المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن امر من السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت
تاكيد للمستكن فى اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اى اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اى مكان من الجنة اوى
زمان شئتما فان حيث قد يعبر به عن زمان مجهول وانما قيل ههنا وكلا بالواو وفى الاعراف فكلا لان كل فعل عطف عليه شئ وكان بينهما
رابطة السببية يعطف الثانى على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى فى البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول
سبب الوصول الى الاكل فكانه قال وان دخلتموها اكلتم وفى الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهى
طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المجتاز قد ياكل ايضا فلهذا لم يعطف ههنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى واما فى الاعراف
فالمراد اسكن بمعنى ادخل ثم السكون فصح العطف بالفاء والنهى فى لا تقربا للتنزيه وللتحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت فى كليهما
والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة فى القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل والجواز
ثابت بحكم الاصل فان الاصل فى الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه وهذا اولى لانه
حاصل معصيته الى ترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبياء وقيل نهى تحريم قياسا على قوله ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من
الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم فى لا تقربوا من بدليل منفصل والظلم قد يراد به ترك الاولى والاخراج
لم يكن بهذا السبب بل لما سياتى ان شاء الله تعالى ثم النهى عن القرب يفيد النهى عن الاكل بطريق الكناية فان القرب اليها من اسباب الاكل منها ومما
يدل على النهى عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروى عن ابن عباس ان الشجرة هى السنبلة وفى رواية عنه وعن ابن مسعود
انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع بن انس كانت شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغى ان يكون فى الجنة حدث قال المبرد واحسب
كل ما له اغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا وقد لا يخص بما له ساق قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين واصل هذا انه اسم لكل ما شجر اى اخذ يمنة
ويسرة والتشاجر الاختلاف واعلم انه ليس فى الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة ايضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا فذكره
لا يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احد ان يقيم عذره فى التخلف فقال اشتغلت بضرب غلمانى لاساءتهم الادب كان هذا القدر احسن من ان
يذكر عين الغلام واسمه وصفاته فلا يظن احد ان ههنا تقصيرا فى البيان فتكونا جزم عطفا على تقربا او نصب جوابا للنهى من الظالمين من الذين
ظلموا انفسهم بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الاية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن فى هذه الاية كهى فى قوله وما فعلته عن
امرى فالضمير للشجرة وقيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عنى ذلك اذا ذهب عنك فالضمير للجنة ومن قرأ ازالهما فهو من الزوال عن المكارم مما
كانا فيه اى من النعيم والكرامة او من المكان الذى هو الجنة ان كان هو الضمير فى عنها للشجرة واعلم ان الناس اختلفوا فى عصمة الانبياء عم والنزاع اما
فى باب الاعتقاد او فى باب التبليغ او فى باب الاحكام والفتيا او فى افعالهم وسيرتهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة وقالت
الفضيلية انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية واما





ما يتعلق بالتبليغ فاجتمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف فى ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز
غير ممكن واما المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطا فيه عمدا واما السهو فيجوزه بعضهم وآباه آخرون واما المتعلق بافعالهم فالحشوية جوزوا
الكبائر عنهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عنهم عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائى لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التاويل
وقيل لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطاء ولكنهم يؤاخذون به وان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى وهم على التحفظ اقدر والشيعة
لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة منهم لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التاويل والخطاء وفى وقت عصمتهم ثلثة اقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من وقت
مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم واكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انهم لم
يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه الاول لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة الامة مصداقه قوله عز من
قائل يا نساء النبى من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وشعر صغائر الرجل الكبير كبائر ولا يجوز ان يكون
النبى اقل حالا من الامة بالاجماع وبتقدير اقدامه على الفسق لا يكون مقبول الشهادة لقوله ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا لكنه شاهد على من
الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا الثالث وبتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة الرابع انه لو اتى بمعصية لوجب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب
والحرمة محال الخامس نعلم بالبديهة انه قبيح لا شئ اقبح من نبى رفع الله درجته وجعله خليفة فى عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا
لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب السادس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم يكون مذموما فى شانه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
السابع انهم كانوا يسارعون فى الخيرات واللفظ للعموم فيشمل فعل ما ينبغى وترك ما لا ينبغى الثامن وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار والله
يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافى الذنب التاسع انه تعالى حكى عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين والانبياء
من المخلصين لقوله تعالى فى حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفى حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان غير النبى افضل من النبى الحادى عشر الخلق قسمان حزب الله الا ان
حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز ان يكون النبى عاصيا الثانى عشر النبى
افضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم فالنبى اولى الثالث عشر انى جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به والمذنب لا يجوز
الاقتداء به فى ذنبه الرابع عشر لا ينال عهدى الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبى اولى به روى ان خزيمة
بن ثابت شهد لرسول الله صلعم على وفق دعواه فقال كيف شهدت لى فقال يا رسول الله انى صدقتك على الوحى النازل عليك من فوق سبع
سموات افلا اصدقك فى هذا القدر فصدقه رسول الله صلعم فيه وسماه بذى الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك
الشهادة احتج المخالف بمسائل فى باب الاعتقاد بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء وهذا يقتضى صدور الشرك عنهما والجواب
ما سيجيئ فى الاعراف ان شاء الله تعالى من ان الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجة عربية ليسكن اليها فلما اتاهما
ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصى قالوا ان ابرهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم
الاخر لقوله هذا ربى ولكن ليطمئن قلبى والجواب هذا ربى استفهام منه بطريق الانكار وقوله ليطمئن قلبى اراد به ان يؤكد علم اليقين
بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت فى شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا فى الوحى قلنا الخطاب له والمراد الامة مثل
يا ايها النبى اذا طلقتم قالوا فى باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا
النسيان نوع من النسخ كما يجيئ فى تفسير قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى
القى الشيطان فى امنيته والجواب سوف يجيئ فى سورة الحج ان شاء الله تعالى قالوا عالم الغيب فلا يظهر الى قوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم ولولا الخوف من وقوع التخبط فى الوحى لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته على كونهم محفوظين عن التخبط قالوا وداود
وسليمان اذ يحكمان فى الحرث ما كان لنبى ان يكون له اسرى عفا الله عنك لم اذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجيئ
تفسير كل فى موضعها على انا نقول شعر يا سائلى عن رسول الله كيف سها : والسهو من كل قلب غافل لاهى : قد غاب عن كل شئ سره
فسها عما سوى الله فى التعظيم لله قالوا فى الافعال وعصى ادم ربه فغوى والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
والغى ضد الرشد قد تبين الرشد من الغى ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا
لعنة الله على الظالمين وانه اخرج من الجنة وكل هذه دليل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لئن سلمنا
انه صدر ذلك الفعل عن ادم بعد النبوة فاقدامه عليه اما ان يكون فى حال كونه ناسيا او فى حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول منهم طائفة
من المتكلمين احتجوا بقوله فنسى ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم يغفل عن صومه فياكل فى اثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين يدل على انه ما نسى وروى عن ابن عباس انهما لما

اكلا منها وبدت لهما سواتهما خرج ادم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى افرارًا مني فقال بل حياء منك فقال له اما كان فيما
منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما كنت ارى احدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لاهبطنك منها
ثم لا تنال العيش الا نكدا وايضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه لانه كان عالما بتمرد ابليس عن سجوده وكونه عدوا له ولزوجه ولانهما الوصد فاه لكان
المعصية في نفسه اعظم من اكل الشجرة لانه الفى اليهما سوء الظن بالله وانه ناصح والرغائب وما روي عن ابن عباس انهم قالوا لا حاجة ولا
يلزم من رفع النسيان عن هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن النبي صلعم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
اني اوعك كما يوعك الرجلان منكم وقيل ان حواء سقته الخمر فسكر ثم اقدم على ذلك الفعل وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة على غير الكرم حتى يكون
ماذونا في تناول غيرها الا انه يرد عليه ان خمر الجنة لا تسكر لانها لا غول فيها الذاهبون الى انه فعله عامدا اربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه
لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من ادم وكان كبيرة مع ان ادم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله
عمدا لكن كان معه من اعمال القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب وفعل المنهي عمدا
لا يعتد بدعوى الخوف فلا يصح وصف الانبياء بذلك ومنهم وهو اختيار اكثر المعتزلة من قال انه اقدم على الاكل بسبب اجتهاد اخطا فيه وذلك
لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد انه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار بها الى الشخص وقد يشار الى النوع كما روي
انه صلعم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي وتوضا ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به واراد نوع الحرير
والذهب ونوع الوضوء فاراد الله تعالى من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان ادم ظن ان النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من
شجرة اخرى من ذلك النوع واعترض بان هذا في اصل اللغة للاشارة الشخصية واذا حمل ادم اللفظ على موضوعه فكيف يعد مخطئا وايضا
هب ان لفظ هذا متردد بين الشخص والنوع فان كان مع قرينة الاشارة النوعية وقد قصر في معرفتها فيكون مذنبا وان عرفها ومع
ذلك اقدم على التناول فكذلك وان لم يكن فيه قرينة فلا يعد مخطئا وايضا الانبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون على تحصيل اليقين
بالوحي فالاقدام على الاجتهاد عين المعصية وايضا هذه المسئلة ان كانت قطعية فالخطاء فيها كبيرة وان كانت من الظنيات فان قلنا
كل مجتهد مصيب فلا خطاء وان قلنا المصيب واحد فالمخطي فيها معذور بالاتفاق واجيب بان لفظ هذا يستعمل في الاشارة النوعية ايضا
كما مر وبان ادم لعله قصر في معرفة القرينة او عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسئلة القطعية لما نسيها صار النسيان عذرا حتى
لا يصير الذنب كبيرا وقد يكون ظنية التشديد بذات على الخطاء فيها لان النبي صلعم قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به غيره وقيل وقد يحمل الخطا في الاجتهاد
من جهة ان ادم ظن ان المنهي في قوله لا تقربا بتناولهما معا فيجوز لكل واحد على الانفراد اكله فان قيل كيف تمكن ابليس من وسوسة ادم
مع ان ابليس كان خارج الجنة وادم فيها قلت اما لانه دخل في الجنة خافيا عن الخزنة ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما روي
وان كان بعيدا عن ابي هريرة انه صلعم قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيئا خيفة فليس منا يعني الحيات واما لانه دخل الجنة
في صورة دابة واما لانهما كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب ويتوسوس اما لانه كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل وسوس
لهما على لسان بعض تباعه لانهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء فيستحيل ان يقبلا قوله عادة واسناد الازلال والاخراج الى
الشيطان لانه حصل بسبب منه وعن بعض العرفاء ان زلة ادم هب انها كانت بوسوسة ابليس فمعصية ابليس بوسوسة من ولا بد من الانتهاء
الى الذي لا يسئل عما يفعل فان قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
فلما لم يفد عدل الى اليمين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين ولكم من شياطين الانس ترآهم يوسوسون اليك على هذا الترتيب عاذنا
الله منهم ثم بعد ذلك يحتمل ان لم يصدقاه فعدل الى شغلهما باللذات المباحة حتى استغرقا فيها ونسيا النهي فوقعا فيما وقعا والله اعلم
بحقايق الامور اهبطوا خطاب لادم وحواء وابليس اما في وقت واحد بناء على ان ابليس قد عاد الى الجنة لاجل الوسوسة واما لادم
وحواء في وقت ولابليس في اخر قبل ذلك وقيل خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح ان الخطاب لهما ولذريتهما مرادة ايضا لانهما لما كانا اصل الانس جعلا
كانهما الناس كلهم والدليل عليه ما جاء في طه اهبطا منها وقوله فاما ياتينكم وما هو الا حكم يعم الناس كلهم واهبطوا امر واباحة والاشبه
الاول لان مفارقة ما كانا فيه من النعيم الى الهوان اشق التكاليف وانما قيل انه تكليف لا عقوبة لما ترتب عليه من الثواب العظيم ويمكن ان
يقال نفس الاهباط عقوبة ولا ثواب عليه وانما الثواب على حسب العمل بعد ذلك ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل
بعضهم لبعض وليست هذه هي العداوة المامور بها في قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا
وسيكون حالكم كذا لانه عالم التضاد والتنافي ليس كعالم الانوار الذي لا تعاند فيه ولا تمانع مستقر استقرار او موضع استقرار حال الي
الحيوة والموت ومتاعا تمتع بالعيش الى حين هو يوم القيمة او حين انقضاء اجالكم والحين المدة طويلة او قصيرة ولهذا الوقال انت طالق
الى حين فمضت لحظة طلقت وفي قصة ادم وما جرى عليه معتبر عجيب وموعظة بليغة لمن كان فيه اجتناب الخطايا واتقاء الماثم ولله در
القائل شعر يا ناظرا يرنو بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ونيل فوز العابد





انسيت ان الله اخرج ادما منها الى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي كنا قوما من الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن
حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها شعر تطلب الجنة في دار الفنا خاب من يطلب شيئا لا يكون قوله فتلقى الاية اصل التلقي التعرض للقاء ثم
موضع الاستقبال للشيء الجائي ثم يوضع موضع القبول والاخذ وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم اي تلقنه ثم بعض الافعال قد
يشترك فاعله ومفعوله في صلاحيته وصف كل منهما بالفعل فيتعارضان عمله فيهما تقول بلغني ذلك وبلغته واصابني خير واصبته وتالني و
نلته وتلقى ادم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول وتلقى ادم كلمات اي جاءته واتصلت به ولا يجوز
ان يكون معنى التلقي من الرب ان الله تعالى عرفه حقيقة التوبة لان المكلف لا بد ان يعرف ماهية التوبة ويتمكن بعقله من تدارك الذنوب
فضلا عن الانبياء فاذن المراد انه نبهه على المعصية على وجه ال امره الى التوبة او عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة او ذكره نعمه العظيمة
عليه حتى صار من الدواعي القريبة الى التوبة او علمه كلمات لو حصلت التوبة معهن كان كمالها ومن قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وفي
رواية ابن عباس ان ادم قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك
قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم وقال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات
التي تلقى ادم من ربه قال علم الله ادم وحواء امر الحج فحجا فهي الكلمات التي يقال في الحج فلما فرغا من الحج اوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما وعن ابن
مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي
فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقالت عائشة لما اراد تعالى ان يتوب على ادم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى
الركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم
اني اسئلك ايمانا تباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى ادم يا ادم قد غفرت
لك ذنبك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته
الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي ان التوبة يتحقق من ثلثة امور مترتبة اولها علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما في الذنب
من الضرر وكونه حجابا بين العبد ورحمة الرب فاذا استحكمت هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات محبوبه وتاسف على الفعل الذي كان
سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك التاسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر
وتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي كان ملابسا له وتعلق بالمستقبل وهو العزم على ان لا يعود اليه ابدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى
الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله صلعم الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله ولطفه انه
هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فيشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى رجع الى ربه لان العاصي هارب عن ربه وتد يقا
الرجل خدمة سيده فيقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد عليه احسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة من الله غفران
ذنوب العباد التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة في التواب ان واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد
الى المعصية والى الاعتذار فربما لم يقبل عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لامر يرجع الى رقة
طبع او جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود فان فيضه لا ينقطع ولا ينقص الا من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل
القابل وصل الفيض اليه لا محالة وايضا يستحق المبالغة من جهة اخرى وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول
التوبة ووصفه بالرحمة وروي عن رسول الله صلعم انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود اكثر ولو جمع بكاء اهل
الدنيا وبكاء داود الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء ادم على خطيئته لكان بكاء
ادم اكثر واذا آل حال ابينا الى هذا لخطيئة واحدة فمن احاطت به خطاياه احق بالبكاء وافضل نبينا انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في
اليوم سبعين مرة فنحن احق بالاستغفار فان الغين يكاد يكون بالنسبة الينا رينا وذلك ان الغين شيء يغين بعشي ويغطيه التغطية
كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال ضوءها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممنوعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة
الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل في تاويل الحديث ان الله تعالى اطلع نبيه على ما سيكون في امته من الخلاف والشقاق
وكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى حالة ارفع من الاولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة
عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذلك المحو وهذا تاويل ارباب الحقيقة
وقال اهل النظام ان القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وانواع الارادات فكان يستعين بالرب تعالى في دفع تلك الخواطر وعن ثابت البناني
بلغنا ان ابليس قال يا رب انك خلقت ادم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك فقال
رب زدني فقال لا يولد لادم ولد الا ولد لك عشرة قال رب زدني قال تجري منه مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكى ادم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وانا

لا الميقات فقال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني
قال لا احجب عن احد منهم التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد الروح في الحلق وسئل ذو النون عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة
اولها الندم على ما مضى ثانيها العزم على ترك الذنوب في المستقبل ثالثها اداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك وبين الله والرابع اداء المظالم
الى المخلوقين في اموالهم واعراضهم والخامس اذابة كل لحم ودم نبت من الحرام والسادس اذاقة البدن مرارة الطاعات كما ذاق حلاوة
المعاصي وكان احمد بن الحرث يقول يا صاحب الذنوب الم يأن لك ان تتوب يا صاحب الذنوب ان الذنب في الديوان مكتوب يا جنا
الذنوب تنبهها في القبر مكروب يا صاحب الذنوب انت غدا بالذنوب مطلوب وانما اكتفى بذكر توبة ادم دون توبة حواء لانها كانت
تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك على انها ذكرت في موضع اخر قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية قوله قلنا اهبطوا
الاية قيل فائدة تكرير الامر بالهبوط انهما هبوطان الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض وضعف
بانه لو كان كذلك لكان ذكر قوله ولكم في الارض مستقر عقيب الهبوط الثاني اولى وايضا قوله منها يدل على ان الهبوط الثاني من
الجنة والاوجه ان ادم وحواء لما اتيا بالزلة امرا بالهبوط فتابا بعد الامر بالهبوط ووقع في قلبهما ان الامر بالهبوط يرتفع بزوال الزلة فاعيد الامر مرة
ثانية ليعلما ان حكمه باق تحقيقا للوعد المقدم في قوله اني جاعل في الارض خليفة ووجه ثالث هو ان يكون التكرير للتاكيد لما
نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم روي في الاخبار ان ادم هبط بجزيرة سرنديب من الهند وحواء بجدة من ارض الحجاز وابليس بالابلة
من نواحي البصرة والحية باصفهان فلم يلتقيا مائة سنة ثم ازدلفا اي تقاربا بالمزدلفة واجتمعا بجمع وتعارفا بعرفات يوم عرفة و
وتمنيا على الله تعالى بالمغفرة والتوبة بمنى فحصلت اسماء هذه المواضع من هذه المعاني وما في اما مزيدة لتاكيد الشرط ويؤيده لحوق النون
المؤكدة والشرط الثاني وجزاؤه مجموعين جواب الشرط الاول تبع واتبع بمعنى وانما جاء في طه فمن اتبع موافقة لقوله فيها يتبعون الداعي
وفي الهدى وجهان احدهما المراد منه كل دلالة وبيان فيدخل فيه دليل العقل وكل كلام ينزل على نبي وفيه تنبيه على نعمة اخرى عظيمة
فكانه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بما يؤديكم مرة اخرى الى الجنة مع الدوام الذي لا ينقطع عن الحسن لما
اهبط ادم الى الارض اوحى الله تعالى اليه يا ادم اربع خصال فيها كل الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لولدك وواحدة بيني وبينك
وواحدة بينك وبين الناس اما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما التي لك فاذا عملت جزيتك واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء
وعلي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فان تصحبهم بما تحب ان يصحبوك به وقيل هو رسول وكتاب بدليل والذين كفروا وكذبوا باياتنا في
مقابلة فمن تبع هداي في الاقدام على ما يلزم والاحجام عما يحرم فانه سيصير الى حالة لا خوف فيها ولا حزن وهذه الجملة مع اختصارها
تجمع شيئا كثيرا من المعاني لان قوله فاما ياتينكم مني هدى دخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية وزيادات البيان وجميع ما لا يتم
ذلك الا به من العقل ووجوه التمكين وجمع قوله فمن تبع هداي تامل الادلة بحقها والنظر فيها واستنتاج المعارف منها والعمل بها وجمع قوله
ولا هم يحزنون جميع ما اعد الله تعالى لاوليائه لان الخوف انما يحصل للنفس من توقع مكروه او انتظار محذور وزواله يتضمن السلامة من جميع
الافات والحزن انما يعرض للنفس لفقد محبوب او فوات مطلوب ونفيه يقتضي الوصول الى كل اللذات والمرادات وانما قدم عدم الخوف على عدم الحزن
لان زوال ما لا ينبغي مقدم وهذا يدل على ان المكلف الذي اطاع الله تعالى لا يلحقه خوف عند الموت ولا في القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف
ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الميزان ولا عند الصراط ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال قوم من المتكلمين ان اهوال يوم القيمة تعم الكفار والفساق والمؤمنين بدليل قوله تعالى يوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فكيف تتقون ان كفرتم يوما
يجعل الولدان شيبا يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنسئلن المرسلين وفي الحديث تدنو الشمس يوم القيمة من الخلق حتى يكون منهم
كقدر ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون على كعبيه ومنهم من يكون على ركبتيه ومنهم من يكون على حقويه ومنهم من يلجمهم العرق الجاما واشار
رسول الله صلعم بيده الى فيه وحديث الشفاعة وقول كل نبي نفسي نفسي الا نبينا فانه يقول امتي امتي قلت لا ريب ان وعد الله حق فمن وعده
من يكون امنا لا محالة الا ان الانسان خلق ضعيفا لا يستيقن الامن الكلي ما لم يصل الى الجنة لانه لا يطمئن قلبه ما لم ينضم له الى علم اليقين عين
اليقين وايضا ان جلال الله وعظمته يدهش الانسان برا كان او فاجرا وايضا ظاهر العمل الصالح لا يفيد اليقين بالجنة فلا عمل الا بالاخلاص
ولا حكم بالاخلاص الا لله تعالى لانه من عمل القلب قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ولهذا جاء المخلصون
على خطر عظيم وكان دأب الصديقين ان يخلطوا الطمع بالخوف والرغبة بالرهبة يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا وقيل
لا خوف عليهم امامهم فليس شيء اعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت فامنهم الله تعالى ثم سلاهم فقال ولا هم يحزنون على ما خلفوه بعد
وفاتهم في الدنيا ثم ان الائمة خصصوا نفي الخوف والحزن بالاخرة لان مجاري الامور في الدنيا لا يخلو من موجب الخوف والحزن وقال
خص البلاء بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل قلنا المؤمن الراضي بقضاء الله وقدره لا يرى شيئا من المكاره مكروها وانما





مراده مراد حبيبه فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فبترك
الارادة يصح نسبة العبودية وبالرضوان يحصل مفاتيح الجنان وينكشف الهموم والاحزان ويبدو بادي الفقر والوجدان وتثبت حقيقة
الايمان والذين كفروا وجحدوا مولاهم وكذبوا باياتنا الا شاهم حكم لهم بحسب مشتهاهم وهواهم اولئك اصحاب النار ملازموها دائما
سواء كانوا من الانس او من الجن اعاذنا الله منها بنعيم فضله وجسيم طوله التاويل انكم لتسجدون لله بالطبيعة لانها الملائكة الروحانية اسجدوا
لادم بخلاف الطبيعة تعبدا ورقا وانقيادا للامر وامتثالا للحكم اسجدوا له تعظيما لشان خلافته وتكريما لفضيلته المخصوصة به فمن سجد له
فقد سجد لله تعالى كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اسجدوا لادم لاجل ادم فان عبادتكم وطاعتكم لا توجب ثوابا لكم ولا تزيد في
درجاتكم ولكن فائدتها تعود الى الانسان لقوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ولان الانسان يقتدي بهم في الطاعة ويتادب
بادابهم في امتثال الاوامر والانزجار عن الاباء والاستكبار كيلا يلحقه من اللعن والبعد ما لحق ابليس فسجدوا الا ابليس لانهم خلقوا من نور و
النور من شانه الانقياد والافاضة وانه خلق من نار والنار من شانها الاستعلاء طبعا وكان من الكافرين لانه ستر الحق على ادم كما سمي ابليس لانه
ابلس الحق ولا تقربا هذه الشجرة اي لك نعيم الجنة بما فيها وما كان لك فيها حق لانك ما عملت بعد عملا تستحق به الجنة فاعطي هذه الشجرة
الواحدة منها وهي كلها لي انا خلقتها فان طمعت فيها ايضا فاعلم ان الانسان له همة عالية وحرص شديد لا يزال تقول جهنم بحرصه هل من مزيد
ولا يمتلي حتى يضع الجبار فيها قدمه اي سابقة رحمته وعنايته سبقت رحمتي غضبي ثم انه ابيح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وقيل لهما اشتغلا بها ولا توقدا نار الفتنة على انفسكما ولا تنصبا من قربة المحبة ماء المحنة على راسكما ولا تقربا شجرة المحبة فقد عز
لاجله في الحقيقة يحبهم ويحبونه ولكن سبب النهي هو الدلال الذي يقتضيه غاية الجمال وايضا لو لم ينه عنها فلعله ما فرغ لها لكثرة انواع المرادات
النفسانية وكانت المحبة غذاء روحانيا فذكرها كان كالتحريض عليها فان الانسان حريص على ما منع وايضا انه تعالى وسع اسباب الابتلاء اولا
ثم ضيق عليه الامر اخرا شعر وادنيتني حتى اذا ما ملكتني بقول يحل العصم سهل الاباطح تجافيت عني حين لا لي حيلة وغادرت ما ادركت بين الجوانح
خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته واسكنه الجنة في جواره وزوجه حواء حتى شاهد جمال الحق في مرآة وجهه انبت شجرة المحبة بين
يديه ثم منعه عنها وكان في ذلك المنع تذكير وتحريض له كما مر ثم عاتبه بقوله فتكونا من الظالمين وهذا كما اسكر موسى بلذائذ الكلام واذاقه
شراب السماع وقربه نجيا حتى اشتاق الى جماله وطمع في وصاله وقال رب ارني قال لن تراني وذلك ان البلاء والولاء توامان والمحبة رضيعا
لبان والمطلوب كلما كان ارفع كان اعز وامنع والجمال لا بد له من الدلال ليتميز العاشق الصادق من المدعي المحتال فلما ذاقا شجرة الغرام
خرجا من دار السلام فما لاهل الغرام ودار السلام وابن الفارغ السالي المحب الغالي شعر فبتنا على رغم الحسود وبيننا حديث كطيب المسك
شيب بالخمر فلما اضاء الصبح فرق بيننا واي نعيم لا يكدره الدهر وبالجملة فلما جاء القضاء ضاق الفضاء فلم يمس بعد ان كان مسجود الملك
مسجو السماك الى السمك مشمول الرعاية موفور العناية حتى نزع عنه لباس الامن والفراغ وبدله بلباس الاستيحاش بدعوة الملائكة
بعنعنه اخرج من غير مكث ولا بحث فازلهما بالتقدير بحسن التدبير كان الشيطان المسكين كذئب يوسف لطخ خرطومه بدم نصح فلما
ودعا من القربة في الغربة ومن الالفة في الكلفة لما ذاقا من شجرة المحبة المورثة للمحنة استوحشا من كل شيء واتخذا عدوا بعضكم لبعض عدو
وهكذا شرط المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما ان ذاته لا يقبل الشركة في التعبد كذلك لا يقبل الشركة في المحبة فلما استغرقت المحبة في ارض
قلب ادم جعل الارض مستقر شخصه ليتمتع بتربية بذر المحبة بماء الطاعة والتكليف الى حين ادراك ثمرة المعرفة وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وقال الله ان داود قال يا رب لم خلقت الخلق فقال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ثم انه بعد ما ابتلى بالهبوط
بشره بان وحيه لا ينقطع وهدايته لا ترتفع وان من تبع بذر المحبة بماء الطاعة والطاعة فلا خوف عليه في المستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى
من الهبوط الى الارض لانهم يرجعون بجذبات العناية والهداية الى حظائر القدس وبالله التوفيق يا بني اسرائيل اذكروا

نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وامنوا بما انزلت مصدقا لما
نعمت مرا آن که انعام کردم بر شما و وفا کنید بعهد من تا وفا کنم بعهد شما و از من ترسان باشید و بگروید بآنچه فرستادم که تصدیق کننده آن است
معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل
که با شماست و نباشید نخست کافران بآن و نخرید بآیتهای من بهای اندک را و از من پرهیز کنید و مپوشانید حق را بباطل
وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس
و مخفی کنید حق را و حال آنکه میدانید و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را و رکوع کنید با راکعان آیا فرمان میدهید مردم را
بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها
بنیکوئی و فراموش کنید خودتان را و شما میخوانید کتاب را آیا پس درک نکنید و یاری جوئید بروزه و نماز و بدرستیکه آن
لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
هر آینه دشوار است مگر بر فروتنان آنان که اعتقاد دارند بآنکه ایشان ملاقات کننده پروردگار شان اند و آنکه بسوی او باز گردند

القراءة اسرائيل بغير همزة

حيث كان يزيد وحمزة في الوقف نعنى وكذلك ما بعدها ساكنة الياء ابو زيد عن المفضل فارهبونى فاتقونى بالياء في الحالين يعقوب
وكذلك كل ياء محذوفة في الخط عند راس الاية وروى صبيح بن حاتم وابن دريد عن سهل وعباس بالياء في الوصل ولكافرٍ به الامالة
قتيبة واحمد بن فرج الوقوف فارهبون ربع الجزء كافر به لاتفاق الجملتين وعلى قليلا اجوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون تعلمون
الراكعين الكتاب ط تعقلون الصلوة ط خاشعين لا لان الذين صفتهم راجعون التفسير انه تعالى لما اقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات
العامة للبشر ومن جملتها خلق ادم الى تمام قصته اردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود لانه اشكلهم واسمالة لقلوبهم وتنبيها على
نبوة محمد من حيث كونه اخبارا بالغيب جارحا في مطاوى ذلك ما يرشد الى اصول الاديان ومكارم الاخلاق واسرائيل هو يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم غير منصرف للعلمية والعجمية المعتبرة لقبه ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسر بالعبرية هو العبد وايل الله وقوله
يا بني اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد وحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة
والعائد من الصلة محذوف اى انعمت بها عليكم قال بعض العارفين عبيد النعم كثيرون وعبيد المنعم قليلون فان الله تعالى ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما
آل الامر الى امة محمد ذكرهم المنعم فقال اذكروني اذكركم عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى على بني اسرائيل ان نجاهم من آل فرعون وظلل
عليهم في التيه الغمام وانزل عليهم المن والسلوى واعطاهم الحجر الذي كان ليسقيهم ما شاؤا واعطاهم عمودا من النور اضاء لهم بالليل
وكان رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى وفي تذكير هذه النعم فوائد منها ان فيها ما يشهد بصدق محمد وهو التورية والانجيل والزبور
ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم اياها لتحذروا مخالفة ما دعوا اليه من الايمان بمحمد والقران ومنها ان تذكر النعم الكثيرة
يوجب الحياء من اظهار المخالفة ومنها ان كثرة النعم يفيد ان المنعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يزيلها
عنهم كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدائه فتذكر النعم السالفة مطمع في النعم الاتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة والنعم على الاباء
نعمة على الابناء اذ لولاها لم يبق نسلهم ولان الانتساب الى اباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا
ان اباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن اشبه
اباه فما ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال وفيت بعهدك اى بما عاهدتك عليه واوفيت بعهدك اى بما عاهدتك عليه والمعنى
اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي اوف بعهدكم اى ارض عنكم وادخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تعالى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية و
الانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله وقيل المراد من هذا العهد ما اثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد وانه سيبعثه واليه الاشارة
في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وفي الاعراف فساكتبها
للذين يتقون الاية وفي ال عمران واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم وفي الصف واذ قال عيسى بن مريم وعن ابن عباس ان الله كان عهد
الى بني اسرائيل في التورية اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا من تبعه وصدق بالتورية الذي ياتي به اى بالقران غفرت له ذنبه وادخلته الجنة
وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وجائت به سائر انبياء بني اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد النبي الامي الذي من ولد اسمعيل
وتصديقه هذا القران يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري مرفوعة ثلثة يؤتون
اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بعيسى ثم امن بمحمد فله اجران ورجل ادب امته فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها و
تزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما قلتم فكيف يجوز من جماعتهم جحده قلنا اما لان هذا
العلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه واما لان ذلك النص كان نصا خفيا لعدم تعيين الزمان و
المكان بحيث يعرفه كل احد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه جاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التورية ان هاجر لما غضبت
عليها سارة تراءى لها ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين قالت اهرب من سيدتي سارة فقال ارجعي الى سيدتك واخفضي لها سيدتك فقال لها
فان الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا تسميه اسمعيل من اجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق
الجميع مبسوطة اليه بالخضوع فقيل هذا الكلام خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول
في اوائل العراق واوائل الشام الا على تم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم ومازجوهم
الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة وإياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته اى زيدا رهبت
رهبته بتقديم المفعول للاختصاص وتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة
بتلازم ما قبلها وما بعدها اى ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبل التكرير ولاجل الاضمار والتفسير والرهبة هي الخوف والخوف اما
من العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة ارباب القلوب والاول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اشد
كان امنه يوم القيمة اكثر وبالعكس يروى انه ينادى مناد يوم القيمة وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا



خوفته يوم القيمة ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقوله وامنوا معطوف على اذكروا والمراد بما انزلت القران ومصدقا حال مؤكدة من
الراجع المحذوف وفيه تفسيران احدهما ان في القران ان موسى وعيسى حق والتورية والانجيل حق والتورية انزل على موسى والانجيل على عيسى
فكان الايمان بالقران مؤكدا للايمان بالتورية والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد وبالقران في التورية والانجيل فكان الايمان
بمحمد والقران تصديقا للتورية والانجيل والتكذيب بمحمد والقران تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد من جهة ان شهادة
كتب الانبياء لا يكون الا حقا ومن جهة انه اخبر عن كتبهم ولم يكن له معرفة بذلك الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به اى اول من كفر به او
اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اى كل واحد منا وههنا سؤال الاول كيف جعلوا اول
من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب في الجواب وجوه الاول انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته
ولانهم كانوا المبشرين بزمان محمد والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به الثاني ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اى ولا تكونوا وانتم تعرفونه موصوفا في التورية
مثل من لم يعرفه لانه لا كتاب له الثالث ولا كافر به من اهل الكتاب لان هؤلاء كانوا اول من كفر بالقران من بني اسرائيل الرابع ولا تكونوا اول
كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم بمحمد يوجب تكذيبكم الخامس المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك ان السابق الى الكفر كفره غليظ
من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والكافر عن دليل ومعرفة بما يوجب الايمان كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا
الوجه فصح اطلاق احدهما على الاخر السادس ولا تكونوا اول من جحد مع المعرفة السابع اول فريق كفر من اليهود لان النبي قدم المدينة وبها قريظة
والنضير فكفروا ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر الثامن ولا تكونوا اول الكافرين به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه السؤال
الثاني كانه يجوز لهم الكفر اذا لم يكونوا اولا والجواب ليس في ذكر الشيء دلالة على ان ما عداه بخلافه وايضا في قوله وامنوا دلالة على ان كفرهم اولا واخرا
محظور وايضا قوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السماء بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد
لا ترونها فكذلك ههنا قال المبرد هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم
اول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر الى يوم القيامة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى اى لا تستبدلوا باياتي
ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو
الرشى التي ياخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه لتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع واياي فاتقون مثل واياي فارهبون وقيل
الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكان امرهم بالرهبة على ان جواز العقاب قائم ثم امرهم بالتقوى على ان يقين العقاب قائم ثم قوله
ولا تلبسوا امر بترك الاغواء والاضلال كما ان قوله وامنوا امر بترك الكفر والضلال والاضلال الغير طريقان لانه ان سمع الدلائل فاضلاله بتشويشها
عليه وان لم يسمعها فاضلاله بكتمانها ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا الحق مجزوم بلا المقدرة للنهي
عطفا على النهي قبله اشارة الى القسم الثاني والباء التي في بالباطل اما للوصل في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به فكان المعنى ولا تكتبوا
في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا تميز بينهما واما للاستعانة كالتي في كتبت بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا الحق
ملتبسا بالباطل وهو الشبهات التي توردونها على السامعين وذلك ان النصوص الواردة في التورية والانجيل في امر محمد كانت نصوصا
خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتاملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق قيل ويجوز ان يكون وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تاكل السمك وتشرب
اللبن قلت هذا التقدير يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين اكل السمك وشرب اللبن حتى لو اتى بكل منها منفردا عن الاخر
جاز اللهم الا ان يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا اذ لا يجوز ان يريد طاعة احدهما لقرينة الاثم والكفر وانتم تعلمون
ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيمة من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان
وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا افحش من الاقدام عليه
عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما امرهم بذكر نعمته والايمان
برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما لزمهم من اصول الشرائع فقال اقيموا الصلوة اى التي عرفتموها بوصف النبي بناء على
انه لا يجوز تاخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واما القائلون بجواز التاخير فقد جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون
المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المامور به ما هو كما لو قال السيد لعبده اني امرك غدا بشيء فلا بد ان تفعله
ويكون الغرض ان يعزم العبد في الحال على ادائه في الوقت الثاني ومعنى الصلوة لغة وشرعا قد تقدم في اول البقرة واما الزكوة فهي في اللغة الزيادة
والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها تزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال ماخوذة من التطهير من زكى نفسه تزكية اذا مدحها و
طهرها من العيوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال قال عليك بالصدقة فان فيها

ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال وتعمر الدار واما التي في الاخرة فتستر العورة وتصير ظلا فوق الراس وتكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وفي قوله واركعوا مع الراكعين وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار لان الاول امر باقامتها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وامرا بالتذلل للمؤمنين ثم انه سبحانه لما امر بالايمان والشرايع بناء على ما خصهم من النعم رغبهم في ذلك بناء على ماخذ اخر وهو ان التغافل عن اعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول والهمزة في اتامرون للتقرير مع التقريع والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل مبرور مرضي واختلف في البر هٰهنا فالاكثر انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله ويرتكبونها وقال ابن جريج تامرون الناس بالصلوة والزكوة وتتركونهما ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعو الى الحق ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا حسدوه واعرضوا عن دينه الزجاج يامرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل يامرون غيرهم باتباع التورية وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد ثم ما امنوا به وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا يامرون باتباعه في الظاهر وينكرونه في الباطن فوبخهم الله على ذلك والنسيان هو لههنا الحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه فاذن المراد وتغفلون عن حق انفسكم وتعدلون عما لها فيه من النفع وانتم تتلون الكتاب اي التورية وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومن نعت محمد ومن الوعيد على ترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون وهو تعجيب للعقلاء من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به والتقدير اتغفلون ذلك فلا تعقلون وقس على هذا نظائره في القران فانها كثيرة وللتعجيب وجوه منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير الى المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيره منها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل الصحيح ومنها ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لو لا ان هذا الواعظ مطلع على انه لا اصل لهذه التخويفات والا لما اقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجراة على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا بهذه الاية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وبان الزاني بامراة يقبح منه ان ينكر عليها واجيب بان المكلف مامور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضي الاخلال بالاخر والذم في الاية مرتب على الشق الثاني وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين قالوا وحديث التقبيح ممنوع قلت والحق انه مكابرة فعن انس ان النبي قال مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبرئيل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون بالبر وينسون انفسهم وقال ان في النار رجلا يتاذى اهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله قال عالم لا ينفع بعلمه وقال مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وعن الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون لم دخلتم النار فانا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بالقول ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل يروى ان يزيد بن هرون مات وكان واعظا زاهدا فرءي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما سائلني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اما تستحيان من شيخ دعا الناس الى الله كذا وكذا سنة فتقولان له من ربك وقيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج ؛ ولما امر الله تعالى بالايمان وترك الاضلال والتزام الشرايع وموافقة القول للفعل وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسة والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض بقوله واستعينوا بالصبر والصلوة فكانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا والدخول فيما يستثقله طباعكم من قبول دين محمد بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنت عليه وخف عليها ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا تذكر لطفه مال الى الطاعة واذا تذكر قهره انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه يقال شهر الصبر لشهر رمضان ومن حبس نفسه عن قضاء شهوتي البطن والفرج زالت عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار القلب بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلوة لان تاثير الصوم في ازالة ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء اي استعينوا على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال في دفعه الى فاطر الارض والسماء وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل والا لزم تفكك النظم لكن المعنى على العموم فعلى كل مكلف ان يستعين على حوائجه الى الله بالصلوة والصبر على تكاليفها مراعيا في ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب واستحضار العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم بالطويات والاسرار ومنه قوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ومن خواص الصلوة اندفاع



البلايا وانكشاف الغموم والرزايا كان رسول الله اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اي الصلوة او الاستعانة او جميع المامورات والمنهيات في هذه الايات لكبيرة لشاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون فيصدر عنهم الاعمال من طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا فالملحد لما لم يعتقد في فعلها منفعة لا يوافيه طبعه في الاشتغال بها وان كان زمانا يسيرا فيثقل عليه والموحد حيث اعتقد في فعلها اعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه تزجية الاوقات بوظايف العبادات وكان رسول الله يصلي حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عيني في الصلوة والخشوع والخضوع اخوان وهما التطامن والتواضع ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفي الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن هٰهنا تفسيران احدهما انه بمعنى العلم لا يجوز الا ان الظن هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض وتجويز نقيض لقاء الرب اي البعث شك وكفر فكيف يمدح به وسبب هذا التجوز انهما اشتركا في رجحان الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق احدهما على الاخر ولا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقربه من العلم وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقي والمراد بملاقاة الرب اما اللقاء بثوابه وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذي هو سبب اللقاء ووقته غير معلوم الا انه متوقع كل لحظة ووقوعه اجمالا عند المؤمن لانه قطع ملة ولانه يحب لقاء ربه ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ويحتمل ان يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه وباعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقي هٰهنا بحثان الاول استدل اهل السنة بالاية على جواز رؤية الله تعالى وانكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويشمل الكافر والمؤمن وقال من حلف على يمين ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء في اللغة وصول احد الجسمين الى الاخر بحيث يماس وهذا اللقاء سبب الادراك بحيث يمتنع حمله على اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك في مانع اضمر بحسب ذلك فان الاضمار خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففي قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفي الاية لا ضرورة فحمله على الادراك البحث الثاني المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حكمه حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك في اول الخلق ايام حيوتهم في الدنيا فانه قد يملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قال المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل التناسخ الرجوع الى الشيء مسبوق بالكون عنده فدلت الاية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما والله اعلم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون القراءة ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف العالمين ينصرون التفسير انما اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد كانه قال ان لم تطيعوني لاجل سوالف نعمتي عليكم فاطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل والمراد بالعالمين هٰهنا الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين ويقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة بقرينة العلم بانه لم ير كل الناس ويمكن ان يكون المراد فضلتكم على عالمي زمانكم لان الشخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق في الفضل والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة فالاية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين في امر ما وهذا لا يقتضي ان يكونوا افضل من كل العالمين في كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم في اكثرها وقيل الخطاب لمؤمني بني اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفي جميع ما يخاطب الله تعالى بني اسرائيل تنبيه للعرب لان الفضيلة بالنبي قد لحقتهم وجميع اقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب يروى عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعني بما تسمعون غيركم واتقاء اليوم هو اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدائد والاهوال لان نفس اليوم لا يتقى وقوله لا تجزي الى اخر الاية الجمل منصوبات المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه ومنهم من يقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول فحذف الجار وهو في فبقي لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف في قوله ام مال اصابوا قال شعر فما ادري اغيرهم تناء ؛ وطول العهد ام مال اصابوا اي اصابوه ولا يخفى ان هذا التكلف لا يتمشى في سائر الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور العائد ومعنى لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في الجذعة التي ضحى بها ابن نيار قبل الوقت تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في تقدير مصدر اي قليلا من الجزاء مثل ولا تظلمون شيئا ومعنى تنكير النفسين ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي وفي الحديث لا يقبل

صيرف ولا عدل اى توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الحميدة ولا فداء والضمير في ولا يقبل منها يرجع الى النفس الثانية العاصية غير المجزى عنها وهى التى لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزى عنها شيئا ولو اعطت عدلا منها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عائد الى ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد او الاناسى مثل ثلثة انفس وفى وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه على ان الخطب شديد لانه اذا وقع احد في كريهة وحاولت عشيرته دفاع ذلك عنه بذلت بما في نفوسها الابية من مقتضى الحمية فتحمل عنه ما يلزمه من ذنب كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان راى من لا طاقة له بمانعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال والمنال الخالق بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم يغن هذه الامور تعلل بما يتوصل امكنه من نصر الاخوان ومدد الاخلاء فاخبر الله تعالى ان شيئا من هذه لا يدفع يومئذ عن عذابه وفي هذا تحذير من المعاصى وترغيب في تلافى ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم انه لا ينفعه الا الطاعة وتلافى البوادر فالاية وان كانت في بنى اسرائيل الا انها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم في هذه الاية قبول الشفاعة على اخذ الفدية وفى موضع اخر من هذه السورة عكس القضية فما الحكمة في ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال اشد من ميله الى علو النفس فيتمسك اولا بالتشفيع ثم يتروح الى بذل المال ومنهم من على العكس فقدم الفدية على الشفاعة فتغيير الترتيب اشارة الى الصنفين والله اعلم واعلم ان الشفاعة هى ان يستوهب احد لاحد شيئا ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا فصار بالشفيع شفعا ثم ان الامة اجمعت على ان لمحمد صلعم الشفاعة في الاخرة وعليه يحمل قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى واجمعوا على انه لا شفاعة للكفار وبقى الخلاف فيمن عداهم فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب بقى خالدا في النار ولا شفاعة له وسائر الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الاية تدل على نفى الشفاعة مطلقا والايات والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة كثيرة فعرفنا ان الاية ليست على عمومها لكن الايات الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا فخرج عنه صاحب الكبيرة وبعضه الاية مخصة في الكفار وفي صاحب الكبيرة وزعم اهل السنة ان اليهود كانوا يدعون ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا من ذلك واجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجيء سائر حجج الفريقين في الايات المناسبة ان شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود عام الفيض والنقصان من القابل فجائز ان لا يكون الشيء مستعد القبول الفيض من واجب الوجود الا انه يكون مستعد القبول ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشيء متوسطا بين الواجب وبين ذلك الشيء مثاله في المحسوس الشمس فانها لا تضيء الا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مستعد القبول النور منها لكنه لو وضع طست مملو من الماء الصافى مقابلا لم يكن انعكس منه الضوء الى السقف فارواح الانبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين السقف وهذا يدل على انه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده اشرف من نبينا محمد صلعم حيث انه لا شفاعة الا له واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون

وچون رهانیدیم شما را از آل فرعون که میچشانیدند شما را بدترین عذاب که میکشتند فرزندان شما را و زنده میداشتند زنهای شما را و در این آزمایش بود از پروردگار بزرگ و چون شکافتیم بجهت شما دریا را پس رهانیدیم شما را و غرق کردیم آل فرعون را و شما مینگریستید و چون وعده کردیم موسی را تورات را در چهل شب روز پس گرفتید گوساله را پس از آن و شما ستمکار بودید پس درگذشتیم از شما بر از این شاید که شما سپاس کنید و چون دادیم موسی را تورات و فرمان شاید که راه یابید

القراءة سوء العذاب وسوء الحساب بغير همز حيث وقعنا مفتوح الاصفهانى عن ورش وعدنا حيث كان ابو عمرو وسهل ويعقوب يزيد موسى بالامالة المفرطة كل القران حمزة وعلى وخلف وعن ابى عمرو وبين ان ان جعلته فعلى فبالامالة بين الفتح والكسر وان جعلته على مفعل فبالفتح لا غير ثم اتخذتم وبابه بالاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى والبرجمى والفرقان لعلكم مدغما عباس وكذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهى الواو المضموم ما قبلها مثل وتكون لكم والياء المكسورة ما قبلها مثل ميثاق النبيين لما والالف المفتوح ما قبلها مثل ما كان المؤمن وما اشبه ذلك الوقوف نساءكم ط عظيم تنظرون ظالمون تشكرون تهتدون التفسير انه سبحانه لما قدم ذكر النعم على بنى اسرائيل اجمالا اخذ في تفصيلها واحدة فواحدة ليكون ابلغ في التذكير واعظم في الحجة كانه قال اذكروا نعمتى واذكروا اذ نجيناكم واذ فرقنا واذ كان كذا وكذا او في جميع هذه القصص بمعنى مجرد الوقت مفعول به لاذكروا واصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالى لان من صار اليه نجا اى تخلص من ان يعلوه سيل او لان الموضع تخلص بما انحط عنه واصل آل اهل بدليل اهيل واهال في تحقيره وتكسيره على الاعرف فابدلت الهاء على خلاف القياس ثم الى الالف وجوبا فالالف فيه بدل عن همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الال الا فيمن له خطر يقال آل النبى وآل الملك ولا يقال آل الحائك بل يقال اهله وهكذا لا يقال آل البلد آل العلم وانما يقال اهلها وعند الكسائى اصله اول بدليل تصغيره على اويل كانهم يؤلون على اصل قلبت الواو الفا على القياس وفرعون علم





لمن ملك العمالقة اولاد عمليق بن لاود بن ارم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن اختلف في اسمه فابن جريج ان اسمه مصعب بن ريان وابن اسحق انه الوليد بن مصعب لم يكن من الفراعنة اغلظ واقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان اهل الكتابين قالوا ان اسمه قابوس وكان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى اكثر من اربعمائة سنة وقال محمد بن اسحق هو غير فرعون يوسف فان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بال فرعون اتباعه واعوانه الذين عزموا على اهلاك بنى اسرائيل بامره ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر اذا ما الملك سام الناس خسفا ؛ ابينا ان نقر الخسف فينا ؛ واصله من سام السلعة اذا طلبها كانها بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره او المراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعمالهم فمن بان وحارث وزارع ومن لم يكن ذا عمل وضع عليه جزية يؤديها والسكاك بجعلهم في الاعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب كون الانسان تحت تصرف الغير كيف شاء لا سيما اذا استعمله في الاعمال الشاقة القذرة من غير ان ياخذه بهم رافة واشفاق من اشد العذاب حتى ان من هذه حاله ربما يتمنى الموت سئل عن حكيم اى شيء اصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى عظيم نعمته عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذلك نعمة اخرى فقال يذبحون ابناءكم ومعناه هم يقتلون الذكور من الاولاد دون الاناث والذى دعاهم الى ذلك امور منها ان ذبح الابناء يقتضى فناء الرجال وانقطاع النسل بالاخرة ومنها ان هلاك الرجال يقتضى فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل والكد ورجاء القوى في الانتفاع بالمولود من اعظم العذاب ومنها ان الابناء احب وعند من البنات ولهذا قيل شعر ... ما لها تاليت حيوة البنت من موت البنات لقول النبى صلعم دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان قال بعضهم المراد بالابناء الرجال ليطابق النساء اذ النساء اسم للبالغات وهو جمع المرأة من غير لفظها قالوا انما كان يامر بقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون على ان المراد بالابناء الاطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولانهم كانوا محتاجين اليهم في الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى في اليم معنى وانما لم يقل البنات في مقابلة الابناء لانهن لما لم يقتلن كن بصدد ان يبلغن فحسن اطلاق اسم النساء عليهن مثل انى ارانى اعصر خمرا عن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابرهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بنى اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما راوا ان كبارهم يموتون والصغار يذبحون خافوا فناءهم وان لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدى ان فرعون راى نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر واحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسالهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين خبروا فرعون بذلك وعينوا السنة فلهذا قال يقتل ابناءهم من تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم والتعبير لا يكون امرا مفصلا والاشبه ذلك في كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون امرا مجملا والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم على هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في اجلى البديهيات وهو انه يمكن الوجود ضده من العقلاء لا يكون من العقلاء ثم قال ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا انه كان كافرا كفر الجحود والعناد ويقال انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق ابرهيم عم واقدم على ذلك القول احتياطا قلت اذا اخبر الله تعالى عنه بانه قال انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيرى فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود ومن اصدق من الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفى سورة ابرهيم بواو فالوجه فيه انه اذا جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة سوى الذبح وجعل الذبح شيئا اخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفى الاعراف يقتلون بغير واو لانهما من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذى في ابرهيم من كلام موسى فعد المحن عليهم وكان مامورا بذلك في قوله وذكرهم بايام الله وقال بعضهم معنى يستحيون يفتشون حياء المرأة اى فرجها هل بها حمل ام لا وفيه تعسف والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير الى الانجاء والحمل على النعمة اولى لانها هى التى يحسن اضافتها الى الرب تعالى ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على اسلافهم حيث عاينوا اهلاك من حاول اهلاكهم وان كان لا تصل بالغ في اذلالهم وههنا نكتة وهى انهم كانوا في نهاية الذل وخصمهم في غاية الاستيلاء والغلبة الا انهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق غالبا والمبطل مغلوبا فكانه قيل لا تغتروا بفقر محمد صلعم وقلة انصاره في الحال فانه سينقلب العز الى جانبه والذل الى جانب اعدائه وفيه تنبيه على ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا وينبغى من الاخرة قال اهل الاشارة النفس الامارة وهى صفاتها الذميمة واخلاقها الرديئة تسوم الروح الشريفة بذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في الاعمال القذرة

الحيوانية ولا يخبه من ذلك الا الله تع قوله واذ فرقنا نعمة اخرى فى نعمة اى فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط
وكانوا اثنى عشر ومعنى بكم انكم كنتم تسلكونه ويتفرق الماء كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما او يراد فرقناه بسبب انجائكم او يكون حالا
اى ملتبسا بكم روى انه تع لما اراد غرق فرعون والقبط وبلغ بهم الحال فى معلوم الله تعا انه لا يؤمن احد منهم امر موسى بنى اسرائيل ان يستعيروا
حلى القبط ليخرجوا خلفهم لاجل المال او لما يبقى اموالهم فى ايديهم ثم نزل جبرئيل فقال اخرج ليلا كما قال تع واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى ليلا
وكانوا ستمائة الف وكل سبط خمسون الفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوى فوالله ما صاح الليلة
ديك فلما اصبحوا دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تناول كبد هذه الشاة حتى يجتمع الى ستمائة الف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه
الف الف ومائتا الف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فاتبعوهم مشرقين اى بعد طلوع الشمس فلما صار بهم موسى
الى البحر قال له يوشع بن نون اين امرك ربك فقال له موسى الى امامك واشار الى البحر فاقحم يوشع فرسه فى البحر وكان يمشى فى الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس و
هو عليه ثم رجع وقال له يا موسى اين امر ربك فقال البحر والله ما كذبت وما كذب ففعل ذلك ثلث مرات فاوحى الله تع اليه ان اضرب
بعصاك البحر فانشق البحر اثنا عشر طريقا فقال له ادخل وكان فيه وحل فهب الصبا نحو البحر حتى صار طريقا يبسا فاتخذ كل سبط منهم طريقا و
دخلوا فيه فقالوا لنبيهم اين اصحابنا لا نريهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نريهم فقال اللهم اعنى على
اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان الماء فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون
فلما بلغ شاطى البحر راى بلبلوق فتقاه فنهاه عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبرئيل على مهرة فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون
ودخل البحر فصاح ميكائيل بهم الحقوا اخركم باولكم فلما دخلوا البحر بالكلية امر الله تعا الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تع واغرقنا آل فرعون
قبل ذلك اليوم كان يوم عاشورا فصام موسى ع ذلك اليوم شكرا لله تع ومعنى قوله وانتم تنظرون انكم ترون التطام امواج البحر بفرعون
وقومه وقيل ان قوم موسى سئلوا ان يريهم الله تعا حالهم فسئل موسى ربه فلفظهم البحر الف الف ومائة الف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد
وانتم بالقرب منهم قال الفراء وهو مثل قولك لقد ضربك واهلك ينظرون اليك فما اغاثوك تقول ذلك اذا قرب اهله منه وان كانوا
لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب وفرعون
النفس الامارة وقومه صفاتها والعصا عصى الذكر فيفلق بحر الدنيا بتفليق لا اله ويشق ماء شهواتها يمينا وشمالا ويرسل الله تع
ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيعبرونه وينجيهم عناية الله الى
ساحل وان الى ربك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه والله تعا اعلم ولما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب
ينتهون اليه وعد الله موسى ونسبه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم ع ان ينزل عليه التورية وضرب له
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة انما قيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالى وقال اهل التحقيق لان الليلة وقت العبادة والخلوة فخصت بالذكر
لشرفها ولعدد الاربعين خاصية لن ينكرها اهل الذوق ولهذا جاء فى الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه والجنين ينقلب فى الاطوار فى الاربعينات قال ابو العالية وبلغنا انه لم يحدث حدثا فى الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد
من تقدير مضاف اى انقضاء اربعين كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اى تمام الاربعين ومن قرا واعدنا من المواعدة فمعناه
ان الله تع وعده الوحى ووعد هو المجئ للميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله فى الاعراف كقوله ثلثة ايام فى الحج وسبعة
اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فصل اولا ثم اجمل ومعنى ثم فى قوله ثم اتخذتم استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم
مناسبته له لانه تع لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التورية عليه بحضرة السبعين تنبيها للحاضرين وتعريفا للغائبين واظهار
الدرجة موسى وسائر بنى اسرائيل واتوا عقيب ذلك ما بشنع انواع الجهل والكفر كان ذلك فى محل التبعيد والتعجب كما تقول انى احسنت اليك وفعلت
كذا وكذا ثم انك تقصد بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ
الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل قالوا تخذ يتخذ وقد اجرى تخذ مجرى الافعال القلبية فى الدخول على المبتداء والخبر
نحو جعل وصير والتقدير اتخذتم العجل الها الا انه حذف الثانى للعلم به لذكره فى مواضع اخر منها فى طه فقالوا هذا الهكم واله موسى وقوله من بعده
من بعد مضيه الى الطور قال اهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقى مع بنى اسرائيل الثياب والحلى التى استعاروها من القبط قال لهم
هرون ان هذه الثياب والحلى لا تحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا واحرقوها وكان السامرى فى مسيره مع موسى ع فى البحر نظر الى حافر دابة جبرئيل حين
تقدم فى البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامرى اخذ ما كان معه من الذهب فصوره عجلا والقى فيه ذلك التراب فخرج منه
صوت كانه الخوار فقال هذا الهكم واله موسى فاتخذه القوم الها لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعا بالظلم فى قوله وانتم ظالمون كما قال
ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه والمشرك وضع الاخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو فى وانتم اما
للحال واما للاعتراض اى وانتم قوم من عادتكم الظلم وقال اهل التحقيق ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال ع تعس عبد الدرهم تعس عبد الدنيا وتعس





عبد الخميصة وقال ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلعم وعادوه كانه قال هؤلاء انما يفتخرون باسلافهم
ثم ان اسلافهم كانوا فى البلادة والجهالة والعناد وتسلية للنبى ع مما كان يشاهد من مشركى العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وتحذير للعقلاء من الجهل والتقليد ما اقطع شان الجهلة والتقليد ما اقطع شان الجهل المقلدة
رضوا بان يكون العجل الها وما رضوا بان يكون البشر نبيا وقد تمحل بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعد وقوعها منهم مع انهم شاهدوا
تلك المعجزات الباهرة تكاد تكون قريبة من حد الالجاء فى الدلالة على الصانع وصدق النبى ع ان السامرى القى الى القوم ان موسى ع انما قدر
على ما اتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال للقوم انا اتخذ لكم طلسما مثل طلسمه وروج عليهم ذلك بان جعله بحيث خرج منه صوت
عجيب واطمعهم فى ان يصيروا مثل موسى ع فى اتيان الخوارق او لعل القوم كانوا مجسمة وحلولية يجوزون حلول الاله فى الاجسام فوقعوا فى تلك الشبهة
الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين امة موسى وامة محمد ع فانهم بعد مشاهدة الايات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام
وامة محمد ع مع ان معجزتهم القرآن الذى لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق لم يخالفوا نبيهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات اهل الاباطيل مثلهم فى التورية ومثلهم
فى الانجيل قوله ثم عفونا عنكم اى حين تبتم بان قتلتم انفسكم من بعد ذلك الامر العظيم الذى ارتكبتموه من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة
العفو ومعنى الترجى فى كلام الله تع قد مر فى قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان يعنى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق و
الباطل يعنى التورية نحو رايت الغيث والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا
واليد وغيرهما من الايات والشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين هناك ان ذلك لاجل
موسى وفى هذه الاية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تع يوم الفرقان يعنى يوم بدر
وقيل اتينا موسى التورية ومحمد الفرقان لكى تهتدوا به يا اهل الكتاب وفيه تعسف واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم
باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم وچون گفت موسى مر قوم خود را كه اى قوم شما ستم كرديد خود را
بفرا گرفتن شما گوساله را پس بازگرديد بسوى آفريننده خود پس بكشيد نفسهاى خود كه اين بهتر است از براى شما نزد خدا فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واذ
قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون پس قبول كرد توبه شمارا بدرستيكه او توبه پذير مهربانست
وگفتيد اى موسى نگرويم از براى تو تا كه ببينيم خدارا آشكارا پس دريافت شمارا صاعقه وشما نظر ميكرديد ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم پس زنده كرديم شمارا از پس مردن شما شايد كه سپاس كنيد
وسايه كرديم بر شما ابر را وفرستاديم بر شما من وسلوى را كه بخوريد از پاكيزهاى آنچه روزى كرديم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
القراءات بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو وطريق ابى الزعراء وعبد الرحمن بن عبدوس وستم نكردند ما را وليكن بودند كه خود را ستم ميكردند
قرا ابو عمرو بالاختلاس لانه هو مد غما وغير عباس وكذلك كل ما كان بينهما ياء او واو ملفوظة مثل من دونه هو وانه هو واشباه ذلك حتى
حيث كان ما بالامالة نصير والعجلى نرى الله مكسورة الراء روى عن ابن عباس وابو شعيب عن اليزيدى وكذلك كل راء بعدها ياء
استقبلها الف ولام مثل ولو يرى الذين والنصارى المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة حمزة وعلى وخلف وقرا
ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى الوقوف فاقتلوا انفسكم ط عند بارئكم ط لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم ط
الرحيم ه تنظرون ه تشكرون ه السلوى ط ما رزقناكم ط يظلمون ه التفسير انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك
من اعظم النعم فى الدين وايضا لما امرهم بالقتل ورفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة فى حق اولئك الباقين وفى اعقابهم
الى زمن محمد ع وايضا لما بين ان توبة اولئك ما تمت الا بالقتل ظهر ان بعثة محمد ع لهم نعمة ورحمة لانه لا يامرهم بشئ من ذلك متى رجعوا
عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد ع فى التوبة فان امة موسى لما رغبوا فى تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلان يرغب احدنا فى مجرد
الندم كان اولى هذا وقد مر ان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه الا انه لا بد فيه من تعدى ضرر فيبين ههنا ان الضرر انما يعود الى انفسهم
فبذلك استحقوا العذاب الابدى والفرق بين الفاءات الثلث فى الاية ان الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب اما لان
المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة مفسرة بقتل النفس فى شرعهم لا بالندم واما لان القتل تمام توبة المرتد فى شرعهم
والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كما ان القاتل عمدا لا تتم توبته فى شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى اولياء المقتول او يقتلونه
ومعنى الى بارئكم النهى عن الرياء فى التوبة كانه قيل لو اظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم اى القتل
خير لكم عند بارئكم جملة معترضة يفيد التنبيه على ان ضرر الدنيا اهون من عذاب الاخرة اذ لا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى والموت لا بد
واقع فليس فى تحمل القتل الا التقديم والتاخير والثالثة هى الفاء الفصيحة اى المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم فعلى هذا يكون
الكلام خطابا من الله تع لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط منتظم فى جملة قول موسى كانه قال فان فعلتم فقد تاب

عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر البارى لان معناه كما مر فى الاسماء الذى خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض وفيه تقريع لما كان منهم فى ترك العبادة العليم الحكيم الذى براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة برآء من التنافر والتفاوت الى عبادة العجل الذى هو مثل فى البلادة والغباوة فلاجرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من خلقهم وتبديد ما نظم من اشكالهم حين لم يشكروا النعمة فى ذلك وغمطوها باتخاذ من لا يقدر على شئ منها والمراد بقتل الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه والقتل اسم للفعل المؤدى الى زهوق الروح فى الحال وفى المآل واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون لقوله ولا تقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم وذلك ان المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا فقيل امر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما امرهم موسى بالقتل اجابوا فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هرون بالاثنى عشر الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقال ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين السيوف فاحتبوا بافنية بيوتكم واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم بيد او رجل ويقولون آمين وروى ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضى لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان اهلكت بنو اسرائيل البقية البقية يا الهنا فكشفت الضبابة والسحابة واوحى الله تعالى اليه قد غفرت من قتل وتبت على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين الفا وقيل كانوا قسمين منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبد لكن لم ينكر على من عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل الانفس قمع الهوى لان الهوى حيوة النفس قوله واذ قلتم يا موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلفهم الله عبدة العجل القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه وللسامرى ما قال واحرق العجل ونسفه فى اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسأل موسى ذلك فاجابه الله اليه فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى من ذلك الغمام حتى دخل فيه وقال للقوم ادخلوا وادعوا وكان موسى متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بنى اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام انى انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذى دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك اى لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة عيانا وهى مصدر قولك جهر بالقراءة والدعاء كان الذى يرى بالعين يجاهر بالرؤية والذى يرى بالقلب يخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه نوع من الرؤية كما ان تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون نصبها على الحال بمعنى ذوى جهرة ومن قرأ جهرة بفتح الهاء فاما لانه مصدر كغلبة واما جمع جاهر وانما اكد بهذا لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم او التخيل على ما يراه النائم فاخذتكم الصاعقة وهى ما صعقهم اى اماتهم فقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وصعقة موسى فى قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهى اخترت من بنى اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودى بقبول توبتهم فارجع اليهم وليس معى احد منهم فما الذى يقولون فى فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم ارواحهم وذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت ونعمة الله بعد ما كفرتموها وقيل طلب توبة بنى اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقيل ان هذه الواقعة كانت بعد القتل قال السدى لما تاب بنو اسرائيل عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان يأتيه موسى فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكى ويقول يا رب ماذا اقول لبنى اسرائيل فانى امرتهم بالقتل ثم اخترت من بينهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون معى احد منهم فماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى ان هى الا فتنتك فاحياهم الله تعالى فقاموا ونظر كل واحد الى الآخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا يا موسى انك لا تسأل الله شيئا الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته هذا ما قاله المفسرون وليس فى الآية ما يدل على ترجيح احد القولين على الآخر ولا على ان الذين سألوا الرؤية عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين فى هذه الواقعة لانه خطاب مشافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله فى حق موسى فلما افاق مع ان لفظة الافاقة لا يستعمل فى الموت ثم فى الآية فوائد منها التحذير لمن كان فى زمان نبينا عن فعل ما يستحق بسببه ان يفعل به ما فعل باولئك ومنها تشبيه جحودهم معجزات النبى بجحود اسلافهم نبوة موسى مع مشاهدتهم لعظم تلك الآيات ليتنبهوا انه انما لا يظهر على النبى مثلها العلم بانه لو اظهرها لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية للنبى وتثبيت فؤاده كى يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد لو صحت لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب حيث انهم عرفوا خبره وذلك انه تعالى بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الآيات كانوا يرتدون من كل وقت ويتحكمون عليه فكيف يتعجب من مخالفتهم محمدا وان وجدوا فى كتبهم اخبار نبوته ومنها لما اخبر محمد عن هذه القصة مع كونه اميا تبين ان ذلك من الوحى بقى ههنا بحث وهو ان المعتزلة استدلوا بالآية على امتناع رؤية الله تعالى لانها لو كانت امرا جائز الوقوع لم تنزل بهم العقوبة كما لم تنزل بهم حين التمسوا النقل من قوت الى قوت فى قولهم لن نصبر على طعام واحد واجيب بان امتناع رؤيته فى الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته فى الآخرة الذى هو محل النزاع فلعل رؤيته يقتضى زوال التكليف عن العبد والدنيا مقام التكليف وايضا اقتراح دليل زائد على صحة المدعى بعد ثبوته تعنت وايضا لا يمتنع ان الله تعالى علم فيه مفسدة كما علم فى انزال الكتاب من السماء يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جاز الاستنكار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالعة الذات عقلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا اى جعلنا الغمام يظلكم وذلك فى التيه كما سيجئ فى المائدة سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس والظل ضوءان وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لآدم قبل الزلة وانزلنا عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع لا اربد وبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا اربد قال مجاهد المن صمغ حلو وقيل هو الخبز السميد الرقاق الزجاج هو ما من الله تعالى به عليهم وهذا كما يروى مرفوعا الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وقيل السلوى العسل وقيل طائر احمر كلوا على ارادة القول اى وقلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا يعنى فظلموا بان كفروا هذه النعم فجعلوا موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عائد عليهم لا الى غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال ههنا وفى الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله فى آل عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل والله اعلم

وَاِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَاَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

ووقتى كه گفتيم كه داخل شويد اين قريه را پس بخوريد از ان هرچند كه خواهيد فراوان و داخل شويد در را سجده كنندگان و گوييد آمرزش ميخواهيم بيامرزيم گناهان شما را و زود است كه بيفزاييم نيكوكاران را پس تبديل كردند آنان كه ستم كردند گفتارى غير آنكه گفته شده بود پس فرستاديم بر آنان كه ستم كردند عذابى از آسمان بسبب بدكارى ايشان

القراءة يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وحيلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء ابن عامر وابو زيد عن المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغما كل القرآن ابو عمرو خطايا كم وبابه بالامالة على قوم لا غير بالاخفاء يزيد وابو نشيط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة او اولها الوقوف خطاياكم ط المحسنين يفسقون التفسير القرية مجتمع الناس من قريت الماء فى الحوض اى جمعت وبهذا الاعتبار كثيرا ما يطلق القرية على البلدة والجمع القرى على غير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فعال كفعلة نحو ركوة وركاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروى وهو على القياس عند يونس حيث قال ظبوى فى النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبيى على مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل اريحاء من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات وخشوع وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على ادبارهم من الزحف وهو المشى على الادبار وحطة فعلة من الحط كالجلسة خبر مبتدأ محذوف اى مسألتنا حطة وامرك واصله النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت كقوله شعر شكا الى جملى طول السرى : يا جملى ليس الى المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى : الاصل صبرا اى اصبر صبرا كان الله امر القوم امروا ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وذلك ان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكى توبته لمن شاهد منه الذنب لا لان التوبة لا تتم الا به اذ الاخرس يصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى التوبة ولازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطاء ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطأ عدوله عنه لتزول التهمة عنه فى الثبات على الباطل وليعودوا الى موالاته بعد معاداته ويجتنبوا الظن به وعن ابى مسلم الاصفهانى ان معناه امرنا حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القراءات فى نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفرها الله فقد غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتأنيث والخطاء الذنب قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا تقول منه خطئ يخطأ خطأ وخطأة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله خطائئ بياءين ثم همزت ابدلت الهمزة الفا فتحت الياء لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثانى محذوف للعلم به ولمكان الفاصلة اى سنزيدهم احسانا

اوتوا بالوسعة وذلك ان المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة وهذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في سائر التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى ان المحسن بهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية واما منفعة دينية اى المحسن بهذا نزيده على غفران الذنوب ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم حطة مؤثرا في غفران الذنوب ثم ان انتم بعد ذلك بطاعات اخرى ذكرنا ثوابا ويحتمل ان يكون المراد انهم صنفان فمن مخطئ يصير الكلمة سببا للغفران ومن محسن يصير سببا للزيادة ثوابه قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قال ابو البقاء التقدير فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحد بنفسه والآخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي بغير باء هو الموجود ويجوز ان يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول والمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ معين هو لفظ حطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك واللهم اعف عنا ونحو ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية والنبط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين حطا سمقاثا اى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون وفي الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو ان وضعوا غير ما امروا به مكان ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالفجاءة منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى ماتوا من الغداة الى العشي عشرون الفا وقيل سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل ان يكون شيئا نازلا من جهة العلو كريح ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل الامر النازل من عند الله تفظيعا لشان العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار التأكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل ونزول الرجز عليهم من السماء بالفسق الذي كانوا يفعلون قبل ذلك التبديل مستمرا الى اوان هذا الظلم وهذا اظهر لزوال التكرير ولان لفظة كانوا منبئ عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة لا يتصور فيها الاستمرار فلو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا ومما احتج اصحاب الشافعي بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا انه لا يجوز تحريم الصلوة بلفظ التمجيد والتعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها واجيب بانهم انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول آخر يضاد معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك ورد بان ظاهر الآية يتناول كل من بدل قولا بقول آخر اتفق القولان في المعنى سواء او لم يتفقا سؤال لم قال في البقرة واذ قلنا وفي الاعراف واذ قيل لانه صرح بالفاعل في اول القرآن ازالة للابهام ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتي وفي الاعراف لم يبق الابهام ولم قال ههنا ادخلوا وهناك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة في الذكر على الاعراف ولم قال في البقرة فكلوا وفي الاعراف وكلوا بالواو لما بينا في قوله وكلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة خطاياكم وفي الاعراف قرئ خطيئاتكم لان الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد اضاف القول ههنا الى نفسه فكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة وهناك لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا ليدل على الانعام الاتم ولم يذكر في الاعراف ولم قال ههنا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب واللائق بالمحسن تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللائق بالمسيء عكس ذلك لانه ذكر في هذه السورة ادخلوا هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر امرين قول الحطة وهو اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزائين احدهما الغفران احدهما الغفران والآخر الزيادة فترك الواو ليفيد توزيع الجزائين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعني دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو وايضا لاتصال اللفظين حال في هذه السورة بين قوله واذ قلنا وقوله وسنزيد بخلاف الاعراف لان اللائق به في الظاهر حذف الواو ليكون استئنافا للكلام وما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبني على التخصيص من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه واوامره عليهم فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا منهم فهناك ذكر امة عادلة وههنا لم يذكر امة جائرة فصار آخر الكلام مطابقا لاوله واما في البقرة فلم يذكر في اول الآيات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في آخر القصة مثل ذلك لم قال في البقرة فانزلنا وفي الاعراف فارسلنا لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستيصالهم بالكلية وذلك انما يحدث بالآخرة وقيل لان لفظ الارسال في الاعراف اكثر فروعي التناسب لم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين في البقرة كون الظلم





فما اكتفى بذلك البيان في الاعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى فوصفهم بالامرين في موضعين والله اعلم

وَاِذِ اسْتَسْقٰى مُوسٰى لِقَوْمِهٖ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا

وچون خواهش آب کرد موسی از برای قوم خود پس گفتیم که بزن عصای خود را بسنگ پس روان گردید از آن دوازده چشمه که دانست هر کسی محل آب میدن خود را بخورید

مِنْ رِزْقِ اللّٰهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْاَرْضِ مُفْسِدِيْنَ ۞ وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نَصْبِرَ عَلٰى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا

از روزی خدا و جنبش مکنید در زمین فساد کنندگان و چون گفتید که ای موسی شکیب نیاوریم بر یک خوردنی پس بخوان از جهت ما پروردگار خود را که برآورد از برای ما

تُنْبِتُ الْاَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ اَتَسْتَبْدِلُوْنَ الَّذِيْ هُوَ اَدْنٰى بِالَّذِيْ هُوَ خَيْرٌ اِهْبِطُوْا مِصْرًا

میرویاند زمین از سبزی آن و خیار آن و سیر آن و عدس آن و پیاز آن گفت که آیا بدل میکنید آنرا که آن پست‌تر است با آنکه آن بهتر است فرود آیید در شهری

فَاِنَّ لَكُمْ مَا سَاَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاۤءُوْ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ

پس هر آینه از برای شماست آنچه خواستید و زده شد بر ایشان خواری و بینوائی و برگشتند بغضب خدا این بجهت که بودند کافران بآیات خدا و میکشتند

النَّبِيِّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ ۞

پیغمبران را بدون حق این بجهت نافرمانی است و اکثر بودند که در میگذشتند

القراءة عامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم الذلة بضم الهاء والميم حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة ووافق سهل اذا كان قبل الياء فتحة فقط وقرأ ابو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم والنبيين وبابه بالهمزة نافع الا في موضعين في الاحزاب ان وهبت نفسها للنبي وبيوت النبي الا فروى اسمعيل وقالون عنه بغير همزة الوقوف الحجر ط لحق المحذوف اى فضرب فانفجرت عينا ط مشربهم ط مفسدين وبصلها ط هو خير ط سألتم ط لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤول اليه حالهم من الله بغير الحق ط يعتدون التفسير جمهور المفسرين سوى ابي مسلم على ان هذا الاستسقاء كان في التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر اما العصا فقال الحسن كانت عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة واما الحجر فاللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طوري حمله معه كان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل بالادرة ففر به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اى اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة ثم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه واما الصفة والشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل له اربعة اوجه كما مر وهذا الرواية وما يليه الموافق ومقابله واما الضرب فقيل كان يضربه بعصا فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء في قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق في فتاب عليكم وفي هذا الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به والانفجار والانبجاس واحد معناه خروج الماء بسعة وكثرة واصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بخلافهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا ووجه بان الفجر في الاصل هو الشق والبجس الشق الضيق فلا يتناقضان كما لا يتناقض المطلق والمقيد والعام والخاص ولعله انبجس اولا ثم انفجر ثانيا وكذا العيون تظهر الماء ماء قليلا ثم يكثر لدوام خروجه ولعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف اخرى فينبجس قد علم كل اناس اى كل سبط مشربهم كانه امر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة في الرهط الواحد ان لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا ايضا من تمام النعمة عليهم ثم انه فقد العاطف لان قوله قد علم بيان وتفصيل لما اجمل في قوله اثنتا عشرة كانه قيل هذا المجموع متاع بينهم او مقسوم وقيل قد علم كلوا على ارادة القول اى قلنا لهم او قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذي رزقكم بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء وقيل ان الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء فكانما اعطاهم الماكول والمشروب والعثو اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان تكون مفردة جملة اسمية وقيل حال منتقلة ومعناه النهي عن التمادي في حالة الافساد اما مطلقا او مقيدا بان وقع التنازع بسبب تلك المياه فلا تبالغوا في التنازع ويرد على هذا القول ان الافساد منهي عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضي ان يكون المنهي عنه هو التمادي في الافساد لا نفس الافساد والصحيح ان يقال ان المنصوبات في نحو قوله عز من قائل ولا تعثوا في الارض مفسدين ثم وليتم مدبرين وفي نحو قولهم تعلمه بابا وتمم قائما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو اقاعدا وقد سار الركب يجيء في الآية بحث وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب على القول بالفاعل المختار ظاهر فان له ان يحدث اي فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سببا وواسطة واما عند طالب الاسباب والوسائط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عندهم وجوزوا انقلاب صور بعضها الى بعض فجاز استمداد الماء الكائن في الحجر من الهواء المجاور وله مثل هذا ما رواه انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى باناء وهو بالزوراء

نوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة او زهاء ثلثمائة بل معجزة نبينا
اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة اما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد قال اهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم القالب
بمثابة موسى وقومه انه يستسقي بهم لارواهم من ماء الحكمة والمعرفة فيضرب بعصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات
تنقدان نورا عند استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فينفجر منه اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله قد علم كل سبط من اسباط
الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة مع القلب والنفس مشربهم فيشرب في حظيرة بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم يا موسى الاية زعم
بعض المفسرين ان هذا السؤال منهم كان معصية فان اللائق بحال المكلف الصبر على ما انزل الله تعالى اليه خصوصا اذا كان نعمة وعفوا وصفو
ولا سيما اذا كان المسؤل ادون واحقر ولهذا انكره موسى عليهم فقال أتستبدلون وقال الاخرون غير معصية لان قوله كلوا واشربوا
عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء امر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا اهل فلاحة فرغبوا الى ما الفوه ورغبة الانسان فيما اعتاده في اصل
التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاده وان كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسالوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد
وغرضهم البلاد وايضا المواظبة على الطعام الواحد تميت الشهوة وتضعف الهضم فصح ان يكون التبدل مطلوبا للعقلاء ولهذا اجابهم الله تعالى
الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى تلك اللهم الا ان يكون من قبيل من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وانما
وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم ارادوا بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة
يدوم عليها ويأكلها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ
والترفه ونحن اهل زراعة ما نريد الا ما الفناه ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر والبقل ما انبتته الارض من الخضر كالنعناع والكرفس والكراث
وغير ذلك والمراد به اطائب البقول التي يأكلها الناس عادة والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو العدس والبصل
او فوم وقال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا اي اختبزوا قال الفراء هي لغة قديمة الذي هو ادنى اي
اقرب منزلة وادون مقدارا كقوله في ضده هو بعيد المحل وبعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين اثنا عشر فرسخا في ثمانية ومصرا اما مصر فرعون و
التنوين فيه في القراآت المعتبرة مع ان فيه العلمية والتانيث لسكون وسطه كما في نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمة واما مصر من الامصار
كانه قيل لهم ادخلوا بلدا اي بلد كان لتجدوا فيه هذه الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بني اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا اراد ان
يبين مآل حالهم ليكون عبرة للنظار وتبصرة لاولي الابصار وتحذيرا للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين للخزي والهوان فقال
وضربت عليهم الذلة اي جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين
على الحائط فيلصق به فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية
وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القرآن وحيا نازلا من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم هذا حالهم في الدنيا واما حالهم في العقبى فذلك
قوله وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه وهو ارادة
انتقامه ذلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب بسبب كفرهم بآيات الله اي القرآن بل وبالتوراة لان الكفر به مستلزم
للكفر بها وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق اي من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل
فان الاتي بالباطل قد يكون اعتقده حقا لشبهة عنت له وقد يأتي به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثاني اقبح وادخل في القبح او كرر
للتاكيد نحو ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ويحال ان يكون لمدعي الاله الثاني برهان والنبيء بالهمزة فعيل بمعنى فاعل من نبأ
عن الله تعالى قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمزة غير انهم تركوا الهمز في النبي كما تركوا في الذرية والبرية والخابية الا
اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك وقيل اصله من نبا اي من ارض الى ارض اي خرجت منها الى
اخرى وهذا المعنى اراد الاعرابي بقوله يا نبيء الله اي خرج من مكة الى المدينة فانكر عليه صلى الله عليه وسلم الهمزة وقيل النبي بالادغام من النبوة وهي ما
ارتفع من الارض اي انه تعالى اشرف على سائر الخلق وفعيل بمعنى مفعول والجمع انبياء وعلى الاول نباء جمع على انبياء لان الهمز لما ابدل وادغم بدل
والزم الابدال الجمع جمع ما اصله لام حرف العلة ذلك بما عصوا تاكيد بتكرير الشيء بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه
ذنوبا سلفت منه فعاقبه عند آخرها هذا بما عصيتني وخالفتني هذا بما تجرأت علي واغتررت بحلمي ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر
والقتل على معنى انهم كانوا في العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او يكون الباء بمعنى مع اي ذلك
الكفر والقتل مع ما عصوا سائر انواع المعاصي واعتدوا حدود الله في كل شيء وقيل هو اعتداؤهم في السبت واعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم
بين سبب ذلك ولا بما فعلوه في حق الله وهو جهلهم به وجحدهم لنعمه ثم ثناه بما يليه في العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصي
المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك في نهاية الترتيب قيل الاول اشارة الى متقدميهم والثاني اشارة الى من كان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم





فكانه تعالى بين سبب ما نزل بالفريقين من البلاء ليظهر للخلائق ان ذلك قانون العدالة وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق
وفي آل عمران ويقتلون النبيين بغير حق منكرا قلت الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل ما في قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق والحق المعرف اشارة الى هذا واما الحق المنكر فالمراد به تاكيد العموم اي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون
ولا غيره البتة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ القراءة النصارى بالامالة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وورش من طريق البخاري والخراز عن هبيرة
وكذلك كل راء بعدها ياء وروى قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك قوله سكارى واسارى
ويواري واوارى كلها بامالة ما قبل الالف الصابين بغير همزة ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الوقوف عند ربهم
لتنوع عدول عن اثبات الى نفي مع اتفاق الجملتين يحزنون الطور لان التقدير قلنا لكم خذوا تتقون من بعد ذلك ج لان لولا للابتداء وقد
دخل الفاء فيه الخاسرين خاسئين ج للاية والعطف بالفاء المتقين التفسير قد انجر الكلام في الاي المتقدمة الى وعيد اهل الكتاب
من يقفوا آثارهم فقرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب مع الترهيب فقال ان الذين آمنوا واختلف المفسرون فيها
لان قوله في آخر الاية من آمن يدل على ان المراد من قوله آمنوا شيئا آخر كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا فعن ابن عباس المراد ان الذين آمنوا
قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بعيسى عليه السلام مع البراءة من اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي
وابي ذر الغفاري كانه قيل ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل اليهود والذين كانوا على الدين الباطل النصارى
كل من آمن بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون
والذين هودوا ويقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابئين كل من اتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل الذين
آمنوا هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة وهو عائد الى الماضي وكانه قيل ان الذين آمنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم
وثبت على ذلك في المستقبل واستمر واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك اي تبنا ورجعنا وعن ابن عباس نسبوا الى يهودا اكبر ولد يعقوب
وقيل لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة التوراة واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام قال ابن عباس وقتادة وابن
جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اي لنصرة بعضهم بعضا وقيل لان عيسى عليه السلام قال للحواريين من انصاري الى الله وواحد النصارى نصران في
مؤنثه نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري والصابئين بالهمزة اشتقاقه من صبأ الرجل صبوا اذا خرج من دينه الى دين آخر
وكانت العرب يسمون النبي صلى الله عليه وسلم صابئا لانه اظهر دينا على خلاف اديانهم عن مجاهد والحسن هم طائفة من اليهود والمجوس لا تؤكل ذبائحهم ولا
تنكح نساؤهم وعن قتادة قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات قيل وهو الاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب ثم فيهم
قولان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه الا انه امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلوة والدعاء والثاني انه سبحانه خلق الافلاك
والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هي الالهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه ويشبه هذا المذهب الكلدانيين
الذين جاءهم ابراهيم عليه السلام فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا آمنوا بالله ويدخل فيه الايمان بكل ما اوجب الايمان به من رسله وآمنوا باليوم
الآخر وبما وعد فيه فان اجرهم متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من آمن رفع على انه مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او نصب
على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من والذين معنى الشرط قال البرهان قدم النصارى على
الصابئين لانهم اهل كتاب وعكس الترتيب في الحج لان الصابئين مقدم على النصارى بالزمان وراعى في المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ و
اخرهم في التقدير لان تقديره والصابئون كذلك قوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتقرير النعم
وللمفسرين في هذا الميثاق اقوال احدها انه ما اودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق انبيائه
ورسله وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب والتبدل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم وثانيها ما روي عن عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم ان موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالالواح قرأ ما فيها من الاخبار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل فقلع

الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم فقبلوا واعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان لله ميثاقين الاول حين اخرجهم من صلب ادم واشهدهم على انفسهم والثانى انه الزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد انما قال ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اى كل واحد منكم او اخركم والواو فى ورفعنا اما واو عطف فجعل الميثاق مقدما على رفع الجبل كما فى قول الاصم وابن عباس واما واو الحال ان جعل مقارنا للرفع كانه قال واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل الجبل مطلقا عن ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذى وقع المناجاة عليه وقد يجوز ان ينقله الله تعالى حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يسكن الجبل فى الهوا قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة القول اى وقلنا خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة غير متكاسلين ولا متثاقلين وقيل بقوة ربانية واذكروا ما فيه احفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما لم يحمل على نفس الذكر الذى هو ضد النسيان من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او وقلنا خذوا ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف اى فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير امر بعيد ذلك اى من بعد القبول والالتزام قال القفال قد تعلم ان الجملة انهم بعد قبول التورية ورفع الطور تولوا عن التورية بامور كثيرة فحرفوا التورية وتركوا العمل به وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا امرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله متاخروهم ولم يزالوا فى التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكل اذى ويجاهرون بالمعاصى فى عسكره حتى لقد خسف ببعضهم واحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور فى تراجم التورية التى يقرؤنها ثم فعل متاخروهم ما لا خفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم ما جاء به محمد من الكتاب وجحودهم لحقه وحالهم فى كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم ورحمته بامهالكم وتاخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين اى من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله تعالى تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثانى لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل ان يكون الخبر قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى اوله اى لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على ردكم للكتاب ولكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء ولا يكاد يدخل الماضى بدون قد لانها لتاكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قائم ولتاكيد المضارع نحو ليضرب زيد لكن قد تقرب الماضى من الحال فيصير الماضى كالمضارع مع تناسب معنى قد ومعنى اللام فى التحقيق وعند الكوفيين بتقدير القسم قبله عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا فى زمن داود بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل ارض فى شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفى غير ذلك الشهر فى كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان يدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة فلما طال العهد استن الابناء بسنة الاباء واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد فى السبت فنهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن فى هذا العمل منذ زمان فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما نزل بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم وهم قردة خاسئين فمكثوا ثلثة ايام ثم ماتوا قال بعضهم وفى الكلام حذف اى ولقد علمتم اعتداء الذين اعتدوا ليكون المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتداء فيه ما نفس الاصطياد لانهم امروا فيه بالتجرد للعبادة فتجاوزوا ما حد لهم واشتغلوا بالصيد واما الاصطياد مع استحلاله وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم يكن هناك قول كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقردة خاسئين خبران اى كونوا جامعين بين القردة والخسوء وهو الصغار والطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاد للمتعلم البليد الذى لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واحتج بان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا ابطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التى باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا وايجاد اعراض اخر باعتبارها صار قردا ولو جوزنا ذلك لم نامن فى كل ما نراه قردا وكلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك شك فى المشاهدات واجيب بان الانسان ليس هذا الهيكل لتبدله بالسمن والهزال وانما هو امر وراء ذلك اما جسمانى سار فى جميع البدن او جزء فى جانب من البدن كقلب او دماغ او مجرد كما يقوله الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع فى بقاء ذلك الشئ مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا التاويل يجوز فى الملك الذى يكون جثته فى غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول ولانهم يتغير منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق فانهم يعرفون ما نالهم بشوم المعصية من تغير الخلقة وتقبيح الصورة وعدم القدرة على النطق وسائر الخواص الانسانية فيتالمون بذلك ويتعذبون ثم اولئك القردة بقوا او افناهم الله وان بقوا فهذه القردة التى فى زماننا من نسلهم ام لا الكل جائز عقلا الا ان الرواية عن ابن عباس انهم ما مكثوا الا ثلثة ايام ثم هلكوا فجعلناها اى المسخة او القردة او قرية اصحاب السبت وهذه الامة نكالا عقوبة شديدة





البقرة

رادعة عن الاقدام على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك انه يقصد الناس من التشفى واطفاء نائرة الغيظ وانما جعلناها عبرة لما قبلها ومعها وبعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكر فى كتب الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها الى الاخرين فيعتبرون او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرون والامم او جعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل وبعده هكذا قال بعضهم والاولى عندى ان يقال جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخة ولاجل ذنوب تاخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم فى حكم المرتكبين لها ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب على الذنب المفروض الموهوم لانه امر اعتبارى والعقوبة فى نفسها واحدة ثابتة على حالها لم تزد لاجل الذنب المتاخر شئ فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتاخر المترقب مائة اخرى ولكنه كمن قيد عبده او حبسه لاجل الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين او ليعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم **وَاِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهٖٓ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوْا بَقَرَةً**

وچون گفت موسى ازبراى قوم خود كه خدا ميفرمايد شما را كه بكشيد گاوى را

**قَالُوْٓا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۭ قَالَ اَعُوْذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِىَ ۭ قَالَ**

گفتند كه ايا گرفته ما را ريشخند گفت پناه ميبرم بخدا كه بوده باشم از بيخبران گفتند كه بخوان از براى ما خداى ترا كه ظاهر بسازد كه چيست گفت

**اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَّلَا بِكْرٌ ۭ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذٰلِكَ ۭ فَافْعَلُوْا مَا تُؤْمَرُوْنَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا**

خدا ميفرمايد كه آن گاويست نه سالخورده ونه جوان متوسط درميان اينست پس بكنيد آنچه فرموده شده گفتند كه بخوان از براى ما پروردگار ترا كه ظاهر

**مَا لَوْنُهَا ۭ قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاۗءُ ۙ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النّٰظِرِيْنَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِىَ ۙ**

چيست رنگش گفت كه او ميگويد كه آن گاويست زرد درخشنده كه رنگش فرح دهد نگرندگان را گفتند كه بخوان خداى خود را كه بيان كند كه چيست آن

**اِنَّ الْبَقَرَ تَشٰبَهَ عَلَيْنَا ۭ وَاِنَّآ اِنْ شَاۗءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُوْنَ ۝ قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُوْلٌ تُثِيْرُ الْاَرْضَ وَلَا**

كه گاو مشتبه شد بر ما وما اگر خدا خواهد هر آينه از راه يافتگانيم گفت كه او ميگويد كه آن گاويست نه رام است كه شخم كند زمين را ونه

**تَسْقِى الْحَرْثَ ۚ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيْهَا ۭ قَالُوا الْـــٰٔنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۭ فَذَبَحُوْهَا وَمَا كَادُوْا يَفْعَلُوْنَ ۝ وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا**

ع

آب دهد كشت را بى عيب باشد رنگى دران گفتند كه حال آوردى حق مطلب پس سربريدند او را ونزديك بود كه نكنند وچون كشتيد كسى را

**فَادّٰرَءْتُمْ فِيْهَا ۭ وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوْهُ بِبَعْضِهَا ۭ كَذٰلِكَ يُحْىِ اللّٰهُ الْمَوْتٰى ۙ وَيُرِيْكُمْ اٰيٰتِهٖ**

پس ميكرديد بر يكديگر نسبت ميداديد آنرا وخدا بر آورنده است آنچه را كه پنهان ميداشتيد پس گفتيم كه بزنيد آن كشته را بپاره از آن همچنين زنده گرداند خدا مردگان را ونمايد نشانهاى خود

**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ۝ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوْبُكُمْ مِّنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً ۭ وَاِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهٰرُ ۭ**

شايد كه شما دريابيد پس سخت شد دلهاى شما پس از اين پس آن مانند سنگ است بلكه سخت تر وبدرستيكه بعضى از سنگها هر آينه روان شود از آن نهرها

**وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاۗءُ ۭ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ۭ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ۝** القراءة يامركم بالاختلاس

وبعضى از آن هر آينه شكافته پس بيرون آيد از آن آب وبعضى از آن فرود آيد از ترس خدا ونيست خدا بيخبر از آنچه ميكنيد

ابو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مضموم من ذوات الراء هزوا ساكنة الزاء مهموزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرا حمزة مبدلة الواو من الهمزة فى الوقف لمكان الخط وقرا حفص غير الخزاز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا اجتنبت بالمد بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة فى الوقف فادارأتم بغير همزة ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف بقرة ط هزوا ط الجاهلين ماهى ط ولا بكر ط لان التقدير هى عوان بين ذلك ط على تقدير فقد تبين لكم فافعلوا ما تؤمرون ما لونها ط صفراء لا الى الجزاء لانه لان الجملة صفة بعد صفة الناظرين ماهى لا لان التقدير فان البقر ولان البقر ابتداء لعذر تكرار السؤال علينا ط لمهتدون الحرث ج لان قوله مسلمة صفة بقرة او خبر محذوف اى هى مسلمة لا شية فيها ط جئت بالحق ط لان التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون ط فادارأتم فيها ط تكتمون ج للاية والفاء بعدها ببعضها ط لان التقدير فضربوه فحيى فقيل لهم كذلك يحيى الله الموتى تعقلون قسوة ط الانهار ط الماء ط خشية الله ط لتفصيل دلائل القدرة تعملون التفسير عن ابن عباس ان رجلا من بنى اسرائيل قتل قريبا له لكى يرثه ثم رماه فى مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى فاجتهد موسى فى تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فاوحى اليه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فتعجبوا من ذلك فشددوا على انفسهم بالاستفهام حالا بعد حال واستقصوا فى طلب الوصف فلما تعين لم يجدوها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك انه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فذبحوها وامر موسى ان ياخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله وهو الذى ابتدأ بالشكاية فقتلوه قودا واعلم ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند مجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا

بالاية قالوا امروا بذبح بقرة معينة بدليل تعيينها بسؤالهم اخرا وبدليل انه لم يؤمر بتجديد بل المامور به في الثانية هو المامور به في الاولى بالاتفاق وبدليل
المطابقة لما ذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا اية بقرة شئتم بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر في ان المراد بقرة غير معينة وبدليل ابن عباس لو ذبحوا
بقرة ما لاجزأهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وبدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف على
السؤال واجيب بان ترك الظاهر يجوز لموجب وما نقل عن ابن عباس خبر الواحد والتعنيف يجوز ان يكون للتفريط في الامتثال بعد حصول
البيان التام ويتفرع على قول المانعين ان التكليف يكون متغايرا فكلفوا في الاول اي بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا
فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا ان يكون لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب فمنهم من قال في التكليف الاخير
يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع الصفة الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا لونها ومنهم من يقول
انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف وان كان الاول اشبه بالروايات وبطريقة التشديد
عليهم عند ترك الامتثال واذا ثبت ان البيان لا يتاخر وانه تكليف بعد تكليف دل على ان الاسهل قد ينسخ بالاشق فان المرء لولده قد يامره بالسهل
اختيارا فاذا امتنع الولد منه فقد يرى المصلحة في ان يامره بالاصعب ويدل ايضا على جواز النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه
الى البداء ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى ويدل ايضا على ان الزيادة في الخطاب نسخ له اتتخذنا هزوا استفهام الانكار معناه لا تجعلنا مكان
هزء او اهل هزء او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء كان القوم ظنوا انه يداعبهم لانه من المحتمل ان موسى امرهم بذبح البقرة وما
اعلمهم انهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلا جرم وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد بين لهم كيفية
الحال الا انهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيى بان يضرب ببعض اجزاء البقرة واختلف العلماء ههنا فعن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لانهم
ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى
في الوحي وذلك ايضا كفر وعن اخرين انه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبياء جائزة فلعلهم ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة والمراد ما اعجب هذا
الجواب كانك تستهزئ بنا الا انهم حققوا على الاستهزاء من الجاهلين اطلاقا لاسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب
الجهل ومنصب النبوة يجل عن ذلك كما يقول الرجل عند مثل ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لما في الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزء قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد العلم ثم ان قيل ان
المامور بذبحه بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم لان المامور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما
على قول القائلين بالعموم فلابد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها احدها انه لما اخبرهم بشان البقرة تعجبوا وظنوا
ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا يكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السؤال عن وصفها كعصا موسى المخصوصة من بين سائر العصا
بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الاية العجيبة لا يكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على موسى ولعل القوم
ارادوا قتل اي بقرة كانت الا ان القاتل خاف من الفضيحة فالقى الشبهة في التعيين قال المامور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة
رجعوا الى موسى والخطاب وان افاد العموم الا ان القوم ارادوا الاحتياط فسالوا مزيد البيان وازالة الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت الامر
بذبح البقرة المعينة فان قيل السؤال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم الا باجزائها ومقوماتها لا باوصافها الخارجة فالجواب بالاوصاف
الخارجة لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين ان مقصودهم من قولهم ما البقرة لم يكن طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ منه عندهم
وانما وقع السؤال عن المشخصات فالظاهر يقتضي ان يقال اي بقرة هي فان مطلب اي السؤال عن الصفات الذاتية او الخواص فسبب العدول اما افادة
الحقيقة النوعية فان الشخص من حيث هو شخص حقيقة ايضا قد يطلب تصورها واما لانهم تصوروا ان البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها
مغايرة لحقيقة سائر البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورها واما لان السؤال عن الجزئيات كزيد وعمرو انما يكون بمن اذا كانت
للعوارض ههنا الجزئي غير ذي عقل فناسب ان يقام ما مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض كطالق كانها فرضت سنها اي
قطعتها وبلغت اخرها والبكر الفتية وكان الاظهر انها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال الشعر نواعم بين ابكار وعون فان اتوك و
قالوا انها نصف فان اطيب نصفيها الذي ذهبا وقد عونت وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم
انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع انه لا يدخل الا على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا
به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى واحد مذكر على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام فافعلوا ما تؤمرون
مثل امرتك الخير فافعل ما امرت به بمعنى ما تؤمرون به او امركم بمعنى ماموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير ولما بين لهم كمال حالها في السن شرعوا
في تعرف حال اللون والفقوع اشد ما يكون من الصفرة يقال في التوكيد اصفر فاقع مثل اسود حالك واحمر قاني وارتفع اللون على انه فاعل فاقع
والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان في الثاني تاكيدا ليس في الاول لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد
الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض عند



اعتقاد او علم او ظن بحصول شيء لذيذ او نافع وعن علي من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة
السواد ولعله مستعار من صفرة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين و
الصفرة كثيرة وانا ان شاء الله لمهتدون وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثناء
مندوب في كل عمل صالح يراد تحصيله ففيه استعانة بالله وتفويض للامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيئته الازلية وارادته لسره فما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن والمعنى انا بمشيئة الله نهتدي للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التي بها تمتاز عما عداها او انا على هدى
في استقصاء السؤال اي نرجو ان لا نكون على ضلالة فيما نفعله من هذا البحث وانا بمشيئة الله ان شاء الله تعريفها ايانا بالزيادة لنا في البيان لمهتدون
لها او انا ان شاء الله لمهتدون للقاتل لا ذلول صفة لبقرة مثل لا فارض اي بقرة غير ذلول لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح
التي يسنى عليها لسقي الحرث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل
لا ذلول مثيرة وساقية وذل بالكسر اللين ضد الصعوبة ودابة ذلول بينة الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث تقول
رجل صبور وامراة صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا او معفاة من العمل وحشية مرسلة عن الحبل او مخلصة اللون لم يشب صفرتها
شيء من الالوان وعلى هذا يكون لاشية فيها كالبيان والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره اي لا لون فيها يخالف سائر لونها
فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لونا اخر اصلها وشية حذف فاؤها كما في عدة ودنة الان اسم
للوقت الذي انت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة وليس الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس له ما يشركه وهو مبني جئت بالحق اي بحقيقة وصف
او ما بقي اشكال في امرها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو قطع على العنق وهو المستحب في الغنم والبقر والنحر هو قطع
اللبة اسفل العنق وهو المستحب في الابل والمرعي في الحالتين قطع الحلقوم والمري لكن عنق الابل طويل فاذا قطع علاه تباطا الزهوق ولا يكره الذبح
في الابل والنحر في البقر والغنم وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافهم ما كاد ينقطع خيط اسهابهم و
ما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على ان الامر للوجوب بل للفور والا لما ترتب هذا
الذم على تثاقلهم واذ قتلتم نفسا خوطب الجماعة لوجود القتل فيهم فادارءتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدفع
بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه وينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة واصله
تدارأتم ادغمت التاء في الدال فاحتيج الى همزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم والله مخرج مظهر لا محالة ما
كنتم من امر القتيل وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فلهذا صح عمل اسم الفاعل وهذه
الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص لان هذا يتناول كل المكنونات وفيها دليل على ان الله لا يحب الفساد
وانه سيجعل الى تركه سبيلا وانما يسر العبد من خير او شر ودام ذلك منه فالله سيظهره ويعضده قوله عليه السلام ان عبدا لو اطاع الله من
وراء سبعين حجابا لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير في اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تاويل الشخص او الانسان
ويحتمل ان يعود الى القتيل بدلالة ما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف
وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين الظاهر انهم كانوا مخيرين في اي بعض ارادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة
والمعنى فضربوه فحي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان
وهما ابنا عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا ليس للقاتل من الميراث شيء والسر فيه انه استعجل الميراث
فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعي ولم يفرق بين ان يكون القتل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغي او غير مستحق عمدا كان او خطاء
وعند ابي حنيفة لا ارث في العمد والخطاء الا ان العادل اذا قتل الباغي فانه يرثه وقال مالك لا يرثه من ديته ويرثه من سائر امواله ومحل كذلك
نصب على المصدر اي يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام اما مع الذين حضروا حيوة القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين بذلك الا انهم
لم يؤمنوا بذلك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين عين اليقين وعلم اليقين واما ان يكون مع منكري البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا لا يحتاج الى تقدير فقلنا بعد تقدير فضربوه فحي ويريكم اياته دلائله على انه قادر على كل شيء فدلالة هذه القصة على وجود الصانع
القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار في الايجاد والاعدام اية ودلالتها على صدق موسى اية ودلالتها على براءة ساحة من
سوى القاتل اية ودلالتها على حشر الاموات اية فهي وان كانت واحدة الا انها في الحقيقة ايات عدة ويمكن ان يراد بالايات غير هذه اي مثل هذه
الاراءة يريكم سائر الايات كما ان مثل هذا الاحياء يحيي سائر الاموات وفي قوله كذلك دون ان يقال كهذا تعظيم للمشار اليه وتبعيد كما
قلنا في ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها اذ لا اختصاص
في ذلك فان قيل ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه كون الحجة اكد وعن الحيلة ابعد فقد
كان للملحد ان يتوهم ان موسى انما احياه بضرب من السحر وليعلم بما امر من مس الميت بالميت حصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب

وبما في ذبح البقرة من القربان واداء التكليف واكتساب الثواب الاشعار بحسن تقديم القربة على طلب الحوائج وما في التشديد عليهم لاجل تشدّدهم من اللطف لهم والآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال امر الله على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والاشفاق على الاولاد وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تأويله من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب به الى الرب ان يكون من احسن ما يتقرب به في الشرح حسن اللون بريًّا من العيوب ثمينا نفيسا اسمه واضحا ذاكرا فانها على الصراط مطايا كم فان قيل هلّا قدم ذكر القتيل على الامر بذبح البقرة كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون حينئذ قصة واحدة ويذهب الغرض في تثنية التقريع بالاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال او ولا وقتل النفس المحرمة وما منع من الآية ثانيا على انها دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير في بعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى قوله ثم قست قلوبكم الآية خطاب لاولئك اليهود الذين كانوا في زمن موسى او للذين هم في زمن محمد من بعد ذلك الاحياء او من بعد تلك الذي عدد نا من جميع الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ فهي كالحجارة مثلها في القسوة او هي اشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة ويجوز ان يقدر مضاف اي هي كالحجارة او مثل اشد قسوة فمن عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة كالحديد مثلا وانما قيل اشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من القسو لكونه ادل على فرط القسوة او لانه لم يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها وحذف هذا الراجع لعدم الالتباس نحو زيد كريم وعمرو اكرم وكلمة او ههنا ليست للشك فان علام الغيوب لا يشك في شيء وانما هي للتخيير بايهما شئت شبهت فكنت صادقا ولو جمعت بينهما جاز ثم اخذ في بيان فضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي ان منها للذي يتفتح وتتسع فيتدفق منها الماء الغزير وان منها للذي يشقق انشقاقا طولا او عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة وقلتها فان الابخرة تجتمع في باطن الارض ثم ان كان ظاهر الارض رخوا نفثت وانفصلت وان كان صلبا حجرا اجتمعت وصارت مياها ولا تزال تتواتر مددها الى ان ينشق الارض من مزاحمتها وتسيل انهارا او عيونا واما قلوب هؤلاء فلا يترشح للخير ولا تتأثر من الوعظ والنصح بعد مشاهدة الآيات ومعاينة الاحوال وتشقق اصله يتشقق فادغم التاء في الشين كقولهم يذكر في يتذكر وان منها لما يهبط للذي يتردى من على الجبل وذلك من خشية الله اما لانه تعالى خلق فيه الحيوة والعقل والادراك كما روي من تسبيح الحصى في كف النبي واما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يراد منها من الاهباط والانفصال عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تأتمر وقيل اي تنزل من اجل ان يحصل خشية في قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع والدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد والمعنى انه بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم فيجازيهم في الدنيا والآخرة ولا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ووصفه تعالى بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشيء لا يستلزم ثبوت صحتها مثل لا تاخذه سنة ولا نوم التأويل ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان في ذبحها حيوة القلب الروحاني وهو الجهاد الاكبر موتوا قبل ان تموتوا شعر اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حيوتي وحياتي في مماتي ومماتي في حيوتي مت بالارادة تحيى بالطبيعة وقال بعضهم مت بالطبيعة تحيى بالحقيقة ما هي انه بقرة نفس يصلح للذبح بسيف الصدق لا فارض في سن الشيخوخة فيعجز عن وضايف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد ولا بكر في سن شرخ الشباب لسهوه بسكر معوا بين ذلك لقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه اصحاب الرياضات فاقع لونها يريد انها صفرة زين لا صفرة سين فانها سيماء الصالحين لا ذلول تثير الارض لا يحمل ذلة الطمع ولا تثير بآلة الحرص ارض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها ولا تسقي حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبما تجاهه عند الخالق فيذهب ماءه عند الحق وعند الخلق مسلمة من آفات صفاتها ليس فيها علامة طلب غير الله وما كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان او من الدنيا او من النفس الامارة فقلنا اضربوه ببعضها ضرب لسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر فيحيى باذن الله تعالى وفيه ان النفس الامارة بالسوء وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار مراتب القلوب في القسوة مختلفة فالتي يتفجر منها الانهار قلوب يظهر عليها الغليان انوار الروح بترك اللذات والشهوات فيعرض الاشياء المشتهرة بخرق العادات كما يكون لبعض الرهابين والهنود والتي تشقق فيخرج منها الماء هي يظهر عليها في بعض الاوقات عند انخراق الحجب البشرية من انوار الروح فيريه بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء والتي تهبط من خشية الله ما يكون لبعض اهل الاديان والملل من قبول عكس انوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم والفرق انها في المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد في قربهم وقبولهم ودرجاتهم ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيد في غرورهم وعجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلي انوار الحق وروية برهانه فاراءة الآيات للخواص سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ويريكم آياته لعلكم تعقلون لكن اراءة البرهان لاخص الخواص كما قال في حق يوسف لولا ان رأى برهان ربه سئل الجنيد





البقرة

والله اعلم اَفَتَطْمَعُونَ اَنْ يُّؤْمِنُوْا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُوْنَ كَلٰمَ اللّٰهِ ثُمَّ يُحَرِّفُوْنَهٗ مِنْۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوْهُ وَهُمْ

ايا پس اميد داريد كه بگروند براى شما وحال آنكه بودند گروهى از ايشان كه مى شنيدند كلام خدا را پس تغيير ميدادند از پس آنكه يافتند او را

يَعْلَمُوْنَ ۝ وَاِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا قَالُوْٓا اٰمَنَّا ۚ وَاِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ اِلٰى بَعْضٍ قَالُوْٓا اَتُحَدِّثُوْنَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللّٰهُ

ميدانستند وچون ملاقات كردند انهارا كه گرويدند گفتند گرويديم وچون خلوت كردند بعضى از ايشان با بعضى گفتند آيا حكايت ميكنيد با ايشان بآنچه گشود خدا

عَلَيْكُمْ لِيُحَاۗجُّوْكُمْ بِهٖ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۭ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ۝ اَوَلَا يَعْلَمُوْنَ اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ ۝ وَمِنْهُمْ

بر شما تا محاجه كنند با شما بآن نزد پروردگار شما آيا پس نميدانيد آيا ندانند كه خدا ميداند آنچه را كه پنهان ميكنند وآنچه را آشكارا ميكنند واز ايشان

اُمِّيُّوْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ الْكِتٰبَ اِلَّآ اَمَانِيَّ وَاِنْ هُمْ اِلَّا يَظُنُّوْنَ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِيْنَ يَكْتُبُوْنَ الْكِتٰبَ بِاَيْدِيْهِمْ ۤ ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ هٰذَا

بى سوادانند كه نميدانند كتاب را مگر آنچه خيال كرده اند ونباشند مگر آنكه گمان ميكنند پس واى براى آنان كه مينويسند كتاب را بدست خود پس ميگويند كه اين

مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ لِيَشْتَرُوْا بِهٖ ثَـمَنًا قَلِيْلًا ۭ فَوَيْلٌ لَّھُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ اَيْدِيْهِمْ وَوَيْلٌ لَّھُمْ مِّمَّا يَكْسِبُوْنَ ۝ وَقَالُوْا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ

از نزد خداست تا بخرند بآن بهاء اندكى را پس واى براى ايشان از آنچه نوشت دستهاشان وواى براى ايشان از آنچه كسب كردند وگفتند كه نرسد ما را آتش

اِلَّآ اَيَّامًا مَّعْدُوْدَةً ۭ قُلْ اَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْدًا فَلَنْ يُّخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهٗٓ اَمْ تَقُوْلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ۝

مگر چند روزى معين بگو كه آيا گرفته ايد نزد خدا عهدى را كه خلف نكند خدا عهد خود را يا ميگوييد بر خدا آنچه را كه نميدانيد

بَلٰى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَّاَحَاطَتْ بِهٖ خَطِيْۗــــــَٔــتُهٗ فَاُولٰۗىِٕكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ۚ ھُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ۝ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا

آرى هر كه كسب كرد گناهى را واحاطه كرد او را گناه او پس آن گروه ياران آتش اند كه ايشان در آن جاويدانند وآنان كه گرويدند وكردند

الصّٰلِحٰتِ اُولٰۗىِٕكَ اَصْحٰبُ الْجَنَّةِ ۚ ھُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ۝ القراءة الاماني حيث كان خفيفا يزيد الا قوله تلك امانيهم وليس بامانيكم

شايسته ها آن گروه ياران بهشت اند كه ايشان در آن جاويدانند

ولا اماني وغير الاماني فانا ربعهن بالاسكان عنده بايديهم بضم الهاء يعقوب وكذلك كل هاء كانت قبلها ياء ساكنة خطيئاته بالجمع ابو جعفر ونافع الوقوف يعلمون ا منا ج والوصل اجوز لبيان حالتيها المتناقضتين وهو المقصود عند ربكم ط افلا تعقلون يعلنون يظنون قليلا ط يكسبون معدودة ط ما لا تعلمون النار ج لان الجملة مبتدأ وخبر بعد خبر خالدون الجنة ج خالدون التفسير لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود وسوء معاملتهم مع نبيهم اردفها قبائح خلافهم المعاصرين لرسول الله وكانه قيل اذا كان هذا افعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون ايها النبي والمؤمنون في ان يؤمنوا اي يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم وقيل هم قوم من الذين خرجوا الى الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بعقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون انهم مفترون كاذبون والمعنى ان كفر هؤلاء ان كفروا فلهم سابقة في ذلك كما تقول للرجل كيف تطمع ان يفلح فلان واستاذه فلان يأخذ عنه لا عن غيره فهؤلاء المقلدة لا يقبلون الا قول معلمهم واحبارهم الذين تعمدوا التحريف عنادا او لضرب من الاغراض الدنيوية واذا لقوا اي اليهود قال منافقوهم آمنا بانكم على الحق ونشهد ان صاحبكم صادق ونجد نعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعته وصفته ماخوذ من قولهم قد فتح على فلان في علم كذا اي رزق ذلك وسهل له طلبه وقال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فيا فقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد عن الحسن ليحاجوكم في ربكم لان المحاجة فيما الزمتم من اتباع الرسل محاجة في دينه وقال الاصم يحاجوكم يوم القيمة عند المسائلة فيكون زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون ان ذلك مما يزيد في فضيحتهم في الآخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه الديانة والنصيحة لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه ارجت عليك عند الله واثبت عليك الحجة بيني وبين ربي فان قبلت احسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر الخائب وقيل لتصيروا محجوجين بتلك الدلائل في حكم الله كما يقال فلان عندي عالم اي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا افلا تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به رجع وباله عليكم اولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان خوفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها كانه منسوب الى الام وهو اصل الشيء اي على اصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني واحدها امنية على افعولة من منى اذا قدر لان المتمنى تقول منه تمنيت الشيء ومنيته غيري تمنية يقدر في نفسه ويجوز ما يتمناه والاماني لليهود ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما

بينهم الاحبار من ان النار لا يمسهم الا اياما معدودة وقيل الا امانى الاكاذيب المختلقة التى سمعوها من علمائهم فيقبلوها على التقليد
يقال هذا شئ رويته وتمنيته اى اختلقته وذلك ان المختلق يقدر ان كلمة كذا بعد كذا وفى الصحاح انه مقلوب المين وهو الكذب وقيل
الاما يقرؤن من قولهم تمنيت الكتاب قراءته قال الشاعر فى عثمان شعر تمنى كتاب الله اول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر * ولفظا
مقدر الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه وبقدر ما يذكر
لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتامل وعلى الاول يكون استثناء منقطعا ومن قرأ امانى بالتخفيف حذف المدة كما يقال مفاتح و
ان هم الا يظنون كالمحقق لما تقدم من قوله لا يعلمون الكتاب الا امانى ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة
المجادلة لاهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على انهم فى الضلال سواء لان للعالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامى ان لا يرضى بالتقليد والظن ان
كان متمكنا من العلم ولا سيما فى اصول الدين الويل كلمة يقولها كل مكروب وعن ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثورى صديد اهل الجحيم
وعن رسول الله واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد فى جهنم لو ارسلت فيه الجبال
لماعت من حره ولا شبهة فى انها على غاية الوعيد والتهديد يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد كما تقول لمنكر هذا ما كتبته بيمينك حكى
عنهم امرين كتبة الكتاب واسناده الى الله والوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا انه على الثانى ابلغ ولهذا اجيئهم وقوله اشتروا به ثمنا
قليلا تنبيه على شقاوتهم فانهم استبدلوا النفع الحقير العاجل الزائل بالاجر العظيم الاجل الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم اى مما اسلفت من
كتبه ما لم يكن يحل لهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من الرشى على التحريف وفى اعادة الويل فى الكسب دليل على ان الوعيد كما يلحقهم بسبب
الكتبة واسنادها الى الله فكذلك يلحقهم بسبب اخذ المال عليه ليعلم ان اخذ المال على الباطل محرم وان كان بالتراضى وقالوا لن تمسنا
النار نوع آخر من قبائح افعالهم وهو جزمهم بان الله تعالى لا يعذبهم الا اياما معدودة قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا
دليل له سمعيا فلا يجزم به عاقل والايام المعدودة قالوا اربعون يوما هى ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف
سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما لان يوما عند الله الف سنة وايام معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الايام مضت
ومضين العهد ههنا يجرى مجرى الوعد والخبر لان خبره سبحانه كالعهود المؤكدة منا بالقسم والنذر واتخذتم استفهام بطريق الانكار
وانه يدل على ان الدليل السمعى فلن يخلف الله عهده لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر نقص النقائص فان قيل هب ان الخلف
فى الوعد لوم ونقيصة لكنه فى الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه كامل ولعل للكرم طريقا آخر سوى هذا
فتامل وام اما معادلة بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما وهذا من الكلام المنصف نحو وانا او
اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ويجوز ان يكون منقطعة بمعنى بل اتقولون كانه اعرض عن الاستفهام الاول واستانف سؤالا
ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفى والاستفهام الثانى لتقرير الاثبات وفى الاية تنبيه على ان القول بلا دليل باطل وان كل ما جاز
وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الاثبات او الى النفى الا بدليل سمعى ولا حجة لمنكرى القياس وخبر الواحد فيه لانه لما دل الدليل على وجوب
العمل عند حصول الظن المستند الى القياس او الى خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فكان القول به قولا بالمعلوم بلى اثبات لما بعد حرف
النفى وهو قوله لن تمسنا النار اى بلى تمسكم ابدا بدليل قوله تعالى هم فيها خالدون عن ابن عباس وجد اهل الكتاب ما بين طرفى جهنم مسيرة
اربعين فقالوا لن يعذب فى النار الا ما وجدنا فى التورية واذا كان يوم القيمة اقتحموا فى النار فساروا فى العذاب حتى انتهوا الى سقر
وفيها شجرة الزقوم الى آخر يوم من ايام المعدودة فقال لهم خزنة اهل النار يا اعداء الله زعمتم انكم لن تعذبوا فى النار الا اياما معدودة
فقد انقضى العدد وبقى الابد تلك فى مثل حالهم ضلال الفلاسفة القائلون بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح اعمال الانسان
الا انها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى اصلها تصير الى حظائر القدس ولا يزاحمها شئ من نتائج الاعمال الا اياما معدودة بقدر
الارواح عن لبان التمتعات الحيوانية ثم تتخلص من العذاب وترجع الى حسن المآب منهم من زعم ان استيفاء اللذات الحسية بقبلل التعلقات
الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوى وكل هذا خيال فاسد ومتاع كاسد انه قول من لم يجرب ولم يجد من نفسه انها كيف تتدنس
وتتكدر بالاخلاق الذميمة البهيمية السبعية كيف تتصفى وتتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية فتغمد بصدا مرآة القلب بحيث
لا يبقى فيه شئ من الصفاء الفطرى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها الامر دام الدهور وكرور الاعصار وقد تنضم
الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا مخلدا فى النار فويل طويل وحزن وعويل نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا والسيئة
اصلها سيوئة من ساء يسوء مساءة فقلبت الواو ياء وادغمت وهى من الصفات الغالبة وقوله سيئة يتناول جميع المعاصى صغيرها وكبيرها
فضم اليها شرط آخر وهو كون السيئة محيطة به يختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة فى الجسمانيات كاحاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف
فنقل الى الخطيئة وهى عرض لمعنيين من جهة ان المحيط يستر المحاط به والكبيرة تستر الطاعات ومن جهة ان الكبيرة تحبط الطاعات و
تستولى عليها احاطة العدو بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والاية وان وردت فى اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص



السبب بمثلها يتمسك المعتزلة فى اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم الخطيئة المحيطة بالكفر فيتحقق الاحاطة
التامة واعلم ان فى المسئلة خلافا فاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا و
هو قول بشر المريسى والخالدى ومنهم من قطع بانه لا وعيد لهم وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر والذى عليه اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة
والامامية القطع بانه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وانه اذا عذب احدا فلا يعذبه ابدا لكنا نتوقف فى حق البعض المعفو عنه والبعض
المعذب على التعيين اما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت فى وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها وقوله ان الفجار لفى جحيم وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا ومن الحديث
من شرب الخمر فى الدنيا ولم يتب منها لم يشربها فى الآخرة ومن قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذى يشرب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه
نار جهنم وعن ابى سعيد الخدرى قال قال والذى نفسى بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل الا دخل النار واذا استحقوا النار ببغضهم فلان
يستحقوا النار بقتلهم اولى واجيب بالمنع ان هذه صيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل دارى فله كذا وبعض
من دخل ولا يلزم منه تكرير ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال التخصيص القاطعون بنفى العقاب عن اهل الكبائر احتجوا
بنحو قوله تعالى ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وبالعمومات الواردة فى الوعد مثل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
الاية حكم بالفلاح على كل من آمن وعورض بعمومات الوعيد اما اصحابنا الذين قطعوا بالعفو فى حق البعض والتوقف فى البعض فقد تمسكوا بنحو
قوله عز من قائل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبان عمومات الوعد والوعيد لما تعارضا فلا بد من الترجيح
لجانب الوعد بصرف التاويل اليه لان العفو عن الوعيد مستحسن فى العرف واهمال الوعد بالضد ثم القرآن مملوء من قوله عفوا غفورا رحيما كريما
وكذا الاخبار فى هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر وايضا ان صاحب الكبيرة اتى بما هو افضل الخيرات وهو الايمان ولم يات بما هو اقبح القبائح و
هو الكفر ولا يهدمه ما سوى الكفر من المعاصى ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازى الهى اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين
سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهى لما كان الكفر لا ينفع معه شئ من الطاعات كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر معه شئ من المعاصى
واذا دلت الآيات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع او يصل اليه
العقاب ثم ينقل الى دار الثواب ويبقى هناك ابد الآباد وهو المطلوب واعلم ان مذهب الاصحاب الى الادب الاقرب من حيث انهم يصفونه بصفات
الجمال كالعفو والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث
انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب ولا البعض المستحق للعقاب من المسلمين لان فعله مبرأ عن التعليل بلواحق الغايات وسوابق البواعث
ومذهب المعتزلة الى الاحتياط اقرب فان من خوفك حتى تبلغ الامن خير ممن امنك حتى تبلغ الخوف وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ
وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ
الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
القراءة لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلى والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة و
على وخلف وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلى وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا
عاصم وحمزة وعلى وخلف تحذف احدى التائين للتخفيف الباقون بالتشديد وحيد ادغام التاء فى الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف
اسارى مفخما تفدوهم ابن كثير وابن عامر اسرى بالامالة تفدوهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم على والنجارى عن ورش والخزاز عن هبيرة والباقون

اسارى مخرجاتفادوهم تردون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد بتاء الاخر الكلام على اوله الباقون بالتاء تغليبا للمخاطبين على الغيب لو قوف الزكوة ط لان ثم لترتيب الاخبار اى ثم مع ذلك توليتم معرضون تشهدون من ديارهم ز لان تظاهرون يشبه ستينا فا وكونه حالا اوجز العدوان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام او النفي مع فاء التعقيب الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط يعملون ط بالاخرة ز لان الفعل مستانف وبفاء التعقيب للجزاء ينصرون التفسير انه سبحانه كلفهم باشياء الاول قوله لا تعبدون الا الله بياء الغيبة فلانهم غيب من قرا بتاء الخطاب فللحكاية ما خوطبوا به وفي اعرابه اقوال احدها انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي كانه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول عطف قولوا واقيموا عليه وثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويحتمل ان تكون ان مفسرة وان تكون مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه في الدين لان الامر بعبادته والنهي عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل عليه ومسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها الا بالوحي والرسالة التكليف الثاني قوله وبالوالدين احسانا معناه يحسنون بالوالدين احسانا ليناسب لا يعبدون او احسنوا ليناسب وقولوا ويمكن ان يقدر وصيناهم عطفا على اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول ما قبل لا تعبدوا وما قبل احسنوا او ما قبل قولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية فقط فلا انعام بعد انعام الله تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما اشبه بانعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من انعامه على العبد ان اتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه موادكرمهما وان كان غير بار بهما ومنها ان الوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه ياخذ الحبة فيربيها مثل جبل احد ومنها ان المناسبة والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية حتى عم جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية ومنها اسرار قليلا ومنها انه لا كما لا يمكن للولد الا وبطلبه الوالد له حاله وبريد عليه كان الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يوبده عليه ولهذا ارسل الرسل وانزل الكتب ونصب الادلة وازاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان على ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى ان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر معتبر في جميع الشرائع ومركوز في كل العقول ولهذا ورد اطع الوالدين وان كانا كافرين وعن النبي انه نهى حنظلة بن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان اليهما في الاية اطلاقا وقد تلطف ابرهيم في دعوة ابيه من الكفر الى الايمان في قوله يا ابت يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم القلب ويراعي قانون الادب والخدمة والشفقة ويبذل ويسعى في رضاهما ويذكرهما في صالح دعائه كما ارشد الله تعالى الى جميع ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف الى اخر الاية التكليف الثالث الاحسان الى ذي القربى ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك الرحم مشتقة من الرحمن يعني لها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق والسبب العقلي في تاكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة الاتحاد والالفة والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى لاقارب زيد دخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد والاحفاد لا الابوان والولد على الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب وههنا دقيقة وهي ان العرب يحفظون الاجداد العالية التي ترتفع نسبهم بحيث لو ترقينا الى الجد العالي وحسبنا اولاده كثروا فلهذا قال الشافعي يترقى الى اقرب جد ينسب هو اليه ويعرف به وذكروا في مثاله انه لو اوصى لاقارب الشافعي فانا نصرفه الى اولاد شافع فانه منسوب اليه ولا يدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان شافع وعلي والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد الشافعي هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قال المحققون هذا في زمان الشافعي واما في زماننا فلا نصرفه الا الى اولاد الشافعي ولا نرتقي الى بني شافع لانه اقرب من يعرف اقاربه في زماننا ولا يدخل الاقارب من الام في وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا تفتخر بها اما لو اوصى لذي رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهبت طائفة الى ان الاقوى على ما اجاب به العراقيون ومال اليه ابو حنيفة هو ان اقارب الام يدخل في الوصية سواء كانت في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلى الله عليه وسلم سعد خالي فليرني امرؤ خاله والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان الى الوالدين وذلك بان يجتهد في رضاهم بما تيسر له عرفا وشرعا وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو موسر التكليف الرابع الاحسان الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه قدر النفقة والزكوة ومؤن الملك بما امكنه والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النصيحة قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح راسهم واليتم في غير الانسان من قبل الام وفي الانسان من قبل الاب ومن الدر ما لا اخت له وانما يجمع يتيم على يتامى لان اليتم لما كان من صفات الابتلاء حمل على الوجع والحبط فكما قالوا وجع





للمنع النطق وجاعى وحبطا قيل في يتيم يتامى في الكسائي انه اجرى يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتامى ثم يتامى على القلب وكذا في النسا التكليف الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون كان الفقر سكنه او لانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالسكن الدائم السكون وهو اسوأ حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابي حنيفة ومالك واحتجوا عليه بقوله او مسكينا ذا متربة وعند الشافعي واحمد الامر بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان فقاره انكسر لشدة حاجته والمسكين قد يملك ما يشغله به قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين ويظهر اثر الخلاف فيما لو اوصى للفقراء دون المساكين او بالعكس والاحسان الى ذي القربى واليتامى والمساكين ينبغي ان يكون مغايرا للزكوة لان العطف يقتضي التغاير التكليف السادس وقولوا للناس حسنا بالوصف اي قولا حسنا وحسنا على المصدر اي قولا ذا حسن او قولا هو الحسن في نفسه لافراط حسنه او ليحسن قولا حسنا والقائل المخاطبين بذلك هم الذين خوطبوا لانهم في العصر قيل انه مخصوص اما بتخصيص الناس اي قولوا للمؤمنين حسنا بدليل اية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما بتخصيص القول اي قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال اهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع الناس في الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين كما قال لموسى فقولا له قولا لينا وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كما في الفسق فحسن القول فيه معتبر ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي احسن واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللطف من القول لم يعدل الى غيره وما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه فثبت ان جميع اداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون ان يقولوا لكم التكليف السابع والثامن قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقد تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب ولترتب الذم على توليهم وهذه التكاليف بعينها واجبة في شرعنا وعن ابن عباس ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اغاثة المضطر واجبة وان لم تجب علينا الزكوة واعلم ان التكليف اما بدني او مالي وكل منهما اما عام او خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا مؤتمرا لامر الله بحيث لا يرى لنفسه شيئا من التصرف والاختيار تعبد المماثل بين يدي مولاه واليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلوة واشار اليه بقوله واقيموا الصلوة فللصلوة اوقات مخصوصة واركان وشروط معدودة والمالي الخاص هو الزكوة لتخصصها بالاصناف الزكوية وبالنصاب وبالحول وغير ذلك والمالي العام لكونه منوطا بالقدرة والامكان سببه اما النسب او لا والنسب اما سابق ومقارن ولاحق فالسابق الوالد والمقارن الاقارب واللاحق اليتامى لانهم اولاد ودون ذلك فان كان الولي جدا او بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان الولي غيره وغير المنتسب اما الاحتياج والفقر وهو المساكين والاشتراك في النوع ولا يمكن الا بالقول الحسن وما ينخرط في سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة ايضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا مزيد عليه وقد كرر اكثر هذه المعاني في سورة النساء بضرب من التاكيد فاكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا واكد الاحسان الى غير ذي القربى بما يتلوه بتكرير الجار وهو الباء وبضم اصناف اخر وهم الجار وغيره اليهم فكانه كالتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا قوله تعالى ثم توليتم قيل الخطاب للمتقدمين من بني اسرائيل على طريقة الالتفات ووجهه ان الكل منهم فكذا اخره الا قليلا يوجب الانصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود كانه تعالى بين ان تلك المواثيق كما لزمتم المتقدمين منهم فكذلك هي لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذي لزمهم وانتم مع ذلك توليتم الا قليلا منكم وهم الذين امنوا وانتم معرضون اولا والاعتراض اي وانتم قوم من عادتكم الاعراض لعرضتم بعد ظهور المعجزات كاعراض اسلافكم وقيل ثم توليتم للمتقدمين وانتم معرضون للمتاخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب المراد اخذنا ميثاق ابائكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف في قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه فاي فائدة في النهي والجواب ان هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من اهل الهند انهم يقدمون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور وكثير ممن يصعب عليه الزمان او المراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا او انه اذا قتل غيره فكانما قتل غيره لانه يقتص منه او لا تسعوا لما فيه من يقتلكم فتكونوا قد قتلتم انفسكم ولا تخرجون انفسكم لا تفعلوا ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم والمراد اخراج بعضهم بعضا من ديارهم لان ذلك مما يعظم فيه النعم حتى يقرب من الهلاك ولعله لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون ثم اقررتم وانتم تشهدون اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض بذلك لانه كان شائعا فيما بينهم مشهورا وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم تشهدون مغني ثم استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره اي انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وتقتلون بيان لانتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول ونظامه التعاون ولما كان الاخراج من الديار

وقتل البعض بعضا بما تعظم به الفتنة واحتيج فيه الى الفداء وطلبه بين تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن تظاهرهم على الظلم والعدوان وفيه دليل على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره عنه ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسئل عما يفعل اسرى جمع اسير كجرحى في جريح واسارى جمع اسرى كسكرى وسكارى وقيل اسارى من الجموع التي ترك مفردها كانه جمع اسران ككسالى وعجلان وقوله تفادوهم جمهور المفسرين على انه وصف لهم بانهم هو طاعة وهو التخليص من الاسر ببذل مال او غيره ليعودوا الى كفرهم وهو ضمير الشان واخراجهم مبتداء ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز ان يكون هو مبتدأ مبهما ومحرم خبره واخراجهم تفسيره افتؤمنون ببعض الكتاب اى الفداء وتكفرون ببعض اى بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب فقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا فقد يكون المناقضة داخلة في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحجة في امرهما على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان ببعض والكفر ببعض وكل في الميثاق سواء الخزي الذل والهوان خزي بالكسر يخزى خزيا اى ذل وهان وخزي ايضا يخزى خزاية اى استحيى فهو خزيان فاذا قيل اخزاه الله فالمراد اهانه او اوقعه موقعا يستحيى منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شانه وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه والاظهر انه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وبمن يخلفهم دون اسلافهم فان قيل عذاب منكر الصانع كالدهري يجب ان يكون اشد فكيف يقال في حق اليهود يردون الى اشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد اغلظ واما لان المراد اشد من الخزي لا الاشد مطلقا وقوله وما الله بغافل وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة يدل على وصول الحقوق الى مستحقها لا محالة اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة استبدلوها بها فلا يخفف عنهم العذاب لا ينقطع ولا يفتر بل يدوم على حالة واحدة ولا هم ينصرون بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا الشرع وبين لذات الآخرة ممتنع يستتبع وجود احدهما عدم الآخر والله ولي التوفيق واذ اخذنا ميثاقكم في عهد الست بربكم لا تسفكون دماءكم بامتثال اوامر الشيطان واتباع خطواته كما قيل شعر الى حتفي مشى قدمي : ارى قدمي اراق دمي : ولا تخرجون انفسكم من ديار عبوديتكم التي كنتم فيها في اصل الفطرة وتخرجون فريقا منكم من ديارهم لا تقصرون على ضلالكم بل يتعاون بعضكم بعضا على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ النفس وان ياتوكم اسارى تفادوهم فمن اسر في قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن اسر في قيد حب الدنيا فخلاصه كثرة ذكر المولى ومن اسر في ايدي الشكوك والشبهات ففداؤه ارشاده الى اليقين بلوائح البراهين ولوامع البينات ومن اسر في حبس وجوده فنجاته فيما يحل عنه وثاق الكون ويوصل الى معبوده ومن اسر في قبضة الحق فليس لاسراهم فداء ولا لقتلاهم قود ولا لرهطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا معهم قرار ولا اليهم بغير سبيل ولا لديهم دليل افتؤمنون ببعض الكتاب وهو سمعتم في ازل الخطاب الست بربكم فقلتم بلى وتكفرون ببعض وهو الذي عاهدتم عليه لا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى الله حسبي

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

القراءة القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير بئسما وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد



وورش وحمزة في الوقف ينزل مخففا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف القدس ط استكبرتم ج لتناهي الاستفهام مع تعقيب التعقيب بعده كذبتم ز لعطف المستقبل على الماضي مع تقديم المفعولين فيهما تقتلون غلف ط لان بل للاعراض عن الاول وتحقيق الثاني يؤمنون لما معهم ط لان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر وجوابهما متحد وقوله وكانوا من قبل حال معترض كفروا به ج لان ما بعده مبتدأ لكن الفاء يقتضي تعجيل ذكر جزائهم الكافرين من عباده ج لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط مهين لما معهم ط مؤمنين التفسير لما ذكر تعالى في الآي المتقدمة صنيع اليهود في مخالفتهم امر ربهم ومناقضة حالهم اكد ذلك في هذه بذكر نعم افاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقض المقصود زيادة في تبكيتهم اما الكتاب فهو التورية آتاه الله تعالى اياه جملة واحدة عن ابن عباس لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل آية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى فحملها التقفية الاتباع والتقفية الاتباع وهو من القفا كالتذنيب من الذنب اي اتبعنا على اثره رسلا كثيرين وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وروي ان هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى ايام عيسى فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى وكان المقصود من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن هنالك قال صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل ان الله سيبعث لهذه الامة على راس كل مائة من يجدد لها دينها وقيل عيسى بالسريانية ايشوع اي المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وهو الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن سمي بذلك لكثرة زيارته لهن وبه فسر قول رؤبة شعر قلت لزير لم تصله مريمه : ووزن مريم عند اهل الصرف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير العبار وعليب اسم واد البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك ايدناه قويناه من الايد القوة وبروح القدس والروح المقدس كما يقال حاتم الجود ورجل صدق اي بجبرئيل سمي بذلك لانه سبب حيوة الدين كما ان الروح سبب حيوة البدن ولانه الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه اصلاب الفحول ولا ارحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لان العلم سبب حيوة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذي نفخ فيه والقدس والقدوس هو الله واضافة الروح اليه تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع وكون الروح ههنا جبرئيل اظهر لان اختصاصه بعيسى اكثر لانه الذي بشر مريم بولادته وقد تولد من نفخة جبرئيل في امه وهو الذي رباه في جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله تعالى افكلما وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد آتينا لافادة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يكون الفاء للعطف على مقدر معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم الباء للتعدية او بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف ما يهوون كذبوه وان تهيأ لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم واخذ اموالهم بغير حق يوهمون عوامهم انهم على الحق والنبي على الباطل يحتجون على ذلك بالتحريف وسوء التاويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبار ابليس على آدم عليه السلام ففريقا كذبتم على التمام وما بقي منه غير مكذب وفريقا تقتلون اي مما تدبر لكم قتله بعد على التمام لانكم حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة قال صلى الله عليه وسلم عند وفاته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري والعداد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوز ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب كقوله فاضرب بها بلا دهش فخرت شعر وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد غاية الفاصلة في يقتلون بيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل فريقين احدهما مخصص بالتكذيب والآخر بالقتل كان وصف الرسالة عندهم هو الذي اقتضى عندهم احد هذين حتى خص المنعوت به دون سائر الناس باحد الامرين وهذه نهاية الجهالة حيث استقبلوا اشرف الاصناف لاكرم الاوصاف بغاية الاستخفاف غلف جمع اغلف وهو كل ما في غلاف ومنه الاغلف للذي لم يختتن اي قلوبنا مغشاة باغطية فلا تتاثر من دعوتك لمكان الحائل بينها وقيل غلف بضمتين تخفيف غلف بضمتين جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم والحكمة فنحن مستغنون بها عن غيره لا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم وان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اي طردوا عن رحمة الله وابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذي احدثوه بعد نصب الادلة وازاحة العلة وفي هذا الطف للمكلفين ان لا يسلموا الى المعاصي بابلاء نحو هذا العذر وابداء مثل هذه الحجة ولكن يشمروا عن ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون اي ايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب او بقليل مما كلفوا به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اي بشيء قليل من الاشياء المكلف بها ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اي لا يؤمنون اصلا لا قليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تعقل اي لا تعقل البتة وذلك عن الايمان بمعزل لما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه ويجوز ان يكون جوابه هو جواب لما الثانية المكررة للتاكيد لطول الكلام نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن والاتفاق على ان المراد بالكتاب هو القرآن ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة في اصول الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص بنبوة

محدثة من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب عرفا ومجازا لان الكتاب
مستلزم للرسول لا محالة يدل على ذلك قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث محمد ونزول القرآن يسئلون الله الفتح
والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية وكانوا يقولون لا
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم يعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسئلون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسئل بعضهم بعضا
ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمد ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اي فلما جاءهم النبي
الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كفروا به اما لانهم كانوا يظنون ان المبعوث يكون من بني اسرائيل لكثرة تجيء الرسل منهم فيرغبون
الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا من العرب من ذرية اسمعيل عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا و
عنادا ولددا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم زوال رياساتهم ومكاسبهم
فابوا واصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله هي الابعاد عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين اي عليهم فوضع الظ
موضع المضمر ليدل على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا فان قيل اليس انه تعالى ذكر وقولوا
للناس حسنا قلنا العام قد يخص وايضا لعن من يستحق اللعن حسن ايضا ولئك ما بالناس اشبه منهم بالناس اولئك كالانعام بل هم
اضل بئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهني فيفسر بنكرة منصوبة و
بعدهما المخصوص بالذم فما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واختلف في اعراب
المخصوص فقيل مبتداء والجملة قبله خبره وقيل خبر مبتداء محذوف اي هو ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق نفوسهم
بابدانهم كان الثمن حاصل ملك المالك وقيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تعالى فاتى باعمال يظن بها انها تخلصه من
العقاب فكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال فهؤلاء اليهود لما اعتقدوا فيما اتوا به انه يخلصهم من العقاب وتوصلهم الى الثواب فقد
ظنوا انهم قد اشتروا انفسهم بها والمراد بما انزل الله القرآن لانهم كانوا مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا هذا الكفر
فقال بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز ان يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي ولما كان الباعث
على البغي قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغي هو ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته
ارساله وهذا هو اللائق بما حكينا من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي و
الحسد وعلى هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض اي لاجل ان ينزل ويحتمل ان يقال المحذوف على اي حسدوه على ان ينزل فباؤا
بغضب على غضب لابد من اثبات سببي غضبين احدهما تكذيب عيسى وما انزل عليه والثاني تكذيبهم محمدا وما انزل عليه فصار
ذلك سببا للسخط بعد سخط وهو قول الحسن والشعبي وعكرمة وابي العالية وقتادة وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني لكتمانهم نعت محمد
وعدم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات انواع من الغضب مترادفة لاجل امور متوالية صدرت
عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب وتكثيره لاجل
ان هذا الكفران وان كان واحدا الا انه عظيم وهو قول ابي مسلم ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرف مرارا انه عبارة عن لازمه وهو ارادة الانتقام
واما تزايده وتكثره فيصح فيه ذلك كصحته في العذاب فلا يكون غضبه على من كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظ
مقام المضمر وللهم عذاب فائدته ما ذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة
لما حصلت مع العذاب جاز ان يجعل ذلك من صفته لانها بسبب منه ولا يلزم من اقتران العذاب بالاهانة تكرار فقد يكون العذاب
ولا اهانة كالولد يؤدب لده امنوا بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب وقد يستدل به على عمومه قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية وكتب
سائر الانبياء الذين اتوا بتقرير شرع موسى ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الانجيل والقرآن و
هو الحق الضمير يعود الى وراءه او الى القرآن فقط ومصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية او كون مضمونها لازما
لمضمون الجملة الاسمية فان التصديق لازم حقية القرآن فصار كانه هو والعامل في مصدقا محذوف وهو يثبته او يثبت على الاصح واما الواو
في وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز ان يكون للحال وح اما ان يكون العامل فيها هو العامل في قوله يكفرون على ان كلا منهما
حال بحيالها واما ان يكون العامل فيها هو يكفرون على انها حالان متداخلتان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان
بمحمد لانه لما اثبت نبوته بالمعجزات ثم اخبر ان هذا القرآن منزل من عند الله وانه امر المكلفين بالايمان به كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر ان الايمان
ببعض الانبياء وبعض الكتب مع الكفر ببعضهم وبعضها محال وايضا انه لم يتعلم علما ولم يقرا ولم يخط ثم انه اتى بالقصص والاخبار مطابقة لما في التورية
فيعلم بالضرورة انه استفادها من قبل الوحي وايضا القرآن يدل على نبوة محمد فلما اخبر الله تعالى انه مصدق التورية وجب اشتمال التورية على الاخبار





عن نبوته فمدعي الايمان بالتورية يجب ان يؤمن بمحمد والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من وجه اخر كذب دعويهم وهو ان التورية لا تسوغ قتل الانبياء وانهم
سوغوا ذلك وفيه دليل على ان ايراد المناقضة على الخصم لالزامه جائز والكلام وان كان على وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل فتقتلون
حكاية حال ماضية واصل لم لما بادخال لام التعليل في ما الاستفهامية الا الف للتخفيف اي لاي غرض وباي حجة كان اسلافكم يقتلون الانبياء
وفي قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعويهم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدمه وفيه تنبيه على ان اليهود
المعاصرين خرجوا بتكذيب محمد من الايمان بالتورية كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم التأويل هذه حال
اكثر البطالين المتشبهين بالطالبين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته قلوبهم وما استغربته نبذوه وانكروه فيكذبون فريقا
منهم فرارا عن تحمل اعباء الطلب ويشرون الفتنة على فريق بالجحد والانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب
اذا ابتلي في اثناء الطلب بالفترة او الفترة لم يضره ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله وبمدد همة الاستاذ والشيخ فاما اذا زلت قدمه
عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعتراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان اهل كل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من العلماء
والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى عند وقع حوائجهم في صالح دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما
وجدوا واحدا منهم ما عرفوا فوائده وحسدوه واظهروا عداوته وما انصفوه فباؤا بغضب من رد ولاية الاولياء على غضب من الله لاوليائه
كما جاء في الحديث من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانما اغضب لاوليائي كما يغضب الليث لجروه والله اعلم بالصواب ۝ واذ

اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم
وچون گرفتیم پیمان شمارا و بلند کردیم بر بالای شما کوه را که بگیرید آنچه را که دادیم بشما بتوانائی و بشنوید گفتند شنیدیم و نافرمانی کردیم و آمیخته شد در دلهای ایشان

العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون
گوساله را بسبب کفرشان بگو که بد چیزیست که امر میکند شمارا بان ایمان شما اگر بوده باشید گروندگان بگو اگر بوده باشد از برای شما خانه اخرت در نزد خدا تنها سوای از غیر

الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس
مردمان پس آرزو کنید مرگ را اگر بوده باشید راستگویان و آرزو نکنند مرگ را هرگز بسبب آنچه پیش فرستاده دستهای ایشان و خدا داناست بستمکاران و هر آینه بیابی ایشانرا حریصترین مردم

على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون
بر زندگانی و از آنانکه انباز آوردند دوست دارد هر یکی از ایشان که زندگانی کند هزار سال و این هم نیست دور کننده او از عذاب اگر بماند و خدا بیناست بآنچه میکنند

القراءة ولقد جاءكم مدغما الدال في الجيم كل القرآن ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر
الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ حمزة وعلي وخلف بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما التقى الميم حرف ساكن وقبل الهاء
كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف ظالمون ۰ الطور ط لتقدير القول واسمعوا ط بكفرهم ط مؤمنين ۰ صادقين ۰ ايديهم ط بالظالمين ۰ على
حيوة ج على تقدير ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم ومن وقف على اشركوا فتقديره احرص الناس على حيوة واحرص من الذين اشركوا او يود ساتف
للبيان وانما لم يدخل من في الناس ودخل في الذين اشركوا لان اليهود من الناس وليسوا من المشركين كقولك الياقوت افضل الحجارة وافضل من
الديباج سنة ط لان ما بعده يصلح مستانفا وحالا ان يعمر ط يعملون ۰ التفسير السبب في تكرير قصة اتخاذ العجل ههنا القدح بوجه اخر في قولهم نؤمن
بما انزل علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فان قوم موسى بعد ظهور المعجزات الواضحات على يده اتخذوا
العجل الها ومع ذلك صبر وثبت على الدعاء الى دينه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتاكيد لما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا
الدال على نهاية لجاجتهم وذلك انه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الاية يدل على انهم قالوا هذا القول اعني
سمعنا وعصينا وعليه الاكثرون وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا اتينا طائعين
واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون
في بطونهم نارا وفي هذه الاستعارة لطيفة وهي انه كان الشرب مادة لحيوة ما يخرجه الارض فكذا تلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم
وفي قوله اشربوا دلالة على ان فاعلا غيرهم فعل ذلك بهم كالسامري وابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله تعالى
ولا ريب ان جميع الاسباب ينتهي الى الله تعالى وقد عرفت التحقيق في امثال ذلك مرارا بئسما يأمركم المخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يامركم به ايمانكم با
بالتورية عبادة العجل فليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم
واعلم ان الايمان عرض ولا يصح منه الامر والنهي لكن الداعي الى الفعل قد يشبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان
كانت لكم الدار الاخرة الدار اسم كان وفي الخبر ثلثة اوجه الاول خالصة وعند ظرف لخالصة او للاستقرار الذي في لكم ويجوز ان يكون عند حالا من
الدار والعامل فيها كان او الاستقرار واما لكم فيكون على هذا متعلقا بكان لانها تعمل في حروف الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها
بعد خالصة اي خالصة لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها فيتعلق ح بمحذوف الثاني ان يكون خبر كان لكم وعند الله

ظرف خالصة حال او العامل كان او الاستقرار الثالث ان يكون عند الله هو الخبر وخالصة حال والعامل فيها اما عند او ما يتعلق به او كان ولكم
وسوغ ان يكون عند خبر كان لكم اذ كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا احد وقوله مِنْ دُونِ النَّاسِ نصب بخالصة لانك تقول خلص
كذا من كذا والمراد بالدار الاخرة الجنة لانها هي المطلوبة من الدار الاخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على عندية
المكان ممكن ههنا اذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اي سالمة خاصة بكم لا حق لاحد فيها سواكم ودون ههنا يفيد التجاوز والتخطي في
المكان كما تقول لمن وهبته منه ملكا هذا لك من دون الناس اي لا يتجاوز منك الى غيرك والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس اولى
لقوله وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ولانه لم يوجد ههنا معهود فان قلت من اين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لا يجوز
ان يقال في معرض الاستدلال على الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الا والاول مذهبه ليصح الزامه بالثاني ولقوله تع وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ
الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ولما اعتقدوا في انفسهم انهم هم المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان اباءهم الانبياء
يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا شان انفسهم وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة في ان النبي
المنتظر في التورية منهم لا من العرب كانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد فبين الله تع فساد معتقدهم بالاية وبان
الملازمة ان متاع الدنيا قليل في جنب نعم الاخرة وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد ومنازعتهم معهم بالجدال والقتال فالموت
خير لهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن النغص ولا يفوت الا القليل النكد والوسيلة وان كانت مكروهة نظرا الى ذاتها لكنه
لا يتركها العاقل نظرا الى غايتها كالفصد وليس النهي عن تمني الموت في قوله عم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا بد فليقل اللهم احيني ما كانت
الحيوة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي محمول على تمن سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال قائل شعر الا موت يباع فاشتريه
فهذا العيش ما لا خير فيه ✽ الا رحم المهيمن روح عبد ✽ تصدق بالوفاة على اخيه ✽ فان ذلك نوع من عدم الرضاء بالقضاء ويدل على الجزع وضيق
العطن وينافي قضية التوكل والتسليم وعلى تمن سببه الجزم بالوصول الى نعيم الاخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب ونوع من الاخبار بالغيب
لا يليق الا ببعض اولياء الله روي ان عليا يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب تحت الدرع ايضا فقال له ابنه الحسن
ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب
جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا صلعم وحزبه كان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت
ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله تعالى بتواتر ذلك لمكان البشارة فاما احدنا فلا يليق به تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله انا عند ظن عبدي
بي وعن النبي لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا يبقى على الارض يهودي وقيل لهم ان يقلبوا السؤال على محمد صلعم فيقولوا انك تدعي
ان الدار الاخرة خالصة لك ولامتك دون من ينازعك في الامر فان رضيت ان نقتلك ونقتل امتك فانا نراك وامتك في الضر الشديد والبلاء
العظيم وبعد الموت تتخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه صلعم بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحيوته وحيوة امته فله صلعم
ان يقول لاجل هذا الامر لا ارضى بالقتل مع ان المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده
والعبد الآبق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رِجَالٌ
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ عن عبادة قتادة بن الصامت ان النبي صلعم قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته
فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره
لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تع بين انتفاء اللازم بقوله وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا وبرهن عليه بقوله بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ اي بما اسلفوا من موجبات النار
كالكفر بمحمد وبالقرآن وتحريف كتاب الله وسائر قبائح افعالهم ثم ذكر الايدي مجاز لان اكثر الاعمال يتم بمباشرة اليد وقوله وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا من المعجزات
لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله وَلَنْ تَفْعَلُوا وذلك ان التمني ليس من اعمال القلب حتى يطلع عليه احد انما هو قول الانسان بلسانه ليت
لي كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب فلو كانوا تمنوا لنقل ذلك كما ينقل سائر الحوادث لفظا ولكان ما نقلوه من اهل الكتاب
وغيرهم من اهل المطاعن اكثر من الذر وانه لو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا انا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك وانهم لولا انهم
اوحي اليهم انهم لم يتمنوا لم يكن في العقل رخصة لاقدام على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة واذا انتفى اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة
وهو ان لا يكون الدار الاخرة لهم خالصة واما اللام في الظالمين فللاشتراك ايضا فيتناول من الاية التالية وفي قوله وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ اشارة ايضا
الى ذلك لانه اذا كان محيطا بسرهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فيجازيهم بما يحقون له وفي وضع الظاهر وهو بالظالمين مقام المضمر
تهويل واشارة اخرى الى سوء منقلبهم وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ واللام اما للعهد واما للجنس فيشملهم اولا وغيرهم من الظلمة
ثانيا فان قيل ما الفائدة في قوله ههنا وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى ههنا كون الدار الاخرة خالصة لهم وهناك
كونهم اولياء الله من دون الناس والاول المطلوب بالذات والثاني وسيلة اليه فناسب نفي الاول بما هو ابلغ في افادة النفي وهو لن ولان الدعوى





الثانية اخص فانه لا يلزم ان يكون كل من له الدار الاخرة وليا بمعنى نفي الشيء في الكمال لا الكمال ونفي العام ابعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص
في قولك فلان بن فلان موجود ابعد من اثبات العام في قولك الانسان موجود بحيث كانت الدعوى الاولى ابعد احتيج الى اداة هي في باب النفي
ابلغ ثم انه سبحانه لما اخبر عنهم في الاية المتقدمة انهم لا يتمنون الموت اخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على الحيوة لان ههنا قسما ثالثا وهو ان لا
يتمنى الحيوة ولا الموت فقال وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ مؤكدا باللام والنون واللام لقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حيوة بالتنكير
لانه اراد نوعا من الحيوة مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة واي حيوة وفي جعلهم احرص من الذين اشركوا توبيخ عظيم لان المشركين لا يؤمنون
بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحبهم فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان خليقا بالتوبيخ
وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا
يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم زه هزار سال بزي وقيل ان يقال ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ
اي ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ اي وما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكر ما اشتمل عليه قبله فكانه قد ذكر
وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة اخرى وهي انضمامهم في زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك كقولهم عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وقال ابو مسلم في الاية تقديم
وتاخير اي ولتجدنهم وطائفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة ثم فسر بقوله يَوَدُّ أَحَدُهُمْ اي كل واحد يفرض لو يعمر ولو في معنى التمني ولو
يعمر حكاية لودادتهم وكان يجوز لو اعمر على الحكاية الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يَوَدُّ أَحَدُهُمْ مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر
بناء على العرف ولانه اول عقد يستحيل وقوعه في اعمار بني ادم او يندر والضمير في قوله وَمَا هُوَ يعود الى احدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما
احدهم بمن يزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب
ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة المباعدة والتنحية وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ فيه تهديد لاهل البغي والعناد وزجر للعصاة
عن الفساد والبصر قد يراد به العلم فلان بصير بهذا الامر اي عارف به وقد يراد انه على نحو جعلت المبصرات تبصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه
ما لم يثبت له جارحة فان قلنا ان من الاعمال ما لا يصح ان يرى تعين حمل البصر فيه على العلم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا
بگو اي محمد که هر که باشد دشمن جبرئيل پس بدرستيکه فرستاد او را بر دل تو بفرمان خدا تصديق کننده مر آنچه را که پيش از اوست وراستی ومژده گان از براي گروندگان هر که باشد دشمن
لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا
مر خدا و فرشتگان و پيغمبران و جبرئيل و ميکائيل را پس بدرستيکه خدا دشمن است کافران را و بتحقيق که فرستاديم بسوي تو نشانهاي واضح و کافر نشود بآنها
إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
بجز فاسقان آيا هرگاه که به بستند عهدي را دور انداختند آن عهد را گروهي از ايشان بلکه بيشتر ايشان نگروند و چون که آمد ايشان را پيغمبري از نزد خدا تصديق کننده
لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ القراءة جبريل مفتوحة الجيم
مر آنچه با ايشان است دور انداختند گروهي از آنانکه داده شدند کتاب را کتاب خدا را در پشت سر خود چنانکه گويا ايشان نميدانند مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير
وقرأ حمزة وعلي وخلف وعاصم الراء والجيم غير مهموز ميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرأ ابو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل
مهموزا مشبعا الوقوف للمؤمنين ه للكافرين ه بينات ج لان هذه الواو للابتداء او للحال والوجه لاتحاد القصة الفاسقون ه فريق منهم ط لان
بل للاعراض عن الاول لا يؤمنون ه اوتوا الكتاب قد قيل يوقف لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل ما قبله لا يعلمون ه قد يجوز الاية والوصل
للعطف على نبذ لاتمام سوء اختيارهم في النبذ والاتباع التفسير هذا نوع اخر من قبائح افعال اليهود والسبب في نزوله انه صلعم لما قدم المدينة اتاه
عبد الله بن صوريا من احبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء في اخر الزمان فقال صلعم تنام عيناي ولا ينام
قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد من الرجل يكون او من المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر
والشعر فمن المرأة فقال صدقت قال فما بال الولد يشبه اعمامه دون اخواله او يشبه اخواله دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال
صدقت قال اخبرنا اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي التورية ان النبي الامي يخبر عنه فقال صلعم انشدكم بالله الذي انزل التورية على موسى هل
تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل
والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها امنت بك اي ملك يأتيك بما تقول عن الله قال جبريل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال
والشدة ورسولنا ميكائيل يأتي بالبشر والرخاء فان كان هو الذي يأتيك امنا بك فقال عمر ما مبدأ هذه العداوة فقال ابن صوريا ان الله
انزل على نبينا ان بيت المقدس يخرب في زمان رجل يقال له بختنصر ووصفه لنا فطلبناه فلما وجدناه بعثنا لقتله رجالا فدفع عنه جبريل
وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس هو ذاك وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي ملكه وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا
نتخذه عدوا واما ميكائيل فانه عدو لجبريل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما فانكر ذلك

علی عمر فانزل الله تعالی هاتين الايتين قيل كان لعمر ارض باعلی المدينة وكان ممره علی مدارس اليهود وكان يجلس اليهم يسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك
وانا لنطمع فيك فقال والله لا اجيئكم لحبكم ولا اسئلكم لانی شاك فی دينی وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة فی امر محمد وارى آثاره فی كتابكم ثم سئلهم
من صاحبكم فقالوا جبرئيل فقال عمر جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا علی اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيئ بالخصب
فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبرئيل فقال عمر ان كان ... ين فما هما بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحی فقال
لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتنی فی دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر ومعنی قال ان عمل الله تعالی جبرئيل ... انما امر بان يجعل النبوة فينا فجعلها
فی غيرنا والاقرب فی سبب عداوتهم اياه انه كان ينزل بالقرآن علی محمد كما يشعر بذلك قوله فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ای ان عاداه احد فالسبب فی عداوته انه نزله علی
القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد
اذيته واسأت اليه وان عادی جبرئيل احد من اهل الكتاب فلا وجه لعداوته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا
له صنعه فی النزول بما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن ان يتوجه الجزاء الی قوله بِإِذْنِ اللّٰهِ ای من عاداه احد فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل القرآن
من تلقاء نفسه وباختياره وانما جاء باذن الله وامره الذی لا محيص عنه ولا سبيل الی مخالفته وجاء به مصدقا هاديا ومبشرا فهو من حيث انه
مأمور وجب ان يكون معذورا ومن حيث نزل بالهداية والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوته من هذا سبيله عداوة الله ولو انه تعالی امر
ميكائيل بذلك لانقاد لامره ايضا لا محالة ولتوجه الاشكال عليه فالوجه فی تخصيص جبرئيل بالعداوة وجبرئيل يمتنع من الصرف للعلمية والعجمة
لشرطها وعن ابن عباس وغيره ان معناه عبد الله والضمير فی نزله للقرآن وان لم يجر له ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالی مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ
دَابَّةٍ وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشأن صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل علی نفسه الا انه ذكر ان القرآن انما نزل علی محمد لا علی
قلبه لكن خص القلب بالذكر لان السبب فی تمكنه من الاداء ثباته فی قلبه فيعنی علی قلبك حفظه بالك وفهمك وقيل ای جعل قلبك متصفا باخلاق
القرآن ومتادبا بآدابه كما فی حديث عائشة كان خلقه القرآن وكان حق الكلام ان يقال علی قلبی الا انه جاء علی حكاية كلام الله كما تكلم به كانه
قيل قل ما تكلمت به من قولی من كان عدوا لجبرئيل فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ ومعنی مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما
يرجع الی المبادی والغايات دون الاوساط التی يتطرق اليها الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات ومعنی قوله وَهُدًى وَبُشْرَىٰ ان القرآن يشتمل
علی امرين احدهما بيان ما وقع التكليف به من اعمال القلوب وافعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدی وثانيهما بيان ان الآتی بتلك الاعمال كيف
يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشری والاول مقدم علی الثانی فی الوجود فقدم فی الذكر ايضا ولا ريب ان البشری يختص بالمؤمنين اما الهدی فلانهم
هم المنتفعون به كما فی هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ولما بين فی الاية المتقدمة ان من كان عدوا لجبرئيل لاجل انه نزل القرآن علی قلب محمد وجب ان يكون عدوا
لله تعالی بين فی الاية التالية ان من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فان الله يعاديهم وينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا فينا لان العدو
هو الذی يريد انزال المضار به وهذا التصور يستحيل فی حقه تعالی من العاقل المتفطن لا العاقل المتغابی فمعنی قوله من كان عدوا لله ای لاولياء
الله كقوله إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ او يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم عن
التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه وينقاد لامره قال اهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم فی
الازل بالقهر هؤلاء فی النار ولا ابالی كما ان محبة المؤمن لله نتيجة محبة الله اياهم يحبهم ويحبونه وذلك ان صفات الله تعالی قديمة وصفات الخلق
حادثة والاولی علة للثانية وافرد الملكان بالذكر لا لدلالة علی فضلهما كانهما من جنس آخر فان التغاير فی الوصف قد ينزل منزلة التغاير فی الذات
ولان الاية نزلت فيما يتعلق بهما فحسن ان ينص علی اسميهما وتقديم جبرئيل فی الذكر يدل علی انه افضل من ميكائيل وايضا ان جبرئيل ينزل بالوحی
والعلم وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الابدان والواو فی جبرئيل وميكائيل بمعنی او لان
عداوة احد هؤلاء يوجب عداوة كما ان عداوة كلهم يوجب ذلك ويحتمل ان يكون الواو علی الاصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله
للكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة علی ان عداوة هؤلاء كفر الايات البينات هی آيات القرآن ولا يبعد ان يشمل سائر معجزاته وان كان
لفظ الانزال نابيا عنه بعض النبو ومعنی كون الاية بينة ان العلوم ينقسم الی ما يكون طريق تحصيله والدليل الدال عليه كثير المقدمات
فيكون الوصول اليه صعبا والی ما يكون اقل مقدمات فيكون الوصول اليه اقرب واسهل وهذا هو الاية البينة والكفر بها اما جحودها مع العلم بصحتها
واما جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن دلائلها والنفی فی اللفظ مخصص فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حد له
الی الفساد ويقرب منه الفجور لانه مأخوذ من فجور السد الذی يمنع الماء من ان يصير الی الموضع الذی يفسد عن الحسن واذا استعمل الفسق
فی نوع من المعاصی وقع علی اعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق وان تجاوز عن امر الله تعالی لكن فتح من
النهر نقبا صغيرا لا يقال انه فجر النهر وفی قوله إِلَّا الْفَاسِقُونَ وجهان احدهما ان كل كافر فاسق ولا ينعكس فكان ذكر الفاسق دالا علی الكافر
وغيره والثانی ان المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد فی كفره وهذه الايات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذی بلغ فی الكفر النهاية







الفسق وهذا نوع آخر من فضائح اليهود عن ابن عباس انهم كانوا يستفتحون علی الاوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه فلما بعثه من العرب
كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتخبرونا انه
مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشیء من البينات وما هو بالذی كنا نذكر لكم فنزلت واللام فی الفاسقون للجنس واشارة
الی اهل الكتاب وفی كلما الواو للعطف علی محذوف ومعناه اكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله
الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فی كل مرة وفيه تسلية لرسول الله
لان من تعاد منه هذه الطريقة لا يصعب علی النفس من مخالفته كصعوبته من لم يجر عادته بذلك النبذ الرمی بالذمام ورفضه وانما قيل فريق منهم لان منهم من لم ينقض
بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين فی شیء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول ای كتاب لتلازمهما نبذ ليل فهو القرآن نبذوه
بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعنی ان علمهم بذلك رصين من قبل التورية ولكن المكابرة مجيرا هم ونبذوه وراء ظهورهم مثل
لاعراضهم عنه وتركهم العمل به وقيل كتاب الله التورية لانهم بكفرهم برسول الله كافرون بها وعن سفيان ادرجوه فی الديباج والحرير وحلوه بالذهب
ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه اللهم ارزقنا العلم بكتابك والعمل به وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ

ومتابعت كردند آنچه كه ميخواندند ديوان بر مملكت سليمان وكافر نبود سليمان

وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ

وليكن ديوان كافر شدند مياموختند بمردمان سحر را وآنچه فرو فرستاده بود در آن دو ملك در بابل كه هاروت وماروت‌اند وهيچكس را نمي‌آموختند

حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ

تا كه ميگفتند كه بدرستيكه ما آزمايشيم پس كافر مشو پس مي‌آموختند از آنها چيزيرا كه جدائی انداختندی بآن در ميان مرد وزنش وحال آنكه نبودند ضرر رسانندگان بهيچكس مگر بفرمان خدا

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا

ومياموختند آنچه را كه ضرر رسيدشان ونفع نبخشيدشان وبتحقيق كه دانستند كه اگر خريد از آن كيست مراورا در آخرت هيچ بهره ودر آينه بدست آنچه فروختند بآن نفسهاشان اگر

يَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ القراءة ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة وعلی

دانند واگر چنانچه ايشان گرويدندی وپرهيز كردندی هر آينه بهره از نزد خدا بهتر است اگر بدانند وخلف وكذلك قوله فی لكن الله قتلهم ولكن الله رمی الملكين

بكسر اللام ههنا وفی سورة الاعراف قيل تنبيه علی ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل الوقوف علی ملك سليمان ج لان الواو قد تصلح حالا الا انه
نزاهة سليمان ورد ما افتروا عليه السحر قد قيل علی جعل ما نافية لا يتضح لما تضمنه ما فی سياق الاية من اثبات السحر بل ما خبرية معطوفة علی قوله
السحر علی انها وان كانت نافية يحتمل كون الواو حالا الا علی تقدير يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل وفی الاية عشر آيات احدها كافر فی نماء الاخرة
نكرة منصوبة لبيانها والباقية خبرية ثم نافية ثم خبرية علی التعاقب وماروت ط فلا تكفر ط وزوجه ط باذن الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق ط يجوز الوقف
لابتداء اللام انفسهم ط يعلمون خبر ط يعلمون ۝ التفسير من قبائح افعالهم انهم نبذوا كتاب الله واقبلوا علی السحر ودعوا الناس اليه وهذا شأن اليهود
الذين كانوا فی زمن محمد وقيل انهم الذين تقدموا من اليهود وقيل هم الذين كانوا فی زمن سليمان تم من السحرة لان اكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان
ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم فی زمانه لا يمتنع ان يعتقدوا فيه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولی ان يقال اللفظ
يتناول الكل قال السدی لما جاءهم محمد عارضوه بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والقرآن فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر
هاروت وماروت ومعنی تتلو تقرأ علی ملك سليمان ای علی عهده وفی زمانه وقيل تتلو عليه ای تكذب فالقوم لما ادعوا ان سليمان انما وجد تلك
المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء علی ملك سليمان واما الشياطين فالاكثرون علی انهم شياطين الجن فانهم كانوا يسترقون السمع ثم
يضمون الی ما سمعوا اكاذيب تلفقونها ويلقونها الی الكهنة وقد دونوها يقرأونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فی زمان سليمان حتی قالوا ان الجن
يعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس لما روی ان الجن ان سليمان كان قد دفن
كثيرا من العلوم التی خصه الله تعالی بها تحت سرير ملكه خوفا علی انه ان هلك الظاهر منها يبقی ذلك فلما مضت مدة علی ذلك توصل قوم من المنافقين
الی ان كتبوا فی خلال ذلك اشياء من السحر تناسب تلك الاشياء من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس علی تلك الكتب المدفونة ايهموا الناس انه
من عمل سليمان وانه ما وصل الی ما وصل الا بهذه الاشياء وزيفوا قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا علی تغيير كتب الانبياء وشرائعهم
بحيث يبقی ذلك التحريف مخفيا فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع وهذا بخلاف ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفی علی بنی نوعه وقيل ان خلفاءهم
فی سبب اضافتهم السحر الی سليمان فقيل لترويج ذلك فيهم وقيل لانهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن واظهر اسرارا عجيبة غلب علی ظنونهم
انه استفاد ذلك من الجن وقوله وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافی كونه ساحرا كافرا ثم
بين ان الذی برأه منه لاصق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا فقد كان من الجائز ان يتوهم انهم كفروا لا بالسحر فقال يُعَلِّمُونَ
النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ ای ويعلمونهم الذی انزل علی الملكين وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ممنوعان من الصرف للعلمية

والعجمة ولو كانا من الهرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانهما لو كانا منها لانصرفا وقيل بدلان منهما ولنذكر ههنا حقيقة السحر وقصة هاروت
وماروت اما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه ومنه الساحر العالم وسحره خدعه والسحر الرئة وفي الشرع مختص بكل امر يخفى
سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم حتى
ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال صلعم ان من البيان لسحرا سمى بعض البيان سحرا لان
صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن ليسخط تارة فيقول اسوء
ما يمكن ويرضى تارة فيقول احسن ما يعلم ثم السحر على اقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب يزعمون انها
هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية
وهم الذين بعث الله تعالى ابرهيم عم مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذاهبهم ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يتمكن
الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الارض لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر وما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوي وجب وقد
اجمعت الاطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان والدوران وما ذاك الا لان
النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكى في الشفاء عن ارسطو ان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة في الصوت وفي الحراب مع الديك نبتت على
ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديك وهذا يدل على ان الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجمعت الامم على ان الدعاء مظنة
الاجابة وان الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر ويحكى ان بعض الملوك عرض له فالج فدخل عليه بعض الحذاق من الاطباء على حين
غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض فاشتد غضب الملك وقفز من مرقده قفزة اضطرارية وزالت تلك العلة المزمنة والاصابة
بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كانها روح
من الارواح السماوية وكانت قوية التاثير في مواد هذا العالم واما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تصرف
البتة الا في هذا البدن فاذا اراد ان يتعدى تاثيرها الى بدن اخر اتخذ تمثال ذلك الغير ووضعه عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه الخيال عليه واقبلت
النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التاثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المالوفات والمشتهيات
وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب ماهيتها وخاصيتها عظم التاثير واما الرقى فان كانت
بالفاظ معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة للغرض فحس السمع ايضا يشتغل بها فان الحواس
متى تطابقت متوجهة الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه قوي وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة
والدهش وحصل لها اذ ذاك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التاثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن
قالوا فثبت ان هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتاثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تاثيرات الكواكب قوي الاثر لا سيما
ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها او من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر من يستعين
بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك ان اغلاط البصر كثيرة فان راكب
السفينة اذا نظر الى الشط راى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالاجاصة وترى العظيم
من البعيد صغيرا وقد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا ادركت المحسوس في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض ولا
يتميز فان الرحى اذا اخرجت من مركزها الى محيطها خطوط كثيرة بالوان مختلفة ثم اديرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان
وايضا النفس اذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء اخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه
انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما ان قلبه مشغول بشيء اخر وكذا الناظر في المراة ربما قصد ان يرى سطح المراة هل هو مستو ام
لا فلا يرى شيئا مما في المراة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء و
التحديق نحوه عمل شيئا اخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين واشتغالهم بالاول وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الاعمال العجيبة
التي تظهر من الالات المركبة على النسب الهندسية ولضرورة الخلاء كفارسين يقتتلان فيقتل احدهما الاخر ومنه الصور التي يصورها
الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة او باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا
الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر فان لها اسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية
والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن ينقادون له في اكثر الامور فاذا اتفق ان كان السامع
ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب فحينئذ تضعف القوى الحساسة فيتمكن الساحر من ان
يفعل فيه ما شاء وان من جرب الامور وعرف احوال الناس علم ان لتعليق القلب اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضريب
من وجوه خفية لطيفة وذلك شايع في الناس فهذه جملة الكلام في اقسام السحر وعند المسلمين كلها مستندة الى قدرة الله فانه لا يمتنع وقوع هذه





الخوارق باجراء العادة عند سحر السحرة واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز ممكن به الا ان اجتنابه اقرب الى السلامة كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية واما ان الساحر
هل يكفر ام لا فلا نزاع بين الامة في ان من يعتقد ان الكواكب المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا
على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر اما النوع الثاني وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجسام
واعدامها وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الامة على تكفيره واما ان يعتقد الساحر انه قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الادوية
الى حيث يخلق الله تعالى عقيب فعاله على سبيل العادة الاجسام والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا
لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله
تعالى اظهار الخوارق على يده لئلا يحصل التلبيس اما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يده لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان
المحق يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم تتم فصولة الباطل كما ورد العرج
واما ساير انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد واذا سحر انسانا فمات فان قال اني سحرته وسحري يقتل غالبا وجب عليه
القود وان قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطاء وعن ابي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا
علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه فاذا اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر او وصفوه بصفة يعلم
انه ساحر قتل ولا يستتاب وان اقر باني كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت فقد روي عن ابن عباس
ان الملائكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وكل عليهم جمعا من الملائكة وهم الكرام
الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة فعجبت الملائكة منهم ومن تبقية الله مع ما ظهر منهم من القبائح ثم اضافوا اليها عمل السحر فازداد تعجب
الملائكة فاراد الله ان يبتلي الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علما وزهدا ودينا لانزلهما الى الارض فاختبرهم فاختاروا هاروت
وماروت وركب فيهما شهوة الانس وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنى والشرب فنزلا فامر الله تعالى الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به
يهبطا الى الارض فجعلت الزهرة في صورة امراة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك
نفسه في منزلها في مثال صنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت
الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست مكنتكما من نفسي حتى تفعلاها قالا وما هي قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا لا
نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا للصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت ان اظهر هذا السائل للناس ما راى منا فسد
امرنا فان اردتما الوصل الي فاقتلا هذا الرجل فامتنعا منه ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل رفعت الزهرة وملكها الى موضعهما من السماء فعرفا
حينئذ انه انما اصابهما بسبب تعيير بني ادم وفي رواية اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا
للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان الى السماء فتكلمت المراة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعالى
خيرهما بين عذاب الاخرة اجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بئر الى يوم القيمة وهما يعلمان الناس
السحر ويدعوان اليه ولا يراهما احد الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل
عليها ولان الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الى السماء
وجعلها الله تعالى كوكبا مضيئا ولانه ذكر في القصة ان الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني ادم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك و
هذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما ان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة
فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكاذبين ولا شك ان هذا من احسن الاغراض والمقاصد
ايضا تعريف حقيقة السحر ليميز بينه وبين المعجزة حسن وكذا السحر لايقاع الفرقة بين اعداء الله والالفة بين اوليائه ولعل الجن انواعا من السحر
لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز ان يكون ذلك تشديدا في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه ان يتوصل به
الى اللذات العاجلة ثم يمنعه من استعماله كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب مزيد الثواب كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن
لم يطعمه فانه مني ويقال هذه الواقعة كانت في زمان ادريس لانهما اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض فلا بد من رسول في وقتهما ليكون
ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس ثبت انه لا يكون الا منهم قوله تعالى وما يعلمان اي وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه و
ينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق او متوصلا الى شيء من المعاصي والاغراض العاجلة
فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم في من احد فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر
فبانت منه امراته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لا ان
السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان شاء احدث عنده ذلك شيئا من افعاله وان شاء

لم يحدث فكان الذى يتعلمون منهما لم يكن مقصوراً على هذه الصورة ولكن بسكون المرء وركونه الى زوجه لما كان اشد خصت بالذكر ليدل بالاولى
بدلالة على ان سائر الصور بتاثير السحر فيها اولى وقرأ الاعمش وما هم بضارى به من احد فجعل الجار جزءاً من المجرور وهو احد اضاف الى المجموع
وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه في وجوه المفاسد وقد علم هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا في لمن اشتريه
استبدل ما تتلوا الشياطين ولحتياره على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب كانه قد له هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص وقيل
معنى الآية ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الآخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكانه اشترى بمنافع
الآخرة منافع الدنيا ولبئسما شروا به انفسهم اى باعوها والمخصوص محذوف هو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله اى لو
كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا ويجوز ان يكون لو للتمني مجازاً كما تقدم من الترجي في لعلكم تتقون وح لا يحتاج الى الجواب بقي هاهنا سؤال وهو انه
كيف اثبت لهم العلم اولاً في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بل القسم احتمالاً ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون فان لولا متناع الاول وكذا لو
كان للتمني فان التمني استدعاء امر موكالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى علمه
ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر سلمنا ان القوم واحد ولكنهم علموا شيئاً وجهلوا شيئاً
آخر علموا انه لا خلاق لهم في الآخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد و
المعلوم واحد لكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل انهم صم بكم عمي حيث لم ينتفعوا بالحواس ولما اوعدهم بقوله ولقد
علموا اتبع ذلك الوعد جامعاً بين الترهيب والترغيب ليكون ادعى الى الطاعة والنهي عن المعصية فقال ولو انهم آمنوا يعني بما نبذوه من كتاب الله
وهو القرآن او التوراة التي يصدقها القرآن او كلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك المامورات واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله و
اتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله لشيء من ثوابه خير ولا بد من تقدير فعل يكون ان مع ما بعده فاعلاً له اى لو ثبت انهم آمنوا وجواب لو
محذوف وانه يدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام اى لاثيبوا وانما تركت الفعلية الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز
ان يكون القسم مقدراً وقوله لمثوبة جوابه سادا مسد جواب الشرط مغنياً عنه ودخول اللام الموطئة في الشرط غير واجب في القسم المقدر وان كان
هو الاكثر على دخول اللام الموطئة في لو مستقل فيشبه ان يكون لاكثر بل الواجب هاهنا عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمني مجازاً عن ارادة الله
ايمانهم كانه قيل ليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لآمنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم
لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمني كما تقرر والله تعالى اعلم التاويل واتبعوا ما تتلوا الشياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذي
هو خليفة الله في ارضه وما كفر سليمان الروح ولكن الشياطين النفس والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخيلات الهواجس وتمويهاتها الوهمية
وما انزل فتنة وحذلانا من العلوم الضارة غير النافعة كشبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكي الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح
وماروت القلب فانهما من العالم العلوي الروحاني اهبطا الى الارض لعالم الجسمانية بالخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة
الحيوة الدنيا واتبعا خداعها ووقعا في شبكة الشهوة التي تركت فيها ابتلاءً وامتحاناً وشربا خمر الحرص والغفلة التي تخامر العقل وزنيا بعبغي الدنيا
الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا بان نكسا برؤسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات فحرما استماع خطاب الحق
كشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملائكة الروحانية ما يعلمان احداً من الصفات البهيمية والسبعية و
الشيطانية والقوى البشرية حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوج [illegible]

**يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَقُوْلُوْا رَاعِنَا وَقُوْلُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوْا وَلِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝ مَا يَوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ**

ای ایمان کسانی که گرویده اید مگوئید در هنگام کلمه راعنا ... و گوش بدهید و از برای کافران عذابیست دردناک ... دوست نمیدارند کافران از صاحبان

**اَهْلِ الْكِتٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِيْنَ اَنْ يُّنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ ۭ وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهٖ مَنْ يَّشَاۗءُ ۭ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ**

واهل کتاب و نه مشرکان که فرود آید برشما خوبی از جانب پروردگارتان و خدا مخصوص گرداند برحمت خود از که میخواهد و خدا صاحب فضل بزرگست

**مَا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ اَوْ نُنْسِهَا نَاْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ اَوْ مِثْلِهَا ۭ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَلٰي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ**

برطرف نسازیم ... یا فراموش گردانیم می آریم بهتر از آن یا مانند آن آیا نمیدانی که خدا بر هر چیز تواناست آیا نمیدانی که خدا مرا اوراست پادشاهی آسمانها

**وَالْاَرْضِ ۭ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍ ۝ اَمْ تُرِيْدُوْنَ اَنْ تَسْــَٔـلُوْا رَسُوْلَكُمْ كَمَا سُىِٕلَ مُوْسٰى مِنْ قَبْلُ**

و زمین و نباشد از برای شما غیر از خدا از دوستی و نه یاوری آیا میخواهید که خواهش کنید از پیغمبرتان چنانکه خواهش کردند قوم موسی از او در زمان پیش

**وَمَنْ يَّتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْاِيْمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاۗءَ السَّبِيْلِ** القراءة ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننسأها مهموزاً

وهرکه بدل کند کفر را از عوض ایمان پس بتحقیق گم کرده است از وسط راه

ابن كثير وابو عمرو غير اوقية بغير همز الباقون ننسها من الانساء ان
بغير همز ابو عمرو غير ابراهيم بن حماد ويزيد الاعشى وورش وحمزة في الوقف الباقون وابراهيم بن حماد بالهمز لانه جواب الشرط ومن شرطه
همز كل ما كان ساكناً اى عطفاً على المجزوم كل القرآن مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته

---



منها واشباه ذلك فقد ضل بالاظهار حجازي غير ورش وعاصم غير الاعشى وكذلك يظهرون الدال عند الذال والظاء حيث وقعا مثل قوله تعالى لقد
ظلم ولقد ذرانا واشباه ذلك الوقوف واسمعوا ط اليم ه من ربكم ط من يشاء ط العظيم ه ومثلها ط قدير ه والارض ط ولا نصير ه ربع الجزء ومن قبل ط
السبيل ه التفسير لما شرح الله تعالى قبائح افعال السلف من اليهود شرع في قبائح خلافهم المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم واجتهادهم في القدح
فيه والطعن في دينه واعلم ان الله تعالى خاطب المؤمنين في ثمانية وثمانين موضعاً من القرآن قال ابن عباس رضي كان يخاطب في التوراة بيا ايها
المساكين فكانه سبحانه لما خاطبهم اولاً بالمساكين اثبت لهم المسكنة آخراً حيث قال ضربت عليهم الذلة والمسكنة وهذا يدل على انه تعالى كما خاطب
هذه الامة بالايمان اولاً فانه تعالى يعطيهم الامان من العذاب آخراً وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلاً كبيراً ولا سيما فان المؤمن اسم من اسمائه
العظام ففيه دليل على انه تعالى يقربهم منه في دار السلام وقيل سموا على الغيبة نظراً الى المظهر وهو الذين ولو قيل منتم نظراً الى الذم جاز من جهة العربية
ثم انه لا يبعد في الكلمتين المترادفتين ان يمنع الله من احديهما ويأذن في الاخرى ومن هنا قال الشافعي لا تصح الصلوة بترجمة الفاتحة عربية كانت
او فارسية فلا يبعد ان يمنع الله من قول راعنا ويأذن في قول انظرنا وان كانتا مترادفتين ولكن جمهور المفسرين على انه تعالى انما منع من قول
راعنا لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوهاً منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئاً من العلم راعنا يا رسول الله و
اليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهي راعينا ومعناها اسمع لا اسمعت كما صرح بذلك في سورة النساء ويقولون سمعنا
وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا فان الجميع كانها متقاربة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون
المسبة فنهى المؤمنون عنها وامروا بلفظة اخرى وهي انظرنا روى ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي
نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت منها قال قطرب هذه الكلمة وان كانت
صحيحة المعنى الا ان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية فلا جرم نهى الله عنها وقيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا اى انت راعي
غنمنا فنهاهم عنه وقيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المتخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعيك سمعنا
فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً وقيل راعنا خطاب مع الاستعلاء اى راع كلامي ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره
وليس في انظرنا الا سؤال الانتظار وقيل انها تشبه اسم الفاعل من الرعونة الحمق فيحتمل انهم ارادوا به المصدر كقولهم عائذاً بك اى عوذ عياذاً
فقولهم راعنا اى فعلت رعونة يحتمل انهم ارادوا واصرت راعنا اى ذا رعونة فلمكان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها وقيل المراد لا تقولوا قولاً
راعنا اى الرعن كدارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعناً بالتنوين وانظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم امر الله تعالى ان يتلوه
منسوباً الى
الامهال ليتقلوا عنه فلا يحتاجون الى الاستعاذة كانهم قالوا له توقف في كلامك وبيانك مقدار ما يصل الى افهامنا وهذا القدر غير خارج
عن قانون الادب فقد يلتمس المتعلم حرصاً منه على ان لا يفوت منه شيء من الفوائد وان كان المعلم غير مهمل في انوق التفهيم الا شاد من التثبت
والتاني والاعادة ان احتيج اليها ونحو ذلك وقيل انظرنا معناه انظر الينا مثل واختار موسى قومه اى من قومه والغرض ان المعلم اذا نظر الى المتعلم كان
افاضته عليه اظهر واقوى وفي قراءة ابي انظرنا من النظرة اى امهلنا حتى نحفظ واسمعوا معناه احسنوا سماع كلام نبيكم باذان واعية واذهان حاضرة
حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول طاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او اسمعوا ما امرتم به ولا ترجعوا
الى ما نهيتم عنه من قول راعنا وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه عذاب اليم قوله ما يود الآية من الاولى للبيان لان الذين
كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفي وقرئ ولا المشركين
والثانية مزيدة لاستغراق الخير فان ينزل في سياق النفي يعني ما يودون ان ينزل بود ان لا ينزل الثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة ام هم
يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي ولا اثر لهذا الحسد فان الله
يختص بالنبوة من يشاء ولا يكون الا ما يشاء وما يشاء الا ما يقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة
والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية الاحسان والرحمة من بحار كمال ان فضله كان عليك كبيراً قوله عز من قائل ما ننسخ
من آية نوع ثان من تقرير مطاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روي انهم قالوا الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول
اليوم قولاً ويرجع عنه غداً فنزلت وفي الآية مسائل الاولى النسخ لغة هو الازالة نقال نسخت الشمس الظل اى ازالته والنقل ايضاً وهو ان يغير الشيء في صفته
وحاله مع بقائه في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم وقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز
في الثاني وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بضده رافعاً للاباحة فانه
لا يسمى نسخاً اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج ايضاً الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي وهو رفع عن امتي الخطاء والنسيان
ونحوه بل بمقتضى العقل ايضاً بخلاف الرفع بنحو دعي الصلوة ايام اقرائك فلانه لا مجال للعقل فيه ويخرج الرفع بنحو صم الى آخر الشهر فان الى وان اوجبت
مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا يسمى نسخاً لانه ليس متاخراً ويمكن ان يقال ان قيد متاخر انما ينبغي ان يذكر لان دليل النسخ لا يكون
الا كذلك ونحو صم الى كذا وامثاله من انواع التخصيص متصلاً كان او منفصلاً انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصوله

على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص مبين لمراد الشارع من العام ونعني بالحكم ههنا ما يحصل على
المكلف بعد ان لم يكن فان الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل والموقوف على الحادث حادث واذا
كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع وذلك انا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا محدث يرتفع
وايضا نقطع بانه اذا ثبت تحريم شيء بعد وجوبه انتفى الوجوب الثابت اولا وهو المعني بالرفع ويحسن ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق
شرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبراءة الاصلية وبطريق شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كالناسخ
القيام عمن يكسر رجله وقولنا متراخ ليخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق
له غاية في علم الله تعالى فاذا انتهى الى تلك الغاية زال بذاته ثم ورد الخطاب اللاحق بيانا لذلك المسئلة الثانية انعقد الاجماع من اكثر ارباب
الشرائع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع
لا الجواز لنا القطع بالجواز ضرورة فان له تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر الى حكمة ومصلحة وان اعتبرت المصالح فالقطع ان المصلحة
قد تختلف باختلاف الاوقات فهذا ما يدل على جواز النسخ وفي التوراة انه امر آدم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في شريعة من بعده بالاتفاق
وهذا ما يدل على وقوعه كيف لا وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد وصحة نبوته يلزم نسخ شرع من قبله ولم يكن لليهود
والنصارى نص صريح يعلم منه امتداد شرعهم على التعيين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء غاية له لا نسخا حجة اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل
قول موسى المتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم ما دامت السموات والارض وايضا ان كان النسخ الحكم الشرعي لحكمة ظهرت له تعالى لم تكن ظاهرة
فهو البداء والا فعبث وكلاهما محال على الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعبث فعل لا يستتبع غاية والجواب عن الاول المنع
من انه قول موسى ويؤكده انه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقوله لرسولنا صلعم ومحاجته بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا
في عهده بذلك على انه افك افتراه المتاخرون منهم وعن الثاني بعد تسليم اعتبار المصالح انها تختلف باختلاف الازمان والاحوال كمنفعة شرب
دواء او حال وضرره في اخرى بل الزمان الممتد من الازل الى الابد قد وزع اجزاؤه فيما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيئا فشيئا
بحسب وقت وقت لا لمصلحة تعود اليه تعالى بل لما هو اصلح بالنسبة الى المزمنات فالظهور والخفاء والسابق واللاحق والاعدام والايجاد كلها
بالنسبة الينا واما بالنسبة الى حضرة الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين والحاصل ان كل حكم فله غاية في علم الله
تعالى ولكن قد يظن المكلف استمراره في الاستقبال من قرائن الاحوال فاذا ورد ما يبين امده وينص على زواله فذلك الوارد ناسخ و
الاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف واما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر
له فله الظهور متقدما احدهما ومتاخرا الاخر وليس هذا في الاحكام فقط وانما ذلك في كل حادث فمن تامل نسخة الوجود ونسب الحوادث المتعاقبة
بعضها الى بعض بالتقدم والتاخر والمعية وجد وجوداتها المترتبة اشبه شيء بكتاب يقرأ القارئ سطرا بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذا انقضى مجموع
من ذلك تلاه مجموع اخر حسب ما رتبه الحكيم العليم بمباديه ومقاطعه فالمنقضي في حكم المحو والتالي في حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية بدون
اعتبار التلاوة المستلزمة لانقضاء شيء وظهور ما يعقبه هي ام الكتاب هذا سر قوله عز من قائل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
ولك ان تعبر عن المجموع الدفعي بالقضاء وعن ظهوره التدريجي بالقدر وفي هذا القدر كفاية للفطن المستبصر المسئلة الثالثة اتفقوا على
وقوع النسخ في القرآن بوجوه احدها هذه الآية اعني ما ننسخ من آية واجاب ابو مسلم بان المراد بالآيات المنسوخة الشرائع التي في الكتب
القديمة من التوراة والانجيل كالسبت والصلوة الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون
لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فابطل الله ذلك عليهم بهذه الآية وايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنه الى سائر الكتب و
ايضا انما ههنا يفيد الشرط والجزاء وكما ان قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجيء بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الآية لا تدل
على حصول النسخ بل على انه متى حصل النسخ وجب ان يأتي بما هو خير منه وثانيها ان الاعتداد بالحول في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ باربعة اشهر وعشر في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا اجاب ابو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا واذا
بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بان عدة الحمل تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل لسنة او اقل او اكثر
فجعل السنة مدة للعدة يكون زائلا بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة منسوخة بالاتفاق اجاب بانه زال
لزوال سببه لان سبب التعبد بها ان يمتاز المنافقون عن المؤمنين ورد بانه يلزم منه ان من لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي
انه لم يتصدق غير علي رضي الله عنه ويدل عليه فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورابعها امر ثبات الواحد للعشرة في قوله فان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين ثم نسخ ذلك بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وخامسها تحويل
القبلة قال ابو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال ومع العلم اذا كان هناك عذر ورد بان بيت المقدس وسائر





الجهات في ذلك سواء وسادسها واذا بدلنا آية مكان آية والتبديل يشتمل على رفع واثبات والمرفوع اما التلاوة واما الحكم وكيف ما كان فهو رفع
ونسخ فهذه الدلائل وامثالها يدل على وقوع النسخ في الجملة وحجة ابي مسلم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والجواب ان الضمير للمجموع
وايضا النسخ بالنسبة الى المكلف لا ينافي حقيته في نفسه وكونه قرآنا المسئلة الرابعة المنسوخ اما ان يكون هو الحكم فقط كالآيات المعدودة
او التلاوة فقط كما يروى عن عمر انه قال كنا نقرأ آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وروي
لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب او الحكم والتلاوة معا كما روي عن
عائشة كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعا والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم ويروى ان
سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال او ازيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى تفسير الآية ما ننسخ محمول على نسخ الحكم وازالته دون التلاوة و
ننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعا وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلوة او يحتج به
فاذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسي وان ذكر فعلى طريق ما يذكر خبر الواحد فيصير بهذا الوجه منسيا عن الصدور وقد يكون ذلك معجزة
له كما يروى انهم كانوا يقرؤن السورة فيصبحون وقد نسوها قال عز من قائل سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله وانساخ الآية الامر بنسخها
وهو ان يأمر جبرئيل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها وننسأها نؤخرها واذهابها الا الى بدل وقيل ما ننسخ من آية اي نبدلها اما ان
نبدل حكمها فقط او تلاوتها فقط او نبدلهما او ننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ من آية ما
نرفعها بعد انزالها او ننسها بالهمزة نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ او نؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فانا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة
ولا يخفى ان قوله نأت بخير منها او مثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي ومعنى الآية عند جمهور المفسرين آية القرآن وعند ابي مسلم
التوراة والانجيل كما مر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى اعم فكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنة آية من صحيفة المخلوقات وكل
فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ومعنى نأت بخير منها او مثلها ان حملنا الآية على ما يتضمن حكما على المكلف
ان الثاني احق واصلح بالنسبة الى وقته كما ان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته فالثاني خير بالنسبة الى وقته مثل الاول بالنسبة الى وقتها
او يراد ان العمل بالثاني اكثر ثوابا من العمل بالاول فيما ولنفعل كل منهما ما يقتضيه الحكمة دون ما هو اقل ثوابا وان حملنا الآية على غير ذلك فيعني
الاصلح فالاصلح قال اهل الاشارة اراد بالنسخ نقل السالك وترقيه من حال الى حال اعلى منه وان غصن استكمالهم ابدا ناضر وبحر وصالهم دائما زاخر فلا
ينسخ من آثار عبادتهم شيء الا ابدل منها اشياء من انوار العبودية ولا ينسخ شيء من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشياء من آثار الربوبية
وايضا انهم يشاهدون بعض الوقائع الشريفة في الصور اللطيفة كستها المتخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام فلما ارتقوا الى مقام
اخر لا يشاهدون ذلك بتلك المشاهدة فيظن السالك انه حجب عن تلك المقام والحال فقيل ما ننسخ من آية من آيات المقامات او ننسها بان
نمحوها من ادراك الخيال نأت بخير من تلك المشاهدة او مثلها ثم الائمة استنبطوا من الآية مسائل الاولى زعم قوم انه لا يجوز نسخ الحكم الا الى
بدل لقوله نأت بخير منها او مثلها والجمهور على خلافه لان الآية لا تدل الا على وجوب الاتيان باية اخرى اما على وجوب الاتيان بحكم اخر فلا
سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى وبنسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا
يجوز ان يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون النسخ بغير بدل وجودي خيرا للمكلف لمصلحة علمت الثانية زعم قوم ان النسخ
لا يجوز بالاثقل لان الاثقل لا يكون خيرا منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كونه اثقل اجرك على قدر نصبك
وايضا قد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتما وصوم عاشوراء برمضان والحبس في البيوت للزاني بالحد واما النسخ الى الاخف فكنسخ
العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشر وكنسخ صلوة الليل الى التخيير فيها واما نسخ الشيء الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة نقل
عن الشافعي ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها وذلك يدل على ان المأتي من جنسه كما اذا قال الانسان ما اخذ منك من ثوب
آتك بخير منه يفيد انه يأتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وايضا نأت يدل على ان الآتي هو الله لا الرسول وايضا المأتي به خير والسنة
لا يكون خيرا من القرآن وايضا قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير دل على ان الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف
المكلف تحت مشيئته وارادته لا دافع لما اراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى واجيب بان قوله نأت بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب ان
يكون ناسخا بل لا يمتنع ان يكون ذلك الخير شيئا مغايرا للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك ان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية الاولى
فلو كان نسخ تلك الآية مرتبا على الاتيان بذلك الخير لزم الدور وقلت يمكن دفع الدور بان يقال المراد ما اردنا نسخها من آية نأت بخير منها حتى
ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله لا وصية لوارث وبان آية الجلد صارت منسوخة
بخبر الرجم اجاب الشافعي بان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية ولعل الرجم انما ثبت
بقوله تعالى الشيخ والشيخة الخ له ملك السموات والارض فهو يدبر الامور ويجريها على حسب المصالح وهو اعلم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ
ومنسوخ والخطاب في الم تعلم اما للنبي صلعم فيدخل الامة تبعا او لكل من له اهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه التقرير والاثبات لظهور آثار قدرته

ووضوح آيات ملكه وسلطانه وقيل اشارة الى مشاهدة المعجزات بعين اليقين ثم علمها حق اليقين فترقى من رؤية الآيات الى كشف الصفات
ومن كشف الصفات الى عيان الذات ثم يتخلى عن الخيال ويثبت في العيان والولي ضد العدو وكل من ولي امر واحد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل
وكذا النصير والواو في وما لكم يحتمل ان يكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل ان يكون العطف على له ملك السموات فيدخل تحت الاستفهام
ويكون قوله من دون الله من وضع الظاهر موضع الضمير ولا يوقف على والارض ام تريدون قيل الخطاب للمسلمين لقوله ومن يتبدل الكفر
بالايمان وهذا لا يصح الا في حق المؤمنين ولان ام للعطف ولا معطوف ظاهرا فالتقدير وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون هذا كما
امرتم ام تريدون ان تسألوا رسولكم ولانه سأل قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا
يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب كما سألوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة وهذا قول الاصم والجبائي وابي مسلم وقيل انه خطاب
لاهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله بن امية المخزومي اتى رسول الله صلعم في رهط من قريش فقال يا محمد ما اومن بك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك بعد ذلك
حتى تنزل علينا كتابا من الله الى عبد الله بن امية ان محمدا رسول الله فاتبعوه فقال له بقية الرهط فان لم تستطع ذلك فائتنا بكتاب من
عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض كما جاء موسى الى قومه بالالواح من عند الله كما سأل السبعون وعن مجاهد
ان قريشا سألت محمدا صلعم ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان هذه السورة
من اول قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي حكاية عنهم ومحاجة معهم ولان الآية مدنية ولانه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان المؤمن
بالرسول لا يكاد يسأل ما يتبدل كفرا بايمان وليس في ظاهر الآية انهم اتوا بالسؤال فضلا عن كيفية السؤال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة
وههنا بحث هو ان السؤال الذي ذكروه ان كان طلبا للمعجزات فمن اين انه كفر ومعلوم ان طلب الدليل على الشيء لا يكون كفرا وان كان ذلك
طلبا لوجه الحكمة التفصيلية في نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا
فالتكفير اما لانهم طلبوا منه صلعم ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج قلت والاصوب في الآية ان يكون
ام تريدون معطوفا على الم تعلم على انه خطاب لكل مكلف فيكون في معنى الجمع ثم ام اما ان تكون متصلة على معنى اي الامرين كائن فان العلم
واقع بكون احدهما لانه اما ان لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان لكل حادث تدبيره وتقديره وتسخيره واما ان يعلم فليسأل وجه الحكمة في النسخ وغيره على سبيل العناد
وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المعترف بحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورأفته الكاملة وقدرته الظاهرة حقه
ان يقتصر على علمه الاجمالي ولا يتخطى مقام الادب في البحث والتنقير عن تفاصيل حكمته التي لا تكاد تنحصر ويوهم ان السائل في شك مما امر به او نهي عنه
على هذا لا يوقف على بصير لما سقط على انه اضراب عن الاستفهام الاول واستئناف استفهام ثانيا ويحتمل ان لا يكون قوله ومن يتبدل
الكفر بالايمان حكما بتكفيرهم بسبب السؤال بل يكون تنبيها للمكلفين على ان السؤال عما لا يهمهم مما قد يجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات
حتى يقفوا على الاعتقاد الحق والتقليد الصرف فيما لا سبيل الى درك تفاصيله ولا يهم معرفتها فقد ضل سواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذي هو تفسير

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ

دوست میدارند بسیاری از اهل کتاب که برگردانند شما را پس از گرویدنتان کافران از حسد پس از آنکه ظاهر شد مر ایشان را حق پس عفو کنید و درگذرید تا بیاورد خدا فرمان خود

اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

بیشک خدا بر هر چیزی تواناست و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را و هرچه پیش دارید از برای خودتان از خوبی بیابید او را نزد خدا بیشک خدا بآنچه میکنید بیناست

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ

و گفتند که داخل نشود بهشت را مگر آنکه بوده باشد از یهود یا ترسایان این است آرزوهای ایشان بگو که بیارید حجت خودتان را اگر هستید راستگویان آری هر که تسلیم کرد

وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ

روی خود را برای خدا و حال آنکه نیکوکار است پس مر او راست مزد او نزد پروردگارش و نیست ترسی بر ایشان و نه ایشان اندوهناک شوند و گویند یهود که نیستند ترسایان بر چیزی و گویند

النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ترسایان که نیستند یهود بر چیزی و حال آنکه ایشان میخوانند کتاب را اینچنین میگویند آنان که نمیدانستند مانند گفتار ایشان پس خدا داوری کند میان ایشان روز قیامت

فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ القراءة قد سلفت الوقوف كفارا ج لان حسدا مصدر محذوف اي يحسدون حسدا او حال او مفعول له وهو وجه الوصل

در آنچه بودند که در آن اختلاف میکردند

الحق ج لعطف الجملتين المختلفتين بامره ط قدير ه الزكوة ط لان ما للشرط والشرط مصدر عند الله ط بصير ه
او نصارى ط امانيهم ط صادقين ه عند ربه ص لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون ه النصارى على شيء ص لعطف الجملتين المتفقتين على شيء ص لان
الواو للحال الكتاب ط مثل قولهم ج لان فالله مبتدأ مع فاء التعقيب يختلفون ه التفسير هذا نوع آخر من مكايد اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء
وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا

فيما يوجب التكفير

ع ١٤





فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا
وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلعم
واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت كفارا نصب على الحال او مفعول ثان ليردون على انه بمعنى يصيرون والحسد من اقبح الخصال الذميمة قال صلعم الحسد
ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال ان لنعم الله اعداء قيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون
النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد وروي ان موسى
لما ذهب الى ربه راى في ظل العرش رجلا يغبط بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه قال احدثك من عمله ثلاثا
كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة ويحكى ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ
على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ابليس ثم قرأ فسجدوا الا ابليس استكبر واياك والحرص فانه اخرج آدم من
الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض فاكل منها فاخرجه الله ثم تلا اهبطا منها واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده
ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا و
هي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار واعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت زوالها فهذا
هو الحسد المحرم الذي ذم الله تعالى صاحبه في هذه الآية وغيرها ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا وان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلعم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا وانفقه في سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو
يعمل به ويعلم الناس وهذا يدل على ان الحسد قد يطلق على المنافسة وقد يكون واجبا اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة
وقد يكون مندوبا في نحو الانفاق في سبيل الله وتشمير العلم والتعليم وقد يكون مباحا وللحسد مراتب اربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه
وان لم يحصل له وهذه اخبث الثانية ان يحب زوالها عنه لرغبته في داره الحسنة او امرأته او ولايته فالمطلوب بالذات حصوله له فاما زواله
عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة ان لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة
ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة
منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الاولى والجنس قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه
لعين ذلك مذموم واسباب الحسد سبعة اولها العداوة والبغضاء فان من آذاه انسان ابغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد المقتضي
للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل ثانيها التعزز فان واحدا من امثاله اذا نال منصبا عاليا يترفع عليه وهو
لا يمكنه تحمل ذلك اراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته وثالثها ان يكون في طبعه ان
يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم ورابعها التعجب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت المقاصد
وذلك يتحقق من المتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة عند
الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة وسادسها حب الرياسة كمن يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه لو سمع بنظير
له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته فان الكمال محبوب لذاته وضد المحبوب مكروه ومن جملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمتنع حصوله
الا لله تعالى ومن طمع في المحال خاب وخسر وسابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن
حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب امور الناس وادبارهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده
كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزائنه وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال غيره وقد يجتمع بعض هذه الاسباب
فيعظم الحسد ويقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا في الامور الدنيوية لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد
بين ارباب الدين واصحاب اليقين وانما يكونون بلقاء اخوانهم مستأنسين وببقاء اقرانهم فرحين بما ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين واما علاج الحسد فامران العلم والعمل اما العلم ففيه مقامان اجمالي وهو ان يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن لا يرده كراهية كاره ولا يجره ارادة مريد وتفصيلي وهو العلم بان الحسد قذى في عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته في
عباده وغش للاخوان وعذاب اليم وحزن مقيم ومورث للوسواس ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود في دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك
ولا في دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك بل قد ينتفع في دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا تزال تزيد بغمومك و
احزانك الى ان يفضي بك الى الدنف والتلف شعر اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله النار تاكل نفسها ان لم تجد ما تاكله وقد يبدل

حكاية

في مراتب الحسد

في علاج الحسد

بحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفضائل شعر لامات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا منك الذى يكمد لازلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق مشكور فى ابليس وصدفانه مدحور عند الخلق ولبابه فهل هو الا كمن رمى حجرا الى عدوه ليصيبه مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميه فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على راسه فيشدخه وعدوه سالم فى كل الاحوال وقد عاد عليه الوبال واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون هذا له فى الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى واما العمل فهو ان يأتى بالافعال المضادة لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له وان حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وان حمله على قطع اسباب الخير سعى فى ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبوبا بحباله فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وذلك التكلف يصير بالاخرة طبعا والله الموفق واعلم ان النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود امر غير داخل فى سعه فكيف يعاقب عليه وانما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم اظهار آثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة عنه وجر اسباب المحنة اليه ثم انهم كانوا يريدون رجوع المؤمنين من الايمان من بعد ما تبين لهم ان الايمان صواب وحق فالقوا اليهم ضربين من الشبهة ليعلمهم ان المحق لا يعدل عن الحق الا بالشبهة احدهما ما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم قد علمتم ما نزل بكم من اخراجكم من دياركم وضيق الامر عليكم واستمرار الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذى ساقكم الى هذه الثانى فى باب الدين بالقدح فى المعجزات وتحريف التورية وقوله من عند انفسهم اما ان يتعلق بودّ اى تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق واما ان يتعلق بحسدا اى حسدا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا سبيل العفو والصفح بترك المقابلة والاعراض عن الجواب لان ذلك اقرب الى تسكين النائرة لا دائما بل حتى يأتى الله بامره عن الحسن انه المجازات يوم القيمة وقيل قوة الاسلام وكثرة المسلمين والاكثرون على انه الامر بالقتال فتعين بعينه اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار والاية منسوخة لان الاية التى علق بها غير معلومة شرعا فليس كقوله ثم اتموا الصيام الى الليل بل محل قوله فاعفوا واصفحوا الى ان نسخه عنكم عن الباقر انه لم يؤمر رسول الله بقتال حتى نزل جبرئيل بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا فكان اول قتال قتال اصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فان قيل كيف يعفون ويصفحون والكفار اصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين كان ينال الاذى فيقدر على بعض التشفى والاستعانة على سائر اصحابه فامروا ان لا يهيجوا قتالا وفتنة وايضا القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وايضا جعل الصابر الى القوة فهو ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح حسن الاستدعاء واستعمال ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق وترك التشدد وعلى هذا لا يكون الاية منسوخة وكذا لو قيل المراد بامر الله قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شئ قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة تنبيه على انه كما يلزمهم لحظ حال غيرهم بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ نفسهم باداء الواجبات من خير من حسنة صلوة او صدقة فريضة او تطوع فنعم بعد ما خص تنبيها على ان الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد من اضمار اى تجدوا ثوابه لان وجدان عين تلك الاشياء غير مطلوب ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شئ من الاعمال وفيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسئ وقالوا لن يدخل الجنة نوع آخر من تخليط اهل الكتاب اليهود والنصارى والضمير فى وقالوا لهم والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخلها الا من كان نصارى فضم بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق ما قاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كبازل وبزل وعائذ وعوذ والعائذ الحديثة النتاج من النوق والبازل الذى يخرج نابه ووحد اسم كان حملا على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم تلك امانيهم على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم يريد ان امانيهم جميعا فى البطلان مثل هذه وهى قولهم لن يدخل الجنة واشير بتلك الى ان ودادتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم امنية وودادتهم ان يردوهم كفارا امنية وقولهم ان يدخل الجنة امنية اى تلك الامانى الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم اعتراض على هذا وهات الشئ اسم فعل معناه اعط ويتصرف فيه بحسب المامور هات هاتيان هاتوا هاتى هاتين وقيل الصحيح انه ليس باسم فعل وانما الهاء فيه مبدلة من الهمزة واصله آت من الايتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم وفيه دليل واضح على ان المدعى نفيا او اثباتا لا بد له من برهان ولا فدعواه باطلة من ادعى شيئا بلا شاهد لا بد ان يبطل دعواه بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وقوله من اسلم الى آخره جملة شرطية مستانفة ويجوز ان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اى بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وفيه اشارة الى ان لهؤلاء الداخلين برهانا وهو تسليم النفس وانقيادها لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيبهم فى الاسلام وبيان لمفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كانه قيل لهم انتم على ما انتم عليه لا تفوزون بالجنة بلى ان غيرتم طريقتكم واسلمتم وجهكم لله واحسنتم فلكم الجنة وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس ينبوع الفكر والتخيل فاذا تواضع الاشرف كان غيره اولى ولان الوجه قد يكنى به عن النفس والذات كل شئ هالك الا وجهه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولان اعظم العبادات السجدة وهى انما تحصل بالوجه فهذا







الاسلام اخص الاسلام المذكور فى الحديث الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتى الزكوة وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا لان هذا عبارة عن الاذعان الكلى بجميع القوى والجوارح فى كل الاحوال والاوقات وهو الاسلام الذى امر به ابرهيم اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويؤكد ذلك قوله لله اى خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله غيره ولا معلقا رجاءه بغيره وزاد التاكيد بقوله وهو محسن اى حال كونه محسنا فى عمله ومعنى الاحسان هو الذى فى الحديث الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولا ريب ان العبادة على هذا الوجه لا يصدر الا عن رقة البشرية وصفاء الطوية فان مثول العبد بين يدى مولاه يشغله عن الالتفات الى ما سواه فلا يقع قصده فيما هو فيه الا لوجه الله فلا يصدر عنه شئ من السيئات واما الطاعات والمباحات فيكون مقتضية لتزايد الحسنات ورفع الدرجات فى الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وذلك ان المتطيب ان كان قصده التنعم واستيفاء اللذات والتودد الى النسوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروائح المؤذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام فى المناكح والمطاعم والمشارب والضابط ان كل ما فعلته لداعى الحق فهو العمل الحق وكل ما عملته لغير الله فحلالها حساب وحرامها عذاب وروى ان رجلا فى بنى اسرائيل مر بكثبان من رمل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت ولهذا النية ان يقول فى نفسه او بلسانه عند تدبيره او تجارته نويت ان ادرس لله او اتجر لله هيهات انما الحديث نفس او لسان وما ذلك الا كقول الفارغ نويت ان اعشق واما النية انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق فى كل فعل فاجتهد فى تصيير ذلك ملكة لنفسك شعرا والناس فيما يعشقون مذاهب فمنهم من يعمل لباعث الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يعمل لباعث الطمع فى الجنة وهم اكثر اهل الجنة القصور همهم عن طموح ما فوقها من الكمالات واللذات الحقيقيات اكثر اهل الجنة البله ومنهم من يعمل لله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما جمع الله تعالى اهل الكتابين فى الاية المتقدمة فصل بينهما وبين قول كل فريق فى حق الآخر والظاهر حمل لفظى اليهود والنصارى على العموم وان كان السبب خاصا لان هذا اعتقاد كل واحد من كل من الطائفتين فى حق الاخرى وروى ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية ومعنى على شئ يصح ويعتد به وفيه مبالغة عظيمة كقول العرب اقل من لا شئ عن ابن عباس والله صدقوا انك وذلك ان الايمان بالله انما يعتد به اذا كان مؤمنا برسوله وبكل ما انزل وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك حال انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية والانجيل وغيرهما من كتب الله ان يؤمن بالباقى ولا يكفر به لان جميع الكتب السموية متواردة فى تصديق بعضها بعضا كذلك الكاف للتشبيه وذلك اشارة الى المذكور اى قولا مثل الذى سمعت به قال الذين لا يعلمون ومثل قولهم مكرر للتاكيد لطول الكلام بالموصول والصلة والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان المسلمين ليسوا على شئ وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم فقالوا قولا عن التشهى والعصبية مثلهم فالله يحكم بينهم اى بين اليهود والنصارى يوم القيمة عن الحسن يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز ان يرجع الضمير الى الكل الذين يعلمون والذين لا يعلمون والى المسلمين ويحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه فينتصف من الظالم المكذب للمظلوم المكذب ويريهم من يدخل الجنة عيانا ويدخل النار عيانا اعاذنا الله منها ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها اولئك ما كان

وكيست ستمكارتر از آنكه وا دارد مسجدهاى خدا را از آنكه ذكر شود دران نام خدا وجد كند در خرابى آن آنگروه سزاوار نيستند

لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما

كه ايشان داخل شوند ان مگر ترسان كان مر ايشان راست در دنيا رسوائى زياده ومر ايشان راست در آخرت عذابى بزرگ ومر خدا راست مشرق ومغرب پس هر جا

تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون

كه روآريد پس آنجاست قبله بدرستى كه خدا محيطست ودانا وگويند كه قرار داده است خدا از براى خود فرزند منزهست او بلكه مر اوراست هر چه در آسمانها وزمين است همه مر او را فرمانبردارند

بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا

آفريننده آسمانها وزمين است وچون اراده كرد فرمانى را پس همين ميگويد او را كه باش پس ميباشد وگويند آنانكه بيدانشند كه چرا گفتگو نميكند با خدا ويا نميايد ما را

آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون القراءة قالوا اتخذ الله بلا

نشانى وهمچنين گويند آنان كه پيش از ايشان بودند بطريق گفتار ايشان بهم مانند دلهاى ايشان بتحقيق كه ظاهر ساختيم نشانها را از براى مرقنان واو العطف ابن عامر اتباعا

لمصاحف اهل الشام كن فيكون بالنصب كل القرآن ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق فى آل عمران وكن فيكون قوله الحق فى الانعام ووافقه الكسائى فى النحل وفى يس والوقوف خرابها ط للفصل بين الاستفهام والخبر خائفين ط لان ما بعده اخبار وعيد مبتدأ منتظر عظيم وجه الله ط عليم ولدا لا لتعجيل التنزيه سبحانه ط والارض ط لان ما بعده مبتدأ قانتون والارض ط لان اذا اجيبت بالفاء وكانت للشرط فيكون آية ط قلوبهم ط لان قد للتوكيد الاستيناف يوقنون التفسير عن ابن عباس ان ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه والقى فيه الجيف وحاصر اهله وقتلهم وسبى الذرية واحرق

التورية ولم يزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام فى زمان عمر فنزلت الاية فيهم عن الحسن وقتاده والسدى نزلت فى بختنصر حيث خرب بيت المقدس واعانه
على ذلك بعض النصارى ورد بان بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت فى مشركى العرب الذين منعوا رسول الله صلعم عن الدعاء الى الله
بمكة والجاؤه الى الهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه ان يذكروا الله فى المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام
عام الحديبية ووجه اتصال الاية بما قبلها على القولين الاولين هو ان النصارى ادعوا انهم من اهل الجنة وعلى الاخرين هو انه جرى ذكر
مشركى العرب فى قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فعقب ذلك بسائر قبائحهم ومن استفهامية لتقرير النفى اى ليس احد اظلم ممن منع وان يذكر ثانى
مفعوليه لانك تقول منعته كذا او بدل من مساجد وحذف حرف الجر مع ان او التقدير كراهة ان يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس
مساجد الله وان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط فى الظلم ولا مانع ان يجئ الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحد من اظلم ممن اذى
الصالحين مثله وويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وينبغى ان يراد بمن منع العموم الذين منعوا من اولئك النصارى والمشركين
باعيانهم والسعى فى خراب المساجد بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان قيل ان قوله ومن اظلم الذى هو فى قوة ليس احد اظلم ليس على عمومه لان الشرك
الشرك اعظم من هذا الفعل ان الشرك لظلم عظيم وكذا الزنى وقتل النفس قلنا اما استعمال لفظ الظلم فى هذا المعنى ففى غاية الحسن لان المسجد موضوع
لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع للشئ فى غير موضعه واما انه لا اظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا اظلم منه
وان كان يدعى الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من اعتقد ان له معبودا عرف وجوب عبادته له عقلا او شرعا والعبادة تستدعى متعبدا لا محالة
فتخريب المعبد ينبئ عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون فى الحقيقة مسلما وانما هو منخرط فى سلك اهل النفاق و
المنافق ترسوخا الامن الكافر الاصلى بالاتفاق اولئك ما كان لهم اى ما ينبغى لهم ان يدخلوها فى حال من الاحوال الا خائفين على حال التهيب وارتعاد
الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة
وعتوهم وقيل هذه بشارة للمؤمنين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وانه يذل المشركين لهم حتى لا يدخلوا المسجد الحرام الا خائفين
من ان يعاقبوا او يقتلوا ان لم يسلموا وقد انجز الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج ابو بكر الا لا يحجن بعد العام مشرك
وامر النبى صلعم باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس فى ايدى المسلمين وقيل يحرم عليهم دخول المسجد الا فى امر يتضمن الخوف نحو ان يدخلوا
للمحاكمة او المخاصمة او المحاجة وقيل اللفظ خبر ولكن معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
فمن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخصص الشافعى المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك فى قوله انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز ابو حنيفة دخول المساجد كلها لما روى انه صلعم قدم عليه وفد ثقيف فانزلهم المسجد واجيب بانه فى
اول الاسلام ثم نسخ بالاية لهم فى الدنيا خزى قيل بمنعهم من المساجد او بالجزية فى حق اهل الذمة وبالسبى والقتل فى حق اهل الحرب فيه ردع لهم عن ثباتهم على الكفر وقيل
الخزى فتح مدائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر ههنا فوائد الاولى فى بيان فضل المساجد من ذلك
اضافتها الى الله فى الاية وذلك يدل على شرفها وكذا فى قوله وان المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر
فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلعم احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى الله اسواقها وليس ذلك الا لان المسجد
بيت ذكر الحبيب والسوق تشغل عنه وفى الاية نكتة وهى ان مخرب المساجد لما كان فى نهاية الظلم والكفر يلزم ان يكون عامر المساجد فى غاية العدل والايمان
الثانية فى فضل المشى الى المساجد عن ابى هريرة انه صلعم قال من تطهر فى بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضى فيه فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه احداها
تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وقال صلعم لبنى سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد دياركم تكتب اثاركم الثالثة فى تزيين المساجد عن ابن عباس
ان النبى صلعم قال ما امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين و
التمويه وامر عمر ببناء مسجد فقال اكن الناس من المطر واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس الرابعة فى تحية المسجد عن ابى قتادة انه صلعم قال اذا دخل
احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وتتادى التحية بالفرض والنفل نواها او لا وهذا مذهب الحسن البصرى ومكحول والشافعى واحمد واسحق و
قيل يجلس ولا يصلى واليه ذهب ابن سيرين وعطاء بن ابى رباح والنخعى وقتاده ومالك والثورى واصحاب الراى الخامسة فى الدعاء عند الدخول فى
المسجد والخروج عنه روت فاطمة بنت رسول الله صلعم عن ابيها قالت كان رسول الله صلعم اذا دخل المسجد صلى على محمد صلعم وقال رب اغفر لى ذنوبى
وافتح لى ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد صلعم وقال رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك السادسة فى فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة
عن ابى هريرة انه صلعم قال الملائكة تصلى على احدكم ما دام فى مصلاه الذى صلى فيه فيقول اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث السابعة فى كراهية البيع
والشرى فيه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبى صلعم نهى عن تناشد الاشعار فى المساجد وعن البيع والشرى فيها وان يتحلق الناس يوم
الجمعة قبل الصلوة يعنى لمذاكرة العلم ونحوه بل يشتغل بالذكر والصلوة والانصات بالخطبة ثم لا باس بالاجتماع والتحلق بعد الصلوة واما طلب
الضالة فى المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فيكره ايضا عن ابى هريرة انه قال سمعت رسول الله صلعم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة فى المسجد
فليقل لا اداها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف لاصحاب المسئلة فى المسجد كان بعضهم لا يرى ان يتصدق على السائل المتعرض

فى المسجد



فى المسجد قال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من ان يقام فيها الحدود او يقبض فيها الخراج او ينطق فيها بالاشعار او ينشد فيها الضالة او تتخذ
سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء فى المسجد باسا لان النبى صلعم لاعن بين العجلانى وامرأته فى المسجد ولاعن عمر عند منبر النبى صلعم وقضى شريح والشعبى ويحيى بن
يعمر فى المسجد وكان الحسن وزرارة بن ابى اوفى يقضيان فى الرحبة خارج المسجد الثامنة فى النوم فى المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه راى رسول الله صلعم مستلقيا
فى المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وفيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة فى المسجد كجوازها فى البيت الا الانبطاح فانه صلعم نهى عنه وقال
انها ضجعة يبغضها الله التاسعة فى كراهة البزاق فى المسجد عن انس عن النبى صلعم قال البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه صلعم اذا قام احدكم
الى الصلوة فلا يبصق امامه فانه يناجى الله ما دام فى مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله او تحت رجله فيدفنه
عن جابر انه صلعم قال من اكل ثوما او بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه صلعم من اكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتاذى مما يتاذى
منه الانس الحادية عشرة فى بناء المساجد فى الدور عن عائشة قالت امر رسول الله صلعم ببناء المساجد فى الدور وان تنظف وتطيب وفيه دليل على
تسمية الموضع بالمسجد لا يخرجه عن ملك المسلم قوله عز من قائل ولله المشرق والمغرب الاية الاكثرون على انها نزلت فى امر يختص بالصلوة ومنهم من
اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه احدها ان المراد به تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الاطراف
مملوكة له سبحانه ومخلوقة له فاينما امركم باستقباله فهو القبلة ليس قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى فكانت الاية مقدمة لما اراد من نسخ القبلة
وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم وثالثها قول ابى مسلم ان كلا من اليهود والنصارى
زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك ان اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا
المشرق لان عيسى ولد هناك اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول فى الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق
فكيف يخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله تعالى وصف بيت المقدس بالتخيير الى اى جهة شاء
بهذه الاية وكان للمسلمين ذلك الا ان النبى صلعم كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها ان الاية فى حق من
يشاهد الكعبة فله الاستقبال من اى جهة شاء وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلعم فى غزاة فى ليلة سوداء مظلمة
فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله صلعم فما نهانا
فانزل الله هذه الاية عذرا لنا فى خطائنا وهذا الحديث يدل على انهم قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها
عن ابن عمر نزلت فى المسافر يصلى النوافل حيث توجهت به راحلته وكان صلعم اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومى براسه نحو المدينة فمعنى
الاية اينما تولوا وجوهكم لنوافلكم فى اسفاركم فثم وجه الله اى فقد صادفتم رضاه ان الله واسع الفضل عليم بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا
يلزم ترك النوافل والتخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضى
فيها الى الحرج ولا يخفى ان الاية على الوجه الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية
فاختلفوا ايضا فقيل الخطاب فى تولوا للمانعين والساعين يريد انهم ان هربوا فان سلطانى يلحقهم وتدبيرى يسبقهم وعلمى محيط بمكانهم عن قتادة ان النبى
قال ان اخاكم النجاشى قد مات فصلوا عليه فقالوا انصلى على رجل ليس بمسلم فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الاية فقالوا
انه كان لا يصلى الى القبلة فنزلت هذه الاية اى الجهات التى يصلى اليها اهل كل ملة الى من وجه نحو شئ منها يريد طاعة وجد فيه ثوابى وكان فى هذا
عذر للنجاشى واصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت ادعونى استجب
لكم قالوا اين ندعوه فنزلت وعن على بن عيسى انه خطاب للمسلمين اى لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من ارض الله بلاد
المشرق والمغرب والجهات كلها ففى اى مكان فعلتم التولية التى امرتم بها بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المامور بها
المرضية وهذا كقوله صلعم جعلت لى الارض مسجدا وقيل نزلت فى المجتهدين فى الصلوة او فى غيرها وفيه ان المجتهد اذا راى بشرائط الاجتهاد رايا فهو مصيب
ومعنى تولوا فى جميع الوجوه تستقبلوا بوجوهكم اليها ويقال ولى هاربا اى ادبر فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد
بالتولية الادبار وثم اشارة الى المكان خاصة وقد تمسك المجسمة من الاية ان لله تعالى وجها وانه سبحانه واسع والسعة من نعوت الاجسام والجواب ان
الاية عليه لا له فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوى لزم خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا للمشرق استحال ان يكون فى ح محاذيا للمغرب فلا بد من تاويل وهو ان
الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقها واوجدها فاى وجه من وجوه العالم وجهاته المضافة اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو
قبلة او المراد بالوجه القصد والنية مثل وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فثم مرضات الله مثل انما نطعمكم لوجه الله فان المتقرب الى
احد شيئا فشيئا كالموجه الى شخص ذاهبا اليه شيئا فشيئا وكيف يكون له وجه وجهة ام كيف يكون جسما او جسمانيا وانه خالق الامكنة والاحياز
والجواهر والاعراض والخالق مقدم على المخلوق تقدما بالذات والعلية والشرف فالمراد بالسعة كمال الاستيلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء و
الرحمة والانعام وانه تعالى قادر على الاطلاق فى توفية ثواب من يقوم بالمامورات على شرطها وتوفية عقاب من يتكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم
على حسب اعمالهم قوله وقالوا اتخذ الله ولدا نوع اخر من قبائح افعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد ذكرهم فى قوله كذلك قال الذين

لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن اظلم كما مر والضمير يصلح للعوالي لهم فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب
قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض ملكا وخلقا ابداعا وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير والمسيح والولد لا بد
ان يكون من جنس الوالد من ابن المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته اللهم الا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي شركة في الحقيقة
الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم الحق محال كل له قانتون التنوين عوض
عن محذوف اي كل ما في السموات والارض والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى ان دوام الممكنات واستمرارها
جميعا به ولاجله وقيل عن مجاهد عن ابن عباس مطيعون فسئل ما للكفار فاجاب انهم يطيعون يوم القيمة فسئل هذا للمكلفين وقوله بل له ما في
ما في السموات يعم المكلف وغيره فعدل الى تفسير اخر فقال المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من اثار القدرة وامارات الحدوث وكونها جميعها
في ملكه وتحت قهره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذه الوجوه جمع السلامة في قانتون للتغليب او يراد كل من الملائكة وعزير والمسيح عابدون
له مقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه يجمع على الاصل يحكى ان علي بن ابي طالب قال لبعض النصارى لولا تمرد
عيسى عن عبادة الله تعالى لصرت على دينه فقال النصراني كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله فقال علي ان كان عيسى الها فالاله
كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني وبهت بديع خبر مبتدأ محذوف اي هو بديع السموات والارض عم اولا الملكية
والاختصاص لا يستلزم كون المالك موجدا للمملوك ثم خص ثانيا فقال بديع والبديع المخترع لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع كاليم بمعنى مولم وضعفه ثم انه تعالى بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
اصل التركيب من ق ض ى يدل على القطع قضى القاضي بهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشيء انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر اذا
اتمه واحكمه لان اتمام العمل قطع له وقضى دينه واداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وقضى الشيء لانه كانه مقطوع الاطراف والامر الشان والفعل
مهما ومعنى قضاء امرا اتمه او حكم بانه يفعله او احكمه قال الشاعر وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع من قرا فيكون بالرفع على تقدير
فهو يكون فلا اشكال واما من قرا بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر لا بد ان يخالف الامر في الفعل وفي الفاعل وفيهما نحو اذهب
تنتفع او اذهب يذهب زيد او اذهب ينفعك زيد فاما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشيء لا يكون شرطا لنفسه
قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي يترتب على الامر قد يكون شيئا مغايرا للفعل الامر وذلك اكثري وقد يكون الغرض لا مجرد ذلك الفعل فيوقع
ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم ان الغرض منه ليس شيئا اخر مغايرا له وقول القائل اذهب يذهب فيذهب معناه اعلام
ان الغرض من الامر هو نفس صدوره والذهاب عنه لا شيء اخر كان المقصود في الاية من الامر بالوجود هو نفس الوجود فاوقع كان التامة جوابا
لمثلها لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول
فالصواب ان يكون بناء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الحادث قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة في قوله امرا وفي قوله له ومرة على سبيل الخطاب
فغلب جانب الغيبة ويحتمل كن يكون من باب الالتفات تحقيرا لشانه في سهولة تكونه ولان اول الكلام مع المكلفين فرجع الى ذلك وههنا بحث اخر
وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تعالى لشيء على صدور لفظ كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا جائز ان يكون قديما
لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة والكاف لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا ايضا ولان اذا للاستقبال
فالقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب والمتاخر عن المحدث محدث ولان تكون المخلوق مرتب على كونه كن بالفاء والمتقدم
على المحدث بزمان مخصوص محدث ايضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور واما التسلسل واذا بطل القسمان
بطل توقف الاشياء على كن الثاني اما ان يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود وخطاب المعدوم سفه واما بعد دخوله في الوجود ولا فائدة فيه
الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة
الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته او يرجع الحاصل الى تتمة القدرة بكن
ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انه لا تاثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها وكذا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما المجموع الكاف والنون
ولا وجود لهما مجموعين لعدم مجيء الثاني بعد تقضي الاول واما احدهما وهذا خلاف المفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الاية على الظاهر غير جائز فلا
من تاويل واصحه ان يقال المراد ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا
المتكون بحال المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يابى وفيه تاكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة
كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا عن ابي الهذيل و
قيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم من الامم قيل امر للاحياء بالموت وللموتى بالحيوة وقال الذين لا يعلمون
يعني الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ايضا ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالاية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد وهذه الاية فيها
بيان قدحهم في النبوة ولولا حرف تحضيض اي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا اراد تحصيل شيء اختار اقرب الطرق المؤدية الى المطلوب ثم



انه تعالى كلم الملائكة وكلم موسى وانت تقول يا محمد انه كلمك فاوحى الى عبده ما اوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتاكد الاعتقاد
ويزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا ياتي باية ومعجزة وهذا طعن منهم في كون القرآن اية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين
من قبلهم في التعنت كقولهم اتواصوا به فكان قوم موسى كانوا ابدا في التعنت واقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل لنا
الها كما لهم الهة فكذلك هؤلاء المشركون قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكذلك
المعاصرون من اليهود والنصارى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الآيات لقوم يوقنون فيوقنون انها آيات فلو كان
غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها آيات ظاهرة هي القرآن العظيم الذي اخرس شقاشق الفصحاء عن آخرهم ومعجزات باهرة كمجيء الشجرة و
حنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع خلق كثير من الطعام القليل وايضا لو كان في معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعله لكنه
علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل ذلك وايضا لعل في تلك الآيات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كافضائها الى حد الالجاء المخل بالتكليف و
كايجابها استيصالهم بالكلية اذا استمروا على التكذيب بعدها وجواب اخر وجيها عن القدح الصالح لالزام الحجة وايضا كثرة الآيات وتعاقبها ينافي كونها خوارق
العادة فلا يبقى آيات وكل ما ادى وجوده الى عدمه وفرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة
النبوة والله اعلم التاويل ومن اظلم ممن منع مساجد الله التي يذكر اساميها عند اهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وهو سر السر ذكر كل مسجد منها مناسب
لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة
ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى الله الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك كل الشهوات فان القلوب المعلقة
بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر
فيه بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات
اولئك ما كان لهم ان يدخلوها هذه المشاهد بقدم السلوك الا بخطوات الخوف من سوء الحساب والم العقاب لهم في الدنيا خزي من ذل الحجاب
ولهم في الآخرة عذاب الحرمان من جوار الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله في مشرق كل قلب ومغربه شارق
وطارق وطارق القلب من هواجس النفس يطرق وظلمات المنى عند غلبات الهوى وغروب نجم الهدى وشارق القلب من واردات الروح يشرق بانوار
الفتوح عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود فيكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا تجلت شمس صفات الجلال خفيت نجوم صفات الجمال
واذا استولى سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الضياء
ليس عند الله صباح ولا مساء وتلاشى العبدية في كعبة العندية وبودوا بفناء من عالم البقاء رفعت القبلة وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله
ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده ليسعه عليم بتوسيع القلب لسعته بلا كيف كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن والله اعلم

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ

بدرستیکه فرستادیم تورا براستی مژده دهنده وبیم کننده وپرسیده نشوی تو از یاران دوزخ وراضی نشوند هرگز از تو یهودان ونه ترسایان تا پیروی کنی ملت ایشان را بگو بدرستیکه

هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

راه خدا انست راه راست وهرآینه اگر پیروی کنی خواهش ایشانرا پس از آنکه آمد ترا از دانش نیست مر ترا از جانب خدا دوستی ونه یاوری آنانکه آوردیم ایشانرا کتاب

يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

که میخوانند انرا سزاوار خواندنش آن گروه میگروند بان وانکه کافر شد بان پس آن گروه ایشانند زیان کاران ای بنی اسرائیل یاد آورید نعمت مرا که عطا کردم بر شما

وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ

وانکه من فزونی دادم بر جهانیان وبپرهیزید از روزیکه پاداش نباید تنی بدل از تنی چیزی را ونه قبول کرده نشود از ان بدل ونه سود بخشد او را شفاعتی ونه ایشان

يُنْصَرُونَ

یاری کرده شوند

القراءة ولا تسئل على النهي نافع ويعقوب الباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر الوقوف ونذيرا لا للعطف اي بشيرا ونذيرا وغير مسئول
الجحيم ولا تسئل على النهي لاختلاف الجملتين ملتهم ط الهدى ط من العلم لا لان نفي الولاية والنصرة يتعلق بشرط اتباع
اهوائهم فكان في الاطلاق خطر تلاوته ط لان ما بعدها مبتدأ اخر مع خبره وعندي ان الاصوب عدم الوقف ليكون الجملة اعني يتلونه
حالا من مفعول آتينا او من فاعله مقدرة وقوله اولئك يؤمنون به ط الجملة خبر الذين لان الاخبار عن اهل الكتاب مطلقا بانهم يتلونه حق تلاوته
لا يصح اللهم الا ان يحمل الكتاب على القرآن كما يجيء يؤمنون به ط للابتداء بالشرط الخاسرون ه العالمين ه ينصرون ه التفسير لما بين غاية اصرارهم على
العناد وتصميمهم على الكفر بعد نزول ما يكفي في باب الاهتداء والاهتداء من الآيات البينات اراد ان يسلي رسوله لئلا يضيق صدره
فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق والصواب حسبما يقتضيه الحكمة وان لا يكون لك ان تجبرهم على الايمان بل تجاوز ذلك عن ان يكون بشيرا لمن
اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسئول عن اصحاب الجحيم وهو من اسماء النار وكل
نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا

تحيات اما قراءة النبي فروى انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهى عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لان سياق الكلام ينبو عن ذلك ولانه مع علمه لاحوال الكفار كيف يتمنى ذلك والاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما اذا سئلت عمن وقع في بلية فيقال لك لا تسئل عنه فكان المسؤل يحرج ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يرى انك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى عنك كان رسول الله صلعم حريصا على اسلامهم ان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون راسا براس بل يريدون منك عكس ما تطمع منهم زاعمين ان ملتهم التي يتخيلونها هي الهدى قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق اليه واعاده هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهواءهم مشتهياتهم واراءهم الباطل المنسوخة بعد الذي جاءك من العلم بامر الدين او بوضوح البراهين وسطوع ما لك من الله من ولي يلي امرك ولا نصير يذب عنك وفي الاية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى لا يكون اتباع الهوى وفيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمامور به لقوله بعد ما جاءك من العلم فلان لا يجوز التوعد الا بعد القدرة على المامور به كان اولى فبطل القول بتكليف ما لا يطاق وفيها ان الذي علم الله منه انه لا يفعل الشيء يجوز منه ان يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال ان الصارف له عن ذلك الفعل هو هذا الوعيد او هو احد صوارفه ولان فيه زجرا شديدا للامة لانهم اذا علموا ان حال النبي لو فرض منه اتباع اهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر لم يبق لهم طمع في الخلاص لو وجد منهم ذلك الذين اتيناهم الكتاب قيل هم المؤمنون الذين اتاهم القران لان الكتاب الذي يمدح على تلاوته هو القران والاصح انه لما قدم ذكر المعاندين من اهل الكتاب اراد ان يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلعم او يتبعون مقتضاه من غير تكاسل ومنع متمسكين باحكامه من حلال وحرام وغيرهما او يخضعون عند تلاوته ويخشعون او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه اولئك يؤمنون بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلوا الكتاب حق تلاوته كما يستحق ان يتلى ومن يكفر به من المحرفين ومن الواضعين عن حقه فاولئك هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به بعينه وروده فرجعوا منه بخفي حنين وفاروا بكل حين يا بني اسرائيل الايات رجوع الى اول القصة تذكيرا للنعم بعد تعداد مواجب النعم ليتنبه منهم من وفق للتنبيه والله المستعان وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ

رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وَإِذْ جَعَلْنَا

پروردگار او بسخنانی چند پس تمام کرد انها را گفت که من میگردانم ترا از برای مردمان پیشوا گفت از فرزندان من نیز گفت که نرسد عهد مرا ستمکاران و چون گردانیدیم

الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ

خانه کعبه را جایگاه از برای مردمان و ایمنی و فرا گیرید از مقام ابرهیم نمازگاهی و فرمودیم ما بابراهیم و اسمعیل که پاک دارید خانه مرا از برای طوف کنندگان

وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ

و مقیم شوندگان در رکوع و سجود کنندگان و چون گفت ابرهیم که ای پروردگار من گردان این شهر را ایمن و روزی کن اهل او از میوها هر که بگرود از ایشان

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ القراءة ابراهام بالالف في البقرة

بخدا و روز واپسین فرمود خدا که هر که کافر شود پس بهره دهم او را اندکی پس ناچار کنم او را بسوی عذاب آتش و بد جای بازگشتی والنساء الا قوله انا اتينا ال

ابرهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع براءة الا وقوم ابرهيم وفي ابرهيم واذ قال ابراهام وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا ابراهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في الممتحنة الا قول ابرهيم وفي الاعلى صحف ابرهيم هشام وابن ذكوان وروى ابن مجاهد في هذه السورة فقط اعلم ان ذكر ابرهيم في القران تسعة وستون موضعا منها ثلثة وثلثون ابراهام بالالف في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان وستة وثلثون ابرهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف قرئ بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء والاختيار عند الائمة ان يقرا ههنا بالالف لبيان المذهب الموافق بالياء لانه احسن في اللفظ واشهر ويوافقه سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل واسمعيل عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص واذ جعلنا وبابه مدغمة الذال في الجيم ابو عمرو وهشام بيتي بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص وهشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد الوقوف فاتمهن ط اماما ط ذريتي ط الظالمين وامنا ط لمن قرا واتخذوا بالكسر لاعتراض الامر بين ماضيين مصلى ط كذلك من فتح الخاء لتوالي الافعال الثلثة فلا وقف السجود واليوم الاخر ط عذاب النار ط لان نعم وبئس للمبالغة في المدح والذم فيبتدأ بهما تنبيها على المدح والذم المصير التفسير انه تعالى لما استقصى في شرح نعمه على بني اسرائيل والمشركين مقابلتهم النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع اخر من البيان وهو ذكر قصة ابرهيم ع لان كلهم معترفون بفضله وانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته وفي قصته امور توجب الاعتراف بدين محمد صلعم والانقياد لشرعه منها انه امر ببعض التكاليف ثم وفى بها فنال منصب الاقتداء به فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد والانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته فقيل له لا ينال عهدك الظالمين فيعرفون ان طالب الحق يجب ان يترك التعصب والمراء ويضع ما وضعه الله لينال رياسة الدين ومنها ان القبلة لما حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فارادوا ان يعظم بان هذا البيت قبلة ابرهيم الذي عرفوا بتعظيمه الاقتداء به ومنها انه دعا بارسال

بنى من ذريته وهو محمد صلعم كما يجيء فيجب على من يعرف بابرهيم ان يعرف بمحمد صلعم اما قوله واذ ابتلى العامل في اذ اما مضمر نحو واذكر فتكون بمعنى الوقت فقط او واذ ابتلا كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك للناس اماما وعلى هذين التقديرين تكون ظرفا لكان او قال او موقع قال على الاولين استينافا كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب قال اني جاعلك وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها من الايات ولا يخفى ان الاستيناف احوب ليناسب سياق الجملتين الاتيتين لورودهما ايضا على طريقة السؤال المقدر والجواب ليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال ابرهيم واذ يرفع والابتلاء الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها بالامر بامر المخلوقين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا ما يختبر ليعرف ما يكون من المامور والا فكيف يجوز حقيقة الابتلاء عليه تعالى مع انه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها سبيل التفصيل من الازل الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وزعم هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى كان في الازل عالما بحقائق الاشياء وماهياتها فقط واما حدوث تلك الماهيات ودخولها في الوجود فهو تعالى لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الاية وامثالها المذكور فيها الابتلاء وكلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفي القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه استحال ان لا يقع وما علم عدم وقوعه استحال ان يقع ولا قدرة على الواجب وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب ان الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه وانما المنافي للقدرة عليه كونه واجبا لذاته او ممتنعا لذاته ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء اذا زيد عليه واحد فالمجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد لو نقص من الاعداد التي لا نهاية لها وايضا المجموع عنده والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهي فاما الذي لا نهاية له ففرض هذه الاعراض فيه محال ومنها ان هذه المعلومات التي لا نهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلا او لا يعلم فان علم عددها فهي متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب والجواب الاختيار انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لها عدد في نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو متميز في الذهن عما عداه وكل ما هو متميز عما عداه خارج عنه وكل ما خرج عنه غيره فهو متناه وكل معلوم متناه فما هو غير متناه استحال ان يكون معلوما والجواب انه ليس من شرط المعلوم تميزه من غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا الا اذا علم امورا لا نهاية لها والحق ان نور الانوار لا يتناهى وراء ما لا يتناهى واحاطة غير المتناهي بغير المتناهي غير بعيد قد يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهي قوتنا ونور بيتنا هكذا فما ظنك بالعليم الخبير الذي هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه يسير ابرهيم بالنصب ربه بالرفع هو المشهور وهذه الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل وازالته عن مركزه الاصلي فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس وابي حنيفة رفع ابرهيم ونصب ربه فالمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه تعالى اليهن ام لا واختلف المفسرون في ان ظاهر لفظ الترتيل هل يدل على تلك الكلمات ام لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهي الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد صلعم فكل هذه تكاليف شاقة اما الامامة فلان المراد بها النبوة واعباؤها اكثر من ان تحصى ولهذا فان ثواب النبي اعظم من ثواب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده فمن وقف على ما روي في كيفية بنائه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان في الموقف كرمي الجمار وغيره واما الاشتغال لبعث نبي اخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك في غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من هذه الكلمات لو كان هذه لناسب ان يذكر قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع واجيب بانه اخبر ابتلاءه بكلمات على الاجمال ثم اخبر انه اتمها ثم فصل تلك الامور وهذا ترتيب في غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضايعا ولا نقطع النظم القائلون بان ظاهر الاية لا دلالة فيه على الكلمات زعم بعضهم انها الكلمات التي تكلم بها ابرهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامر ونواه فعن ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي عندنا سنة خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشرة في براءة التائبون العابدون الاية وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنين وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وابرهيم الذي وفى وقيل ما ذكره في قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التي جرت بينه وبين ابيه ونمرود وقومه وقيل الصلوة والزكوة والصوم وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجملة القول ان الابتلاء يتناول الزام كل ما في كلفة واللفظ يتناول مجموع هذه الاشياء وكل منها الا ان الكلام في الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على ان قيامه بهن كالسبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لم يعلم كونه مكلفا بتلك الا من الوحي والحق ان هذا يختلف باختلاف تفسير التكاليف فمنها ما يعلم بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الكوكب والشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها ما هو بصدد الاحتمال فقد يمكن ان يكون الى معرفته سبيل سوى الوحي كمنام او الهام والضمير في اتمهن على القراءة المشهورة لابرهيم ع بمعنى فقام

بهن حق القيام وادّاهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان وفي الاخرى الله تعالى اي اعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سأل ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم من
يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم والاكثرون على ان الامام ههنا النبي لانه جعله اماما لكل الناس فلو لم
يكن مستقلا بشرع كان تابعا لرسول فيبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على انه امام في كل شيء والذي يكون كذلك لا بد ان يكون نبيا ولان
الله تعالى سماه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي ان يحمل على اجل مراتب الامامة كقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا الا على من هو دون
من يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة والقاضي والفقيه وامام الصلوة ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه في عيون اهل الاديان كلها وقد
اقتدى به من بعده من الانبياء في اصول مللهم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وكفى به فضلا ان جميع امة محمد يقولون في صلوتهم
اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم ثم القائلون بان الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا بهذه الاية وامثالها من
نحو اني جاعل في الارض خليفة يا داود انا جعلناك خليفة ومنع بان الامام يراد به ههنا النبي سلمنا ان المراد به مطلق الامام لكن الاية تدل
على ان النص طريق الامامة وذلك لا نزاع فيه انما النزاع في انه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة في الاية على ذلك وفي الاية دليل
على انه عم كان معصوما عن جميع الذنوب لانه لو صدر عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به وذلك يؤدي الى كون الفعل الواحد ممنوعا
منه مندوبا اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق اي خلقهم الا ان العرب تركت همزها كما في البرية ويحتمل ان يكون منسوبا
الى الذر صغار النمل والضم من تغيير النسب كالدهري في النسبة الى الدهر ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال سأكرمك
فتقول وزيدا ولا يخفى ان من التبعيضية تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم لا يليق بذلك لان ناسا غير محصورين لا يخلو
من ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى امله فجعل في اولاده واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف
وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد افضلهم واشرفهم ولانه لم يطلب الامامة الا للبعض فكان
يكفي في الجواب نعم الا انه لم يكن صريحا في ان ذلك البعض من المؤمنين ام من الظالمين ولو قال ينال عهدي المؤمنين كان غايته ذلك خروج الظالمين
بالمفهوم لا بالنص فلمكان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدي الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها
على كل عهد عهد به الله تعالى الى بني ادم اذ لا رتبة اعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذا خرج الظالم
تعين الصالح للامامة بطريق برهاني وذلك ان دعاء مستجاب النبي فكل نبي مجاب لانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر
معنى ويحتمل ان يقال انه اراد الامامة لاولاده المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب اجيب سمعا فالطلبة بابلغ
معنى واتمه كما اذا قيل لمن اشرفا وصل بنيك بشيء فيقول لا يرث مني اجنبي اي كل ما يبقى مني فهو لابني فكيف اوصي له بشيء ولا يرد ان يونس نال
عهده مع انه ظالم سبحانك اني كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما في حق ادم ربنا ظلمنا انفسنا لا على الكفر والفسوق وقد
يستدل الامامية على ابطال امامة غير علي عم قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد
الامامة قالوا لا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعد زوال الكفر لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليه دائما ولهذا يسمى
النائم مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وايضا المتكلم والماشي حقيقة في مفهومهما مع ان اجزاء التكلم والمشي لا توجد دفعة
فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن في الحال الا انه كان
كافرا قبل بسنين متطاولة فانه لا يحنث وبان التائب عن المعصية لا يسمى عاصيا فكذا التائب عن الكفر فان قيل لعل هذا المانع شرعي هو تعظيم الصحابة
والمانع عرفي فهذا القدر يكفينا على انا بينا ان المراد من الامامة في الاية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسوق
لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل عاص ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر
خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد في كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر الم
اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان اي الم امركم لكن المراد في الاية لا يمكن ان يكون ذلك فان اوامره تعالى لازمة للظالمين كما للمطيعين
فثبت ان المراد كونهم غير مؤتمنين على اوامر الله وغير مقتدى بهم فيها قال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي ان يكون حاكما ولا ينفذ
احكامه اذا ولي الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبي ولا فتياه اذا افتى ولا يقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدى به لم يفسد صلوته قال
ابو بكر الرازي من الناس من ظن ان مذهب ابي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطأ عظيم انه قال
القاضي كان عدلا في نفسه وتولى القضاء من امام جائر فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جائزة لان الذي ولاه بمنزلة سائر اعوانه وليس من
شرط اعوان القاضي ان يكونوا عدولا الا ترى ان اهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا
اعوانا له على من امتنع من قبول احكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز ان يدعى ذلك على ابي حنيفة وقد
اكرهه ابن هبيرة في ايام بني امية على القضاء وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما خيف عليه قال الفقهاء





ابل له شيئا من عمله اي شيء كان حتى يزول عنك الضرب فتولى له عد احمال اللبن الذي يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى عد له اللبن الذي
الذي كان يضرب لسور المدينة وذلك انه كان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد اجره لما فعلت وقصته في زيد بن علي
مشهورة وحمله المال اليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه وكذلك امره مع محمد وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن وفي الاية انذار بليغ وتخويف
شديد عن وخامة عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه محيط اولا عن رتبة النبوة لا ينال عهدي الظالمين وثانيا عن درجة الولاية الا لعنة الله على الظالمين وثالثا
عن رتبة السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وخامسا
عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله در القائل شعر لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا : فالظلم اخره ياتيك بالندم : تنام عينك
والمظلوم منتبه : يدعو عليك وعين الله لم تنم و لاخر شعر مرتع ظلم الورى وخيم : يا صاحب التاج الجيد : لا تظلم الناس واخش نارا : وقودها
الناس والحجارة : ايحسب الظالم في ظلمه : اهمله القادر ام امهلا : ما اهملوا بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا : اتلعب بالدعاء وتزدريه
وما يدريك ما صنع الدعاء : سهام الليل لا تخطي ولكن : لها امد وللامد انقضاء واعلم ان عهد الله الذي اخذ على عباده هو بالحقيقة عهد العبودية
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي التزمه لعباده هو عهد الربوبية ربكم ورب ابائكم الاولين ثم انه تعالى لا يزال يلاحظك نظر
الربوبية فيربيك ويربيك بعد نعمة الوجود يعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وانك لا تنفك عن تقصير ونسيان وجهل وعدوان وايذاء لملائكة الله وعبيده وارضاء لحزب الشيطان وجنوده فيا ايها المغرور ما هذا
النقصان فان الى الله المصير وما للظالمين من نصير قوله واذ جعلنا البيت تقرير تكليف اخر والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء
التي كانت في الاصل للجنس ثم كثر استعماله في واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولا بد ان يكون وقت استعماله
لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ويسمى بالعلم الاتفاقي ولهذا لزمت اللام في مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصار
كبعض حروفه الا انه تعالى لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة ثابتة بسبب الكعبة
نفسها ومثله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد
والله اعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل ان يكون المراد جعلنا البيت سببا لامن من دخله وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول
يكون معنى امنا موضع امن كقوله حرما امنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التاء للمبالغة
كعلامة عن الحسن اي يثوبون اليه كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابرهيم واجعل افئدة
من الناس تهوي اليهم وقيل مثابة اي يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان فعل العبد مخلوق لله او بان الله
القى تعظيمه في القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته
امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ثم ان قطان الخافقين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم
فيه النفع لمن اراد ولا شك ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا خبر فتارة نتركه على ظاهره فنقول انه خبر بان يكون حرما امنا يجبى اليه
ثمرات كل شيء لا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه اصلا فان الموجود بخلافه فقد يقع فيه قتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة نصرفه عن ظاهره ونقول انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع امنا من الغارة و
القتل قال ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب الشافعي الى ان المعنى انه لم تحل
لاحد ان ينصب الحرب عليها ان ذلك حل لرسول الله فاما من دخل البيت من الذين وجب عليهم الحد فقال الشافعي ان الامام يامر بالتضييق
عليه بما يؤدي الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد في الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل في الحرم جاز قتاله فيه وعند ابي حنيفة لا يستوفى قصاص
النفس في الحرم الا ان يبتدئ القتل فيه ولكن يضيق الامر عليه ولا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل وسلم انه يستوفى منه قصاص الطرف وعند احمد
لا يستوفى من الملتجي واحد من القصاصين ولو التجأ الى المسجد الحرام قال الامام او مسجد اخر يخرج منه ويقتل لانه تأخير يسير وفيه صيانة المسجد بعجل القول
واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا اي اتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه باسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها و
على هذا المراد بالمصلى القبلة واما من قرأ بالكسر على الامر فعلى ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفي
مقام ابرهيم اقوال فعن الحسن وقتادة والربيع بن انس انه لما جاء ابرهيم من الشام الى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى نغسل راسك فلم ينزل لانه كان
شرطت عليه ان لا ينزل غيرة على هاجر فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى
غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان ابرهيم كان يبني البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابرهيم
عن رفع الحجارة قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذي قام عليه ابرهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل ان يكون ابرهيم قام على
هذا الحجر في هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابرهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى من الصلوة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة ومزدلفة
والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا بها والقول بان مقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه اولى لان هذا الاسم في العرف مختص بذلك الموضع يعرفه المكي

وغيره ولان الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حتى غاص فيه رجله وذلك من اظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابرهيم وكان ابتداء اختصاصنا فاملا مقام ابرهيم عليه ولما روى عن النبي انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى ومن هذه تجريدية على نحو رايت منك اسدا ووهب الله لي منك وليا مشفقا ففيه بيان المتخذ والمرئي والموهوب بتميزه في ذلك المعنى عن غيره ولا ريب للصلوة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابرهيم وركعتا الطواف خلف المقام ثم في الحجر ثم في المسجد اي مسجد كان حيث شاء متى شاء ليلا او نهارا سنة عند الشافعي في اصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله للاعرابي حين قال هل علي غيرها لا الا ان تطوع وفي قوله الاخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن ابي حنيفة انه مختلفة وعهدنا المراد بالعهد هنا اي الزمنا هما ذلك وامرناهما امرا وثقنا عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه اي طهرا والمراد التطهير من كل امر لا يليق بالبيت ماس الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى وامان من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص كل هذه اما ان لا يكون موجودة هناك اصلا والمراد ابقاؤه على طهارته كقوله لهم فيها ازواج مطهرة فمعلوم انهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما ان يكون موجودة فامر بازالتها وقيل عرفا الناس ان يبنى لهم بيتا متى توجهوا للطائفين الى اخره العطف يقتضي مغايرة فالطائف من يقصد البيت حاجا ومعتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور ويعتكف والركع السجود جمعا راكع وساجد اي من يصلي هناك وعن عطا اذا كان طائفا فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات للمصلي ولعل الوجه الاول ولئلا يكون الركع السجود كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا قرن الطائفين بالغرباء دلت الاية على ان الطواف للغرباء افضل من الصلوة ولانه تم مدحهم بذلك تقدم وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء ان الطواف لاهل الامصار افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفي اطلاق الاية دليل على جواز الصلوة في البيت فرضا كانت او نفلا خلافا لاحمد ومالك في الفريضة فالا فول وجهك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل الى جزء من اجزائه واجيب بان التوجه الى جزئه كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبان الفرق بين الفرض والنفل لا غير قوله تعالى واذ قال ابرهيم قبل في الاية تقديم وتاخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا امنا لا يمكن الا بعد دخول البلد في الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متاخرا في التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت في ترتيب القصة فوائد منها انه اجمل القصة في قوله واذ ابتلى الى فاتمهن ثم فسر في التفسير قدم الاهم فالاهم ولا ريب ان ذكر جعل ابرهيم اماما اولى بالتقديم لعموم نفعه للخلايق ولتقدمه في الوجود ايضا ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس وامنا لانه المقصود من عمارة البيت ثم حكاية عمارة البيت وقد حصل في ضمن رعاية الاهم فوائد اخر منها انه كما كان مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من اجزائها ايضا كذلك فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا مجمل ثم فسر بان جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابرهيم وذكر البيت اولا وقع مجملا ثم فسر بانه كيف بنى ومنها انه وقع ختم الكلام بادعية ابرهيم ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين هذا ترتيب لا يتصور احسن منه ولعل ما فاتنا من اسرار هذا الترتيب اكثر مما احصينا هذا بلدا امنا ذا امن مثل عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا امنا على التنكير وفي سورة ابرهيم هذا البلد امنا لان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا فكانه قال اجعل هذا الوادي بلدا امنا وذلك الدعاء صدر وقد جعل بلدا فكانه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته بلدا بلدا ذا امن واما الان الدعوتين هذا البلد امنا ففيه طلب الامن فقط قيل سأل الامن من القحط لانه اسكن اهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده تكرارا واجيب بان التوسعة في الرزق مغايرة لطلب ازالة القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه فجعله امنا من الافات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل وقتل ابن الزبير الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة وقصد اهلها بكل سوء واجيب بان مقصوده لم يكن تخريب الكعبة نفسها وانما كان غرضه شيئا اخر ومن الثمرات من للابتداء لا التبعيض بدليل قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء وانما سأل ابرهيم الامن وان يجلب اليه الثمرات لانه كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان امنا ذا خصب تفرغ اهله لطاعة الله تعالى ويكون سببا لاجتماع الناس واتيانهم اليه من كل اوب زائرين وعاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح للرجل الصالح واختلف في ان مكة هل كانت امنة محرمة قبل دعوة ابرهيم وانما صار ذلك مؤكدا بدعائه فقيل نعم لما روي عن النبي ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صار محرما امنا بدعوته وقبلها كانت كسائر البلاد بدليل قوله اني حرمت المدينة كما حرم ابرهيم مكة وقيل بالجمع بينهما وذلك انه كان ممنوعا قبله من تعالى بما وقع في النفوس من التعظيم ثم صار امنا على السنة الرسل ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث منع هناك بين المؤمن والكافر فقيل لا ينال عهدي الظالمين فعرف الفرق بينهما فقيل ومن كفر عطفا على من امن كما في ومن ذريتي او هو مبتدأ مضمن معنى الشرط جوابه فامتعه ذلك ان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للرعي فيؤدي عن الله امره ونهيه ولا ياخذه في الدين لومة لائم ولا سطوة جبار ظالم وابعد الناس عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب فقد ظلم واما الرزق فلا يقبح ايصاله الى المؤمن والكافر والصالح والفاجر لعموم الرحمة ولا سيما ويكون استدراجا للكافر والزاما للحجة عليه انه متاع قليل وامد يسير فما بين





والابد قليلا اي متاعا او تمتيعا قليلا او زمانا قليلا فنعمة المؤمنين في العاجل موصولة بنعيمهم في الاجل ونعمة الكافر منقطعة عنهم بعد الموت والزايل لا يجدي بطائل افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل بهما يلجئه الى النار كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا الى جهنم او ان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد الى ان يفعل ذلك الفعل الجاء كالمضطر الى اكل الميتة مثلا وبئس المصير ذلك الذي صار اليه وذلك الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصيرورة يقال صرت الى فلان مصيرا واما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والله اعلم ‌واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون

القراءة ارنا وما يشاكله الراء ابن كثير ويعقوب قياسا على كتفه اذ لكن فيقال فخذ وقرا ابو عمرو بالاختلاس طلبا للخفة وهذا من الاجحاف ويعلمهم بالاختلاس عباس كذلك كل فعل مستقبل مجموع حيث وقع وروي عن ابن عباس يكلمنا وبعدنا وكل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس مثل في اعينكم واسلحتكم وامتعتكم واوصى مع الالف ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون وصى مع التشديد شهداء اذ عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون شهداء بذ كذلك كل ما اشبهه كل القران الوقوف اسمعيل ط لاضمار القول اي يقولان ومحل نصب على الحال منا ط للابتداء بان ولجواز الوصل وجه لطيفة على تقدير فانك او لانك العليم مسلمة لك ص لعطف المتفقتين علينا ط لعدة كذا الرحيم ويزكيهم ط الحكيم نفسه ط للفصل بين الاستفهام والاخبار في الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين اسلم ط لان قوله قال عامل اذ والاجنبي يقال نقال في لا انقطع النظم العالمين يعقوب ط لارادة القول على الاصح ومن وصل جعل الوصية في معنى القول مسلمون ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت لا لان اذ بدل من اذ الاولى واذ الاولى ظرف شهداء واذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها عن الاول توقف على الموت جعل قالوا عاملا ولم يقف على بعدي فله وجه يتضح لان الانكار متوجه على قولهم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قد مات من بعدي ط واحد ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل اجوز على جعل الواو حالا مسلمون قد خلت ج لان ما بعدها تصلح صفة للامة وتصلح استينافا وهو واضح لعطف ولكم ما كسبتم ج لعطف الجملتين المختلفتين يعملون التفسير عن وهب منبه قال ان ادم لما اهبط الى الارض استوحش منها لما راى من سعتها ولانه لم ير فيها احدا غيره فقال يا رب ما لارضك عامر يسبح فيها ويقدس لك غيري فقال الله اني ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي واجعل فيها بيوتا ترفع لذكري وسابوئك منها بيتا اختاره لنفسي واخصه بكرامتي واوثره على بيوت الارض كلها باسمي واسميه بيتي انطقه بعظمتي واحوطه بحرمتي واجعله البقعة التي اخترت لنفسي فاني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض اجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما امنا احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم حرمتي ومن احله فقد اباح حرمتي ومن امن اهله استوجب بذلك اماني ومن اخافهم فقد اخفاني ومن عظم شانه فقد عظم في عيني ومن تهاون به فقد صغر في عيني ولكل ملك حيازة ويكون واديها حوزتي ودواره حجاري وانا الماوي جعله اول بيت وضع للناس واعمره باهل السماء والارض ياتونه افواجا شعثا غبرا على كل ضامر ياتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجا ويثجون بالتلبية ثجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ووفد علي ونزل بي فحق علي ان اتحفه بكرامتي وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره وان يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا ادم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم في القرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبي حتى ينتهي ذلك الى نبي من ولدك يقال له محمد هو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته يكون امينى عليه ما دام حيا فاذا انقلب الي وجدني وقد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الي والوسيلة عندي واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده وسناه ومكرمته لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو ابوه يقال له ابرهيم ارفع به قواعده واقضي على يديه عمارته واعلمه مشاعره ومناسكه واجعله امة واحدة قانتا قائما بامري داعيا الى سبيلي اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر واعافيه فيشكر وامره فيفعل وينذر لي فيفي واستجيب دعاءه

فى ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت حجابته وسقايته وخدمته وخزانته وحجابته حتى يبدلوا ويغيروا واجعل ابرهيم امام ذلك البيت واهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس وروى ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقى وغربى وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه آدم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وعن على ان البيت المعمور بيت فى السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته فى السماء كحرمة البيت فى الارض يصلى فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمرو ان النبى صلعم قال الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاء ما بين المشرق والمغرب ما مسهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفى وعن ابن عباس كان اشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة اسمعيل عم فعن ابى هريرة ان رسول الله صلعم قال لم يكذب ابرهيم عم الا ثلث كذبات ثنتين فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة فى شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فاخبريه انك اختى فانك اختى فى الاسلام فانى لا اعلم فى الارض مسلما غيرى وغيرك فلما دخل ارضه رآها بعض اهل الجبار فاتاه فقال لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغى لها ان تكون الا لك فارسل اليها فاتى بها وقام ابرهيم الى الصلوة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدى ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت يده اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك ففعلت فعاد فقبضت يده اشد من القبضتين الاولين فقال ادعى الله ان يطلق يدى فلك الله ان لا اضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذى جاء بها فقال له انك انما اتيتنى بشيطان ولم تأتنى بانسان فاخرجها من ارضى واعطها هاجر قال فاقبلت تمشى فلما رآها ابرهيم انصرف فقال لها مهيم فقالت خيرا كفى الله يد الفاجر واخدم خادما قال ابو هريرة فتلك امكم يا بنى ماء السماء قلت وذلك ان هاجر كانت لسارة فملكها ابرهيم فولدت له اسمعيل ابا العرب ثم ان القصة بعد ان غارت سارة على هاجر حيث لم يكن لسارة من ابرهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل باربع عشرة سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس اول ما اتخذت النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به انيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم عم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال رَبِّ إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ حتى بلغ يَشْكُرُونَ وجعلت ام اسمعيل ترضع وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلعم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبى صلعم يرحم الله ام اسمعيل لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى اسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا واخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا ان ننزل عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى صلعم فالفى ذلك ام اسمعيل وهى تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهاليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت اليه قال فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته وسألنى كيف عيشنا فاخبرته انا فى جهد وشدة قال فهل اوصاك بشئ قالت نعم امرنى ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابى وقد امرنى ان افارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابرهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغى لنا قال كيف انتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألنى عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشئ قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابى وانت العتبة امرنى ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا ما يصنع الوالد





يا اسمعيل ان الله امرنى بامر قال فاصنع ما امرك قال وتعيننى قال واعينك قال فان الله امرنى ان ابنى بيتا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتى بالحجارة وابرهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء ابرهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وعن على عم انه مر عليه الدهر بعد بناء ابرهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم فبناه جرهم ومر عليه الدهر فانهدم فبناه قريش ورسول الله صلعم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا يحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلعم اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر فى مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلعم فوضعه اعلم ان للبيت اربعة اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقى وغربى فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلعم بعشر سنين فاعادت قريش عمارته على الهيئة التى هى عليها اليوم ولم يجدوا من النذور والهدايا والاموال الطيبة ما يفى بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابرهيم عم وضيقوا عرض الجدار من الاسود الى الشامى الذى يليه فبقى من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذى يسمى الشاذروان وروى انه صلعم قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابرهيم فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه ايام ولايته وبناه على قواعد ابرهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده على الصورة التى هو عليها اليوم وهى بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس والاصل لما فوقه وهى صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بنى عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذى يبنى عليه ويوضع فوقه فرفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع ساف فوق ساف فقد رفعها وظاهر الآية يدل على ما ذهب اليه الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة وان ابرهيم رفعها كما مر فى الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت ليكون الكلام مبنيا على التبيين بعد الابهام ففيه تفخيم لشان المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلثة انواع من الدعاء فى تلك الحالة الاول قولهما تَقَبَّلْ مِنَّا وقبول الله عمل العبد عبارة عن كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى ويثيب عليه والاول اشد عند العارفين من الثانى شبه العمل من العبد بالهدية واثابة الله تعالى عليه رضا بها بالقبول وقيل ان بين القبول والتقبل فرقا فالتقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل فاختير التقبل هضما وتواضعا واستقصارا وقد يستدل بهذا على ان الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه والا لم يكن فى طلبه فائدة ويحتمل ان يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الاعمال المقرونة بالاخلاص فيكون طلب القبول عبارة عن ذلك ويؤكده قولهما إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ يعنى سماع اجابة العليم بنياتنا النوع الثانى رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ فان اريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام اى ثبتنا على تلك الاركان بتحصيل الحاصل بالنسبة اليهما وقت ذوان اريد الاستسلام والخضوع والاذعان الكلى والرضا بكل ما قدر وامر فتوجه الطلب الى هذه الامور انفسها غير مفيد لانها امور خارجة عن الضبط لا يتيسر الا بمجرد تيسير الله وتوفيقه بخلاف اصل الاسلام الذى وقع به التكليف فانه منوط بالاختيار وقد يظن ان للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهى الى مسبب الاسباب قوله وَاجْعَلْنَا اما معطوف على تقبل وقوله إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا اعتراض للتأكيد واما معطوف على محذوف اى ربنا افعل هذا واجعلنا ومن فى ذريتنا للتبعيض كما فى قوله ومن ذريتى والامة الجماعة من الناس وقيل اراد امة محمد صلعم مسلمة يحتمل ههنا اصل الاسلام والزيادة عليه وقيل سلم مطلقا يفيد الايمان والاعتقاد ومعدى باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلى طلبا الاسلام لهم بعد ما طلبهم الامامة اظهار للشفقة فالشفيق بسوء الظن مولع ويحتمل ان يكون هذا الدعاء بيانا لما اجمل هناك فيكونان واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلائق لانهم احق بالنصيحة وانذرهم قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ولانهم ائمة بصلاحهم يصلح غيرهم وفى سدادهم يكون سداد من وراءهم ولقد استجاب الله دعاءه فلم يزل فى ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ولم يزل الرسل من ذرية ابرهيم وقد كان فى الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلعم على دين الحق قائلين بالابداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا يأكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان وارنا ان كان منقولا عن رؤية العلم فمعناه علمنا ان شرائع حجنا كيف هى اذ امرتنا ببناء البيت لنحجه وندعو الناس الى حجه وان كان منقولا من رؤية البصر وهو الظاهر فلذلك لم يتجاوز مفعولين فالمعنى بصرنا متعبداتنا فى الحج قال الحسن ان جبرئيل ارى ابرهيم المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال يا ابرهيم أعرفت ما اريتك من المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر اراد ان يزور البيت عرض له ابليس يسد عليه الطريق فامره جبرئيل ان يرميه سبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له فى اليوم الثانى والثالث والرابع كل ذلك يأمره جبرئيل برمى الحصيات وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا وليس ببعيد فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على معنييه معا وكذلك مدلولا الحقيقة والمجاز يصح ارادتهما معا من لفظ واحد كالعقد والوطى عن النكاح غاية ما فى الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل المناسك على المذابح فقد يسمى الذبح للتقرب نسكا والذبيحة نسيكة وليس لهذا التخصيص وجه لان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فتحمل المناسك على جميع اعمال الحج ولهذا قال صلعم خذوا عنى مناسككم لا لفاكم بعد عامى هذا بل لا يبعد ان يحمل على جميع ما شرع الله لابرهيم اى علمنا كيف نعبدك ومتى واين نعبدك وبماذا نتقرب

اليك حتى تخدمك بذلك خدمة العبد لمولاه وتب علينا التوبة عنها محمولة على ما عسى ان يكون فرط منهما من الصغاير عند من يجوزها على الانبياء
على ترك الاولى ونحو ذلك عند غيرهم ويمكن ان يكون التوبة منهما تصويرا لانفسهما بصورة النادم العازم على التجرد تشددا في الانصراف عما لا يليق
بهما قال ص يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة ايه لعلهما المسئلة بالذرية لعلمهما بان فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين
وذلك لغاية شفقتهما عليهم وباقي مباحث التوبة قد مر في قصة ادم فليتذكر النوع الثالث ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وفيه امران الاول ان
يبعث في تلك الامة رسولا يبين لهم الشرع القويم ويبهج الصراط المستقيم والثاني ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل
اليهم كانوا جميعا من ذريته كان ربته اجل ولانه اذا كان منهم عرفوا منهم مولده ومنشاه فيقرب الامر عليهم في معرفة صدقه وامانته ولانه
اذا كان منهم كان احرص عليهم واشفق من اجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول فهو محمد ص باجماع المفسرين وهو حجة ولقوله تعالى في موضع اخر لقد
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ولقوله ص انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي اما الدعوة فهذه واما البشارة فقوله تعالى في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد واما الرؤيا فامارات امنة وهي حامل انه خرج منها نور اضاء ما بين الخافقين وههنا نكتة وهي ان الخليل لما دعا الحبيب بقوله ربنا وابعث
فيهم رسولا فلاجرم قضى الله تعالى حق الحبيب للخليل بان اجرى ذكره على السنة امته الى يوم القيمة يقولون في صلوتهم اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت
على ابرهيم وال ابرهيم ولهذا الذكر مناسبات اخر منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي ابق لي ثناء حسنا في امة
محمد ص فاجابه الله تعالى وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابرهيم ابو الملة ملة ابيكم ابرهيم ومحمد ص ابو الرحمة بالمؤمنين رؤف رحيم النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد لولده يعني في الرافة والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بين ذكرهما في الصلوة ومنها ان ابرهيم منادي الشريعة
واذن في الناس بالحج ومحمد منادي الدين سمعنا مناديا ينادي للايمان ومنها انه كان اول الانبياء بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبياء ورسول
اخر الزمان ومنها ان الخليل تبرا عن سائر الاديان اني بريء مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابرهيم
ذكر لذلك الرسول صفات اولها يتلوا عليهم اياتك فهو الفرقان المتلو عليهم وجميع ما بلغه من دلائل التوحيد وغيره او تبليغ القران وثانيها
وثانيها ويعلمهم الكتاب معانيه وحقائقه وذلك ان التلاوة وان كان مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا عن
التحريف ولان لفظه ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة ولا سيما في الصلوات الا ان الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام
وثالثها قوله والحكمة ويعلمهم الكتاب والحكمة اي ويعلمهم الحكمة قيل هي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا من اجتمع فيه الامران فيضع
كل شيء موضعه ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية ويناسبه قوله ص تخلقوا باخلاق الله وعن ابن وهب قلت
لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة والشافعي انها سنة رسول الله ص لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه ثم
عطف عليه الحكمة فيكون شيئا خارجا عنهما وليس ذلك الا سنة الرسول فان الدلائل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة وما يتلوهما مستقلة
بالفهم فحمل اللفظ على ما لا يستفاد الا من الشرع اولى وقيل الفصل بين الحق والباطل من الحكم وقيل المراد بالكتاب الايات المحكمات وبالحكمة المتشابهات
وقيل هي ما في احكام الكتاب من المصالح ورابعها ويزكيهم لان كمال حال الانسان بامرين التحلية والتخلية فكما يجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليتحلى المتعلم
بها يجب عليه التحذير عن سمات النقصان ليتجرد عنها وذلك نحو ما يفعله النبي ص سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ
والتذكير والتشبيه بامور الدنيا والتقوى لهادوا عيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اوتي مكارم الاخلاق وقيل
يزكيهم يطهرهم عن الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيمة ويكون الرسول
عليكم شهيدا وعن ابن عباس التزكية هي الطاعة لله والاخلاص انك انت العزيز القادر الذي لا يغلب الحكيم العالم الذي لا يفعل الا على وفق المصالح
واذا كان كذلك صح منه اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب ومن يرغب الاستفهام فيه لتقرير النفي اي لا يرغب احد يقال رغب عن الامر
اذا كرهه ورغب فيه اذا اراده ومحل من نصب الرفع على البدل من الضمير في يرغب وذلك انه غير موجب مثل هل جاءك احد الا زيد وسفه ما متعديه
معنى سفه نفسه امتهنها واستخفها واصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمط الناس لانه اذا رغب عنه غاقل قط فقد بالغ في
ازالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جهل نفسه فلم يفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من اثار الصنع على وحدانية
الله تعالى وعلى صحة نبوة محمد ص وعن ابي عبيدة اهلك نفسه او بقها وقيل اضل نفسه ومالازم فمعناه سفه في نفسه فحذف الجار نحو زيد ظني مقيم
اي في ظني وقيل نصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه هذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى
ومشركي العرب وتعجيب مما لهم فان اعظم مفاخرهم وفضائلهم الانتماء الى ابرهيم ثم انهم لا يؤمنون بالرسول الذي هو دعوته ومطلوبه بالتضرع
والاخلاص فان قيل ملة ابرهيم عين ملة محمد في الاصول والفروع او هما متحدتان في الاصول كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنهما
مختلفتان في فروع الاعمال ولا سبيل الى الاول والا لم يكن شرع محمد ص ناسخا لسائر الشرايع ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد ابتع واعتبار
ملة ابرهيم لان الاعتراف بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد ص قلنا المختار اتحاد الملتين في الاصول فقط لكن نبوة محمد ص من جملة الاصول



التي مهدها ابرهيم والمراد بملة ابرهيم في الاصول التي لا يختلف باختلاف الاعصار وكان الدعوة فلا يلزم ان يكون محمد اتباعا منها الا انه امر باتباعها ثم اوحينا اليك ان اتبع
ملة ابرهيم حنيفا روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في التورية اني باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ثم انه تعالى لما سفه من رغب
عن ملة ابرهيم بين السبب في ذلك فقال لقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه للرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل
والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال منزلة الخلة وانه في الاخرة لمن الصالحين فيلزمه ما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليتحقق كل ذي
لب ان الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا راي له والله الموفق ثم بين سبب الاصطفاء فاعمل اصطفينا فيه فقال اي اخترناه في ذلك
الوقت ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة
مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولا الالتفات لكان حقه ان يقال اذ قلنا له والاكثرون على انه تعالى قال له ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك
عند استدلاله بالكواكب والقمر والشمس واطلاعه على امارة الحدوث فيها فلما عرف ربه قال له اسلم فانه لا يجوز ان يقول له قبل ان عرف ربه و
يحتمل ان يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فجعل دلالة البرهان كلاما ويحتمل ان يكون هذا بعد النبوة والمراد استقامته على الاسلام وثباته عليه كقوله
فاستقم كما امرت والمقصود الانقياد لاوامر الله تعالى والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعراض بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة القلب
والاسلام صفة الجوارح وان ابرهيم كان عارفا بالله تعالى بقلبه فكلفه الله تعالى بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع بل
بالكل قصص ابرهيم اشارة الى ان طريق عرفانه النظر في المربوبات فلاجرم وصل الى الرب وطريق عرفان محمد ص عكس ذلك الترتيب فلاجرم بدا من الله
فاعلم انه لا اله الا الله والاول طريق حسن سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق لكن الطريق الثاني احسن اولم يكف بربك انه على
كل شيء شهيد ومن ههنا يعرف كلمة محمد ص شعر واني وان كنت الاخير زمانه لات بما لم يستطعه الاوائل فالف ابرهيم دلالة على استقامة سيرته
وميم محمد دليل على انه مكمل الاوضاع وبه ابتداء الامر حيث انتهى فتمت دائرة النبوة وحصلت الخاتمة وكان الف ابرهيم دليل على وجود الاستقامة
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالف ابليس دليل عدم الاستقامة الا ابليس ابى واستكبر والوجود خير والعدم شر فحصل من خلط
الخير مع لام الابتداء واذ ابتلى ابرهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابرهيم خليلا ومن شين الشرع دال الدوام على الكفر كان من الكافرين
اسم الشدة وللكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل بين الشيئين ومنه الخلال فلاجرم كان ابرهيم واسطة في الطريقة
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا والمحبة ماخوذة من الحبة وهو خالص كل شيء وداخله ومنه حبة القلب فلاجرم كان محمد ص خاتم النبيين وحبيب
رب العالمين وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك اول الفكر اخر العمل اول ما خلق الله تعالى نوري اول من ينشق عنه
القبر ادم ومن دونه تحت لوائي انا سيد المرسلين ولا فخر محمد ص ابو الحقيقة وان كان ابرهيم ص ابا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات
اقوى من الطريقة لاجرم وقع الصلوة على ابرهيم في الصلوة تبعا للصلوة على محمد اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وان الصلوة
لا تصح بدون الصلوة على محمد بخلاف الصلوة على غيره ولنعد الى ما كنا فيه ووصى التوصية من جملة الامور المستحسنة التي حكاها الله تعالى عن ابرهيم
اوصيته بكذا ووصيته بمعنى واصله من وصيت الشيء بكذا بالتخفيف اذا وصلته اليه وارض واصية متصلة النبات فالموصي يصل القربة الحاصلة له
بعد الموت الى القربات الحاصلة له في الحيوة ويحمل الموصى على هذا الوصل بسبب الوصية والضمير في بها قيل يعود الى الكلمة او الجملة وهي اسلمت
لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقيل الاولى ان يرجع الى الملة
لانها مذكورة صريحا في قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم ولان الوصية بالملة جامعة لجميع اسباب الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها
اللهم الا ان يحمل الاسلام على الانقياد الكلي وفي الاية دقايق منها عبرة في قبول الدين منها انه لم يقل وامرها لان الوصية عند امارات الموت وعند
ذلك يكون الاهتمام بالامور اشد منها خص بنيه بذلك في اخر عمره مع انه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل على انه لا شيء عنده اهم من
ذلك منها التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان ومكان ولم يخلطها بشيء اخر ثم لهما امر ان يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلائل شدة
الاهتمام بالمامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك ووصى بها يعقوب بنيه وقرئ يعقوب بالنصب
فمعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب قائلا كل منهما يا بني اصله يا بنون فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار الواو ياء
وادغم الياء في الياء ان الله اصطفى لكم الدين استخلصه واختاره لكم بان اقام عليه الدلائل الواضحة ودعاكم اليه ومنعكم من غيره ووفقكم
للاخذ به فلا تموتن فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وانت خاشع لانهاه عن نفس الصلوة ولكن عن ترك
الخشوع في صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلاة ومثله قوله ص لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه في قوة
قوله لجار المسجد لا تصل الا في المسجد فكانه موتهم لا على حال الاسلام موت لا خير فيه لانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا الموت ان لا يحل
فيهم ام كنتم شهداء يحتمل ان يكون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار لمجرد الحضور عنده فائدة والخطاب للمؤمنين اي ما كنتم حاضرين حين

احضر يعقوب وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي او لاهل الكتاب المعاصرين كانه قيل لهم كيف تزعمون ان ما انتم عليه دين الرسل ولم تشهدوا وقت
الانبياء ولو شهدتم ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم لظهر لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنفي وعنتم في دين محلة ويحتمل كون ام متصلة
على ان يقدر قبلها محذوف معناه اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت قيل اي ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا
مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد ودين الاسلام فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وفيه نظر لان ام المعادلة لاحد الامرين كاين
فيها فقط فان كان الحضور ثابتا لم تكن الدعوى ثابتة لكنها ثابتة ولهذا توجه الانكار عليها فالوجه ان يقال المراد الحضور غير ثابت لتطاول الزمان
فاذن دعوتهم يهودية الانبياء دعوى بلا دليل فلا تسمع على انه نص على بطلانها بقوله اذ قال لبنيه الى آخره ويتجه على هذا التقدير ان تكون ام منقطعة
كانه استفهم اولا على سبيل الانكار اي لم تدعون ثم استأنف استفهاما ثانيا للتقرير للنفي اي ما كنتم شهداء او للتقرير للاثبات على ان اوائلهم
تشهدوا فيكون مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام لاولي العلم وغيرهم ومن مختص باولي العلم ولهذا قال العلما
من لما يعقل ومن خصص ما بغير اولي العقل قال المراد السؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب وروي ان يعقوب لما دخل مصر
رأى اهلها يعبدون الاوثان والنيران فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك بعبادة الله لا انهم كانوا
يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك ولان المشهور من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين ابرهيم واسمعيل
واسحق عطف بيان لآبائك قدم اسمعيل لانه اسن وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العرب تجعل العم والخالة اما لانخراطهما في سلك واحد
هو الاخوة قال عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابرهيم وهو جده فعن الشافعي
انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد اليه ذهب مالك وابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد
وقال ابو حنيفة انه حقيقة وانهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطا ثم التعليمية قالوا الطريق الى معرفة
الله تعالى الا بتعليم الرسول او الامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده وآباؤك يعبدونه فدل
على ان طريق المعرفة هو التعليم واجيب بمنع دلالة الآية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات
الله وبيان ذلك وايضا انه اقرب الى سكون نفس يعقوب فكانهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته
ايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود آبائك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم والها واحدا بدل من اله آبائك
مثل بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص للمدح ونحن له مسلمون مذعنون او مخلصون التوحيد ومحله النصب حالا من فاعل
نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير اليه ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد او جملة معترضة مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي
ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون امة قد خلت مضت وانقرضت والغرض انه لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قيل لها ما كسبت اي ثوابه وبدلها
انتقصت عليكم اخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوه فان انتم فعلتم ذلك
فزتم كما فازوا وان ابيتم خسرتم انتم دونهم ولا تسئلون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب اليهود
حيث قالوا انهم يعذبون اياما معدودة لكفر آبائهم باتخاذ العجل وفي الآية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الآباء قال صلى الله عليه وسلم يا صفية
عمة محمد يا فاطمة بنت محمد ائتوني يوم القيمة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم الآية تدل
ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا لانه لو كان موجدا لافعاله لكان
عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولما وقع الا ما اراده العبد ليس كذلك بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي
حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى فاذا خلقه فيه استحال من العبد
ان لا يتصف به واذا لم يخلقه فيه استحال ان لا يتصف به فاي معنى لكون العبد قادرا عليه وايضا الذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة
الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا له وان وقع بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بالخلاف فبقي ان يكون بقدرة
العبد وعن القاضي ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد وضعف
بان المحرم من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فعين المنهي عنه قد خلقه الله فيه وهذا
تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان
قدرة الله مستقلة بالتاثير ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي
وضع الاسباب المؤدية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان
به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة ان القدرة مع الداعي لا يوجب الفعل بل العبد قادر
على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذا اقرب المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الادب وقول
امام الحرمين اقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا تنافي كون ذلك المؤثر مستندا الى اثر آخر بعيد ثم الى بعد الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب

وفاعل الكل



وفاعل الكل ومبدأ المبادي والبك الاختيار بعقلك دون هواك التأويل من قوله واذ ابتلى الابتلاء للولاء كاللهب للذهب فاصدقهم ولاء
اشدهم بلاء وابتلى الخليل بكلمات هي احكام النبوة الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المال و
الولد وجنايات الخلة التبري عما سوى الخليل اني بريء مما تشركون وعداوة الخليل فانهم عدو لي الا رب العالمين ورفع الوسائط حين قال له
جبرئيل في الهواء هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا والتسليم اسلمت لرب العالمين والرضاء بما امر به من ذبح الولد فلما اسلما وتله للجبين
بخلاف ما قال نوح ان ابني من اهلي فلا جرم زيد له في الاصطفاء وشرف بكرامة الامامة والاقتداء به واذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء
ان الله تعالى اوحى الى داود فرغ لي بيتا اسكن فيه فقال وكيف يا رب فقال فرغ لي قلبك اي جعلنا القلب الانساني مثابة يرجعون اليه ما طالبي
وزوارى كما يرجعون الى الكعبة في الصورة وما منا للسالك من تصرفات الشيطان ومكائده حين يبلغ منزل القلب لان القلب خزانة
الحق محروسة من دخول الشيطان وانما جولان اللص الشيطان في ميادين الصدر كقوله يوسوس في صدور الناس واتخذوا اعتل الوصول الى
كعبة القلب من مقام ابرهيم وهو الخلة قبلة توجهكم ليكون قصدكم الى الله لا الى غيره كما قال ابرهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين وعهدنا
الى ابرهيم واسمعيل في الميثاق ان طهرا القلب من ادناس تعلقات الكونين واوضار ملاحظة الاغيار للطائفين وهي واردات الاحوال
والعاكفين وهي الملكات والمقامات والركع السجود هي صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجاء
والتسليم والرضاء والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابرهيم الآية لما اهبط آدم الروح الى ارض الجسد فقد ما كان يجد
من روائح الطاف الحق في جنة حظيرة القدس ستوحش فانزل الله تعالى ياقوتة القلب من جنة حظيرة القدس له بابان شرقي الى حظيرة رب العالمين تطلع
منها شوارق الالطاف وباب غربي الى عالم الجسد فيه قناديل العقل وانزل حجر الذرة المخاطبة بخطاب الست بربكم منورا بنور جواب بلى قد
القم كتاب العهد يوم الميثاق وهو يمين الله في ارضه فلما كان طوفان آفات الصفات البشرية من الطفولية الى البلوغ وفارت تنور الشهوات نقع
بيت معمور القلب الى السماء الرابعة يعني حجب استار خواص العناصر الاربع واخفي حجر الذرة في ابي قبيس صفات النفس فلما امر ابرهيم الروح بعد البلوغ
ببناء بيت القلب وعمارته من خمس جبل اركان الاسلام وقد اهتدى الى موضع بيت القلب بدلالة السكينة هو الذي انزل السكينة في
قلوب المؤمنين فجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجيء باحجار اعمال الشريعة من جبال اركان الاسلام ويناولها ابرهيم الروح وهو يبني الى ان
بلغ موضع الحجر فنودي من ابي قبيس الهوى ان لك عندي وديعة فخذها فخلص حجر الذرة من استار صفات النفس والهوى فوضعه مكانه وكان
ابيض فلما مسته حيض اللذات الدنيوية ومشركو الشهوات النفسانية في جاهلية الطفولية اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت القلب سألا
ربهما الاستسلام الاحكام الظاهرة الشرعية والباطنة التي جف القلم بها في الازل وكذا الذرية المتولدات من الصفات الروحانية والنفسانية
وان يبعث فيهم رسولا منهم لا من الخارج فمن لم يكن له في القلب رسول وارد من الحق وهو السر لم يسمع كلام الرسول الخارجي ثم ان ابرهيم الروح
يوصي المتولدات من القلب وصفات النفس وصفاتها والقوى البشرية والحواس الخمس والاعضاء والجوارح كلها ملة وفي الآيات اشارة الى انه تعالى اذا تجلى
لروح عبد مخلص منضرع اليه متحلى ظهر آثار انوار تجليه على قلبه وسره ونفسه وقوله وحواسه وجميع اعضائه ويخضعون له بكليتهم فيعبدون الها احدا لا متفرقا
من الهوى والدنيا والآخرة والله الموفق وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين

وگفتند مخالفان که یهود شوید یا ترسا تا که هدایت یابید بگو که متابعت کنیم ملت ابراهیم را که است و نبود هست از مشرکان

قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى

بگوئید که گرویدیم بخدا و آنچه که فرستاده شد بسوی ما و آنچه فرستاده شد بابراهیم و اسمعیل و اسحق و یعقوب و اسباط و آنچه بموسی رسید و داده شد

وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا

بعیسی و آنچه فرستاد خدا بپیغمبران از پروردگار ایشان جدائی نمی‌کنیم در میان هیچ یک از ایشان و ما مر او را تسلیم کنندگانیم پس اگر گرویدند بمانند آنچه گرویدید شما بان پس راه یافتند

وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون

و اگر رو گردانیدند پس جز این نیست که ایشان در خلاف‌اند پس زود کفایت کند ایشان را خدا و اوست شنوای دانا خوش و رنگ خدا و کیست بهتر از خدا در رنگ و ما مر او را پرستندگانیم

قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل

بگو که آیا خصومت میکنید با ما درباره خدا و حال آنکه اوست پروردگار ما و پروردگار شما و ما راست کردارهای ما و شما راست کردارهای شما و ما مر او را مخلصانیم یا آنکه میگوئید که ابراهیم و اسمعیل

واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله

و اسحق و یعقوب و سبطها بودند یهودان یا ترسایان بگو که آیا شما بهتر میدانید یا خدا و کیست ستمکارتر از آنکه پنهان داشت گواهی را در نزد خود از خدا و نیست خدا

بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون القراءة ام تقولون بتاء الخطاب

بیخبر از کردهای شما آن گروه که در گذشتند مر ایشان راست کسبهای ایشان و مر شما راست کسبهای شما و شما پرسیده نشوید از کردهای ایشان

ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر والحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة الوقوف تهتدوا ط المشركين من ربهم ج لطول الكلام والاستيناف والاصح انه حال اي ما غير مفرقين منهم

لاحتمال الابتداء والحال وجه مسلمون اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف شقاق ج للابتداء السبق الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم الله ج
لاحتمال الواو الابتداء والحال العليم ط لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة بدل عليها قوله آمنا بالله وقوله فان آمنوا شرط معترض من صبغة الله
لابتداء الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة ج على جعل الواو للابتداء او للحال وللعطف على آمنا عابدون وربكم ج لان الواو ويصلح ان يكون
عطفا على الحال الاولى ويصلح ان يكون مستأنفا اعمالكم ج مخلصون ط لمن قرأ ام يقولون بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء لم يقف لكونها ام معادلة
للهمزة في اتحاجوننا او نصارى ط ام الله ط من الله ط تعملون قد خلت ج ما كسبتم ج يعملون ثم الجزء الاول من الثلثين التفسير لما بين بالدلائل
المتقدمة صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى قالوا كذلك لما علم من التعادي
بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين وقد مر مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فاجابهم الله بقوله
قل بل ملة ابراهيم اي تكون اهل ملته مثل واسئل القرية اي اهلها او بل ملة نتبع ابراهيم وقرئ بالرفع اي ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته و
حنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة وذلك ان المضاف اليه متضمن للحرف فيقتضي متعلقا هو الفعل او شبهه ح يشتمل على
فاعل او مفعول فالحال عن المضاف اليه يرجع في التحقيق الى الحال عن احدهما وعند الكوفيين نصب على القطع اراد ملة ابراهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام
لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب الحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وتحنف اذا مال وحاصل الجواب ان المعول في الدين ان كان
النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد فالمتفق اولى من المختلف وقد اتفق الكل على صحة دين ابراهيم فاتباعه اولى وهذا
جواب الزامي ثم لما كان من المحتمل ان زعم اليهود والنصارى انا على دين ابراهيم زيفت عليهم بقوله وما كان من المشركين لكن النصارى قالوا
بالتثليث واليهود بالتشبيه ايضا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابراهيم التي هي محض التوحيد وخالص الاسلام في شيء قولوا
للمؤمنين ويجوز ان يكون للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون امرا لهم اي اتبعوا
ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته وجواب آخر وهو ان طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على ايديهم ولما ظهر المعجز على يد محمد وجب
الاعتراف بنبوته والايمان به وبما انزل عليه كما اعترفوا بنبوة ابراهيم وموسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب
المناقضة في الدليل وعن الحسن ان قوله قل بل ملة ابراهيم خطاب للنبي وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر العموم وانما قدم الايمان بالله لان
معرفة النبي والكتاب موقوفة على معرفته وفيه ابطال ما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط
في بني اسرائيل كالقبيلة في العرب وقيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي النبي فهم حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر عدد
بعض الانبياء لتقدمهم وشرفهم ثم عمم بعد التفصيل لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاهل الكتاب ومعنى الايمان بجميعهم
ان كلا منهم حق في زمانه ولا نقول انهم متفرقون في اصول الديانات شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا واحد معنى الجماعة ولذلك صح دخول
بين عليه ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فلا جرم لا نخص بالقبول بعض عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان سلامه تقليدا او هو
ولما بين الطريق الواضح في الدين وهو ان يعترف الانسان بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة رغبهم في مثل هذا الايمان
وههنا سؤال وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل في قوله بمثل ما آمنتم به والجواب ان قوله فان آمنوا بكلمة الشك لبل على
ان الامر مبني على الفرض والتقدير اي فان تحصلوا دينا آخر مثل دينكم ومساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لا دين صحيحا سوى هذا
سلامة عن التناقض بخلاف غيره فلا اهتداء الا بهذا ونظيره قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب
منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك لكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه وقيل الباء للاستعانة لا للالصاق
والتمثيل بين التصديقين اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان
آمنوا بما آمنتم به وقيل معناه انكم آمنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فان آمنوا بمثل ذلك في التورية فقد اهتدوا لانهم يتوسلون
به الى معرفة نبوة محمد وفي الاية دليل على ان الهداية قبل هذا الاهتداء وهي الدلائل التي نصبها الله تعالى وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها
والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى وان تولوا عما قيل لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق خلاف وعداوة وهو مأخوذ من الشق كانه صار
في شق وصاحبه في شق لانه فارق الجماعة وشق عصاهم او من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفي وصف القوم
بذلك دليل على معاداتهم الرسول واضمارهم له كل سوء وتربصهم به لايقاع في المحن فلا جرم امنه الله تعالى والمؤمنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله
وناهيك به من كاف كافل ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وذلك ان فيه معنى التوكيد لوقوعها في مقابلة لن في السوق
لن افعل نفي سافعل ولقد انجز وعده عما قريب بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية عليهم وهذا اخبار بالغيب كم من مثله
في القرآن وكل ذلك مما يؤكد اعجاز التنزيل العزيز وحصوله بطريق الوحي الصراح وهو السميع العليم وعد لرسول الله اي يسمع دعائك ويعلم
نيتك في اعلاء كلمة الحق واعلائها فهو يستجيب لك لا محالة ووعيد للاعداء اي هو منهم بمرأى ومسمع يعلم ما يسرون من الحسد والغل فيكافيهم
على ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد الله قاله سيبويه وقيل بدل من ملة ابراهيم ونصب على الاغراء اي عليكم

صبغة الله



صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد الله سيبويه وقيل بدل من ملة ابراهيم ونصب على الاغراء اي عليكم صبغة الله وفيها فك
النظم واخراج الكلام عن الالتئام والصبغة فعلة من صبغ للحالة التي يقع عليها الصبغ كالجلسة والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس واصله ان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون ان يقولوا لهم آمنا و
صبغنا الله بالايمان لا صبغتكم وذلك على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره
انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم وقيل اللفظة من قولهم فلان يصبغ فلانا في الشيء اي يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما
للثوب وقيل سمى الدين صبغة لظهور هيئته عن صاحبه سيماهم في وجوههم من اثر السجود ومن كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل
وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بينه وبين غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذي حس سليم كما يدرك الالوان وقيل
صبغة الله فطرته اقول وذلك ان آثار الفطرة لامكان لازمة للانسان لزوم الصبغ للثوب فيمكنه ان يتدرج منها الى وجود الصانع والايمان به
وقيل صبغة الله الختان وقيل حجة الله وقيل سنة الله ومن احسن من الله صبغة معنى الاستفهام الانكار وصبغة تمييز اي لا صبغة احسن من
الايمان بالله الدين الذي شرع لكم ليطهركم به من اوضار الكفر واوزار الشرك ونحن له عابدون عبارة عن كمال الايمان كما تقدم مرارا قل اتحاجوننا
ما المحاجة فهي اما قولهم نحن احق بان يكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان واما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا
هودا او نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما لمشركي العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
واما للكل والمعنى اتجادلوننا في شأن الله او في دينه وهو ربنا وربكم وللرب ان يفعل بعبده ما يعلم فيه مصلحته ويعرفه هلالة عبيده كلهم وفي
ذلك لا يختص به عجمي دون عربي ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا ترجون بها الكرامة فنحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار ونحن
له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة احدا سواه فلا يبعد ان يوهل اهل الاخلاص لمزيد الكرامة من عنده ام يقولون من قرأ بتاء
الخطاب احتمل ان يكون ام منقطعة بمعنى استيناف استفهام آخر اي بل تقولون والهمزة للانكار كما في اتحاجوننا واحتمل ان يكون متصلة بمعنى
اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام دعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء انكارا عليهم واستجهالا لهم بما كان منهم وعن الزجاج باي
الحجتين تتعلقون في امرنا ابالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قرأ بياء الغيبة فلا يكون الا منقطعة
لانقطاع الاستفهام الاول بسبب الالتفات قل ءانتم اعلم ام الله بل الله اعلم وخبره اصدق وقد اخبر في التورية والانجيل والقرآن بان ابراهيم ما كان يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده ولانهم مقرون بان الله اعلم وقد اخبر بنقيض ما
دعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد بان لهم خطاؤه وان قالوا ذلك عن جحود وعناد فما اجهلهم واشقاهم فالآن فائدة الكلام اما التنبيه و
اما التجهيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اما ان يتعلق باظلم والمعنى لو كان ابراهيم وبنوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة
لم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من العدل شنيع واما ان يتعلق بكتم اي لا احد اظلم ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله
وكتمها واخفاها ان منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك عندي شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى لا احد اظلم ممن كتم شهادة
عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابراهيم بالحنيفية وتعريض بان اهل الكتاب قد كتموا شهادة
الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابراهيم وغير ذلك من تحريفاتهم وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد لهم ولاضرابهم ولو ان احدا كان عليه
رقيب من قبل ملك مجازي لكان دائم الحذر والوجل فكيف بالرقيب القريب الذي يعلم اسراره ويعد عليه انفاسه وافكاره ثم هو يقدر على ان يدخله
جنة او ناره تلك امة اشارة الى ابراهيم وبنيه كما مر وانما اعيدت الآية ههنا لغرض آخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم السالفة من
فان ادبائهم لا ينفع الا اياهم لاندراس آثارها وانطماس انوارها واما الآن فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان البين فيجب
اتباع المعلوم وانتفاؤه والقاء المظنون والعادة ولا يسأل المتأخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل بعمله مجزي سيقول
السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
بجزوان از مردم که چه برگردانید ایشان را از قبله ایشان که بودند بران بگو که مر خدا راست شرق و مغرب راه نماید آنکسی را که میخواهد بسوی راه راست
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي
وهمچنین گردانیدیم شما را گروهی برگزیده تا که بوده باشید گواهان بر مردمان و بوده باشد پیغمبر که محمد است بر شما گواه و قرار ندادیم ما آن قبله را که
كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله
که بودی تو بران بجز آنکه جدا کنیم آنرا که متابعت کند پیغمبر را از آنکه برگردد بر پاشنه خود و هرچند این تحویل قبله بزرگ است مگر بر آنانکه هدایت کرد ایشان را و نه چنانست خدا که
ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك
با جر کند گرویدن شما را بدرستیکه خدا بمردمان هر آینه مهربانست بدرستیکه میبینیم گردش روی تو را در آسمان پس قرار دهیم از برای تو قبله که خوشنود باشی از آن پس بگردان روی خود را
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله
بطرف مسجد الحرام ودر هرجای که بوده باشید پس بگردانید رویهای خود را بجانب وی و بدرستیکه آنانکه داده شدند کتاب را هر آینه میدانند که آن حق از جانب پروردگار ایشانست

بغافل عما يعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة

بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون

ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها

فاستبقوا الخيرات اين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر

المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث

ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم

نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة

ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون القراءة يشاء الى بمزتين عاصم حمزة علي وخلف وابن عامر الباقون يشاء ولي بقلب الثانية واوا

وورش الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة يشاء الى بقلب الا ولي واوا والرؤف مهموزا مشبعا ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف وعاصم وابو عمرو ويعقوب

الباقون بالتاء موليها بالالف ابن عامر الباقون بالياء وكسر اللام يعملون ومن حيث بياء الغايبة ابو عمرو والباقون بالتاء لئلا مدغمة غير

مهموزة عن ورش وعن ابن كثير وحمزة وعلي وخلف ويعقوب مدغما مهموزا الباقون مظهرا مهموزا والاختيار عن يعقوب هشام الاظهار

فاذكروني بفتح الياء ابن كثير الوقوف عليها ط المغرب ط مستقيم شهيدا ط عقبيه ط هدى الله ط ايمانكم ط رحيم في السماء ج لان الجملتين وان

اتفقتا فقد دخلت الثانية حرف توكيد يختصان بالقسم لقسم مضمر ترضيها ص لان فاء التعقيب لتعجيل الموعود الحرام ط شطره ط من ربهم

تعلمون قبلتك ج قبلتهم ج وكلاهما للتفصيل لاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض ط من العلم لا لان جواب معنى القسم في لئن فلو فصل كان من

الظلم ط وفي الاطلاق خطر الظالمين لانه لو وصل صار صفة وهو مبتدأ في مدح عبدالله بن سلام واضرابه ابناءهم ط يعلمون الممترين الخيرات

جميعا ط قدير الحرام ط من ربك ط تعلمون الحرام ط حيث متضمن للشرط شطره لان التعلق لام كي حجة فقد قيل يجوز اغراء اثبات الحجة بعد النفي والوصل

في العربية اوضح ولا منافاة لان المراد من الحجة الخصومة وبيان الحق لا ينافي الخصومة تهتدون كلا اذا علق كما ارسلنا بما قبله ووقف على تعلمون

وان علق بما بعده فقف على تهتدون تعلمون ولا تكفرون التفسير هذه شبهة ثانية من اهل الكتاب طعنا في الاسلام قالوا النسخ يقتضي

اما الجهل والتجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد كفى فعله مرة واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه ناسخا مقيدا بالدوام فكذلك

وان كان مقيدا بالدوام فان كان الامر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبداء وان كان عالما بلا دوامه كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح ثم انهم

خصصوا هذه الصورة لمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فههنا لا مصلحة فان الجهات متساوية وهذا دليل على

ان هذا التغيير ليس من عند الله قال القفال لفظ سيقول وان كان للاستقبال لكنه قد يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض

اعدائه فيقول انا اعلم انهم سيطعنون في كانه يريد انه اذا ذكر مرة فسيذكرونه مرات اخرى ويؤيد ذلك ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك

نزلت الاية والمشهور ان الله تعالى اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه فوائد منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها

ان مفاجاة المكروه اشد فاذا وطن النفس له ومنها ان الجواب العتيد اقطع للخصم وقيل الرمي يراش السهم والسفهاء الخفاف الاحلام واذا كان

من كان يرمي ماله وعليه في امر دنياه يعد سفيها شرعا فالذي يضيع امر اخرته اولى بهذا الاسم عن ابن عباس ومجاهد هم اليهود وذلك انهم كانوا

يأنسون بموافقة النبي اياهم في القبلة فلما تحول استوحشوا لا سيما وانهم لا يرون النسخ وعن البراء بن عازب والحسن الاصم انهم مشركو

العرب قالوا ابى الا الرجوع الى موافقتنا ولو ثبت عليه ولا كان اولى به وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان تمييز بعض الجهات عن

بعض ليس له دليل معقول فحملوا الامر على العبث والعمل بالرأي والتشهي والاقرب ان يكون الكل لانه لا خلاف فيه لان الاعداء جبلت على الغيظ وطلب التشفي

فاذا وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا ما وليهم ما صرفهم استفهموا على جهة التعجب والاستهزاء عن قبلتهم التي كانوا عليها القبلة بيت المقدس

وضمير الجمع للرسول والمؤمنين هذا هو المجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل ان يعود الضمير الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول





والمؤمنين عن القبلة التي كان السفهاء عليها فانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي الى المغرب وقبلة النصارى وهي الى المشرق فكانهم قالوا كيف

يتوجه احد الى غيرها تين الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اي بلادهما والارض كلها والجهات بأسرها

ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التي اقتضت الحكمة في هذا الزمان توجيه الناس اليها ويحتمل ان

يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين فليشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعد ما مر في اية النسخ انه تعالى فاعل لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد

عليه كالاعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد افعاله تعالى لا يعلل بغرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها مما لا يهتدي عقول

البشر الى تفاصيل حكمها لكنهم قد يستنبطون بحسب فهامهم لبعضها وجوها مناسبة اما تعيين القبلة في الصلوة فالحكمة فيه ان للانسان قوة

عقلية يدرك المجردات والمعقولات بها وقوة خيالية يتصرف بها في عالم الاجسام وقلما ينفك العقلية عن الخيالية واعانتها كالمهندس يضع في

ادراك احكام المقادير صورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس والخيال معينين له على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي فانه

يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء والخدمة فاستقبال القبلة في الصلوة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك والقراءة والتسبيح يجري مجرى الثناء

عليه والركوع والسجود جاريان مجرى الخدمة واتم الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا يتاتى ذلك الا اذا بقي في جميع

صلوته مستقبلا لجهة واحدة على التعيين اذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه تعالى يحب الموافقة والالفة بين

المؤمنين وقد من عليهم بذلك في قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولو توجه كل مصل الى جهة لتفوه

مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه تعالى يقول يا مؤمن انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة خدمتي وقلبك عرشي

والجنة كرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الى لاوتيك دار كرامتي وايضا اليهود استقبلوا مغرب الانوار وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى

موسى الامر والنصارى استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمؤمنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فمنها محمد

ومنها خلق الانوار ولاجله دار الفلك الدوار وايضا المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وبينهما قبلة ابراهيم ومحمد خير الامور اوسطها وايضا الكعبة

سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى الطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسي

قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي

من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سينا وزيتا وجودي ولبنان وحراء فان كان عليك مثل هذه الجبال ذنوبا فاتيت

الكعبة حاجا ومعتمرا او توجهت مصليا الصلوات الخمس غفرها لك وايضا لما كان بناء هذا البيت سبب الظهور دولة العرب كانت عينهم في توجهها

اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم الى القبلة وينكسر بذلك قلوب المسلمين فازيل تشويشهم وايضا الكعبة منشأ محمد فتعظيمها

يقتضي تعظيمه تعظيم مما يعين على قبول اوامره ونواهيه فيمقدار حشمة المرء يكون قبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذي

ذكره الله تعالى في قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه

وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدي اي كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم او كما هديناكم الى اوسط القبل جعلناكم

امة وسطا وقيل عائد الى قوله ولقد اصطفيناه كما اصطفينا ابراهيم في الدنيا جعلناكم وقيل ينصرف الى قوله ولله المشرق والمغرب اي كما خصصنا

بعض الجهات المتساوية بمزيد التشريف والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم مختصين بالعدالة امتنا وامتنانا مع تساوي

الخلق في العبودية وقيل قد يذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور

المعروف عند كل احد انه سبحانه هو القادر على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذي لا يقدر عليه احد غيره

جعلناكم امة وسطا الجوهري يقال جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم كل موضع صلح فيه بين فهو

وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال والوسط من كل شيء اعدله وشيء وسط اي بين الجيد والردي وامة وسطا اي عدلا قال

شعر هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي بمعظم وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله

تعالى في معرض المدح والامتنان وقيل الوسط الخيار لانه يستعمل في الجمادات قال في الكشاف اكتريت بمكة جمل اعرابي فقال اعطني من سطاهن اراد من خيار

الدنانير ويؤيده قوله تعالى في موضع اخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط

محمية محوطة وقيل المراد بالوسط ههنا انهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا

النبي ابنا والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب ولان الوسط في الاصل اسم وصف به استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لتكونوا

شهداء على الناس الاكثرون على ان هذه الشهادة في الاخرة اما بان يكونوا شهداء للانبياء على اممهم الذين يكذبونهم روي ان الامم يجحدون تبليغ

الانبياء يوم القيمة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا

ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا

جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قلت والحكمة في ذلك تمييز امة محمد في الفضل عن سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق الله

وتصديق جميع الانبياء والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق ولذلك تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة
الامم عليهم وانما سمى هذا الاخبار شهادة لقوله صلعم اذا علمت مثل الشمس فاشهد والشئ الذى اخبر الله تعالى عنه معلوم مثل الشمس فيصح الشهادة
عليه واما بان يشهدوا على الناس باعمالهم التى خالفوا الحق فيها قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
والنبيون ويكون الرسول عليكم شهيدا وامة محمد خاصة لتكونوا شهداء على الناس ويوم يقوم الاشهاد والجوارح يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم وقيل ان هذه الشهادة فى الدنيا وذلك ان الشاهد فى عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات
مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان يكون موقوفة على الاخرة لان عدالتهم
فى الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم بلفظ الماضى فلا اقل من حصولها فى الحال ثم ذلك كونهم شهداء على عدالتهم فيجب ان يكونوا شهداء فى الدنيا
فان قيل لعل التحمل فى الدنيا ولكن الاداء فى الاخرة قلنا المراد فى الاية الاداء لان العدالة انما يعتبر فى الاداء لا فى التحمل ومن هنا يعلم ان اجماعهم
حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق فى نفسه بل بمعنى ان هيئتهم الاجماعية يقتضى كونهم محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل
مع ذلك لهم الشهادة فى الاخرة فيجرى الواقع منهم فى الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا بينوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد ثم يشهدون بذلك
يوم القيامة كما ان الشاهد على العقود يعرف ما الذى تم وما الذى لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم ويكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس فى
الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدل الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم وانما قدمت صلة الشهادة فى الثانى لان
الغرض فى الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط فبقيت صلة الشهادة فى مركزها والغرض فى الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم فان
عن مركزها ليفيد الاختصاص وانما لم يقل لكم شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لانه ضمن معنى الرقيب مثل والله على كل شئ شهيد مع رعاية الطباق
للاول وانما قيل شهداء على الناس فى الدنيا لان قولهم يقتضى التكليف ما يفعل او بقول ذلك عليهم لا لهم فى الحال قيل الاية متروكة الظاهر لان
وصف الامة بالعدالة يقتضى اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب
فى جعلناكم للموجودين عند نزول الاية لان خطاب من لم يوجد محال فالاية تدل على ان اجماع اولئك حق لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما
بعد وفاة الرسول فلا يثبت صحة الاجماع وفيه سلمنا ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب الكبائر فقط فيحتمل ان الذى اجمعوا عليه وان كان خطاء
لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك فى خيريتهم وعدالتهم واجيب بان حال الشخص فى نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز ان يكون الشخص غير مقبول
القول عند الانفراد ويكون مقبولا عند الاجماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الاية الى قيام الساعة كما فى سائر التكاليف مثل كتب عليكم
الصيام كتب عليكم القصاص فللموجودين بالذات وللباقين بالتبعية لكنا لو اعتبرنا اول الامة واخرها باسرها لزال فائدة الاية اذ لم
يبق بعد انقضائها من يكون الاية حجة عليه فعلمنا ان المراد باهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة بان جعلهم خيارا عدولا عند
الاجماع فلو امكن اجماعهم على الخطا لم يبق بينهم وبين سائر الامم فرق فى ذلك فلا منة وما جعلنا يريد الجعل بمعنى الشرع والحكم التى صفة موصوف
محذوف هو ثانى مفعولى جعل اى وما جعلنا القبلة اى الجهة التى كنت معتقدا لاستقبالها كقولك الشافعى على كذا او فى الجهة وجهان احدهما
ان هذا الكلام بيان للحكمة فى جعل الكعبة قبلة وذلك انه صلعم كان يصلى بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود وامتحانا
للذين اتبعوه بمكة ثم حول الى الكعبة اختبارا ثانيا اى وما رددناك الى الجهة التى كنت عليها اولا الا امتحانا للناس وابتلاء وثانيهما انه بيان للحكمة
فى جعل بيت المقدس قبلة يعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لفائدة هى ان نمتحن الناس وننظر
من يتبع الرسول ومن لا يتبعه واللام فى لنعلم ليست لاجل الغرض وانما هى للنفر الحكمة والفائدة التى يستتبعها الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم
يزل عالما بذلك فالجواب ان معناه لنعلم حزبنا من النبى والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه جنده او لنعلمه موجودا حاصلا وهو
العلم الذى يتعلق به الجزاء ولا يلزم منه ان يحدث لله علم فان العلم الازلى بالحادث الفلانى غير متغير وانما هو قبل حدوث الحادث كهو حال
حدوثه وانما جاء المضى والاستقبال من ضرورة كون الحادث زمانيا وكون كل زمان مكنوفا بزمانين سابق ولاحق فاذا نسبت العلم
الازلى الى الزمان السابق قلت سيعلم الله واذا نسبت الى زمانه قلت يعلم واذا نسبت الى الزمان اللاحق قلت قد علم فجميع هذه التغيرات
من اعتبارات ذلك فعلم الله واحد فافهم او ليتميز التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فسمى التمييز علما لانه احد فوائد العلم وثمراته
او لنرى كما يستعمل الرؤية مكان العلم وعن الفراء ان حدوث العلم فى الاية راجع الى المخاطبين ومثاله ان جاهلا وعاقلا اجتمعا فيقول
الجاهل الحطب يحرق النار فيقول العاقل بل النار يحرق الحطب وسنجمع بينهما لنعلم ايهما يحرق صاحبه معناه لنعلم اينا الجاهل وهذا من كلام
مثل وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وقوله ممن ينقلب على عقبيه استعارة للكفر والارتداد كانه رجع الى حيث اتى ثم هذه
حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها من الناس من قال بالاول لانه صلعم كان يصلى الى الكعبة فلما جاء الى المدينة صلى الى بيت
المقدس فشق ذلك على العرب من حيث انه ترك قبلتهم ثم اذا تحول الى الكعبة شق ذلك على اليهود والاكثرون على الثانى لان الشبهة فى امر النسخ
اعظم منها فى تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغنى انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا لو كان على يقين من امره لما تغير رأيه عن السكوت





توجه الى الكعبة اختلفوا قال المنافقون ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس
وقال اليهود ان اشتاق الى بلد ابيه ومولده وقال المشركون تحير فى دينه وان كانت لكبيرة هى ان المخففة التى يلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية
وتهيئا بالتخفيف للدخول على الافعال لكن البصريين اوجبوا كون الفعل الذى دخلت هى عليه من باب كان وعلم ويبطل عملها فى اللفظ وكذا
فى التقدير فلا يقدر ضمير الشان كما يقدر فى ان المفتوحة اذا خففت فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير العائد الى القبلة لانها هى المذكورة او الى ما
دل عليه الكلام السابق من التولية فى ما وليهم او الجعلة او الردة او التحويلة فى وما جعلنا ومعنى لكبيرة لثقيلة شاقة مستنكرة كقوله كبرت كلمة تخرج
من افواههم وذلك ان الامتحان ان وقع بنفس القبلة فالفطام عن المالوف شديد والاعراض عن طريقة الاباء والاسلاف عسير وان وقع بالتحويل
فهو مبنى على جواز النسخ وفيه ما فيه من الشبهة والاشكال فيصعب عليهم الا على الذين هدى الله الراجح ان هداهم اى هداهم سل الثبات
على دين الاسلام بان نصب لهم الدلائل اولا ثم جعلهم متفقين بها ثانيا والا فالهداية عامة للكل وما كان الله ليضيع ايمانكم الخطاب للمؤمنين
المعاصرين واللام لتاكيد النفى الداخل فى كان بنصب المضارع بعدها بتقدير ان اى لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا
بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب الجزيل عن الحسن قال ابن زيد ما كان الله ليترك تحويلكم من بيت المقدس الى الكعبة لعلمه بان تشرككم على ذلك يفسد
لكم واضاعة لصلواتكم اى لثوابها اطلق الايمان على الصلوة لانها اعظم اثار الايمان واشرف نتائجه او لان المراد لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك
الصلوة وعن ابن عباس لما وجه رسول الله صلعم الى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت وانما
خوطبوا تغليبا للاحياء مثل واذ قتلتم نفسا واذ فرقنا بكم البحر والمراد اهل ملتهم وليس هذا السؤال من الشك فى حقية النسخ فى شئ وانما هو
لاجل الاطمينان وليزداد اليقين ولعلهم انما خصوا السؤال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنين عن ذلك حيث يقع صلوتهم الى الكعبة بقية
عمرهم مكفرة لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب الاموات والاحياء جميعا فان المنسوخ حق فى وقته كما ان الناسخ حق فى وقته سواء
عمل المكلف بهما فى وقتهما او لم يعمل الا بالمنسوخ لانقضاء اجله قبل الناسخ وجوز بعضهم ان يكون السؤال صادرا عن منافق فنبه الله
المسلمين على الجواب قبل بل المعنى وفقكم لقبول هذا التكليف لئلا يضيع ايمانكم فانهم لو ردوا هذا التكليف لكفروا ويحكى عن الحجاج انه قال
للحسن وما رايك فى ابى تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلى منهم وهو ابن عم رسول الله صلعم وختنه على ابنته واقرب الناس
اليه واحبهم ان الله بالناس لرؤف رحيم الجوهرى الرافة اشد الرحمة رؤف بر ؤف بالضم فيهما رافة ورافة وراف يراف بالفتح فيهما و
راف يراف بالكسر وقال الصفار رؤف رؤوف على فعول وفعل وقيل الرافة مبالغة فى رحمة خاصة هى دفع المكروه وازالة الضرر ولا تاخذكم
بهما رافة والرحمة اسم جامع خصوص ولا ثم عموم والمراد ان الرؤف الرحيم كيف يتصور منه الاضاعة او كيف لا يفعلكم من شرع الى شرع هو اصلح
لكم او انما هداكم من هدى لانه بالناس رؤف رحيم فمن كان الاثر عليه اظهر قوله عز من قائل قد نرى معناه كثرة الرؤية ههنا
وان كان فى الاصل للتقليل قال شعر قد اترك القرن مصفرا انامله كان اثوابه مجت بفرصاد كما ان ربما فى الاصل للتقليل ثم قد يستعمل فى معنى
التكثير كقوله شعر فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ووجه ذلك ان المادح يستقل الشئ الكثير من المدائح لان الكثير منها
كانه قليل بالنسبة الى الممدوح ومثل قد يعلم الله فان التمدح بكثرة العلم بقوله لا ينكر ان اعرف شيئا من العلم تقلب وجهك تردد نظرك فى جهة السماء
وذلك لانتظار تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة عن ابن عباس انه قال يا جبرئيل وددت ان الله تعالى صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها فقد كرهتها
فقال له جبرئيل انا عبد مثلك سل ربك فجعل النبى صلعم يديم النظر الى السماء رجاء مجئ جبرئيل بما سأل فنزلت وانما احب ذلك لان اليهود كانوا يقولون
انه يخالفنا ثم انه تبع قبلتنا ولولانا لم يدر اين يستقبل ولان الكعبة كانت قبلة ابيه ابرهيم ولان ذلك ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم
ومزارهم ومطافهم ولانه احب ان يحصل هذا الشرف للمسجد الذى فى بلدته ومنشائه ولا يبعد ان يميل طبعه الى شئ ثم يتمنى فى قلبه اذن الله فيه
وقيل انه استاذن جبرئيل فى ان يدعو الله تعالى فاخبره بان الله قد اذن له فى الدعاء فكان يقلب وجهه فى السماء ينتظر مجئ جبرئيل للاجابة وعن الحسن
ان جبرئيل اخبره بان الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين للمحول اليها ولم يكن قبلة احب الى رسول الله صلعم من الكعبة فكان ينتظر
الوحى بذلك على هذا فقيل منع من استقبال بيت المقدس ولم يعين له القبلة وكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة فلذلك كان يقلب
وجهه عن الاصم قيل بل وعد بذلك قبلة بيت المقدس باقية يجب يجوز الصلوة اليها لكن لاجل الوعد كان يقلب طرفه وهذا اولى والا لم يكن القبلة
ناسخة للاولى بل كانت مبتداءة لكن المفسرين اجمعوا على انها ناسخة للاولى ولانه لا يجوز ان يؤمر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلف
فى صلوته بمكة فقيل كان يصلى الى الكعبة فلما صار الى المدينة امر بالتوجه الى بيت المقدس تسعة اشهر او عشرة اشهر او ثلثة عشر او ستة عشر او سبعة
عشر وهو الاكثر او ثمانية عشر او ستين او اقوال وقيل بل كان بمكة يصلى الى بيت المقدس الا انه هل كان فرضا لا يجوز عليه غيره او كان النبى مخيرا
فى توجهه اليه والى غيره فعن الربيع بن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الاية ولما روى ان قوما قصدوا من المدينة الى مكة للبيعة قبل
الهجرة فتوجه بعضهم فى الطريق لصلوته الى الكعبة وبعضهم الى بيت المقدس فلما قدموا سألوا النبى عن ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس
ان ذلك كان فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضاها فدل على انه ما كان مخيرا بينها وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك او لنمكننك من

من استقبالها من قولهم وليته كذا جعلته واليا له اى فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التى اضمرتها
ووافقت مشية الله تعالى وحكمته عن الاصم كل جهة وجهك الله يجب ان يكون رضى لا تسخطها كما ضل من انقلب على عقبيه قبل ترضى عاقبتها لانك
تميزها الموافق عن المباين فول وجهك اى كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل بجملته القبلة لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء
وبه يتميز الاشخاص شطر المسجد الحرام اى نحوه وجهته قاله جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشئ والكعبة
واقعة من المسجد فى النصف من جميع الجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وتنبيه بالفرق بين النصف وبين المنتصف
والمكلف مامور بالثانى دون الاول عن ابن عمر بينا الناس بقبا فى صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبى قد نزل عليه الليلة قرآن وقد امر
ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفى الموطا صلى رسول الله صلعم بعد ان قدم المدينة ستة
عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين واختلفوا فى المراد بالمسجد الحرام ففى شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت
قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق والمغرب هذا قول مالك وقال آخرون القبلة هى الكعبة لما اخرج فى الصحيحين
عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرنى اسامة بن زيد قال لما دخل النبى صلعم البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع
ركعتين فى قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار كثيرة فى صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا فى حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة و
قال آخرون القبلة هى المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند الشافعى فى اظهر قوليه ان يستقبل المصلى عين الكعبة قريبا كان او بعيدا لظ قوله تعالى
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله صلعم هذه القبلة مشيرا الى العين ولان تعظيم الكعبة من النبى صلعم بلغ مبلغ التواتر وتوقيف صحة
الصلوة وهى من اعظم شعائر الدين على استقبال عين الكعبة مما يوجب مزيد شرف الكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة
امر معلوم وغيره مشكوك فيه والاخذ بالمعلوم احوط واما عند ابى حنيفة ويوافقه القول الآخر للشافعى فمحاذاة جهة الكعبة كافية لان فى استقبال
عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان فى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دلالة على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان الشطر الجانب والمعنى به
فى الاية ولان اهل قبا استداروا الى الكعبة فى اثناء الصلوة وفى ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة مما
تحتاج الى النظر الدقيق ولم يتأت لهم ثم لم ينكر النبى صلعم عليهم وسمى مسجدهم بذى القبلتين ولان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا ولا سبيل اليه الا
بالدلائل الهندسية فانها هى المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا
يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم تلك الدلائل واجبا ولم يذهب اليه احد والانصاف ان القول الاول اقرب الى التعبد واصابة العين للبعيد
غير بعيد فانا من نقطتين فى الارض ولا فى السماء الا ويمكن ان يوصل بينهما بخط والغرض ان يكون المصلى ساجدا على قوس من عظيمة ارضية مارة
بقدميه وموضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس اقل من نصف الدور وغير عسير معرفة هذا القدر بالدائرة الهندية وغيرها
من الطرق المشهورة فيما بين اهل الهيئة وقد برهنا على كثير منها فى كتبنا النجومية وذكرها ههنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون
مقدماتها ولمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهى اما ارضية وهى الجبال والقرى والانهار او هوائية وهى الرياح او سماوية
وهى النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون فى الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او قدامه او خلفه وكذلك
الرياح قد تهب فى بعض النواحى من صوب معين واما السماوية ففى النهار لا بد ان يراعى قبل الخروج عن البلد الشمس عند الزوال هى بين الحاجبين
ام على العين اليمنى ام على اليسرى ام تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس فى البلاد الشمالية قلما تعدو هذه المواقع وكذلك يراعى وقت العصر ويعرف
وقت الغروب انها تغرب عن يمين المستقبل او هى مائلة الى وجهه او قفاه وكذلك يعرف وقت العشاء الاخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق
الشمس فيحتاط مشرقى الصيف والشتاء ومغربهما وبالليل يستدل بالكوكب الذى يقال له الجدى فيعرف انه على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن
او الايسر فى البلاد الشمالية من مكة وفى البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلائل فى بلده فليعول عليها فى الطريق كله الا اذا طال
السفر فح اذا انتهى الى بلد سئل اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب وهو يستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها فى سائر طريقه ومعرفة دلائل
القبلة فرض العين ام فرض الكفاية اصح الوجهين فى مذهب الشافعى الاول كاركان الصلوة وشرايطها قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره ليس بتكرار لان الخطاب الاول للرسول وهذا خطاب للامة ولان الامة قد دخلت فى الاول تبعا واحتمل ايضا ان يكون الخطاب مختصا باهل
المدينة وفى الثانى عم المكلفين جميعا فى جميع بقاع الارض واعلم ان الاستقبال يتوقف على مستقبل ومستقبل هو القبلة ولا بد من حالة
يقع فيها الاستقبال فلنتكلم فى هذه الاركان الثلثة على الاجمال وتفصيل ذلك فى كتبنا الفقهية الركن الاول الحالة وهى الصلوة للاجماع على
ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب وان كان طاعة لقوله صلعم خير المجالس ما استقبل به القبلة والصلوة اما فريضة ويتعين الاستقبال فيها
الا فى حالة الخوف واما نافلة ويجب فيها الاستقبال الا فى حالة الخوف وفى السفر راكبا او ماشيا متوجها الى طريقه لما روى عن ابن عمر ان النبى صلعم
كان يصلى فى السفر على راحلته حيث توجهت به ويحكى عن احمد خلاف فى الماشى وكذا عن ابى حنيفة وهل يجب على المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحرم
الاصح نعم ان سهل بان لم يكن مقطورة او لا حرانا بها والا فلا لما روى ان النبى كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل القبلة بناقته وكبر ثم صلى حيث





وجهه كاتبه واما عند الاشتراط عند الضعف فلدفع المشقة واختلال امر السير اما عليه واما الاستقبال عند السلام فالاصح انه لا يشترط كما فى سائر الاركان الا
الماشى فعليه الاستقبال فى كل ركوع وسجود كما عليه الاتمام بخلاف الراكب فانه لا يكلف الاستقبال فيهما ولا وضع الجبهة فى السجود على السرج والاكاف
بل يقتصر فيهما على الايماء ويجعل السجود اخفض وليس لراكب التعاسيف الذى لا مقصد له رخصة ترك الاستقبال فى التنفل الركن الثانى القبلة
المصلى ان وقف فى جوف الكعبة وهى على هيئتها مبنية صح صلوته فريضة كانت او نافلة خلافا لاحمد ومالك فى الفريضة لنا انه صلى متوجها الى بعض
اجزاء الكعبة فيصح صلوته كالنافلة كما لو توجه اليها من خارج ثم تخير فى استقبال اى جدار شاء ويجوز ان يستقبل الباب ان كان مردودا وان
كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر مؤخرة الرحل صحت صلوته والا فلا ومؤخرة الرحل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون فى سجوده
يسامت بمعظم بدنه الشاخص وان انهدمت الكعبة حاشاها ويبقى موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلى اليها جاز لان المتوجه الى هواء البيت
والحالة هذه متوجه نحو المسجد الحرام كمن صلى على ابى قبيس والكعبة تحته يجوز لتوجهه الى هواء البيت ولو صلى فى العرصة فالحكم كما لو وقف الان على سطح الكعبة
فان لم يكن بين يديه شاخص من نفس الكعبة قدر مؤخرة الرحل فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابى حنيفة وان كان المصلى خارج الكعبة فان كان حاضر المسجد
الحرام وجب عليه لا محالة استقبال عين الكعبة بكل بدنه لانه قادر عليه والامام يقف خلف المقام استحبابا والقوم يقفون مستديرين بالبيت
والا فصلوة الخارجين عن محاذاة الكعبة باطلة الا عند من يرى الجهة كافية ولو تراخى الصف الطويل ووقفوا فى اخر باب المسجد صح صلوتهم لان البعيد
يزداد محاذاته ويتبين ذلك اذا جعلت البيت راس مثلث متساوى الساقين والصفوف خطوطا موازية لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان
يعاين القبلة سوى محرابه بناء على العيان وصلى اليه ومحراب النبى صلعم بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا يقرر على الخطاء فهو صواب قطعا وفى سائر المحاريب
عليه وفى معنى المدينة سائر البقاع التى صلى فيها رسول الله صلعم اذا ضبط المحراب وكذا المحاريب المنصوبة فى بلاد المسلمين وفى طرق التى هى جادتهم تعين التوجه
اليها وكذلك فى القرية الصغيرة التى نشأ فيها قرن من المسلمين ولا بد من الاجتهاد فى التيامن والتياسر فى محراب الرسول صلعم فلا ولا يجوز الاجتهاد
فى الجهة فى شئ من محاريب المسلمين لان الخطاء فيهم فى الجهة بعيد بخلاف التيامن والتياسر يقال ان عبد الله بن المبارك كان يقول بعد رجوعه من
الحج تياسروا يا اهل مرو الركن الثالث المستقبل اذا قدر على اليقين بالمعاينة او بامارات اخر فلا يجتهد ولا يقلد وان لم يقدر فان وجد من يخبره
عن علم وكان المخبر ممن يعتد بقوله يرجع الى قوله ولم يجتهد كما فى الوقت اذا اخبره عدل عن طلوع الفجر يأخذ بقوله ولا يجتهد كذلك فى الحوادث
اذا روى العدل خبرا يؤخذ به وكل ذلك قبول الخبر من اهل الرواية وليس من التقليد فى شئ ويشترط فى المخبر ان يكون عدلا يستوى فيه الرجل والمرأة
والحر والعبد ولا يقبل خبر الكافر بحال وكذا خبر الصبى غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن القبلة قد يكون صريحا وذلك ظ وقد يكون دلالة كما
فى نصب المحاريب فى المواضع التى يعتمد عليها ولا فرق فى لزوم الرجوع الى الخبر بين ان يكون الشخص من اهل الاجتهاد وبين ان لا يكون فان لم يجد
من يخبره عن علم فان قدر على الاجتهاد ولا يتيسر الا بمعرفة ادلة القبلة كما عددنا اجتهد ولم يقلد كما فى الاحكام الشرعية ولو فعل يلزمه القضاء ولا
فرق فى وجوب الاجتهاد ههنا بين الغائب عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حائل اصلى كالجبال او حادث كالابنية ولو ضاق الوقت على
المجتهد بغيم وظلمة او تعارضت صلى كيف اتفق لحق الوقت ويقضى وان عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه التعلم لعدم البصر او لعدم البصيرة فالواجب عليه
التقليد كالعامى فى الاحكام وتقليد الغير هو قبول قول المستند الى الاجتهاد بعد ان كان المجتهد مسلما عدلا عارفا بادلة القبلة يستوى فيه الرجل
والمرأة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من شاء منهما والاحب ان يقلد الاوثق الاعلم عنده وان امكن التعلم فليس له التقليد بناء على
ما مر من ان تعلم الادلة فرض العين فان قلد قضى وان ضاق الوقت عن التعلم صلى لحق الوقت وقضى ثم المجتهد ان بان له الخطاء يقينا وكان دليل الاجتهاد
الثانى ارجح ولم يشرع بعد فى الصلوة عمل بمقتضى الثانى وان بان بعد الفراغ من الصلوة فان تيقن الخطاء قضى على الاصح ان ظن لم يقض وان تغير الاجتهاد
فى اثناء الصلوة انحرف ويبنى هذه هى المسائل المستنبطة من الاية ذكرناها لانها من اهم مهمات الدين وان الذين اوتوا الكتاب يعنى احبار اليهود
وعلماء النصارى لعموم اللفظ ولشمول الكتاب التورية والانجيل ولكن يجب ان يكونوا اقل من عدد اهل التواتر ليصح عنهم الكتمان وعن السدى انهم
اليهود خاصة والكتاب التورية والضمير فى انه الحق ما للرسول اى انه مع شرعه ونبوته حق يشمل امر القبلة وغيرها واما لهذا التكليف الخاص وهو انتساب المقام
وذلك ان علمائهم عرفوا فى كتب انبيائهم خبر الرسول وانه يصلى الى القبلتين وان الكعبة هى البيت العتيق الذى جعله الله قبلة لابراهيم واسمعيل وايضا
انهم كانوا يعلمون نبوة محمد صلعم بالمعجزات والبشارات وكل ما اتى النبى صلعم فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل عما تعملون وعد للمتقين ووعيد
للناكبين والمعاندين ثم بين استمرار اهل الكتاب على عنادهم فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب قيل جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل هم
علماؤهم المذكورون فى الاية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى فى قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومجرد اعتقاد الباطل لا يكفى فيه بل الذين يعلمون
بقلوبهم ثم يقولون الحق الظ فهم المتبعون للهوى ونوقش بان لكل صاحب هوى قالوا الايتان المكتنفتان بهذه الاية مخصوصتان بالعلماء منهم لان الجمع العظيم
لا يجوز منهم الكتمان فكذا هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصهما تخصيصها قالوا اخبر عنهم بالاصرار والاستمرار وهذا شان المعاند اللجوج لا
العامى المتحير ورد بان المقلد ايضا قد يصر قالوا الحمل على العموم يكذبه الوجود فان كثيرا من اهل الكتاب امن بمحمد واتبع قبلته ووجه بان المراد من قوله ما تبعوا
قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وسلب الاجتماع لا ينافى اتباع البعض بكل آية برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة

هو الحق ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المحذوف ساد مسد جواب الشرط واللام في ولئن اللام الموطئة للقسم اي والله لئن اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا على قبلتك
لان تركهم اتباعك لا لشبهة تزيلها بايراد الحجة بل عناد ومكابرة مع علمهم بما في كتبهم من نعتك ومن خص اللفظ بالعلماء فان صح عنده انه لم
يتبع منهم احد قبلتنا لم يحتج الى هذا التاويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما تبع احد منهم وما انت بتابع قبلتهم رفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة
لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حسما لاطماع اهل الكتاب فانهم طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا الذي ننتظره وفيه انه لا يجب عليه استصلاحهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصية وانما وحد القبلة للعلم بان لليهود قبلة وللنصارى قبلة
اخرى او لانهما بحكم الاتحاد في البطلان وما بعضهم بتابع قبلة بعض ان حمل على الحال فالمعنى انهم ليسوا مجتمعين على قبلة واحدة حتى يمكن رضاهم
باتباعها وانهم مع اتفاقهم على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك الى شيئين مختلفين وانه اذا جاز ان يختلف قبلتاهما للمصلحة
فلم لا يجوز ان يكون المصلحة في ثالثة وان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا يترك قبلتهم الى المشرق ولا النصارى الى المغرب بحيث يتعطل احد القبلتين
لان اليهودي لا يصير نصرانيا او بالعكس ولعل ذلك قد وقع اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه محقا او مبطلا ولئن اتبعت اهواءهم كلام على سبيل الفرض
والتقدير لمزيد وما انت بتابع قبلتهم المعنى لئن اتبعت مثلا بعد وضوح الدلائل وانكشاف جلية الامر في باب الدلالة انك اذا اي اذا اتبعت
لمن المرتكبين الظلم الفاحش لان صغائر الرجل الكبير كبائر فكيف بكبائره وفيه ان ترك العمل من العلماء اقبح وفيه لطف للنبي صلعم فان مزيد المحبة يقتضي
التخصيص لمزيد التحذير ولعله كان في بعض الامور يتبع اغراضهم كترك المخاشنة في القول واستمالة قلوبهم طمعا منه في اسلامهم ومعاضدتهم فنهي
عن تلك الملاينة وايسه منهم بالكلية كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وفيه اشارة للامة كالرجل الحازم يقبل على ابر اولاده واصلحهم فيزجره عن شيء بحضرة سائر الاولاد والغرض زجرهم واصلاحهم وانه لا
محالة يؤاخذون بالطريق الاولى وخالفوه الذين آتيناهم الكتاب هم علماؤهم بدليل يعرفونه اي الرسول معرفة جلية يميزون بينه وبين
غيره بالمنعوتات من البعث والنسب والقبلة حسب ما وجدوه في كتبهم كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وما مصدرية او كافة
والغرض تشبيه عرفان شخصه بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة محمد صلعم بالعلم ببنوة الابناء والا كان تشبيه المعلوم
بالمظنون عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلعم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته
قد خانت فقبل عمر راسه جاز اضمار الرسول وان لم يجر له ذكر لدلالة الكلام عليه وفيه تفخيم لشانه وانه معلوم بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة
معرفتهم الحاصلة من قبل ظهور المعجزات على يده لانه لا يفيد الا كونه نبيا وهم لا ينكرون ذلك انما ينكرون كونه النبي صلعم المنعوت في كتبهم فرد الله عليهم
ذلك وخص الابناء بالذكر لانهم اعرف واشهر وبصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق لونا وبالذكور اولى بالذكر وقيل الضمير للعلم او القرآن
او تحويل القبلة وفي الكل تكلف ينبو عنه قوله ابناءهم ويباينه الحديث عن عبد الله بن سلام ولما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي صلعم
من آمن به واظهر الحق وهو ما يجب القول به ويجب العمل بمقتضاه كعبد الله بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم يريد من سوى المؤمنين منهم
ليكتمون الحق الذي هو امر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان الا من علم المكتوم الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر
مبتدا محذوف اي هو الحق من ربك خبرا بعد خبر او حالا وان يكون مبتدا خبره من ربك وفي اللام يكون وجهان العهد والاشارة الى الحق الذي
عليه رسول الله صلعم والى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق والجنس على معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما سواه كالذي عليه اهل الكتاب
باطل فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في كون الحق من ربك وقد يجوز ان ينهى الشخص عما يعلم انه منتزه عنه لتثبت تقرره في قوة
ولكل وجهة ولئن اتبعت ولكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والوجهة اسم الجهة ولذلك ثبتت الواو كما قالوا ولدة في جمع الوليد الصبي لما لا يجمع مع الهاء
في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الله وثاني مفعولي موليها محذوف اي هو موليها وجهه والله موليها اياه ثم اختلف في التفسير فقيل
المعنى ولكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة وجهة اما بشريعة واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه اليها الصلوة التي يتقرب بها الى ربه وكل يفرح
بما هو عليه لا يفارقه فلا سبيل الى اجتماعكم على قبلة واحدة ولستم تؤاخذون بفعل غيركم فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا انتم الخيرات
الدنيوية وهي الشرف والفخر بقبلة ابرهيم والاخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين اينما تكونوا من جهات الارض يأت بكم الله جميعا الى يوم
القيامة ويفصل بين المحق منكم والمبطل والمصيب والمخطي انه قادر على ذلك قيل ان الله تعالى عرفنا ان كل واحدة من بيت المقدس والكعبة قبلة فالجهات
من اسمه وهو الذي ولى وجوه عباده اليها فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره في الحالين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يجمعكم واياهم يوم
القيامة فيحكم بينكم وقيل ولكل قوم منكم يا امة محمد جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الى الصلوات من الجهات وهي
الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم للجزاء ويجعل صلواتكم واحدة كانها الى جهة واحدة
لمحاذاة الجميع الكعبة وقراءة ابن عامر مولاها معنيان احدهما ان ما وليته فقد ولاك والاخر نبئناه تلك الجهة وحببناه قيل ولكل مخلوق قبلة
فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك الكعبة وهي قبلة
جسدك وقبلة روحك انا وقبلتي انت عند المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم ان الشافعي استدل بقوله فاستبقوا الخيرات على ان الصلوة في اول الوقت افضل

وعند ابي حنيفة



وعند ابي حنيفة التاخير افضل الى آخر الفضيلة للانتظار ولتكثير الجماعة ولما روي انه صلعم قال اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رأيت اصحاب رسول الله صلعم
حافظوا على شيء ما حافظوا على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل مجيء الوقت لقوله صلعم يا علي ثلثة لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت
والايم اذا وجدت لها كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا يشك فيه وذلك مما لا نزاع فيه وانما النزاع فيما اذا تحقق دخول
الوقت ثم تكاسل المكلف وتثاقل وبغير اسباب الصلوة تشاغل ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت يا محمد فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا
صليت وانه وان هذا المامور للحق الذي يجب ان يقبل ويعمل به حال كونه من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعد للمطيعين ووعيد للمتغافلين
واعلم ان امر التولية ذكره الله تعالى ثلث مرات وللعلماء في سبب التكرير اقوال اولها ان الاية الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام و
الثانية على ان يكون غائبا عنه ولكن يكون في البلد الثالثة على ان يكون خارج البلد في اقطار الارض فقد يمكن ان يتوهم للقريب من التكليف ما
ليس للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر وذلك انه اكد الاول بان اهل الكتاب يعلمون حقيته بشهادة التورية والانجيل
واكد الثاني باخبار الله تعالى عن حقيته وكفى به شهيدا واتبع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كما ان قوله فباي آلاء ربكما
تكذبان وامثال ذلك تكرر حيث نيط بكل منها فائدة وثالثها ان الاية الاولى توهم ان التحويل انما فعل لرضى النبي وطلب الهوى حيث قال فلنولينك
قبلة ترضاها فازيل الوهم بتكرار الامر وتعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اي نحن ما حولناك الى هذه القبلة بمجرد رضاك وهو كقبلة اليهود
المنسوخة التي انما يقيمون عليها بمجرد الهوى والتشهي لكنها حق من ربك بعدما وافقت رضاك وفي الثالثة بيان الغرض ورابعها ان الاولى لتعميم
الامكنة والثالثة لتعميم الازمنة اشعارا بانها لا تصير منسوخة البتة وخامسها الزم هذه القبلة فانها التي كنت تهواها الزم هذه القبلة لانها الحق لا قبلة
الهوى الزم هذه القبلة فيها ينقطع عنك حجج العدو وهذا قريب من الثالث سادسها هذه الواقعة اول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا
فدعت الحاجة الى التكرير لمزيد التاكيد والتقرير وسابعها ان الاية الاولى مشتملة على تكليف خاص بالنبي صلعم فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام ثم على تكليف عام له ولامته وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والاية الثانية ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام لاجل تكليف اخص وهو تكليف الالتفات عما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن صلعم وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض مما يؤيد هذا التاويل تعقيبه بقوله وانه للحق من ربك لم يستظهر على هذا الا بشهادة نفسه حيث لم يبق الا هو
وهو مقام الفناء في الله بخلاف الاية الاولى فانها اكدت بشهادة الغرباء واقتصر ههنا على امر النبي دون الامة لان هذه المرتبة وهي المسجد الحرام
حرام لا يليق بكل احد جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد ثم قدم على الاية قوله ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات فدل على ان المذكور بعدها مرتبة السابقين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الا
خص ناسخ للتكليف الخاص والعام له ولامته كرر الايات الاولى بعينها ليعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم المكلفين والله تعالى اعلم بحقائق الامور
قوله لئلا يكون اي ولوا لاجل هذا الغرض وقال الزجاج يتعلق بمحذوف اي عرفتكم لئلا يكون للناس عليكم حجة والناس قيل هم اليهود كانوا يطعنون
بانه يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما درى محمد اين يتوجه في صلوته حتى هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابرهيم ولا دين
لما ترك التوجه الى الكعبة فقد ترك دين ابرهيم انما اطلق الحجة على قول المعاندين لان المراد المحاجة وسماها حجة تهكما وطباقا او بناء على معتقدهم
لانهم يسوقونها سياق الحجة وقد تكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء متصل
والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلون بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء
او بعض العرب القائلون بان محمدا عاد الى ديننا في الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع وقيل الا بمعنى الواو وانشد شعر وكل اخ
مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان يعني والفرقدان واذا طعنوا في دينكم من غير سبب فلا تخشوهم فانهم لا يضرونكم واخشوني واحذروا عقابي
ان انتم عدلتم عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق مصلحتكم فعلى القرآن ينصب ابن عيينة في كل افعال بر وكذا خشية الله ويقطع الرجاء والخوف عمن
سواه قوله ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه القبلة لحكمتين احديهما انقطاع حجتهم والثانية اتمام النعمة بحصول شرف قبلة ابرهيم
وقيل متعلقه محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال واخشوني لاوفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام لا ينافي ما انزل في آخر عهد رسول الله صلعم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان لله تعالى في كل وقت نعمة
على المكلفين ولها تمام بحسبها فهذا تمام النعمة في امر القبلة وذاك تمام النعمة في امر الدين على الاطلاق وعن علي تمام النعمة الموت على الاسلام
وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة كما ارسلنا ما مصدرية او كافة ثم ان الجار يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول قيل معناه و
لاتم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف وفي الآخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او ولاتم نعمتي ببيان الشرائع
واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابرهيم حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا كما ارسلنا فيكم رسولا اجابة لدعوته حيث
قال ربنا وابعث فيهم رسولا وقيل معناه وكذلك جعلناكم امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم بارسال الرسول
فاذكروني اذكركم تارة اخرى وفيه ان نعمه على العبد لا تنقطع فكل نعمة سابقة فيضم اليها اخرى لاحقة حتى يكون له الفضل اولا واخرا وبداية

ونهاية وفي رسالة فيهم ومنهم اي من العرب نعمة عظيمة عليهم لما لهم فيه من الشرف ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فبعثه الله تعالى من واسطتهم ليكونوا الى القبول اقرب كون القرآن متلوا من اعظم النعم لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف على مجامع الاخلاق الحميدة ففي تلاوته خير الدنيا والآخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة قد مر في دعاء ابرهيم في قوله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من الامم وتحير الناس في امر الدين بانه يعلمهم ما احتاجوا اليه في صلاح معاشهم ومعادهم وذلك من اعظم انواع النعم فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليف بامرين الذكر والشكر وقد مر ذكر الشكر في تفسير الحمد وقوله ولا تكفرون عطف بالواو وليعلم ان جحود النعمة منهي عنه كما ان الشكر مامور به ولو قطع على طريقة قوله تعالى اقول له ارحل لا تقيمن عندنا لاوهم ان المقصود بالذات هو الثاني والاول في حكم المحو ويحتمل من حيث العربية ان يكون لا نافية والنون للوقاية ومحل الجملة النصب على الحال اي اشكروا لي غير جاحدين لنعمتي واما الذكر فباللسان وهو ان يحمده ويسبحه ويمجده ويقرأ كتابه وبالقلب وهو ان يتفكر في الدلائل على ذاته وصفاته وفي الاجوبة عن شبه الطاعنين فيها وفي الدلائل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاها ثم يتفكر في اسرار المخلوقات متوسلا من كل ذرة الى موجدها وبالجوارح وهو ان يكون مستغرقة في الاعمال المامور بها فارغة عن الاشغال المنهي عنها وبهذا الوجه سمي الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله ومهما ذكر الله تعالى فلا بد ان يحمل على ما له تعلق بالثواب واظهار الرضاء واستحقاق المنزلة والاكرام فالحاصل اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخاء اذكركم في البلاء اذكروني بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني بالصلوة والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص اذكروني بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكروني بالفناء اذكركم بالبقاء

يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل

اي ايمان آورندگان يارى خواهيد بروزه ونماز بدرستيكه خدا با تحمل كنندگان است ومگوييد دربارهٔ آنها كه كشته شوند در راه خدا كه مرده اند بلكه آنها

احياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين

زنده اند وليكن شما درك نكنيد وهر آينه بيازمائيم شما را بچيزى از ترس وگرسنگى وكاستن از مالها ونفسها وميوها ومژده ده صابران را

الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

آنانكه چون دررسد آنها را داهيه گويند كه مائيم در تحت قدرت خدا ومائيم كه بازگرديم بسوى او آنگروه برايشان رحمت هاست از پروردگارشان وآنگروه ايشانند هدايت يافتگان

القراءة انا لله بالامالة فيهما قتيبة ونصير وانما جازت مع منعها في الحروف لكثرة استعمال كلمة الاسترجاع الوقوف والصلوة ط الصابرين ط اموات ط لا تشعرون ط والثمرات ط الصابرين لا لان الذين صفتهم مصيبة لا لان قالوا جواب اذا راجعون ط لان اولئك مبتدا على الاصح من ابتداء ما الذين خبره اولئك مع ما يتلوه ووقف على الصابرين ولم يقف على راجعون المهتدون التفسير انه تعالى لما اوجب بقوله فاذكروني واشكروا لي جميع الطاعات ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع المنهيات فان الشكر بالحقيقة صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب الى الاستعانة على ذلك الوظايف بالصبر والصلوة فالصبر قهر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود الذي لا يلتفت الى الوعد والوعيد للترغيب والترهيب بحيث تجر ذلك الى اداء حقوق سائر الطاعات والاجتناب عن جميع الفواحش والمنكرات ان الله مع الصابرين بالنصر والتاييد ومزيد التوفيق والتسديد ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد بدليل قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله بل احياء اي هم اموات بل هم احياء وعلى الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر والصلوة في اقامة ديني وسلوك سبيلي فان احتجتم في ذلك الى مجاهدة عدوي باموالكم وانفسكم فتلفت فان قتلاكم احياء عندي ومن قتله محبة فديته رؤيته ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء في الحال فمن الجائزان يجمع الله تعالى من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة فيرى معظم جسد الشهيد ميتا فلا يحس بحيوته واليه الاشارة بقوله ولكن لا تشعرون ومما يؤيد هذا القول الآيات الدالة على اثبات عذاب القبر النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اغرقوا فادخلوا نارا والفاء للتعقيب قال القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ولم يزل ارباب القلوب يزورون قبور الشهداء ويعظمونها وقيل المعنى لا تسموهم بالاموات وقولوا انهم الشهداء الاحياء او المراد قولوا انهم احياء في الدين وانهم على هدى ونور من ربهم لا كما يزعم المشركون انهم ليسوا من الله في شيء ولا تقولوا مثل ما يقول منكروا البعث انهم لا ينشرون وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم سيحيون فيثابون وينعمون في الجنة وعلى هذا الوجه لا يبقى لتخصيص الشهداء بكونهم احياء فائدة وكذا القول مع المؤمنين ولكن لا تشعرون وقيل ان الثواب كذا العقاب للروح لا للقالب لانه مدرك للجزئيات ايضا فلا يمتنع ان يتالم ويتلذذ ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن في القيامة الكبرى حتى يضم الاحوال الجسمانية الى الادراكات الروحانية عن ابن عباس ان الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة اي تاكل ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من اداء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام تنقلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على استرداد ما بايديكم فيه بذلك المشعر او لا بالشكر على كمال الشرايع ثم بالصبر على التكاليف الدينية ثم حض على الثبت عند طروق المصائب وقوارع النوائب ومعنى بشيء بعيان من هذه الاشياء وانهم





لو قال باشياء لاوهم ان من كل واحد من الخوف وغيره ضروبا وليس بمراد وفيه ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل فوقه ما يقل هو بالنسبة اليه فيه ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم واعلم ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فاذا خطر ببالك فهو ان كان قد مضى سمي ذكرا او تذكرا وان كان في الحال سمي ذوقا ووجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان تعلق بالاستقبال وغلب خطوره على قلبك سمي انتظارا او توقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا سمي ذلك الارتياح رجاء واما الجوع فالمراد منه القحط وتعذر تحصيل القوت عن عطاء والربيع بن انس ان المراد بهذه المخاطبة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين فكانوا لا يامنون قصدهم اياهم واجتماعهم عليهم وقد كان من الخوف في وقعة الاحزاب ما كان هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واما الجوع فقد اصابهم في اول مهاجرة النبي الى المدينة لقلة اموالهم حتى انه صلى الله عليه وسلم كان يشد الحجر على بطنه وقد روي انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فالتقى مع ابي بكر فقال ما اخرجك قال الجوع قال ما اخرجني الا ما اخرجك وكانوا ينفقون اموالهم في الاستعداد للجهاد ثم يقتلون فهناك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله الا كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس بموت الاخوان والاخدان واما نقص الثمرات فقد يكون بالجدوب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد قال صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ونقص عطف على شيء ويحتمل ان يعطف على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في بشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة قال الامام الغزالي رحمه الله الصبر من خواص الانسان ولا يتصور ذلك في البهائم لنقصانها فليس لشهواتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا ولا في الملائكة فليس لعقلهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بخدمة الكبرياء والشغل ويمنعهم عن الاستغراق في مطالعة حضرة ذي الجلال فاما الانسان فانه في الصبي بمنزلة البهيمة ليس له الا شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب بعد حين ثم شهوة النكاح لكنه اذا بلغ انتم له مع الشهوة الباعثة على اللذات العاجلة عقل يدعوه الى الاعراض عنها والاقبال على تحصيل السعادات الباقية فيقع بين داعيتي العقل والشهوة تضاد وتقابل وقصد العقل اما هو المعنى بالصبر وانه ضربان بدني كتعاطي الاعمال الشاقة او تقبلا كالثبات على الآلام ونفساني وهو منع النفس عن مقتضيات الطبع فان كان تحبسا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان احتمال مكروه فان كان من مصيبة خص باسم الصبر ويضاده حالة هي الجزع والهلع واطلاق داعي الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوها وان كان في حال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده حالة البطر وان كان في حال مبارزة الاقران سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده الضجر وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمانا وان كان عن فضول العيش سمي زهدا وضده الحرص وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره وليس الصبر ان لا يجد الانسان الم المكروه ولا ان لا يكره ذلك فانه غير ممكن وانما الصبر هو حمل النفس على ترك اظهار الجزع ولا باس بظهور الدمع وتغير اللون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى على ابرهيم ابنه فقيل له في ذلك فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا ثم الصبر عند الصدمة الاولى والا فيسلو وهو مما لا بد منه ولهذا قيل لو كلف الناس دوام الجزع لم يقدروا عليه وقد وصف الله تعالى الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات اليه فقال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من طاعة الا واجرها مقدر الا الصبر ولان الصوم من الصبر قال تعالى في حديث القدسي الصوم لي فاضافه الى نفسه ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة بالصبر فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة وجمع للصابرين امورا لم يجمعها لغيرهم اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لان الايمان لا يتم الا بترك ما لا ينبغي والاتيان بما ينبغي والاستمرار على كل منهما انما ياتي بالصبر فكل الايمان صبر الا ان كل واحد منهما قد يكون مطابقا لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه الى الصبر فلهذا عاد الى النصف وقد جاء الايمان هو الصبر وذلك كقوله الحج عرفة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقال يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له ارضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول تعالى لقد انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين ومن فضيلة الصبر انه قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فان المشبه به يجب ان يكون اقوى كما في شارب الخمر كعابد الوثن وروي ان سليمان يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا لمكان ملكه واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب ثم ان الله تعالى بين ان الانسان كيف يكون صابرا وانه متى يستحق البشارة فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة هي من الصفات الغالبة التي لا تكاد تستعمل موصوفاتها وتختص من بين ما يصيب الانسان بحالة مكروهة كالنائبة والواقعة والملمة وانما تشمل كل مضرة ينالها من قبل الاسباب السماوية والارضية المنتهية الى مسبب الاسباب بواسطة ظاهرة او خفية قالوا انا لله اقرار بالعبودية وانا اليه راجعون تفويض للامر اليه كما يقال ان الملك والدولة رجع الى فلان لا يراد الانتقال بل القدرة وترك المنازعة انا لله

اعتراف بالملك وانا اليه راجعون اقرار على نفسنا بالهلك فانا لله اشارة الى المبدأ وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد انا لله اعلام بالفناء فيه وانا اليه
راجعون ايمان بقدومه واعلان الرضا بالقضاء انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين الصرف والجذب اما الصرف فمن مال قلبه الى شيء والتفت
خاطره اليه جعله تعالى ملتفتا للآفات لينصرف وجه قلبه من عالم الحدوث الى جانب القدس كما ان آدم لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت
الجنة فبقي آدم مع ذكر الله ولما استأنس يعقوب بيوسف وقع الفراق بينهما فبقي يعقوب مع ذكر الحق ولما طمع محمد صلعم من اهل مكة في النصرة والاعانة صاروا
من اشد الناس بغضا له فاخرجوه وقد لا يجعل لك الشيء بلاء ولكن يرفعه من البين حين لا يبقى لا للبلاء ولا للرحمة ثم يرجع العبد الى الله وقد يتوقع
العبد من جانب خيرا فاعطاه الله تعالى ذلك بلا واسطة فيستحيي العبد فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ومن جذبه الحق
الى نفسه صار مغلوبا لان الحق غالب فيصير الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة متغلبة على المجاز كالعبد الداخل على السلطان المهيب ينصرف
فكره اليه ويشتغل بالكلية عمن سواه ويصير فانيا عن نفسه عن حظوظها فيحصل له مرتبة الرضاء بالقضية الحق سبحانه من غير ان يبقى في طاعته شبهة
المنازعة عن النبي صلعم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله
فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وعن ام سلمة ان ابا سلمة حدثنا ان رسول الله صلعم قال ما من
مسلم يصاب بمصيبة فيفزع الى ما امر الله به من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتي فأجرني منها وعوضني خيرا منها الا
آجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة ذكرت هذا الحديث وقلت هذا القول فعاضني الله محمدا صلعم وعن ابن عباس اخبر الله
ان المؤمن اذا سلم لامر الله ورجع واسترجع عند مصيبته كتب الله تعالى له ثلث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر قال نعم
العدلان انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعم العلاوة اولئك هم المهتدون قيل الصلوات من الله الثناء و
المدح والتعظيم والرحمة النعم العاجلة والآجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف وضعت موضع الرأفة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى
عليهم رأفة ورحمة اي رحمة بعد رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب الفائزون بالكرامة والصواب ام المستمسكون بآدابه المستنون بما الزم
وامر في الآية حكمان فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله تعالى والرضاء بقضاءه والصبر على اداء فرائضه لا يصرفه عنها مصائب الدنيا و
النفل قوله انا لله وانا اليه راجعون فان في اظهاره فوائد منها ان غيره يقتدي به اذا سمعه ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله
ثم الثبات على طاعته واما الحكمة في تقديم تعريف الابتلاء فهي ان يوطنوا نفوسهم لهذه المصائب اذا وردت فيكون ابعد من الجزع وايضا اذا علموا
انه سيصل اليهم تلك المحن اشتد خوفهم فيكون ذلك الحزن تعجيلا للابتلاء فيستحقون بذلك مزيد الثواب وايضا اذا اخبر بوقوع هذا الابتلاء
ثم وقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيه يتميز المنافق ويتميز له عن الموافق كان الحكمة في نفس الابتلاء ايضا ذلك ؛ دعوى الاخاء
كثيرة ؛ بل في الشدائد تعرف الاخوان ؛ اذا تلك هذا الهجر لي حل البلى ؛ يقولون لولا الهجر لم يطب الحب ؛ وان تلك كربي دائم قال انما بعد
يعد تجافي من يدوم له الكرب ؛ وان قلت ما اذنبت قالت مجيبة ؛ حياتك ذنب لا يقاس به ذنب ؛ ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن
حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون ما انزلنا من
البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون القراءة من يطوع بتشديد الياء والجزم حمزة وعلي وخلف ويزيد والباقون بالتخفيف وفتح
الآخر على المضي الوقوف شعائر الله ج للشرط مع فاء التعقيب بهما ط لان التطوع خارج عن موجب كونهما من شعائر الله فكان استينافا حكم
عليم في الكتاب لا لان اولئك خبر ان اللاعنون لا للاستثناء اتوب عليهم ج لاحتمال الواو للاستيناف والحال الرحيم اجمعين لا لان خالدين
حال عاملها معنى الفعل في اللعنة اي لعنهم الله حتى قرأ الحسن والملائكة وما بعده فيها ج لان ما بعده حال بعد حال واستيناف اخبار ينظرون ٥
التفسير في تعليق الآية بما قبلها وجوه منها ان السعي بين الصفا والمروة من شرائع ابرهيم ع كما مر في قصة هاجر فذكر عقيب تحويل القبلة التي هي
شرع ابرهيم ومنها انه من آثار هاجر واسمعيل وفيه تذكير لما جرى عليهما من البلوى وحسن عاقبتهما فناسب ان يردف آية الابتلاء ليعلم ان من صبر على
البلوى نال الدرجة العليا في الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام التكاليف ثلثة اولها ما يهتدي العقل الى حسنه كشكر المنعم وذكره واشير الى ذلك
بقوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي وثانيها ما ركز في العقول قبحه والتنفر عنه كالآلام والفقر والمحن فانه تعالى لا ينتفع به والعبد يتألم منه الا ان
الشرع لما ورد به تبين الحكمة فيه وهي الابتلاء والامتحان ثم يعتقد المسلم حسنه لكونه حكمة وثوابا وذلك قوله ولنبلونكم الآية وثالثها ما لا





يهتدي العقل الى حسنه ولا الى قبحه بل يراها كالعبث الخالي عن المنفعة المفردة فيأتي بها تعبدا محضا وهو اكثر افعال الحج من السعي ورمي الجمار ونحوها
فذكر طرفا من هذا القسم عقيب القسمين الاولين تتميما للاحكام واستيفاء لجميع الاقسام والصفا والمروة هكذا باللام علمان للجبلين المعروفين
بمكة زادها الله شرفا والصفاة في اللغة صخرة ملساء وفي المثل ما تندى صفاته والجمع صفا مقصورا واصفاء وصفي على فعول واذا نعتوا
الصخرة قالوا صفاة صفواء واذا ذكروا قالوا صفا صفوان قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب وعن الاصمعي المرو حجارة بيض براقة يقدح منها النار
الواحدة مروة والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة وذلك ان السعي بين الجبلين من اعلام دين الله او هما من متعبداته وقد شرع الله تعالى لامة
محمد صلعم ولابرهيم ع قبل ذلك كما مر في قوله وارنا مناسكنا وليس السعي عبادة تامة في نفسه وانما يصير عبادة اذا كان بعضا من ابعاض الحج فلهذا قرن
بقوله فمن حج البيت او اعتمر والحج لغة القصد رجل محجوج اي مقصود وهو ايضا كثرة الاختلاف والتردد يقال حج فلان فلانا اذا اطال الاختلاف اليه
ثم غلب استعماله في القصد الى مكة للنسك والحاج يأتي البيت ولا يعرفه ثم يعود اليه للطواف ثم ينصرف الى منى ثم يعود اليه لطواف الزيارة ثم
يعود اليه لطواف الصدر ومنه محجة الطريق لكثرة تردد الناس فيها والاعتمار لغة الزيارة فالمعتمر يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ثم ينصرف
كالزائر يزور ثم ينصرف والعمرة اسم من الاعتمار لغة الزيارة غلب على النسك المعروف والجناح الجرح والاثم من قولهم جنح لكذا اي مال اليه كانه
مال الى الباطل او لان الناس يميلون الى صاحبه بالمطالبة ثم قوله لا جناح عليه يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وظاهر الآية لا يدل على احد الثلثة
بالتعيين فلهذا اختلف العلماء في ان السعي واجب ام لا متمسكين بدلائل اخر فعن الشافعي انه ركن ولا يقوم الدم مقامه لقوله صلعم ان الله كتب عليكم
السعي فاسعوا وليس المراد منه العدو بل الجد والاجتهاد في ذلك المشي بحيث لا يفوت لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله ولما ثبت انه صلعم سعى فيجب علينا
اتباعه لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلعم خذوا عني مناسككم والامر للوجوب وعن ابي حنيفة انه ليس بركن ولكنه واجب وعلى تاركه دم وعن ابن الزبير
وابن عباس وانس انه تطوع وليس على تاركه شيء لان رفع الحرج دليل الاباحة لقوله بعد ذلك ومن تطوع خيرا اجاب الشافعي بما روي انه كان على
الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من
دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا
يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح فالاباحة تنصرف الى وجود الصنمين حال السعي لا الى نفس السعي كما لو كان على الثوب نجاسة يسيرة
عند ابي حنيفة او دم البراغيث عندنا فقيل لا جناح عليك ان تصلي فيه فان رفع الجناح ينصرف الى مكان النجاسة لا الى نفس الصلوة ولهذا
قال عروة لعائشة ارى انه ما على احد من جناح ان لا يطوف بالصفا والمروة قالت بئسما قلت يا ابن اختي ان هذه لو كانت على ما اولتها كانت
لا جناح عليه ان لا يطوف بهما واصل يطوف يتطوف فادغم ومن قرأ يطوع بالتشديد فاصله يتطوع والتطوع ما ترغب من ذات نفسك من غير
ايجاب عليك ومن قال ان السعي واجب فسر هذا التطوع بالسعي الزائد على قدر الواجب وعن الحسن المراد منه جميع الطاعات وهذا اولى لعموم اللفظ فان الله
شاكر اي مجازيهم على الطاعة سمى جزاء الطاعة شكرا تشبيها بجزاء النعمة وفيه تلطف للعباد مثل من ذا الذي يقرض الله كانه يقول اني وان كنت
غنيا عن طاعتك الا اني اجعل لها من الموقع ما الوضع على ان تنتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل عليم بالسرائر فهو يوفي كل ذي حق حقه وهو وعد
قرينة الشكر وان كان ايضا يحتمل التحذير عن الاخلال بوظائف الاخلاص في العبادة ان الذين يكتمون كلام مستأنف يتناول كل من كتم شيئا من
الدين وقيل هم اهل الكتاب وقيل اليهود خاصة لما روي عن ابن عباس ان جماعة من الانصار سألوا نفرا من اليهود عما في التورية من صفته صلعم ومن الاحكام
فكتموا فنزلت والاول اولى لعموم اللفظ ولان خصوص السبب لا يوجب خصوص الحكم ولان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية فلا ريب ان كتمان الدين
يوجب استحقاق اللعن من الله تعالى فيعم الحكم بحسب عموم الوصف ولا يخفى ان القرآن قبل صيرورته متواترا يمكن كتمانه والمجمل من القرآن اذا كان بيانه بخبر الواحد
يجري فيه الكتمان وكذا القول فيما يحتاج اليه المكلف من الدلائل العقلية فلان جماعة من الصحابة حملوه على العموم عن عائشة انها قالت من زعم ان محمدا
كتم شيئا من الوحي فقد اعظم الفرية على الله والله تعالى يقول ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات فحملت الآية على العموم وعن ابي هريرة قال ان الناس
اكثر ابو هريرة وتلا ان الذين يكتمون قال بعض المحققين الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة اليه وحصول الداعي الى اظهاره لانه متى لم يكن كذلك لا يعد
كتمانا فلما كان ما انزله الله من البينات والهدى من اشد ما يحتاج اليه في الدين وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان كما يوصف احدنا اذا كانت بما يقوي
الداعي الى اظهارها وعلى هذا الوجه يمدح من يقدم على كتمان السر لان الكتمان مما يشق على النفس وفي الآية دليل على ان ما يتصل بالدين ويحتاج
اليه المكلف لا يجوز ان يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته والمراد بالبينات كل ما انزله على الانبياء كتابا ووحيا دون ادلة العقل والهدى
يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية لان الهدى الدلالة فيعم الكل وبعبارة اخرى الاول هو التنزيل والثاني ما يقتضيه من الفوائد لقوله من بعد
ما بيناه للناس في الكتاب فيشمل كون خبر الواحد والاجماع والقياس حجة لان الكتاب دل على هذه الامور وهذا الاظهار فرض على الكفاية لا على التعيين
لانه اذا اظهره البعض صار بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما واذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على الباقين اظهاره مرة اخرى وقيل لم
لا يجوز ان يكون كل واحد منهيا عن الكتمان مامورا بالبيان ليكثر المخبرون فيتواتر الخبر واجيب بان التواطؤ على الوضع والافتراء فلا يكون خبرهم موجبا
للعلم ومن الناس من يحتج بالآية على وجوب قبول خبر الواحد لان وجوب الاظهار دل على وجوب العمل بالذي اظهره لا سيما وقد قال الا الذين تابوا

وَاَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا الحكم بوقوع البيان بخبرهم واستدل بالاية ايضا على عدم جواز اخذ الاجرة على التعليم لانها دلت على وجوب التعليم ولا اجرة على اداء الواجب وقيل في الكتاب اى في التورية والانجيل من نعت الرسول ص من الاحكام والمعنى ما لخصناه بحيث لم ندع فيه موضع اشكال الفهد والى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس وقيل اراد بالمنزل الاول وفي ما بالهدى القران اولئك تبعيدهم عن رحمة الاعتبار يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ يبعدهم عن كل خير ويلعنهم يدعو عليهم باللعن اللاعنون الذى يتأتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة وصالحي الثقلين وقيل يدخل فيهم دواب الارض وهوامها فانها تقول منعنا القطر بشوم معاصى بنى ادم واللاعنون دون اللاعنات تغليب للعقلاء وقيل هم الهوام فقط فالتذكير لانه تعالى وصفهم بصفات العقلاء مثل وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَاَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِيْنَ يَا اَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ وَقَالُوا لِجُلُوْدِهِمْ لِمَ شَهِدْتُّمْ وقيل كل شيء سوى الثقلين بتقدير انها لو كانت عاقلة كانت تلعنهم او لانها في الاخرة اذا اعيدت وجعلت من العقلاء فانها يلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه وقيل ان اهل النار يلعنونهم ايضا لانهم كتموهم الدين كلما دخلت امة لعنت اختها وعن ابن مسعود اذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق وان لم يكن مستحق رجعت على اليهود الذين كتموا ما انزل الله سبحانه وعن ابن عباس انهم لعنين لعنة الله ولعنة الخلائق قال ذلك اذا وضع الرجل في قبره فيسئل ما دينك ومن ربك فيقول لا ادرى فيضرب بضربة يسمعها كل شيء الا الثقلين فلا يسمع على شيء صوته الا لعنه ويقول له الملك لا دريت ولا تليت اِلَّا الَّذِيْنَ استثناء منهم وفيه من ١١ تم ما فيه وقد مر ان التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه لا لغرض سواه فان من ترك رد الوديعة ثم ندم لان الناس لاموه او لان الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما كتموه بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدى بهم غيرهم من المفسدين فَاُولٰئِكَ اَتُوْبُ عَلَيْهِمْ اقبل توبتهم بان اسقط العقاب عنهم تجملا واضع مكانه الثواب تفضلا بدله له قوله وَاَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَمَاتُوْا عام في كل من كان كذلك وقيل مخصوص بهؤلاء الكاتمين ذكر لعنهم احياء ثم لعنهم امواتا اذا لم يتوبوا وعلى هذا القول يكون اطلاق الكفر عليهم وهم من اصحاب الكبائر تغليظا او يراد بالكفر جحود الحق وستره والمراد بالناس اللاعنين من يعتد بلعنه وهم المؤمنون اجمعون قيل يوم القيامة يلعن بعض الكفار بعضا فيهم المؤمن والكافر وقيل لعن الجاهل والظالم مقرر في العقول حتى ان الظالم قد يلعن نفسه تأمل في حاله وقيل وقوع اللعن محمول على استحقاق اللعن على من مات كافرا وان زال التكليف عنه بالموت على ان الكافر لاجل لم يكن زوال التكليف عنه بالجنون مسقطا للعنة والبراءة منه وكذلك سبيل ما يوجب المدح والموالاة من الايمان والصلاح اذا مات صاحبه جن لا يغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحال وفي الاية دليل على ان الامور بخواتيمها انه اذا كفر ومات لا على الكفر لم يكن ملعونا ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خَالِدِيْنَ فِيْهَا في اللعنة وقيل في النار واضمرت وان لم يجر لها ذكر تفخيما لشأنها وتهويلا لمكانها والاول اولى لتقدم ذكره لفظا ولان اللعنة تشمل النار وزيادة ولانها تصح في الحال والمال جميعا بخلاف النار فانها في الاستقبال فمن فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلاص على صاحب الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل وقد سلف مثل ذلك لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ بل يتشابه في الاوقات باقيا على المبلغ الذى يتجه له بحسب ما استحقه وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَ اذا استنظروا من الانظار الامهال ولا ينظرون ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر رحمة اعاذنا الله تع من تلك الحالة بعميم فضله وجسيم طوله التأويل للسر والمروة للروح والسالك بينهما يسعى ففي صفاء السر يقطع التعلقات عن الكونين وهو التعظيم لامر الله وفي مروة الروح يوصل الخير الى اهله وعياله ونفسه لمراقبة احوال الباطن ومراعاة اعمال الظاهر وهو الشفقة على خلق الله ومعنى سبع مرات ان يصل بركات سعيه الى سبعة اداء ته في الظاهر والى سبعة اطواره في الباطن والى سبعة اقاليم العالم لقوله تع وَاَنْ لَّيْسَ لِلْاِنْسَانِ اِلَّا مَا سَعٰى وَاَنَّ سَعْيَهٗ سَوْفَ يُرٰى ومن كمال رأفته باهل محبته ان جعل اثار اقدامهم اشرف الامكنة وساعات ايامهم اعز الازمنة فلتلك المعاهد والاطلال تشد الرحال ولتلك المشاهد والاثار تعظم وتزار اهوى مواضع الحمى قد كان ساكنها وليس في الدار لي هم ولا وطر وحسبى الله ونعم الوكيل وَاِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ اِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ

وخداى شما خدائى است يگانه نيست خدا بجز او ان بخشنده مهربان بدرستيكه در آفرينش آسمانها و زمين

وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِيْ تَجْرِيْ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاۤءِ مِنْ مَّاۤءٍ فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

وگردش شب و روز وكشتى آنچنانى كه روانست در دريا بآنچه سود ميرساند مردم را وآنچه فرو فرستاد خدا از آسمان از آب پس زنده كرد بآن زمين را پس از مرگش

وَبَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَاۤبَّةٍ وَّتَصْرِيْفِ الرِّيٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاۤءِ وَالْاَرْضِ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ القراءة لا اله الا هو بالمد

ويراكنده كرد در آن از هر نوع جنبنده وگردانيدن بادها در جهات وابرا كه رام كرده شد در ميان آسمان و زمين هر آينه نشانهاست مر گروهى را كه درك كنند

وكذلك جميع التهليل روى الهاشمى عن ابن كثير لورود الاثر في هذه الكلمة وهو قوله ص من قال لا اله الا الله ومدها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وروى ابو الفرج عن شنبوذ لا مد بالامالة حيث كان الريح مفردا حمزة وعلي وخلف الباقون الرياح مجموعا الوقوف حرج نظرا الى ما بعده وصفا خر والى الاختلاف بالنفى والاثبات الرحيم من كل دابة ص ضرورة طول الاية والافاسن لايات والجار وما يتصل به معترض والاولى الوصل والرجوع يعقلون ه التفسير الواحد قد يكون اسما وذلك في العدد واحد اثنان ثلثة وقد يكون صفة كقولك شخص واحد معناه انه لا ينقسم من جهة ما قيل انه واحد فالانسان الواحد يستحيل ان ينقسم من حيث هو انسان لان الانسان الواحد يستحيل ان ينقسم الى انسانين بل قد ينقسم الى الابعاض والاجزاء وذلك من جهة اخرى ثم زعم قوم ان الواحدية صفة زائدة على الذات لان الجوهر قد يشارك العرض في كونه واحدا ولا يشاركه في كونه جوهرا

في تفسير الواحد







فقط ولانه يصح تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحدا والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ولان قولنا الجوهر واحد ليس يجرى مجرى قولنا الجوهر جوهر مقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه واحدا امر ثبوتى لانه لو كان سلبيا لكان سلبا للكثرة فان كانت الكثرة سلبية وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة الا مجموع الوحدات فان كانت الوحدة سلبية حصل من الامور المعدومة امر موجود وهو محال فثبت ان الوحدة صفة زائدة ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا تحقق لها الا في الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشيء المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا في نفسه قبل ان وجد ذهننا واعتبارنا فثبت ان كون الشيء واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بذلك الذات والجواب ان كون الشيء واحدا في ذاته معناه كونه بحيث يصح ان يدرك الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا يتوقف على حصول الذهن في الخارج ثم ان الوحدة لو كانت صفة زائدة على الذات كانت الوحدات متساوية في ماهية الوحدة ومتباينة بتعينها فلها تكون للوحدة وحدة اخرى وهلم جرا وذلك محال ثم ان شيئا من الموجودات لا ينفك عن الوحدة ثم ان العدد فان العشرة الواحدة يعرض لها الوحدة من حيث هي عشرة واحدة فان قلت عشرتان فالعشرتان مرة واحدة قد عرضت لها الوحدة من هذه الجهة فلا شيء من الموجودات ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود لان الموجود ينقسم الى الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغاير لما به الانقسام والواحد الحق سبحانه وتع واحد باعتبارين احدهما ان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة بل من امر بسيط واليه الاشارة بقوله وَاِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ والخطاب للممكنات باسرهم والتذكير لتغليب ذوى العقول الذكور وثانيهما انه ليس في الوجود ما يشاركه في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدأ لجميع الممكنات وهو المراد بقوله لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ويمكن ان يقال القرينتان تدلان على نفي الشريك الا ان الاولى منهما تدل على اثبات وحدته في الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي الشريك كقولك هو سيد احد تريد الوحدة في السيادة فيلزم نفي ان يكون غيره سيدا والقرينة الثانية تدل على نفي الشريك بالمطابقة ثم على اثبات المعبودية بالحق فمعناه لا اله في الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة وهي ان اثبات الحق وقع في كلتا القرينتين بالمطابقة ليعلم انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له رجوع وعروج وذلك انه تم يفني في عالم اللاهوت فيبقى ببقاء الحي الذي لا يموت ويطالع عالم الشهود فيلزم منه نفي ما سوى الحق واذا رجع الى عالم الناسوت ضرورة وجب عليه نفي كل من سوى حتى يعرج الى المقصود فهذا سر عكس الترتيب في القرينتين ولان الاولى مرتبة الصديقين السابقين فلا جرم وقع التكليف بالترتيب الاخير امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان العقلي على انه تع واحد من جميع الوجوه لا يحتمل اجزاء مقدارية كما للاجسام ولا يحصره اجزاء معنوية كما في البسائط النوعية ولا اجزاء اعتبارية كما في البسائط الجنسية هو ان كل مركب فانه يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه والمفتقر الى غيره لا يكون واجب الوجود لذاته ايضا فكل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته في العقل والاعتبار فانه يمكن تصور الممكن من حيث انه ممكن مع الشك في وجوده الخارجي ولكن لا يمكن تعقل الواجب ص حيث انه واجب مع الشك في وجوده ولا نعني بكون الوجود زائدا الا هذا واما انه تع وحده لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي ان لا يكون الواجب لذاته مفتقرا في شيء الى شيء اصلا ولا يكون كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال ولا ريب ان من كمالات الجميل كونه عديم النظير ومن تحقق معنى وجوب الوجود بنور الباطن وصفاء الضمير لم يشك في وجوده تع ولا في ان واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته حتى عن حمل الوحدة عليه عن تصور ذاته وههنا حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار لتخلص عن ظلمات شبهات الاشرار وتفوز بمقامات الابرار وتستغرق في بحار عالم الانوار بعون الملك الجبار وشروق انوار الواحد القهار ولك ان تقول انه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له اما انه واحد في ذاته فلانه لو شاركه غيره في حقيقته لزم تركبه مما به الاشتراك ومما به الامتياز وكل مركب مفتقر ممكن واما انه واحد في صفاته فلان صفات غيره من غيره وصفاته من نفسه ولان صفات غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية وصفاته غير متناهية كعلمه مثلا فان له معلومات غير متناهية بل له في كل معلوم علوم غير متناهية بحسب احياز ذلك المعلوم واوقاته وسائر احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعنى كونها حالة في ذاته وكون ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته يستكمل بها لان ذاته كالمبدأ لتلك الصفات ولن يستكمل المبدأ بما عن المبدأ بل ذاته مستكملة بذاته ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال وقد يفضي النظر ههنا الى حيث تقصر العبارة عن الوفاء به وذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته كما انه لا خبر عندها من ذاته فانا لا نعرف من علمه الا انه لذي لاجله ظهر الاحكام والاتقان في المخلوقات كما انا لا نعلم من ذاته الا انه مبدأ لجميع الممكنات من طبع على قلبه مستحيل الخذلان ومن كشف له الغطاء صادحيران فلا احاطة للفطرة بكرة الماء ولا ظهور لضوء السهى عند حلول الشمس كبد السماء اشتاقه فاذا بدا اطرقت من اجلاله لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله فالموت في ادباره والعيش في اقباله واصد عنه اذا بدا واروم طيف خياله واما انه واحد في افعاله فلان ما سواه ممكن الوجود لذاته وبعد البون بين الواجب للذات والممكن للذات يوجد التفاوت بين فعليهما ان فرض للممكن فعل من نفسه اَللّٰهُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَاۤئِكُمْ مَّنْ يَّفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحٰنَهٗ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ثم انه تع خص الموضع بذكر الرحمن الرحيم لان ذكر الالهية والفردانية يفيد القهر والعلو فعقبهما بذكر الصفتين ترويحا للقلوب عن هيبة الالهية وعزة الفردانية واشعارا بان رحمته سبقت غضبه وان ما خلق الخلق الا للرحمة والاحسان اِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ الاية ذكر علماء المعاني في ان مجانسة هذه الاية ان في ترجيح وقوع اي ممكن كان على لا وقوعه لايات للعقلاء الا ان الكلام لما كان لا مع الانس والجن فحسب بل مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الى انقراض الدنيا

في معنى الواحد

الفرق بين الممكن والواجب

فيهم من يرتكب التقصير في باب النظر والعلم بالصانع من لا يحصى من طوايف الغواة لم يكن مقام ادعى لترك الايجاز الى الاطناب من هذا عن عطا قال
انزل بالمدينة على النبي ﷺ والهكم اله واحد فقالت كفار قريش بمكة ولهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان في
خلق السموات والارض الى اخرها وعن سعيد بن مسروق لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون وقالوا اله واحد ان كان صادقا فليأتنا باية
فنزلت وزعم بعض الناس ان الخلق هو المخلوق وهو الذي يدل على الصانع والتحقيق انه غيره لان الخلق التقدير وتقدير المخلوقات غير نفس المخلوقات ولو كان
عينها والخالقية صفة لله تعالى لزم اتصافه تعالى بالقاذورات والشياطين ولانه يصح تعليل حدوث الحادث بخلق الله تعالى فلا يصح تعليل حدوثه بنفس
ذلك الحادث ولانه يصح ان يقال خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض ولاتفاق المعتبرين من النحاة
على ان العالم في قول القائل خلق الله العالم مفعول به لا مفعول مطلق ثم لا نزاع في الاستدلال على الخالق بالمخلوق لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله
اياه وهذه الجهة هي التي صيرته اية وقد عد الله تعالى في هذه الاية ثماني ايات الاولى خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها في تفسير قوله تعالى فسويهن
سبع سموات وقد زعم اهل الهيئة لما شاهدوا من كل واحد من السيارات السبع حركات مختلفة كالبطوء والسرعة بعد التوسط في الحركة والوقوف
والرجوع بعد الاستقامة وهي الحركة على توالي البروج وعندهم مقدمتان كليتان احديهما ان السموات لا يتطرق اليها الا الاختلاف الوضعي الثانية
ان حركة الكوكب في الفلك ليست كحركة السمك في الماء ولكنه يدور بادارة الفلك اياه ان كل واحد من افلاك السيارات ينقسم الى افلاك اخر تتضمنها فمنها
الكلي الذي مركزه مركز العالم ومراكزها يخالف مركزه في الاغلب ثم ان كان مع المخالفة في المركز محيطا بالارض يخص باسم الخارج المركز ويبقى بعد توهم
انفصاله من الفلك الكلي جسمان تعليجان متشابها الوضع الغلظ والرقة يسميان المتممين وان لم يكن محيطا بالارض يسمى بالتدوير ويكون الكوكب
مركوزا فيه كالفص في الخاتم ويلزم له من مجموع الحركات المركبة من تلك الافلاك حركة مختلفة في النظر وان كان كل منها متشابهة في نفس الامر ونعني بالتشابه
ههنا ان يقطع المتحرك من المحيط في ازمنة متساوية قسيا متساوية او يحدث عند المركز زوايا متساوية وبالاختلاف نقيض ذلك فللقمر من تلك الافلاك
اربعة اثنان متوافقان في المركز وخارج وتدوير ولعطارد اربعة احدها يوافق مركزه مركز العالم وخارجان وتدوير وللزهرة ثلثة موافق وخارج وتدوير وكذا لكل
من الثلثة العلوية كالزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك بسيطة موضوعة في الزيجات واما المختلفة فالشمس تقطع جميع الفلك في سنة شمسية وهي
ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا والقمر في ثمانية وعشرين يوما وكل من عطارد والزهرة كالشمس وزحل في ثلثين سنة والمريخ في سنتين و
المشتري باثني عشرة سنة جميع ذلك بالتقريب تقرر ذلك على الاجمال فنقول في كيفية الاستدلال بهذه الاحوال ان اختصاص مقادير كل واحد من الافلاك
بمقدار معين مع اشتراكها في الطبيعة الفلكية تدل على تخصيص مدبر مختار خبير قدير قهار وكذا تخصص كل منها بحيز معين وكذا تعيين نقطتين من
سطح الفلك للقطبية مع تساوي جميع النقط المفروضة عليه في صلوح ذلك وكذا حصول الكواكب او التدوير في جانب معين من الفلك وكذا تفصيل الافلاك
الكلية الى الخوارج المراكز وابقاء المتممات على اقدار معينة في الرقة والغلظ وكذا تعيين كل من الاجرام بحركة معينة السيارات كما قلنا انفا والثوابت بحيث
تتم دورا في ستة وثلثين الف سنة على ما في المجسطي او في خمسة وعشرين الف سنة ومائتي سنة عند المتاخرين والفلك الاعظم في يوم بليلة وكذا
تعيين جهات الحركات شرقا او غربا وشمالا او جنوبا وكذا تعيين مبادي الحركات وتخصيصها بزمان دون زمان فان الافلاك سواء قلنا انها
حادثة او يقال انها ازلية لا بد ان يكون لحركاتها اول لان الحركة انتقال من حالة الى حالة وكون الحركة ازلية ينافي المسبوقية بالغير فالابتداء بالحركة
بعد ان لم يكن يقتضي الافتقار الى فاعل مختار يكون الكل تحت قهره وتسخيره وكذا تخصيص كل من الكواكب بعظم اخر وبلون اخر كصفرة عطارد وبياض
الزهرة وكمودة زحل ودرية المشتري وحمرة المريخ وظلمة القمر في ذاته بحيث اذا حال بين الناظر وبين الشمس وذلك في الاجتماع المرئي كسفها وكذا اختلاف
تاثيراتها في هذا العالم باذن خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب والنسق الانيق في تركيب الافلاك وايلاف حركاتها وارتباط اجرامها واختلاف
اوضاعها المستتبعة لاتصالاتها وانصرافاتها اترى انها مبنية على حكمة وبقدرة قدير خبير ام هي واقعة عبثا وجزافا هيهات فان من جوز في بناء رفيع
وقصر مشيد ان التراب والماء انضم احدهما الى الاخر ثم تولد منهما اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها القصر ثم
تزين بنفسه بالنقوش الغريبة والرسوم اللطيفة قضى العقل له بالجنون وسجل عليه بسخافة الراي بل بعده من زمرة الانعام لا من جملة الانام الاية الثانية
خلق الارض ومن تامل في شكلها من الاستدارة وفي حيزها من كونها واقعة في مركز العالم حتى انبعث منها بوقوع الشمس عليها مخروط ظلي في مقابلة
الشمس متى وقع القمر فيه انخسف ومن انكشاف بعضها عن كرة الماء لمكان الاستقرار عليها وفي اختلاف اوضاع بقاعها بالنسبة الى السماء حتى اختلف
مرور الشمس وساير الكواكب بسمت رؤس قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق وتغايرت الطوالع والمطالع بحسب تغاير الافاق
ومن ساير اعراضها ومنافعها التي تقرر طرف منها في تفسير قوله الذي جعل لكم الارض فراشا علم افتقارها الى مدبر قدير عليم خبير واحد في ملكه وملكه
يفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعاند الثالثة اختلاف الليل والنهار واما النهار فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الافق وفي عرف الشرع
عن زيادة ما بين طلوع الفجر الصادق الى طلوع جرم الشمس واما الليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق وبنقصان الزيادة المذكورة وذلك
ان الشمس اذا غابت ارتفع راس مخروط ظل الارض الى فوق فوقع الابصار داخلة الى ان يظهر الضلع المستنير منه من جانب الافق الشرقي فيكون اول الفجر الكاذب
ان كان الضوء مرتفعا عن الافق بعد اول الفجر الصادق اذا قرب من الافق جدا وانبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت الافق طلع مركز جرم الشمس





مقابلة فظهر ان الليل والنهار كيف يختلفان اي يتعاقبان يجيء هذا ويذهب ذاك كقوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او يختلفان ظلاما وضياء او طولا و
قصرا لان زيادة احدهما يستلزم نقصان الاخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة او كيف يختلفان في الامكنة فان نهار كل بقعة ليل
بقعة تقابلها ضرورة كرية الارض او كيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلدان كلما ازداد عرضها عن خط الاستواء وهو الموضع المحاذي لمنطقة
الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره في الصيف طولا وفي الشتاء قصرا وبالعكس في الليل وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع
القطب بحيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازائه الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الاخر ليلا وذلك اذا صار قطب
الفلك الاعظم محاذيا لسمت الراس ولا عمارة هناك ولا حيث يزيد النهار الاطول على يوم بليلته لشدة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس وكون الليل
والنهار في نفسهما ايتين على وجود الصانع ووحدانيته ظ وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الاعظم وكذا من جهة انتظام احوال العباد بهما بسبب طلب المعاش
في الايام والنوم والراحة في الليالي ومن الغرايب تعاون المتنافيين على امر واحد هو اصلاح معاش الحيوان وان اقبال الخلق في اول الليل على النوم يشبه موت
الخلايق اولا عند النفخة الاولى ويقظتهم عند طلوع الفجر يشبه عود الحيوة اليهم في النفخة الثانية وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فيه من عجايب الاشياء
كانه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان وكل هذه الامور دلائل على وجود مبدع عظيم الشان غني عن الزمان والمكان مبرأ عن سمات
الحدوث والامكان الرابعة الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس والفلك بالضم والسكون السفينة واحد
وجمع فضمة الواحد ضمة برد وضمة الجمع ضمة اسد تانيث صفته ههنا يحتمل ان يكون لتضمين معنى السفينة ويحتمل ان يكون لمعنى الجمعية اي المراكب التي تجري في البحر
التركيب يدل على الاستدارة والدوران ومنه الفلك لجسم كروي يحيط به سطحان متوازيان مركزهما واحد وفلكة المغزل وفلك ثدي الجارية استدار و
البحر خلاف البر قيل سمي بذلك لاتساعه وتعمقه ومنه تبحر في العلم والمال ويسمى الفرس الواسع الجري بحرا قال ﷺ في فرس ابي طلحة ان وجدناه لبحرا وقيل من الشق بحرت
اذن الناقة شققتها ومنه البحيرة هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل الذي جعل لكم الارض فراشا ان الماء محيط باكثر جوانب الارض المعمورة من
الارض فذلك هو البحر المحيط وقد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقي ومنقطعا عن الغربي الى وسط العمارة خليجان ولهما اذا
ابتدئ من الغرب الخليج البربري لكونه حدا بر من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون فرسخا وعلى ضلعه الغربي بلاد كفار الحبشة وبعض
الزنج وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة وثانيها الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه يقرب منتهاه ستون فرسخا وبين طرفه
وفسطاط مصر الذي على شرقي النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربي بلاد الزنج من البربر وبعض بلاد الحبشة وعلى ضلعه الشرقي سواحل عليها فرضة
مدينة الرسول ﷺ القوافل مصر والحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الزاوية الشرقية منه وثالثها خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة
وستون فرسخا وعرضه قريب مائة وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربي اليمن بلاد عمان ولهذا ينسب البحر هناك اليها وجملة ولاية العرب وبواديهم من الحجاز
واليمن والطايف وغيرها وبواديهم بين الضلع الغربي من هذا البحر والشرقي من الخليج الاحمر فلهذا سمي العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وفيها مكة
زادها الله شرفا وعلى سواحل ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند ورابعها الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال
الشرقي من بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران يتصل بالمحيط الشرقي وضلعه الغربي خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات القنا والصين و
يسمى بحر الصين ومن زاويته الشرقية الغربية المائلة من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولاياتهم على سواحله واليه قد يصل الى العمارة من جانب
الغرب خليج عظيم من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب يحاذي ارض السودان وينتهي الى بلاد مصر والشام ومن جانب الشمال على بلاد اندلس والروم والجلالقة
والسقالبة الى بلاد الروم والشام ويتشعب منه شعبة من شمال ارض الصقالبة الى ارض مسلمي بلغار يسمى بحر ورنك طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلثة
وثلثون اذا جاوز تلك النواحي امتد نحو المشرق وما وراءه جبال غير مسلوكة واراض غير مسكونة ويتشعب منه ايضا شعبة يسمى بحر طرابزون فهذه هي البحار
المتصلة بالمحيط اما غير المتصلة فاعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب الخزر والابسكون لكون هذه الولايات على سواحله مستطيل الشكل اخذ من
المشرق الى المغرب باكثر من مائتين وخمسين فرسخا ومن الجنوب الى الشمال تقرب من مائتين ومن عجايب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام والانواع والاصناف
ومنها الجزاير الواقعة فيها فقد يقال في بحر الهند من الجزاير العامرة وغير العامرة الف وثلثمائة وسبعون منها جزيرة عظيمة في اقصى البحر مقابل ارض الهند في
ناحية المشرق عند بلاد الصين تسمى جزيرة سرنديب دورها ثلثة الاف ميل فيها جبال عظيمة ومنها يخرج الياقوت الاحمر وحول هذه الجزيرة تسعة
عشر جزيرة عامرة فيها مدن وقرى كثيرة ومن جزاير هذا البحر جزيرة كله التي يجلب منها الرصاص القلعي وجزيرة سربرة التي يجلب منها الكافور وغرايب
البحر كثيرة ولهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض العقلاء ما رايت من عجايب البحر قال سلامتي منه والسفينة مما الهم الله تعالى تركيبها ثم اجراها بعد ما
على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة السفينة ثم عجيب صنعها لما تم جريها ولولا الرياح المعينة على تحركها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح
لما سلمت من تلاطم الامواج ولولا تقوية قلوب راكبيها لما صبروا على شدائد كونها ولولا انه تعالى خص كل طرف بشيء لم ينبعث الدواعي الى اقتحام الاخطار
في هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الامصار في البراري والبحار فلا جرم ينتفع الحامل من حيث انه يربح وينتفع المحمول اليه من حيث انه يجد ما اعوزه وفي الاية
دليل على اباحة ركوب السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها اما نزول المطر من السماء
فقد مر تحقيق ذلك في تفسير قوله تعالى او كصيب من السماء وان المراد من السماء السحاب او التقدير من جانب السماء واما تنكير من ماء فلان الغرض الوحدة النوعية

او الصفة يعني ماء هو سبب حيوة الارض لا لمطر الارض الذي لا ينبت شيئا كما جاء في الحديث ليس السنة بان لا تمطروا انما السنة التي تمطروا ولا تنبت ولا يريان
في انزال ذلك الماء دلالات على الصانع ووحدانيته حيث جعله في غاية الصفاء واللطافة والعذوبة وصيره سببا للارزاق وانزاله بعد قنوط الناس عن
شدة احتياجهم اليه واودع فيه ربه فاحيوا الارض اي حسنها ونضارتها ورواءها وبهجتها وخضرتها بخروج اصناف النبات وضروب الاعشاب والوان الازهار
وانواع الاشجار والاثمار وجريان الجداول بينها والانهار بحيث تروق الناظرين وتشوق السامعين فوقت الربيع في الازمان كسن الصبي في الانسان وموت
الارض من ترشيح الاستعارة فانه لما عبر عن بهجتها ونضرتها وخضرتها بالحيوة عبر عن جمودها وكمودها وبقائها على الهيئة الاصلية بالموت كانها جسد
لا روح فيه فلا دواء عليه السادسة وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وانه معطوف على انزل فيدخل تحت حكم الصلة ويصح عود الضمير في فيها الى الارض لان قوله فاحيى الارض
عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا اي فاحيا بالمطر
وبث فيها من كل دابة لان معاش الحيوان بل حيوته يدور على الماء وجعلنا من الماء كل شيء حي اعلم ان الحيوان اما تولدي وتوالدي وكلا الصنفين
يحتاج الى صانع فرد حكيم يحكى ان شخصا قال بحضرة عمر ابي التعجب من امر الشطرنج لتعدد صغرته ولو لعب الانسان به الف مرة لم يتفق مرتان فقال عمر ههنا
ما هو عجيب منه وهو ان مقدار الوجه شبر في شبر ثم ان مواضع الاعضاء التي فيها من الحاجبين والعينين والانف والفم لا يتغير البتة ومع ذلك لا ترى
شخصين ابدا يشتبهان في الصورة فما اعظم تلك القدرة والحكمة التي اظهرت في هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التي لا حد لها ولولا هذا الاختلاف
لاشتبه الناس بعضهم ببعض فانقطع نظم معايشهم وحوائجهم من تامل كتب التشريح وقرا كتاب الحيوان وتتبع عجائب المخلوقات وقف من تراكيبها وخواصها
على ما يقضي منه العجب ويفضي الى الاعتراف بوحدانية الرب السابعة تصريف الله تعالى الرياح مع دقتها ولطافتها وفي ذلك نفع عظيم لانتفاع الحيوان
بتنشق الهواء البارد وبجريان السفن بهبوب الرياح من قبل تلقيح الاشجار وسوق السحاب الى حيث يرسله الله تعالى ومن جهة تصحيح الاهوية الوبائية
الى غير ذلك من المنافع والمراد بتصريفها تقليبها في جهات العالم على حسب المصالح شمالا وجنوبا وشرقا وغربا اي صبا ودبورا وعلى كيفيات مختلفة
حارة وباردة وعاصفة ورخاء ومن قرا الريح بالوحدة فليس فيها دلالة على العذاب في هذا المقام والذي جاء في الحديث انه صلعم كان اذا هبت الريح
قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلا بد له الا على ان مواضع الرحمة بالجمع دلل كما قال تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وقال في عاد اذ
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ قد يختص اللفظة في القران بشيء فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء في التنزيل من قوله وما يدريك مبهم غير
معين قال وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ وما كان من لفظ ادريك فانه مفسر وما ادريك ما القارعة وما ادريك ماهيه الثامنة السحاب المسخر
بين السماء والارض سمي سحابا لانسحابه في الهوا ومعنى التسخير التذليل وذلك ان طبع الماء ثقيل يقتضي النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف
طبعه بقاسر مسخر وايضا لو دام لعظم ضرره من حيث انه يستر ضوء الشمس ويكثر الانداء والامطار ويتعذر التردد في الحوائج ولو انقطع لعظم ضرره
لاستلزامه الجدب والقحط فكان تقديره بالمقدار المعلوم والاتيان به في وقت الحاجة ودفعه عنده والهابه مدبر ومسخر لا محالة وفي نفس السحاب
من عظمه وتراكمه وارتفاعه وانخفاضه وانبساطه وتخلخله وتسده الانوار في لحظة وانقشاعه في اخرى واشتماله على الرعد والبرق والصيحة والتطبيق
الى غير ذلك من العجائب لايات واضحة على كمال حكمة موجده ومقدره واما قوله تعالى لَآيَاتٍ فيحتمل ان يكون راجعا الى الكل اي مجموع هذه الاشياء
الثمانية ايات ويحتمل ان يكون راجعا الى كل واحد فان كل واحد منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا واتم فكل واحدة منها من حيث انها موجودة
تدل على وجود موجدها وكونه قادرا ومن حيث انها وقعت على وجه الاحكام والاتقان تدل على علم الصانع ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت
دون وقت تدل على ارادته واختياره ومن حيث انها وقعت على الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله تعالى لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
واما قوله تعالى لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فانما خص الايات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر فيه والاستدلال وفي الاية من الفوائد ان التقليد مذموم وانه
الى تحقيقه سبيل وفيها ان جميع المعارف ليست ضرورية والا لم يحتج الى النظر في شيء منها وانما خص الايات الثمانية بالذكر مع ان سائر الاجسام
والاعراض مشتركة في الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها دلائل وبين كونها نعما على المكلفين ومتى
كانت الدلائل كذلك كانت انجع في القلوب واشد تاثيرا في الخواطر عن رسول الله صلعم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها حسبي الله ونعم الوكيل

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ
وبعضی از مردمان کسی که فرا گرفته اند بغیر از خدا انبازها را دوست میدارند ایشانرا چون دوستی خدا و آنانکه گرویدند سخت‌ترست دوستی ایشان برای خدا و اگر بدانند
ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
ستمکاران که چون ببینند عذاب را که توانائی مختص بخداست همه آن و بدرستیکه خدا سخت عقوبت است وقتیکه بیزاری جویند آنانکه پیروی کرده شدند از آنانکه پیروی کردند
وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ
و ببینند عذاب را و بریده شده بایشان وسیلها و بگویند آنانکه تابع گشتند کاشکی بود از برای ما بازگشتی که بیزاری جوییم از ایشان همچنانکه بیزاری جستند از ما همچنین
يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ القراءة ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون
مینماید بایشان خدا کردارهای ایشانرا حسرتها برایشان و نیستند ایشان بیرون آیندگان از آتش جهنم بالياء اذ يرون بضم الياء من الاراءة ابن عامر ان القوة فان بكسر الالف




فيهما يزيد وسهل ويعقوب تبرا بادغام الذال في التا وكذا ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزة وعلي وخلف يريهم الله بكسر الهاء والميم
ابو عمرو وسهل قرا حمزة وعلي وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم خارجين بالامالة عباس وقتيبة الوقوف من النار
الوقوف كحب الله ط حبا لله ط العذاب لا وكذلك جميعا لا لمن قرا ان وان بالكسر فيهما شديد العذاب لا الاسباب تبروا منا ط عليهم ط من النار التفسير
سبحانه تعالى لما قرر التوحيد بالدلائل الباهرة عقبها بتقبيح ما يضاده فبضدها تتبين الاشياء والند المثل المناوي كما سلف المراد بالانداد ههنا
هي الاصنام التي اعتقد المشركون انها تقربهم الى الله زلفى ونذروا لها النذور وقربوا لاجلها القرابين وقيل يعني السادة الذين كانوا يطيعونهم ويتبعون
على اوامرهم ونواهيهم محللين ما حرم الله ومحرمين ما احل عن السدي واستدل على تفسيره بان قوله يحبونهم فيه ضمير العقلاء ولانه من المستبعد ان يكون
محبتهم لله مع علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ولقوله إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وذلك لا يليق الا بمن اتخذ العقلاء اندادا وامثالا لله
يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون لله تعالى ويمكن تزييف الحجج بان ضمير العقلاء جاز عوده الى الاصنام بناء على اعتقاد الجهلة حيث
نظموها في سلك المعبود الحق قال تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وانهم علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا
بذلك ما اشركوا وانهم التبري لا يمتنع من الاصنام بدليل قوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقال اهل العرفان كل شيء شغلت قلبك به سوى الله
فقد جعلته في قلبك ندا لله تعالى أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ يحبونهم يعني عبادتهم والتقرب اليهم والانقياد لهم ويعظمونهم ويخضعون لهم كحب الله
من اضافة المصدر الى المفعول اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لانه غير ملتبس وقيل كما يحب الله الا ان
عليهم لله وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ لانهم لا يعدلون عنه الى غيره في السراء ولا في الضراء ولا يجعلون وسائط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهتها من حيس عام القحط والسمن والمرعام المجاعة
وفيهم قال الشاعر اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة واعلم ان اطلاق محبة العبد لله تعالى قد ورد في القران
والحديث كما في هذه الاية وكقوله يحبهم ويحبونه ويروى ان ابراهيم عم قال لملك الموت وقد جاء لقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه
هل رايت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الان فاقبض وجاء اعرابي الى النبي صلعم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ماذا اعددت لها
فقال ما اعددت كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال صلعم المرء مع من احب ثم ان الائمة اختلفوا في معناها فقال جمهور المتكلمين ان المحبة نوع
من انواع الارادة لا تعلق لها الا بالجائزات فيستحيل تعلقها بذات الله وصفاته فمعنى قولنا يحب الله يحب طاعة الله وخدمته او يحب ثوابه واحسانه واما
العارفون فيقولون انا نحب الله لذاته لا لغرض ولو كان كل شيء محبوبا لاجل شيء اخر لدار او تسلسل اذ كما نحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته
وغلبته والرجل الزاهد لبراءة ساحته عن المثالب فالله تعالى احق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى كماله نقص لكمال مطلوب لذاته محبوب لنفسه وكلما كان الاطلاع
على دقائق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه له اتم ويجب الترقي في درجات العرفان يزداد المحبة الى ان يستولي سلطان الحب على قلب المؤمن فيشغله
عن الالتفات بغيره ويفنى عن حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر وبه يمشي وبه يتكلم بلسان الحال ليس في جبتي سوى الله فلا يعصي الله طرفة عين ولا يشتغل
بحظ نفسه لمحة بصر كما قيل تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ومحبة الله اوليائه
ومغفرته يا ذوي عداوته ومخالفيه ذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين لعين تعدى للفاعلين وشفى ويكرم الف للحبيب المكرم ولو ترى قرئ بالتاء
وان وان بالفتح والكسر فههنا اربع تقديرات الاول لو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد اذ عاينوا العذاب يوم القيمة ان القدرة كلها
لله على كل شيء من العقاب والثواب دون انداده ان عذاب الله للظالمين شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع
العلم بظلمهم وضلالهم حذف جواب لو دليلا على فخامة شان المحذوف ليذهب الوهم كل مذهب في تقديره من الفظاعة عما لا يمكنه كنهه كقولهم لو رايت
فلانا والسياط تاخذه بخلاف ما لو وقع التعبير عنه بلفظ معين الثاني ولو ترى يا محمد او من يتاتى منه الرؤية هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم
بشركهم وقت معاينتهم العذاب ان القدرة كلها لله وانه شديد العذاب لرايت امرا عظيما فعلى هذا ان مع معموليها بدل من العذاب قال الفراء الوجه فيه تكرير
الرؤية اي يرون ان القوة لله جميعا الثالث بتاء الغيبة وكسر ان وان معناه كالاول والجملتان معترضتان او المعنى لقيل ان القوة لله والرابع على
القياس ودخول لو وكذا اذ في المستقبل مع ان حقهما الدخول على الماضي نظم للمستقبل في سلك الماضي المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف في اخباره
وقيل لان الساعة قريبة فكانها قد وقعت كذا الكلام في اذ تبرا وانه بدل من اذ يرون العذاب قيل هو معمول شديد المراد بالذين اتبعوا القادة والرؤساء
من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطا او شياطين الجن الذين صاروا متبوعين بالوسوسة عن السدي وقيل الاوثان والتبري اما بالقول وهو قولهم
اما بظهور العجز والندم بحيث لا يغنون عن انفسهم من الله عقابه شيئا فكيف عن غيرهم وَرَأَوُا الْعَذَابَ وتقطعت عطف على تبرءاتهم اي عنهم فان
انقطع في معنى زال او وقع تقطع الاسباب ملتبسة بهم مثل لقد تقطع بينكم بضم النون او الباء للتعدية كان اسباب الوصل صارت اسباب القطع
ومصالحهم انقلبت عليهم مفاسد السبب في اللغة الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به قالوا ولا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به المراد ههنا
الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاتباع والعهود والعقود لو ان لنا كرة تمن ولذلك اجيب بالفاء

كانه قيل ليت لنا كرة رجعة الى الدنيا والى حال التكليف المتبوعون مفتقرون الى اتباعنا ونصرتنا حتى نتبرأ منهم بعد النصرة والاعانة كما تبرؤا
اليوم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم هو ثالث مفعولي ارى او مثل ذلك التبرؤ يريهم اعمالهم حسرات فان ذلك التبرؤ
نوع اراءة والمراد بالاعمال قيل الطاعات لزمتهم فلم يقوموا بها وضيعوها عن الربيع وقيل المعاصي واعمالهم الخبيثة يتحسرون لم عملوها عن الربيع وابن
زيد وقيل ثواب طاعاتهم التي نووا بها فاحبطوا بالكفر عن الاصم وقيل اعمالهم التي تقربوا بها الى رؤسائهم من تعظيمهم والانقياد لامرهم والحسرة شدة
الندم على ما فاته حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيها والتركيب يدل على الكشف ومنه انحسر الطائر انكشف بذهاب ريشه والحاصل انهم لا
يرون مكان اعمالهم الا حسرات فيا ايها المغرور بالسلامة ما اعددت ليوم القيمة يوم الحسرة والندامة يوم يجعل الولدان شيبا يوم يدع المرء وركبتيه
الدنيا دار تجارة فالويل لمن لم يتزود منها الخسارة وما هم بخارجين من النار استدل الاشاعرة بالتقديم على التخصيص فقالوا ان اصحاب الكبيرة من اهل القبلة
يخرجون من النار وزعم المعتزلة ان بناء الكلام على هم لتقوية الحكم وافادة التاكيد كقوله تع وهم يخلقون فانه لا يدل على ان غير الاصنام غير مخلوق والله اعلم
حسبنا الله نعم الوكيل نعم المولى **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**
اى گروه مردمان بخورید از انچه در زمین است حلال و پاکیزه و پیروی مکنید گامهای شیطانی را بدرستی که او مر شما را دشمنی است هویدا
**إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ**
جز این نیست که فرماید شما را به بدی و ناشایست و بانکه بگوئید در بارهٔ خدا انچه را که نمیدانید و چون گفته شود بانها که متابعت کنید فرستادهٔ خدا را گفتند بلکه متابعت کنیم انچه را که یافتیم بر او
**آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً**
پدران ما را و اگرچه بودند پدران ایشان نافهمان هیچ و راه نیافته ومثل انان که کافر شدند چون مثل انکس که فریاد زند بانکه نشنود بجز خواندن
**وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** القراءة خطوات ساكنة الطاء حيث كان ابو عمرو وغير عباس نافع وحمزة وخلف والهاشمي وابي ربيعة
و اواز کران و گنگان و کوران اند پس ایشان درک ندارند
عن البزي والقواس والحماد وابو بكر غير البرجمي الباقون بالضم بل نتبع وبابه مثل هل نبئكم وبل نقذف
مدغما حيث كان علي وهشام الوقوف طيبا ز والوصل اجوز لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان مبين ما لا تعلمون اباؤنا ط لابتداء الاستفهام ولا
ولا يهتدون ونداء ط لحق المحذوف اي هم صم لا يعقلون التفسير قال الكلبي نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على انفسهم
من الحرث والانعام وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والاية مسوقة لتعريف طرف من جهالات المشركين المتخذين من دون الله اندادا وحلالا
مفعول كلوا او حال مما في الارض وهو المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه عن الحل الذي يقابل العقد ومنه حل بالمكان اذا نزل لانه حل عقد الرحال
وحل الدين لانحلال العقد بانقضاء المدة والحلة لانها تحل عن الطي للبس وتحلة القسم لان عقدة اليمين تحل به ثم الحرام قد يكون حراما في جنسه كالميتة
والدم وقد يكون حراما لعرض كملك الغير اذا لم ياذن في اكله فالحلال هو الخالي عن القيدين والطيب ان اريد به ما يقرب من الحلال لان الحرام يوصف
بالخبيث قل لا يستوي الخبيث والطيب فالوصف لتاكيد المدح مثل نفخة واحدة اي الطاهر من كل شبهة ويمكن ان يراد بالطيب اللذيذ ويراد
بالحلال ما يكون بجنسه حلالا او بالطيب ما لا يتعلق به حق الغير والخطوة بالضم ما بين قدمي الخاطي كالغرفة بالضم اسم لما يغترف والفعلة بالضم والسكون
اذا كانت اسما يجمع في الصحيح بسكون العين وضمها يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه لما يعرف في الفعلة بالضم والوطي على عقبه لما يعترف والفعلة
بالفتح ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا اخفاء به قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم
لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انما يامركم بالسوء متناول لجميع المعاصي من افعال الجوارح وافعال القلوب والفحشاء
ما تجاوزت الحد في القبح فلهذا قد تحمل الاول بما لم يجب فيه الحد والثاني بما فيه يجب الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذا اقبح الكل لان
وصف الله تع بما لا ينبغي من اعظم الكبائر فهذه الاية كالتفسير لقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان فالصغائر والكبائر والكفر والجهل كلها من مامور
الشيطان بل لا يامر الشيطان الا بهذه الامور بدليل انما وهي للحصر وقد يدعو الشيطان الى الخير ظاهرا وغرضه ان يجره الى الشر اخر الامر مثل ان يجره
من الافضل الى الفاضل ليتمكن بعد ذلك ان يجره الى الشر ومثل ان يجره من الفاضل السهل الى الافضل الاشق ليصير ذلك سببا لنفرته عن
الطاعة ويدخل في قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون جميع المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة وقول الرجل هذا حلال وهذا حرام بغير علم
بل يقال ان مقلد الحق لانه وان كان مقلدا للحق لكنه قال ما لا يعلم فصار مستحقا للذم من جهة انه قادر على تحصيل العلم بالحق ثم انه قنع بالظن و
التخمين ومعنى امر الشيطان ووسوسته قد سلف في شرح الاستعاذة وفي التعبير عن وسوسته بالامر رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم اياه و
قبولكم وساوسه واذا كان الامر المطاع مرجوما مذموما فكيف حال المامور المطيع وفي ذلك معتبر للبصراء ومزدجر للعقلاء اعاذنا الله بحوله وايده من مكر
الشيطان وكيده واذا قيل لهم اي للمتخذين من دون الله اندادا او للناس والتفات الى الغيبة للنداء على ضلالهم كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء
الحمقى ماذا يقولون وعن ابن عباس نزلت في اليهود حين دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا
واعلم وقد يعود الضمير الى المعلوم كما يعود الى المذكور وعلى هذا فالاية مستانفة وانما خص هذا الموضع بقوله الفينا لان الفيت يتعدى الى مفعولين
البتة وكان تصافي ذلك فورد في الموضع الاول على الاصل واقتصر في المائدة ولقمن على لفظ وجدنا المشترك بين المتعدي الى واحد والمتعدي الى اثنين اكتفاء





ورد في الاول مع تغيير العبارة عارضوا ما انزل الله من الدلائل الباهرة بالتقليد فما اعقلهم واسفههم فلا جرم اجاب الله تع بقوله اولو كان اباؤهم والواو للعطف
لا للحال على ما وقع في الكشاف والهمزة للرد والتعجب وفعل الاستفهام محذوف وكذا جواب الشرط والمعنى ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين
ولا يهتدون للثواب يتبعونهم ايضا وتقرير الجواب ان يقال للمقلد عرفت ان المقلد محق ام لا فان لم تعرف فكيف قلدته مع احتمال كونه مبطلا وان كنت
عرفت فاما بتقليد اخر ويستلزم التسلسل او بالعقل فكذلك كاف في معرفة الحق والتقليد ضائع وايضا علم المقلد ان حصل بالتقليد تسلسل وان حصل
بالدليل فانما يتبعه المقلد اذا علم ذلك الدليل ايضا والا كان مخالفا له فظهر ان قبول قول الغير من غير دليل ضلال ومثل الذين كفروا فيه للعلماء
طريقان احدهما تصحيح المعنى باضمار اما في المشبه اي مثل من يدعوا الذين كفروا الى الحق كمثل الذي ينعق والراعي بالضأن اذا صاح بها واما نعق
الغراب فبالغين المعجمة شبه الداعي الى الحق براعي الغنم والكفرة بالغنم ووجه التشبيه ان البهيمة تسمع الصوت ولا تعلم المراد وهؤلاء الكفار يسمعون صوت
الرسول والفاظه وما كانوا ينتفعون بها فكانهم لا يفهمون معانيها واما باضمار في المشبه به اي مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والطريق الثاني صحح
بغير اضمار اي مثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع لكن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا ومثلهم في دعائهم
الهتهم كمثل الناعق في دعائه عند الجبل فانه لا يسمع الا صدى صوته فاذا قال يا زيد يسمع من الصدى يا زيد فكذلك هؤلاء الكفار اذا دعوا الاوثان
لا يسمعون الا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء او مثلهم في قلة عقلهم حيث عبدوا الاوثان كمثل الراعي اذا تكلم مع البهائم فكما ان الكلام مع البهائم
دليل سخافة العقل فكذلك عبادتهم لها او مثلهم في اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل الذي يتكلم مع البهائم فكما ان ذلك عبث ضائع فكذا تقليدهم
واتباعهم صم عن استماع الحق والانتفاع به بكم عن اجابة الداعي الى سبيل الخير عمي عن النظر في الدلائل فهم لا يعقلون العقل المسموع ولا المطبوع وذلك ان
طريق الاكتساب الكسبي الاستعانة بالحواس ولهذا قيل من فقد حسا فقد فقد علما فلما فقدوا فائدة الحواس فكانهم عدموها خلقة قال شابور بن
اردشير العقل نوعان مطبوع ومسموع فلا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فان احدهما بمنزلة العين والاخر بمنزلة الشمس ولا يكمل الابصار الا بهما
وقال النبي ص ان لكل شيء دعامة ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله يكون عبادته اوما سمعتم قول الله عز وجل حكاية عن الفجار لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى التاويل الذين كفروا لم يسمعوا ان خاطبهم الحق بقوله
الست بربكم الا دعاء ونداء لانهم كانوا في الصف الاخير من الارواح المجندة في اربعة صفوف الاول للانبياء والثاني للاولياء والثالث للمؤمنين
والرابع للكافرين فما شاهدوا شيئا من انوار الحق ولكنهم قالوا بالتقليد بلى فبقوا على التقليد بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا **يَا أَيُّهَا**
**الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ**
ای انانکه گرویده اید بخورید از پاکیزهای انچه را که روزی کردیم شما را و سپاس کنید مر خدا را اگر هستید که او را پرستید بدرستی که حرام کرده است بر شما مردار و خون
**وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ**
و گوشت خوک را و انچه قربانی شده باشد از برای غیر خدا پس انکه ناچار شود نه ازروی گذشتن ... پس نیست گناهی بر او بدرستی خدا امرزنده مهربانست بدرستی که انان که پنهان دارند
**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ**
انچه را که فرستاد خدا از کتاب و عوض میفروشند او را به بهای کمی انگروه نمیخورند در شکمهای خود بجز اتش و گفتگو نکند با ایشان خدا در روز
**الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى**
قیامت و پاک نسازد ایشان را و مر ایشانراست عذابی دردناک انگروه انانند که خریدند گمراهی را بدل راهراستی و عذاب را بدل امرزش پس چه قدر صبردارند بر
**النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** القراءة الميتة بتشديد الياء يزيد
اتش این از انجهت است که خدا فرستاد کتاب را بحق و بدرستی که انها که اختلاف کردند در کتاب هر اینه در طرف دوراند الباقون بالسكون فمن اضطر
بكسر النون وكسر الطاء يزيد الباقون بضمها الوقوف تعبدون لغير الله ج للشرط مع فاء التعقيب عليه ط رحيم قليلا لا لان ما بعده خبر ان يزكيهم ج
والوصل اولى لاتصال بعض جزائهم بالبعض اليم بالمغفرة ج للابتداء بالتعجب او الاستفهام والوجه الوصل للمبالغة في الانكار على النار بالحق ط للابتداء بان
بعيد ربع الجزء التفسير انه سبحانه تكلم من اول السورة الى ههنا في دلائل التوحيد والنبوة واستقصى شرح اهل النفاق والشقاق من المشركين واهل الكتاب
وذيل كلا من ذلك بما يناسبه ومن ههنا شرع في بيان الاحكام الشرعية الحكم الاول اباحة الاكل للمؤمنين بعد ما عم للناس كلهم لهذا بالنظر الى الاصل
وقد يصير واجبا لعارض كالواشرف على الهلاك بسبب المجاعة وقد يكون مندوبا كموافقة الضيف واستدل بقوله طيبات ما رزقناكم على ان الرزق
قد يكون حراما فان الطيب هو الحلال فلو كان الرزق حلالا البتة لم يبق في ذكر الطيبات فائدة اذ يصير المعنى كلوا من حلالات ما احللنا لكم واجيب بالمنع
مر ان معنى الطيب ما ذكر بل المعنى كلوا من مستلذات ما رزقناكم ولعل قوما ظنوا ان التوسع في الاكل الحلال والاستكثار من الملاذ ممنوع فرفع الحرج
واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان الشكر راس العبادة والتركيب يدور
على الكشف والاظهار ومنه كشر اذا كشف عن ثغره فنشر النعم وحصرها باللسان من الشكر والباطن ان يستعين بالنعم على الطاعة دون المعصية وقال بعضهم
شعر اولتني نعما ابوح بشكرها وكفيتني كل الامور باسرها فلاشكرنك ما حييت فان امت فلتشكرنك اعظمي في قبرها عن النبي يقول الله تع ان

والجن والأنس في بناء عظيم خلق ويعبد غيره ويرزق ويشكر غيره ثم لما أجمل في الآية المباح كله فصل المحرم بحصرها هو محرم ليبقى ما عداه على الأصل الإباحة فقيل
إنما حرم عليكم الميتة ويتناول ما مات حتف أنفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي وإذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها إجماعاً ولأن تحريم ما
لا حرمة فيه ولا ضرر ظاهر يدل على النجاسة وليس في الآية إجمال عند الأكثرين لأن المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم أعيانها وإن المفهوم في العرف حرمة التصرف
في هذه الأجسام كما لو قيل فلان يملك جارية علمت منه عرفاً أنه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالآية تدل على حرمة جميع التصرفات إلا ما أخرجه
الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان أما الميتتان فالجراد والنون وأما الدمان فالطحال والكبد وقال صلى الله عليه وسلم في صفة البحر هو
الطهور ماؤه الحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش إلا في الماء وإن لم تكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق أيضاً بين ما يؤكل نظيره في البر
كالبقر والشاة وبين ما لا يؤكل كخنزير الماء وكلبه على أصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف أن السمك والجراد يخرج به لأن
الميتة لا يتناولهما عرفاً وعادة ولهذا من حلف لا يأكل لحماً فأكل سمكاً لم يحنث وإن أكل لحماً في الحقيقة لقوله تعالى لتأكلوا منه لحماً طرياً وشبهوه بما لو حلف
لا يركب دابة فركب كافراً لم يحنث وإن كان الكافر من الدواب لقوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لأن عدم التناول عرفاً إنما هو بعد
تخصيص الشارع فلا يمكن أن يجعل دليلاً على عمومه كالجنين الذي يوجد ميتاً عند ذبح الأم عند الشافعي وأبي يوسف ومحمد هو المروي عن علي وابن
مسعود وابن عمر لقوله صلى الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة أمه وقال أبو حنيفة لا يؤكل إلا أن يخرج حياً فيذبح وحمل الحديث على الإضمار أي ذكاة الجنين كذكاة أمه ورد
بأن الإضمار خلاف الأصل وبأنه إذا خرج لا يسمى جنيناً وبأنه لا يبقى للخبر فائدة لأن ذلك معلوم ولما روي عن أبي سعيد أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الجنين يخرج
ميتاً قال إن شئتم فكلوه فإن ذكاته ذكاة أمه وكشعر الميتة وصوفها فإنهما عند أبي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان ومن أصوافها
وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ولقوله صلى الله عليه وسلم في شاة ميمونة إنما حرم من الميتة أكلها ولأنهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولأن الشعر
والصوف لا حياة فيه لأن حكم الحياة الإدراك والشعور ومن ههنا ذهب مالك إلى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن
والظفر والسن كلها نجسة لقوله صلى الله عليه وسلم ما أبين من حي فهو ميت ولأن الحياة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر و
اللحم وأما الإهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبعة فأوسع الناس قولاً الزهري جوز استعمال الجلود بأسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ
لقوله صلى الله عليه وسلم أيما إهاب دبغ فقد طهر ولأن الدباغ يعيد الجلد إلى ما كان عليه حال الحياة من عدم التعفن والفساد ثم مالك يطهر ظاهر كلها دون باطنها ثم أبو حنيفة
يطهر كلها إلا جلد الخنزير لدسومته والآدمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل إلا جلد الكلب والخنزير ثم الأوزاعي وأبو ثور يطهر جلد ما يؤكل لحمه فقط ثم
أحمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لإطلاق الآية ولقول عبد الله بن حكيم أتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر لا تنتفعوا من الميتة
بإهاب ولا عصب واختلف في أنه هل يجوز الانتفاع بالميتة بإطعام البازي والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم إذا أدم البازي من عند نفسه
على أكل الميتة وجب علينا منعه وجوز الشافعي استعمال النجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجأة قتال مع فقدان غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين
ولا يجوز تجليل الكلب وإن لم يكن ضرورة وكذا استعمال النجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الأرض لعموم الحاجة القريبة
من الضرورة وقد نقل الأثبات عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل صلى الله عليه وسلم عن الفأرة تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تأكلوه والدخان وإن كان
نجساً الكثير قليل معفو عنه وعند أبي حنيفة إذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة أي دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان
لم يفسد الماء قل أو كثر لأن رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة أصحابه
عدوا دود الطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة قالوا لا ينجس الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف وإن وقع في ماء أو في مائع آخر فقولان ثم الذباب
والبعوض ونحوهما وإن حكم بطهارة ميتها فهي محرمة لأنها مستقذرة مندرجة تحت عموم اسم الميتة وفي جواز أكل دود الطعام والفواكه والملح
وجهان والأظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الأشياء يمكن أن يباح ثم سئل عبد الله بن المبارك أبا حنيفة عن طائر وقع في قدر مطبوخ فمات
فقال أبو حنيفة لأصحابه ما ترون فذكروا له عن ابن عباس أن اللحم يؤكل بعد ما يغسل ويهراق المرق فقال أبو حنيفة بهذا نقول على شريطة
إن كان وقع فيها في حال سكونها فكما في هذه الرواية وإن وقع فيها حال غليانها لم يؤكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم ذلك قال لأنه إذا سقط
فيها في حال غليانها فمات فقد داخلت الميتة اللحم وإذا وقع فيها في حال سكونها فمات فقد وسخت الميتة اللحم فاستحسن ابن المبارك وعند أبي حنيفة
ذبح ما لا يؤكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الأكل كما لو ذبح المجوسي مأكول اللحم ولبن الشاة الميتة وأنفحتها
طاهران عند أبي حنيفة دون الشافعي ومالك إلا أن الآية لا يتناولهما فإن اللبن لا يوصف بأنه ميتة بل ينجسها بمجاورة الميتة وبيض مأكول اللحم
إذا ماتت وجد ذلك في جوفها فإن كان متصلباً فطاهر بعد أن يغسل وإلا فلا أما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحاً أو غير مسفوح لإطلاق الآية
إلا الكبد والطحال للخبر عند من يقول بتناول الآية إياهما وعند من لا يقول بذلك لا تخصيص قال أبو حنيفة دم السمك ليس بمحرم وأما لحم الخنزير فأجمعت
الأمة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وتخصيص اللحم بالذكر لأن معظم الانتفاع متعلق به أما شعر الخنزير فغير داخل في الظاهر وإن أجمعوا على تحريمه وتنجيسه
اختلفوا في أنه هل يجوز الانتفاع به للخرز فقال أبو حنيفة ومحمد يجوز والشافعي لا يجوز واحتج أبو حنيفة بأنا نرى المسلمين يقرون الأساكفة على استعماله
من غير نكير ولأن الحاجة ماسة إليه أما ما أهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى أهل المعتمر إذا رفع صوته





بالتلبية قال العلماء لو أن مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتداً وذبيحته ذبيحة مرتد تقدم نظيره في هذه السورة وأخرى في المائدة والأنعام
والنحل لأن تقدم الباء هو الأصل لأنه يجري في إفادة التعدية مجرى الهمزة والتضعيف فكان الموضع الأول هو اللائق بهذا الأصل وفي سائر المواضع
قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله لهذا لم يذكر في سائرها الآية ثم اكتفينا بما ذكر في الموضع الأول ويستثنى مما أهل به لغير الله ذبائح أهل الكتاب إذا
سمى عليها باسم المسيح مثلاً لإطلاق قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ولأن النصارى إذا سمى الله تعالى فإنما يريد به المسيح وهو مذهب عطاء
ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب قال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه إذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم وإذا
ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة بما أرادوا ثانياً المسيح عن علي كرم الله وجهه إذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا
وإذا لم تسمعوهم فكلوا فإن الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ما يقولون أن ظاهر الآية يقتضي أن لا يكون سوى هذه الأشياء محرماً
لكنا نعلم أن في الشرع أشياء أخر سواها من المحرمات فكلمة إنما متروكة العمل بظاهرها والله أعلم فمن اضطر افتعل من الضر وهو الضيق أي ألجئ استثنى
من التحريم حالة الضرورة ولها سببان أحدهما الجوع الشديد أن لا يجد مأكولاً حلالاً يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطراً إلى أكل المحرم الثاني
إذا أكرهه على تناوله مكره فيحل له تناوله وأكره عليه والاضطرار ليس من أفعال المكلف حتى يقال إنه لا إثم عليه فيه فلا بد من إضمار وهو الأكل أي فمن
اضطر فأكل فلا إثم عليه وإنما حذف للعلم به وغير ههنا بمعنى النافية كأنه قيل فمن اضطر لا باغياً ولا عادياً والبغي في اللغة الظلم والخروج عن الإنصاف نحو
الجرح ودم وترامى إلى فساد وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهي بغي والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد وللأئمة في الآية قولان أحدهما
وإليه ذهب أبو حنيفة تخصيص البغي والعدوان بالأكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بأن يجد حلالاً يكره طلب النفس فعدل إلى أكل الحرام للذة ولا عاد أي متجاوز
قدر الرخصة للذة ولا عاد متجاوز سد الجوعة عن الحسن وقتادة والربيع وابن زيد غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد في سد الجوعة و
الثاني وإليه ذهب الشافعي والإمامية غير باغ على إمام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحققين ويتفرع على الاختلاف أن العاصي بسفره هل
يترخص أم لا فعند أبي حنيفة يترخص لأنه مضطر غير باغ ولا عاد في الأكل وعند الشافعي لا يترخص لأنه موصوف بالعدوان ويؤيده الآية الأخرى فمن اضطر
في مخمصة غير متجانف لإثم وأيضاً غير باغ ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد أن يكون وصف الاضطرار باقياً في الحالين وليس كذلك لأنه حال الأكل
لا يبقى وصف الاضطرار وأيضاً الإنسان نفور طبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة إلى نهيه عن التعدي في الأكل وأيضاً إنه نفى ماهية البغي والعدوان
وإنما ينتفي عند انتفاء جميع أفرادها ويتحقق نفي العدوان في السفر كما هو مقصودنا وأما تخصيص البغي بالأكل كما ذهبتم إليه فترجيح من غير دليل حجة أبي
حنيفة قوله تعالى في آية أخرى وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وهذا الشخص مضطر فوجب أن يترخص وأيضاً قال تعالى ولا تقتلوا أنفسكم
ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة والامتناع عن الأكل سعي في قتل النفس فيحرم كما لو ترك دفع أسباب الهلاك عن نفسه إذا صال عليه جمل أو فيل أو حية
وأيضاً الضرورة تبيح تناول طعام الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول محرم لولا الاضطرار فكذا ههنا أجاب الشافعي بأنه يمكنه التوصل
إلى استباحة هذه الرخص بالتوبة فإذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم إن الرخصة إعانة على السفر فإذا كان السفر معصية فالرخصة إعانة على المعصية
والسعي في تحصيل المعصية محظور فالجمع غير ممكن ثم اتفق الإمامان على أن المضطر لا يأكل من الميتة إلا قدر ما يمسك به رمقه إلا إذا عجز عن المشي وهلك فيأكل
الشبع قال عبيد الله بن الحسن العنبري يأكل منها ما يسد جوعته وعن مالك يأكل منها حتى يشبع ويتزود فإن غني عنها طرحها والأول أقرب لأن سبب الرخصة
إذا كان الإلجاء فمتى ارتفع الإلجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة كما أن الجوعة في الابتداء لا تبيح أكل الميتة إذا لم يخف ضرراً بتركه
وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الأكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش وإساغة اللقمة
وفي التداوي بها وجهان وبسائر المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع إلى أن يشرف على الموت فإن الأكل حينئذ لا ينفع بل لو انتهى إلى تلك الحالة لم يحل له التناول
حدوث مرض مخوف في جنسه كخوف الموت وهكذا إن كان يخاف منه طوله وتماديه ولا يشترط في جميع ذلك إلا غلبة الظن دون اليقين ومعنى قوله فلا إثم
عليه رفع الحرج والضيق كما في قوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوب الأكل في حالة
الاضطرار ومعنى قوله إن الله غفور رحيم أن المقتضي للحرمة قائم إلا أنه زالت الحرمة لوجود العارض فلما كان تناوله تناول ما حصل فيه المقتضي للحرمة
ذكر بعده المغفرة ثم ذكر أنه رحيم يعني لأجل الرحمة أبحت لكم ذلك ولعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بأن يغفر ذنبه في تناول الزيادة
رحيم حيث أباح تناول قدر الحاجة وإنه لما بين هذه الأحكام فالمكلفون بالنسبة إليها إما أن يعصوا فذكر أنه غفور لهم إذا تابوا أو يطيعوا فهو رحيم
حيث وفقهم للطاعة إن الذين يكتمون عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم
الهدايا والفضول وكانوا يرجون أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث منهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيروها
ثم أخرجوها إليهم وقالوا هذا نعت نبي آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي بمكة فإذا نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه مخالفاً لصفة النبي صلى الله عليه وسلم فلا
يتبعونه ويشترون به أي بالكتمان لدلالة العقل عليه أو بالمنزل وقد سبق معنى الاشتراء والثمن القليل في بطونهم كل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه إلا النار
لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار كقولهم أكل الدم أي الدية التي هي بدل منه قال أكلت دماً إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط
طيبة النشر إنهم كانوا يستنكفون عن أخذ الدية وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق ويمكن أن يقال إنهم يأكلون في الآخرة النار لأكلهم في الدنيا الحرام

فإن المراد بالقرط هو الدرة المعلقة من الأذن والمهواة والهواء الجو وبعد المهواة يستلزم طول العنق

ولا يكلمهم بما يحبون لانهم كتموا كلامه في الدنيا بل بنحو اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا يكلمهم اصلا لغضبه عليهم كما هو دأب الملوك من الاعراض عند
الغضب ولا اقبال عند الرضاء ولا يزكيهم بالثناء عليهم ويقبل اعمالهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بيان لتماديهم في الخسارة فان احسن الاشياء
في الدنيا الاهتداء والعلم واقبحها الضلال والجهل وفي الآخرة انفع الاشياء المغفرة واضرها العذاب فهم في خسران الدارين لاستبدالهم في الدنيا اقبح
الامور باحسنها وفي الآخرة اضر الاشياء بانفعها فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في تلبسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فان الراضي بموجب
الشيء لا بد ان يكون راضيا بمعلوله ولازمه اذا علم ذلك اللزوم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن هذا التعجب
منهم في حال التكليف واشترائهم الضلالة بالهدى وعن الاصم ان المراد انه اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فهم يسكتون ويصبرون على النار لليأس من الخلاص
وضعف بانه خلاف الظاهر وبان اهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في ما اصبرهم للاستفهام بمعنى التوبيخ ومعناه اي شيء صبرهم عليها
حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا اصل معنى فعل التعجب والتعجب استعظام الشيء مع خفاء سبب حصول عظم ذلك الشيء هذا هو الاصل ثم قد يستعمل
لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب كما في حق الله تعالى ذلك الوعيد الشديد وذلك الكتمان وسوء معاملتهم بما هو بسبب ان الله نزل الكتاب
يعني جنس الكتب التورية والقرآن بالحق بالصدق وبيان الحق وقد نزل في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل الكتاب لا يؤمنون ولا يكون منهم الا الاصرار
على الكفر فانه تعالى ختم على قلوبهم وان الذين اختلفوا في الكتاب بجنسه فقالوا في البعض حق وفي البعض باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق خلاف بعيد عن
الحق او الذين اختلفوا في القرآن فقال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم اساطير الاولين او الذين اختلفوا في التورية والانجيل فقدح كل منهما في
الآخر وذكر كل منهما للآيات الدالة على نبوة محمد ص تأويلا آخر فاسدا وحرفوا كلا منهما على وجه آخر لاجل عداوتهم فيما بينهم في شقاق بعيد ومنازعة
شديدة فلا ينبغي ان تلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم مؤالفة وموافقة وعن ابي مسلم اختلفوا في الكتاب اي توارثوه مثل ان في اختلاف
الليل والنهار اي في تعاقبهما واعلم ان الآية وان نزلت في اهل الكتاب يشبه ان يكون عامة في كل من كتم شيئا من باب الدين فيكون حكما ثابتا للمسلمين ويصلح
ان يتمسك بها القاطعون بوعيد اصحاب الكبائر وكان السبب في تعقيب هذا الحكم للاول ان اهل الكتاب قد حرموا بعض ما احل الله كلحوم الابل و
البانها واحلوا بعض ما حرم الله كبعض الشحوم فسيقت الآية تعريضا بصنيعهم تصريحا بجزائهم وجزاء اضرابهم والله اعلم التأويل الميتة جيفة الدنيا
والدم هي الشهوات النفسانية ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وقال ع سدوا مجاري الشيطان بالجوع ولحم الخنزير زيادة الشره والحرص وما
اهل به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله رياء وسمعة قوله تعالى لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
نيست خوبى اگر برگردانيد روهاى خود را بجانب مشرق و مغرب وليكن خوبى آنست كه بگرود
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ
بخدا و روز واپسين و فرشتگان و كتابها و پيغمبران و بدهد مال خود را بر دوستى خدا صاحبان خويشى و يتيمان و فقيران و راهگذاران
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
و خواهندگان و در بندگان و اگر بر پاداشت نماز را و داد مال زكوة را و وفاكنندگان بپيمان خود چون پيمان بستند و تحمل كنندگان در تنگدستى و ناخوشى
وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ القراءة ليس البر بنصب الراء حمزة وحفص الخزاز عنه هبيرة الباقون
و در هنگام جنگ آنانند كه راستى كردند و آنگروه ايشانند پرهيزگاران بالرفع ولكن خفيفا البر رفعا وكذلك فيما بعد نافع وابن عامر الباقون
بالتشديد والنصب الوقوف والنبيين ج لطول الكلام واختلاف المعنى لان ما قبله اصول الايمان وما بعده فروع وفي الرقاب ج للطول مع انتهاء شرع
المكارم وابتداء اللوازم الزكوة ج عاهدوا ج للعدول عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون ط اعني الصابرين البأس ط صدقوا ط المتقون التفسير
هذا حكم آخر من احكام الاسلام عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا سأل النبي ص عن البر فانزل الله تعالى هذه الآية قال وقد كان الرجل قبل الفرائض اذا شهد
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثم مات على ذلك وجبت له الجنة وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي
يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب صرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب
لاهل الكتاب لان المشرق قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود وانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وزعم كل من الفريقين ان البر هو
التوجه الى قبلته فرد عليهم بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير صحته شرط من شرائط اعمال البر لان من
جملتها الصلوة واستقبال القبلة شرط فيها ولن يكون شرط جزء الشيء تمام حقيقة ذلك الشيء وذلك ان البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير
المقربة الى الله ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما بكل ما امكن والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر اولى ليكون
الاسم مقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب اولى لان ان مع صلتها يشبه المضمر في انها لا توصف والمضمر ادخل في الاختصاص من المظهر فهو اولى
بان يكون اسما ولكن البر من آمن على تقدير حذف المضاف اي بر من آمن وقيل البر بمعنى البار مثل رجل صوم اي صائم وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن
لقرأت ولكن البر بفتح الباء قال في التفسير الكبير انه تعالى اعتبر في تحقق ماهية البر امورا الاول الايمان بامور خمسة اولها الايمان بالله ولن يحصل العلم بالله الا عند
العلم بذاته المخصوصة والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلائل الدالة عليها فيدخل فيها العلم بحدوث العالم

والعلم بالاصول



والعلم بالاصول التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوبه وقدمه وبقائه وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على
كل الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الحالية والمحلية والتحيز والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز
عليه اقتداره على الخلق والايجاد وبعثة الرسل وثانيها الايمان باليوم الآخر ويتفرع على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات وثالثها
الايمان بالملائكة ورابعها الايمان بالكتب السماوية وخامسها الايمان بالنبيين وسبب هذا الترتيب ان للمكلف مبدأ ووسطا ونهاية ومعرفة المبدأ
والمنتهى هو المقصود بالذات اعني الايمان بالله واليوم الآخر واما معرفة مصالح الوسط فلا تتم الا بالرسالة وهي منوطة بالوحي الذي يأتي به الملك
فثبت بكل ما يلزم المكلف التصديق به الامر الثاني ايتاء المال على حبه اي على حب المال عن ابي هريرة انه قيل لرسول الله ص اي الصدقة خير قال
ان تصدق وانت صحيح حريص تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وعن ابي الدرداء انه ص قال مثل
الذي يتصدق عند الموت مثل الذي يهدي بعد ما يشبع السبب انه عند الصحة يحصل ظن الحاجة الى المال وعند ظن الموت يحصل الاستغناء وبذل الشيء عند الاحتياج
ادل على الطاعة من بذله عند الاستغناء عنه وايضا الاعطاء عند الصحة ادل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد من اعطائه حال المرض والموت وايضا الهبة عند
الخوف عن الفوت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اي يعطي ويحب عطاءه رغبة في ثواب الله وقيل يرجع الى الله اي يعطي المال على حب الله وطلب مرضاته ثم ذكر
سبحانه وتعالى من يؤتون المال اصنافا ستة اولهم القرابة وثانيهم اليتامى وثالثهم المساكين وقد مر ما يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وانما قدم ذوي القربى لانهم احق قال ص صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك ثنتان لانها صدقة وصلة و
لتأكد استحقاقه قال تعالى يتبعه الورثة ويحجر بسببه على المالك في الوصية حتى لا يتمكن من الوصية الا في الثلث والمراد بذوي القربى واليتامى الفقراء منهم
لعدم الالتباس وتقديم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير الذي لا والد له ولا هو كاسب منقطع الحيلة من كل الوجوه ورابع الاصناف ابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للطير الماء ابن الماء وللشجاع اخو الحرب وللناس بنو الزمان وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف
به خامسهم السائلون وهم المستطعمون ويدخل فيه المسلم والكافر وقريب منه قول رسول الله ص للسائل حق وان جاء على فرس سادسهم المكاتبون
واشار اليه بقوله وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى والرقاب جمع الرقبة
وهو مؤخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا يقال للمملوك رقبة كانه يراقب العذاب
ولا يقال له عنق الثالث والرابع قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة وقد سلف مباحثهما ثم ان الائمة حيث ذكر الله تعالى ايتاء المال في الوجوه المذكورة ثم قفاه بايتاء
الزكوة ومن حق المعطوف ان يغاير المعطوف عليه غلب على ظنونهم ان في المال حقا سوى الزكوة وكيف لا وقد قال ص لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات
شبعان وجاره طاو الى جنبه ولا خلاف انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم يكن الزكوة واجبة عليهم
ولو امتنعوا من الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا وما روي عن علي ع ان الزكوة نسخت كل حق كان المراد الحقوق المقدرة بدليل انه يلزم التصدق عند الضرورة
والنفقة على الاقارب وعلى المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او عطف على من آمن والمراد بالعهد
ما اخذه الله من العهود على عباده بعقولهم وعلى السنة رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل العباد ذلك حيث آمنوا بالانبياء والكتب
ويندرج فيه ما يلتزمه المكلف ابتداء من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين الله كالنذور والايمان او بينه وبين رسول الله كبيعة الرضوان بايعوه
على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا يقولوا الا بالحق اينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم او بينه وبين الناس واجبا كالعقود
او مندوبا كالمواعيد فلهذا قال المفسرون ههنا هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا ونذروا وفوا واذا ائتمنوا ادوا واذا قالوا صدقوا السادس
والصابرين في البأساء والضراء وهو نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال قال ابو علي الفارسي
اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم فالاحسن ان يخالف باعرابها ولا يجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع
الاطناب في الوصف والابلاغ في القول فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود اكمل لان الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كانه انواع من الكلام و
ضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة وذكر المحققون في فائدة اختلاف الحركة في المدح والذم ان اصل المدح
والذم من كلام السامع وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى السامع على زيد فقال ذكرت والله الظريف وذكرت العاقل فهو
والله الظريف هو العاقل فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الاعراب على ذلك اي لزيد الظريف والعاقل والبأساء الفقر والشدة
والضراء المرض والزمانة وهما فعلاء من البؤس والضر ولا افعل لهما لانهما اسمان بغير وصفين وحين البأس القتال في سبيل الله والجهاد واصل البأس الشدة
الذين صدقوا في ايمانهم جدوا في الدين واولئك هم المتقون نظير هاتين الجملتين في القطع للاستيناف قوله أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ كانه قيل للمستقلين بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو وصل كل خير فاجيب بان اولئك الموصوفين هم قد صدقوا في الاسلام وهم المتقون
بسمة التقوى كل منها منطو على جميع الخيرات متضمن لكل المأمورات والمنهيات فلهذا اتصفوا بتلك الصفات وذكر الواحدي ههنا ان الواو
في هذه الاوصاف للجمع فمن شرائط البر وتمام شرط البار ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر فلا ينبغي ان يظن
الانسان ان الموفي بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء بل لا يكون قائما بالبر الا عند استجماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من خواص

الانبياء والحواب انه ليس يستبعد ان يوجد في الامة موصوف بالبر الا ان كمال البر لا يكون الا في النبي ولا سيما نبينا محمد صلعم ثم ان اهل الكتاب كانوا اخلوا بجميع وصايا البر اخلوا بالايمان بالله وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة وذهبت اليهود الى التجسيم والنصارى الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد الجسماني وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبرئيل عدونا وكفروا بالكتب لسماوية افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض قتلوا النبيين وطعنوا في نبوة سيد المرسلين واتبعوا الشبه حتى اشتروا بايات الله ثمنا قليلا وحرفوا الكتب ونقضوا العهد كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ولم يصبروا في اللواء لن نصبر على طعام واحد ولا حين البأس فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فالعجب كل العجب منهم حيث ادعوا البر والاتقى ولا واحد من اجزاء البر فيهم وهذه غاية الفحة ونهاية العناد والله بصير بالعباد التاويل ليس البر برکم بتولية وجوهکم قبل المشرق والمغرب لكن البر الحقيقي هو برکم معكم بتوليتكم وجوه ارواحکم بجذبات الحق قبل الحضرة الربوبية المحبوبية لتؤمنوا بالله نوره بريح وبرجي لكم تبخي والملائكة بجوفكم بيرجي لكم وبرجي لكم ليس بمحدث كبر كرمعين بل هو برقديم في الكتاب القديم وبنور هذه المحبة يحبون اهل الحق وهم النبيون فالجنسية علة الضم واتى المال على ما حصل للعبد من برالحب ومال الى سره من عواطف الحق ينفعه على حب حبيبه باداء حقوق الشريعة والطريقة بالمعاملات القالبية والقلبية ذوي القربى وهم الروح والقلب والسر وقرابة الحق واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس عن صفاتها بسطوات تجلي صفات الحق والمساكين وهم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس فانهم في التردد والسفر الى عوالم المعقولات والمخيلات والمحسوسات والموهومات والسائلين الدواعي الحيوانية والروحانية وفي الرقاب في فك رقبة السر عن اسر تعلقات الكونين واقام صلوة الحاضرة مع الله بالله واتى زكوة موهب الحق الى اهل استحقاقها من الخلق وهم الموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد العبودية الخالصة يوم الميثاق والصابرين في البأساء مراعاة الحقوق والضراء مخالفات الحظوظ وفناء الوجود عند لقاء الشهود وحين البأس سطوات تجلي صفات الجلال اولئك الذين صدقوا ببذل الوجود واولئك هم المتقون من شرك الانانية والله اعلم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ

اى گروه مردمان بگروانید که نوشته شد بر شما قصاص در کشتگان آزاد بآزاد و بنده به بنده

وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ

و زن بدل از زن پس هر که بخشید قصاص بسا برادر خود پس روی متابعه معروف است و گذاردنی است ... این سبکباریست از جانب خدا و مهربانیست پس هر که

اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الوقوف في القتلى ط بالانثى ط

در گذشت بعد از این پس مر اوراست عذابی دردناک و مر شما راست در قصاص زندگی ای صاحبان خرد که شاید شما پرهیز کنید لان العفو اعطاء الدية صلحا كان

خارجا عن اصل موجب القتل واستيفانا باحسان ط ورحمة ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وفرعه فكان مستانفا اليم تتقون التفسير هذا حكم خر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط فاما العرب فتارة كانوا يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين فاذا وقع القتل بين قبيلتين كان يقول الشريف للخسيس لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك على ما يروى ان رجلا قتل رجلا من الاشراف ثم اجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول فقالوا ما ذا تريد فقال احدى ثلث قالوا وما هي قال تحيون ولدي او تملاؤن داري من نجوم السماء او تدفعون الى جملة قومكم حتى اقتلهم لا ارى اني اخذت عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فبعث الله محمدا بالعدل وسوى بين عباده في القصاص قيل نزلت في واقعة قتل حمزة ومعنى كتب فرض واوجب كقوله كتب عليكم الصيام ولفظ على ايضا تفيد الوجوب كقوله ولله على الناس حج البيت والقصاص ان تفعل بالانسان مثل ما فعل من قولك قص فلان اثر فلان اذا فعل مثل فعله ومنه القصص لان الحكاية تساوي المحكي والمقص لتعادل جانبيه وقوله في القتلى اى بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المؤمنة مائة ابل اى بسببها فظاهر الاية يدل على وجوب القصاص على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى لانهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما القاتل فقد دخله التخصيص ايضا في صور كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده والمسلم حربيا او معاهدا او مسلم مسلما خطاء الا ان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما عداه فان قيل لو وجب القصاص لوجب اما على القاتل وليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك واما على ولي الدم وهو مخير بين الفعل والترك بل هو مندوب الى الترك وان تعفوا اقرب للتقوى واما على الاجنبي وليس ذلك بالاتفاق وايضا القصاص عبارة عن التسوية ووجوب غاية المساواة على تقدير القتل لا يوجب نفس القتل قلنا عن الاول المراد ايجاب اقامة القصاص على الامام ومن يجري مجرى الامام لانه متى حصلت شرائط وجوب القود فانه لا يحل للامام ان يترك القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاؤه بل الزاني والسارق والمحارب من الحدود ولهما ايضا ان يستر ابتر الله فلا يعتبر فاذا كان امر القتل اشنع وفيه حق الادمي كثر وعن الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ايجاب التسوية في القتل والتسوية في القتل صفة للقتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات فالاية مفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في الكيفية المماثلة التي تجب رعايتها فقال الشافعي ان كان قتله بقطع اليد قطعت يد القاتل فان مات عنه في تلك المرة والا حزت رقبته وكذلك ان احرق الاول بالنار احرق الثاني



مات في تلك المرة والا حزت رقبته لما روى انه صلعم قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ورضخ يهودي راس جارية بالحجارة فامر رسول الله صلعم ان يفعل به مثله ولانه يجوز ان يقال كتب التسوية في القتلى الا في كيفية القتل حيث لم يستثن دخل وايضا الحكم بالعموم يوجب التخصيص في بعض الصور كما لو قتل بالخمر لانه محرم بل بالسيف وكما لو قتل صغيرا باللواط فانه يقتل بالسيف على الاصح لو لم يحكم بالعموم لزم الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم يفد الاية الا ايجاب التسوية في امر من الامور فلا شيئين الا وهما متساويان في بعض الامور فلا يستفاد من الاية شيء البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة تماثل النفس بتعيين السيف ولقوله صلعم لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل اذا لم يتب واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة اما اذا تاب فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبة للدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما الحكمة في وجوب قتله اجاب اصحابنا بانه يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع ليكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل فالوا انه منفعة القاتل من حيث انه اذا علم انه لا بد ان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول من حيث التشفي ومنفعة لسائر المكلفين من حيث الانزجار عن القتل قوله عز من قائل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الباء للبدل نحو بعت هذا بذاك اى الحر مقتول بدل الحر ثم فيه قولان الاول يروى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ان لا يكون القصاص مشروعا الا بين الحرين وبين العبدين وبين الانثيين لان الالف واللام يفيد العموم اى كل حر يقتل بحر فلو كان قتل حر بعبد مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا بغير حر وهو يناقض الاية ولان هذا القول خرج مخرج البيان لقوله كتب عليكم القصاص واوجب القصاص على الحر بقتل العبد اهمالا للتسوية فلا يكون مشروعا والى هذا ذهب الشافعي ومالك وقالا انما قتل العبد بالعبد فلا يقتل بالحر وهو قول ولي وكذا القول في قتل الانثى بالذكر واما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سنده ان الذكورة والانوثة فضيلتان كالعلم والجهل والشرف والخسة فكما انه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى ويروى عن عمرو بن حزم ان النبي صلعم كتب الى اهل اليمن ان الذكر يقتل بالانثى القول الثاني ويروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتاده والثوري وهذا مذهب ابي حنيفة ان الحر بالحر لا يفيد الحصر البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على حال سائر الاقسام لان قوله والانثى بالانثى يقتضي قصاص الحرة بالمرأة الرقيقة فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا من ذلك تناقض وايضا قوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله الحر بالحر تخصيص لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى النفس بالنفس وقوله صلعم المسلمون تتكافأ دماؤهم وقد يقتل الجماعة بواحد فدل على ان التفاضل غير معتبر في الانفس ثم انهم قالوا الفائدة في تخصيص هذه الجزئيات بالذكر ما ذكرنا في سبب النزول انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فنهوا عن ذلك ايضا نقل عن علي رضه والحسن البصري ان هذه الصور هي التي يكتفى فيها بالقصاص اما في سائر الصور وهي ما اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى فهناك لا يكتفى بالقصاص بل لا بد من التراجع فايما حر قتل عبدا فهو قود به فان شاء موالي العبد ان يقتلوا قتلوه بشرط ان يسقطوا قيمة العبد من دية الحر ويؤدوا الى اولياء الحر بقيته وان قتل عبد حرا فهو به قود فان شاء اولياء الحر قتلوا العبد اسقطوا قيمة العبد من دية الحر وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاؤا اخذوا كل الدية وتركوا قتل العبد وان قتل رجل امرأة فهو بها قود فان شاء اولياء المرأة قتلوه وادوا بعد ذلك نصف الدية الى اوليائه وان شاؤا تركوا قتله واخذوا ديتها وان قتلت المرأة رجلا فهي به قود فان شاء اولياء الرجل قتلوها واخذوا نصف الدية وان شاؤا تركوها واخذوا كل الدية فعلى هذا الغرض من الاية ان الاكتفاء بالقصاص مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فالاكتفاء بالقصاص غير مشروع قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء المعنى فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفى لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة فان قيل ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له والجواب انه يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الاية فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفى عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية واخوه هو ولي المقتول وانما قيل اخوه لانه لابس من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما يقول الرجل قل لصاحبك كذا اذا كان بينهما ادنى تعلق وذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام وقد يستدل بهذا على ان الفاسق مؤمن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي الدم ولا شك ان هذه الاخوة بسبب الدين انما المؤمنون اخوة مع ان قتل العمد العدوان بالاجماع من الكبائر وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو انما يليق عن المؤمن ويحتمل ان يجاب القاتل قبل تدامه على القتل كان مؤمنا فلعله تعالى سماه مؤمنا بهذا التاويل وبان القاتل قد يتوب وعند ذلك يكون مؤمنا ثم انه تعالى ادخل غير التائب فيه على سبيل التغليب وايضا لعل الاية نازلة قبل ان يقتل احد احدا ولا شك ان المؤمنين اخوة قبل الاقدام على القتل وايضا الظاهر ان الفاسق يتوب على هذا التقدير يكون ولي المقتول اخاه وايضا يجوز ان يكون قد جعله اخاه في النسب كقوله والى عاد اخاهم هودا فاتباع بالمعروف اى فليكن اتباع او فالامر او فحكمه اتباع او فعليه اتباع فيقبل على العافي اتباع بالمعروف بان لا يشدد في المطالبة بل يجري فيها على العادة المألوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان واجد العين المال فان كان لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان واجد

المال الواجب فالامهال الى ان يستبد وان لا يمنعه بسبب تباع عن تقديم الاهم من الواجبات على المعفو عنه اداء اليه باحسان بان لا يدعى الا قدام
في حال الامكان ولا يؤخر مع الوجود ولا يقدم ما ليس بواجب عليه ان يؤدى ذلك المال على الشرط بلا فقر وقول جميل من غير مطل وبخس هذا قول ابن
عباس والحسن وقتاده ومجاهد وقيل هما على المعفو عنه فانه يتبع عفو العافى بمعروف ويؤدى ذلك المعروف اليه باحسان ذلك قيل اشارة
الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس وهو الاقرب انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو فان هذه الامة خيرت بينهن توسعة وتيسيرا ولم
يكن الا القصاص في النصارى الا العفو واثبات الخير فضل من الله ورحمة في حقنا لان ولى الدم قد يكون الدية اثر عنده من القود اذا كان محتاجا
الى المال وقد يكون القود اثر عنده اذا كان راغبا في التشفى ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يؤثر ثواب الاخرة فيعفو عن القصاص وعن بدله جميعا وهو
الدية فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او دونه او قتل بعد اخذ الدية والعفو فقد كان الولى في الجاهلية
يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة
ولا يقبل منه الدية كما روى انه صلعم قال لا اعافى احدا قتل بعد اخذه الدية وهو مذهب الحسن وسعيد بن جبير وضعفه غيرهم ولما كانت الاية مشتملة
على ايلام العبد الضعيف وانه لا يليق بكمال رحمته عقبها بقوله ولكم في القصاص حيوة قال المفسرون القصاص ازالة الشيء لا يكون نفس ذلك الشيء فالمراد
لكم في شرع القصاص حيوة واى حيوة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وائل وكان يقتل
غير قاتله فتثور الفتنة ويحتمل ان يقال نفس القصاص سبب لنوع من الحيوة وهي الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا قيد منه ارتدع من كان
يهم بالقتل فلم يقتل ولم يقتل فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اى فيما قص عليكم من حكم القتل و
القصاص وقيل القصص القرآن اى لكم في القرآن حيوة للقلوب هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حيوة بلغ في
الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع وقولهم اكثروا القتل ليقل القتل واجود ذلك قولهم
القتل انفى للقتل والترجيح مع ذلك للاية من وجوه الاول ان قولهم لم يصح على العموم لان القتل ظلما ليس نفيا للقتل قصاصا بل ادعى له ولو خص
بقتل القتل قصاصا انفى للقتل ظلما طال والاية تفيد هذا المعنى من غير تقدير تكلف الثاني ان القتل قصاصا لا ينفى القتل ظلما من حيث
انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الحيثية معتبرة في الاية لا في كلامهم الثالث ان الحيوة هي الغرض الاصلي ونفى القتل انما يراد لحصول الحيوة
فالتنصيص على المقصود الاصلي اولى الرابع التكرار من غير ضرورة مستهجن انه في كلامهم لا في الاية الخامس ان الحروف الملفوظة التي يعتد
بها في اعتبار الوجازة لا المكتوبة هي في الاية عشرة وفي كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما يخل بسلاسة
التركيب والاية مع غاية وجازتها فيها السلاسة والوتد والفاصلة السابع ظاهر قولهم يقتضى كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال وفي الاية
جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحيوة ولا استبعاد فيه لظهور التغاير الثامن المطابقة مرعية في الاية لمكان تضاد بين
لفظي القصاص والحيوة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الاية على لفظ يصلح للتفاؤل وهو الحيوة بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفي اكتنفه قتلان في
انه لا يلوح عليهم العاشر اشتمال الاية على اسمين واداة واشتمال كلامهم على ثلثة اسماء واداة وان اعتبرت اداة التعريف ففي الاية واحدة وفي كلامهم
ثنتان وان اعتبر التنوين في الاية تقاصت الادوات ويبقى زيادة الاسماء بحالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة استعمل
بمن فتقدير كلامهم القتل انفى للقتل من كل شيء فاين الوجازة يا اولى الالباب يا ذوى العقول واولو جمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو
بمعنى صاحب واولات للاناث واحدتها ذات بمعنى صاحبة قال تعالى واولات الاحمال واعراب اولو كاعراب جمع المذكر السالم وزادوا في اولو واولى
فرقا بينها وبين الى واجرى اولو عليه واللب العقل ولب النخل قلبها وخالص كل شيء لبه خاطب العقلاء والذين يتفكرون في العواقب يعرفون
ويعرفون جهات الخوف فلا يرضون باتلاف انفسهم لاتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون يتعلق بمحذوف اي اريتكم ما في القصاص
من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لتكونوا على بصيرة في اقامته راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب يعم الكل اختصاص
بالائمة او لعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحسن والاصم وقد بقى على الاية بحث وهو انه يسئل اذا صح ان المقتول ان لم يقتل فهو
يموت لان المقتل عمره ذلك القدر وكذا اذا هم انسان بقتل اخر فارتدع خوفا عن القصاص فان ذلك الاخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان كل
وقت صح وقوع قتله صح وقوع موته فكيف يفيد شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى قد جعل لكل شيء سببا بوجوده وبسببه مع وجوده وعدمه و
شرعية القصاص مما جعلها الله تعالى سببا للحيوة من اراد حيوته بعد ان تصور الهام قتله وذلك بان يتذكر القصاص فارتدع عما هم به ففايدة شرع
القصاص هي فايدة سائر الاسباب والوسائط ومنكر فائدته منكر فائدتها وكلا الانكارين مذموم وصاحبها عند العقلاء ملوم والله اعلم التاويل
كتب القصاص في قتلاكم كتب على نفسه الرحمة في قتلاه وقال من جنى قتلته ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اى من كان
متوجها اليه تعالى بالكلية كان فيضه تعالى متصلا به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات لم يتصل به فيضه غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى
محبته لم يكن مستحقا لكمال المحبة فمن عفى له من الاحباء والاصفياء شيء من انواع البلاء والابتلاء الذي هو موكل بالانبياء والاولياء فانه معروف
من معارفه فالواجب على العبد اداء شكره الى الله باحسان فمن اعتدى بعد ذلك الوفاء بملابسة الجفا والقى جلباب الحياء فله عذاب اليم فان الكفر





موقعه خيم ولكم في القصاص حيوة الدارين والبقاء برب الثقلين يا اولى الالباب الذين بلوا نشر الروح الانسانى عند شهود جلال الصمد لعلكم
تتقون شرك وجودكم كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين
نوشته شد بر شما وقتی که دریافت یکی از شما را مرگ اگر بگذارد مالی را وصیت کردن از برای پدر و مادر و خویشان بمعروف لازم است بر پرهیزگاران
فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح
پس هر که تغییر دهد او را پس از آنکه شنید او را پس جز این نیست که گناه تغییر دادن بر آنهاست که تغییر میدهند بدرستیکه خدا شنوای داناست پس هر که بترسد از وصیت کننده میل یا گناهی پس صلاح کند
بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم القراءة بالامالة حيث كان حمزة موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص وجبلة
در میان ایشان پس نیست عقوبتی برو بدرستیکه خدا آمرزنده مهربان است
الباقون بالتخفيف من الايصاء الوقوف خيرا ج لان قوله الوصية مفعول كتب تمام يؤنث الفعل لتقدم
ولاعتراض ظرفه شرطا بينهما او الوصية مبتداء وللوالدين خبره ومفعول كتب محذوف اي كتب عليكم ان توصوا ثم بين لمن الوصية والوصل اولى
لئلا يحتاج الى الحذف بالمعروف ج لان التقدير حق ذلك حقا او كتب الوصية حقا المتقين ط وان كان بعدها فاء التعقيب لانه حكم اخر يبدلونه ط كذلك
عليم ط رحيم ه التفسير هذا حكم اخر وقوله كتب عليكم يقتضى الوجوب كما مر والمراد من حضور الموت ليس معاينة الموت لان في ذلك الوقت يكون عاجزا عن الايصاء
والاكثرون قالوا المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف كما يقال لمن قارب البلد انه وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة الوصية بان
تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا وكذا وزيف بانه ترك الظاهر ولا شك ان الخير يرد في القرآن بمعنى المال وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير لشديد من
خير فقير لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير ههنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري انه المال قليلا كان او كثيرا بدليل قوله فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره وانه تعالى اعتبر احكام المواريث فيما يبقى من المال قل ام كثر قال تعالى وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل او كثر
نصيبا مفروضا فكذا الوصية ولان كل ما ينتفع به فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير في الاية مختص بالمال الكثير كما لو قيل فلان ذو مال يفهم منه
ان ماله قد جاوز حد اهل الحاجة وان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل او كثير وكما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى
فانه يراد تكثير النعمة وان كان احد لا ينفك عن نعمة الله وهو باب من المجاز مشهور ينفون الاسم عن الشيء لنقص منه قوله لا صلوة لجار المسجد الا
في المسجد ولو كانت الوصية واجبة في كل ما يترك لم يكن لقوله ان ترك خيرا فائدة لان كل من يموت فلابد ان يترك ما يتمول ثم القائلون بهذا اختلفوا
في ان المال المسمى بالخير في الاية مقدر بمقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف لمن المقدار من
المال بانه غنى ولا يوصف غيره بالغنى لذلك المقدار لاجل كثرة العيال وتوسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الى الاجتهاد وهذا
يناسب في اصل الايجاب ومنهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن على كرم الله وجهه انه دخل على مولى لهم في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصى
قال لا قال الله تعالى ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وعن عائشة ان رجلا قال لها انى اريد ان اوصى قالت كم مالك قال ثلثة الاف قالت كم عيالك
قال اربعة قالت قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وعن ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصى فاذا بلغ ثمانمائة
درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعى من الف الى خمسمائة درهم قال ابو البقاء جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اى فالوصية
للوالدين على الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب الشرط معنى الايصاء لا معنى الكتب بناء على رفع
الوصية بكتب وهو الوجه وقيل المرفوع بكتب الجار والمجرور وهو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج الى جواب والاقربين قيل
هم الاولاد عن ابن زيد وقيل من عدا الولد عن ابن عباس ومجاهد وقيل جميع القرابات وقيل غير الوارث وقوله بالمعروف امر بان يسلك في الوصية
الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير ووصى للغنى لم يكن معروفا فلو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بنى العم لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد الجد البعيد
مع حضور الاخوة لم يكن ما ياتيه معروفا وحقا مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المتقين على الذين اثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم وسيرة واعلم ان
الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه اختار عدم نسخها وقال معناها كتب عليكم ما اوصى الله به من
توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصى للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليهم و
ان لا ينقص من انصبائهم اذ لا منافاة بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية من الله تعالى والوصية عطية ممن حضره الموت فالوارث
يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين ولو قدرنا حصول المنافاة فهذه الاية توجب الوصية للوالدين والاقربين ثم اية الميراث تخرج القريب الذي
لا يكون وارثا داخلا في الاية وذلك ان من الوالدين من لا يرث بسبب اختلاف الدين والرق والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال
ومنهم من يسقط في كل حال اذا كانوا ذوى رحم فاية الميراث مخصصة لهذه الاية لا ناسخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على ان الاية منسوخة
قالوا النسخ باية المواريث او بالاجماع او بقوله صلعم ان الله اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا وان كان خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول
حتى التحق بالمتواتر فيجوز نسخ القرآن به عند الجمهور ومن ائمة الامة من قال انها منسوخة في حق من يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن
البصرى ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد حتى قال الضحاك من مات من غير ان يوصى لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية وقال
طاوس ان اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم ورد الى الاقارب قالوا الاية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل به في حق القريب الوارث

اما باية المواريث وبقوله لا وصية لوارث وباجماع الامة فبقيت الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذى لا يكون وارثا وايضا قال عليه السلام ما
حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه وفى رواية له شئ يريد ان يوصى فيه ان يبيت ليلتين وفى رواية ثلث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده لكن الوصية لغير
الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان يختص بالاقارب هؤلاء القائلون بان الاية ما صارت منسوخة فى حق القريب الذى لا يكون وارثا اختلفوا
فى موضعين الاول نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية للافقر فالافقر من الاقرباء وقال الحسن البصرى هم والاغنياء سواء الثانى عن الحسن
جابر بن زيد وعبد الملك بن يعلى انهم قالوا فيمن يوصى لغير قرابته وله قرابة لا يرثه يجعل ثلثى الثلث لذوى القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له وعن
طاؤس ان الاقارب كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى الاقارب فمن بدله من غير الاوصياء او ما قاله الميت او وصى به عن وجه
ان كان موافقا للشرع بعدما سمعه تحققه فلا معنى للسماع لو لم يقع العلم به المبدل اما الوصى بان يغير الوصية فى الكتابة او فى قسمة الحقوق واما الشاهد
بان يغير شهادته او يكتمها واما غيرهما بان يمنع من وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل المنهى عن التغيير هو الموصى نهى عن تغيير الوصية عن الموضع الذى
بين الله تعالى الوصية فانهم كانوا يوصون فى الجاهلية للابعدين طلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب فى الضر والفقر فامرهم بالوصية للاقربين والوالدين
على نهجها فانما اثمه اثم الايصاء المغير او اثم التبديل الا على الذين يبدلونه فان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لا يعذب بكفر ابيه وان لا
اذا امر الوارث بقضاء دينه فان الميت لا يعذب بتقصير ذلك الوارث وان الميت لا يعذب ببكاء غيره عليه ان الله سميع عليم يسمع الوصية على حد
ويعلمها على صفتها فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها وفى ذلك وعيد للمبدل ووعد ثم انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه قوله فمن
خاف ليعلم ان التغيير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو حسن عقلا وللخوف ههنا تفسيران احدهما الخشية فيسئل انه ما الخ
فى امر منتظر مظنون والوصية وقعت وعلمت واجيب بان المراد منه ان المصلح اذا شاهد الموصى يوصى فظهرت منه امارات الجنف الذى هو الميل عن
طريق الحق مع ضرب من الجهالة او مع التاويل وشاهد منه ما اى تعمدا بان يزيد غير المستحق وينقص المستحق ويعدل عن المستحق فعند ظهور امارات
ذلك وقبل تحقق الوصية ياخذ فى الاصلاح بينهم اى بين اهل الوصية لان قوله من موص يدل على ان هذا بالشاهد فكان الموصى يقول وقد حضر
الوصى والشاهد على وجه المشورة اريد ان اوصى للاباعد دون الاقارب وان ازيد فلانا مع انه غير مستحق للزيادة وانقص فلانا مع انه مستحق للزيادة
فعند ذلك يصير الشاهد خائفا من جنف او اثم لا قاطعا بهما ولهذا قيل من الجائز ان لا يستمر الموصى على وصيته فان له الفسخ ما دام فى حياته ومن الجائز ان يحصل
التغيير بما اصلح وقد يعدل عن الحق فى اول الامر ويتقدر ان يستقر الوصية ومات الموصى على ذلك الظلم بعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما
نسب الى الموصى وقد يفرح بالجنف او الاثم فيحتاج الى الاصلاح بالحاقهم على قانون الشرع والتفسير الثانى ان خاف بمعنى علم وقد يستعمل
الخوف والخشية مقام العلم لان الخوف منشاه ظن مخصوص وبين العلم والظن مشابهة من وجوه كثيرة فصح اطلاق احدهما على الآخر واستعمل ذلك الاستعمال شايعا من
قولهم خاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجارى مجرى العلم فمعنى الاية ان الميت اذا اخطأ فى وصيته او جار فيها متعمدا فلا حرج على
من علم ذلك ان يرده الى الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع وفى الاية دليل على جواز الاصلاح بين المتنازعين اذا خاف
المصلح افضاء المنازعة الى امر محذور شرعا والغرض من قوله فلا اثم عليه رفع الحرج حيث لا ينافى الوجوب وفيه مع ذلك نكتة هى ان الاصلاح بين
القوم يحتاج الى الاكثار من القول وذلك قد يفضى الى الاسهاب والتكلم ببعض ما لا ينبغى فبين انه تعالى لا يؤاخذ على المصلح من هذا الجنس اذا كان غرضه الاصلاح صحيحا
ولهذا اتبعه قوله ان الله غفور رحيم وايضا كانه قيل انا الذى اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان اوصل رحمتى اليك ايها المصلح مع تحمل عناء
الاصلاح اولى او المراد ان الذى اقدم على الجنف والاثم متى اصلح خلل وصيته فان الله يغفر له ويرحمه بفضله وبهذا التاويل يجوز ان يرجع الضمير
فى قوله فلا اثم عليه الى الموصى واعلم ان اكثر الائمة وان ذهبوا الى ان وجوب الوصية منسوخ باية المواريث الا انهم اتفقوا على انها الآن جائزة فى الثلث روى
انه عاد سعد بن ابى وقاص فقال للنبى صلى الله عليه وسلم انى ذو مال ولا يرثنى الا ابنة لى افاوصى بثلثى مالى قال لا قال فبالشطر قال لا قال فبالثلث قال الثلث والثلث
كثير لان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فافاد الحديث المنع من الزيادة واستحباب النقصان عن الثلث ان كان
الورثة فقراء والوصية اوسع مجالا من الارث فاذا اراد الوصية فالاصل ان يقدم من لا يرث من اقاربه لان الله اعطى الاقربين الميراث ويقدم
منهم المحارم ثم يقدم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كما فى الصدقات المنجزة فان اوصى للورثة بعضهم جاز لكن بالاجازة من سائر الورثة
كما لو زاد على الثلث للاجنبى فان الزائد يحتاج الى اجازة الورثة التاويل كتب على الاغنياء الوصية بالمال وعلى الاولياء الوصية بالحال
والاغنياء يوصون فى اخر اعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون فى مبادى احوالهم عن الكل والمعنى اذا حضر قلب احدكم مع الله ومات نفسه عن الصفات
الحيوانية فعليها على ان يوصى للوالدين وهما الروح العلوى والبدن السفلى فان النفس تولدت من ازدواجهما وللاقربين وهم القلب والسر يترك كل شرب
يظهر لهم من المشارب الروحانية والجسمانية بالمعروف من غير اسراف يفضى الى الاتلاف معرضا عن الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات كما قال صلى الله عليه وسلم
بعثت لرفع العادات وترك الشهوات بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومن مكارم الاخلاق ان يجعل المشارب مشربا واحدا والمذهب مذهبا واحدا
وكل له سعى ودين ومذهب وقصدكم سؤلى ودينى هواكم وانتم من الدنيا مرادى وهمتى مناى منا كم واختيار رضاكم حقا على المتقين من الشرك الخفى
ولهذا لم يقل على المسلمين والمؤمنين لانهم اهل الظاهر والمتقون هم اهل البواطن كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره واحكام الظواهر تحتمل النسخ



البواطن وهى الحكم والحقائق لا تحتمل النسخ فحكم الوصية فى حق المتقين غير منسوخ ابدا فمن بدله فمن غير من الروح والقلب والسر الوصية الصادرة
من نفسه الميتة فانما اثمه عليهم وسبب هذا التوكيد ان السر والقلب والروح كلهم من العالم الروحانى وصفاتهم حميدة باقية فترك مشاربها والخروج
عنها صعب جدا فمن خاف تفرس من موص جنفا فى ترك المشارب بان يبالغ فى المجاهدات ليبل المشاهدات او اثما تجاوزا عن حد الشرع فى رفع
الطبع فاصلح بينهم بين الروح والبدن والقلب والسر ولكن بنظر كامل ومرب عارف فلا حرج على المصلح والله الموفق يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى
الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذى انزل
فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون واذا سألك عبادى عنى فانى
قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن
لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله
لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم
عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون القراءة فدية طعام مضافا مساكين بالجمع
ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وروى الحلوانى للداجونى عن هشام والنجارى فدية بالتنوين طعام بالرفع مضافا الى مساكين بالجمع الباقون
مثل هذا الا ان مسكين مفرد مجرور فمن تطوع بتشديد الطاء والواو وبياء الغيبة وجزم العين حمزة وعلى وخلف الباقون بلفظ الماضى من باب التفعل
القرآن غير مهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزة فى الوقف فاذا كان بمعنى القراءة فان عباسا فيه مخير ان شاء لم يهمز كقوله تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر
ولا تعجل بالقرآن ان علينا جمعه وقرآنه فاتبع قرآنه الباقون بالهمز اليسر العسر حيث كان مثقلين يزيد الا قوله فالجاريات يسرا ولتكملوا العدة من
التكميل ابو بكر وحماد وعباس وسهل ويعقوب الباقون من الاكمال الداع اذا دعان بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو جعفر
ونافع غير قالون وابو عمرو بالياء فى الوصل الباقون بغير ياء فيهما فى الحالين لعلهم بفتح الياء ورش الباقون بالسكون الوقوف تتقون لان
اياما ظرف الصيام والانتفاء معدودات ط لان المرض والسفر عارضان فكانا خارجين عن الوضع اخر ط لان خبر الجار منتظر وهو فدية فلا تعلق له بما
قبله مسكين ط لان التطوع خارج عن موجب الاصل خير له ط لان النقدير والصوم خير لكم تعلمون والفرقان ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فليصمه
للابتداء بشرط اخر اخر ط العسر ز قد يجوز تشكرون قريب ط لان قوله اجيب مستانف دعان ص للفاء يرشدون نسائكم ط هن ط عنكم ج لعطف
الجملتين المختلفتين لكم ص لعطف المتفقين من الفجر ص لذلك الى الليل ج وان اتفقت الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف مختلفان ولكل واحد شان
فى المساجد ط لان تلك مبتداء فلا تقربوها ط لان كذلك صفة مصدر محذوف اى يبين بيانا كبيانا ما تقدم يتقون التفسير هذا حكم اخر وهو الصيام
مصدر صام كالقيام والعياذ وهو فى اللغة الامساك عن الشئ قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوما اى قام على غير اعتلاف وقال ابو عبيدة
كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم وانه فى الشرع عبارة عن الامساك عن اشياء مخصوصة تسمى المفطرات كالاكل والشرب والوقاع فى
زمان مخصوص هو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ولا بد فى صحته من النية فى غير يومى العيد بالاتفاق وفى غير ايام التشريق عند الاكثر
ويوافقه الجديد من قول الشافعى وفى غير يوم الشك بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة ولا بد للصائم من الاسلام والنقاء عن الحيض والنفاس
ومن العقل كل اليوم ومن انتفاء الاغماء فى جزء من اليوم وقوله سبحانه كما كتب على الذين من قبلكم اى على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم
قال على كرم الله وجهه اولهم آدم يعنى ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة
عليها الفدية او المعاصى لان فى الصوم ظلفا للنفس عن المناهى ومواقعة السوء ولعلكم تنتظمون فى سلك اهل التقوى فان الصوم شعارهم وقيل
معناه صومكم كصومهم فى عدد الايام وهو رمضان كتب على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل كان يقع فى البرد الشديد

فشق عليهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين كفارة ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل مثل دراهم معدودة واصله ان المال
القليل يعد عدا والكثير يحثى حثيا كانه قال لا برحمتكم فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا يحتمل ان يكون وجه الشبه
بين الفرضين مجرد تعليق الصوم بمدة غير متطاولة وان اختلف المدتان ثم ان الائمة اختلفوا في هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان
فعن عطاء ثلثة ايام من كل شهر وعن قتادة هي مع صوم عاشوراء ثم اختلفوا انه هل كان تطوعا ثم فرض قيل بل كان واجبا واتفقوا انه نسخ بصوم
رمضان واستدلوا على قولهم انها غير صوم رمضان بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان صوم رمضان نسخ كل صوم فدل على ان صوما آخر كان واجبا وايضا
ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الاية وفي التي تتلوها فلو اتحد الصومان كان تكريرا محضا وايضا ذكر في هذه الاية التخيير بين الصوم والفدية وصوم رمضان
واجب على التعيين فيختلفان والثاني وهو اختيار ابي مسلم والحسن واكثر المحققين انها شهر رمضان اجمل اولا ذكر الصيام ثم بينه بعض البيان بقوله اياما
معدودات ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا ترتيب في غاية الحسن من غير زيادة ولا نقصان واجيب عن استدلالهم الاول بانه ليس في الخبر انه نسخ
عنه كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم وجب في الشرائع المتقدمة سلمنا ان المراد به صوم ثبت في شرعه لكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا لصيام
وجب بغير هذه الاية وعن الثاني ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفي الاية الثانية جعل واجبا على التعيين فاعيد حكم المريض والمسافر ليعلم ان حالهما
ثابتا في تحتم الافطار ووجوب القضاء كحالهما ولا دعوى لنا ان لا اختلاف مسلم لكن في التخيير والتعيين اما في نفس الصوم فلا وههنا سؤال
وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف كان ناسخا للتخيير مع اتصاله بالمنسوخ والجواب ان الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول
بل المقدم في التلاوة يمكن ان يكون ناسخا والمتاخر منسوخا كاية الاعتداد بالحول وهكذا نجد في القرآن اية مكية متاخرة في التلاوة عن الاية
المدنية وذلك كثير قال القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف فبين اولا ان لهذه الامة في هذا التكليف
اسوة بالامم السالفة فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة في ايجاب الصوم وهو حصول التقوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام قلائل
لا بكلها ولا باكثرها ثم بين رابعا انه خصه من الاوقات بالشهر الذي انزل فيه القرآن ليعلم شرفه فتوطن النفس له ثم ذكر خامسا ازالة المشقة
في التزامه فاباح تاخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة وهي هيئة يكون لها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث
يصدر عنها الافعال كلها سليمة والمرض زوالها واختلف الائمة في المرض والسفر المبيحين للافطار على اقوال احدها ان اي مريض كان واي مسافر كان فله ان
يترخص تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين يروى انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فقيل يوجع اصبعه وعن داود
الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان فرسخا وثانيها انه المرض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد وكذا السفر وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ
على اكمل احواله وثالثها وهو قول الشافعي واكثر الفقهاء انه الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة في العلة اذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه
وبين ما يؤدي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه والارمد يخاف ان يشتد وجع عينه قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض
مرخص مع علمنا بان في الامراض ما ينفعه الصوم فالمراد منه ما يؤثر الصوم في تقويته تاثيرا يعتد به والتاثير اليسير لا عبرة به والمرض المرخص
لا يفرق فيه بين ان يعرف كونه كذلك بنفسه او يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا واصل السفر من الكشف لانه يكشف من احوال
الرجال واخلاقهم وعن الزهري سمي مسافرا لكشف قناع الكن عن وجهه وبروزه للارض الفضاء قال الاوزاعي السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعي
مقدر بستة عشر فرسخا ولا يحسب منه مسافة الاياب كل فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا
عشر الف قدم هي اربعة الاف خطوة والى هذا ذهب مالك واحمد واسحق وذلك ان تعب اليوم الواحد يسهل احتماله بخلاف ما اذا تكرر في يومين نحو بياض
ولما روى الشافعي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربعة فراسخ وروى الشافعي
ايضا عن عطاء ان ابن عباس قيل له اتقصر الى عرفة فقال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان اربعة برد وقال
ابو حنيفة والثوري رخصة السفر لا يحصل الا في ثلثة مراحل اربعة وعشرين فرسخا قياسا على المسح والاجماع على الرخصة في هذه المدة والخلاف
فيما دون ذلك فيبقى المختلف فيه على اصل وجوب الصوم واجيب بان قوله يمسح المقيم يوما وليلة لا يدل على انه لا يحصل الاقامة في اقل من يوم وليلة
لانه لو نوى الاقامة في موضع الاقامة ساعة يصير مقيما وكذا قوله صلى الله عليه وسلم والمسافر ثلثة ايام لا يوجب ان لا يحصل السفر في اقل من ثلثة ايام وايضا الترجيح
للافطار لقوله صلى الله عليه وسلم في قصر الصلوة هذه صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته وانما قيل وعلى سفر دون ان يقول مسافرا كما قال مريضا لان
السفر يتعلق بقصده واختياره حتى لو عزم على الاقامة في منزل من المنازل لم يبق على قصد السفر فلا يبيح الافطار وان كان مسافرا وهذا بخلاف
المرض فانه صفة قائمة به تحصل في الابدان لا باختياره وعدة فعلة من العد بمعنى المعدودة كالطحن بمعنى المطحون وعدة المراة من هذا وانما قيل فعدة على التنكير
ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات للعلم بانه لا يؤثر عدد على عددها وانه لا يأتي الا بمثل ذلك العدد ظاهرا فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة
والمعنى فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب فليصم عدة واخر جمع اخرى تانيث آخر وانه غير مصروف للصفة والعدل من آخر من كذا واعلم ان قوما من علماء
الصحابة ذهبوا الى انه يجب على المريض والمسافر ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى قالا لو صام في السفر قضى في الحضر
واختاره داود بن علي الاصفهاني وهو مذهب الامامية لان قوله تعالى فعدة اي فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه ولان قوله يريد الله بكم اليسر

عن داود



عن ارادة الافطار ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وفي رواية بدل لام التعريف ميم التعريف وقوله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وذهب اكثر الفقهاء الى
ان هذا الافطار رخصة فان شاء افطر وان شاء صام لما يجيء من قوله تعالى وان تصوموا خير لكم ولما روى ابو داود في سننه عن هشام بن عروة عن ابيه
عن عائشة ان حمزة الاسلمي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل اصوم في السفر فقال صم ان شئت وافطر ان شئت قالوا وفي الاية
اضمار التقدير فمن كان مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر كقوله او به اذى من رأسه ففدية اي فحلق فعليه فدية ثم اختلف هؤلاء فعند
الشافعي وابي حنيفة ومالك والثوري وابي يوسف ومحمد ان الصوم افضل وقالت طائفة الافضل الفطر واليه ذهب ابن المسيب والشعبي والاوزاعي و
احمد واسحق وقيل افضل الامرين ايسرهما على المرء واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره
وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي كرم الله وجهه وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا ويؤيده
قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه فيه ثلثة اقوال الاول وهو قول اكثر المفسرين ان المعنى وعلى المطيقين للصيام
الذين لا عذر بهم لكونهم مقيمين صحيحين ان افطروا فدية هي طعام مسكين والفدية في معنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم عن الشيء وانه ههنا
عند اهل العراق ومنهم ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره وعند اهل الحجاز ومنهم الشافعي هو مد من غالب قوت البلد لكل يوم ويصرف الى
الفقير المسكين قالوا كان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية عن سلمة بن الاكوع لما نزلت
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر يفطر ويفتدي حتى نزلت فمن شهد منكم الشهر فليصمه فنسختها ومن قرأ
باضافة الفدية الى طعام فالاضافة فيه كهي في قولك خاتم حديد ومن قرأ مساكين على الجمع فلان الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم يلزمه طعام
مسكين لكل يوم والاعتبار بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مائة وثلثة وسبعون درهما وثلث درهم الثاني ان هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك ان
المريض والمسافر منهما من لا يطيق اصلا واليه الاشارة بقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ومنهما من يطيق الصوم مع الكلفة و
هو المراد بقوله وعلى الذين يطيقونه قالوا هذا اولى لئلا يلزم النسخ اذ قل فان نسخ التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق اقل من نسخ التخيير عنه وعن
الصحيح المقيم الثالث انه في الشيخ الهرم عن السدي وعلى هذا لا يكون الاية منسوخة ويؤيده القراءة الشاذة يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة
او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه والتركيب يستعمل فيمن يقدر على شيء مع ضرب من المشقة والكلفة وبعضهم اضاف الى الشيخ الهرم الحامل والمرضع
اذا خافتا على نفسيهما او ولديهما واتفقوا على ان الشيخ اذا افطر فعليه الفدية واما الحامل والمرضع اذا افطرتا فقال الشافعي عليهما القضاء والفدية نحو
الزمن وقال ابو حنيفة لا يجب الا القضاء كيلا يلزم بين البدلين فمن تطوع خيرا بان يطعم مسكينين او اكثر او يطعم الواحد المسكين الفدية الواجبة او صام مع
الفدية عن الزهري فهو اي التطوع خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم متاعب الصيام خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان
ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا عند من يرى ان الصوم لهما افضل ان كنتم تعلمون ان الصوم اشق عليكم وان اجره على قدر نصبكم او تعلمون
بالله فتخشونه فتمتثلون امره انما يخشى الله من عباده العلماء او تعلمون ما في الصوم من الفوائد البدنية والاخروية عن علي كرم الله وجهه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من
ريح المسك وعنه صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيمة لا يدخل منه احد غيرهم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وفضيلة الصوم ومنافعه اكثر من ان يحصى ولو لم يكن فيه الا التشبه بالملائكة والارتقاء
من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالروحانيات المجردة لكفى به فضلا ومنقبة هذا صوم الشريعة فاما صوم الطريقة فالامساك
عما حرم الله عز وجل والافطار بما اباح واجل صوم الحقيقة الامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن ومن صام عن غيره فلما تجلى كان
في شاغل عن الافطار فلا يتوقت بمدة ثم لما [illegible] عن مكان الافطار قوله عز من قائل شهر رمضان الشهر ماخوذ من الشهرة عن مجاهد رمضان
اسم الله تعالى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله وعلى
هذا شهر رمضان اي شهر الله والاكثرون على انه اسم علم للشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية والالف والنون ثم اختلف في اشتقاقه
فعن الخليل انه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر ياتي وقت الخريف يطهر وجه الارض عن الغبار سمي الشهر بذلك لانه يطهر الابدان عن اوضار الاوزار
وقيل من الرمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس على الارض رمضاء وفي الكشاف الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء سمي بذلك اما لارتماضهم فيه
من حر الجوع كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم [illegible] عن الازهري انهم كانوا يرمضون
اسلحتهم فيه ليقضوا منها اوطارهم في شوال قبل دخول الاشهر الحرم وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت
فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك وشهر رمضان يجمع على رمضانات وارمضاء واضافة الشهر اليه اضافة العام الى الخاص ولو لم يتلفظ

بالشهر جاز كقوله من صام رمضان ايمانا الحديث لان التمييز ونعت برمضان ونقل ارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن وعلى انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام وعلى انه خبر مبتدأ محذوف اي هي اي الايام المعدودات شهر رمضان وعلى هذين الوجهين يكون الموصول مع صلته صفة لشهر رمضان قال ابو علي وهذا اولى ليكون نصا في الامر بصوم الشهر والا كان خبرا عن انزال القرآن فيه وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما او على انه مفعول وان تصوموا وفي هذا الوجه نظر من قبل الفصل بين ان تصوموا ومعموله بالخبر وفائدة وصف الشهر بانزال القرآن فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه وذلك انه كما خص باعظم آيات الربوبية ناسب ان يخص بشيء من سمات العبودية فيفيد رفع النفس وترقي العبد في مدارج الانس ويصل الى معارج القدس ويخرق له الحجب الناسوتية ويطلع على الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القرآن ويتبدل له العلم بالعيان وكان من العجائب ما كان في انزال القرآن في رمضان اقوال الاول عن سفيان بن عيينة نزل في فضله القرآن كما تقول نزل في علي كذا وقال ابن الانباري انزل في ايجاب صومه على الخلق القرآن كما تقول انزل الله في الزكوة كذا اي في ايجابها وانزل في الخمر كذا اي في تحريمها والقولان متقاربان او هما واحد فانه لم ينزل سوى قوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الآيات واثنيا الجمهور ان الله تعالى انزل القرآن في رمضان عن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين ثم انه لا شك ان القرآن قد نزل منجما مفرقا على حسب المصالح والوقائع فاولت الآية بان المراد انه ابتدئ فيه انزاله وذلك ليلة القدر ومبادي الملل والدول هي التي يؤرخ بها لشرفها وانضباطها هذا قول محمد بن اسحق وانه انزل جملة الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل الى الارض نجوما وليس ببعيد ان يكون للملائكة الذين هم سكان سماء الدنيا مصلحة في انزال ذلك اليهم وفيه مصلحة الرسول من حيث توقع الوحي من اقرب الجهات ولعل فيه مصلحة لجبرئيل المأمور بالانزال والتأدية ولا سيما على رأي الفلاسفة الذين جبرئيل عندهم هو العقل الفعال الاخير الذي يدبر عالم الكون والفساد وخاصة نوع الانسان وعلى هذا القول يحتمل ان يقال ان الله تعالى انزل كل القرآن من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ليلة القدر ثم نزله على محمد منجما منجما الى آخر عمره ويحتمل ان يقال انه سبحانه كان ينزل الى سماء الدنيا ليلة القدر كل سنة ما يحتاجون اليه في تلك السنة وكذلك ابدا الى ان تم انزاله وعلى هذا يكون تعيين رمضان الذي انزل فيه القرآن نوعا الا تخصيصا هدى للناس وبينات منصوبان على الحالية اي نزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات من جملة ما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل من الكتب السماوية وذلك ان الهدى قسمان جلي مكشوف وخفي مشتبه فوصفه اولا بجنس الهداية ثم قال انه من نوع البين الواضح ويحتمل ان يقال القرآن هدى في نفسه ومع ذلك فيه ايضا بينات من هدى الكتب المتقدمة فيكون المراد بالهدى والفرقان التوراة والانجيل ويقال الهدى الاول اصول الدين والثاني فروعه فيزول التكرار نقل الواحدي عن الاخفش والمازني ان الفاء في فمن شهد زائدة اذ لا معنى للعطف والجزاء ههنا وهذا وهم لظهور كونها للجزاء كانه قيل لما علمتم اختصاص هذا الشهر بفضيلة انزال القرآن فيه فانتم ايضا خصوه بهذه العبادة ومعنى شهد اي حضر ثم قيل ان مفعول شهد محذوف والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهد الشهر فالمعنى فمن شهد منكم في الشهر المذكور المعلوم البلد والمقام فليصم في الشهر صاحب هذا القول ارتكب الاضمار حذرا من لزوم التخصيص في حق المسافر الا انه يلزمه ما فر منه بعينه لان الصبي والمجنون والمريض كل منهم شهد البلد مع انه لا يجب عليه الصوم اما اذا قيل الشهر مفعول به مثل شهدت عصر فلان وادركت زمانه فلا يلزم منه الا احد الامرين وهو التخصيص بقوله ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فيكون اولى من الاول لان الاضمار والتخصيص اذا تعارضا فالتخصيص اولى فكيف اذا وقع الاضمار والتخصيص في جانب والتخصيص وحده في جانب هذا ما قاله الامام فخر الدين الرازي معترضا به على صاحب الكشاف وعندي انه لا اتضاف ان الترجيح مع صاحب الكشاف لان لزوم الاضمار في الآية ممنوع وذلك ان شهد ههنا منزل منزلة اللازم كقولهم فلان يعطي ويمنع ومعنى من شهد من كان على حالة الحضر سواء كان في البلد او في منزل من المنازل في نوى الاقامة واما التخصيص على القولين الا انه على قول صاحب الكشاف اقل لعدم دخول المسافر فيه فيكون اولى فان قيل فعلى هذا يكون قوله بعيد ذلك او على سفر تكرارا قلنا انما اعيد ليرتب عليه حكم القضاء كالمريض وايضا لا يلزم من ايجاب الصوم على الحاضر عدم ايجابه على المسافر ولو سلم فبالمفهوم ولا بالمنطوق ثانيا فان من التكرار وانما وضع المظهر وهو الشهر مقام المضمر حيث لم يقل فمن شهده اعتناء بشأنه واعلاء لمكانه وتمكينا في القلوب وتعظيما في النفوس كقوله ان شانئك الحق يعطي الحق سائله وههنا بحث وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه جملة شرطية وما لم يوجد الشرط بتمامه لم يترتب عليه الجزاء والشهر عبارة من اوله الى آخره فظاهر الآية يقتضي ان الصوم لا يجب عليه الا عند شهود الجزء الاخير وهو محال لانه يقتضي ايقاع الفعل في الزمان المنقضي فوجب ان المراد من الشهر جزء من اجزائه وهذا مجاز مشهور والمعنى من شهد جزءا من اجزاء الشهر فليصم كل الشهر ثم ان كان هذا الجزء من اول الشهر كما لو شهد هلال رمضان فهذا موافق لما نقل عن علي كرم الله وجهه ان من دخل عليه الشهر وهو مقيم ثم سافر وجب ان يصوم الكل واما سائر المجتهدين فيقولون هذا عام يدخل فيه الحاضر والمسافر الا ان قوله ومن كان مريضا او على سفر يخصصه ان كان في اثناء الشهر فيوافق قول ابي حنيفة ان المجنون اذا افاق في اثناء الشهر لزمه قضاء ما مضى قلت لا حاجة الى ارتكاب التجوز المذكور وهو اطلاق لفظ الشهر على جزء من اجزائه ولا يلزم منه المحال المذكور واذ المراد من شهد الشهر اجمع لكن بحيث قد يجد منه الصوم في جميع ايامه والمراد من عزم على كونه مقيما في الشهر فليصمه بعلم انه ان كان حاضرا في بعضه يتعلق ايجاب الصوم بذلك البعض فقط بدليل قوله ومن كان مريضا او على سفر فانه لما علم الوجوب للحاضر في كله والرخصة للمسافر في كله علم الحكم ان جميعا للحاضر في بعضه





والمسافر في البعض الآخر فكل يوم مستقل بنفسه فيما يقتضيه الصوم فيه عبادة مستقلة وكان ما نقل عن علي كرم الله وجهه من الزام غاية لحرمة الشهر كالوارد الحائض من اول الوقت قدر ما يسع تلك الصلوة وفي قول قدر ركعة وقول تكبيرة لزمها قضاؤها اذا طهرت واما ان شهر رمضان بم يثبت حتى يعتبر الشهود فيه فقد قال صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاستكملوا العدة يعني عدة شعبان ثلثين يوما ومنها شهادة عدل عند القاضي وعدله واحد انه رأى الهلال يثبت لما روي عن ابن عمر انه رأى الهلال وحده فشهد عند النبي صلى الله عليه وسلم فامر الناس بالصوم ولما روي ان اعرابيا شهد عنده رجل على رؤية هلال رمضان فصام قال لصوم من شعبان احب الي من ان افطر يوما من رمضان وللاحتياط في امر العبادة ولا يثبت الهلال في سائر الشهور الا برؤية عدلين وعند ابي حنيفة يثبت هلال رمضان في الغيم بواحد وفي الصحو يعتبر الاستفاضة واذا رأى في موضع شمل الحكم لمن هو على دون مسافة القصر منه ولا يجب الصوم بذلك على من عداهم يريد الله بكم اليسر معناه في اللغة السهولة ومنه اليسار للغنى لانه يتسهل به الامور ويتسنى المقاصد واليد اليسرى لبقائها على اليسر او لان الامور يسهل بمعاونتها اليمنى والعسر نقيضه وفي الصحاح قال عيسى بن عمر كل اسم على ثلثة احرف اوله مضموم واوسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه واوجب الصوم على سبيل السهولة لانه ما اوجب الا في مدة قليلة من السنة ثم ذلك القليل ما اوجبه على المريض والمسافر ههنا يتحقق صدق قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحاء ومن كمال رأفته تعالى انه نفى الحرج اولا ضمنا بقوله يريد الله بكم اليسر ثم نفاه صريحا بقوله ولا يريد بكم العسر والظاهر ان الالف واللام في اليسر والعسر يفيد العموم فيمكن ان يستدل به على عدم وقوع التكليف بما لا يطاق والمعتزلة تمسكوا بالآية انه قد يقع من العبد ما لا يريد الله تعالى فان المريض لو حمل نفسه على الصوم حتى اجهد نفسه فقد فعل ما لم يرد الله منه اذ كان يريد العسر واجيب بانه محمل اللفظ على انه تعالى لا يأمره بالعسر وان كان قد يريد العسر فان الامر عندنا قد يثبت بدون الارادة كما انه يجوز ان يأمر ولا يريد جاز ان يريد ولا يأمر وقوله ولتكملوا اجمعوا على ان الفعل المعلل محذوف ففي قراءة القدر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع جملة ما ذكره من الامر بصوم العدة وتعليم كيفية القضاء والرخصة في اباحة الفطر وهذا نوع من اللف لطيف المسلك فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون اي ارادة ان تشكروا علة الترخيص والتيسير وعن الزجاج ان المحذوف فعل امر مقدر قبله كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا والفرق ان حذف النون في الاول للنصب وفي هذا للجزم ولا يخفى ان قوله ولعلكم تشكرون يبقى في هذا الوجه غير مرتبطة بما قبله الا ان يقال انه في قوة ولتشكروا وفيه ايضا بعد ويحتمل ان يقال ولتكملوا معطوف على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر لا العسر يريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا وانما قيل ولتكملوا العدة ولم يقل ولتكملوا الشهر ليشمل عدة ايام الشهر وعدة ايام القضاء جميعا وعدي فعل التكبير بعلى لتضمين معنى الحمد اي ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم والمراد بالتكبير قيل انه تعظيم الله والثناء عليه شكرا على ما وفق لهذه الطاعة وتمام هذا التكبير انما يكون بالقول والاعتقاد والعمل فالقول ان يقر بصفاته العلى واسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق به من نحو صاحبة وولد وتشبيه بالخلق وكل ذلك لا يصح الا مع الاعتقاد القلبي واما العمل فالتعبد بالاوامر والنواهي وهذا لا يختص بوقت استكمال عدة رمضان ولكنه شامل لجميع الاحيان وقيل هو تكبير الفطر وانه مشروع في العيدين لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر والاضحى رافعا صوته بالتهليل والتكبير حتى يأتي المصلى واول وقته في العيدين جميعا غروب الشمس ليلة العيد عن احمد ومالك انه لا تكبير ليلة العيد وانما يكبر في يومه لنا قوله تعالى ولتكملوا الله على ما هداكم قال الشافعي سمعت من ارضى به من اهل العلم بالقرآن يقول ولتكملوا العدة اي عدة صوم رمضان ولتكبروا الله عند كمالها واكمالها بغروب الشمس آخر يوم رمضان واما آخر التكبير فاصح الاقوال انهم يكبرون الى ان يتحرم الامام بصلوة العيد لان الكلام مباح الى تلك الغاية والتكبير اولى ما يقع به الاشتغال والمسنون في صيغته ان يكبر ثلثا نسقا وبه قال مالك وقال احمد وابو حنيفة يكبر مرتين لنا الرواية عن جابر وابن عباس وايضا فانه تكبير موضوع شعار للعيد فكان وترا كتكبيرة الصلوة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن واستحسن في الام ان يكون زيادته ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قاله على الصفا وهو الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر قال في الشامل والذي يقوله الناس لا بأس به ايضا وهو الله اكبر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد يرفع الناس اصواتهم بالتكبير ليلتي العيد في المنازل والمساجد والطرق والاسواق سفرا كانوا او حاضرين وفي اليومين في طريق المصلى وبالمصلى الى الغاية المذكورة سواء يصلي المكبر مع الامام او لا يصلي ويستثنى من ذلك الحاج فلا يكبر ليلة الاضحى واختلف في ان التكبير في اي العيدين اوكد ففي القديم ليلة النحر لاجماع السلف عليها وفي الجديد ليلة الفطر لورود النص فيها قوله سبحانه واذا سألك عبادي عني وجه اتصاله بما قبله هو انه لما امر العباد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر نبههم على انه مطلع على ذكرهم وشكرهم فيسمع نداءهم ويجيب دعاءهم ولا يخيب رجاءهم وانه امرهم بالثناء ثم رغبهم في الدعاء تعليما للمسئلة وتنبيها لهم على حسن الطلب وسبب نزوله ما روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل كان في غزاة وقد رفع اصحابه اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء فقال صلى الله عليه وسلم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا وعن قتادة ان الصحابة قالوا يا نبي الله كيف ندعو ربنا فنزلت وعن عطاء انهم سألوا في اي ساعة ندعو فنزلت وقيل فرض عليهم الصيام كما كتب على الذين من قبلهم اي اذا ناموا حرم عليهم ما يحرم على الصائم ثم شق ذلك على بعضهم حتى عصوا ربهم في ذلك التكليف ثم ندموا وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن توبتهم فنزلت مبشرة بقبول توبتهم ونسخ ذلك

التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم وبهذا الوجه تصير الآية مناسبة لما قبلها ولما بعدها ثم ان سؤالهم النبي ص عن الله اما ان يكون عن ذاته بان يكون السائل ممن يجوز التشبيه فيسأل عن القرب والبعد بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته بانه هل يسمع دعاءنا او عن افعاله بانه اذا سمع دعاءنا فهل يجيبنا الى مطلوبنا او كيف اذن في الدعاء وهل اذن في ان ندعوه بجميع الاسماء او ما اذن الا بان ندعوه باسماء معينة وهل اذن ان ندعو كيف شئنا او ما اذن الا ان ندعوه على وجه معين كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وكل هذه الوجوه محتملة لان قوله فاني قريب يدل على ان السؤال كان عن الذات وقوله اجيب دعوة الداع دليل على ان السؤال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع واطلاق قوله اذا دعان يرشد الى الاذن في الدعاء على اي نحو اراده ما لم يتجاوز قانون الادب كقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قال العلماء ليس القرب ههنا بالمكان لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس منقسما اذ يمتنع ان يكون في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد وكل منقسم مفتقر في تحققه الى اجزائه وكل ممكن وايضا لو كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب وهو محال فان كل بعد متناه ببرهان تناهي الابعاد او من جانب دون جانب فكذلك مع انه بحيث يقتضي جانب منه عدم التناهي وجانب منه التناهي يوجب كونه مركبا من اجزاء مختلفة الطبائع او يكون متناهيا من جميع الجوانب وهو باطل بالاتفاق وايضا هذه الآية من اقوى الدلائل على ان القرب ليس بالجهة لانه لو كان في المكان لما كان قريبا من الكل بل لو كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرق كان بعيدا عن المغرب فثبت ان المراد بالقرب قربه بالتدبير والحفظ والكلاءة قال في الكشاف هو تمثيل لحالة في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله ص هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وقد اشار بعض المحققين الى ان اتصاف ماهيات الممكنات بوجودها لما كان بايجاد الصانع فهو كالمتوسط بين ماهياتها ووجوداتها فيكون اقرب الى ماهية كل ممكن من وجوده لتلك الماهية اليها بل ماهية كل شيء انما صارت هي هي بجعل الصانع حتى ماهية الوجود فيه صار الجوهر جوهرا والسواد سوادا والعقل عقلا والنفس نفسا فالصانع اقرب الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها قلت استصحاب المكان لا يوجب الافتقار الى المكان وان سلم ان كل مفتقر الى المكان منقسم فانقسام كل مستصحب للمكان ممنوع وبراهين تناهي الابعاد مختلة زيفناها في مواضعها فلا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها اقرب منها من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الصنع والايجاد فقط بل بضرب آخر لا يكشف المقال عنه غير الخيال مع ان التعبير عن بعض ذلك يوجب تشنيع الجهال شعر رب اليه حذار الرقيب وكتمان سر الحبيب حبيب : اذا ما تلاشيت في نوره : يقول لي ادع فاني قريب : وان سألوا اين ربنا صح الجواب باني قريب وان سألوه هل يسمع ربنا دعاءنا يصح الجواب باني قريب وان سألوه كيف ندعوه ابرفع الصوت ام باخفائه صح ان يجاب باني قريب وان سألوه هل يعطينا مطلوبنا بالدعاء صلح في الجواب فاني قريب وان سألوا اذا اذنبنا ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صلح ان يجاب باني قريب اي بالنظر اليهم والتجاوز عنهم واعلم ان الدعاء مصدر دعوت ادعو وقد يكون اسما تقول سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية والاستمداد والمعونة قال بعض الطاعنين لا فائدة في الدعاء لان المطلوب به ان كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع والا فلا ولان الاقدار سابقة والاقضية جارية وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد فيها شيئا ولا ينقص ولان المقصود ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه ولان اجل مقامات الصديقين الرضاء بالقضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء ينافي ذلك ولان الدعاء شبيه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب ولهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة القرآن عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقال جمهور العقلاء ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين ودأب الانبياء والمرسلين والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه وقدره غائبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قضائه وقدره في الكل وما روي عن جابر انه جاء سراقة ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان ففيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله منبه على ما قلنا فانه ص علقهم بين الامرين رهبهم بسابق القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حياته للعمل الذي سبق له القدر قبل وجوده الا انك تحب ان تعرف الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تغرق في لجة القضاء والقدر وكذا القول في باب الرزق والكسب والحاصل ان الاسباب والوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائل في قضاء الاوطار الدعاء والالتماس كما في الشاهد فلعل الله تعالى قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلا بد ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ولم يكن شيء من ذلك خارجا عن قانون القضاء السابق وناسخا للكتاب المسطور ومن فوائد الدعاء اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان الامكاني والافلاس عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض الاستكانة والحاجة والفاقة ولهذا ورد من لم يسأل الله يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفا بالله وعالما بانه لا يفعل الا ما وافق مشيئته وسبق به قضاؤه وقدره ودعا على النمط المذكور من غير ان يكون في دعائه حظ من حظوظ النفس الا مادة راجيا فيما عند الله من الخير خائفا من الاقدام على موقف





للمسألة والمناجاة وان يكون استجابة صورة الاستدراج كان دعاؤه خليقا بالاجابة وحقيقا بالقبول وان يعود بركته عليه قال ص ما من رجل يدعو بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل في الدنيا واما ان يدخر له في الآخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي واما هيئة الداعي فعن ابي هريرة ان رسول الله ص قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه وعن ابن عباس ان رسول الله ص قال سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم واما شرائط الدعاء فمنها بعد ما مر من الاخلاص وغيره تزكية البدن واصلاحه باللقمة الحلال ذكر النبي ص الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء اشعث اغبر يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك ذكر المحققون ان الدعاء مفتاح باب السماء واسنانه لقمة الحلال واما وقت الدعاء ففي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي ص قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وعن ابي امامة قال يا رسول الله ص اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات وعن انس ان رسول الله قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد زاد في رواية قالوا فماذا نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله ص قال اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا الدعاء وعنه قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء وعن رسول الله ص قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتي لانصرنك ولو بعد حين واما كيفية الدعاء فعن فضالة بن عبيد ان النبي ص سمع رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي ص فقال النبي ص عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ص ثم ليدع بعد بما شاء وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله ص قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلى على النبي فلا تجعلوني كغمر الراكب صلوا علي اول الدعاء واوسطه وآخره ومن لطائف الآية انه تعالى قال فاني قريب دون ان يقول فقل اني قريب كما قال في سائر الاسولة والاجوبة وذلك في مواضع من كتابه ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يسئلونك عن الساعة قل انما علمها عند الله وهذه الاسولة اصولية يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويستنبئونك احق هو قل اي وربي يسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا فكأنه سبحانه يقول عبدي انت انما تحتاج الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك وايضا في مقام السؤال قال عبادي فهذا يدل على ان العبد له وفي مقام الاجابة قال فاني قريب هذا يدل على انه للعبد لم يقل العبد مني قريب بل قال اني قريب منه اشارة الى انه ما للتراب ورب الارباب وانما يصل من حضيض الامكان الذاتي الى ذروة الوجود والبقاء بفضل الواجب وفيضه فليستجيبوا لي اجاب واستجاب بمعنى اي فليطلبوا امري اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة وليؤمنوا بي وليستقيموا وليقوموا على الاستجابة وليؤمنوا كأني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم ارادة ان يكونوا من اولي المهتدين الى مصالح دينهم ودنياهم فان طاعة الله هي المستتبعة للخيرات عاجلا وآجلا من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وفي ضده ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وحاصل الكلام انا اجيب دعاءكم مع اني غني عنكم على الاطلاق فكونوا انتم مجيبين دعوتي مع افتقاركم الي من جميع الوجوه ونكتة اخرى وهي انه تعالى لم يقل اجيب دعاء حتى اجيب دعائك لئلا يصير المذنب محروما عن هذا الاكرام بل قال انا اجيب عائدا على جميع احوالك فكن ابدا متحريا الدعاء فهذا يدل على ان نعمته شاملة ورحمته كاملة تعم المطيعين والمذنبين الكاملين والناقصين قيل الدعاء في الآية هو العبادة لما روي عن النعمان بن بشير ان رسول الله ص قال الدعاء هو العبادة وقرأ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كقوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقيل المراد من الدعاء التوبة وذلك ان التائب يدعو الله عند التوبة فاجابة الدعوة على هذا التفسير عبارة عن قبول التوبة قوله عز وجل احل لكم جمهور المفسرين على انها ناسخة لما عليه الناس في اول الاسلام روي عن ابن عباس انه لما نزلت كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كانوا اذا صلوا العشاء حرم عليهم الطعام والشراب صاموا الى القابلة فاختان رجل فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر فاراد الله ان يجعل ذلك يسرا لمن بقي ورخصة ومنفعة وعن البراء قال كان اصحاب محمد اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم يأكل ليلته ويومه حتى يمسي وان قيس بن صرمة الانصاري او صرمة بن قيس او قيس بن عمرو على اختلاف الروايات كان صائما فلما حضر الافطار اتى امرأته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءت امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي ص فنزلت احل لكم ففرحوا بها فرحا شديدا ابو مسلم خالف الجمهور بناء على مذهبه من انه لم يقع في القرآن نسخ البتة احتج الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه ايجاب الصوم على هذه الامة بايجابه على من قبلهم فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعنا كما كانت في شرعهم واذا كانت الحرمة ثابتة بهذه الآية فرافعها لها ناسخ لحكمها ومنع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول المشابهة في كل الامور فلعلهم انما كانوا يمنعون من الاكل والشرب

في كيفية الدعاء

نكتة

والوقاع اعتقادا منهم ببقاء تلك الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا مع جواز كونها مباحة في نفس الامر ومع قيام هذا الاحتمال فلا جزم بالنسخ
ومنها قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى الخيانة قيل ان عمر واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخرة فلما
اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلعم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلعم ما كنت جديرا
بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت قال ابو مسلم اصل الخيانة النقص وخان واختان وتخون بمعنى واحد مثل كسب واكتسب
وتكسب فالمعنى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظها من اللذات لا من الثواب والخير ومنها قوله فتاب عليكم وعفا عنكم والتوبة والعفو يكونان بعد
بعد المعصية وارتكاب ما هو محرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان والعفو التسهيل
والتوسعة والتخفيف قال صلعم عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل اربعين درهما درهم وقال اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله
والمراد التخفيف بتاخير الصلوة الى اخر الوقت ويقال اتاني هذا المال عفوا اي سهلا فالمعنى عاد عليكم بالرحمة ووسع عليكم باباحة هذه الاشياء
المحرمة على الذين من قبلكم واما الروايات فاخبار احاد لا توجب شيئا منها حمل القران على النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ فنقول ليلة الصيام قال الواحدي
اراد ليالي الصوم فوضع الواحد موضع الجمع ويمكن ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف الرفث الجماع والرفث ايضا
الفحش من القول وكلام النساء في الجماع وقيل لابن عباس حين انشد شعر وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا اترفث وانت
محرم فقال انما الرفث ما روجع به النساء هميسا اي مشيا لينا ولميس اسم امرأة اي ان يصدق الفال ننكها وقال ابو علي معناه الفرج ويقال جامع الرجل
او مالك فاذا اردت الكناية عن هذه العبارة قلت رفث الرجل وانما كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء او الغشيان
او المس ونحوها كما في مواضع اخر وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشيها باشروهن من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء في قوله دخلتم بهن فاتوا حرثكم
فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة والبيان كما سماه اختيانا لانفسكم قال الاخفش انما عدى الرفث بالى لتضمنه معنى
الافضاء في قوله وقد افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما يعتنقان فينضم جسد احدهما الى جسد صاحبه ويشتمل عليه كالثوب قال
الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن زيد كل منهما يستر صاحبه عن الابصار عند الجماع قال الجعدي شعر اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا
او سمي لباسا لستر كل منهما صاحبه عما لا يحل كما في الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه او المراد تستره بها عن جميع المفاسد التي تقع في البيت لو لم تكن
المرأة حاضرة كما يستر الانسان بلباسه عن الحر والبرد وكثير من المضار وعن الاصم ان كل واحد منهما كاللباس الساتر للاخر في ذلك المحظور الذي كانوا
يفعلونه وزيف بان هذه القرينة في معرض الانعام لا في مقام الذم ووحد اللباس اما لانه مصدر لابس او وضع موضع الصفة وموقع قوله هن لباس
لكم استيناف كانه كالبيان لسبب الاحلال فانه مثل هذه المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم الله ظهر معلومه وهو عالم ولم يذكر
في الاية ان الخيانة فيماذا الا ان الذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تأخر هو مثله بدليل قوله فالان باشروهن فتعين ان يكون المراد بالخيانة في الجماع ومن
المعلوم ان كل واحد منهم لم يختانوا فالخطاب لبعضهم وكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لانه جلب اليها العقاب ونقص حظها من الثواب
وقيل ان الاية لا تدل على وقوع الخيانة منهم وانما المراد علم الله انكم بحيث لو دام هذا التكليف تختانون لضعفكم وقلة صبركم فوسع الامر عليكم حتى
لا تقعوا في الخيانة فتاب عليكم من اقتراف الفضيحة اي فتبتم فقبل توبتكم وعلى قول ابي مسلم لا اضمار فالان باشروهن تاكيد لقوله احل لكم وفيه ضرب
من البيان لان احل الرفث في ليلة الصيام لا يوجب حله في جميع اجزائها حتى الصباح الجمهور على ان المراد بالمباشرة ههنا الجماع سمي بهذا الاسم لتلاصق
البشرتين فيه ومنه ما روي انه صلعم قال لا يباشر الرجل الرجل والمرأة المرأة وانما قلنا ان المراد بها الجماع لان السبب في هذه الرخصة كان وقوع الجماع من القوم
ولان الرفث اريد به ذلك الا ان اباحة الجماع يتضمن اباحة ما دونه ونرفض ما نقل عن الاصم ان المراد بها الجماع وغيره ورجع النزاع لفظيا واما المباشرة
في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فلا يعود النزاع فيها الى اللفظ لان المنع من الجماع لا يدل على المنع مما دونه من الاستمتاعات و
وابتغوا ما كتب الله لكم جعل او قضى او كتب في اللوح من الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن للغرض الاصلي من النكاح وهو التناسل قال
تناكحوا تكثروا وقيل هو نهي عن العزل فقد وردت الاخبار في كراهية ذلك عن الشافعي لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا باس ان يعزل عن الامة وعن علي
كرم الله وجهه انه كان يكره العزل وقيل اطلبوا المحل الذي حلله لكم كقوله فاتوهن من حيث امركم الله وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد
ان كانت محرمة عليكم وعن صلعم ابتغوا المباشرة التي كان الله كتبها لكم وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل يعني لا تباشروهن الا في الاوقات
والاحوال التي اذن الله لكم في مباشرتهن دون اوقات الحيض والنفاس والعدة والردة وقيل اي لا تبتغوا المباشرة الا من الزوجة والمملوكة وهو الذي
كتب في القران من قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وعن معاذ بن جبل وابن عباس في رواية ابي الجوزاء اطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب
ان اصبتموها واستبعده بعضهم وليس ببعيد فان توزع الفكر بسبب الشهوة المشوشة قد يمنع عن الاخلاص في العبودية ولا يتفرغ لطلب ليلة
القدر التي هي حاصل صوم رمضان فقال سبحانه فالان باشروهن لتفرغوا لطلب الغاية من صيامكم والله اعلم بمراده عن عدي بن حاتم قال لما نزلت
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر اليهما من الليل ولا
يتبين لي فاذا تبين لي الابيض من الاسود امسكت فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلعم فاخبرته فضحك فقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض

النهار وسواد



النهار وسواد الليل وكنى رسول الله صلعم بذلك عن بلاهة عدي وقلة فطنته وفي الصحيحين ايضا عن سهل بن سعد نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا
الصوم ربط في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعد من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل والنهار واعلم
ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره عن وقت الخطاب فجائز عند الاكثرين ولما كان من
مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض على ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما يمتد معه من غبش الليل قال ابو دؤاد شعر
فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا والسدفة الضياء المخلوط بالظلام اقتصر على الاستعارة اولا ثم لما اشتبه الامر على بعض من لا دراية
له باللغة العربية نزل من الفجر بيانا للخيط الابيض واستغنى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما يستتبع بيان الاخر وخرج الكلام من الاستعارة
الى التشبيه البليغ كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فالاستعارة وان كانت ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة من
حيث انها استعارة كما بين في موضعها الا ان رفع الاشتباه عن المكلفين اهم واولى في الفصاحة في هذا المقام ترك الاستعارة وليس هذا من باب تاخير
البيان عن وقت الحاجة على الاطلاق لان المحتاجين ههنا الى البيان ساقطون عن درجة الاعتبار لان فهم المعنى من اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى
العارف بقوانين العرب في استعمالاتهم لانهم لا بالاضافة الى الاغبياء منهم نعم التفهيم بعد البليد الى الذكي والله المستعان ولا يسبقن الى الوهم ان المشبه بالخيط
الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه ما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق وهو ان
يبدو دقيقا ولكن يرتفع مستطيرا اي منتشرا في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال الفصل المشترك بين ما ينفجر فيه الضياء اي ينفتق وبين ما هو مظلم بعد
يشبه خيطين اتصلا عرضا فالذي انتهى اليه الضياء خيط ابيض والذي ابتدأ منه الظلام خيط اسود وقد سبق تقرير الصبح في تفسير قوله تعم واختلاف
الليل والنهار فليتذكر قيل ويجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لانه بعض الفجر واوله ولا شك ان حتى لانتهاء الغاية فدلت الاية على ان حل
المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح فاستدل بهذا على جواز صوم من يصبح جنبا وبقوله ثم اتموا الصيام الى الليل على ان الصوم ينتهي
عند غروب الشمس لان ما بعد الى لا يدخل فيما قبلها وخاصة اذا لم يكن من جنسه بل على حرمة الوصال ويؤيده ما روي انه صلعم قال اذا اقبل الليل من
ههنا فقد غربت الشمس وافطر الصائم فيجب على المكلف ان يتناول في هذا الوقت شيئا وكيف لا وقد صح عن النبي صلعم انه نهى عن الوصال فقيل يا رسول الله
انك تواصل فقال اني لست مثلكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام الجنة او اني على ثقة باني لو احتجت اطعمني من الجنة او اني اعطيت
قوة من طعم وشرب والتحقيق ان استغراقه في مطالعة جلال الله يشغله عن الالتفات الى ما سواه فاذا تناول شيئا قليلا ولو قطرة من الماء فبعد ذلك
كان بالخيار في الاستيفاء الا ان يخاف التقصير في الصوم المستانف او في سائر العبادات فيلزم ح ان يتناول بمقدار الحاجة وقد يتشبث الحنفي بالاية
على جواز النية في نهار صوم رمضان لان زمرة الامساك هو النهار فقط فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا الدليل صحة الفرض بنية بعد الزوال الا انا نقول
الاقل ملحق بالاغلب فابطلنا الصوم بنية بعد الزوال وصححناه بنية قبله حجة الشافعي قوله صلعم من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له ويروى من لم يبيت وانما
جوز في النفل ان ينوي قبل الزوال لانه صلعم كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل من غداء فان قالوا لا قال اني صائم او اني اذا صائم وايضا قال الحنفي يجب اتمام
الصوم النفل لقوله واتموا والامر للوجوب قال الشافعي ورد هذا عقيب الفرض فيختص به واعلم انه سبحانه خص بالذكر من المفطرات الرفث و
الاكل والشرب لان النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر استنبطت من الاية او استفيدت من السنة فمنها الاستمناء لان الايلاج من غير انزال مبطل
فالانزال بنوع شهوة اولى وكذا الانزال باللمس او القبلة دون الفكر والنظر بشهوة لان هذا يشبه الاحتلام وعند مالك الانزال بالنظر مفطر وعند احمد
ان كرر النظر حتى انزل فطر ومنها الاستقاء لقوله صلعم من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقض ومنها دخول الشيء جوفه في منفذ مفتوح
سواء كان فيه قوة محيلة تحيل الواصل اليه من غذاء او دواء او لا فالحلق جوف وكذا باطن الدماغ والبطن والامعاء والمثانة لما روي عن ابن عباس ان
الفطر مما دخل والوضوء مما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط اذا وصل الى الدماغ ولا باس بالاكتحال وليست العين من الاجواف فانه صلعم اكتحل في رمضان
وهو صائم وعن مالك واحمد انه اذا وجد في الحلق طعما افطر والتقطير في الاذن اذا وصل الى الباطن كالسعوط وكذا في الاحليل وان لم يصل الى المثانة ولا باس
بالفصد والحجامة لكن يكره عند ابي حنيفة للضعف احتجم صلعم وهو صائم محرم في حجة الوداع وقال احمد يفسد الصوم بالحجامة ولو دهن راسه او بطنه فوصل الى جوفه بتشرب
المسام لم يضر كالاغتسال والانغماس عند الشافعي ولا بد ان يكون الواصل عن قصد منه فلو طارت ذبابة الى حلقه او وصل غبار الطريق او غربلة الدقيق الى
جوفه لم يفطر ولو فتح فاه عمدا الى ان وصل الغبار الى جوفه فكذلك على الاصح لعسر الحفظ من الغبار ولو ضبطت المرأة ووطئت او وجئ بالسكين او وجر بغير اختياره فلا افطار وكذا لو كان مغمى عليه فاوجر
معالجة ولو اكره حتى اكل بنفسه فطر لانه اتى بضد الصوم ولا اثر لدفع الضرر كالو اكل او شرب لدفع الجوع او العطش وعند احمد لا يفطر وابتلاع الريق الصرف
الطاهر من الفم لا يفطر والنخامة ان لم تحصل في حد الظاهر من الفم لم يضر وان حصلت فيه بانصبابها من الدماغ في الثقبة النافذة منه الى اقصى الفم فوق
الحلقوم فان قدر على مجها ولم يمج حتى جرى بنفسه بطل صومه لتقصيره والا فلا واذا تمضمض فسبق الماء الى جوفه او استنشق فوصل الماء الى دماغه لم يفطر
على الاصح ان لم يبالغ وبه قال احمد وعند ابي حنيفة ومالك يفطر وان بالغ افطر وفاقا قال صلعم لقيط بن صبرة بالغ في الاستنشاق الا ان تكون صائما ولو بقي
طعام في خلل اسنانه فابتلعه عمدا فطر خلافا لابي حنيفة فيما اذا كان يسيرا ودون ما قدره بالحمصة وان جرى به الريق من غير قصد منه لم يفطر على الاصح ولا بد ايضا
في وصول العين من ذكر الصوم فاذا اكل ناسيا فانه لم يفطر لقوله صلعم من نسي وهو صائم فاكل او شرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وخالف مالك

وان كثر افطر ولو جامع ناسيا للصوم فالاصح انه لا يبطل كما في الاكل ولو اكل على ظن ان الصبح لم يطلع بعد او ان الشمس قد غربت وكان غالطا لم يجز ثم صومه على
الاشهر لانه تحقق خلاف ما ظنه واليقين مقدم على الظن ثم ان كان الصوم واجبا قضى وان كان تطوعا فلا قضاء والاحوط في اخر النهار ان لا ياكل الا بعد
تيقن غروب الشمس لان الاصل بقاء النهار ولو اجتهد وغلب على ظنه دخول الليل بورد او غيره فالاصح جواز الاكل وقد افطر الناس في زمان عمر ثم انكشف
السحاب وظهرت الشمس واما في اول النهار فيجوز الاكل بالظن والاجتهاد الى طلوع الفجر لان الاصل بقاء الليل فان قيل ان اول الفجر كيف يدرك ويحس ومتى عرف
المترصد الطلوع كان الطلوع الحقيقي متقدما عليه فيجاب بان المسئلة موضوعة على التقدير كداب الفقهاء في امثالها واما بانا نتعبد بما نطلع عليه ولا مطلع
الصبح لا يظهر الضوء للناظر وما قبله لا حكم له كالزوال عند زيادة الظل واذا كان الشخص عارفا بالاوقات ومنازل القمر وكان بحيث لا حائل بينه وبين الفجر
وترصد حتى ادرك فهو اول الصبح المعتبر وح يحرم المفطرات وعن الاعمش انه يحل الاكل والشرب والوقاع الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار على اخره وجعل
الخيط الابيض وقت الطلوع والخيط الاسود ما اتصل به من اخر الليل ومن الناس من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما انه لا يجوز الاكل الا الى طلوع
الفجر وهذه المذاهب قد انقرضت والفقهاء اجمعوا على بطلانها يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفة يعوده فقال له الاعمش انك لثقيل على قلبي وانت في بيتك
فكيف اذا زرتني فسكت عنه ابو حنيفة فلما خرج قيل له لم سكت عنه فقال ماذا اقول في رجل ما صام وما صلى في دهره عنى انه كان ياكل بعد الفجر الثاني
قبل طلوع الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من الانزال فلا صلوة له واعلم ان في الاية ترتيبا عجيبا ونسقا انيقا وذلك ان الرفث لما كان من شنيع
الامور التي يجب ان يسال عنها في رمضان حتى قال بعض الناس انه كان محرما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد تقع الخيانة كما مر في الاخبار قدم اباحته
اولا ثم بين السبب الملجئ ثم وبخ المختانون في شانه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ثم صيد كرامة لترتب عليه غرض لاصلي من الرفث وهو طلب
النسل وليعطف عليه اباحة الاكل والشرب جميع تلك الى اخر جزء من اجزاء الليل ثم لما بين مدة الافطار وما ابيح فيها من مدة الصوم لكد هو المقصود الاصلي
تلك المدة هي ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم بليلته اعني من اول الفجر الصادق الى غروب الشمس ثم لما كان زمان
الاعتكاف مستثنى من ذلك ثم من الاية ان الامساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليلته ولا بسائر ايام السنة ولياليها عقب اباحة
الرفث فيما سوى نهار رمضان بحظره في حال الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قال الشافعي الاعتكاف حبس المرء نفسه على
شيء برا كان او اثما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تعالى تقربا اليه وهو من الشرائع القديمة قال تعالى وطهر بيتي للطائفين
والعاكفين وللائمة خلاف في المراد من المباشرة ههنا فعن الشافعي في اصح قوليه ووافقه ابو حنيفة واحمد انها الجماع والمقدمات المفضية الى الانزال لان
الاصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين فالمنع من هذه الحقيقة ما دام في المعتكف حين يخرج لحاجة ولم يتم مدة الاعتكاف منع عن القبلة والمعانقة
وكل ما فيه تلاصق البشرتين خالفنا الدليل فيما اذا لم ينزل من هذه الامور لتبين عدم الشهوة فيها وقد علم ان اللمس بغير شهوة جائز لانه صلى الله عليه وسلم كان يدني راسه
الى عائشة لترجله وهو معتكف فيبقى في حال الشهوة على اصل المنع احتج من قال انها لا تبطل الاعتكاف بان هذه الامور لا يبطل الصوم والحج فلا
يفسد الاعتكاف لانه ليس على درجة منهما واجيب بان النص مقدم على القياس واتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه يمتاز عن سائر
البقاع من حيث انه بني لاقامة الطاعات ثم اختلفوا فعن علي رضي الله عنه انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى طهرا بيتي للطائفين والعاكفين و
عن عطاء فيه وفي مسجد المدينة لقوله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وعن حذيفة فيهما وفي مسجد بيت
المقدس لقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا الزهري لا يصح الا في الجامع ابو حنيفة لا يصح الا في مسجد له امام
راتب ومؤذن راتب الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد الا ان الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلوة الجمعة ولا خلاف ان
الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم الشافعي نعم لانه بغير صوم عاكف ولانه تعالى منع العاكف من المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا لما كان
ممنوعا وايضا لو كان الاعتكاف موجبا للصوم لما صح الاعتكاف في رمضان لان ذمته مشغولة بالصوم الواجب لشهود الشهر فلا يمكنه الاشتغال
بالصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على صحة الاعتكاف في رمضان وايضا لو لزم لما خرج المعتكف عن اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم
لكنه لا يخرج وايضا روي ان عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز الصوم في الليل ابو حنيفة
لا يجوز لانه يجب الصيام في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كعكسه في الصلوة حال الاعتكاف وهو ان الصلوة لما لم يجب في النذر بالاجماع لم يجب
بالنذر ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف متقاربان فكل منهما كف وامساك والصلوة افعال المباشرة لا مناسبة بينها وبين الاعتكاف فلا يجعل
احدهما وصفا للاخر فلهذا قلنا انه لو نذر ان يعتكف صائما او يصوم معتكفا لزمه كلاهما والجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا او يصلي معتكفا
لزمه كلاهما دون الجمع بينهما ويتفرع على المذهبين انه يجوز ان ينذر اعتكاف ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فلا يجوز اقل من يوم بشرط ان يدخل
قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف تلك حدود الله اشارة الى جميع ما تقدم
من اول اية الصيام الى ههنا لا الى عدم المباشرة في الاعتكاف وحده لانه حد الله الا ان يراد امثال تلك الجملة وحد الشيء مقطعه ومنتهاه وحد الدار ما
يميزها عن غيرها ان يدخل فيها والحد الكلام الجامع المانع فحدود الله ما منع من مخالفتها بعدت فحدها بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة وانما قال ههنا
فلا تقربوها وفي موضع اخر فلا تعتدوها لان العامل بشرايع الله اوامره ونواهيه متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه فيقع في حيز الباطل فالنهي عن التعدي





هو المقصود الا ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيز الحق والباطل كيلا يداهن فيقع في الباطل عن النعمان بن بشير سمعت رسول الله
يقول ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي
يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه قيل لا تقربوها اي لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم وقيل
الاحكام المذكورة بعضها امر واكثرها نهي فغلب جانب التحريم اي لا تقربوا تلك الاشياء التي منعتم عنها واما في الاوامر فقال فلا تعتدوها اي
اثبتوا عليها ولا تتخطوها كذلك اي كما بين ما امركم به وما نهاكم عنه في هذا المقام يبين سائر ادلته على دينه وشرعه لارادة ان يتقي الناس بالتقوى جعلنا الله تعالى
من المتقين بفضله ورحمته التاويل صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته الضمير عائد الى الحق على كل عضو في الظاهر صوم وعلى كل صفة في الباطن صوم
فصوم اللسان عن الكذب والفحش والغيبة وصوم العين عن النظر الى الريبة وصوم السمع عن استماع الملاهي وعلى هذا فقس البواقي وصوم النفس عن التمني والشهوات
وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الاخرة ولذاتها وصوم السر عن شهود غير الله كما كتب على الذين من قبلكم اي على ابائكم
واجدادكم فانها كانت صائمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية لعلكم تتقون مشارب
المركبات وتطهرون عن دنس الحظوظ الحيوانية والروحانيات تخبن نافل كوكب سندعا الحظوظ الفانية تطلع شمس حقوق الملاقات الروحانية
الباقية كما قال صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فمن كان منكم مريضا اي وقع له فترة في السلوك لمرض غلبات صفات النفس
وكلال الطبيعة او على سفر حصل له وقفة للعجز عن القيام باعباء احكام الحقيقة فليمهل حتى يدركه العناية ويعالج سقمه بمعاجين الالطاف واشربة الاعطاف
فيتداركه في ايام سلامة القلب وعلى الذين يطيقونه على من كان له قوة في صدق الطلب طعام مسكين بالطعام كل مشرب غير مشرب الطاف الحق
والمسكين من يكون مشربه غير ما عند الله ويقنع به فيدفع تلك المشارب الى اهاليها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مولاه
الحق وشراب مشاهدته وهو معنى ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن تطوع خيرا فمن زاد في الفداء اي كلما نظم من مشرب سقي من مستمر اخرى
ذلك المشرب بفنائه تركها الى ان يصير مشربه ترك المشارب كلها ودوام الصوم كقوله تعالى وان تصوموا خير لكم فينزل عليه حقائق القران وهذا معنى
قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران فيكون على مائدة الله لا بمعنى انه ياكل من المائدة فانه دائم الصوم ولكن المائدة تاكله حتى تغنيه عن وجوده
وتبقيه بشهوده فيكون خلقه القران وح يفرق بين الوجود الحقيقي والوجود المجازي كما قال وبينات من الهدى والفرقان فيقال له ابت فالزم وهو معنى
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابو يزيد ناداني ربي وقال يا ابا يزيد اللازم فالزم بابك رمضان يرمض ذنوب قوم ورمضان الحقيقي يحرق وجود قوم
رمضان اسم من اسماء الله اي من حضر مع الله فليمسك عن غير الله يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما في الطريق من
الرياضة والمجاهدة كالطبيب يسقي دواء مرا فمراده حصول الصحة لا ذائقة مرارة الدواء وايضا كل ميسر لما خلق له لو لم يرد بنا اليسر لم يجعلنا طالبين لليسر
لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا ولتكملوا العدة انواع العناية بجذبات يريد الله بكم اليسر ولتكبروا الله ولتعظموه على ما
هداكم الى عالم الوصال بتجلي صفات الجمال ولعلكم تشكرون نعمة الوصال بتنزيه ذي الجلال عن ادراك عقول اهل الكمال واحاطة الوهم والخيال قوله سبحانه
واحل لكم ليلة الصيام اعلم ان الانسان تلونا في الاحوال فتارة يكون بحكم غلبات الصفات الروحانية في ضياء نهار الواردات الربانية وح يصوم عن
الحظوظ الانسانية وهو حالة السكر وتارة يكون بحكم الدواعي والحاجات البشرية مردودا الى ظلمات الصفات الحيوانية وهذه حالة الصحو فخصه الله تعالى
كشف استار وطلوع شموس الاسرار ليصوموا فيه عما سواه وبليلة اسبال ستار الرحمة ليسكنوا فيها ويستريحوا بها كما من الله تعالى بقوله قل ارايتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمدا الاتيان ومعنى الرفث الى النساء التمتع بالحظوظ الدنيوية التي تتصرف النفس فيها تصرف الرجال في النساء هن لباس لكم
اي الصفات والحظوظ الانسانية ستر لكم يحجبكم عن حرارة شموس الجلال لكيلا تحرقكم سطوات التجلي وانتم لباس لهن تسترون معايب الدنيا بالاموال
الصالحة واستعمال الاموال على قوانين الشرع والعقل نعم المال الصالح للرجل الصالح فالان باشروهن بقدر الحاجة الضرورية وابتغوا بقوة هذه المباشرة
ما كتب الله لكم من المقامات العلية كلوا واشربوا في ليالي الصحو حتى يتبين لكم اثار انوار المحو فالاحوال تنقسم الى بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب
وجمع وفرق واخذ ورد وكشف وستر وسكر وصحو واثبات ومحو وتمكين وتلوين كما قيل كان شيئا لم يزل ذا اني كان شيئا لم يكن اذا مضى في المساجد اي في مقامات
القربة والانس وفيه اشارة الى انه يجب ان يكون الاشتغال بالضروريات من حيث الصورة ويكون الاسرار والارواح مع الحق وهذا مقام اهل التمكين
فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف العكوف بالدخول فيها يا اهل الكسوف والخسوف حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَسْأَلُونَكَ
و مخورید مالهای خود را در میان خود بطور باطل و کشید نزاع را بسوی حکام تا بخورید پاره از مالهای مردم را بظلم و حال آنکه شما میدانید می پرسند ترا
عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ
از ماهها بگو آن زمانهاست از برای مردمان و حج و نیست نیکی آنکه داخل شوید خانها را از پشت آنها ولکن نیکی آنست که پرهیزد و داخل شوید خانها را
مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ القراءة البيوت بضم الباء ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل
از درهای آن و بپرستید خدا را باشد که شما رستگار گردید والبرجمي وهشام غير الحلواني الباقون بكسر الباء الوقوف تعلمون ج عن الاهلة ط للفصل بين السؤال

ع

والجواب والحج لا بد له من حكم آخر مع النهي من اتقى ج لعطف الجملتين المختلفتين ابوابا على تقليد النفر لما كان الصوم منتهيا الى الافطار و
الافطار بتضمن الاكل ناسب ان يردف حكم الصيام بحكم ما يصلح للاكل وما لا يصلح له ولما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقبا بذكر السؤال عن
الاهلة قال الامام الغزالي في الاحياء المال المحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه الاول اما ان يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما
المعادن والنبات فلا يحرم شيء منها الا ما يزيل الحيوة وهي السموم او الصحة وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وسائر المسكرات واما الحيوان
فينقسم الى ما يوكل والى ما لا يوكل وما يحل اكله انما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا واذا ذبح فلا يحل جميع اجزائه بل يحرم منه الدم والفرث كل ذلك مذكور في كتب الفقه
والثاني هو ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا
يكون ماخوذا من مالك كالمعادن واما ان يكون ماخوذا من مالك وذلك اما ان يوخذ قهرا او بالتراضي والماخوذ قهرا اما ان يكون ماخوذا
من مالك ... يوخذ قهرا او بالتراضي ... اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين في
النفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يوخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يوخذ بغير عوض كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة
الاول ما لا يوخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون
الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين الثاني الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين
اذا اخرجوا الخمس منه وقسموه بين المستحقين بالعدل ولم ياخذه من كافر له حرمة وامان وعهد الثالث الماخوذ قهرا بالاستحقاق عند امتناع من عليه فيوخذ دون
رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر على المستحق الرابع ما يوخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين
وشرط العاقدين وشرط لفظ الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة الخامس ما يوخذ بالرضا من غير عوض كما في الهبة
والوصية والصدقة اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره السادس ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو
حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة
واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مداخل الحلال وما سوى ذلك فحرام لا يجوز اكله وكذا ان كان من هذه الجهات وصرفه الى غير المصارف
الشرعية كالخمر والزمر والزنى واللواط والميسر والسرف فالمحرم كل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي بالوجه الذي
لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه بينكم اي في المعاملات الجارية بينكم والتصرفات الواقعة بينكم وليس المراد منه الاكل خاصة بل غير الاكل من التصرفات كالاكل في هذا
الباب الا انه خص الاكل بالذكر لانه المقصود الاعظم من المال ... يقال لمن انفق ماله انه اكله والادلاء اصله من ادلى الدلو ارسلها في البئر للاستقاء فاذا
استخرجها قلت دلوتها ثم جعل كل القاء قول وفعل ادلاء ومنه يقال للمحتج ادلى بحجة كانه يرسلها ليصل الى مراده فلان يدلي الى الميت بقرابة ورحم اذا كان
منتسبا اليه فيطلب الميراث بتلك النسبة طلب المستقي الماء بالدلو وقوله وتدلوا داخل في حكم النهي ولا تدلوا بها الى الحكام اي لا ترشوها اليهم ولا اموا
امرها والحكومة فيها اليهم لتاكلوا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم والفرق
بين الوجهين ان الحكام على الاول الحكام السوء الذين يقبلون الرشى التي هي رشاء الحاجة فيها يبصر المقصود البعيد قريبا واذا اخذها الحاكم السوء مضى في الحكم
من غير تثبت كمضي الدلو في الارسال وعلى الثاني قد يكون الحاكم عادلا ولكن يلتبس عليه الحق كما روي عن النبي انه قال للمختصمين انما انا بشر وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة
من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله فتوخيا اي اقصدا الحق فيما تصنعانه
من القسمة وليأخذ كل منكما ما يخرجه القسمة بالقرعة ثم قال وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه
بالتوبيخ احرى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسئلونك عن الاهلة وقيل ان السائلين هم اليهود ثم ان الله تعالى لم يجبهم بما انه انما يرى كذلك لانه
يستفيد النور من الشمس وانه مظلم في ذاته ويفصل بدائرة بين المضيء والمظلم منه دائرة لاستدارة المنير والمستنير ويفصل بين المرئي وغير المرئي من القمر ايضا
دائرة والدائرتان تتطابقان في الاجتماع بحيث لا يظهر شيء من المستنير ويكون القطعة المظلمة مما يلي البصر وهذه الحالة هي المحاق وكذا في الاستقبال لكن
القطعة المضيئة هي التي تلي البصر فترى هذه الحالة بدرا وفي سائر الاوضاع يتقاطعان اما على التربيعين فعلى زوايا قوائم تقريبا وفي غير التربيع
على زوايا حادة ومنفرجة وعلى التقديرين ينقسم كرة القمر الى اربع قطع اثنتان مضيئتان وهما اللتان تليان الشمس والباقيتان مظلمتان ويقع
في مخروط البصر احدى الاوليين واحدى الاخريين لكن بحسب المضيئة دون المظلمة والقطع الاربع في التربيعين متساوية وفي غيرهما تختلف الحادتان
وتتساوى المتقابلتان والقطعة المرئية من المتجاورتين الواقعتين في مخروط البصر في الربعين الاول والآخر من الشهر اصغرهما لان زاويتي تلك القطعة
اصغر اللتين تليان الابصار اعني الحادة وتسمى القطعة المرئية الصغرى ... الى ان يجمع على اهلة لانه يتعدد اعتبارا وفي الربعين
الباقيين من الشهر القطعة المضيئة المرئية اعظم المتجاورتين الموصوفتين لان زاويتها اعظم المذكورتين اعني انها منفرجة وانما لم يجب بذلك لان
المكلف لا يهمه معرفة هذه التصورات في باب العمل وانما الذي يعود عليه من فوائده وحكمه في باب التكليف معرفة المواقيت التي هي المعالم التي يوقت بها الناس





مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدة حملهن ومعالم الحج يعرف بها وقته والمبهمات من الوقت كالميزان
الوزن ولعمري انه لو منع مانع من ان ضبط هذه الامور لا يتسهل ولا يتيسر الا بوقوع الاختلاف في تشكلات القمر حيث سمي عوده من كل الشكل
الى مثله ولا سيما من الهلالية الى مثلها شهرا شهرا وبذلك قدرت السنون وضبطت الاوقات الفصول فلن يمكنه جحود فانه تعالى قادر على تقدير وجوده
ولو لم يكن فيه الا اظهار سمة الحدوث والامكان وزوال النقصان في الفلكيات حتى لا يظن بها وجوب الوجود والاشتراك في القدم مع مفيض
الخير والجود وامتناع الخرق والالتيام كما ذهب الى كل من ذلك طائفة من اللئام لكفى به تنبيها وعناية وارشادا وهداية الى افتقار الفلكيات الى
فاعل مختار ومدبر قهار جاعل الظلم والانوار ومصير الاهلة والاقمار وفي افراد الحج بالذكر مع ان الاهلة مواقيت عبادات اخر كالصوم والزكوة
اشارة الى ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها الله تعالى وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر الى شهر اخر كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء و
يمكن بان يقال توقيت الصوم على الهلال قد علم من قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن والزكوة يتعلق بالحول والاصل في تقدير السنين لعود
الشمس من نقطة كاول الحمل مثلا الى مثلها بحركتها الخاصة والايمان والجهاد لا يتعلقان بوقت معين والصلوة تتعلق باليوم بليلته فلم يبق
من الاركان المتعلقة بالشهور سوى الحج فتعين ذكره في هذه الاية والله اعلم قوله تعالى عز من قائل وليس البر بان تاتوا البيوت عن البراء قال نزلت
هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت
وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله الاية والحاصل ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا
ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج
من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب لتشددا في امر الاحرام ولكن البر من اتقى ولكن ذا البر من اتقى مخالفة الله وقيل الحمس وهم
قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتهم البتة
ولم يجلسوا تحت سقف البيت ولم ينتظروا الوبر ولم ياكلوا السمن والاقط وعن الحسن والاصم كان الرجل في الجاهلية اذا هم بشيء فتعسر عليه مطلوبه لم
يدخل بيته من بابه بل من خلفه ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لانهم كانوا يفعلونه تطيرا واما مغزى وجه اتصال هذا الكلام بما
قبله بناء على الاسباب المروية في نزوله وعليه اكثر المفسرين هو انهم لما سئلوا عن الحكمة في اختلاف حال الاهلة قيل لهم اتركوا السؤال عن هذا الامر الذي
لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم ولا تعتقدوا ان جميع ما تنسح لكم هو على مشاكلة الصواب فانظروا في واحدة تفعلونها انتم هو تحسبونها برا وليس من البر
في شيء او انه تعالى لما ذكر الحكمة في الاهلة وهي جعلها مواقيت للناس والحج وكان هذا الامر من الاشياء التي اعتبروها في الحج فلا جرم تكلم الله فيه استطرادا او لاتفاق
وقوع القصتين في وقت واحد فنزلت الاية فيهما معا في وقت واحد وقيل انه تمثيل لتعكيسهم في سؤالهم فان الطريق المستقيم هو الاستدلال بالمعلوم على
المظنون فاما ان يستدل بالمظنون على المعلوم فذاك عكس الواجب ولما ثبت بالدلائل ان للعالم صانعا مختارا حكيما وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب
البريء عن العبث والسفه فاذا راينا اختلاف حال القمر وجب ان نعلم ان فيه حكمة ومصلحة وهذا استدلال بالمعلوم على المجهول فاما ان يستدل بعدم علمنا بما فيه
من الحكمة على ان فاعله غير حكيم فهو استدلال بالمجهول على المعلوم فكانه تعالى يقول لما لم تعلموا الحكمة في اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق او فاتم
الشك فقد اتيتم الامر من ورائه وهذا ليس من البر ولا من كمال العقل انما البر ان تاتوا الامور من وجوهها التي يجب ان يؤتى منها وهذا باب مشهور في الكناية
قال الاعشى شعر وكاس شربت على لذة ؛ واخرى تداويت منها بها ؛ لكي يعلم الناس اني امرؤ ؛ اتيت المعيشة من بابها ؛ وعن ابي مسلم ان هذا اشارة الى ما
كانوا يفعلونه من النسيء وكان يقع الحج في غير وقته فذكر اتيان البيوت من ظهورها مثلا لمخالفتهم الواجب في الحج وشهوره ثم انه تعالى امرهم بالتقوى التي تتضمن
الاتيان بجميع الواجبات والاجتناب عن الفواحش والمنكرات ارادة ان يظفروا بالمطالب الدينية والدنيوية والله ولي التوفيق تاويل الباطل اي الهوى
النفس والحرص والاسراف وتدلوا بها الى الحكام يعني النفوس الامارة بالسوء من اموال الناس من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية الاهلة
للزاهدين مواقيت اورادهم وللصديقين مواقيت مراقباتهم والحج اشارة الى ما يرد بحكم الوقت عليهم من غير اختيارهم فمن كان وقته الصحو كان قيامه بالشريعة
ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة فان تجلى لهم بوصف الجلال تلاشوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فليس للمحبين وقت الا وقت
محبوبهم كالبس لهم وصف الا اوصاف محبوبهم والله تعالى اعلم وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
وجهاد کنید در راه خدا اینها که قتال کنند باشما و زیادتی مکنید که خدا دوست نمیدارد تجاوزکنندگان

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى
وجنگ کنید با اینها در هرجا که یافتید اینها و بیرون کنید اینهارا از انجا که بیرون کردند شمارا و فتنه سخت تراست از کشتن و قتال مکنید با اینها در نزد مسجد الحرام تا اکه

يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ
قتال کنند باشما پس اگر قتال کنند باشما پس بکشید ایشان را چنین است پاداش کافران پس باز ایستادند پس بدرستی که خدا آمرزنده مهربانست و بکشید ایشان تا انکه نباشد

فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ
فتنه و باشد دین از برای خدا پس اگر باز ایستادند نیست عقوبتی مگر بر ستمکاران ماه حرام بماه حرام و حرمتها بدل کردند

فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

پس هر كه تعدى كرد بر شما پس تعدى كنيد بر او بانطريق كه تعدى كرد و بترسيد از خدا و بدانيد كه بدرستى كه خدا با پرهيزكارانست والفاق كنيد در راه خدا

وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ القراءة ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلى وخلف الباقون

ومينداز يد خود را بدست خود در ميان مهلكه و نيكى كنيد كه خدا دوست ميدارد نيكوكارانرا من باب المفاعلة وقيل انه من جملة ما يكتب في المصحف بغير الالف كالرحمن الوقوف

ولا تعتدوا لا المعتدين من القتل للعارض بين الجملتين المتفقتين فخرج للابتداء بالشرط مع الفاء فاقتلوهم ط الكافرين رحيم الدين لله ط لتبدل

الحكم الظالمين قصاص ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وتوعها اعتدى عليكم ص لعطف الجملتين المتفقتين المتقين التهلكة ج لاختلاف المعنى

اى لا تقتحموا في الحرب فوق ما تطاق واحسنوا ج لاحتمال تقدير الفاء واللام المحسنين التفسير لما امر في الاية المتقدمة بالتقوى امر في هذه الاية بما هو اشقها

على النفس وهو المقاتلة في سبيل الله عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن يقاتل في سبيل الله فقال من قاتل ليكون كلمة الله هى العليا ولا يقاتل رياء ولا سمعة

الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين اى الذين هم بصدد القتال بالفعل دون التاركين قيل وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا

المشركين كافة ومنع بان الامر بقتال من يقاتل لا يدل على المنع من قتال من لا يقاتل وكذا ما روى عن الربيع بن انس هى اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقاتل من قاتل ويكف عمن كف والذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء اى المستعدين للقتال

سوى من جنح للسلم او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم مستحلين لها فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل في سبب

نزول الاية انه صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه لارادة الحج فلما نزل بالحديبية وهو موضع كثير الشجر والماء صدهم المشركون عن دخول البيت فاقام شهرا لا يقدر على ذلك

فصالحوه على ان يرجع ذلك العام ويعود اليهم في العام القابل ويتركوا له مكة ثلاثة ايام حتى يطوف وينحر الهدى ويفعل ما يشاء فرضى بذلك صالحهم عليه وعاد

الى المدينة وتجهز في السنة القابلة ثم خاف اصحابه من قريش ان لا يفوا بالوعد ويصدوهم عن المسجد الحرام وان يقاتلوهم وكانوا كارهين لقتالهم في الشهر

الحرام وفي الحرم فانزل الله هذه الايات وبين لهم كيفية المقاتلة ان احتاجوا اليها فقال وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا بابتداء القتال وانما كان ذلك في اول الامر لقلة

المسلمين ولكون الصلاح في استعمال الرفق واللين فلما قوى الاسلام وكثر الجمع واقام من اقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حصل اليأس

من اسلامهم فامروا بالقتال على الاطلاق او لا تعتدوا بقتال من نهيتم عن قتاله من غير المستعدين كالنساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم

عهد او بالمثلة والمفاجات من غير دعوة الى الاسلام وهذه المعاني الثلثة بازاء التفاسير الثلثة في الذين يقاتلونكم ان الله لا يحب المعتدين المتجاوزين

عما شرع الله لهم في الصحاح ثقفته اى صادفته وفي الكشاف الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال شعر فاما تثقفوني

فاقتلوني ؛ فمن اثقف فليس الى خلود ؛ امر في الاية الاولى بالجهاد بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية زاد في التكليف فامر بالجهاد معهم سواء

قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى عنه المقاتلة عند المسجد الحرام وسمى حراما لانه ممنوع ان يفعل فيه ما منع من فعله واصل الحرمة المنع من حيث اخرجوكم اى

من الموضع الذى اخرجوكم وهو مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح واخرجوهم من منازلهم كما اخرجوكم من منازلكم وقد اجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

المشركين من المدينة بل قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب والمراد بالاخراج تكليفهم الخروج قهرا او تخويفهم وتشديد الامر عليهم حتى اضطروا الى الخروج

والفتنة عن ابن عباس انها الكفر بالله لانه فساد في الارض يؤدى الى الظلم والهرج وفيه الفتنة وايضا الكفر ذنب يستحق العقاب الدائم بالاتفاق والقتل

ليس كذلك والكفر يخرج به صاحبه عن الامة دون القتل روى ان صحابيا قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعابه المؤمنون على ذلك فنزلت اى لا تستعظموا

الاقدام على القتل في الشهر الحرام فان اقدام الكفار على الكفر في الشهر الحرام اعظم من ذلك وقيل الفتنة اصلها عرض الذهب على النار للخلاص من الغش ثم صار

اسما لكل محنة والمعنى ان اقدام الكفار على تخويف المؤمنين وعلى تشديد الامر عليهم حتى صاروا ملجئين الى ترك الاهل والاوطان هربا من اضلالهم

في الدين وابقاء على مهجهم وحرمهم اشد من القتل الذى وجب عليكم جزاء عن تلك الفتنة لانه يقتضى التخلص من غموم الدنيا وآفاتها شعر لقتل

بحد السيف اهون موقعا ؛ على النفس من قتل بحد فراق ؛ وقيل الفتنة العذاب الدائم الذى يلزمهم بسبب كفرهم كانه قيل اقتلوهم من حيث ثقفتموهم

واعلموا ان وراء ذلك من عذاب الله ما هو اشد منه قال عز من قائل يوم هم على النار يفتنون وقيل فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام لانه سعى في المنع عن

الطاعة التى ما خلق الجن والانس الا لها اشد من قتلكم اياهم في الحرم وقيل ارتداد المؤمن اشد من ان يقتل محقا فالمعنى واخرجوهم من حيث اخرجوكم و

لو اتى ذلك على انفسكم فانكم ان قتلتم وانتم على الحق كان ذلك اولى بكم من ان ترتدوا على ادباركم او تتكاسلوا عن طاعة معبودكم يروى ان الاعشى قال

قال لحمزة ارايت قرانك اذا صاد الرجل مقتولا تبعد ذلك كيف يصير قاتلا لغيره فقال حمزة ان العرب اذا قتل منهم رجل قالوا قتلنا واذا ضرب منهم واحد

قالوا ضربنا وذلك لان وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم فان انتهوا قيل اى عن القتال لان المقصود من الاذن في القتال منع المقاتلة عن ابن عباس

وقيل اى عن الشرك بدليل قوله فان الله غفور رحيم الدال على انه يغفر لهم ويرحمهم والكافر لا ينال غفران الله ورحمته بترك القتال بل بترك الكفر عن الحسن

قلت ان اريد بالقتال استحلالهم قتل المسلمين تلازم القولان والانتهاء عن الكفر ظاهره التلفظ بكلمة الاسلام وانه مؤثر في حقن الدم وعصمة المال و

بالجنة للتشبث باركان جميعا ويؤثر في استحقاق الرحمة والغفران ويستدل بقوله والفتنة اشد من القتل على ان التوبة عن قتل العمد بل من كل ذنب

مقبولة لان الشرك اعظم الذنوب فاذا قبل الله تعالى توبة الكافر فقبول توبة القاتل اولى وايضا الكافر القاتل مقبول التوبة بالاتفاق اذا اسلم فالقاتل غير





الكافر اولى ويمكن ان يجاب بان حق الله تعالى مبنى على المساهلة فظهر الفرق وايضا الايمان يجب ما قبله فلا يلزم من عدم مؤاخذة الكافر بقتله اذا اسلم ان

يؤاخذ المسلم بقتله ولهذا يجب قضاء الصلوات الفائتة على المسلم اذا تاب عن ترك الصلوة ولا يجب على الكافر اذا اسلم قوله تعالى وقاتلوهم قيل انه ناسخ

لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وهو وهم لان البداية بالمقاتلة عند المسجد الحرام بقيت حرمته غاية ما في الباب ان هذه الاية عامة وما قبلها

مخصصة اياها وهذا جائز فان القران ليس على ترتيب النزول ولو كان على الترتيب فلا يضر لجواز نزول الخاص قبل العام عندنا وذلك ان الخاص

قاطع في دلالته تقدم او تأخر والعام دلالته على ما يدل عليه الخاص غير مقطوع بها فلا بد من التخصيص جمعا بينهما حتى لا تكون فتنة قيل اى شرك

وكفر وعلى هذا فالاية محمولة على الاغلب فان قتالهم لا يزيل الكفر راسا وانما الغالب الازالة لان من قتل منهم فقد زال كفره ومن لم يقتل كان خائفا

من الثبات على كفره والحاصل قاتلوهم حتى يكون كلمة الله هي العليا وهو المراد ايضا من قوله ويكون الدين لله اى ليس للشيطان فيه نصيب لوضوح

شانه وسطوع برهانه كما قال ليظهره على الدين كله ولا يعبأ بالمخالف لقلة شوكته وسقوطه عن درجة الاعتداد ومحمولة على قصد ازالة الكفر بترتب

هذا العزم على القتال كلى لا يتخلف عنه وقيل فتنتهم انهم كانوا يضربون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذونهم حتى ذهب بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة اى قاتلوهم حتى

تظهروا عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم وعن ابي مسلم معناه قاتلوهم حتى لا يكون منهم القتال الذى اذا بدؤا به كان فتنة على المؤمنين لما يخافون عنده

من انواع المضار ولا يخفى ان قوله ويكون الدين لله يرجح القول الاول ليكون المعنى وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويظهر الاسلام فان انتهوا عن الامر الذى

وجب قتالهم لاجله وهو اما الكفر او القتال فلا عدوان الا على الظالمين اى فلا تعدوا على المنتهين مجموع قوله الا على الظالمين فانما تكون مقام

على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فنهوا عنه بدليل انحصاره في غير المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين على الوجهين سمى جزاء

الظالم ظلما للمشاكلة كما يجئ في قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيتسلط عليكم من

يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة وسنة ست من الهجرة وصدوهم عن البيت فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء

وكراهتهم القتال وذلك في ذى القعدة سنة سبع الشهر الحرام بالشهر الحرام اى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلما لم يمنعكم حرمته عن الكفر

والافعال القبيحة فكيف يمنعنا عن القتال معكم دفعا لشروركم واصلاحا لفسادكم والحرمة ما لا يحل انتهاكه والقصاص المساواة اى وكل حرمة

يجرى فيها القصاص من هتك حرمة اى حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة والحرمات الشهر الحرام والبيت الحرام والاحرام فلما اضاعوا هذه الحرمات

في سنة ست فقد وفقكم حتى قضيتموها على رغمهم في سنة سبع وان اقدموا على مقاتلتكم فقد اذنت لكم في قتالهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا ولا تبالوا ثم

اكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فاتقوا الله حين تنتصرون ممن اعتدى عليكم حتى لا تعتدوا الى ما لا يحل لكم

واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والتأييد التقوية والتسديد فان الاستصحاب بالعلم وبالمكان ان جاز شامل المتقين وغيرهم قوله عز من قائل

وانفقوا وجه اتصاله بما قبله انه تعالى لما امر بالقتال والانه يفتقر الى العدد والعدد وقد يكون ذو المال عاجزا عن القتال وقد يكون القوى على القتال عديم

المال فلهذا امر الله الاغنياء بالانفاق في سبيله اعدادا للرجال وتجهيزا للابطال يروى انه لما نزل الشهر الحرام بالشهر الحرام قال رجل من الحاضرين والله

يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامرهم ان ينفقوا في سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو بشق تمرة ولو بمشقص

يحمل في سبيل الله فيهلكوا فنزلت هذه الاية على وفق قول الرسول صلى الله عليه وسلم والانفاق صرف المال في وجوه المصالح فلا يقال للمضيع انه منفق وانما يقال

مبذر وسبيل الله دينه فيشمل الانفاق فيه الانفاق في الحج والعمرة والجهاد والتجهيز والانفاق في صلة الرحم وفي الصدقات وعلى العيال وفي الزكوات

والكفارات وفي عمارة بقاع الخير وغير ذلك لكن الاقرب في هذه الاية وقد تقدم ذكر القتال ان يراد به الانفاق في الجهاد ولكنه تعالى عبر عنه بقوله في سبيل الله

ليكون كالتنبيه على السبب في وجوب هذا الانفاق فالمال مال الله فيجب انفاقه في سبيل الله ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله اهتزت نفسه ونشط وهان عليه ما

دعى اليه والباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اى لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل الايدى الانفس

كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت يداك اى لا تلقوا انفسكم الى التهلكة وقيل ان ههنا حذفا اى لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان

نفسه اذا تسبب لهلاكها عن ابي عبيدة والزجاج ان التهلكة والهلاك والهلك واحد لم يوجد مصدر على تفعلة بضم العين سوى هذا الا ما حكاه سيبويه من

قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة للشجر والتتفلة لولد الثعلب ويجوز ان يقال اصل التهلكة بالكسر كالتجربة والتبصرة على انها مصدر من

هلك مشدد العين فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار وليس الغرض من هذا التكليف على ما ظن تصحيح لفظ القران كيلا تنخرم فصاحته فان الجليل

من ان يحتاج في تصحيحه الى الاستشهاد بكلام الفصحاء من البشر كيف لا وهو حجة على غيره وليس لغيره ان يكون حجة عليه وانما الغرض الضبط والتسهيل ما

امكن فتنبه وللمفسرين في هذا الالقاء خلاف فمنهم من قال انه راجع الى الانفاق روى البخارى في صحيحه عن حذيفة قال نزلت هذه الاية في النفقة وذلك

ان لا تنفقوا في جهات الجهاد اموالكم فيستولى العدو عليكم ويهلكم او ينفقوا كل ما لهم فيحتاجوا ويحتاجوا فيكونوا نهيا عن التقتير والاسراف

وعنهما جميعا والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما او المعنى انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا ان انفقنا هلكنا لا وفقر اهو

ان يحكموا على انفسهم بالهلاك للانفاق وانفقوا وللفوائد لك الانفاق في التهلكة والاحباط منا او اذى او رياء او سمعة ولا تبطلوا اعمالكم ومنهم

من قال انه راجع الى غير الانفاق اى لا تخلوا بالجهاد فتتعرضوا للهلاك الذى هو سخط الله وعذاب النار او لا تقتحموا في الحرب بحيث لا ترجون النفع

ولا يكون لكم فيه الا قتل انفسكم فان ذلك لا يحل كما روى عن البراء بن عازب انه قال في هذه الاية هو الرجل يستقبل بين الصفين وانما يجب ان يتقدم اذا طمع في النكاية وان خاف القتل وروى الشافعي ان رسول الله صلعم ذكر الجنة فقال له رجل من الانصار ارأيت يا رسول الله ان قتلت صابرا محتسبا قال لك الجنة فانغمس في جماعة العدو فقتلوه وان رجلا من الانصار القى درعا كان عليه حين ذكر النبي صلعم الجنة ثم انغمس في العدو فقتلوه بين يدي الرسول وروى ان رجلا من الانصار تخلف عن اصحاب بئر معونة فرأى الطير عكوفا على من قتل من اصحابه فقال لبعض من معه سأتقدم الى العدو فيقتلونني ولا اتخلف عن مشهد قتل فيه اصحابي ففعل ذلك فذكروا للنبي صلعم فقال فيه قولا حسنا وروى اسلم ابو عمران قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم واكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري فقال يا ايها الناس انكم تأولون هذه الاية هذا التأويل انما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون النبي صلعم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا فكانت التهلكة الاقامة في الاموال واصلاحها وترك الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بارض الروم وقيل ان الاية من تمام ما قبلها اي ان قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم فان الحرمات قصاص ولا يحملنكم حرمة الشهر على ان تستسلموا لمن قاتلكم فتهلكوا بترككم القتال وعن النعمان بن بشير كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لي فانزل الله تعالى هذه الاية وذلك انه يرى انه لا ينفعه معه عمل فيترك العبودية ويصر على الذنب فنهى عن القنوط من رحمة الله واحسنوا في الانفاق بان يكون مقرونا بطلاقة الوجه على قضية العدالة بين التقتير والاسراف وفي فرائض الله عن الحسن ان الله يحب المحسنين اذ الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا مقام القرب والقرب بمقتضى الارادة الذاتية وهذا مراد الله وللكل خير التأويل وقاتلوا من يمنعكم عن السير في سبيل الله واراد ان يقطع عليكم طريقه من شياطين الانس والجن حتى نفوسكم التي هي اعدى عدوكم ولا تعتدوا لا تتجاوزوا عن حد الشرع فتجاهدوا بالطبع لكن كونوا ثابتين على قدم الاستقامة بقدر الاستطاعة من غير افراط وتفريط واقتلوا كفار النفس بسيف الرياضة حيث ظفرتم بهم ومجاهدتها بمخالفة هواها واخرجوهم من صفات النفس كما اخرجوكم من جمعية القلب وحضوره والفتنة اي المحنة التي ترد على القلب من طوارق صفات النفس الحاجبة عن الله اشد من قتل النفس بمجاهدتها ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لا تلتفتوا الى النفس وصفاتها اذ كنتم امنين مطمئنين في مقامات القلب والروح حتى يزاحموكم في الحضور وداعية الهوى فان نازعوكم في الجمعية والحضور فاقتلوهم بسيف الصدق واقطعوا مادة تلك الدواعي عن نفوسكم بكل ما امكن لئلا يبقى لكم علاقة تصدكم عن الله فان انتهوا بان قنعت بما لا بد لها فلا تغلوا في مجاهدتها الشهر الحرام اي ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بهوى النفس ونزاعها وغلبات صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم فمن اعتدى فكل صفة غلبت وسولت فعالجوها بضدها البخل بالسخاء والغضب بالحلم والحرص بالزهد والشهوة بالعفة واتقوا الله في الافراط والتفريط ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالتفريط في الحقوق والافراط في الحظوظ وبموافقة النفوس ومخالفة النصوص وبالركون الى الغرور بالحسبان والغرور والله المستعان على ما يصفون

**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**

القراءة من رأسه كذلك لنافع الكسائي كلها بغير همز ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف الوقوف لله ط لان عارض الاحصار خارج عن موجب الاصل من الهدي ج لعطف المختلفين محله ط لابتداء حكم كفارة الضرورة او نسك ج لان اذا للشرط مع الفاء وجوابه محذوف اي فاذا امنتم من خوف العدو وضعف المرض فامضوا امنتم وتقديره حذف ولابتداء الشرط في حكم آخر وهو التمتع من الهدي ج رجعتم ط كاملة ط الحرام ط العقاب التفسير الحج في اللغة القصد كما مر في قوله فمن حج البيت او اعتمر وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة وهي على ثلاثة اقسام اركان وابعاض وهيئات لان كل عمل يفرض فيه فاما ان يتوقف التحلل عليه فهو الركن او لا يتوقف فاما ان يجبر بالدم وهو البعض او لا يجبر فهو الهيئة والاركان عند الشافعي خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وحلق الرأس وتقصيره وخالف ابو حنيفة في السعي ولا مدخل للجبران في الاركان واما الابعاض فعني الواجبات المجبورة بالدم فالاحرام من الميقات والرمي وفاقا وفي الوقوف بعرفة الى ان تغرب الشمس وفي المبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وفي طواف الوداع خلاف واما الهيئات فالاغتسال وطواف القدوم والرمل والاضطباع في الطواف وفي السعي واستلام الركن وتقبيله والسعي في موضع السعي والمشي في موضع المشي والخطب والاذكار والادعية الى غير ذلك وبالجملة ما سوى الاركان والابعاض ولا دم في تركها واما في العمرة فما سوى الوقوف من اركان الحج اركان فيها ثم ان قوله عز من قائل واتموا امر بالاتمام

وهل هذا



وهل هذا الامر مطلق او مشروط قال الشافعي انه مطلق والمعنى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام والكمال وقال ابو حنيفة على انه مشروط والمعنى من شرع فيهما فليتمهما كما اذا كبر بالصلوة لزمه الاتمام تطوعا وفائدة الخلاف تظهر في العمرة فانها تصير واجبة على المعنى الاول دون الثاني حجة الشافعي ان الاتمام قد يراد به فعل الشيء تاما كاملا كقوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن اي اداهن على التمام والكمال وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل اي افعلوا الصيام تاما الى الليل وهذا اولى من تقديرهم انكم اذا شرعتم فيه فاتموه لان الاصل عدم اضمار هذا الشرط ولان المفسرين اجمعوا على ان هذه الاية نزلت في الحج فحملها على الايجاب ليكون تأسيسا اولى من حملها على الاتمام بشرط الشروع فانها تكون حينئذ تبعا ولانه روي واقيموا الحج والعمرة والشاذ يصلح للترجيح وان لم يصلح للقطع كخبر الواحد ولان الوجوب المطلق يستلزم الاتمام والاتمام بشرط الشروع لا يستلزم اصل الوجوب فتأويلنا اكثر فائدة فيكون اولى وايضا انه احوط واعتمر النبي صلعم قبل الحج ولو لم تكن العمرة واجبة لكان الاشبه ان يبادر الى الحج الذي هو واجب قال تعالى يوم الحج الاكبر وفيه دليل على وجود حج اصغر وما ذاك الا العمرة بالاتفاق لكن الحج واجب على الاطلاق لقوله ولله على الناس حج البيت فيدخل فيه الاكبر والاصغر حجة ابي حنيفة قصة الاعرابي الذي سأل النبي صلعم عن اركان الاسلام فعلمه الصلوة والزكوة والحج والصوم فقال الاعرابي لا ازيد على هذا ولا انقص فقال النبي صلعم افلح الاعرابي ان صدق وقال صلعم بني الاسلام على خمس الحديث ولم يذكر العمرة واجيب بان العمرة حج اصغر فيدخل في مطلق الحج قالوا روي عن جابر ان النبي صلعم سئل عن العمرة اواجبة هي ام لا فقال لا وان تعتمر خير لك وعن ابي هريرة عن النبي صلعم الحج جهاد والعمرة تطوع واجيب بانها اخبار آحاد فلا تعارض القرآن وايضا لعل العمرة ما كانت واجبة حين ما ذكر النبي صلعم تلك الاحاديث ثم نزل بعدها واتموا الحج وذلك في السنة السابعة من الهجرة وايضا انها معارضة باخبار تدل على وجوبها روى النعمان بن سالم عن عمرو بن اوس عن ابي رزين انه سأل النبي صلعم قال ان ابي شيخ كبير ادرك الاسلام ولا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن قال حج عن ابيك واعتمر امرهما والامر للوجوب وروي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وحمله على انهما يقترنان في الذكر تكلف وعن ابن عمر ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك حمله على ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما لا يخلو من تعسف قالوا قرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع فكأنهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج في الوجوب واجيب بان الشاذة لا تعارض المتواترة وبانها ضعيفة من حيث العربية لعطف الاسمية على الفعلية والخبرية على الطلبية وبان كون العمرة عبادة لله لا ينافي وجوبها واعلم ان لاداء النسكين وجوها ثلاثة الافراد والتمتع والقران فالافراد ان يحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة والقران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج بان ينويهما بقلبه معا وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج عليها يصير قارنا والتمتع هو ان يحرم بالعمرة من ميقات بلده في اشهر الحج ويأتي باعمالها ثم يحج في هذه السنة من مكة سمي تمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام بينهما بعد التحلل من العمرة وقبل الاحرام بالحج وانه ايضا يربح ميقاتا لانه لو احرم بالحج من ميقات بلده لكان يحتاج بعد فراغه من الحج الى ان يخرج الى ادنى الحل فيحرم بالعمرة منه واذا تمتع استغنى عن الخروج لانه يحرم بالحج من جوف مكة ولا خلاف بين ائمة الامة في جواز هذه الوجوه انما الخلاف في الافضلية فقال الشافعي افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران وقال في اختلاف الحديث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالك وقالت الامامية لا يجوز لغير حاضري المسجد الحرام العدول عن التمتع الا لضرورة وقال ابو حنيفة القران افضل ثم الافراد ثم التمتع وهو قول المزني وابي اسحق المروزي وقال ابو يوسف ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعي في افضلية الافراد قوله واتموا الحج والعمرة وذلك ان العطف يقتضي المغايرة وانما يحصل عند الافراد فاما عند القران فالموجود شيء واحد هو حج وعمرة معا وايضا الاعمال عند الافراد اكثر فيكون الثواب اكثر وذلك هو الفضل ومما روي عن انس انه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلعم وكان لعابها يسيل على كتفي فسمعته يقول لبيك بعمرة وحجة معا معارض بما روى مسلم في صحيحه عن عائشة ان النبي صلعم افرد الحج وهكذا روى جابر وابن عمر وقد رجح الشافعي رواية ابن عباس وجابر وابن عمر على رواية انس بانهم اعلم واقرب الى رسول الله صلعم واخبر بحال رسول الله صلعم واقدم صحبة وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت قليل العلم حجة القائل بافضلية القران ان في القران مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك المسارعة الى احدهما فيكون افضل لقوله وسارعوا واجيب بانا لا نقول الحجة المفردة بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة لكنا نقول من اتى بالحج في وقته ثم بالعمرة في وقتها فالمجموع من هذين الامرين افضل من الاتيان بالحجة المقرونة واختلف في معنى الاتمام في قوله تعالى واتموا فعن علي وابن عباس وابن مسعود ان تمامهما ان تحرم من دويرة اهلك وقال ابو مسلم المعنى ان من نوى الحج والعمرة لله وجب عليه الاتمام قال ويدل على صحة هذا التأويل ان الاية نزلت بعد ان منع الكفار النبي صلعم في السنة الماضية عن الحج والعمرة فالله تعالى امر رسوله في هذه الاية بان لا يرجع حتى يتم الفرض ويعلم منه ان تطوع الحج والعمرة كفرضهما في وجوب الاتمام وقال الاصم المراد اتمام الاداب المعتبرة فيهما وهي عشرة على ما ذكر في الاحياء الاول في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من يلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل ويكريها الثاني الاخوان والرفقاء المقيمون يودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جعل في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك الثالث اذا هم بالخروج صلى ركعتين يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وبعد الفراغ يتضرع الى الله بالاخلاص الرابع اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله وكلما كانت الدعوات اكثر كان اولى الخامس اذا ركب قال بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله

العلي العظيم

العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون السادس في النزول والسنة ان يكون اكثر سيره بالليل ولا ينزل حتى يحمى النهار واذا نزل صلى ركعتين ودعا الى الله كثيرا السابع ان تصدق عند وداع سبع بالليل والنهار فليقرأ آية الكرسي شهد الله والاخلاص والمعوذتين ثم يقول تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت الثامن منها على نشز من الارض في الطريق يستحب ان يكبر ثلثا التاسع ان لا يكون هذا السفر مشوبا بشيء من الاغراض العاجلة كالتجارة وغيرها العاشر ان يصون لسانه عن الرفث والفسوق والجدال ثم بعد الاتيان بهذه المقدمات يأتي بجميع اركان الحج على الوجه الاصح الاقرب الى موافقة الكتاب والسنة ويكون غرضه في كل هذه الامور ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون مؤتمرا لقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله اقتداء بابرهيم عم حين ابتلى بكلمات فاتمهن وقيل المراد من قوله اتموا افردوا لكل واحد منهما بسفره ويؤيده هذا تأويل من قال الافراد افضل واقرب هذه الاقوال ما يرجع حاصله الى معنى ائتوا بالحج والعمرة تامين كاملين بمناسكهما وشرايطهما وادابهما لوجه الله بدليل قوله فان احصرتم قال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس ومنه الحصير للملك لانه كالمحبوس في الحجاب والحصير معروف وسمي به لانضمام اجزائه الى بعض فكان كلا منها محبوس مع غيره والحصير المجلس ايضا والاكثرون على ان لفظ الحصر مخصوص بمنع العدو يقال حصره العدو اذا منعه عن مراده وضيق عليه وعن ابي عبيدة وابن السكيت والزجاج وغيرهم ان لفظ الاحصار مختص بالمرض ونحوه من خوف وعجز قال تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقيل الاحصار مختص بمنع العدو ومنه ما يروى عن ابن عمر وابن عباس لا حصر الا حصر العدو وفائدة الخلاف في الاية تظهر في مسئلة فقهية وهي انهم اتفقوا على ان حكم الاحصار عند حبس العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض وساير الموانع قال ابو حنيفة يثبت وقال الشافعي ومالك واحمد لا يثبت بل يصبر حتى يبرأ نعم لو شرط انه اذا مرض تحلل صح الشرط لما روي انه صلعم مر بضباعة بنت الزبير فقال اما تريدين الحج فقالت اني شاكية فقال حجي واشترطي ان محلي حيث حبستني وفي حكم المرض كل عرض صحيح كضلال الطريق ونفاد الزاد حجة ابي حنيفة ظ كلام اكثر اهل اللغة وما روي عن النبي صلعم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وحجة الشافعي قول ابن عمر وابن عباس وطائفة من اهل اللغة وايضا الهمزة في احصره ليس للتعدية لمساواته حصره في اقتضاء المفعول فيكون للوجود او للصيرورة فترد الى قبول المعنى اي الامكان وجعلتم ذوي حصر محصورين فلا يبقى النزاع وايضا المانع انما يتحقق عند وجود المقتضي والمريض لا قدرة له على الفعل فلا مانع بالنسبة اليه فثبت ان لفظ الاحصار حقيقة في العدو دون المرض وايضا لفظ المانع على المرض غير معقول لانه عرض لا يبقى زمانين وايضا لو كان المريض داخلا في الحصر لكان في قوله فمن كان منكم مريضا نوع تكرار ولزم عطف الشيء على نفسه واعتذر عن هذا بان المريض انما خص بالذكر لان له حكما خاصا وهو حلق الراس فصار تقدير الاية ان منعتم لمرض تحللتم بدم وان تأذى راسكم بمرض حلقتم وكفرتم وايضا فاذا امنتم يناسب الخوف من العدو اذ يقال في المرض شفي وعوفي لا امن ولو قيل ان خصوص اخر الاية لا يقدح في عموم اولها قلنا لا يلزم من عدم القدح وجود المناسبة وقيل انه منع المرض خاصة وهو باطل بالدلائل المذكورة وزيادة وهي ان المفسرين اجمعوا على ان سبب نزول الاية ان الكفار حصروا النبي صلعم بالحديبية والائمة وان اختلفوا ان الاية هل تتناول غير سبب النزول ام لا الا انهم اتفقوا على ان خروج ذلك السبب غير جائز ثم في الاية اضماران والتقدير فتحللتم او اردتم التحلل فعليكم ما استيسر او فاهدوا ما استيسر تيسر مثل استعظم وتعظم واستكبر وتكبر اما الاضمار الاول فلان نفس الاحصار لا يوجب هديا وانما الموجب هو التحلل ونية التحلل واما الاضمار الثاني فلان قوله ما استيسر اما مرفوع على الابتداء وخبره محذوف واما منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج وهي شيء محشو تحت دفتي السرج جدي وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي وهذه لغة تميم ومعنى الكل ما اهدي الى بيت الله تقربا اليه بمنزلة الهدية عن علي وابن عباس والحسن وقتادة رض اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادونها شاة فعليه ما تيسر له من هذه الاجناس والمحصر المحرم اذا اراد التحلل ذبح ووجب ان ينوي التحلل ولا يتحلل البتة قبل الذبح واكثر الفقهاء على ان حكم العمرة في الاحصار حكم الحج وعن ابن سيرين انه لا احصار فيها لانها غير موقتة ورد بان قوله تعالى فان احصرتم مذكور عقيب الحج والعمرة فكان عائدا اليهما وبانه صلعم تحلل بالاحصار عام الحديبية وكان معتمرا وما حد الاحصار قال العلماء لو منعوا ولم يتمكنوا من المسير الا ببذل مال فلهم ان يتحللوا ولا يبذلوا المال وان قل اذ لا يجب احتمال الظلم في اداء الحج بل يكره البذل ان كان الطالبون كفارا والاكثرون على انه لا يجب القتال على الحجيج وان كان العدو كفارا او كان في مقابلة كل مسلم اقل من مشركين ولو قاتلوا فلهم لبس الدروع والمغافر لكنهم يفدون كما لو لبسوا المخيط لدفع حر او برد ولا فرق على الاصح في جواز التحلل بين ان يمنعوا من المضي دون الرجوع او يمنعوا من جميع الجوانب لانهم يستفيدون بالتحلل الامن من العدو والمواجهة لو صد عن طريق وهناك طريق اخر ووجد شرايط الاستطاعة فيه لزمهم سلوكه ولم يكن لهم التحلل في الحال واذا سلكوه ففاتهم الحج لحزونة او لطوله تحللوا بعمل عمرة ولا يلزمهم القضاء على الاظهر من قولي الشافعي لانهم بذلوا مجهودهم فصاروا كالمصدود بل لو استوى الطريقان من كل وجه وجب القضاء لان الموجود فوات محض في قوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله حذف لان الرجل لا يتحلل ببلوغ الهدي محله بل لا يحصل التحلل الا بالنحر فالتقدير حتى يبلغ الهدي محله وينحر وانما جاز تذكير الهدي لان كل ما يفرق بين واحده وجمعه بالتاء وعدمه جاز تذكيره وتانيثه قال تعالى اعجاز نخل منقعر وفي موضع اخر اعجاز نخل خاوية والمحل اسم الزمان الذي يحصل فيه الحل ومنه محل الدين لوقت وجوب قضائه او اسم للمكان قال الشافعي يجوز اراقة دم الاحصار لا في الحرم بل حيث حبس وقال ابو حنيفة لا يجوز ذلك الا في الحرم يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة حجة الشافعي انه صلعم احصر بالحديبية فنحر هناك واجيب بان محصره طرف الحديبية الذي هو اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان النبي صلعم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي





الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة ورد بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله فان هذه الاية تصرح في ان النحر والهدي في غير الحرم وايضا قوله فان احصرتم يتناول كل من كان محصرا سواء كان في الحل او في الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب النحر فيجب ان يكون المحصر قادرا على اراقة الدم حيث احصر وايضا التحلل موقوف على النحر فلو توقف النحر على وصوله الى الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا يناقض ما هو المقصود من شرع الحكم وهو تخليص النفس من العدو في الحال وايضا لو كان للوصول الى الحرم هو المحصر فكيف يؤمر بهذا الفعل مع قيام الخوف وان كان غيره فقد لا يجد ذلك الغير فماذا يفعل حجة ابي حنيفة ان المحل عبارة عن مكان الحل وقوله حتى يبلغ الهدي محله يدل على انه غير بالغ في الحال الى ذلك المكان وايضا ثبت ان لفظ المحل يشمل الزمان والمكان الا ان قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وقوله هديا بالغ الكعبة يزيل احتمال الزمان وفي البيت نفسه لا يراق فيه الدماء فتعين ان يكون هو الحرم واجيب بان كل ما وجب على المحرم في ماله من بدنة وجزاء وهدي ولا يجزي الا في الحرم لمساكين اهله الا اذا عطب الهدي فيذبح في طريقه ويخلى بينه وبين المساكين والا اذا احصر فانه ينحر هديه حيث حبس بالدلائل المذكورة قالوا الهدية لا يكون هدية الا اذا بعثها الى دار المهدى اليه فالهدي كذلك ورد بان هذا تمسك بالاسم وهو محمول على الافضل عند القدرة والمحصر اذا كان عادما للهدي فهل له بدل ينتقل اليه للشافعي فيه قولان احدهما لا بدل له ويكون الهدي في ذمته ابدا وبه قال ابو حنيفة لانه تعالى اوجب الهدي وما اثبت له بدلا وعلى هذا فماذا يفعل فيه قولان اصحهما انه يتحلل في الحال كما لو صام بدله كيلا يعظم المشقة والاخر واليه ميل ابي حنيفة انه يقيم على احرامه حتى يجده والقول الثاني ان له بدلا وهذا اصح وبه قال احمد قياسا على ساير الدماء الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذلك البدل الاصح الطعام لان قيمة الهدي اقرب اليه من الصيام واذا لم يرد النص الا بالهدي فالرجوع الى الاقرب اولى ثم الصيام عن كل مد يوما وفي قول صوم المتمتع عشرة ايام وقيل صوم الاذى ثلثة ايام وبالجملة فالاية دلت على ان المحصرين لا ينبغي لهم ان يحلوا فيحلقوا رؤسهم الا بعد تقديم ما استيسر من الهدي كما انه امرهم ان لا يناجوا الرسول الا بعد تقديم الصدقة ومعنى حتى يبلغ الهدي محله حتى تنحروا هديكم حيث حبستم وحتى تعلموا ان هديكم الذي بعثتموه الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه اي الحرم ولكن الافضل في الحج منى وفي العمرة المروة ولا بد من نية التحلل عند الذبح لان الذبح قد يكون للتحلل وقد يكون لغيره فلا بد من قصد صارف فان كان مصدودا عن البيت دون اطراف الحرم فهل له ان يذبح في الحل اصح الوجهين عند الشافعي ان له ذلك واذا احصر فتحلل نظر ان كان نسكه تطوعا فلا قضاء عليه وبه قال مالك واحمد لان المصدودين مع النبي صلعم كانوا الفا واربعمائة والذين اعتمروا معه عمرة القضاء كانوا نفرا يسيرا ولم يامر الباقين بالقضاء وقال ابو حنيفة عليه القضاء وان لم يكن نسكه تطوعا نظر ان لم يكن مستقرا عليه كحجة الاسلام فيما بعد السنة الاولى من سني الامكان وكالنذر والقضاء فهو باق في ذمته كما كان كما لو شرع في صلوة ولم يتمها يبقى في ذمته ومهما احصر بمرض ونحوه وقد صححناه بالاية فحكم الهدي ما مر في الاحصار بالعدو وان صححنا بان كان قد شرط التحلل به اذا مرض فهل يلزمه الهدي للتحلل فان كان قد شرط التحلل بالهدي فنعم وان كان قد شرط التحلل بلا هدي فلا وكذا ان اطلق على الاظهر لمكان الشرط قوله عز من قائل فمن كان منكم مريضا قيل انه مختص بالمحصر وذلك انه قبل بلوغ الهدي محله ربما لحقه مرض واذى في راسه ان صبر فالله تعالى اذن له في الحلق بشرط بذل الفدية والاكثرون على انه كلام مستانف في كل محرم لحقه مرض في بدنه فاحتاج الى علاج او اذى في راسه فاضطر الى الحلق والنسك العبادة وقرئ بالتخفيف وقيل جمع نسيكة وهي الذبيحة قال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف العبادات التي يتقرب بها الى الله واتفقوا في النسك على ان اقله شاة كما في الاضاحي واما الصيام والاطعام فليس في الاية ما يدل على كميتهما وكيفيتهما وبماذا يحصل بيانه فيه قولان احدهما وعليه اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفة ان بيانه في حديث كعب بن عجرة قال حملت الى رسول الله صلعم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة فقلت لا قال صم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق راسك فنزلت في خاصة وهي لكم عامة وثانيهما عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة ايام والاطعام مثل ذلك في الفدية قال العلماء المرض قد يحوج الى اللباس او الى الطيب او الدهن وفي كل منها نوع استمتاع فالحقوا به نحو هذه المحظورات بفدية الحلق لاشتراك الجميع في الرفه والحاصل انه يدخل فيه كل محظورات الاحرام سوى الجماع ففيه بدنة ثم بقرة ثم سبع شياه ثم طعام بقيمة البدنة ثم صيام بعدد الامداد كما يجيء في قوله فلا رفث وسوى الصيد ففيه الجزاء على ما يجيء تفصيله في المائدة وفي هذه الاية ايضا اضماران اي فحلق فعليه فدية فاذا امنتم ان كان معناه الامن بعد الخوف فقبل التحلل فجواب الشرط وهو فاصنعوا محذوف وان كان معناه اذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فقوله فمن تمتع الشرط مع الجزاء جواب الشرط الاول ولا وقف على امنتم ومعنى التمتع التلذذ واصله الطول حبل ماتع اي طويل وكل من طالت صحبته الشيء فهو متمتع به وقد عرفت معنى التمتع بالعمرة الى الحج وهو ان يقدم مكة فيعتمر في اشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك والتمتع بهذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وما يروى ان عمر خطب وقال متعتان على عهد رسول الله صلعم انا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج ذكر الائمة ان تلك المتعة هي ان يجمع بين الاحرامين ثم يفسخ الحج الى العمرة ويتمتع بها الى الحج وروي ان النبي صلعم اذن لاصحابه في ذلك ثم نسخ وعن ابي ذر انه قال ما كانت متعة الحج الا لنا خاصة يعني الركب الذين كانوا مع النبي صلعم وكان السبب فيه انهم كانوا لا يرون العمرة في اشهر الحج ويعدونها من افجر الفجور فلما اراد النبي صلعم ابطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بان نقلهم في اشهر الحج من الحج الى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه غيرهم فلهذا المعنى كان فسخ الحج في اشهر الحج خاصا بهم ومعنى التمتع بالعمرة الى الحج انه يتمتع بمحظورات

الاحرام بسبب اتيانه بالعمرة الى اوان الحج وقبل استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج استمتاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج والوجوب لدم على
المتمتع شروط منها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ويجي تمام الكلام فيه عما قريب ومنها ان
يحرم بالعمرة الى الميقات فان جاوزه مريد النسك ثم احرم بها فان كان الباقي اقل من مسافة القصر قبل اشهر الحج ثم حج فليس عليه دم التمتع ولكن يلزم
دم الاساءة وان كان الباقي مسافة القصر فعليه دمان ومنها ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج فلو احرم وفرغ من اعمالها قبل اشهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدي لانه اشبه
الافراد ولو احرم بها قبل اشهر الحج واتى بجميع افعالها في اشهره فاصح قولي الشافعي انه لا يلزم الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج لتقدم
احد اركان العمرة ولو سبق الاحرام مع بعض الاعمال قبل اشهر الحج فعدم وجوب الدم اولى وعن مالك انه مهما حصل التحلل في اشهر الحج وجب الدم وعند
ابي حنيفة اذا اتى باكثر اعمال العمرة في الاشهر كان متمتعا ومنها ان يقع الحج والعمرة في سنة واحدة فلو اعتمر ثم حج في السنة المقابلة فلا دم عليه سواء اقام بمكة
الى ان حج او رجع وعاد لان الدم انما يجب اذا زاحم بالعمرة حجة في وقتها وترك الاحرام بحجة من الميقات مع حصوله في وقت الامكان ولم يوجد وعن سعيد بن
المسيب قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتمرون في اشهر الحج واذا لم يحجوا في عامهم ذلك لم يهدوا ومنها ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان
عاد الى ميقاته الذي انشأ العمرة منه واحرم بالحج فلا دم عليه لانه لم يربح ميقاتا وفي اشتراط نية التمتع وجهان اصحهما لا يشترط كما لا يشترط نية القران وهذا
لان الدم منوط بربح احد السفرين ولا يختلف ذلك بالنية وعدمها ويخالف اشتراط نية الجمع بين الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كما هي وقت الحج فهي وقت
العمرة بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى لا يجوز له ان ياكل منه ام دم نسك حتى يجوز ان ياكل ذهب ابو حنيفة الى الثاني
ومال الشافعي الى الاول لما روي ان عثمان كان ينهى عن المتعة فقال له علي اعمدت الى رخصة اثبتها رسول الله صلى الله عليه وسلم للغريب المحتاج فابطلتها فسمى
المتعة رخصة وهذا دليل النقص وايضا التمتع تلذذ وانه ينافي العبادة لانها مشقة وتكليف وايضا انه تعالى اوجب الهدي على المتمتع بلا توقيت فلو كان نسكا
كان موقتا وايضا للصوم فيه مدخل ودم النسك لا يبدل بالصوم والكلام في مراتب هذه الهدايا كما مر وينبغي ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن في السنة
السادسة وكذا البقر وهو الطاعن في السنة الثالثة ويجزي كل من الابل والبقر عن سبعة شركاء ولو اقتصر على الغنم فليكن ثني المعز وهو الذي دخل في
السنة الثانية او هي جذع الضان وهو ايضا في السنة الثانية ويستوي في هذا الباب الذكر والانثى ويستحب ان يذبح يوم النحر ولو ذبح بعد ما احرم بالحج
جاز لان التمتع قد تحقق فيترتب عليه الهدي جبرا له وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة على الاصح لانه حق مالي تعلق بسببين وهما الفراغ
من العمرة والشروع في الحج فاذا وجد احدهما جاز اخراجه كالزكوة والكفارة وعند ابي حنيفة لا يجوز بناء على انه نسك كدم الاضحية فيختص بيوم
النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد الهدي وقيس عليه ما اذا لم يجد ما يشتريه او بيع بثمن غال فعليه صيام ثلثة ايام في الحج قال الشافعي اي
بعد الاحرام بالحج لانه تعالى جعل الحج ظرفا للصوم ولا يصلح ساير افعال الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام وايضا ما قبل الاحرام بالحج ليس وقتا للهدي
الذي هو اصل فكذا لبدله وقال ابو حنيفة اي في وقت الحج وهو اشهره فيجوز ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة وبمثله قال احمد في رواية وفي اخرى قال
يجوز بعد التحلل من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيئا منها في يوم النحر ولا في ايام التشريق كما مر في الصوم والمستحب ان يصوم الايام الثلثة قبل يوم
عرفة فان الاحب للحاج يوم عرفة بعرفة ويحكى عن ابي حنيفة ان الشخص ان كان بحيث لا يضعف فالاولى ان يصوم حيازة للفضيلتين ويعلم مما ذكرنا انه
يستحب ان يحرم بالحج قبل يوم عرفة بثلثة ايام ليصوم فيها واما الواجد للهدي فالمستحب له ان يحرم يوم التروية بعد الزوال متوجها الى منى لما روي عن
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا توجهتم الى منى فاهلوا بالحج واذا فاته صوم الايام الثلثة في الحج لزمه القضاء عند الشافعي لانه صوم واجب فلا يسقط بفوت
وقته كصوم رمضان واذا قضاها لم يلزمه دم خلافا لاحمد وعند ابي حنيفة يسقط الصوم بالفوت ويستقر الهدي في ذمته وسبعة اذا رجعتم
في المراد من الرجوع قولان اصحهما الرجوع الى الاهل والوطن لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال للمتمتعين من كان معه هدي فليهد ومن لم يجد فليصم ثلثة ايام في الحج
وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والثاني ان المراد منه الفراغ من اعمال الحج وبهذا قال ابو حنيفة واحمد كانه بالفراغ رجع عما كان مقبلا عليه
من الاعمال وعلى الاصح لو توطن مكة بعد فراغه من الحج صام وان لم يتوطنها لم يجز صومه بها ولا في الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية
على وقتها ثم اذا لم يصم الثلثة في الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم العشرة عند الشافعي وهل يجب التفريق في القضاء بين الثلثة والسبعة لا
عند امام الحرمين وطائفة وبه قال احمد لانه لا يجب لان التفريق في الاداء يتعلق بالوقت فلا يبقى حكمه في القضاء كالتفريق في الصلوات المؤداة والاصح عند
اكثر اصحاب الشافعي وجوب التفريق كما في الاداء ويفارق التفريق الصلوات فان ذلك التفريق يتعلق بالوقت وهذا يتعلق بالفعل وهو الحج والرجوع
وما قدر ما يقع به التفريق اصح الاقوال باربعة ايام ومدة امكان مسيره الى اهله على العادة الغالبة بناء على اصلين سبقا احدهما ان المتمتع ليس
له صوم ايام التشريق والثاني ان المراد بالرجوع الرجوع الى الاهل تلك عشرة كاملة طعن فيه بعض الملحدين ان هذا مما يضاحك الواضحات فمن
المعلوم بالضرورة ان الثلثة والسبعة عشرة وايضا قوله كاملة يوهم ان ههنا عشرة غير كاملة وهو محال فذكر العلماء من فوائده ان الواو في قوله
وسبعة ليس نصا قاطعا في الجمع بل يكون للاباحة بمعنى او كما في قوله مثنى وثلث ورباع وكما في قولك جالس الحسن وابن سيرين لو جالسهما جميعا او
واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففايدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلى هذا مدار علم الحساب
وكفى به افادة وايضا المعتاد ان البدل اضعف حالا من المبدل كالتيمم من الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل كامل في كونه قائما مقام المبدل وهما في الفضيلة سواء





وذكر العشرة لصحة التوصل به الى هذا الوصف اذ لو اقتصر على تلك جاز ان يعود الى الثلثة او الى السبعة وايضا قوله تلك عشرة كاملة يدفع التخصيص الذي
يتطرق الى كثير من العمومات في الشرع ويصرف الكلام الى التنصيص وايضا ان مراتب الاعداد ثلث الاحاد والعشرات والمات فالعشرة من وسطاها فكانه
قال انما اوجبت هذا العدد لكونه موصوفا بصفة التوسط والكمال وايضا التوكيد طريقة مسلوكة في كلام العرب يعرف منه كون المذكور مما يعتقد به المهم وفيه
زيادة توصية بصيانتها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها وايضا هذا الخطاب مع العرب ولم يكونوا اهل حساب فبين الله تعالى بذلك بيانا قاطعا
كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال في الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم اشار بيده ثلث مرات اخرى وامسك ابهامه في الثالثة تنبيها بالاشارة الاولى على الثلثين وبالثانية
على التسعة والعشرين وايضا فيه ازالة الاشتباه والتصحيف الذي يمكن ان يتولد من تشابه سبعة وتسعة في الخط وايضا يحتمل ان يراد كاملة في
الاجزاء حتى لا يتوهم انها بسبب التفرق غير مجزية كما لا يجزي في كفارات الظهار والقتل ووقاع رمضان الا الصوم المتتابع وايضا يحتمل ان يكون خبرا في معنى
الامر اي فليكن تلك الصيامات كاملة لتسد الخلل ويكون الحج المامور به تاما كاملا كما قال واتموا الحج والعمرة لله واعلم ان الصوم مضاف الى الله تعالى
في قول النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به والحج ايضا مضاف اليه تعالى في الاية واتموا الحج والعمرة لله وكما دل النقل على هذا الاختصاص فالعقل
ايضا يدل على ذلك اما الصوم فلانه عبادة لا يطلع عليها الا الله سبحانه وهو مع ذلك شاق على النفس جدا واما الحج فلانه عبادة لا يطلع العقل
البتة على وجوه الحكمة فيها وهو مع ذلك شاق جدا لانه يوجب مفارقة الاهل والولد ويقتضي التباعد من اكثر اللذات والاستمتاعات فكل منهما ابوي
به الا المحض ابتغاء مرضاة الله تعالى ثم ان هذا الصوم بعضه واقع في زمان الحج فيكون جمعا بين شقتين وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال
من مشقة الى مشقة والاجر على قدر النصب فلا جرم وصفه الله تعالى بالكمال في باب العبادة والتنكير في اللفظ ايضا يؤيد ذلك زادنا الله اطلاعا على
لطائف قرانه العظيم ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واختلف العلماء في ان المشار اليه ماذا فقال ابو حنيفة واصحابه انه اشارة الى التمتع
وما ترتب عليه لانه ليس للبعض اولى من البعض فيعود الى كل ما تقدم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام وقال الشافعي بل عوده الى الاقرب اولى وهو
الحكم بوجوب الهدي على المتمتع وايضا قوله فمن تمتع عام يشمل الحرمي والميقاتي والافاقي وايضا انه تعالى شرع القران والمتعة ابانة لنسخ ما كان عليه اهل
الجاهلية في تحريمهم العمرة في اشهر الحج والنسخ يثبت في حق الناس كافة ويتفرع على مذهب ابي حنيفة ان من تمتع او قرن من حاضري المسجد الحرام كان عليه
دم وهو دم جناية لا ياكل منه وعلى مذهب الشافعي انه يصح تمتعهم وقرانهم ولا يجب عليهم شيء فان لزوم الهدي على الافاقي بسبب انه احرم في الميقات
عن العمرة ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه جبر الخلل بدم والمكي لا يجب عليه ان يحرم عن الميقات فلو خلا في حجه تمتع وقران او افراد فلا يلزمه الهدي
ولا بدله ثم اختلفوا في حاضري المسجد الحرام فعن مالك انهم اهل مكة واهل ذي طوى وعن طاوس هم اهل الحرم وعن الشافعي هم الذين يكونون على اقل
من مسافة القصر من مكة فان كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين وبه قال احمد وعن ابي حنيفة انهم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة والمواقيت
ذو الحليفة وهي على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة لاهل الشام ومصر والمغرب على خمسين فرسخا من مكة ويلملم من توابع اليمن
وقرن لنجد الحجاز وذات عرق من قبل المشرق لاهل العراق وخراسان وكل هذه الثلثة من مكة على مرحلتين فهذه هي المذاهب وعمدتها ان الاية مذهب
مالك ان اهل مكة هم الذين يحضرون المسجد الحرام لا الاخرون الشافعي قال قد يطلق المسجد الحرام على الحرم قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
ورسول الله صلى الله عليه وسلم اسري به من الحرم لا من المسجد وقد يقال حضر فلان فلانا اذا دنا منه ومن كان مسكنه دون مسافة القصر فهو قريب نازل منزلة
المقيم في نفس مكة وفي مذهب ابي حنيفة بعد فانه يؤدي الى اخراج القريب من الحاضرين وادخال البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم ان مسافة
القصر معتبرة من نفس مكة او من الحرم الاعرف هو الثاني لما قلنا ان مسجد الحرام يراد به جميع الحرم قال الفراء ذلك لمن لم يكن معناه ذلك الفرض
الذي هو الدم او الصوم لازم على من لم يكن من اهل مكة كقوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء اي عليهم وذكر حضور الحرم لان الغالب على الرجل انه يسكن حيث
اهله ساكنون فاتقوا الله في محافظة حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن تهاون بحدوده قال ابو مسلم
العقاب والمعاقبة سيان واشتقاقهما من العاقبة كانه يراد عاقبة فعل السيء كقول القائل لتذوقن عاقبة فعلك التاويل حج الخواص حج رب البيت و
شهوده وهذه سيرة ابراهيم عليه السلام كما قال اني ذاهب الى ربي ولكنه احصر في السماء السابعة فلا جرم اهدى باسمعيل ولما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم كان ذهابه بالله ما احصر
شيء فقال له واتموا الحج والعمرة لله وجرى ما جرى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم قال لامته اسعوا في اتمام صورة الحج
بقدر استطاعتكم وفي الحقيقة بان تخرجوا من وجودكم فان احصرتم بما عند النفس من الهوى او بملال القلب او بكلال الروح باستيلاء الاحوال وبقي
الامال فما استيسر من الهدي اعلاها الروح واوسطها القلب وادناها النفس هكذا كان الاحصار به ولا تحلقوا اي لا تشتغلوا بغير الله حتى تبلغوا المقصد
فان عرض مرض في الارادة او يعلوه اذى من المزاحمات من غير فترة من نفسه فلم يجد بدا من الاناخة بفناء الرخص فليجتهد ان يتدارك بالفدية فقد
قيل من اقبل على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله والصيام هو الامساك عن المشارب والصدقة الخروج عن المعلوم والنسك
ذبح النفس في مقاساة الشدايد فاذا امنتم الاحصار واقبل الجد الصاعد والزمان المساعد فمن تمتع بالعمرة الى الحج واستراح في الطلب فما استيسر
من الهدي من ترك مشارب الروح والقلب والنفس فمن لم يجد اي لم يستطع ترك تلك المشارب لعلو شانها وعظم مكانها فعليه الامساك عن مشارب
القوى الثلث المدركة للمعاني المتصرفة فيها وهي الوهم والحافظة والمخيلة هذا اذا كان في عالم المعنى فاذا رجع الى عالم الصورة امسك عن القوى السبع ما

وهي الحس المشترك والخيال لان الاولى مدركة الصور والثانية معينة لها على الحفظ وبعدها الحواس الخمس الظاهرة تلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة والباطنة
ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب الانس لا يخاطب لا يعاتب وانما يلزم العتب والطلب للسالك والسائر فاذا وصل فقد
استراح فاتقوا ان تسكنوا في فترة او وقفة وتركوا الى المشرب من هذا المشارب فاعلموا ان الله شديد العقاب للغافلين عن هذا الخطاب القانعين بدله الحجاب

**الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا**

حج کرده شود در ماههای چند شناخته پس هر که واجب کرد بر خود حج را پس جماع نکند و گناه نکند و دشمنی نکند در حج و هر چه را که بکنید از خوبی میداند او را خدا و توشه بردارید

**فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات**

پس بدرستی بهترین توشه پرهیزگاریست و بپرهیزید مرا ای صاحبان خرد نیست بر شما حرجی اگر جوئید خوشی کنید زیادتی را از پروردگارتان بر گشتید از عرفات

**فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس**

پس یاد کنید خدا را در نزد مشعر الحرام و یاد آورید او را بجهت آنکه هدایت کرد شما را و اگر چه پیش از آن بودید هر آینه از گمراهان پس مراجعت کنید از آن طرف که مراجعت کردند مردم

**واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من**

و طلب آمرزش کنید از خدا که خدا آمرزنده و مهربانست پس چون ادا کردید مناسک خود را پس یاد آورید خدا را چون یاد کردنتان پدرانتان را یا سخت تر پس از مردمان کسی است که

**يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة**

میگوید پروردگارا بده ما را در دنیا و نیست او را در آخرت هیچ بهره و از ایشان کسی است که میگوید پروردگارا بده ما را در دنیا خوبی و در آخرت

**حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في ايام معدودات**

خوبی و نگاه دار ما را از عذاب آتش آن گروه مر ایشانراست بهره از آنچه کسب کردند و خدا زود محاسبه است و یاد آورید خدا را در روزهای شمرده شده

**فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون**

پس هر که شتابد در دو روز پس نیست گناهی بر او و هر که پس اندازد پس نیست گناهی بر او مر کسی را که پرهیزد و بپرهیزید خدا را و بدانید که شما بسوی او گرد آیید

القراءة فلا رفث ولا فسوق بالرفع فيهما
ابو عمرو ويعقوب وابن كثير ويزيد زاد يزيد لا جدال بالرفع الباقون بفتح الثلثة وكذلك يروى الشطوي من طريق الحسن الهاشمي واتقون بالياء في الحالين
سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل بالياء ومن تاخر روى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش والشموني
وحمزة في الوقف بالتليين الوقوف معلومات في الحج ط يعلمه الله ط التقوى ز للعارض بين الجملتين المتفقتين الالباب من ربكم ط لان اذا اجيب
بالفاء فكانت شرطا في ابتداء حكم اخر الحرام ص لعطف المتفقتين هداكم ج لان الواو يصلح حالا واستينافا الضالين واستغفروا الله ج رحيم
ذكرا ط من خلاق النار مما كسبوا ط الحساب نصف الجزء معدودات ط لان الشرط في بيان حكم اخر عليه لا ولج لابتداء شرط اخر مع العطف عليه
الثانية لا لتعلق اللام اتقى ط لاختلاف النظم تحشرون التفسير من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالتقدير اشهر الحج او وقته اشهر معلومات كقولك
البلد شهران والحج اشهر معلومات اي لا حج الا فيها خلاف ما كان عليه اهل الجاهلية من النسيء وقيل يمكن ان يقال جعل الحج نفس الاشهر كما في
قولهم ليل قائم ونهار صائم واتفق المفسرون على ان شوال وذا القعدة من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير ومالك كله لان اقل
الجمع ثلثة وقد يفعل الانسان بعد النحر ما يتصل بالحج من رمي الجمار ونحوه والمراة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذي لا بد منه الى ايام بعد الشهر وعن
هنا ذهب عروة الى جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر وعن ابي حنيفة عشر ذي الحجة وهو قول ابن عباس وابن عمر والنخعي والشعبي ومجاهد والحسن قالوا لفظ
الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما او نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما رآه في ساعة منها ورمي الجمار
يفعله الانسان وقد حل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحائض اذا طاف بعده فهو في حكم القضاء وانما قلنا ان يوم النحر من
اشهر الحج لانه وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وعن الشافعي التسعة الاولى من ذي الحجة
مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر ولا يفوت العبادة مع بقاء وقتها قيل انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت للحج في قوله قل هي مواقيت للناس
والحج وفي هذه الاية جعل وقت الحج اشهر معلومات واجيب بان تلك الاية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واول الميقات علامة الوقت
فلولا الاهلة لم يعلم مدخل كل شهر على التعيين فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات
الحج من حيث انها تؤذن بما بقي من السنة الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقتا للحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما يكون في السنة مرة واحدة
في اشهر معينة من شهورها ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا واحالهم في معرفة تلك الاشهر على ما كانوا علموه قبل نزول هذا الشرع وعلى
هذا فهذا الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء موافقا مقررا والمراد انها معلومات ببيان الرسول والمراد انها موقتة باوقات
معينة لا يجوز تقديمها وتاخيرها كما يفعله اصحاب النسيء ثم ان الشافعي استدل بالاية على انه لا يجوز لاحد ان يهل بالحج قبل اشهر الحج وبه قال
احمد واسحق وطاوس وايضا الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة وايضا الخطبة في صلوة الجمعة لا يجوز قبل الوقت لانها اقيمت
مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى وايضا الاحرام لا يبقى صحيحا لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء فلان

لا ينعقد



لا ينعقد صحيحا لاداء الحج قبل الوقت اولى لان البقاء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله تعالى قل هي
مواقيت للناس والحج والجواب ما مر قالوا الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه قبل الوقت كالنذر والجواب الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر
للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور لا يعقد مبتداء واما الاحرام مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فلا
جرم افتقر الى الوقت قالوا اشتهر من كابر الصحابة انهم قالوا من اتمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله وقد يبعد داره بعدا شديدا يحتاج الى ان يحرم
قبل شوال والجواب ان النص لا يعارضه الاثر على انه يمكن تخصيصه لا بزمان حق من لا يكون داره بعيدا فمن فرض فيهن الحج من الزم نفسه في هذه الشهور
ان يحج وبماذا يحصل هذا الالزام المسمى بالاحرام انه يحرم به عليه اشياء كانت حلالا له قال الشافعي انه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى
التلبية نعم لها سنة عند النية وبه قال احمد ومالك لقوله تعالى فمن فرض وفرض الحج على النية ادل منه على التلبية وسوق الهدي وفرض الحج موجب لانعقاد
الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال عليه السلام لكل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة ليس في اخرها ولا في اثنائها نطق واجب
فكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط لانعقاد الاحرام لاطباق الناس على الاعتناء به عند الاحرام الا ان سوق الهدي
وتقليده والتوجه معه يقوم مقام التلبية وعن ابن عمر انه قال اذا قلد واشعر فقد احرم وعن ابن عباس قلد الهدي وصاحبه يريد العمرة او الحج فقد
احرم وروى ابو منصور الماوردي في تفسيره عن عائشة انها قالت لا يحرم الا من اهل ولبى وايضا ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية
كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا نكره الزيادة
على هذا روي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغباء اليك والعمل فان راى شيئا يعجبه قال لبيك ان
العيش عيش الاخرة ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا حقا تعبدا ورقا قال الشافعي في اصح قوليه الافضل ان
ينوي ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي انه صلى الله عليه وسلم لم يهل حتى انبعثت به دابته قال امام الحرمين ليس
المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت به راحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله
مني ولبى ان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة ولبى والقول الثاني وبه قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل ان ينوي
ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم ياخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير
التلبية في دوام الاحرام مستحب قائما كان او قاعدا راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا اعجاز فيه فاشبه التسبيح قال عليه السلام لعائشة
حين حاضت افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال من قرا بفتح الثلثة او برفعها فلا اشكال
ومن قرا برفع الاولين وفتح الاخير فقيل لان الاولين محمولان على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف
في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة
وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج ومما يستدل على ان المنهي عنه هو
الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد
من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق ولذلك قرئ كذلك اما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل
يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش ويؤدي الى العداوة والبغضاء
فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما ان القراءة تفيد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها
واما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع افراد الماهية بل يجوزه فيكون الفتح ادل على عموم المنفي اما الرفث فعن ابن عباس هو الجماع وله في العمرة وفي الحج
نتائج منها افساد النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع
قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوف ولكن
يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين فلا اثر له في الفساد على الصحيح عن مالك واحمد انه يفسد ما بقي شيء من احرامه ويفسد العمرة ايضا بالجماع قبل
حصول التحلل ووقت التحلل عنها بعد الفراغ عن الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا
ذلك اذا طاف وسعى وحلق وللحج تحللان وذلك انه اذا اتى باثنين من الرمي في النحر والحلق والطواف اعني الرمي والحلق او الرمي والطواف حصل التحلل الاول
وهو اباحة جميع المحظورات من التطيب والقلم ولبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه لا يحل الا بالاتيان بالامر الثالث فاذا اتى به حل
الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال الائمة الحج يطول زمانه ويكثر اعماله بخلاف العمرة فابيح بعض محظوراته دفعة وبعضها اخرى قال عليه السلام اذا رميتم
وحلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواط واتيان البهيمة في الافساد كالوطء في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيهما
ولمالك في اتيان البهيمة ثم سائر العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويصير الشخص بالفساد خارجا منها لكن الحج والعمرة وان فسدا يجب المضي
فيهما وذلك باتمام ما كان يفعله لولا عروض الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل ومن نتائج
الفساد الكفارة يستوي فيها الحج والعمرة وخصالها خمس على الترتيب بدنة ان وجدها لان الصحابة نصوا على البدنة والا فبقرة والا قومت البدنة

دراهم لداهم طعاما فان لم يجد الطعام صام عن كل مد يوما ومن ابتاع القضا باتفاق لما روينا من كبار الصحابة وقضى من قابل سواء كان المقضى عنه فرضا او تطوعا فان القضا واجب واصح الوجهين في القضا انه على الفور لا على التراخي لانه لزم وتضيق بالشروع ويدل عليه ظاهر قول الصحابة وقضى من قابل وكذا الكلام فيمن ترك الصوم والصلوة بعد ان على الاشبه ان جواز التاخير نوع ترفيه وتخفيف والمتعدى لا يستحق ذلك ولو كانت المراة محرمة نظر ان جامعها وهي نائمة او مكرهة لم يفسد حجها والا فسد لكن لا يجب على اصح القولين الا بدنة واحدة عنهما جميعا واذا افسد حجه بالجماع ثم جامع ثانيا فان لم يفد عن الاول لزم بدنة اخرى وان فدى لم يلزم الا شاة وعن الحسن الرفث كل ما يتعلق بالجماع فليس للمحرم التقبيل بالشهوة ولا المباشرة فيما دون الفرج فلو باشر شيئا منها عمدا فالفدية روى عن علي وابن عباس انهما اوجبا بالقبلة شاة وان كان ناسيا لم يلزمه شيء ولا يفسد شيء من مقدمات الجماع الحج ولا يوجب البدنة بحال سواء انزل او لم ينزل وبه قال ابو حنيفة وعند مالك يفسد الحج اذا انزل وهو اظهر الروايتين عن احمد وقيل الرفث باللسان ذكر المجامعة وما يتعلق بها والرفث باليد اللمس للغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث هو قول الخنى والفحش لقوله صلعم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم وعن ابي عبيدة الرفث الافحاش وعنه الرفث اللغو في الكلام واما الفسوق فهو الخروج عن الطاعة وحدود الشريعة فيشمل كل المعاصي قال تعالى ففسق عن امر ربه وقيل هو التنابز بالالقاب والسباب قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقال صلعم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقيل الايذاء والاخافة ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم وعن ابن زيد هو الذبح للاصنام ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وقيل الرفث هو الجماع ومقدماته مع الحليلة والفسوق ذلك مع الاجنبية واما الجدال فانه فعال من المجادلة واصله من الجدل الفتل كان كل واحد من الخصمين يروم ان يفتل صاحبه عن رايه واختلف المفسرون فيه فعن الحسن هو الجدال الذي يفضي الى السباب والتكذيب والتجهيل وانه واجب الاجتناب في كل حال الا انه مع الرفقاء وفي الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة وقال محمد بن كعب القرظي ان قريشا كانوا اذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم حجنا اتم وقال اخرون بل حجنا اتم فنهاهم الله عز ذلك وقال مالك في الموطا الجدال في الحج ان قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة بقزح وانه جبل هناك وغيرهم يقفون بعرفات وكل من الفريقين يقول نحن اصوب وقال القاسم بن محمد كانوا يجعلون الشهر على العد فيختلفون في يوم النحر بسبب ذلك فبعضهم يقولون هذا يوم عيد ويقول اخرون بل غدا وكانه قيل لهم قد بينا لكم ان الاهلة هي مواقيت الحج فاستقيموا على ذلك ولا تجادلوا فيه قال القفال ويدخل في هذا النهي ما جادلوا فيه رسول الله صلعم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق ذلك عليهم وقالوا نروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا فقال صلعم لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمرة فتركوا الجدال وقال عبد الرحمن بن زيد جدالهم في الحج تخالفهم في انه المصيب مقام ابرهيم وقيل انه النهي هو اعن ذلك فان الزمان قد عاد الى ما كان عليه الحج في زمن ابرهيم صلعم قال القاضي ابو بكر الباقلاني لو حمل النفي في الالفاظ الثلثة على الخبر وجب ان يحمل الرفث على الجماع والفسوق على الزنا والجدال على الشك في الحج ليصح خبر الله تعالى بان هذه الاشياء لا توجد مع الحج المعتبر وان حملنا الكلام على النهي صح ان يراد بالرفث الجماع ومقدماته وقول الفحش وبالفسوق جميع انواعه وبالجدال جميع اصنافه فعلى هذا يكون في الاية بعث على الاخلاق الحميدة والاداب الحسنة وبالحقيقة لا رفث نهي عن طاعة القوة الشهوية التي توجب الانهماك في الفجور ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية الداعية الى التمرد والاستعلاء ولا جدال منع من الى تحكم القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الخلاف في ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه فمنه نشأ الاراء المتخالفة والاهواء المتضادية والعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة واعلم ان الجدل ليس منهيا عنه بجميع اقسامه وانما المذموم منه هو الذي منشاه صرف العصبية ومحض المراء لتنفيذ الاراء الزائفة وتحصيل الاغراض الزائلة والاغراض الفاسدة واما الذب عن الدين القويم والدعاء الى الصراط المستقيم والزام الخصم الالد وافحام المعاند اللجوج بمقدمات مشهورة واراء محمودة حتى يستقر الحق في مركزه ويضمحل صولة الباطل ويركد ريحه فمامور به في قوله عز من قائل وجادلهم بالتي هي احسن وانه احد شعب البيان وقد يكون انجع من قاطع البرهان وما تفعلوا من خير يعلمه الله لم يتعرض لمقابل الخير وان كان عالما به ايضا لنكتة هي انه اذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته واذا علمت منك ضده اخفيته وسترته لتعلم انه اذا كانت رحمتي بك هكذا في الدنيا فكيف يكون في العقبى وفيه ترغيب للمطيعين وايذان بانهم من المحسنين الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والعبد الصالح اذا علم اطلاع مولاه على سرائره وخفاياه اجتهد في اداء ماامره واحترز عن ارتكاب ما نهاه ومن غاية عنايته حثهم على الخير بعد ما نهاهم عن الشر ليستعملوا مكان الرفث التقى وبدل الفسوق رعاية الحقوق ومقام الجدال والشقاق الوفاق مع الرفاق تتميما لمكارم الاخلاق وتنبيها على شرف النفس وطيب الاعراق بدليل قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبائح فان ذلك خير الزاد وليس السفر من الدنيا اهون من السفر في الدنيا وهذا لا بد له من زاد فكذا ذلك بل يزداد فان زاد الدنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم وزاد الاخرة ينجيك من عذاب ابدي معلوم زاد الدنيا يوصلك الى متاع الغرور وزاد الاخرة يبلغك دار السرور زاد الدنيا سبب حصول حظوظ النفس وزاد الاخرة سبب الوصول الى عتبة الجلال والقدس:

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله ... وانك لم ترصد كما كان ارصدا

وقيل نزلت في ناس من اليمن كانوا يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ثم كانوا يسالون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم فامرهم الله سبحانه ان يتزودوا ما يتبلغون به فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال





وانفسكم عن الظلم وفيه دليل على ان القادر على استصحاب الزاد في السفر اذا لم يستصحب عصى الله في ذلك ففيه ابطال حكمة الله تعالى ورفع الوسائط والروابط التي عليها يدور المناهج وبها ينتظم المصالح روى ان بعض العارفين زهد حتى بلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسئل احدا شيئا حتى ياتيني رزقي فاخذ يسيح فاقام في سفح جبل سبعا لم ياته شيء حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة واقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ارزق العباد بايدي العباد احب الي من ان ارزقهم بيد القدرة وقيل في الاية حذف اي تزودوا لعاجل سفركم وللاجل فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب وخافوا عقابي وفيه تنبيه على كمال عظمته كقوله انا ابو النجم وشعري شعري يا اولي الالباب يعني ان قضية العقل تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في التحقيق ولما منع عن الجدال اختلج في قلب المكلف شبهة ان التجارة لكونها مفضية في الاغلب الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان تكون منهية وايضا انها كانت محرمة في الجاهلية وقت الحج وانه امر مستحسن ظاهرا لان المشتغل بخدمة الله تعالى يجب ان لا يتلوث بالاطماع الدنيوية وايضا كان من الممكن ان يقاس التجارة على سائر المباحات من الطيب والمباشرة والاصطياد في كونها محظورة بالاحرام فلدفع هذه الشبهة نزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تطلبوا فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا او زيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها كقوله واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وعن ابي مسلم انه حمل الاية على ما بعد الحج قال والتقدير واتقون في كل افعال الحج ثم بعد ذلك ليس عليكم جناح ان تبتغوا كقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وزيف بان حمل الاية على موضع الشبهة اولى من حملها لا على موضع الشبهة ومحل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج واما بعد الفراغ فالحل معلوم وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة اعمالها متصلة فلا يحل في اثنائها التشاغل بغيرها واعمال الحج متفرقة فيحتمل التجارة في خلالها وايضا الفاء في قوله فاذا افضتم ظاهر في ان هذه الافاضة حصلت عقيب ابتغاء الفضل وذلك يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج وقال ابن عباس في سبب نزول الاية كانوا ياثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر بالغوا في الكف عن البيع والشرى فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج للتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ومعنى الداج الاعوان والمكارون من الدجيج وهو الدبيب في السير قال ابن السكيت لا يطلق الحجيج الا اذا كان جماعة ولا يقال ذلك للواحد وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم كانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الحرج من العلو انه انما يباح ما لم يشتغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه يعني في طريق الحج وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سئل رجل رسول الله صلعم عما سئلت عنه فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل هل انتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وعن جعفر الصادق ان ابتغاء الفضل هاهنا طلب اعمال اخر زائدة على اعمال الحج موجبة لفضل الله تعالى ورحمته كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع وارواء العطشان واعلم ان الفضل ورد في القران بمعان منها ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال والغذاء واللباس وهو المسمى بالرزق فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو الفضل والثواب والجنة والرحمة تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ومنها ما يتعلق بمواهب القربة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان فضل الله عليك عظيما ورفع الجناح قد يستعمل في الواجب والمندوب مثل ما يستعمل في المباح كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما فاذا افضتم اي دفعتم بكثرة ومنه فاضة الماء وهو صبه بكثرة والتقدير افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات جمع عرفة وكلاهما علم للموقف كان كل قطعة من تلك الارض عرفة فسمي مجموع تلك القطعة بعرفات كما قيل في باب الصفة ثوب اخلاق وبرمة اعشار ثم سئل هلا امتنعت الصرف وفيها سببان التعريف والتانيث فقيل انه لم يبق علما بعد ما جمع ثم جعل علما للمجموع القطع فتركوها بعد ذلك على اصلها في الصرف وقيل ان هذا التنوين تنوين المقابلة في نحو مسلمات ومن ذهب الى ان تنوين المقابلة لا وجه له كجار الله وكثير من المتاخرين وان هذا التنوين تنوين الصرف قالوا انما لم يسقط لان التانيث في نحو مسلمات وعرفات ضعيف فان التاء التي هي لمحض التانيث سقطت والباقية علامة لجمع المؤنث وزيف بان عرفات مؤنث وان قلنا انه لا علامة تانيث فيها لا متمحضة للتانيث ولا مشتركة لانه لا يعود الضمير اليها الا مؤنثا تقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه الا بتاويل بعيد كما في قوله ولا ارض ابقل ابقالها فتانيثها لا تقصر عن تانيث مصر الذي هو بتاويل البقعة وقال بعض المتاخرين الاولى ان يقال ان التنوين للصرف وانما لم يسقط في نحو من عرفات لانه لو سقط لتبعه الكسر في السقوط وتبع النصب وهو خلاف ما عليه الجمع السالم اذ الكسر فيه متبوع لا تابع فهو فيه كالتنوين في غير المنصرف للضرورة لم يحذف المانع منه مع انه جوز المبرد والزجاج هاهنا مع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسر كبيت امرئ القيس في رواية شعر:

تنورتها من اذرعات واهلها ... بيثرب ادنى دارها نظر عال

وبعضهم يفتح التاء في مثله مع حذف التنوين كسائر ما لا ينصرف وعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف والاشهر بقاء التنوين مثله مع العلمية وقيل التنوين عوض من منع الفتحة واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية واليوم التاسع يسمى يوم عرفة وعرفة هي الموضع المخصوص فقيل التروية التفكر وسببه ان ادم لما امر ببناء البيت فبناه تفكر فقال يا رب ان لكل عامل اجرا فما اجري على هذا العمل

لك ذنوبك بأول شرط من طوافك قال يا رب زدني قال اغفر لك ولذلك اذا طاف ثانية قال زدني فقال اغفر لكل من استغفر له الطائفون موحداً ولا ذلك قال حسبي
حسبي وقيل ان ابرهيم عليه السلام رأى في منامه ليلة التروية كأنه يذبح ابنه فأصبح متفكراً أهذا من الله أو من الشيطان فلما رآه ليلة عرفة يؤمر به أصبح فقال عرفت
يا رب أنه من عندك وقيل ان أهل مكة يخرجون يوم التروية الى منى فيتروون في الادعية التي يذكرونها في الغد بعرفات وقيل التروية الارواء فان أهل مكة
كانوا يجمعون الماء للحجيج الذين يقصدونهم من الآفاق فيسعون في الماء بعدما تعبوا في الطريق من قلة الماء أو لأنهم يتزودون الماء الى عرفة أو لأن
المذنبين كالعطاش وردوا بحار الرحمة فشربوا منها حتى رووا وأما يوم عرفة فقيل انه من المعرفة لأن آدم وحواء التقيا بعرفة فعرف أحدهما صاحبه عن
ابن عباس أو لأن جبرئيل عليه السلام علم آدم مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له أعرفت قال نعم أو لأن ابرهيم عليه السلام عرفها حين رآها بما تقدم من النعت والصفة عن
علي عليه السلام وابن عباس وعطاء والسدي أو لأن جبرئيل عرفها ابرهيم المناسك وقد مر في قوله وأرنا مناسكنا أو لأن ابرهيم وضع ابنه اسمعيل وأمه هاجر بمكة ورجع
الى الشام ولم يلتقيا سنين ثم التقيا يوم بعرفات وقد سبقت القصة في بناء البيت في قوله وإذ يرفع ابرهيم القواعد ولما ذكرنا انها من منام ابرهيم أو لأن
الحاج يتعارفون فيه اذا وقفوا أو لأنه تعالى يتعرف فيه الى الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل اشتقاقها من الاعتراف لأن الناس يعترفون هنالك بالربوبية
والجلال ولأنفسهم بالفقر والاختلال الحال يقال ان آدم عليه السلام وحواء لما وقفا بعرفات قالا ربنا ظلمنا أنفسنا فقال الله سبحانه الآن عرفتما أنفسكما و
قيل من العرف وهو الرائحة الطيبة لأن المذنبين يكتسبون بالمغفرة روائح طيبة عند الله مقام ضدها قال عليه السلام خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك
وقد يسمى يوم عرفة يوم اياس الكفار من الاسلام ويوم اكمال الدين ويوم اتمام النعمة ويوم الرضوان أخذاً من قوله تعالى في المائدة اليوم يئس الذين كفروا
من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً عن عمر وابن عباس نزلت هذه الآية عشية
يوم عرفة وكان يوم جمعة والنبي عليه السلام واقف بعرفة في موقف ابرهيم عليه السلام في حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال النبي لو يعلم الناس ما لهم
في هذه الآية لقرت أعينهم وقال يهودي لعمر لو أن هذه الآية أنزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال عمر أما نحن جعلناه عيدين وكان ذلك يوم
عرفة ويوم جمعة يوم صلة الواصلين اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي يوم قطيعة القاطعين ان الله بريء من المشركين ورسوله يوم اقالة
عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا أنفسنا يوم وفد الوافدين في الخبر الحاج وفد الله والحاج زوار الله وحق على المزور الكريم أن يكرم
زائره يوم الحج الاكبر وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر يوم خص صومه بكثرة الثواب قال عليه السلام صوم يوم التروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة
كفارة سنتين قال من صام يوم التروية أعطاه الله مثل ثواب أيوب على بلائه ومن صام يوم عرفة أعطاه الله مثل ثواب عيسى بن مريم أقسم الله
به في قوله عز من قائل والشفع والوتر عن ابن عباس الشفع يوم التروية وعرفة والوتر يوم النحر يوم خص بكثرة الرحمة وسعة المغفرة وعن عائشة ان رسول الله
قال ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة وانه ليدنو ثم يتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء اشهدوا ملائكتي أني
قد غفرت لهم ولا ضير أن نشير ههنا الى أعمال الحج اشارة خفيفة اعلم انه من دخل مكة محرماً في ذي الحجة أو قبله فان كان مفرداً أو قارناً طاف طواف القدوم
وأقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعاً طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته وأقام الى وقت خروجه الى عرفات فحينئذ يحرم من جوف مكة بالحج
ويخرج وكذلك من أراد الحج من أهل مكة والسنة للامام أن يخطب بمكة اليوم السابع من ذي الحجة بعدما صلى الظهر خطبة واحدة يأمر الناس فيها بالذهاب
غداً بعدما صلوا الصبح الى منى ويعلمهم تلك الاعمال ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى فيصلون بها مع الامام الظهر
والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة أن لا يدخلوها بل يضرب قبة الامام
بنمرة روي ان النبي عليه السلام مكث حتى طلعت الشمس ثم ركب وأمر بقبة من شعر أن يضرب له بنمرة فنزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يبين
لهم مناسك الحج ويحرضهم على اكثار الدعاء والتهليل بالموقف وبعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية والمؤذنون يأخذون في الاذان
معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذنين من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلي بهم الظهر ثم يقيمون في الحال فيصلي بهم العصر وهذا
الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون عند الصخرات لأن النبي وقف هناك واذا وقفوا استقبلوا القبلة و
يذكرون الله تعالى ويدعونه الى غروب الشمس والوقوف ركن لا يدرك الحج الا به ومن فاته ذلك فقد فاته الحج لقوله عليه السلام الحج عرفة من فاته عرفة فقد فاته الحج
وقد يستدل بالآية أيضاً على ذلك لأنها دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات والافاضة من عرفات لا يتصور الا بعد الحصول بعرفات
وجمهور الفقهاء على ان الوقوف بالمشعر الحرام ليس بركن لأنه تعالى أمر بالذكر عنده فالوقوف به تبع لا أصل بخلاف الوقوف بعرفة لأنه جعله أصلاً حيث
لم يقل فاذا أفضتم عن الذكر بعرفات ووقت الوقوف يدخل بزوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة
واذا حضر الحاج هنالك في هذا الوقت لحظة واحدة من ليل أو نهار كفى وقال أحمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر واذا
غربت الشمس دفع الامام من عرفات وأخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بالمزدلفة قيل سميت بها لأنهم يتقربون فيها من منى والازدلاف القرب
وقيل لأن الناس يجتمعون بها والازدلاف الاجتماع وقيل لأنهم يزدلفون الى الله أي يتقربون بالوقوف فيها ويقال للمزدلفة جمع لأنه يجمع فيها بين صلوتي المغرب
والعشاء عن قتادة وقيل لأن آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها أي دنا منها ثم اذا أتى الامام المزدلفة جمع بين المغرب والعشاء باقامتين ثم يبيتون
بها فان لم يبت بها فعليه دم شاة فاذا طلع الفجر صلوا الصبح بغلس والتغليس بالفجر ههنا أشد استحباباً منه في غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح أخذوا

منها



منها الحصى للرمي يأخذ كل انسان سبعين حصاة ثم يذهبون الى المشعر الحرام وهو جبل يقال له قزح فيرقى فوقه ان أمكنه أو وقف بالقرب منه ان أمكنه ويحمد الله
ويهلله ويكبره ولا يزال كذلك حتى يسفر جداً ثم يدفع قبل طلوع الشمس ويكفي المرور كما في عرفة ثم يذهبون منه الى وادي محسر فاذا بلغوا بطن محسر فمن كان
راكباً يحرك دابته ومن كان ماشياً يسعى سعياً شديداً قدر رمية حجر فاذا أتى منى رمى جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية اذا ابتدأ بالرمي ثم
بعدما رمى جمرة العقبة ذبح الهدي ان كان معه هدي وذلك سنة لو تركه لا شيء عليه لأنه ربما لا يكون معه هدي ثم بعدما ذبح الهدي يحلق رأسه أو يقصر
ثم بعد الحلق يأتي مكة ويطوف بالبيت طواف الافاضة وهو الركن ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد ذلك يعود الى منى في بقية يوم النحر
وعليهم البيتوتة بمنى ليالي التشريق لأجل الرمي واعلم ان من مكة الى منى فرسخين ومن منى الى عرفات فرسخين والمزدلفة متوسطة بين منى وعرفات منها
الى كل واحد منهما فرسخ ولا يقفون بها في سيرهم من منى الى عرفات والحاصل ان أعمال الحج يوم النحر ان يعودوا الى منى بعد رمي جمرة العقبة والذبح و
الحلق والتقصير والطواف طواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة أيضاً لأنهم يأتون من منى زائرين للبيت ويعودون في الحال والترتيب في الاعمال الاربعة
على النسق المذكور مسنون وليس بواجب أما انه مسنون فلأن النبي عليه السلام كذلك فعلها وأما انه ليس بواجب فلما روي عن عبد الله بن عمرو قال وقف رسول الله
بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله اني حلقت قبل أن أرمي قال ارم ولا حرج وأتاه آخر فقال اني ذبحت قبل أن أرمي قال ارم ولا
حرج وأتاه آخر فقال اني أفضت الى البيت قبل أن أرمي فقال ارم ولا حرج فما سئل عن شيء قدم أو أخر الا قال افعل ولا حرج وعن مالك وأحمد وأبي حنيفة
ان الترتيب بينها واجب ولو تركه فعليه دم على تفصيل ليس ههنا موضع بيانه ثم ان أهل الجاهلية كانوا قد غيروا مناسك الحج من سنة ابرهيم عليه السلام وذلك
ان الحمس كانوا لا يقفون بعرفات يقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون
قبل أن تغرب الشمس والذين يقفون بمزدلفة يفيضون اذا طلعت الشمس ويقولون أشرق ثبير كيما نغير أي نسرع للنحر وقيل أي ندفع من مزدلفة فندخل
في غور الارض وثبير جبل هناك فأمر الله تعالى نبيه عليه السلام بمخالفة القوم في الدفعتين يأمره بأن يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وبأن يفيض من
المزدلفة قبل طلوع الشمس فان السنة أيضاً من قبل الوحي قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعالى بذلك لأن الصلوة والمقام والمبيت به والدعاء
عنده وقال في الكشاف المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة أي يوقد هناك النار في الجاهلية قال وقيل المشعر الحرام ما بين
جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي عليه السلام لما صلى الفجر بالمزدلفة بغلس
ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفاً حتى أسفر وقال عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريباً منه وذلك للفضل كالقرب من
جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر وسمي المشعر لأنه معلم العبادة ووصف
بالحرام لحرمته وأما الذكر المأمور به هناك فقيل هو الجمع بين صلوتي المغرب والعشاء والصلوة تسمى ذكراً قال تعالى وأقم الصلوة لذكري والدليل عليه
ان فاذكروا أمر فهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك الا هذا والجمهور على ان المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال
لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هداكم ما مصدرية أو كافة أطلق الامر بالذكر أولاً ثم قيده ثانياً والمعنى اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم
هداية حسنة كي تكونوا شاكرين والهداية اما كل أنواع الهدايات والهداية الى سنة ابرهيم في مناسك الحج أو اذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا
عنه بحسب الرأي والقياس فان أسماء الله تعالى توقيفية أو الذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثاني على الذكر بالقلب والمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم
بهدايته أو المراد بتثنيته الامر تكرره وتكثيره كقوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وعلى هذا فيكون قوله كما هداكم متعلقاً بالامرين جميعاً أو
الذكر الاول مقيد بأنه عند المشعر الحرام والثاني مطلق بل يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال فالاول أمر بالوظيفة الشرعية والثاني ارتقاء
الى معارج الحقيقة وهو أن ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام أو المراد بالاول الجمع بين الصلوتين هناك وبالثاني
التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله من قبل الهدى أو من قبل الرسول أو من قبل انزال الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون
كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ثم أفيضوا في هذه الافاضة قولان أحدهما انه الافاضة
من عرفات وعلى هذا فالاكثرون قالوا انه أمر لقريش وحلفائها وهم الحمس لأنهم كانوا لا يجاوزون المزدلفة ويتعللون بأن الحرم أشرف من غيره فالوقوف
به أولى ولأنهم أهل الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم أن يساووا الناس في الموقف ترفعاً وكبراً وروي ان النبي عليه السلام لما جعل أبا بكر أميراً في الحج أمره باخراج الناس
الى عرفات فلما ذهب مر على الحمس تركهم فقالوا له الى أين وهذا مقام آبائك وقومك فلم يلتفت اليهم ومضى بأمر الله الى عرفات ووقف بها وأمر سائر
الناس الواقفون بعرفات لا من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين وان الافاضة المأمور بها صواب والاخرى خطاء كما تقول أحسن الى
الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه وصيرورة المعنى
فاذا أفضتم من عرفات ثم أفيضوا من عرفات ولا يفيد تقديم هذه الآية على ما قبلها في الوضع ومن القائلين بأن المراد الافاضة من عرفات من قال انه أمر للناس جميعاً
وقوله من حيث أفاض الناس المراد به ابرهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام فان من سنتهما ذلك وروي ان النبي كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس ويخالف الحمس
وايقاع اسم الجمع على الواحد جائز اذا كان رئيساً مقتدى به ان ابرهيم كان أمة الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني أبا سفيان
ووجه ثالث هو أن يكون قوله من حيث أفاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وان ما عداه مبتدع كما يقال هذا مما فعله الناس قديماً

لأنه معلم

في ذكر اللسان وذكر القلب

بالوقوف

فأفيضوا من عرفات

القول الثاني عن الضحاك ان المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث افاض الناس يعني ابرهيم واسمعيل ومتبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس على ما جاء به الرسول صلعم والعرب الذين كانوا واقفين بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع الشمس فامرهم الله تعالى بان يكون افاضتهم من المزدلفة في الوقت الذي كان يحصل فيه افاضة ابرهيم واسمعيل واورد على هذا القول ان استعمال حيث للزمان قليل ويمكن ان يجاب بان القران اولى ما يحتج به عن الزهري ان الناس في هذه الاية ادم ع واحتج بقراءة سعيد بن جبير من حيث افاض الناسي بكسر السين اكتفاء من الياء بالكسرة من قوله فلقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تتركوه واستغفروا الله عما سلف منكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم وليكن الاستغفار باللسان مع التوبة بالقلب هي ان يندم عن كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم ان لا يقصر فيما بعده ابتغاء لمرضاة الله لا للمنافع العاجلة والاستغفار بالحقيقة يجب على كل مكلف وان لم يعلم من ظاهر حاله خطيئة فان النقص لازم الامكان والقصور من خصايص الانسان وكيف لا وقد قالت الملائكة وانهم ارضخ الاما عبدناك حق عبادتك وصورة الاستغفار على ما روى البخاري في صحيحه عن شداد بن اوس ان النبي صلعم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولو اقتصر على قوله استغفر الله كفى ولو زاد فقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك انت التواب الرحيم او قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ذو الجلال والاكرام من كل ذنب اذنبته ومعصية ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذي اعلم ومن الذي لا اعلم كان حسنا ان الله غفور رحيم بناء ان للمبالغة كامر مرارا واختلف اهل العلم في المغفرة الموعودة في هذه الاية فمن قائل انها عند الدفع من عرفات الى جمع بناء على القول الاول في الافاضة ومن قائل انها عند الدفع من جمع الى منى بناء على القول الاخر قوله عز من قائل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من عباداتكم التي امرتم بها في الحج او من اعمال مناسككم اذ المناسك جمع المنسك وانه يحتمل ان يكون مصدرا او ان يكون اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك هو اراقة الدماء عن ابن عباس ان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق يقفون بين مسجد منى وبين الجبل ويذكر كل واحد منهم فضايل ابائه في السماحة والحماسة وصلة الرحم ويتناشدون فيها الاشعار وغرضهم الشهرة والترفع بمآثر سلفهم فلما انعم الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم لا لابائهم ثم الفاء في قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك يوجب هذا الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات بعد الصلوة في ايام النحر والتشريق وقيل هو الاقبال على الدعاء والاستغفار بعد الفراغ من الحج كالادعية المأثورة عقيب الصلوات المكتوبة وقيل معناه فاذا قضيتم مناسككم واذللتم اثار البشرية وقهرتم القوى الطبيعية واطمتم الاذى من طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله فان التخلية ليست مقصودة بالذات وانما الغرض منها التحلية بموجب السعادات الباقيات فالاول نفي والثاني اثبات ومعنى كذكركم اباءكم توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الاباء واقيموا الثنا على الله مقام تعداد مفاخر الاباء فانه ان كان كذبا اوجب الدناءة في الدنيا والعقوبة في العقبى وان كان صدقا استتبع العجب والتباهي وان كانوا يذكرون الاباء ليتوسلوا بذلك الى اجابة الدعاء فالاقبال بالكلية على مولى النعماء اولى مع ان حسنات ابائهم محبطة بسبب شركهم وعن الضحاك والربيع اذكروا الله كذكركم اباءكم وامهاتكم وذلك قول الصبي اول ما ينطق به ابه امه اي كونوا مواظبين على ذكر الله كما يكون الصبي في صغره مواظبا على ذكر ابيه وامه فاكتفى بالاباء عن الامهات كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال ابو مسلم جرى ذكر الاباء مثلا لدوام الذكر والمعنى كما ان الرجل لا ينسى ذكر ابيه فكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله قال ابن الانباري العرب اكثر اقسامها في الجاهلية بالاباء فقال تعالى عظموا الله كتعظيمكم اباءكم وقد نهى رسول الله صلعم عن الحلف بالاباء وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقيل اذكروا الله بالوحدانية كذكركم اباءكم بالوحدانية فان الواحد منكم لو نسب الى والدين تأذى منه واستنكف وقيل كان الطفل يرجع الى ابيه في طلب المهمات وكفاية الملمات فكونوا انتم في ذكر الله كذلك وعن ابن عباس معنى الاية ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا ذكرا بسوء وقوله او اشد ذكرا اما في موضع جر عطفا على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا واما في موضع نصب عطف على اباءكم بمعنى او اشد ذكرا من اباءكم على ان ذكرا من فعل المذكور وهو الاباء لا من فعل الذاكر وهو الابناء فان الذكر بل كل فعل متعد له اعتباران اعتبار وقوعه على المفعول واعتبار صدوره عن الفاعل وذلك الفعل باحد الاعتبارين مغاير له بالاعتبار الاخر وانما لزم اعتبار الفعل ههنا من جهة وقوعه على المفعول لان الاباء المفضل عليهم هم المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان يقال المعنى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم او ذكرا اشد ذكرا ولكن يرد عليه ان افعل انما يضاف الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اي احسن الوجوه فاذا نصب ما بعده كان غير الذي قبله كقولك زيد افره عبدا فالفراهة للعبد لا لزيد والمذكور قبل اشد ههنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما قياسه ان يقال الذكر اشد ذكر جرا اضافة ووجه نصبه على ما قال ابو علي ان يجعل الذكر ذاكرا مجازا او يجوز نسبة الذكر الى الذكر بان يبالغ شأن الذكر فيذكر وكان الذكر قد ذكر لجدته نسبة على جميع الوجوه فمعنى او ههنا ليس هو التشكيك وانما المراد به النقل عن الشيء الى ما هو اقرب منه وكقول رجل لغيره افعل هذا الى شهر او اسرع منه وانما امر الله تعالى ان يكون ذكره اشد لان مفاخر ابائهم متناهية وصفاته الكمالية غير متناهية وتلك مشكوكة وهذه متيقنة وغاية الاول تضييع وحرمان ولازم الثاني نور وبرهان ثم انه تعالى بعدما امر بالعبادة تصفية للنفس وتخليتها عن ظلمات الكبر والضلال امر عقيب ذلك بتنويرها بالطن بنور الجلال والجمال بكثرة





الاشتغال بذكر الكبير المتعال نبه على حسن طلب مزيد الانعام والافضال فذكر ان الناس فريقان منهم من قصر دعاءه على طلب اللذات العاجلة ومنهم من اضاف الى ذلك الطلب نعيم الاخرة واهمل القسم الثالث وهو ان يكون دعاؤه مقصورا على طلب الاخرة تنبيها على ان ذلك غير مشروع ومن خفية ان لا يؤخذ فان الانسان خلق ضعيفا لا طاقة له بالام الدنيا ولا بعذاب النار فالاولى به ان يستعيذ بربه من افات الدنيا والاخرة عن انس ان النبي صلعم دخل على رجل يعوده وقد انهكه المرض فقال له ما كنت تدعو الله به قال كنت اقول اللهم ما كنت تعاقبني به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال النبي صلعم سبحان الله انك لا تطيق ذلك الا قلت ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له رسول الله صلعم فشفي والانصاف انه سبحانه لو سلط الالم على عرق واحد في البدن او على منبت شعرة واحدة عجز الانسان عن الصبر عليه وقد يفضي ذلك به الى الجزع ويعوقه عن اكتساب الكمالات ويحمله على اهمال وظائف الطاعات فمن ذا الذي يستغني عن امداد الله اياه في دنياه وعقباه ثم المقتصرون في الدعاء على طلب الدنيا من هم عن ابن عباس هم المشركون كانوا يقولون اذا وقفوا اللهم ارزقنا ابلا وبقرا وغنما واماء وعبيدا وذلك لانكارهم البعث والمعاد وعن انس كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر وحكي عن ابي علي الدقاق انه قال اهل النار يستغيثون ثم يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله في الدنيا طلبا للماكول والمشروب في النار لطلبهما الماكول والمشروب فلما غلبتهم شهواتهم افتضحوا في الدنيا والاخرة وقال الاخرون يحتمل ان يكونوا مسلمين وعوتبوا لانهم سألوا في اعظم المواقف واشرف المشاهد اخس البضائع ودون المطالب المشبهة تارة بكنيف واخرى بجناح من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقي والنعيم المقيم وقوله ربنا اتنا في الدنيا متروك المفعول الثاني لانه كالمعلوم ويحتمل ان يكون من قولهم فلان معطي اي موجد الاعطاء معناه اجعل اعطاءنا في الدنيا خاصة واعلم ان مطامح النفوس في الدنيا احدى ثلث خصال روحانية هي تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق الفاضلة وبدنية هي الصحة والجمال وخارجية هي الجاه والمال وكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا جسمانية الا لاجل الدنيا فيطلب العلم لاجل الترفع على الاقران ويكتسب الخلاق لتدبير الامور المنزلية والمدنية فلما قال عز من قائل وما له في الاخرة من خلاق اي طلب نصيب حذف مفعول اتنا لان كل من لم يهمه في الاخرة طلب لا همة الى اقتناء السعادات الباقيات نزاع وطوع فمطلوبه عبث وسفه وقال الضلال اي شيء فرضت علما وعملا روحانيا او جسمانيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر في اي شيء ينظر الا اليك ولا اليك ولا يرغب في كل ما يرغب الا لاجل ما لديك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ثم انه سبحانه لم يذكر في هذه الاية ان هذا الفريق مجابة دعوتهم او لا فقال طائفة من العلماء انهم ليسوا باهل للاجابة لان كون الانسان مجاب الدعوة صفة مدح ولا يليق الا باولياء الله والمرتضى من عبيده وقال اخرون قد يكون الانسان مجابا لا كرامة واجتباء بل مكرا واستدراجا ويؤيده قوله سبحانه من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وعلى هذا يصح ان يقال في الاية اضمار اي يقول ربنا اتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق لان همته مقصور على الدنيا والحسنيان في دعاء الصالحين اما في الدنيا فالصحة والامن والكفاية والولد الصالح والزوجة الصالحة والنصرة على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة في الرزق وما اشبه ذلك حسنة ان تصبك حسنة تسؤهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين قيل اما النصرة واما الشهادة واما في الاخرة فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب لان دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح بذلك في قوله وقنا عذاب النار وهذه بالجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا والاخرة روى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لانس ادع لنا فقال اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا فاعادها قالوا زدنا قال ما تريدون سألت لكم خير الدنيا والاخرة وعن علي ع الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقيل الحسنة في الدنيا العمل النافع وهو الايمان والطاعة وفي الاخرة التنعم بذكر الله والانس به وبرؤيته تلك لا لذة في الدنيا والاخرة الا بهذا الخبر متى للجليس مجالس وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي عن قتادة الحسنة طلب العافية في الدارين وعن الحسن هي في الدنيا فهم كتاب الله وفي الاخرة الجنة ومنشأ البحث ان الحسنة منكرة في حيز الاثبات فكل من المفسرين حمل اللفظ على ما راه احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اي حسنة واي حسنة او يريد حسنة توافق حال الداعي وحكمة المدعو وفيه حسن الطلب وغاية الطلب للادب لانه ليس في التصريح به فائدة لا يكون الا ما يشاء او يريد حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام وقليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل اولئك الداعون بالحسنيين لهم نصيب اي نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة فمن للابتداء ويحتمل التعليل اي من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا والكسب ما يناله المرء بعمله ومنه يقال للارباح المكاسب فلان او لهم نصيب مما دعوا به يعطيهم بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الاخرة وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب السرعة نقيض البطء والحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد قال الزجاج هو ماخوذ من قولك حسبك كذا اي كفاك وذلك ان فيه كفاية وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان ومعنى كون الله محاسبا للخلق قيل انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان يخلق العلم الضروري في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب والعقاب ووجه هذا المجاز ان الحساب سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه فاطلاق الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم السبب على المسبب عن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم فيها سيئاتهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم فيقال هذه حسناتكم قد ضعفتها لكم وقيل الحساب

في بيان حسنة الدنيا وحسنة الآخرة

المجازاة وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ووجه المجاز ان الحساب سبب للاخذ والاعطاء وقيل انه تعالى يكلم
العباد في احوال اعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب فمن قال ان كلامه ليس بحروف ولا صوت قال انه تعالى يخلق في اذن المكلف سمعا يسمع به كلامه
القديم كما يخلق في عينه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال انه صوت قال انه تعالى يخلق كلاما يسمعه كل مكلف اما بان يخلق ذلك الكلام في اذن كل
واحد منهم او في جسم تقرب من اذنه بحيث لا يبلغ قوة ذلك الصوت مبلغا يمنع الغير من فهم ما كلف به فهذا هو المراد من كونه محاسبا للخلق ومعنى كونه
سريع الحساب انه تعالى قدرته متعلقة بجميع الممكنات من غير ان يفتقر في احداث شيء الى فكر وروية ومدة وعدة ولذلك ورد في الخبر انه يحاسب الخلق في
مقدار حلب شاة وروي في لمحة او انه سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم لانه قادر على ان يعطي مطالب جميع الخلائق في لحظة واحدة كما ورد في
المأثور يا من لا يشغله سمع عن سمع او ان وقت جزائه وحسابه سريع يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد كقوله اقترب للناس حسابهم
قوله تعالى واذكروا الله اي بالتكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمي لان الامر بالتكبير امر بالذي يتوقف التكبير
على حضوره وانما اختير هذه اللفظة لانهم ما كانوا منكرين للرمي انما كانوا يتركون ذكر الله تعالى عنده في ايام معدودات هي ايام التشريق ثلثة ايام
بعد النحر اولها يوم القر لان الناس يستقرون فيه بمنى والثاني يوم النفر الاول لان بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثاني
عن عبد الرحمن بن معمر الديلي ان رسول الله صلعم امر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج وايام منى ثلثة فمن
تعجل في يومين فلا اثم عليه واعلم ان التكبير المشروع في عيد الصلوة وخطبة العيدين نوعان مرسل ومقيد فالمرسل هو الذي لا يتقيد ببعض الاحوال
بل يؤتى به في المنازل والمساجد والطرق ليلا ونهارا كما مر في تفسير قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هديكم وذكرنا صورة التكبير هناك ايضا ولا فرق في
التكبير المرسل بين عيد الفطر والاضحى واما التكبير المقيد فاظهر الوجهين انه لا يستحب في عيد الفطر لم ينقلوا ذلك عن قول رسول الله صلعم ولا اصحابه
وانما يستحب في الاضحى وتقييده هو ان يؤتى به في ادبار الصلوات خاصة واختلفوا في ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر الى ما بعد طلوع الصبح من اخر
ايام التشريق فيكون التكبيرات على هذا في خمس عشرة صلوة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال مالك والشافعي في اشهر قوليه وحجتهم ان الناس فيه
تبع للحاج وهم يبتدؤن التكبير عقيب الظهر يوم النحر الى ان مضى خمس عشرة صلوة فيكون اخرها صلوة الصبح من اخر ايام منى وذكرهم قبل ذلك التلبية والقول
الثاني للشافعي انه يبتدئ به من صلوة المغرب ليلة النحر الى الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبير في اعقاب ثماني عشرة صلوة المغرب والقول
الثالث انه يبتدئ من صلوة الفجر يوم عرفة ويقطع بعد صلوة العصر من يوم النحر فيكون التكبيرات بعد ثماني صلوة وهو قول علقمة والاسود
والنخعي وابي حنيفة واعترض عليه بان هذه التكبيرات تضاف الى ايام التشريق فوجب ان يؤتى بها فيها وان انضم اليها زمان اخر فلا اقل من ان يكون اغلب
والقول الرابع يبتدئ بها من صلوة الفجر يوم عرفة ويقطع بعد صلوة العصر من اخر ايام التشريق فيكبر عقيب ثلث وعشرين صلوة وهو قول اكابر الصحابة
كعمر وعلي وابن مسعود ومن الفقهاء قول الثوري وابي يوسف ومحمد واحمد واسحق والمزني لما روى جابر ان النبي صلعم صلى الصبح يوم عرفة ثم اقبل علينا
وقال الله اكبر ومد التكبير الى العصر من اخر ايام التشريق ولان هذا هو الاحوط فتكثير التكبير خير من تقليله وعلى هذا القول انما يكون التكبيرات مضافة الى
ايام التشريق لانها اكثر تلك المدة قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه ايام التشريق لان لحوم الاضاحي تشرق فيها في الشمس وقيل هو من قولهم اشرق ثبير كيما
نغير وقيل سميت بذلك لان الهدي لا ينحر حتى تشرق الشمس واما رمي ايام التشريق فانه يجب ان يرمي كل يوم بين الزوال والغروب بكل جمرة من الجمرات الثلث
مبتدئا من الجمرة الاولى من جانب المزدلفة ومختتما برمي جمرة العقبة وهي التي تلي مكة رميات سبعا في سبع دفعات لان النبي كذلك رماها وقال خذوا
عني مناسككم فجملة ما يرمي في الحج سبعون حصاة يرمي الى جمرة العقبة يوم النحر سبع حصاة واحد وعشرون في كل يوم من ايام التشريق الى الجمرات الثلث
الى كل واحدة سبع تواتر النقل به قولا وفعلا ويكبر مع كل حصاة وعلى الحجيج ان يبيتوا بمنى الليلتين الاوليين من ليالي التشريق فاذا رموا اليوم الثاني فمن اراد
منهم ان ينفر قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد وذلك قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه فمن لم ينفر حتى
غربت الشمس فعليه ان يبيت الليلة الثالثة ويرمي يومها وبه قال الحكم ومالك والشافعي وعند ابي حنيفة يجوز النفر ما لم يطلع الفجر فاذا طلع لزم التأخر الى
تمام الايام الثلثة وذلك قوله تعالى ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف تعجل واستعجل يجيئان متعديين مثل تعجل الذهاب واستعجله ويجيئان
مطاوعين بمعنى عجل وهذا اوفق لقوله ومن تأخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كساير الايام
وههنا سؤال وهو ان المتأخر قد استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد في حقه فلا اثم عليه وهذا انما يقال في حق المقصر الذي يظن انه قد رهقه اثم فيما اقدم
عليه واجيب بان الرخصة قد يكون عزيمة كالقصر عند ابي حنيفة والشيعة لا يجوز في السفر غيره فلما كان هذا الاحتمال رفع الحرج في الاستعجال والتأخر دلالة
على ان الحاج مخير بين الامرين وبان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من يجعل المتعجل اثما ومنهم من يجعل المتأخر اثما مخالفا
لسنة الحج فبين الله تعالى ان لا اثم على واحد منهما وقيل ان المعنى في ازالة الاثم عن المتأخر انما هو لمن زاد على مقام الثلثة فكانه قيل ان ايام منى التي ينبغي المقام
بها فيها ثلثة فمن نقص فلا اثم عليه ومن زاد على الثلثة ولم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه وقيل الاية سيقت لبيان ان الحج مكفر للذنوب والاثام لا
لبيان ان التعجل وتركه سيان كما ان الانسان اذا تناول الترياق فالطبيب يقول له الان اذا تناولت السم فلا بأس وان لم تتناول فلا بأس يريد ان الترياق
دواء كامل في دفع المضار لا ان تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحد وقيل ان جوار البيت مكروه عند كثير من العلماء لان ذلك ربما يفضي الى نقص حشمته





البيت وقيل في قلبه عظمته فامكن ان يختلج في قلب انسان ان التعجيل افضل بناء على هذا المعنى لما في التعجيل من المبادرة الى طواف الزيارة فبين تعالى انه لا حرج في
واحد منهما وقال الواحدي هذا من باب رعاية المقابلة والمشاكلة مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها بل ههنا اولى لان المذنب يصدق عليه انه لا اثم على
صاحبه فيه وجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما قوله تعالى لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي كيلا يتخالج في قلبه انهما
فان ذا التقوى متحرز من كل ما يريبه وقيل معناه ان هذه المغفرة انما يحصل لمن كان متقيا قبل حجه كقوله انما يتقبل الله من المتقين او لمن كان متقيا
عن جميع المحظورات حال اشتغاله بالحج وقوله واتقوا الله اي فيما يستقبل فيه حث على ملازمة التقوى فيما بقي من عمره وتنبيه على مجانبة الاغترار بالحج السابق
كان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون توكيد للامر بالتقوى وبعث على التشدد فيه لان الحشر هو اسم يقع على ابتداء خروج الناس من الاجداث الى انتهاء
الموقف يوجب تصوره لزوم سيرة الاتقاء عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من قوله اليه انه حيث لا مالك سواه ولا ملجأ الا اليه ولا استعانة
الا هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله التأويل الحج اشهر معلومات هي مدة الحيوة الفانية وقيل الى اربعين سنة ولهذا قيل الصوفي بعد الاربعين
بارد نعم لو صدق طلبه قبل الاربعين ما امكنه الوصول فقريب ان يحصل مقصوده بعد الاربعين ومن فاته الطلب في عنفوان شبابه الى ان بلغ الاربعين فحري
منه عليه الحيف اذ ضيع اللبن في الصيف لكنه يصلح للعبادة التي اجرها الجنة فلا رفث لا يميل الى الدنيا وزينتها ويهجرها كالمحرم بعد الاغتسال بماء الانابة
تبرز بازار التواضع والانكسار ويتردى برداء التذلل والافتقار ولا فسوق ولا خروج من الاوامر والنواهي بل لا يخرج من حكم الرفث ولا يدخل فيما
يورث المقت ولا جدال في الحج لا نزاع للسالك الصادق في طلب الوصول لا بالفروع ولا بالاصول فلا في كلامه مع احد يخاصم ولا في جاهها لاحد يزاحم فمن
نازعه في شيء من ذلك يسلمها اليه ويسلم عليه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وتزودوا لكل سالك زاد فزاد اولي التقوى كف سوى قوم هم
الذين مقصدهم البيت ومقصودهم الجنة وزاد اولي الالباب التقوى عما سوى مقصدهم ومقصودهم رب البيت فتقوى اهل التقوى مجانبة الزلات ومو
الطاعات وتقوى اولي الالباب مجانبة الصفات بالصفات والذات بالذات فلما كان مقصودهم خير المقاصد كان زادهم خير الزاد ان تبتغوا فضلا
مقام ابتغاء الفضل بمعنى الرحمة من الموجود وبذل المجهود في سيره الى عرفات ومقام ابتغاء بمعنى الرزق هو قبل سيره الى عرفات وقال جمع من المحققين
انه بعد استكمال الحج الحقيقي لانه لقوة عرفانه بالله لا يضره الدنيا بل يكون تصرفه فيها بالله وفي الله لله عند المشعر الحرام يعني القلب الذي حرام عليه
الاطمينان بغير ذكر الله واذكروه كما هديكم اي كما هديكم بهلك نفوسكم كيلا تقع في خطر حب الدنيا وان كنتم من قبل الوقوف بعرفات المعرفة من الظالمين
وحظوظ النفس ثم افيضوا من حيث افاض الناس يعني محمدا وساير الانبياء والاولياء اي ليكن الافاضة من عرفات المعرفة لاجل اداء الحقوق بالتعظيم لامر الله و
الشفقة على خلق الله واستغفروا الله لاجل ان ذلك عين المخالطة مع الخلق كقوله اذا جاء نصر الله الى قوله واستغفره اي اذا وجدت هذا لا يخلو عن حظ ما
فاستغفره فاذا قضيتم مناسككم الوصال وبلغتم مبلغ الرجال فلا تأمنوا مكر الله وواظبوا على الذكر كذكركم اباءكم في صغركم بالافتقار وفي كبركم بالافتخار
او اشد ذكرا لانه يمكن الاستغناء عن الاب ولا يمكن الاستغناء من الله والله سريع الحساب لان الطاعة واثر المعصية تظهر في الحال على القلب في ايام معدودات
هي ايام البداية والوسط والنهاية فمن تعجل في يومين وتوقف على الوسط ليكون من اهل الجنة فلا اثم عليه ومن تأخر الى ان يصل يوم النهاية حتى يكون
من اهل الله فذلك لمن اتقى الرجوع والوقوف والله ولي التوفيق وهو حسبي ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله

على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض
و بعضی از مردمان کسی است که شگفت آورد ترا گفتار او در زندگانی دنیا و گواه گیرد خدا را

ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد
بر آنچه در دل اوست و اوست سخت ترین دشمنان و چون روی گرداند بشتابد در زمین

واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس
تا تباهی کند در آن و تباه کند کشت و نسل را و خدا دوست ندارد تباهی را

المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله
و چون گفته شود او را بترس از خدا فرا گیرد او را عزت با گناه پس بس است او را دوزخ و هر آینه بد آرامگاه است

رءوف بالعباد يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة
و از جمله مردمان کسی است که میفروشد نفس خود را بجهت خواهش خوشنودی خدا و خدا

ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان
مهربانست به بندگان ای آنکسانی که گرویده اید در آیید در اسلام همه

زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز
و پیروی مکنید گامهای شیطان را بدرستی او مر شما را دشمنی است هویدا پس اگر

حكيم هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة
رو گردانید پس از آنکه آمد شما را گواهان پس بدانید که خدا غالب است

وقضي الامر والى الله ترجع الامور القراءة مرضات بالامالة والوقف
آیا انتظار میکشند مگر آنکه در رسد فرمان خدا در سایه‌های ابر و فرشتگان

بالهاء علي وكذلك يقف على هيهات هيهات وعلى حدائق ذات وعلى قراءتهم اللات واللاه وعلى مريم ابنة ابنه
و تمام شود فرمان و بسوی خدا باز گردد کارها

وافق ابو عمرو في لات حين بالهاء السلم بفتح السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وعلي والباقون بالكسر والملئكة بالجر يزيد عطفا على ظلل او على الغمام والجوار
وان كان فاعل ياتيهم الباقون بالرفع ترجع الامور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي وخلف وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح
الجيم الوقوف قلبه لا لان الواو للحال الخصام والنسل ط الفساد ط جهنم ط المهاد ط مرضات الله ط بالعباد ط كافة ص لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مع
احتمال الجواز مبين حكيم وقضي الامر ط الامور التفسير لما ذكر بيان الحج الى تعديد فرق الناس بحسب اغراضهم في الدعاء ناسب ان يعطف على ذلك تقسيم اخر
يعرف منه وظائف انظار الناس على الاطلاق ليعرف ذباب النفاق من اصحاب الوفاق عن السدي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة اقبل

بين اهل التقوى و اولي الالباب

طلب الدنيا

الى النبي بالمدينة فاظهر له الاسلام وزعم انه يحبه فانزل الله يعلم انه صادق فلما خرج من عند النبي مر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فاحرق الزرع و
عقر الحمر وقيل انه شار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر فقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه سائر الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس
به فقالوا نعم الرأي ما رأيت ثم خنس بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله فسمي بهذا السبب اخنس وكان اسمه ابي بن شريق فبلغ ذلك رسول الله
فاعجبه وعن ابن عباس والضحاك ان كفار قريش بعثوا الى النبي انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك فبعث اليهم جماعة فلما كانوا ببعض
الطريق ركب من الكفار سبعون راكبا فاحاطوا بهم فقتلوهم وصلبوهم وفيهم نزلت قوله بعد ذلك ومن الناس من يشري اشارة الى هؤلاء الشهداء
واختيار المحققين من المفسرين انه لا يمتنع ان تكون الاية نازلة في الرجل ثم تكون عامة في امثاله فهذه الاية عامة في المنافقين فان السنتهم
حلوة وقلوبهم امر من الصبر والضمير في يعجبك قوله يعود الى من ويحتمل ان يكون جمعا ولكنه افرد نظرا الى اللفظ ومعنى يعجبك يروقك ويعظم في قلبك في
الحيوة الدنيا اما ان يتعلق بقوله يعجبك ما يقوله في باب الدنيا طلبا للصلح العاجلة فقط كالامان من القتل والاخذ من الغنائم واما ان يتعلق
بيعجبك لان قوله حلو كلامه انما يعجب السامع في الدنيا ولا يعجبه في الاخرة لما يرهقه في الموقف من الهيبة والحيرة ولانه لا يؤذن له في الكلام والخطاب
اما للنبي او لكل سامع ويشهد الله على ما في قلبه يحتمل ان يكون ذلك الاستشهاد بالحلف وان يكون بقوله يشهد الله على ما في قلبي من محبتك ومن
الاسلام وهو الد الخصام الالد الشديد الخصومة واللديدان جانبا الوادي كان كلا من المتخاصمين في جانب منه اللدد وهو ما يصب من الادوية
في احد شقي الفم واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر وقيل الطف وجعل الخصام الد على المبالغة نحو جد جده والخصام جمع خصم كصعاب
في صعب والمعنى هو اشد الخصوم خصومة والحاصل انه جدل بالباطل شديد الفسق في معصية الله عالم اللسان جاهل العمل واذا تولى عنك وذهب
الانه العول او الملاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل باولئك المسلمين من احراق الزرع وعقر المواشي واصل السعي المشي بسرعة وقد يستعار
لايقاع الفتنة والتخريب بين الناس وقيل لما انصرف من بدر مر ببني زهرة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم
وعلى هذا فيقع قوله ويهلك الحرث والنسل تفصيلا لما اجمله قوله ليفسد وقيل افساده هو القاء الشبه في عقائد المسلمين وعلى هذا فيكون اهلاك
الحرث والنسل بمعنى اخر وهذا تفسير مناسب لان كمال الانسان بالعلم والعمل ونقصه بضدهما فيكون الافساد اشارة الى نقص قوته النظرية والاهلاك
عبارة عن فعل المنكرات فيه نقصان قوته العملية وقيل واذا تولى الامر اذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث و
النسل فالحرث الزرع والنسل الولد وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد ونسلت الناقة
تولد كثيرا والتركيب يدل على الخروج وقيل اهلاك الحرث قتل النسوان نساؤكم حرث لكم واهلاك النسل افناء الصبيان والله لا يحب الفساد قالت
المعتزلة معناه لا يريد الفساد وفيه دليل على انه لا يريد القبائح واذا لم يردها لم يخلقها لان الخلق لا يمكن الا بالارادة ومنع من ان المحبة نفس الارادة
بل المحبة عبارة عن مدح الشيء وذكره بالتعظيم ثم الدليل الدال على ان لا مرجح لاحد جانبي كل ممكن على الاخر الا الله والا انسد باب اثبات الصانع يدل على
ان الكل بارادته ومشيئته وقد مر تحقيق ذلك فيما سلف واعلم انه سبحانه حكى عن المنافق جملة من الافعال الذميمة اولها حسن كلامه في طلب الدنيا وثانيها
استشهاده بالله كذبا وبهتانا وثالثها الحاجة في ابطال الحق واثبات الباطل ورابعها سعيه في الارض للافساد وخامسها سعيه في اهلاك الحرث والنسل و
قوله والله لا يحب الفساد جملة معترضة ثم ذكر خصلة سادسة تشنع الكل دالة على جهله المركب وخروجه عن ان يرجى منه خير وذلك قوله واذا قيل له اتق الله
في ارتكاب شيء من هذه المنهيات والقائل اما الرسول قولا خاصا او عاما لجميع المكلفين فيدخل المنافق فيه واما كل واعظ وناصح اخذته العزة بالاثم
من قولهم اخذت فلانا بان يفعل كذا اي الزمته ذلك وحملته عليه اي اخذته الغلبة والاستيلاء والانفة وحمية الجاهلية ان يعمل الاثم وذلك الاثم هو ترك الالتفات
الى هذا الوعظ وعدم الاصغاء اليه او من قولهم اخذته الحمى اي لزمته واخذه الكبراء اعتراه ذلك والمعنى لزمته عزة العزة الحاصلة بسبب الاثم الذي في قلبه وذلك
الاثم هو الكفر والجهل وعدم النظر في الدلائل فحسبه جهنم كافيه هي جزاء له يستوي فيه الواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث لانه مصدر ورفعه على الخبرية او على
الابتداء اذا كان ما بعده معرفة وعلى الابتداء فقط ان كان نكرة مثل حسبك درهم وعلى هذا يكون الاضافة معنوية البتة وعلى تقدير كونه خبرا لوقوع
المعرفة بعده يكون الاضافة لفظية اي محسب كافل قال يونس واكثر النحويين جهنم اسم للنار التي يعذب الله بها في الاخرة وهي عجمية وفيها العلمية والتانيث
وقال اخرون انه اسم عربي سميت نار الاخرة بها لبعد قعرها حكي عن رؤبة انه قال ركية جهنام بكسر الجيم والهاء اي بعيدة القعر وقيل اشتقاقها من الجهومة
وهي الغلظ ومنه رجل جهم الوجه اي غليظه سميت بذلك لغلظ امرها في العذاب والعقاب ولبئس المهاد اي المهد الاجل فان المعذب في النار يلقى على النار
كما يوضع الشخص على الفراش ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى التمهيد اي الوطء قوله تعالى ومن الناس من يشري الاية قال سعيد بن المسيب اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي
فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته واخذ قوسه ثم قال والله لا تصلون الي او ارمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم
دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي ففعلوا فلما قدم على رسول الله نزلت فقال رسول الله ربح البيع ابا يحيى وتلا الاية وقيل اخذ المشركون
صهيبا فعذبوه فقال لهم صهيب اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا ذلك وكان قد شرط
عليهم راحلة ونفقة فخرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال فقال له ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقال صهيب وبيعك فلا اخبرك ماذاك فقال انزل
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سمع عمر بن الخطاب انسانا يقرأ هذه الاية فقال عمر انا لله قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل نزلت



في علي بات على فراش رسول الله ليلة خروجه الى الغار ويروى انه لما نام على فراشه قام جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من
مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الاية ثم ان الاية تدل على ان ههنا مبايعة فاكثر المفسرين على ان العامل هو البائع ومعنى يشري يبيع
وشروه بثمن بخس والله هو المشتري ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وعمل المكلف هو بذله نفسه في طاعة الله من الصلوة والصيام والحج
والجهاد وهو الثمن والجنة هي المثمن وقيل يحتمل ان يراد بالشري ههنا الاشتراء وذلك ان من اقدم على الكفر والمعاصي فكان نفسه خرجت عن ملكه وصارت
حقا للنار واذا اقدم على الطاعة صار كانه اشترى نفسه من النار فصار حال المؤمن كالمكاتب يبذل دراهم معدودة ويشتري بها نفسه والمؤمن يبذل
انفاسا معدودة ويشتري بها نفسه لكن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فكذا المكلف لا ينجو عن ربقة العبودية ما دام يبقى له نفس في هذه الدنيا وهذا
قول عيسى واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وقوله عز من قائل لنبيه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ابتغاء مرضات الله اي طلب رضوانه
مفعول له على العلة الغائية وفيه دليل على ان كل مشقة يتحملها الانسان يجب ان يكون على وفق الشرع ومطلوبا بها جانب الحق والا كان عمله ضلالا وكده وبالا
والله رؤف بالعباد فمن رأفته جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل وجوز لهم كلمة الكفر اتقاء على النفس الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومن رأفته
انه لا يكلف نفسا الا وسعها ومن رأفته ان المصر على الكفر مائة سنة اذا تاب ولو في لحظة اسقط عقابه واعطاه ثوابه ومن رأفته ان النفس له والمال له ثم انه
يشتري ملكه بملكه فضلا منه وامتنانا ورحمة واحسانا قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة اصل السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ويطلق
ايضا على الصلح وترك الحرب والمنازعة وهو ايضا راجع الى هذا وانه يذكر ويؤنث واختلف في المخاطبين فقيل امر للمسلمين بما يضاد حال المنافقين اي الذين
امنوا بالسنة والقلوب دوموا على الاسلام فيما تستأنفونه من ايامكم ولا تخرجوا منه ولا من شيء من شرائعه ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تلتفتوا
الى الشبهات التي يلقيها اليكم اهل الغواية والكائن في الدار اذا علم ان له في المستقبل خروجا منها لا يمتنع ان يؤمر بدخولها في المستقبل حالا بعد حال
معلوم وان المؤمنين قد يخرجون من خصال الايمان بالنوم والسهو وغيرهما من الاحوال فلا يبعد ان يامرهم الله بالدخول في الاسلام فيما يستانف
من الزمان وامرهم بان يكونوا مجتمعين في نصرة الدين واحتمال البلوى فيه ولا تتبعوا اثار الشيطان بالاقبال على الدنيا والجبن والخور في امر الدين
مثل ولا تنازعوا فتفشلوا او يكون المراد الرضاء بالقضاء والتلقي لجميع المكاره بالبشر والطلاقة كما ورد في الخبر الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم
او يكون المراد ترك الانتقام وسلوك طريق العفو والاغماض واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله كافة يصلح ان يكون حالا من المامورين
اي ادخلوا باجمعكم في السلم ولا تتفرقوا ولا تختلفوا وان يكون حالا من السلم على انها مؤنث كالحرب اي ادخلوا في شرائع الاسلام كلها واصل الكف
المنع فسمي الجميع كافة لان الاجتماع يمنع التفرقة والتبدد ورجل مكفوف اي كف بصره من ان ينظر وكفة القميص لانها يمنع الثوب من الانتشار
والكف طرف اليد لانه يكف بها عن سائر البدن وقيل الخطاب للمنافقين والتقدير يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا بكليتكم في الاسلام ولا تتبعوا
اثار تزيين الشيطان وتسويله بالاقامة على النفاق وقيل نزلت في مسلمي اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه حين ارادوا ان يقيموا على بعض
شرائع موسى كتعظيم السبت وقراءة التورية واستاذنوا رسول الله في ذلك فامروا ان يدخلوا في شرائع الاسلام كافة ولا يتمسكوا بشيء من
احكام التورية لثبوت نسخها بالكلية فان التمسك بها بعد تبين نسخها من اتباع اثار الشيطان وقيل السلم الاسلام والخطاب لاهل الكتاب والمعنى
يا ايها الذين امنوا بالكتاب المتقدم كملوا طاعتكم بالايمان بجميع انبيائه وكتبه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالشبهات التي يتمسكون بها
في بقاء تلك الشريعة انه لكم عدو مبين عن ابي مسلم ان المبين من صفات المبالغ الذي يعرب عن ضميره ولا يخفى انه اعرب عن عداوته لادم ونسله وقيل
مبين من الابانة القطع وذلك انه يقطع المكلف بوسوسته عن طاعة الله وثوابه ورضوانه قوله فان زللتم المخاطبون ههنا هم المخاطبون في قوله ادخلوا
فيجيء الخلاف ههنا بحسب الخلاف هناك والمعنى العام فان دحضت اقدامكم وانحرفتم عن الطريق الذي امرتم به من بعد ما جاءتكم البينات الدلائل
العقلية والسمعية على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم وهذه نهاية في الوعيد كما قال الوالد لولده
ان عصيتني فانت عارف بي وبشدة سطوتي كان ابلغ في الزجر من التصريح بضرب من ضروب العذاب كما ان قوله عزيز يشتمل على الوعيد البليغ
فقوله حكيم يشتمل على الوعد الحسن فان اللائق بالحكمة تمييز المحسن من المسيء وان لا يسوي بينهما في الثواب والعقاب يروى ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه
اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه يكون اغراء عليه قوله هل ينظرون الا
ان ياتيهم الله الاية معنى النظر ههنا الانتظار واما اتيان الله فقد اجمع المفسرون على انه سبحانه منزه عن المجيء والذهاب لان هذا من شأن المحدثات
المركبات وانه تعالى ازلي فرد في ذاته وصفاته فذكروا في الاية وجهين الاول وهو مذهب السلف الصالح السكوت في مثل هذه الالفاظ من التاويل
وتفويضها الى مراد الله تعالى كما يروى عن ابن عباس انه قال نزل القرآن على اربعة اوجه وجه لا يعرفه احد لجهالته ووجه يعرفه العلماء ويفسرونه ووجه
يعرف من قبل العربية فقط ووجه لا يعلمه الا الله الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انه لابد من التاويل على سبيل التفصيل فقيل جعل مجيء الايات مجيئا
له تفخيما لها كما يقال جاء الملك اذا جاء جيش عظيم من جهته وقيل المراد ياتيهم امره وبأسه فحذف المضاف بدليل قوله في موضع اخر او ياتي امر ربك
فجاءهم باسنا وايضا اللام في قوله وقضي الامر يدل على معهود سابق وما ذاك الا الذي اضمرناه لا يقال امر الله عندكم صفة قديمة فالاتيان عليها
محال وعند المعتزلة اصوات فيكون اعراضا فالاتيان عليها ايضا محال لانا نقول الامر قد يطلق على الفعل وما امر فرعون برشيد فالمراد ما يليق

بتلك المواقف من الاهوال واظهار الآيات المهيبة وان حملنا الامر على ضد النهى فالمراد بعد ان منادياً ينادى يوم القيمة الا ان الله يامركم بكذا ومعنى كون ذلك في ظلل من الغمام ان سماع ذلك النداء ووصول تلك الظلل يكون في آن واحد ويكون المراد حصول اصوات مقطعة مخصوصة في تلك الغمامات تدل على حكم الله تع على كل احد بما يليق به من السعادة والشقاوة او انه تع يخلق نقوشاً منظومة في ظلل من الغمام لشدة بياضها وسواد تلك الكتابة يعرف بها حال اهل الموقف في الوعد والوعيد ويكون فائدة الظلل انه تع جعلها امارة لما يريد انزاله بالقوم ليعلموا ان الامر قد حضر وقيل المأتى به محذوف والمعنى الا ان ياتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله عزيز وفائدة الحذف كونه ابلغ في الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه وقيل ان في بمعنى الباء اى ياتيهم الله بظلل من الغمام والمراد العذاب الذى ياتيهم في الغمام مع الملائكة وقيل الغرض من ذكر الآية ان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع كقوله والارض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا قبض ولا طى ولا يمين وانما الغرض تصوير عظمة شانه وقيل بناء على ان الخطاب في ادخلوا ونحوه لليهود المراد انهم لا يقبلون دين الحق الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وذلك ان اليهود كانوا على اعتقاد التشبيه يجوزون المجئ والذهاب على الله تع ويقولون انه تع تجلى لموسى على الطور في ظلل من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمن محمد صلعم فعلى هذا يكون الكلام حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال فان الآية لا تدل الا على ان قوماً ينتظرون اتيان الله وليس فيها دلالة على انهم محقون في ذلك الانتظار ام مبطلون والظلل جمع ظلة وهى ما اظل والغمام لا يكون كذلك الا اذا كان مجتمعاً متراكماً فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة والعظم فكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام هيهنا في معنى النفى اى ما ينتظرون الا ان ياتيهم عذاب الله في ظلل الغمام وفيه تفظيع شان العذاب وتهويله لان الغمام مظنة الرحمة واذا نزل منه العذاب كان اشنع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الخير او نزول الغمام علامة لظهور الاهوال في القيمة قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً واستعير لنا في العذاب تتابع القطر واتيان الملائكة ليقيموا بما امروا به من تعذيب وتخريب ولا حاجة الى التاويل لان اتيانهم ممكن وقضى الامر فرغ من اهلاكهم وتدميرهم او عما كانوا يوعدون به فلا يقال لهم عثرة ولا يصرف عنهم عقوبة ولا ينفع في دفع ما نزل بهم حيلة والتقدير الا ان ياتيهم الله ويقضى الامر فوضع الماضى موضع المستقبل لما للتنبيه على قرب العذاب الساعة كل ما هو آت قريب وما الا ان اخبار الله تع كالواقع المقطوع به وقيل الامر المذكور هيهنا فصل القضاء بين الخلائق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزلته من الجنة او النار وعن معاذ بن جبل وقضاء الامر مصدر مرفوع عطفاً على الملائكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك في الدنيا عباده كثيراً من امورهم فلما اصار والى الآخرة فلا مالك للحكم بين العباد سواه وهذا كقولك رجع امر الى الامير اذا كان هو يختص بالنظر فيه ولعل المكلفين يدخل في السلم كافة ويحترز عن اتباع آثار الشيطان كما هى ثم ان الامور ترجع اليه جل جلاله وهو تع يرجعها الى نفسه بافناء الدنيا واقامة القيمة فهذا معنى القراءتين في ترجع وايضاً قراءة ضم التاء وفتح الجيم على مذهب العرب في قولهم فلان معجب بنفسه يقول الرجل لغيره الى اين يذهب بك والمراد ان العباد يردون امورهم الى خالقهم ويعرفون برجوعها اليه اما المؤمنون فبالمقال واما الكافرون فبشهادة الحال ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والاصال التاويل النفس الامارة تظهر الاشياء المموهة والاقوال المزخرفة وترى انها اولى الاولياء ولكنها الحكم الاعداء ويسعى في تخريب القلب وابطال حرث الصدق في طلب السعادة واهلاك نسل ما يتولد من الاخلاق الحميدة وتشمخ بانفها عن قبول الحق فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشرى هذا شان الاولياء باعوا انفسهم خالصاً لوجه الله لا لاجل الجنة ادخلوا في السلم كافة اى بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة ودخول القلب في الاسلام يكون بدخول الايمان في القلب ودخول الروح في الاسلام يكون بتخلقه باخلاق الله وتسليم الاحكام والاقضية له ودخول السر في الاسلام بفنائه في الله وبقائه بالله هذا مقام يضيق عن علانيته نطاق النطق ولا يسع اظهاره في ظروف الحروف شعر رأت قمر السماء فاذكرتنى ليالى وصلها بالرقمتين وهذا الجواب من فصلنا في تفسير التنبيه على الفضل والكلام فيه طويل عن معانيه فاستغفر الله ولى التوفيق وحسبى

سل بنى اسرائيل كم اتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب

بپرس از بنى اسرائيل كه چه قدر آورديم ايشانرا دليلهاى هويدا ... آراسته شده است براى انانكه كافر شدند زندگانى دنيا ... بودند مردمان طائفه يكانه پس برانگيخت خدا پيغمبرانرا مژده دهندگان و ترسانندگان و فرستاد با هر يك كتاب ...







القراءة ليحكم بضم الياء وفتح الكاف يزيد كذلك في آل عمران والنور وفى موضعين الباقون بفتح الياء وضم الكاف يقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب الوقوف بينة ط لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع تقدير حذف اى فبدلوا ومن يبدل العقاب من الذين امنوا لان الذين مبتداء وفوقهم خبره ولو وصل صار ظرفاً ليسخرون او حالاً لفاعل يسخرون وفيه ظلم يوم القيمة ط حساب ومنذرين ص لعطف المتفقين فيما اختلفوا فيه ط بينهم ج لعطف المختلفين باذنه ط مستقيم من قبلكم ط للفصل بين الاستفهام والاخبار لان قوله ولما ياتكم عطف على ام حسبتم تقديره احسبتم ولم ياتكم متى نصر الله ط قريب التفسير انه سبحانه لما امر بالسلم ونهى عن مقابلها ثم قال فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اى فان اعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا ان الله عزيز حكيم ثم ثنى ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الآية ثم ثلث التهديد بقوله سل بنى اسرائيل الخطاب للرسول صلعم او لكل احد هذا السؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيمة والا فكثرة الآيات التى اوتوها معلومة باعلام الله تع والمراد سل هؤلاء الحاضرين انا لما آتينا اسلافهم آيات بينات فانكروها لا جرم استوجبوا العقاب من الله تع وذلك تنبيه هؤلاء الحاضرين على انهم لو زلوا عن آيات الله لوقعوا في العذاب كما وقع اولئك المتقدمون كى يعتبروا ويتعظوا وكم تحتمل الاستفهامية والخبرية ومنابه تمييزها وقد فصل بين المميز وبينها بالفعل فان كانت استفهامية فالتقدير سلهم عن عدد آتيناهم من الآيات اى من الآيات آتيناهم وان كانت خبرية فالمعنى سلهم عن كثير من الآيات آتيناهم والآيات الواضحات اما معجزات موسى عم كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليم الله اياه والعصا واليد ونحوها وهى تسع ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واما الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام فمنهم من آمن ومنهم من جحد بدلالة من يبدل نعمة الله قيل انها الآيات والدلائل وهى اجل اقسام النعم لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة ثم ان قلنا الآيات معجزات موسى فتبديلها ان الله تع اظهرها ليكون اسباب هدايتهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجساً الى رجسهم وان قلنا الآية البينة هى ما في التورية والانجيل من الدلائل على صحة نبوة محمد صلعم فتبديلها تحريفها وادخال الشبه فيها وقيل المراد بنعمة الله ما آتاهم من اسباب الصحة والامن والكفاية فتبديلها ان لم يجعلوها واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف بل استعملوها في غيرها اوتيت هى لاجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر واما على القول الاول فهو ان المراد من النعمة الآيات فمعنى مجيئها التمكن من معرفتها وعرفانها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها ولم يعرفها فكانها غائبة فان الله شديد العقاب قال الواحدى الرابطة محذوفة اى له والتحقيق ان ترك هذا الاضمار اولى فانه اذا علم كونه تع موصوفاً بهذا الوصف لزم من ذلك انه يعاقب المبدل ان شاء ولكن لا يلزم من كونه شديد العقاب للمبدل كونه متصفاً بذلك الصفة ابداً ثم قال الواحدى والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم انه تع ذكر السبب الذى لاجله كان التبديل بسرهم فقال زين للذين كفروا الآية والغرض تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفانى من زينة الدنيا على الباقى من نعيم الآخرة والتذكير في زين اما لان الحيوة والاحياء واحد او للفصل مع ان التانيث ليس بحقيقى عن ابن عباس ان الآية نزلت في ابى جهل واضرابه من كبار قريش وقيل في رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت في المنافقين ولا مانع من نزولها في جميعهم لان كلهم وهم في النعم والراحة كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين المهاجرين ثم المزين من هو فعن المعتزلة انهم غواة الجن والانس حسنوا امر الآخرة في اعين الكفار واوهموا ان لا صحة لها فلا تنغصوا عيشكم في الدنيا كقول من قال اتترك لذة الصهباء نقداً بما وعدوك من لبن وخمر قالوا واما الذى يقوله المجبرة من انه تع زين ذلك فباطل لان المزين للشئ هو المخبر عن حسنه فاذا كان المزين هو الله تع فلا بد ان يكون صادقاً في ذلك الاخبار فيكون فاعل القبيح له مصيباً وان كان كافراً واصابة الكافر كفر فهذا القول كفر وزيف بان مزين الكفر لجميع الكفار لا بد ان يكون خارجاً منهم وقولهم المزين للشئ هو المخبر عن حسنه مردود وانما المزين من يجعل الشئ موصوفاً بالاوصاف الحسنة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الله تع يكون مخبراً عن حسنه من حيث انه اخبر عما فيها من اللذات والراحات وهذا الاخبار عما ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر وقال ابو مسلم الكفار زينوا لانفسهم والعرب يقولون اين يذهب بك لا يريدون ان ذاهباً ذهب به ومنه قوله تع انى يؤفكون انى يصرفون ولما كان الشيطان لا يملك ان يحمل الانسان على الفعل قهراً فالانسان بالحقيقة هو الذى زين لنفسه والتحقيق ان المزين هو الله تع كما صرح بذلك في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً وكيف لا وانتهاء جميع الحوادث اليه ظهر في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وركب في الطبايع حب الشهوات والميل الى الطيبات لا على سبيل الالجاء الذى لا يمكن تركه بل مع امكان رد النفس عنها ليجاهد المؤمن هواه فيقصر نفسه على المباح ويكفها عن الحرام ويتم غرض الابتلاء او يقول المراد من التزيين انه تع امهلهم في الدنيا ولم يمنعهم عن الاقبال عليها والحرص الشديد في طلبها وقيل ان الله تع زين من الحيوة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو ضعيف لان الله تع خص هذا التزيين بالكفار والمباحات لا يختص بالكفار وان قيل المراد من تزيين المباح للكافر انه دائم السرور به وان قلت ذات يده لكونه مع غموم الهم به لا عيش عنده الا عيش الدنيا بخلاف المؤمن فانه يتنعم من طيبات الدنيا وبهجتها وان كثر ماله وجاهه مكدراً بالخوف والوجل من الجانب الآخر قلنا تزيين المباح في نظر الكافر بحيث يفضى به الى الاشتغال عن الآخرة مستقبح ايضاً فالكلام فيه كالكلام في تزيين المحظور فيبقى الاشكال بحاله ولا مخلص الا باسناد الكل اليه تع بعد تذكر ما سلف لنا مراراً في حقيقة الجبر والقدر ولما اخبر الله تع عنهم بانه زين لهم الحيوة العاجلة اخبر عنهم بعد ذلك بفعل يديمونه فقال ويسخرون من الذين امنوا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم يقولون هؤلاء المساكين تركوا طيبات الدنيا وتحملوا المتاعب لطلب الآخرة ولا يخفى انه لو بطل حديث المعاد لكان لهذه السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد وصح كانت السخرية منقلبة

عليهم لانهم اعرضوا عن الملك الابدي والنعيم المقيم بسبب لذات حقيرة في انفاس معدودة فلهذا قال سبحانه والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اما بالمكان فلانهم في عليين وهم في سجين واما بالرتبة والشرف فلانهم في معارج الانس وهم في مهاوي الهوان ويحتمل ان يراد انهم فوقهم بالحجة لان حجج الكفار وشبههم كانت تؤثر بوسوسة الشيطان ومجرد استبعاد امر المعاد وحجج المتقين يوم القيمة يستند الى العيان وعيد الرحمن ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم او يراد ان سخرية المؤمنين بالكافرين يوم القيمة لكونها حقة وباقية فوق سخرية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا لكونها باطلة ومنقضية وفي قوله والذين اتقوا دون ان يقول امنوا كما قال من الذين امنوا بعث على التقوى وان كرامة المؤمن منوطة بها والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير وذلك ان الكفار كانوا يستدلون بحصول الزخارف الدنيوية لهم على انهم على الحق وعلى انهم على الباطل فرد الله تع عليهم قولهم بان ذلك متعلق بمحض المشية وقد يستتبع غاية هي الاستدراج في حق الكافر والابتلاء في حق المؤمن او يرزق من يشاء من مؤمن وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه ولا مطالبة ولا سؤال سائل فالامر امره والحكم حكمه ولا يسئل عما يفعل ومن حيث لا يحتسب كما يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن قد قدره ما كان هذا في حسابي فالمعنى ان الكفار وان كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين فلعل الله تع يرزق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغناهم بما افاء عليهم من اموال صناديد قريش ورؤساء اليهود ويسر لهم الفتوح حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر او المراد ان ما يرزق العبد في الدنيا من الدنيا فلحرامها عذاب ولحلالها حساب وما يرزق العبد في الاخرة من النعيم المقيم فبغير عذاب وبغير حساب ويحتمل ان يخص الرزق في الاية بالمؤمنين وفي الاخرة وعلى هذا يكون معنى بغير حساب اي رزقا واسعا رغدا لا فناء له ولا انقطاع ولا حصر كقوله يرزقون فيها بغير حساب او يقال ان المنافع الواصلة اليهم في الجنة بعضها ثواب وبعضها تفضل كما قال فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله فالفضل بلا حساب والحساب مما يحتاج اليه اذا اعطى شيئا ينقص قدر الواجب عما كان والثواب ليس كذلك فانه بعد انقضاء الادوار والاعصار يكون الثواب المستحق بحكم الوعد والفضل باقيا فلا يتطرق الحساب بالنسبة الى الثواب او المراد ان الذي يعطى لا نسبة له الى ما في خزائن ملكه وقد تم فلا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي او معنى بغير حساب بغير استحقاق وانما يعطي بمجرد الفضل والاحسان او معناه انه يزيد على قدر الكفاية الى عشرة بل سبعمائة من قولهم فلان ينفق بالحساب اذا كان لا يزيد على قدر الكفاية او انه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى الحساب فاخرج منه قوله سبحانه كان الناس امة واحدة الاية فيه اشارة الى ان التباغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا وطيباتها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك داء قديم في الانسان ثم الامة الواحدة كانوا على الحق او على الباطل فيه للمفسرين اقوال الاول انهم كانوا على الحق واختاره المحققون لوجوه منها قوله تع ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وهذا يدل على ان النبيين عم بعثوا حين الاختلاف وصيرورة بعضهم مبطلا ولو كانوا قبل ذلك مجتمعين على الكفر لكان بعث الانبياء عم اولى ومنها النقل المتواتر ان ادم واولاده كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى الى ان قتل قابيل هابيل حسدا وبغيا وعن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق ومنها ان وقت الطوفان لم يبق الا اهل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح فلعل الناس اشارة اليهم ومنها ان الدين الحق يتوقف على النظر والنظريات مستندة بالاخرة الى مقدمات يعلم صحتها بضرورة العقل والى ترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط لو لم يعرض له سبب من خارج فالصواب له بالذات والخطاء بالعرض وما بالذات قدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان ايضا فالاولى ان يقال كان الناس على الحق ثم اختلفوا لاسباب خارجة كالبغي والحسد ويؤيده قوله صلعم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه القول الثاني وهو مروي عن ابن عباس والحسن وعطا انهم كانوا على الباطل لان بعثة الانبياء مترتبة على ذلك ولو كانوا على الحق لم يحتج الى بعثهم ولو قيل ان تقدير الاية فاختلفوا فبعث الله كما قرا ابن مسعود فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها ومتى كان الناس متفقين على الكفر فالواجب فيما بين ادم الى زمان نوح كانوا كفارا او يحكم الاغلب وان كان فيهم بعض المسلمين كهابيل وشيث وادريس كما يقال دار الكفر وان كان فيها مسلمون القول الثالث عن ابي مسلم والقاضي ابي بكر انهم كانوا امة واحدة في التمسك بالشرايع العقلية وهي الاعتراف بوجود الصانع وصفاته والاشتغال بخدمته وشكر نعمته والاجتناب عن القبائح العقلية كالظلم والكذب والعبث واحتجا بان لفظ النبيين جمع معرف فيفيد العموم والفاء يوجب التعقيب فيعلم من ذلك ان تلك الواحدة متقدمة على جميع الشرايع فلا يكون الاستفادة من العقل ثم سئل القاضي نفسه فقال اوليس اول الناس ادم وانه كان نبيا مبعوثا واجاب بانه يحتمل ان يكون مع اولاده متمسكين بالشرايع العقلية اولا ثم ان الله تعالى بعثه الى اولاده ويحتمل ان شريعته قد صارت مندرسة ثم رجع الناس الى الشرايع العقلية القول الرابع التوقف فلا دلالة في الاية على انهم كانوا محقين او مبطلين القول الخامس ان المراد من الناس اهل الكتاب الذين امنوا بموسى عم ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد فبعث الله النبيين معهم الكتاب كما بعث داود ومعه الزبور وعيسى ومعه الانجيل ومحمدا صلعم ومعه الفرقان ليكون تلك الكتب حاكمة في تلك الاشياء التي اختلفوا فيها وهذا القول يوافق قول من قال ان الخطاب في يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم لاهل الكتب فيراد بالناس اذن ناس معهودون ثم انه تع وصف النبيين بصفات ثلث الاولى كونهم مبشرين والثانية كونهم منذرين وقدمت البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة والانذار يجري مجرى ازالة المرض والاول كتناول الدواء والاول لكونه مقصود الغذاء والثاني كتناول الدواء والاول لكونه مقصودا بالذات مقدم على الثاني لانه مقصود بالعرض الثالثة قوله وانزل معهم الكتاب بالحق وفي قوله معهم والضمير يعود الى عامة النبيين دليل على انه لا نبي الا ومعه كتاب منزل فيه بيان الحق والباطل طال ذلك الكتاب ام قصر

علي انه حجة لفقراء المؤمنين منهم

دون



دون ذلك الكتاب ام لم يدون معجزا كان او غير معجز قيل انزال الكتاب قبل حصول الامر والنهي الى المكلفين ووصول الامر والنهي اليهم قبل التبشير والانذار فلم قدم التبشير والانذار على انزال الكتاب واجيب بان الوعد والوعيد منهم قبل بيان الشرع ممكن فيما يتصل بالعقليات من المعرفة بالله وترك الظلم وغيرهما وبان المكلف انما يحمل النظر في دلالة المعجز على الصدق وفي الفرق بين المعجز والسحر اذا خاف انه لم ينظر فربما ترك الحق فيصير مستحقا للعقاب والخوف انما يقوى عند التبشير والانذار فلهذا قدم ذكرهما على انزال الكتاب قلت فيه فائدة اخرى لفظية هي ان لا يقع فاصلة كثيرة بين الثالثة وبين الاوليين او بين الثالثة وبين ما رتب عليها من قوله ليحكم اي الكتاب لانه اقرب ولا محذور في نسبة الحكم اليه تجوزا كما لا محذور في كونه هدى وشفاء واللام للجنس او اريد مع كل واحد كتابه وقيل ليحكم الله لانه الحاكم في الحقيقة لا الكتاب وقيل ليحكم النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه اي في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق او في كل ما اختلفوا فيه ولم يعرفوا وجه الصواب في ذلك بحسب حكم الله وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه اي اعطوا الحق وادوه لمباشرة اسبابه القريبة التي هي مجيء البينات وقيل الضمير للكتاب اي لا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف كانهم عارضوا الكتاب بنقيض ما انزل لاجله انزل لئلا يختلفوا فازدادوا في الاختلاف وفيه دليل على ان الاختلاف في الحق لم يوجد الا بعد بعثة الانبياء وانزال الكتب كما مر في القول الاول وقال كثير من المفسرين المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واختلافهم اما تكفير بعضهم بعضا واما تحريفهم او تبديلهم من بعد ما جاءتهم البينات يحتمل ان يكون كالبيان لايتاء الكتاب اي وما اختلف فيه مع اختلاف الامر بعد مجيء البينات التي هي الكتب كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ويحتمل ان يكون هذه البينات مغايرة لايتاء الكتاب ويعني بها الدلائل العقلية التي نصبها الله تع على اثبات الاصول التي لا يمكن اثباتها بالدلائل السمعية واذا حصلت الدلائل العقلية والسمعية لم يكن في العدول عذر ولا علة ولو حصل الاعراض كان بسبب بغيا بينهم وحسدا وظلما لحرصهم على الدنيا ولقلة الانصاف وكثرة الاعتساف من الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف واللام بمعنى الى اي هداهم الى ما اختلفوا فيه كقوله ثم يعودون لما قالوا باذنه قال الزجاج بعلمه وقيل بامره وبالامر يحصل التمييز بين الحق والباطل فيحصل الهداية وقيل في الابراز انما راى هداهم فاهتدوا باذنه اذ لا جائز ان يأذن لنفسه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو الحق الموصل الى كمال الدارين وهو طلب الجنة ولما كان ذلك الحق والطلب لا يتأتى الا باحتمال شدائد التكليف واعباء الارشاد والتعليم قال سبحانه ام حسبتم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ تشجيعا للرسول والمؤمنين على الثبات والصبر مع المخالفين من اهل الكتاب والمشركين فان من كان نظره على مراتب قرب المولى فبلاؤه اقوى وهو بالابتلاء اولى وقال في الكشاف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده وقال القفال رح تقدير الاية فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه حين صبروا على استهزاء قومهم افتسلكون سبيلهم ام تحسبون ان تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم ولما يأتكم فيه معنى التوقع وفيه دليل على ان الاتيان متوقع منتظر عن ابن عباس لما دخل النبي صلعم المدينة اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم في ايدي المشركين واظهرت اليهود العداوة له فانزل الله تع تطييبا لقلوبهم ام حسبتم وقال قتادة والسدي نزلت في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والخوف وكان كما قال سبحانه وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب احد لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي صلعم الى متى تقتلون انفسكم وتنصرون الباطل لو كان محمد صلعم نبيا لما سلط الله عليكم الاسر والقتل والمعنى ام حسبتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة بمجرد الايمان بي والتصديق لرسولي دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبدكم به وابتلاكم بالصبر عليه وان ينالكم من اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضر والبؤس في المعيشة ومقاساة الاهوال في جهاد العدو كما كان ذلك من قبلكم من المؤمنين ومثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وهي عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليه والضراء وهي اشارة الى انفتاح ابواب الشر والالم اليه وزلزلوا حركوا وازعجوا بانواع البلايا والرزايا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة وهي زلل الشيء عن مكانه والتضعيف في اللفظ للتضعيف في المعنى وقيل معناه خوفوا وليس ببعيد لان الخائف لا يستقر بل يضطرب بقلقه ولهذا لا يقال ذلك الا في الخوف المقيم المقعد ثم انه تع ذكر بعد ذلك شيئا هو الغاية في الدلالة على كمال الضر والبؤس والمحنة فقال حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك غاية في الشدة لا مطمح وراءها من قرا يقول بالنصب فعلى اضمار ان ومعنى الاستقبال بالنظر الى ما قبل حتى وان لم يكن مستقبلا عند الاخبار ومن رفع فعلى الحال الماضية المحكية كقولهم شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا ان نصر الله قريب اي فقيل لهم ذلك اجابة الى طلبتهم فكونوا انتم معاشر المؤمنين كذلك في تحمل الاذى والمتاعب في طلب الحق فان نصر الله قريب لانه ات وكل ما هو ات قريب والحاصل ان اصحاب رسول الله صلعم كان نالهم من المشركين والمنافقين اذى كثيرا ولما اذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الاموال والانفس ما لا يخفى فعزاهم تع في ذلك وبين ان حال من قبلهم في طلب الدين كان كذلك والمصيبة اذا عمت طابت وذكر الله تع من قصة ابرهيم عم والقائه في النار ومن ايوب عم وما ابتلاه به ومن سائر الانبياء في مصابرتهم على انواع المكاره ما صار ذلك سلوة للمؤمنين روى خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلعم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون

وههنا سؤال وهو انه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده ان يقول على سبيل الاستبعاد متى نصر الله والجواب ان كونه رسولا لا يمنع من ان
يتاذى من كيد الاعداء فاذا ضاق قلبه وقلت حيلته وكان قد سمع من الله تعالى انه ينصره الا انه ما عين له ذلك الوقت قال عند ضيق قلبه متى نصر الله حتى
انه ان علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه ولهذا اجيب بان نصر الله قريب كان نصر الله كائن وهذا الجواب يحتمل ان يكون من الله ويحتمل ان يكون قولا
لقوم منهم اذا رجعوا الى انفسهم علموا ان الله لا يخلف الميعاد وقيل انه تعالى اخبر عن الرسول والذين امنوا انهم قالوا قولا ثم ذكر كلا من احدهما متى
نصر الله الثاني الا ان نصر الله قريب فهذا الثاني قول الرسول والاول قول المؤمنين كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من
فضله والمعنى لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار ثم في الاية دليل على ان كل من لحقه شدة يجب ان يعلم انه سيظفر بزوالها لانه اما ان يتخلص عنها واما
ان يموت واذا مات فقد وصل الى من لا يهمل امره ولا يضيع حقه وذلك من اعظم النصرة اللهم انصرنا من عندك فانك نعم المولى ونعم النصير لنا وبل انه تعالى اذا
فتح باب الملكوت على قلب عبد من خواصه يربيه باياته وكراماته فان تغير باحواله وتعجب بكماله فيقبل على حظوظ النفس فيبتليه الله بمولفتها ورضاها فان الله
شديد العقاب بان يغير حاله ويسلب عنه كماله كان الناس امة واحدة على الحق على الفطرة يوم الميثاق فانزل معهم الكتاب الذي جف به القلم بالسعادة
والشقاوة كقوله ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار وما الخلق كل فريق الا وقد اوتوا السعادة والشقاوة في حكم الله وقضائه
ولكن ما حصلت السعادة والشقاوة للفريقين الا من بعد ما شبنا وهي معاملاتهم فيها يتبين السعيد من الشقي وبالعكس والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
سؤال کنند ترا که چیست آنچه انفاق میکنند بگو که آنچه انفاق میکنید از مال پس از برای والدین و خویشان و یتیمان و فقیران و راه‌گذریان و هرچه
تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا
میکنید از خوبی پس به درستی که خدا بدان داناست نوشته شد بر شما جهاد و حال آنکه مکروه است شما را و شاید که مکروه دارید چیزی و حال آنکه آن بهتر است شما را و شاید که دوست دارید
شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ
چیزی را و حال آنکه آن بدتر است شما را و خدا میداند و شما نمیدانید پرسند ترا از ماه حرام از جهاد در آن بگو که قتال در آن بزرگ است گناهش و باز داشتن
سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
از راه خدا و کفر است بدو و مسجد الحرام و بیرون کردن اهل او را از آن بزرگتر است نزد خدا و فتنه انگیختن بزرگتر است گناهش از قتل و همیشه در مقاتله باشند با شما
حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
تا که برگردانند شما را از دین شما اگر قدرت داشته باشند و هرکه برگردد از شما از دین خود پس بمیرد و حال آنکه کافر است پس آنگروه باطل است کردهاشان در دنیا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ
و آخرت و آنگروه یاران آتش اند ایشان در آن جاویدانند به درستی که آنانکه گرویدند و آنانکه هجرت کردند و جهاد کردند در راه خدا آنگروه
يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
امید دارند رحمت خدا را و خدا آمرزنده مهربان است

الوقوف ينفقون ط السبيل ط للابتداء بالشرط عليم ط كره لكم ج لتفصيل الاحوال خير لكم ج شر لكم ط لا تعلمون ج
قتال فيه ط كبير ط على ان قوله وصد مبتدأ وما بعده معطوف عليه وقوله اكبر عند الله خبره وقد يقال
وصد عطف على كبير اي القتال فيه كبير وسبب صد عن سبيل الله وكفر بالله تعالى وبنعمة المسجد الحرام او صد عن سبيل الله عن المسجد الحرام فيوقف فيهما
ويجعل اخراج اهله مبتدأ وقيل وصد عطف والوقف على سبيل الله وكفر به مبتدأ والوجه هو الاول لانتظام المعنى اي القتال منا وان كان كبيرا
ولكن الصد والكفر والاخراج التي كانت منكم اكبر من القتل ط استطاعوا ط والاخرة ج لان الجملتين ان اتفقتا فتكرار اولئك تنبيه على الابتداء
مبالغة في تعظيم الامر النار ج خالدون في سبيل الله لا لان ما بعده خبر ان رحمة الله ط رحيم التفسير انه سبحانه لما بالغ في وجوب الاعراض عن العاجل والاقبال
على الاجل بكل ما يمكن من الدخول في السلم وبذل المهج والاموال والصبر على مواجب التكاليف والدعاء الى الدين القويم انتظار النصرة الله شرع بعد
ذلك في بيان الاحكام وهو من هذه الاية الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم جريا على سنة المرضي من خلط بيان التوحيد وذكر النصيحة والوعظ
ببيان الاحكام ليكون كل منها مؤكدا للاخر الحكم الاول بيان مصرف الانفاق يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس نزلت الاية في رجل اتى
النبي صلعم فقال ان لي دينارا فقال انفقها على اهلك فقال ان لي ثلثة فقال انفقها على خادمك فقال ان لي اربعة قال انفقها على والديك قال ان لي
خمسة قال انفقها على قرابتك قال ان لي ستة قال انفقها في سبيل الله وهو اخسها اي اقلها ثوابا وعنه في رواية ابي صالح انها نزلت في عمرو بن الجموح وهو الذي
قتل يوم احد كان شيخا كبيرا هرما وعنده مال عظيم فقال ماذا ينفق من اموالنا واين نضعها اما بحث ماذا فقد تقدم في قوله ماذا اراد الله بهذا
مثلا واما ان القوم سئلوا عما ينفقون لا عن مصرف النفقة اليهم فكيف طابق قوله في الجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الاية فالوجه
فيه انه حصل في الاية ما يكون جوابا عن السؤال وضم اليه زيادة بها يكمل المقصود وذلك ان قوله ما انفقتم من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل
خير وبنى الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا صرفت الى جهة الاستحقاق وقال القفال السؤال وان كان واردا
بلفظ ما الا ان المقصود هو الكيفية فمن المعلوم لهم ان الذي امروا بانفاقه مال يخرج قربة الى الله تعالى وح يكون الجواب مطابقا للسؤال كما طابق قوله الها





بقرة لان الاول سؤالهم عن البقرة ما هي حيث كان المعلوم ان البقر بهيمة شانها كذا وكذا فتوجه الطلب الى تعيين الصفة لا الماهية وقيل انهما سئلوا هذا السؤال
اجيبوا بان السؤال فاسد انفق اي شيء كان ولكن بشرط كونه حلالا ومصروفا الى مصرفه كما لو سئل شخص صحيح المزاج طبيبا حاذقا اي طعام
اكل فالطبيب يعلم انه لا يضره اكل الطعام اي طعام كان فيقول له كل في اليوم مرتين اي كل ما شئت لكن بهذا الشرط فكذا ههنا المعنى لينفق اي شيء اراد
لكن بشرط وهو ان يراعي الترتيب في الانفاق فيقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده وقد ربياه صغيرا ثم الاقربين لان الانسان لا يمكنه ان يقوم بمصالح
جميع الفقراء والترجيح لا بد له من مرجح والقرابة تصلح للترجيح لانه اعرف بحاله والاطلاع على غنى الغني مما يحمل المرء على الانفاق وايضا لو لم يعطه قريبه
احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار وشنار وايضا قريب المرء كجزء منه والانفاق على النفس اولى من الانفاق على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم على
الاكتساب لصغرهم ثم المساكين الذين هم غير اليتامى وابناء السبيل لانهم بسبب الاشتراك في دار الاقامة من انفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعون عن بلدهم
وما لهم ما يبلغون به الى اوطانهم وما تفعلوا من خير من انفاق شيء من مال بناء على ان الخير هو المال او من كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلبا للجزاء
الثواب والهرب من اليم العقاب فان الله به عليم فيجازيكم احسن الجزاء عن السدي ان الاية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويروى عن الحسن
انها ثابتة وقد يكون الانفاق على الفروع والاصول واجبا ويحتمل ان يكون المراد من احب التقرب الى الله تعالى في باب النفقة تطوعا فليراع هذا الترتيب
قوله تعالى كتب عليكم القتال كان النبي صلعم غير ماذون في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن في قتال من يقاتله من المشركين ثم اذن في قتال
المشركين عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد قال بعض العلماء ان هذه الاية يقتضي وجوب القتال على الكل فرض عين لا كفاية اما الوجوب فمستفاد من لفظ
الايجاب ويكفي العمل به مرة واحدة وقوله كتب واما العموم فلان قوله عليكم لا يمنع من الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد كما في قوله كتب عليكم
القصاص كما كتب عليكم الصيام وعن مكحول انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر وعطاء ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي
العمل به مرة واحدة وقوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت والعموم في عليكم الصيام مستفاد من دليل منفصل هو الاجماع
وذلك الدليل مفقود ههنا بل الاجماع منعقد على انه من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون ديار المسلمين فانه يتعين الجهاد على الكل وهو كره
لكم ليس المراد ان المؤمنين ساخطون لاوامر الله تعالى فان ذلك ينافي الاسلام وانما المراد كون القتال شاقا على النفس وكذا شان ساير التكاليف وكيف
لا والتكليف التزام ما فيه كلفة ومشقة وانها في القتال اكثر لان الحيوة اعظم ما يميل اليه الطبع فبذلها ليس بهين والجود بالنفس اقصى غاية الجود
وايضا كراهتهم للقتال قبل ان فرض لما فيه من الخوف من كثرة الاعداء واثارة نوائر الفتن فبين تعالى ان الذي تكرهونه من القتال خير لكم من تركه للمصالح التي
نذكرها والكره الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي هو مكروه لكم وقرئ بالفتح بمعنى المضموم
كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته
كرها وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته مما لم تكره عليه واذا كان الاكراه فبالفتح وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال
وهو سبب للمنافع الجليلة في الاستقبال وبالضد ولهذا احسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في الاستقبال وحسن تحمل الاخطار في الاسفار
لتحصيل الربح في المال وكذا تحمل المتاعب في طلب العلم للفوز بالسعادة العظمى في الدنيا والعقبى العلم اوله مر مذاقته لكن اخره احلى من العسل وههنا كذلك
لان ترك الجهاد وان كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الانفاق ولكن فيه انواع من المفاسد والمضار ادناها تسلط الكفار
واستيلاؤهم على ديار المسلمين وربما يؤدي الى ان استباحوا بيضة الاسلام واستباحوا حريمهم واستاصلوهم عن اخرهم واما منافع الجهاد فمنها
الظفر بالغنائم ومنها الفرح العظيم بالاستيلاء على العدو واما ما يتعلق بالدين فالثبات عليه والثواب في الاخرة وترغيب الناس في الاسلام واعلاء
كلمة الله وتوطين النفس للفراق عن دار البلاء والانقطاع عن عالم الحس قال الخليل عسى من الله واجب في القران قال فعسى الله ان ياتي بالفتح وقد وجد
عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وقد حصل والتحقيق ان معنى الرجاء فيه يعود الى المكلف وان كان المرجو له معلوما لله تعالى كما بينا في لعل والله يعلم وانتم
لا تعلمون وذلك ان علمه تعالى فعلي يعلم الاسباب وما يترتب عليها والحوادث وما تنشا منها يحيط علمه بالمبادي والغايات ولا يعزب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السموات وعلمكم انفعالي فلعلكم تعكسون التصورات فتظنون المبادي غايات وبالعكس والمصالح مفاسد وبالضد وفيه ترغيب عظيم
في اداء وظائف التكاليف وتخويف شديد عن تبعة العصيان والمرود فان الانسان اذا تصور قصور نفسه وكمال علم الله تعالى علم انه لا يامر العبد الا بما فيه خيره
وصلاحه فيلزم نفسه امتثاله وان كرهه طبعه فكانه تعالى يقول يا ايها العبد اعلم ان علمي اكمل من علمك فكن مشتغلا بطاعتي ولا تلتفت الى مقتضى طبعك فهو
ان هذه الاية في هذا المقام يجري مجرى قوله تعالى في جواب الملائكة اني اعلم ما لا تعلمون الحكم الثاني في قوله سبحانه يسئلونك عن الشهر الحرام اكثر
المفسرين على ان هؤلاء السائلين هم المسلمون حيث تخلج في صدورهم ان يكون الامر بالقتال مقيدا بغير الشهر الحرام والمسجد الحرام فسئلوا النبي صلعم هل حل
لهم القتال في هذا الزمان وهذا المكان ام لا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلعم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلعم في جمادى الاخرة
قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة بن
محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم
عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا

نشكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من
اصحابك حتى تنزل على بطن نخلة فترصد بها قريشا لعلك ان تأتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمع وطاعة ثم قال لاصحابه انه قد نهاني
ان استكره احدا منكم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع قد اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستأذنا ان يتخلفا في طلب بعيرهما
فاذن لهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة
من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلعم
هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا راس
عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهي رجب فتشاور
القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن
الحضرمي بسهم فقتل فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون
العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلعم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويتفرق فيه الناس لمعاشهم
يسفك فيه الدماء واخذ فيه الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان فيها من المسلمين فقال رسول الله صلعم لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر
الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان يأخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقطوا في ايديهم وقالوا يا رسول الله
انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فنزلت يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ
فاخذ رسول الله صلعم العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين اصحاب السرية فكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة في فداء
اسيرهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلعم بالمدينة
فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين
فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلعم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وقيل ان
هذا السؤال كان من الكفار سألوا رسول الله صلعم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو اخبرهم بانه حرام استحلوا قتاله فيه فنزلت يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ بخفض على انه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير العامل وقرأ عكرمة قتل فيه قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ اي
عظيم مستنكر كما يسمى الذنب العظيم كبيرة وانما جاز وقوع قتال مبتدأ لكونه موصوفا بالظرف فان قيل كيف نكر القتال في قوله تعالى قل قتال
ومن حق النكرة اذا تكررت ان يكون المذكور ثانيا معرفا مشارا به الى الاول والا كان الثاني مغايرا للاول قلنا لان المراد بالقتال الاول الذي
سألوا عنه القتال الذي اقدم عليه عبد الله بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم ان يكون ذلك من الكبائر مع ان الغرض منه كان نصرة الاسلام
والاعلاء كلمته فاختير التنكير ليكون تنبيها على ان القتال المنهي عنه هو الذي فيه تقوية الكفر وهدم قواعد الدين لا الذي سألوا عنه ثم الجمهور اتفقوا
على ان حكم هذه الاية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل بقي ذلك الحكم او نسخ عن ابن جريج انه قال حلف لي بالله عطاء انه لا يحل للناس الغزو في الحرم
ولا في الشهر الحرام الا على سبيل الدفع وروى جابر قال لم يكن رسول الله صلعم يغزو في الشهر الحرام الا ان يغزى وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين
ان يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام قال نعم قال ابو عبيد والناس بالثغور اليوم جميعا على هذا القول يرون الغزو مباحا في الاشهر الحرم كلها ولم ار
احدا من علماء الشام والعراق ينكره عليهم وكذلك احسب قول اهل الحجاز والحجة في اباحته قوله تعالى فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ويمكن ان يقال
ان قوله قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ نكرة في حيز الاثبات فيتناول فردا واحدا لا كل الافراد فلا يلزم منه تحريم القتال في الشهر الحرام مطلقا فلا حاجة فيه الى تقدير
النسخ والله اعلم وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاِخْرَاجُ اَهْلِهِ مِنْهُ اَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ من القتال في الاشهر الحرم فاذا لم تمتنعوا عنها في الشهر
الحرام فكيف تعيبون عبد الله بن جحش على ذلك القتال مع انه ظن انه في جمادى واعلم ان قوله وصد قد مر وجوه اعرابه في الوقوف اما قوله والمسجد الحرام فقيل
انه معطوف على الهاء في به عند من يجوز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار كقراءة حمزة تساءلون به والارحام بالخفض والكفر بالمسجد
الحرام منع الناس عن الصلوة فيه والطواف به وقيل انه معطوف على سبيل الله اي صد عن سبيل الله وصد عن المسجد الحرام واعترض بانه يلزم
الفصل بين صلة المصدر الذي هو الصد وبين المصدر بالاجنبي الذي هو قوله وكفر به واجيب بان الصد عن سبيل الله والكفر به كالشيء الواحد
في المعنى فكانه لا فصل وبان التقديم لفرط العناية مثل وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا اَحَدٌ وكان حق الكلام ولم يكن احد كفوا له وقيل والمسجد الحرام عطف على الشهر
الحرام اي يسئلونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهذا قول الفراء وابي مسلم وقيل الواو في والمسجد الحرام للقسم الصد عن سبيل الله هو
المنع عن الايمان بالله ومحمد او عن الهجرة وقيل منعهم المسلمين عام الحديبية عن عمرة البيت وزيف بان الاية نزلت قبل غزوة بدر كما مر في قصة ابن
جحش وعام الحديبية كانت بعد غزوة بدر واجيب بان معلوم الله كالواقع والمراد باخراج اهله اخراج المسلمين من مكة وانما جعلهم اهله اذ كانوا هم
القائمين بحقوق المسجد ولهذا قال عز من قائل وَكَانُوا اَحَقَّ بِهَا وَاَهْلَهَا وانما كانت هذه الامور اكبر لان كل واحد منها كفر والكفر اعظم من القتال وقيل
انها اكبر من قتال في الشهر الحرام وهو قتال عبد الله بن جحش ولم يكن قاطعا بانه وقع في الشهر الحرام واما الكفار فيعلمون بان هذه الامور يصد عنهم





في الشهر الحرام وَالْفِتْنَةُ اي الشرك او القاء الشبهات في قلوب المؤمنين والتعذيب كفعلهم ببلال وصهيب وعمار اَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ لان الفتنة تفضي الى القتل
في الدنيا والى استحقاق العذاب الدائم في الاخرة فيصح ان الفتنة اكبر من القتل فضلا عن ذلك القتل الذي وقع السؤال عنه وهو قتل ابن الحضرمي يروى انه لما
نزلت الاية كتب عبد الله بن جحش الى مؤمني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج الرسول صلعم من مكة ومنع المؤمنين عن البيت
الحرام وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ اخبار عن استمرار الكفار على عداوة المسلمين حَتّٰى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ كي يردوكم عنه كقولك اسلمت حتى ادخل الجنة بمعنى كي
ادخل ويجوز ان يكون بمعنى الى كقوله وَلَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارٰى حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ وقوله اِنِ اسْتَطَاعُوا استبعاد لاقتدارهم كقول الرجل لعدوه
وهو واثق بانه لا يظفر به ان ظفرت بي فلا تبق علي وَمَنْ يَرْتَدِدْ ومن يرجع مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ باق على الردة فَاُولٰئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْاٰخِرَةِ اما في الدنيا فلما يفوته من فوائد الاسلام العاجلة فيقتل عند الظفر به ويقاتل الى ان يظفر به ولا يستحق من المؤمنين موالاة ولا نصرا ولا ثناء
حسنا وتبين زوجته عنه ويحرم الميراث واما في الاخرة فيكفي في تقريره قوله وَاُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ واعلم ان الردة اغلظ انواع الكفر
حكما وانها تارة تحصل بالقول الذي هو كفر كجحد مجمع عليه او كسب نبي من الانبياء واخرى بالفعل الذي يوجب استهزاء صريحا بالدين كالسجود للشمس والصنم والقاء
المصحف في القاذورات وكذا لو اعتقد وجوب ما ليس بواجب ويشترط في صحة الردة التكليف فلا يصح ردة الصبي والمجنون وههنا بحث وهو ان جماعة
من المتكلمين ذهبوا الى ان شرط صحة الايمان والكفر حصول الموافاة فالايمان لا يكون ايمانا الا اذا مات المؤمن عليه والكفر لا يكون كفرا الا اذا مات
الكافر عليه لان من كان مؤمنا ثم ارتد والعياذ بالله فلو كان ذلك الايمان الظاهر ايمانا في الحقيقة لكان قد استحق عليه الثواب الابدي فاما ان يبقى الاستحقاقان
او ان الطارئ يزيل السابق وهو ايضا محال لانهما متنافيان وليس احدهما اولى بالتأثير من الاخر بل السابق بالدفع اولى من اللاحق بالرفع لان الدفع اسهل من الرفع
وايضا شرط طريان الطارئ زوال السابق فلو علل الزوال بالطريان لزم الدور وبحث فقهي وهو ان المسلم اذا صلى ثم ارتد ثم اسلم في الوقت
فعند الشافعي لا اعادة عليه لان شرط حبوط العمل ان يموت على الردة لقوله تعالى عطفا على الشرط فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ وعند ابي حنيفة لزمه قضاء ما ادى وكذا
الحج لما جاء في موضع اخر مطلقا وَلَوْ اَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ والحبط في اللغة ان تأكل الابل شيئا يضرها فتعظم بطونها فتهلك وفي الحديث وان مما
ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم سمي بطلان الاعمال به لانه كفساد الشيء بسبب ورود المفسد عليه ولا شك ان المراد من احباط العمل ليس هو ابطال نفس
العمل لان العمل شيء كما وجد فنى وزال واعدام المعدوم محال فقال المثبتون للاحباط والتكفير المعنى ان عقاب الردة الحادثة تزيل ثواب الايمان السابق
اما بشرط الموازنة كما هو مذهب ابي هاشم وجمهور المتاخرين من المعتزلة او لا بشرط الموازنة كما هو مذهب ابي علي وقال المنكرون للاحباط المراد بالاحباط الوارد في كتاب الله
تعالى هو ان المرتد اذا اتى بالردة فتلك الردة عمل محبط لانه يمكنه ان يأتي بدلها بعمل يستحق ثوابا فمعنى حبط عمله انه اتى بعمل ليس فيه فائدة بل فيه مضرة عظيمة او
المراد انه تبين ان اعماله السابقة لم تكن معتدا بها شرعا وروي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم لم يكن لهم
اجر فنزلت اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا الاية لان عبد الله كان مؤمنا وكان مهاجرا وصار بسبب هذه القتال مجاهدا وقيل انه تعالى لما اوجب الجهاد بقوله كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْقِتَالُ وبين ان تركه سبب للوعيد اتبع ذلك بذكر من يقوم به فقال اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا الاية ولا يكاد يوجد وعيد الا ويعقبه وعد معنى هَاجَرُوا فارقوا اوطانهم
وعشائرهم من الهجر الذي هو ضد الوصل والهجر الكلام القبيح لانه مما ينبغي ان يهجر وجاز ان يكون المراد ان الاحباب والاقارب هجروه بسبب هذا الدين وهو ايضا هجرهم
بهذا السبب فكان ذلك مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذي هو المشقة او من الجهد بالضم الطاقة لانه يبذل الجهد في قتال العدو عند فعل
العدو مثل ذلك ويجوز ان يكون معناها ضم جهده الى جهد اخيه في نصرة دين الله كالمساعدة ضم ساعده الى ساعد اخيه لتحصيل القوة اُولٰئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَةَ اللهِ يحتمل ان يكون الرجاء بمعنى القطع واليقين ولكن في اصل الثواب والظن انما دخل في كميته وكيفيته وفي وقته ويحتمل ان يراد المنافع التي يتوقعونها
فان عبد الله بن جحش ما كان قاطعا بالثواب في عمله بل كان يظن ظنا وانما جعل الوعد معلقا بالرجاء ليعلم ان الثواب على الايمان والعمل غير واجب وانما
ذلك بفضله ورحمته كما هو مذهبنا ولو وجب لما صح لانه لا يعلم ان لا يكفر بعد ذلك وهذا الشرط مشكوك وايضا المذكور ههنا هو الايمان والهجرة والجهاد
ولا بد للانسان مع ذلك من سائر الاعمال والتوفيق فيها مرجو من الله وايضا المراد وصفهم بانهم يفارقون الدنيا مع هذه الخصال مقصرين في انفسهم
في نصرة دين الله فيقدمون عليهم راجين رحمته خائفين عقابه الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا اٰتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ اَنَّهُمْ اِلٰى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
يحقق لهم رجاءهم ان شاء بعميم فضله وجسيم طوله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف
هرب قال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب وعن لقمان انه
قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره وارجه اشد من خوفك قال فكيف استطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن لذو قلبين يخاف
باحدهما ويرجو بالاخر وهذا لانهما من حكم الايمان وهما للمؤمن كالجناحين للطائر اذا استويا استوى الطير وتم في طيرانه ومن ههنا قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا اِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَاِثْمُهُمَا اَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ
سؤال كنند ترا از شراب و قمار بگو در آنها گناهی بزرگست و منفعتهاست از برای مردمان و گناه ایشان بزرگتر است از نفع ایشان و سؤال كنند ترا كه چه انفاق كنند در راه خدا
قُلِ الْعَفْوَ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْاٰيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامٰى قُلْ اِصْلَاحٌ
بگو آنچه زیاده است از حاجت همچنین بیان میكند خدا برای شما آیات را تا شاید كه اندیشه كنید در دنیا و آخرت و سؤال كنند ترا از یتیمان بگو كه اصلاح

لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون

القراءة اثم كثير بالثاء المثلثة حمزة وعلي والباقون بالباء قل العفو بالرفع ابو عمرو والباقون بالنصب لاعنتكم بغير همز روى ابو ربيعة عن اصحابه عن حمزة وجهان في الوقف ترك الهمزة لبيان المذهب والهمزة ليدل على اصل الكلمة الوقوف للناس ز قد يجوز مع اتفاق الجملتين تنبيها على ان بيان الثانية اهم من الاولى من نفعهما ط ينفقون ط العفو ط يتفكرون لتعلق الجار والآخرة ط اليتامى ط خير ط فاخوانكم ط

[illegible]



[illegible]

والتفتير وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحبس لاهله قوت سنتهم وقال صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما ابقت غنى ولا يلام على كفاف وللعلماء في هذا الانفاق خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون العفو هو الزكوات فذكرها هنا مجملة وتفصيلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا لبين مقداره ولم يفوض الى راي المكلف وقيل ان هذا كان قبل نزول اية الصدقات وكانوا مامورين بان يأخذوا من مكاسبهم ما يكفيهم في عامهم وينفقون ما فضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين الله لكم الايات اي كما بين لكم وجوه الانفاق ومصارفه فهكذا يبين لكم في مستانف ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة فتاخذون بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق وغيره او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما اي لتتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا لا تختاروا الادنى على الاعلى ويجوز ان يتعلق بيبين اي يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون الحكم الخامس ويسئلونك عن اليتامى عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما عزلوا اموالهم عن اموالهم فنزلت وعنه عن ابن عباس قال لما انزل الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين يأكلون انطلق من كان عنده مال اليتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه فجعل يحبس له ما يفضل من طعامه حتى يأكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير وهو كلام جامع لمصالح اليتيم والولي اما لليتيم فلانه يتضمن صلاح نفسه بالتقويم والتاديب وصلاح ماله بالتنمية والتثمير لئلا تأكله النفقة عليه والزكوة منه واما للولي فلان احراز الثواب خير له من التحرز عن مال اليتيم حتى يختل مصالحه وتفسد معيشته وقيل الخير عائد الى الولي يعني اصلاح اموالهم من غير عوض ولا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل عائد الى اليتيم اي مخالطتهم بالاصلاح خير لهم من التفرد عنهم والاعراض عن امورهم والاصوب هو القول الاول فان جهات المصالح مختلفة غير مضبوطة فينبغي ان يكون نظر المتكفل لامور اليتيم على تحصيل الخير في الدنيا والاخرة لنفسه ولليتيم في ماله ونفسه وان تخالطوهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الاسلام والمخالطة جمع يتعذر فيه التمييز قيل المراد وان تخالطوهم في الطعام والشرب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم فذلك جائز كما يفعله المرء بمال ولده ومع اخوانه في الدين فان هذا ادخل في حسن العشرة والمؤالفة وقيل المراد بهذه المخالطة ان ياخذ من مال اليتيم قدر اجرة المثل في ذلك العمل وسنشرح المذاهب في ذلك ان شاء الله تعالى اذا انتهينا الى تفسير قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وقيل المراد ان يخالطوا اموال اليتامى باموالهم وانفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية جهات المصلحة والغبطة للصبي وحمل بعضهم المخالطة على المصاهرة واختاره ابو مسلم لان هذا خلط لليتيم نفسه والشركة خلط لماله وايضا الشركة داخلة في قوله قل اصلاح لهم خير والخلط من جهة النكاح وتزويج البنات منهم لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب وايضا انه تعالى قال بعد هذه الاية ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فكان المعنى ان المخالطة المندوب اليها انما هي في اليتامى الذين هم لكم اخوان في الاسلام ليتأكد الالفة بالمناكحة فان كان اليتيم من المشركين فلا تفعلوا ذلك والله يعلم المفسد لامورهم من المصلح لها او يعلم ضمائر من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازي على حسب غرضه ومقصده فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفيه تهديد عظيم فكانه قال انا المتكفل بالحقيقة لامر اليتيم وانا المطالب لوليه ان قصر ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت والمشقة بان ضيق عليكم طريق المخالطة معهم وعن ابن عباس لو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا وذلك انهم كانوا في الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع باموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها او يزوجها من ابن له كيلا يخرج مالها من يده وقد يستدل بالاية على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه وعلى انه تعالى قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات ما جاز ان يقول لو شاء لاعنتكم فلهذا قال ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم الحكم السادس ولا تنكحوا المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الاية ابتداء شرع وحكم اخر في بيان ما يحل ويحرم وعن ابي مسلم انه متعلق بقصة اليتامى ترغيبا في مخالطتهن دون مخالطة المشركات عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت هذه الاية ثم العلماء اختلفوا في الاية في موضعين الاول في لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب الشافعي انه حقيقة في العقد لقوله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل ولا شك ان المتوقف على الولي والشاهد هو العقد لا الوطء ولقوله ايضا ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى وانكحوا الايامى وقال الجمهور من اصحاب ابي حنيفة انه حقيقة في الوطء لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي اليه الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطء بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وقال صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس من قال النكاح عبارة عن الضم يقال نكح المطر الارض اذا وصل اليها ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطء فيحسن استعمال اللفظ فيهما جميعا قال ابن جني سئلت ابا علي عن قولهم نكح المرأة فقال فرقت العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا نكح فلان فلانة ارادوا انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا نكح امرأته او زوجته لم يريدوا غير المجامعة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح في هذه الاية هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات الثاني لفظ المشرك هل يتناول الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون نعم لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل ان يغفر الله لهم وذلك باطل بالاتفاق وايضا النصارى قائلون بالتثليث وليس ذلك في الصفات فان اكثر المسلمين ايضا يثبتون لله تعالى صفات قديمة فاذن هو في الذات وهذا





شرك محض وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اميرا وقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم سمى من يقبل الجزية وعقد الذمة بالمشرك وقال ابو بكر الاصم كل من جحد رسالته فهو مشرك من حيث ان تلك المعجزات التي ظهرت على يده كانت خارجة عن حد البشر وهم انكروها واضافوها الى الجن والشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه بان اليهودي لا يسلم ان ما ظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافة ذلك الى غير الله والجواب انه لا اعتبار باقراره وانما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز خارج عن قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان والنبات الى الافلاك والكواكب احتج المخالف بانه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين في الذكر حيث قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والعطف يقتضي المغايرة واجيب بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر يكفي في العطف ولعله خص ثم عم وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا ان اكثر عبدة الاوثان مقرون بان اله العالم واحد وانه ليس له في الالهية على خلق العالم وتدبيره شريك ونظير فظهر ان وقوع اسم المشرك عليهم ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة والزكوة واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم لا سيما وقد تواتر النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بانه يسمي كل من كان كافرا بانه مشرك التفريع ان قيل المشركات تشمل الحربيات والكتابيات جميعا فالاية منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شيء منها قط وهو قول ابن عباس وقال الاوزاعي لا يقال لعل المراد من بعد ان كان من اهل الكتاب لان قوله والمحصنات من المؤمنات يشمل من امن منهن فيبقى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ضايعا ولاجماع الصحابة على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة تزوج يهودية او نصرانية فكتب اليه عمر ان خل سبيلها فكتب اليه اتزعم انها حرام فقال لا ولكني اخاف وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء اهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم ولو لم يكن نكاح نسائهم جائزا لكان هذا الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات تختص بالحربيات فالاية ثابتة وباقية على عمومها ومن الناس من زعم ان هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من التزوج بالمشركات وهذا عن الحسن ضعيف بان رفع مباح الاصل ليس بنسخ لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين لا ان يقال ان تجويز نكاح المشركة قبل نزول الاية كان ثابتا من قبل الشرع قوله حتى يؤمن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام ولكن لا يدل هذا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة عن الاقرار فقط لما مر في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب انه لا بد في الايمان الحقيقي من التصديق القلبي الا انه اكتفى ههنا بالاقرار اللساني لانه هو امارة الايمان بالنسبة الينا فلا اطلاع لنا على صميم القلب والسريرة موكولة الى علام الخفايا فان وافق سره العلن كان مؤمنا حقا والا كان منافقا جاحدا ولامة مؤمنة هذا اللام في افادة التوكيد تشبه لام القسم المراد بالامة وكذا بالعبد في قوله ولعبد مؤمن مملوكة الله وعبده لان الناس كلهم عبيد الله وامائه اي لامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة خير من مشركة ولو اعجبتكم للمبالغة والجواب محذوف اي ولو كانت المشركة تعجبكم بمالها وجمالها ونسبها فالمؤمنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال والنسب يتعلق بالدنيا ورعاية الدين اولى من رعاية الدنيا ان لم يتيسر الجمع بينهما وقد يحصل المحبة والتالف عند التوافق في الدين فيكمل منافع الدنيا ايضا من حسن الصحبة والعشرة وحفظ الغيب وضبط الاموال واما الاولاد وعند اختلاف الدين ينعكس هذه القضايا وقد يكون اضداد ما توقع منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لاربع لمالها وحسبها وجمالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقد ظن بعضهم ان المراد بالامة ضد الحرة فقال التقدير ولامة مؤمنة خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعض اخوانه الى ان في الاية دلالة على ان القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة لان الاية دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجد الطول الحرة المسلمة لانه لا بسبب التفاوت في الايمان والكفر لا يتفاوت قدر المال المحتاج اليه في اهبة النكاح فيلزم قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لا خلاف ههنا في ان المراد به الكل وان المؤمنة لا يحل تزويجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفرة اولئك المشركات والمشركون يدعون الى النار اي الى ما يؤدي اليها فان الزوجية مظنة الالفة والمحبة في الظاهر وقد يحمل المودة على الاتفاق في الدين فلعل المؤمن يوافق الكافر والاحتراز عن مظنة الارتداد اهم من الطموح الى اسلام المشرك فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون الى ترك المحاربة والجهاد وفي ترك الجهاد استحقاق النار والعذاب وغرض هذا القائل ان يجعل هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على ترك الجهاد وقيل ان الولد الذي يحدث ربما دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو الدعوة الى النار والله يدعوا الى الجنة حيث امر بالتزوج بالمسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل الجنة او المراد ان اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يؤدي اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتوفيق الله وتيسيره للعمل الذي يستحق به الجنة والغفران وقرا الحسن والمغفرة بالرفع على الابتداء اي والمغفرة كائنة بتيسيره ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون معناه واضح وقد عرفت فيما مر ان التذكر محاولة استرجاع الصورة المحفوظة فكان الايات تنبيه على ما هو مركوز في العقول من حقية دين الاسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون التاويل انه تعالى لما كان يتخذ من اجناس مختلفة

كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذه تسكر النفوس والعقول الانسانية التي هي مناط التكليف فلهذا حرمت في عالم التكليف واما ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات في اثناء المشاهدات من سبحات تجلي الصفات اذا دارت الكؤس ابحت شهوات النفوس فتسكر القلوب بالمواجيد عن المواعيد والارواح بالشهود على الوجود والاسرار بمطالعة الجمال من ملاحظة الكمال وهذا شراب حلال لانه فوق عالم التكليف لانه يمزج اللطيف باللطيف فيه منافع للناس وملاذ لاهل القرب والاستيناس فصحوك من لفظي هو الوصل كله وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا فما مل ساقيها وما مل شارب عقار لحاظ كاسه يسكر اللبا قوم اسكرهم وجود الشراب وقوم اسكرهم شهود الساقي فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المدير الكاس الشراب الساقي والمسقي ههنا واحد كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانه خمر ولا قدح ولا خمر وانما الاعراض عن كؤس الوصال في النهاية اكبر من نفع الطلب في البداية اما الميسر فاثمه كبير عند الاخيار وانه بعيد عن خصال الابرار ولكن نفعه عدم الالتفات الى الكونين وبذل نفوس العالمين في قربانية نفس الكعبتين واثمهما اكبر من نفعهما للعوام ونفعهما للخواص وللعوام اكثر من الخواص وبعبارة اخرى الاثم في الخمر الظاهر والميسر الظاهر والنفع في الخمر الباطن والميسر الباطن لاهل الظاهر اكثر من اهل الباطن والله اعلم

**وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ اَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتّٰى يَطْهُرْنَ فَاِذَا تَطَهَّرْنَ فَاْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ اَمَرَكُمُ اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاْتُوا حَرْثَكُمْ اَنّٰى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً لِاَيْمَانِكُمْ اَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِي اَيْمَانِكُمْ وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ اَرْبَعَةِ اَشْهُرٍ فَاِنْ فَاءُوا فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَاِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَاِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**

القراءة حتى يطهرن بالتشديد اي يتطهرن فادغم التاء في الطاء حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص الباقون يطهرن بالتخفيف من الطهارة انى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرأ العباس بالامالة اللطيفة كل القراء الباقون بالتفخيم لا يؤاخذكم بلينه كل همزة متحركة وتحرك ما قبلها مثل يؤخر ويؤده واشباه ذلك بغير همز يزيد وورش والشموني وحمزة في الوقف الوقوف عن المحيض ط اذى ط لان لكونه اذى تأثيرا بليغا في وجوب الاعتزال في المحيض لا للعطف حتى يطهرن ج لان اذا متضمنة الشرط للفاء في جوابه مع فاء التعقيب فيها امركم الله ط المتطهرين حرث لكم ص لان الفاء كالجزاء اي اذا كن حرثا فاتوهن والا فقد اختلف الجملتان شئتم ز فقد يجوز لوقوع العارض لانفسكم ط ملاقوه ط المؤمنين بين الناس ط عليم قلوبكم ط اشهر ج عليم التفسير الحكم الثاني

ويسئلونك عن المحيض قيل انه تم جمع في هذا الموضع بين ستة اسئلة فذكر الثلثة الاول بغير الواو والباقية بالواو والسبب ان سؤالهم عن تلك الحوادث وقع في اوقات متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل احد من تلك السؤالات مبتدأ وسئلوا عن الوقايع الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن كذا وعن كذا روي ان اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وكان اهل الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فنزلت الآية فقال صلعم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت يعني ان المراد من قوله تعالى فاعتزلوا النساء فاعتزلوا مجامعتهن ثم اتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمان الحيض واتفقوا على حل الاستمتاع بالمرأة بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا فيما دون السرة وفوق الركبة والشافعي وابو حنيفة وابو يوسف قالوا يجب اعتزال ما اشتمل عليه الازار بناء على ان المحيض مصدر كالمجيء والمبيت والتقدير فاعتزلوا تمتع النساء في زمان الحيض ترك العمل بالآية فيما فوق السرة وتحت الركبة للاجماع فبقي الباقي على الحرمة وعن زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبي ما يحل له من امرأته وهي حائض قال تشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالمحيض موضع الحيض والمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من النساء نعم المحيض الاول مصدر ليصلح عود الضمير في قوله قل هو اذى اليه اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى المكان والتقدير هو ذو اذى ثم انما قدم قوله هو اذى لترتب الحكم وهو وجوب الاعتزال عليه وذلك ان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة يدفعها طبيعة المرأة من طريق الرحم حتى لو احتبست تلك الفضلة لمرضت المرأة فذلك الدم جار مجرى البول والغائط فكان اذى وقذرا ولا يرد عليه دم الاستحاضة حيث لا يوجب الاعتزال لانه دم صالح يسيل من عرق ينفجر في عنق الرحم ويؤيده ما روي في الصحيحين عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت ابي حبيش فقالت يا رسول الله

اني امرأة



اني امرأة استحاض فلا اطهر افادع الصلوة فقال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك الدم وصلي ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واصل الحيض في اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهري منه قيل الحوض لان الماء يحيض اليه اي يسيل والواو والياء من جنس واحد ثم قد ورد في الحديث لدم الحيض صفات منها السواد وبانه يعلوه حمرة متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة ومنها المحتدم وهو المحترق من شدة حرارته ومنها انه ذو دفعات اي يخرج برفق ولا يسيل سيلا ومنها ان له رائحة كريهة ومنها انه بحراني وهو الشديد الحمرة وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه فالاصل بقاء التكليف وزواله انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه على المكلف فايجاب التأمل في تلك الدماء وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين فان رأت الصبية دما قبل استكمال التسع فهو دم فساد قال الشافعي واعجل من سمعت من النساء يحضن نساء تهامة يحضن لتسع سنين وقيل ان اول وقت الامكان بدخول الطعن في السنة التاسعة وقيل بمضي ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند الشافعي يوم وليلة وعند ابي حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما لقول علي كرم الله وجهه ما زاد على خمسة عشر فهو استحاضة وعن عطاء رأيت من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى المرأة الدم في عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال مالك ما اعلم بين الحيضتين فيما يعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء وروي انه صلعم قال تمكث احديهن شطر دهرها لا تصلي اشعر بذلك ان اقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء في الحيض ست وسبع في الطهر باقي الشهر قال صلعم لحمنة بنت جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى في علم الله اي بما علمك الله من عادتك او من غالب عادات النساء ويحرم في الحيض عشرة اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف والمكث في المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة القرآن والسجود والغشيان بنص القرآن والطلاق في خلوة بعضهم ثم ان اكثر فقهاء الامصار على ان المرأة اذا انقطع حيضها لا يحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي والثوري والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رأت الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وان رأته عشرة ايام جاز له ان يقربها قبل الاغتسال حجة الشافعي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قرأ يطهرن بالتخفيف فانتهاء الحرمة عنده انقطاع الدم ومن قرأ يطهرن بالتثقيل فالنهاية تطهرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بان يكون النهاية حصول الشيئين ومعنى قوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن وهذا كالتأكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن المباشرة في موضع الدم وهذا نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فأتوهن تعليق للاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم التطهر والمراد بالتطهر الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المرأة فوجب ان يحصل في كل بدنها لا في بعض من ابعاض بدنها وعن عطاء وطاوس هو ان تغسل الموضع وتتوضأ وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند اعواز الماء من حيث امركم الله اي من المأتى الذي امركم به حلال لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابرهيم وقتادة وعكرمة وقال الاصم والزجاج فأتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية فأتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك بمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان الدبر ويحب المتطهرين المتنزهين عن تلك الفواحش فالتائب هو الذي فعله ثم تركه والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه لان الذنب كانه نجاسة روحانية حكمية انما المشركون نجس ويحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهر التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار الحكم الثامن نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان فأتوهن من حيث امركم الله دلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان يؤتى المأتى الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كانت اليهود يقول اذا جاءها من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد علي شيئا فاوحي الى رسول الله صلعم هذه الآية وتحويل الرحل قيل ظاهره الكناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل المراد الاتيان في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعنه كانت الانصار تنكر ان يأتي الرجل المرأة مجبية اي في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله صلعم فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات بعد ان يتقي الدبر والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اي مزدرع ومنبت للولد هذا على سبيل التشبيه ففرج المرأة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث لانه مصدر اقيم مقام المضاف اي هن مواضع حرث فأتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر هذا ما عليه اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من قائل قل هو اذى فاعتزلوا جعل ثبوت الاذى علة للاعتزال لا معنى للاذى الا ما يتأذى الانسان منه بنتن وتلوث

وتنفر الطبع لاذى في الدبر حاصل ابدا فالاعتزال عنه اولى بالوجوب فمعنى أنّى شئتم كيف شئتم من قبلها او قائمة او باركة او مضجعة وقيل انّى بمعنى
اي فأتوا حرثكم اي وقت شئتم من اوقات الحل يعني اذا لم تكن اجنبية او محرمة او صائمة او حائضا وعن ابن عباس المعنى ان شاء عزل وان شاء لم يعزل وقيل
متى شئتم من ليل ونهار والاصح الاول وعن مالك والشيعة تجويز اتيان النساء في ادبارهن ويحكى ان نافعا نقل عن ابن عمر مثل ذلك واحتجوا بان الحرث
اسم المرأة لا للموضع المعين وبان قوله انّى شئتم معناه من اين شئتم كقوله انّى لك هذا اي من اين وكلمة اين تدل على تعدد الامكنة فيلزم ان يكون المأتي متعددا
وبقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ترك العمل بعمومه في حق الذكور لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق الاناث ولا يخفى ضعف هذه
الحجج ولو سلم مساواتها لادلة الحرمة في القوة فالاجتناب احوط وكيف لا وقد روي عن رسول الله صلعم ملعون من اتى امرأة في دبرها ولو لم يكن فيه الا تفويت
غرض التوالد والتناسل الذي بقاء النوع الانساني الذي هو اشرف انواع الكائنات به لكفى منقصة وذما واذا كان الزنى لكونه مزيلا للنسب محرما وكذا
الخمر لكونها رافعة للعقل والقتل لكونه مفنيا للشخص فلان يحرم هذا الفعل لكونه متضمنا لفناء النوع اولى كاللواط واتيان البهيمة والاستمناء
باليد اعقبه بقوله وقدموا لانفسكم اي افعلوا ما تستوجبون به الجنة والكرامة كقول الرجل لغيره قدم لنفسك عملا صالحا وذلك ان الاية اشتملت
على الاذن في احد الموضعين والمنع عن الموضع الاخر فكانه قيل لا تكونوا في قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا في بقية الاخلاص وتقديم الطاعة ثم انه
اكد ذلك بقوله واتقوا الله ثم زاد التأكيد بقوله واعلموا انكم ملاقوه وهذه التهديدات الثلثة المتوالية لا تحسن الا اذا كان مسبوقة بالنهي عن
شيء فقوله وقدموا لانفسكم تحريض على فعل الطاعات ويندرج فيه ابتغاء الولد والتسمية عند الوقاع وغير ذلك من آداب الخلوة وقوله
واتقوا الله زجر عن المحظورات والمنكرات وقوله واعلموا انكم ملاقوه تذكير ليوم البعث والحساب الذي لولاه لضاع فعل الطاعات وترك المنهيات
وما احسن هذا الترتيب ثم قال وبشر المؤمنين كيلا يخلو الوعيد من الوعد ولم يذكر المبشر به وهو الثواب والكرامة ونحوهما اما لانه كالمعلوم من نحو
قوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات واما لان الغرض نفس البشارة مثل فلان
يعطي الحكم التاسع ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وهو نهي عن الجرأة على الله بكثرة الحلف فان من اكثر ذكر شيء في معنى من المعاني فقد جعله عرضة
اي معرضا له قال فلا تجعلوني عرضة للوائم وقد ذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين والحكمة فيه ان من حلف في كل قليل
وكثير بالله انطلق لسانه بذلك فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما كان الانسان اكثر تعظيما لله كان اكمل في العبودية ومن كمال التعظيم
ان يكون ذكر الله تعالى اجل واعلى عنده من ان يبتذله ويستشهد به في غرض من الاغراض الدنيوية وقوله ان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا فاذا ترك الحلف لاعتقاده ان الله اعظم واجل من ان يستشهد باسمه
العظيم في مطالب الدنيا اعتقد الناس في صدق لهجته وبعده من الاغراض الفاسدة فعدوه برا متحذرا من الاخلال بواجب حق الله فيدخلونه في
وساطاتهم واصلاح ذات بينهم ومعنى اخر وهو ان يكون العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة فيكون اسما للشيء الذي يوضع في عرض
الطريق فيصير مانعا للناس من السلوك ومنه عرض العود على الاناء ويقول فلان عرضة دون الخير وذلك ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات
من صلة الرحم واصلاح او احسان او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما
حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلعم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر
عن يمينك اي على شيء مما تحلف عليه فيكون قوله ان تبروا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس وعلى هذا
فاللام في لايمانكم اما ان يتعلق بالفعل اي فلا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا واما ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوا شيئا
يعترض البر ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالعرضة اي لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع ان حلفتم به عليم
بنياتكم ان تركتم الحلف اجلالا لذكره واليمين في الاصل عبارة عن القوة فسمي الحلف بذلك لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث اللغو الساقط
الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولهذا قيل لما لا يعتد به من اولاد الابل في الدية لغو وهو في الاصل مصدر لغا يلغو قال صلعم من قال يوم الجمعة لصاحبه صه والامام
يخطب فقد لغا واختلف الفقهاء في اللغو من اليمين فذهب الشافعي وهو قول عائشة والشعبي وعكرمة انه قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون
به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف فلو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة ومذهب ابي حنيفة وهو قول
ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة والسدي ومكحول ان اللغو هو ان يحلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفائدة
الخلاف ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بالضد
من ذلك حجة الشافعي ان الاية تدل على ان لغو اليمين كالمقابل المضاد لما يحصل بسبب كسب القلب لكن المراد من قوله بما كسبت قلوبكم هو الذي يقصده
الانسان على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما يعتاده الناس في الكلام لا والله وبلى والله فاما اذا حلف على شيء انه كان حاصلا جدا ثم ظهر انه لم
يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق قوله وربط قلبه بذلك فلم يكن لغوا البتة وايضا انه سبحانه ذكر قبل هذه الاية النهي عن كثرة الحلف فذكر عقيب
ذلك حال هؤلاء الذين يكثرون الحلف على سبيل الاعتياد في الكلام لا على سبيل القصد الى الحلف وبين انه لا مؤاخذة عليهم ولا كفارة لان ايجاب الكفارة
والمؤاخذة عليهم يفضي اما الى ان يمتنعوا عن الكلام او يلزمهم في كل لحظة كفارة وكلاهما حرج في الدين فظهر ان تفسير اللغو بما ذكرنا هو المناسب ويؤيده ما روي



عائشة عن النبي صلعم انه قال اللغو في اليمين قول الرجل في كلامه لا والله وبلى والله وروي انه صلعم مر بقوم ينتضلون ومعه رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال اصبت
والله ثم اخطأ فقال الذي مع النبي صلعم حنث الرجل يا رسول الله فقال صلعم كل ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وعن عائشة انها قالت ايمان اللغو
ما كان في المراء والهزل والمزاحة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب واثر الصحابي في تفسير كلام الله حجة وقال ابو حنيفة اليمين معنى لا يلحقه الفسخ فلا يعتبر فيه القصد كالطلاق والعتاق
وايضا انه صلعم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب الكفارة على الحانث مطلقا من غير فصل
بين المجد والهازل وقيل ان يمين اللغو هو الحلف على ترك طاعة او فعل معصية فبين الله تعالى انه لا يؤاخذ بترك هذه الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
اي باقامتكم على ذلك الذي حلفتم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية وعن الضحاك ان اللغو هي اليمين المكفرة كانه قيل لا يؤاخذكم الله باسم الحلف اذا كفرتم
وقيل هي ما يقع سهوا والمراد بما كسبت قلوبكم هو العمد اختاره القاضي ابو بكر ثم ان الشافعي قال معنى لا يؤاخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد
معه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه
احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس قال
مالك في الموطأ احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة قال والذي يحلف على الشيء
وهو يعلم ان فيه اثما كاذبا ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء
المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك ويحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه والله
غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تتفكرون وتتوبون عنها الحكم العاشر للذين يؤلون من نسائهم
يقال في اللغة آلى يؤلي ايلاء وأيلة وائتلى ائتلاء وتألى تأليا والالية والقسم واليمين والحلف كلها واحد وفي الحديث القدسي آليت ان افعل خلاف المقدرين
الايلاء في الشرع هو الحلف على الامتناع من وطء الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة اشهر وكان الايلاء طلاقا في الجاهلية فغير الشرع حكمه قال سعيد بن المسيب
كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب ان يزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها بذلك لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المرأة ثم ان اهل الاسلام
كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله تعالى ذلك وامهل الزوج مدة حتى يتروى ويتأمل فان رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان رأى المصلحة في المفارقة
عن المرأة فارقها ثم المتعارف ان يقال آلى على كذا وانما عدي ههنا بمن لانه يتعلق بهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كما يقال لي منك كذا او ضمن هذا
القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم او يعتزلون مولين او مقسمين والتربص التلبث والانتظار واضافته الى اربعة اشهر اضافة
المصدر الى الظرف كقولهم بينهما مسيرة يوم اي مسيرة في يوم فان فاؤا فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم يغفر للمولي
ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار المرأة بالايلاء وهو الغالب وان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل ولغير ذلك
من الاسباب وان عزموا الطلاق بان عقدوا القلب على حل رابطة النكاح فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة التي هي مثل التوبة واعلم
ان الايلاء له اركان اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف عليه ومدة المحلوف عليه الركن الاول الحالف وهو كل زوج يتصور منه الوقاع وكان تصرفه
معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم قوله للذين يؤلون وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاؤه بالله ويصح بالطلاق والعتاق ثم
لا فرق عندنا بين الحر والرقيق في المدة وعند ابي حنيفة يتنصف برق المرأة وعند مالك برق الرجل كما في الطلاق ولنا ان التخصيص خلاف الظاهر ولان تقدير
هذه المدة ان كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع وهو قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة
يصح الايلاء في حالتي الرضا والغضب لعموم الاية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب وايضا يصح الايلاء عن المرأة سواء كانت في صلب النكاح او
مطلقة طلقة رجعية لان الرجعية يصدق عليها انها من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها فتدخل تحت ظاهر قوله يؤلون
من نسائهم ولهذا لو قال لاجنبية والله لا اجامعك لم يكن موليا وايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل غير انه لا ينزل ومن جب جميع ذكره ما صح
ايلاؤه على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايلاء لامتناع الامر في نفسه وكذا الاشل ومن بقي من ذكره بعد الجب ما دون قدر الحشفة فان آلى
ثم جب فالاصح ثبوت الخيار لها فان لم تفسخ بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض وقد قصد الاضرار في الابتداء واذا كانت المرأة رتقاء او قرناء
فالحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون بحال الركن الثاني المحلوف به وهو اسماء الله تعالى وصفاته او غيره فان حلف بالله كان موليا ثم ان جامعها
في مدة الايلاء خرج عن الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين الجديد وهو قول ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين لان الدلائل الدالة على وجوب
الكفارة عند الحنث باليمين عامة واي فرق بين ان يقول والله لا اقربك ثم يقربها وبين ان يقول والله لا اكلمك ثم يكلمها وانما ترك ذكر الكفارة
في الاية لانها مبينة في سائر المواضع من القرآن وعلى لسان الرسول وقوله تعالى فان الله غفور رحيم يدل على عدم العقاب لانه لا ينافي الكفارة كما
ان التائب عن الزنى والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك يجب عليه الحد والقصاص واما ان كان الحلف في الايلاء بغير الله كما اذا قال ان وطئتك فلله علي عتق رقبة
او صدقة او حج او صوم او صلوة فهل يكون موليا الجديد وهو قول ابي حنيفة ومالك وجماعة من العلماء انه يكون موليا لان العتق والطلاق المعلقين
بالوطء يحصلان لو وطئ فيكون مما يلزمه بالوطء ما يناله من الوطء ويكون هو بتعليقه بالوطء مضارا بها فيثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى حتى
يضيق الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر ليفيء او يطلق ولا يخفى انه لو كان المعلق به التزام قربة في الذمة فعليه ما في نذر اللجاج وفيه اقوال اصحها ان عليه

عليه كفارة اليمين الثانى عليه الوفاء بما سمى والثالث التخيير بين كفارة اليمين بين الوفاء الركن الثالث المحلوف عليه وهو الجماع هذا من صرائح الفاظه و
كذا النيك والوطى والاصابة من كناياتها المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تعمل الا بالنية الركن الرابع المدة فعن ابن عباس انه لا يكون موليا حتى يحلف
ان لا يطأها ابدا وعن الحسن واسحق انه مول ان حلف يوما وهذان المذهبان فى غاية البعد وعن ابى حنيفة والثورى انه لا يكون موليا حتى يحلف على ان لا
يطأها اربعة اشهر اجل الاربعة اشهر وهذه المدة يكون حقا للزوج فاذا مضت طالبت المرأة الزوج بالفيئة او الطلاق فان امتنع الزوج منهما طلقها
الحاكم عليه وعند ابى حنيفة اذا مضت اربعة اشهر يقع الطلاق بنفسه حجة الشافعى ان الفاء فى قوله فان فاؤا يقتضى كون ما بعده من حكمى الفيئة والطلا
ق مشروعا متراخيا عن انقضاء الاشهر الاربعة وايضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سميع صريح فى ان وقوع الطلاق انما يكون بايقاع الزوج فى ان
الزوج لا بد ان يصدر عنه شئ يكون مسموعا وما ذاك الا ايقاع الطلاق اجاب ابو حنيفة بان قوله فان فاؤا تفصيل الحكم المتقدم كما تقول انا نزيلكم
هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول وايضا الايلاء طلاق فى نفسه فالطلاق اشارة اليه وايضا الغالب العازم للطلاق والضرار
وترك الفيئة لا يخلو من مقاولة ودمدمة وحديث نفس وذلك الذى يسمعه الله كما يسمع وسوسة الشيطان واستدل على صحة مذهبه ان الفيئة لا بد ان
تقع فى الاشهر بقراءة عبد الله بن مسعود فان فاؤا فيهن ورد بانها شاذة فلا معول عليها والرجوع الى الحق اولى الله حسبى التأويل كما ان للنساء محيضا
فى الظاهر وهو سبب نقصان ايمانهن يمنعهن عن الصلوة والصيام فكذا للرجال محيض فى الباطن وهو سبب نقصان ايمانهم يمنعهم عن حقيقة الصلوة
وهى المناجات وعن حقيقة الصوم وهى الامساك عن مشتهيات النفوس كما ان المحيض هو غلبة الدم فكذلك الهوى هو غلبات دواعى الصفات البشرية و
الحاجات الانسانية فكلما غلب الهوى تكدر الصفا وحصل الاذى وقد قيل قطرة من الهوى يكدر بحرا من الصفا ولذلك نودى من سرادقات الجلال فاعتزلوا
الرجال اعتزلوا نساء النفوس فى محيض غلبات الهوى حتى يطهرن بالفراغ عن قضاء الحوائج الضرورية للانسان من الماكول والمشروب والمنكوح فاذا تطهرن
بماء التوبة والانابة ورجعن الى الحضرة فى طلب القربة فأتوهن من حيث امركم الله يعنى طهر شواهد الحق لزهوق باطل النفس واضمحلال هواها ان الله
يحب التوابين عن اوصاف الوجود ويحب المتطهرين بالاخلاق المعبود بل يحب التوابين عن بقاء الوجود ويحب المتطهرين بفناء الشهود نساؤكم حرث لكم
الرجال البالغون الواصلون الى عالم الحقيقة المتصرفون فيما سوى الله بخلافة الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبياء والاولياء القائمون
بالله الداعون الى الله باذنه فكان الدنيا مزرعة الآخرة للقوم فالدنيا والآخرة مزرعتهم ومحرثهم يحرثون فيها انى شاؤا وكيف شاؤا وما يشاؤن الا
ان يشاء الله فقد ثبت مشيتهم فى مشية الله وبقيت قدرة تصرفهم بتقويته لا يؤاخذكم الله القلب كالارض للزراعة والجوارح كالالات الحراثة والاعمال
والاقوال كالبذر فالبذر ما لم يقع فى الارض المرتبة للزراعة لا ينبت وان كان فى آلة من الالات الحراثة اما ان كان لما يجرى على الظواهر من الجوارح اثر فى القلب
ولو كان مثقال ذرة فان الله تعالى من كمال فضله وكرمه لا يضيعه بل يضاعفه وان كان مما يجرى عليه الظاهر فان لم يكن له اثر فى القلب كان لغوا لا يؤاخذه
وان كان له اثر فى القلب فهو بصدد المؤاخذة وان شاء الله عفره للذين يؤلون من نسائهم من وقع له من اهل القصد وقفة او فترة فى اثناء السلوك من ملامة
النفس ونفرة الطبع فعلى الشيخ والاصحاب ان لا يعادوه فى الحقيقة ويعاونوه ما لهم العلية ويتربصوا اربعة اشهر للرجوع لان هذه مدة تعلق الروح بالجنين
كما جاء فى الحديث ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك الى آخره فان فاؤا الفيئة الى صدق الطلب
ورعاية حق الصحبة ونفخ فيه روح الارادة مرة اخرى لا حظوه بعين القبول فان هذا ربيع لا يرعاه الا المعزولون ربيع لا يسكنه الا المعزولون
بل شراب لا يذوقه الا العارفون وغناء لا يطرب عليه الا العاشقون وان عزموا الطلاق لعزمه على طلاق المواصلة فان الله سميع لمقالتهم عليم بحالهم
وهو حسبى

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلٰثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّٰهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ
يُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ
تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّٰهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّٰهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا
فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ
مِنْ بَعْدُ حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللّٰهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ
يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ





ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللّٰهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ
عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا
تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكُمْ أَزْكٰى
لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

القراءات يخافا بضم الياء يزيد وحمزة ويعقوب الباقون بفتح الياء يبينها بالنون المفضل الباقون بالياء
العينية يفعل ذلك مدغما حيث كان ابو الحارث عن على يقد ظلم مظهرا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وعاصم
غير الاعشى الوقوف قروء ط الآخر ط اصلاحا ط بالمعروف ص لعطف المتفقتين ولا تمام المقصود فى تفضيل الرجال درجة ط حكيم مرتان ص لعطف الجملتين
باحسان ط حدود الله الاول ط افتدت به ط تعتدوها ج الظالمون ربع الجزء غيره ط لان الطلاق للزوج الثانى على خطر الوجود لا منتظر معهود وكان خارجا
من مقتضى الجملة الاولى ان يقيما حدود الله ط يعلمون او سرحوهن بمعروف ص لطول الكلام لتعتدوا ج نفسه ط هزوا ط لطول ما بعد يعظكم به ط بالمعروف ط
الآخر ط واطهر ط لا تعلمون التفسير الحكم الحادى عشر الطلاق ويشتمل على احكام اولها وجوب العدة واعلم ان المطلقة وهى التى وقع الطلاق عليها اما ان يكون
اجنبية ولا يقع الطلاق عليها فى عرف الشرع بالاجماع واما ان يكون منكوحة اما ان لا يكون مدخولا بها ولا عدة عليها لقوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها واما ان يكون مدخولا بها فان كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل لقوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كانت حائلا فان امتنع الحيض فى حقها اما للصغر المفرط والكبر المفرط فعدتها بالاشهر لا بالاقراء لقوله سبحانه و
اللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللائى لم يحضن وان كان الحيض فى حقها ممكنا فان كانت رقيقة فعدتها قرءان وان كانت
حرة فعدتها ثلثة اقراء لهذه الاية فظهر ان قوله والمطلقات لا يتناول الا المنكوحة الحرة المدخول بها من ذوات الحيض الحائل فهذا العام مما يحسن تخصيصه
اذا كان الباقى اكثر من حيث جرت العادة باطلاق لفظ الكل على الغالب لا المغلوب فيقال الثوب اسود اذا كان الغالب عليه السواد لا البياض وههنا الباقى
قسم الواحد من الاقسام الخمسة فكيف يحسن اطلاق لفظ العام عليه قلنا نقول اما الاجنبية فخرج بعرف الشرع كما مر واما غير المدخول بها
فالقرينة تخرجها لان المقصود من العدة براءة الرحم وكذا الحامل والآيسة لانا نجاب الاعتداد بالاقراء انما يكون حيث يحصل الاقراء ولا اقراء فى حقها
واما الرقيقة فخروجها كالنادر فثبت ان اللفظ باق على تناوله الاغلب مما لم يقل لتتربص المطلقات بل اخرج الامر فى صورة الخبر اشعارا بانه مما
يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن فهو مخبر عن موجود وبناء الكلام على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تأكيد ولو قيل تتربص المطلقات
لم يكن بتلك الوكادة وفى ذكر الانفس دون ان يقال يتربصن ثلثة قروء تهييج لهن على التربص لان فيه ما يستنكفن منه فان انفس النساء طوامح الى الرجال
نوازع اليهم فامرن ان يقمعن انفسهن القروء جمع قرء او قرء بفتح القاف وضمها والراء ساكنة فى الحالين وفى الصحاح بفتح القاف فقط ولا خلاف
ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض والمشهور انه حقيقة فيهما وقيل حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقيل بالعكس وقيل انه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما
اما لان القرء هو الاجتماع ثم فى وقت الحيض يجتمع الدم فى الرحم وفى وقت الطهر يجتمع الدم فى البدن وهو قول الاصمعى والاخفش والفراء والكسائى
واما لانه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة وهو قول ابى عبيدة واما لان القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى ان
لكل من الطهر والحيض وقتا معينا وهذا قول ابى عمرو بن العلاء ثم ان الله تعالى امر المطلقة بثلثة اشياء تسمى اقراء لكن العلماء اجمعوا على ان الثلثة
يجب ان يكون من احد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعى الى انها الاطهار ويروى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة ومالك وربيعة واحمد فى رواية وقال
عمر وعلى وابن مسعود هى الحيض وهو قول ابى حنيفة والثورى والاوزاعى وابن ابى ليلى وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعى اقصر حتى لو طلقها
فى حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءا وان حاضت عقيبه فى الحال فاذا شرعت فى الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابى حنيفة ما لم تطهر من الحيضة
الثالثة ان كان الطلاق فى حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان كان فى حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تنقضى عدتها
قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل او تتيمم عند عدم الماء او يمضى عليها وقت صلوة حجة الشافعى قوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن اى فى زمان عدتهن اجيب بان معنى الاية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلث بقين من الشهر اى مستقبلا لثلث وقيل هذا يقوى استدلال
الشافعى لان قول القائل لثلث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع فى الثلث عقيبه فمعنى الاية طلقوهن بحيث يحصل الشروع فى العدة عقيبه ولما
كان الاذن حاصلا بالتطليق فى جميع زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة وروى عن عائشة انها قالت هل تدرون ما الاقراء
الاقراء الاطهار ثم قال الشافعى النساء بهذا اعلم وايضا التركيب يدل على الجمع واكثر احوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم آخر الطهر اذ لو لم تمتلئ تلك العروق
لما سال الى الخارج فمن اول الطهر اخذ فى الاجتماع والازدياد الى آخره والآخر هو حال الكمال الاجتماع فآخر الطهر هو القرء بالحقيقة وايضا الاعتداد
بالاطهار اقل زمانا من الاعتداد بالحيض فيلزم المصير اليه لان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره حق الحبس فى المنع وكلما كانت المدة اقل كان اقرب الى

هذا الاصل وفوائده الآية تدل على انها اذا اعتدت بثلثة اشياء تسمى قروء خرجت عن العهدة فيكون متمكنة من الاعتداد بالاطهار التي
مدتها اقل ومن الاعتداد بالحيض التي مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالقدر الزائد على مدة الاطهار غير واجب حجة ابي حنيفة قوله صلعم دعي الصلوة
ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولان الغرض الاصلي من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام ولان
الاصل في الابضاع الحرمة وفي تقليل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير احوط ولان اطلاق طهر كامل على بعض الطهر خلاف الظاهر
واذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات فيكون حكم الله تعالى في كل احد ما ادى اجتهاده اليه وانتصاب ثلثة قروء على انه مفعول به كقولهم
المحتكر يتربص الغلاء اي يتربص مضي ثلثة قروء او على الظرف اي مدة ثلثة قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء للاتساع فانهم يستعملون
كل واحد من الجمعين مكان الآخر ولهذا قال بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء اكثر استعمالا فنزل القليل منزلة المهمل فيكون مثل
قولهم ثلثة شسوع ثم ان امر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القرء في ذوات الاقراء وعلى وضع الحمل في حق الحامل وكان الوصول الى معرفة
ذلك متعذرا على الرجال جعلت المرأة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند الشافعي
اثنان وثلثون يوما وساعة لانها اذا طلقت طاهرا فحاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة وهو اقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما
وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر ثم رأت الدم فقد انقضت عدتها لحصول ثلثة اطهار فمتى ادعت هذا او اكثر
منه قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لانها على اصل امانتها ولهذا قال سبحانه ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن قال اكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى الحبل والحيض معا وذلك ان المرأة لها اغراض كثيرة في كتمانهما اما كتمان الحمل فاذا
كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج الاول وربما احبت التزوج بزوج آخر واحبت ان تلصق ولدها بالزوج الثاني
واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المرأة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب تقصير عدتها
لتبطل رجعته فاذا حاضت ولا تكتمه ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها فقد طولت العدة وهكذا ان كتمت الحيضة الثالثة
واذا كتمت ان حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لان المخلوق في الارحام هو الحبل لا الحيض ولان حمل
المعنى على ما هو شريف اولى لقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لان الآية وردت عقيب ذكر الاقراء
ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية
عن اسقاطه وفي قوله ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن ان من آمن بالله بعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وفيه ان من جعل مباني شيء
فخان فيه فامره عند الله شديد الحكم الثاني للطلاق الرجعة وذلك قوله وبعولتهن احق بردهن والبعل الزوج والجمع البعولة والتاء لتأكيد التأنيث
في الجماعة كصقورة وليس هذا في كل جمع انما هو مقصور على السماع يقال للمرأة ايضا بعل وبعلة كما يقال زوج وزوجة والبعل السيد المالك يقال من
بعل هذه الناقة اي من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة وعلى هذا فالمضاف محذوف اي اهل بعولتهن
احق بردهن برجعتهن قال تعالى في موضع ان رددت الى ربي وفي موضع آخر ولئن رجعت فكانه بردها من التربص الى خلافه ومن الحرمة الى الحل في ذلك
اي في مدة التربص لانه اذا انقضى ذلك الوقت بطل حق الرد والرجعة وانما يكون البعولة احق عند الله تعالى برجعتهن ان ارادوا اصلاحا لما بينهم
وبينهن واحسانا اليهن لا لضرار وتطويل العدة كما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فلو راجعها لقصد المضارة استوجب من الله العقاب وان صحت
رجعته شرعا لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان قيل كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها فالجواب ان الرجل ان اراد الرجعة و
ابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها فهذا هو المعنى بالاحقية او نقول انهن ان كتمن ما في ارحامهن لاجل ان يتزوج بهن آخر فاذا فعلن ذلك كان
الزوج الاول احق بردهن وان ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر ولهن من الحق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع
وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونها من الحسنة لا في جنس الفعل فاذا غسلت
ثيابه او خبزت لا يجب عليه ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال قال ابو هريرة قيل لرسول الله صلعم اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر و
تطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها وما لها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن
فرشكم من تكرهون ولا ياذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وعن ابن عباس انه قال اني لاتزين لامرأتي
كما تتزين لي لقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وقيل معنى الآية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند المراجعة مثل ما عليهن من ترك الكتمان
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من المراتب واصلها من درج الرجل والضب يدرج درجا اي مشي
ودرج اي مضى لسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات وقد فضل الله الرجال على النساء
في امور في العقل وفي الدية وفي الميراث وفي نصيبه من المغنم وفي صلاحية الامامة والقضاء والشهادة وفي ان له ان يتزوج عليها ويتسرى و
ليس لها ذلك وفي ان له ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاءت المرأة ام ابت ولا قدرة للمرأة على التطليق ولا على الرجعة فاذن المرأة كالاسير العاجز في يد
الرجل ولهذا قال صلعم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان وفي خبر آخر اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة وذلك ان من كانت نعمة الله





عليه اكثر كان صدور الذنب عنه اقبح واستحقاقه للزجر اشد وقيل بل الغرض من الآية ان فوائد الزوجية هي السكن والازدواج والالفة والمودة واشتباك
الانساب واستكثار الاعوان والاحباب وحصول اللذة وكل ذلك مشترك بين الجانبين بل يمكن ان يقال نصيب المرأة منها اوفر ثم ان الزوج اختص
بانواع من الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها فيكون وجوب الخدمة على المرأة اشد غاية لهذه الحقوق الزائدة فيكون
هذا كقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم وعن النبي صلعم لو امرت احدا بالسجود لغير الله لامرت
المرأة بالسجود لزوجها والله عزيز حكيم غالب لا يمنع مصيب في فعاله واحكامه لا يتطرق اليها احتمال العبث والسفه والغلط والباطل الحكم الثالث للطلاق
هو الطلاق الذي يثبت فيه الرجوع وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يطلق امرأته ثم يراجعها قبل ان تنقضي عدتها ولو طلقها الف مرة كانت القدرة على
المراجعة ثابتة له فجاءت امرأة الى عائشة فشكت ان زوجها يطلقها ويراجعها يضارها بذلك فذكرت عائشة ذلك لرسول الله صلعم فنزل الطلاق مرتان
فعلى هذا يكون الآية متعلقة بما قبلها والمعنى ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثلث وهذا تفسير من جوز الجمع بين الطلقات الثلث وهو
مذهب الشافعي وهو اليق بنظم الكلام لانه تعالى بين في الآية الاولى ان حق الرجعة ثابت للزوج ولم يذكر ان ذلك الحق ثابت دائما او الى غاية معينة فكان
ذلك كالمجمل والعام فيفتقر الى مبين او مخصص فذكر عقيبه ان الطلاق المعهود السابق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة هو ان يوجد طلقتان فقط
فاذا وصلت التطليقة الى هذه الغاية بطل حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وقيل ان هذا كلام مبتداء والمعنى ان التطليق
الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي
كرة بعد كرة وقولهم لبيك وسعديك وهذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلث حرام وزعم ابو زيد الدبوسي في الاسرار ان هذا هو قول عمر وعثمان
وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعمران بن الحصين وابي موسى الاشعري وابي الدرداء وحذيفة رض ويؤكده العدول عن لفظ الامر و
طلقوا مرتين اي دفعتين الى لفظ الخبر كما مر في قوله والمطلقات يتربصن ثم من هؤلاء من قال لو طلقها اثنتين وثلثا لا يقع الا واحدة وهذا هو الاقيس
واختاره كثير من علماء اهل البيت لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول بالوقوع سعي في ادخال تلك المفسدة في الوجود
ومنهم من قال وهو اختيار ابي حنيفة انه وان كان محرما الا انه يقع ويكون بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وهذا منه
بناء على ان النهي لا يدل على الفساد ومما يؤيد مذهب الشافعي حديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها بين يدي رسول الله صلعم فلم ينكر عليه ومما
يؤكد مذهب ابي حنيفة حديث ابن عمر ان رسول الله صلعم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة اما قوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان اي امركم بعد معرفة كيفية التطليق احد هذين فالتسريح الارسال والاطلاق والامساك نقيضه ومعنى الامساك بالمعروف
هو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح ومعنى التسريح باحسان قيل هو ان يوقع عليها الطلقة الثالثة روي انه لما نزل قوله تعالى الطلاق
مرتان قيل له صلعم فاين الثالثة فقال هو قوله او تسريح باحسان وقيل هو ان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ويروى عن الضحاك والسدي وهو
اقرب لولا الخبر الذي رويناه لان الفاء في قوله فان طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متأخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة
الثالثة لكان قوله فان طلقها رابعة وانه غير جائز وايضا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الآية متناولة لجميع الاقسام لانه بعد الطلقة الثانية
اما ان يراجعها وهو قوله فامساك بمعروف ولا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي عدتها وتحصل البينونة وهو قوله او تسريح باحسان او يطلقها
وذلك قوله فان طلقها فلو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام وتكرير بعضها واما الحكمة في اثبات حق الرجعة فهي ان النعم مجهولة
اذا فقدت عرفت فلو كان الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما تظهر المحبة بعد المفارقة وعظمت المشقة ثم ان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة
فلهذا اثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين ليجرب الانسان احوال قلبه فان كان الاصلح امساكها راجعها وامسكها بالمعروف وان كان الاصلح
تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهو ان يؤدي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وهذا التدريج والترتيب يدل
على كمال رأفته بعبيده الحكم الرابع من احكام الطلاق بيان الخلع وذلك قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا مما اعطاها من المهر والثياب
وساير ما تفضل به عليها لانه ملك بضعها واستمتع بها في مقابلة ما اعطاها الا اذا فارقها على عوض ويدخل فيه النهي من ان يضيق عليها
ليلجئها الى الافتداء كما قال في سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للازواج وفي قوله فان خفتم
للائمة والحكام ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للائمة لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون روي
ان الآية نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي سنن ابي داود ان المرأة كانت حبيبة بنت سهل الانصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس
وكانت تبغضه اشد البغض وكان يحبها اشد الحب فاتت رسول الله صلعم وقالت فرق بيني وبينه والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر
في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال ثابت مرها فلترد علي
الحديقة التي اعطيتها فقال لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال صلعم لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل و
كان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من موجب الزوجية
واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع فعن الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس انه لا يجوز ان يأخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي كرم الله وجهه لقوله

ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ثم قال فلا جناح عليهما اى فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت
نفسها واختلعت به فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما آتاها ولقوله لا حديقة فقط حين قالت جميلة نعم وزيادة لان ذلك اجحاف بجانب المرأة و
ضرار بالمرأة بعد ما استبيح من بضعها ولهذا قال سعيد بن المسيب لا يأخذ الا دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له واما سائر الفقهاء فانهم قالوا
الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقيد بمقدار معين فكما ان للمرأة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة
الا بالبذل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته ويتأكد هذا بما روى ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى
عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال عمر لزوجها اخلعها
ولو بقرطها حتى قرطها ولهذا قال قتادة يعني بمالها كله وقيل هو من قولهم خذه ولو بقرط مارية وذلك انه كانت فيه مادرتان قيمتهما اربعون
الف دينار ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعالى فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا فاذا جاز
لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة لنفسها اولى وذهب الزهري والنخعي
وداود الى انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله كما في الآية وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور على
انه لا كراهة في الخلع ان جرى في حال الشقاق وكانت تكره صحبته لسوء خلقه ودينه كما في الآية وان وقع وتحرجت عن الاخلال ببعض حقوقه لما بها
من الكراهة فافتدت لتتخلص منه وان كان الزوج يكره صحبتها فاساء العشرة ومنعها بعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه وان كان
نافذا والزوج مأثوم بما فعل والخلع المباح هو ان تكون المرأة بحيث تخاف الفتنة على نفسها والزوج يخاف انها اذا لم تطعه اعتدى عليها
ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا ومن قرأ الا ان يخافا على البناء للمفعول جعل الا يقيما بدلا من الف
الضمير بدل الاشتمال مثل خيف زيد تركه اقامة حدود الله ثم الفرقة الحاصلة على العوض ان كان بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجر الا لفظ الخلع
فللشافعي فيه قولان الجديد انه طلاق ينقص به العدد واذا خالعها ثلث مرات لم ينكحها الا بمحلل ويروى هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه
قال ابو حنيفة ومالك واختاره المزني ووجهه انها فرقة لا يملكها غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة
على المهر المسمى كالاقالة في البيع واذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يرد عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكراه والقديم انه فسخ لا ينتقص
به العدد ويجوز تجديد النكاح بعد الخلع من غير حصر يروى هذا عن ابن عمر وابن عباس قال لانه لو كان طلاقا وقد قال عقيب ذلك فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ
لَهُ مِنْ بَعْدُ لكان الطلاق اربعا ولان النبي صلعم اذن لثابت في مخالعته امرأته ولم يستكشف عن الحال مع ان الطلاق في زمان الحيض وفي الطهر الذي حصل
الجماع فيه حرام ولما روى عكرمة عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس لما اختلعت منه جعل النبي صلعم عدتها حيضة ولو كانت مطلقة لم يقتصر لها
على قرء واحد تلك اي المذكورات من احكام الطلاق حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا فلا تجاوزوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
والظالم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم عليه يكون جاريا مجرى الوعيد كيف لا والظالم ملعون أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ثم انه ظلم من الانسان
على نفسه حيث قدم على المعصية وظلم على الغير ايضا بتقدير ان لا تتم المرأة عدتها او كتمت شيئا مما خلق في رحمها او ترك الرجل الامساك بالمعروف
او التسريح باحسان او اخذ من جملة ما آتاها شيئا الا بسبب نشوز من جهة المرأة الحكم الخامس من احكام الطلاق بيان ان الطلقة الثالثة قاطعة لحق
الرجعة وذلك قوله فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ والسبب في ايقاع آية الخلع بين آية الرجعة وبين هذه بعد ما مر من مناسبتها
للتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة ومعنى الآية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق
حتى تنكح اي تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان اي لها زوج منهم هذا عند من يفسر
قوله الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ بالطلاق الرجعي واما عند من يفسره بان التطليق الشرعي هو الذي يوقع على التفريق فالمعنى عنده انه ان طلقها الطلاق الموصوف
بالتكرار في قوله الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ واستوفى نصابه فلا تحل له من بعد ذلك حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ومذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى
الوطئ لان قوله زَوْجًا يدل على العقد وقد نقلنا هذا عن ابي علي فيما سلف في تفسير قوله وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ ويؤيد هذا ما روي عن عائشة ان
امرأة رفاعة جاءت الى النبي صلعم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال
رسول الله صلعم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة عن لذة الجماع وانما انث لان من العرب من يؤنث العسل
ويروى انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله
فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال
ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها وايضا المقصود من توقيف حصول الحل على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستنكر ان
يستفرش زوجته رجل آخر ولهذا قال بعض اهل العلم انما حرم الله على نساء النبي صلعم ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من الغضاضة ومعلوم ان هذا الزجر انما
يحصل بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس منه زيادة نفرة فلا يصلح جعله مانعا وزاجرا ثم قال الشافعي اذا طلق زوجته واحدة وثنتين
ثم نكحت زوجا آخر واصابها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد لم يكن له عليها الا طلقة واحدة وهي التي بقيت من الطلقات لان هذه طلقة ثالثة حصلت





انها وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال ابو حنيفة بل تملك عليها ثلثا كما لو نكحت زوجا بعد الثلث واذا تزوج
لغيره المطلقة ثلثا على انه اذا احلها للاول بان اصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة بالجماع وهو باطل ولو تزوجها بشرط ان يطلقها
اذا احلها للاول ففي قولان احدهما لا يصح والثاني يصح ويبطل الشرط وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها مطلقا مضمرا انه اذا احلها طلقها فالنكاح
صحيح ويكره ذلك ويأثم به قال مالك واحمد والثوري هذا النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح فالوطي لا يقع به التحليل على الاصح وعن النبي صلعم
انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما فان طلقها اي الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح
عليهما على المرأة المطلقة والزوج الاول في ان يتراجعا بنكاح جديد الى ما كانا عليه من النكاح فهذا تراجع لغوي وظاهر الآية يقتضي ان تحل الرجعة
الاول هذا التراجع عقيب ما يطلقها الزوج الثاني من غير عدة بدلالة الفاء التعقيب في قوله فلا جناح عليهما ولهذا ذهب سعيد بن المسيب
ان النكاح ههنا بمعنى العقد وانما التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطي لو كان معتبرا لكانت العدة واجبة والجواب ان الآية مخصوصة بقوله تعالى
وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما وفي غرمهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما لانه لا يجوز ان يعلم
الظن ههنا بالعلم لان اليقين في الاستقبال مغيب عن الانسان فان لم يحصل هذا الظن وخافا عند المراجعة من نشوز منها واضرار منه
فالرجوع مذموم الا انه يصح شرعا من قرأ نبينها بالنون فعلى طريقة الالتفات النون للتعظيم ومن قرأها بالياء فظاهر وصيغة المضارع اريد بها
ههنا الحال فلا اشكال وجوز بعضهم ان يكون المراد بها الاستقبال وذلك ان النصوص التي تقدمت اكثرها عامة يدخل فيها التخصيص وذلك يعرف
بالسنة فكان المراد والله اعلم ان هذه الاحكام التي تقدمت هي حدود الله وسيبينها الله على لسان نبيه كمال البيان فهو كقوله تعالى وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ وانما خص البيان بالعلماء لانهم هم المنتفعون بذلك ثم انه تعالى لما بين الاحكام المهمة للطلاق استأنف لحكمي الامساك والتسريح
بيانين آخرين في آيتين متعاقبتين لان جملة الامرين في الطلاق يؤول الى احد هذين الاول قوله سبحانه وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ
اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل ويتسع في البلوغ
ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه ودناه ويقول الرجل لصاحبه اذا بلغت مكة فاغتسل بذي طوى يريد به مشارفة البلوغ فهذا من باب المجاز الذي
يطلق فيه اسم الكل على الاكثر ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له
عليها فامسكوهن بمعروف فراجعوهن من غير تحر ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف خلوها حتى تنقضي عدتها وتبين ثم انه امر بعد الطلاق
باحد الامرين استأنف حكم كل منهما فقدم حكم الامساك على طريقة النهي لان الامر لان المأمور يمتثل مرة واحدة فلعله يمسكها بمعروف في الحال لكن في قلبه
ان يضارها في الاستقبال والمنهي لا يمتثل الا اذا انتهى في كل الاوقات فيكون ادل على الدوام والثبات فقال ولا تمسكوهن ضرارا مضارة تشتمل على انواع
النفرة والعداوة كلها وروي ان الرجل كان يطلق المرأة ثم يدعها فاذا قاربت انقضاء القرء الثالث راجعها وهكذا يفعل بها في العدة تسعة اشهر او اكثر و
قيل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق النفقة وكانوا يفعلون في الجاهلية اكثر هذه الافعال رجاء ان تختلع المرأة منه بمالها ومعنى قوله لِتَعْتَدُوا اي
تضاروهن ليكون عاقبة امركم الاعتداء كقوله فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا او لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فتكونون متعمدين
لتلك المعصية وقيل لتلجئوهن الى الافتداء وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بتعريضها العقاب الله وبتفويته عليها منافع الدنيا والدين اما الدنيا
فلانه اذا اشتهر بتلك المعاملة لم يرغب في التزويج منه ولا في معاملته احد واما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الاهل وعلى الانقياد
لاحكام الله تعالى وتكاليفه وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا من قربانه يجب طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصلت اليه هذه التكاليف المذكورة في ابواب العدة
والرجعة والخلع وترك المضارة ولم يتشمر لادائها كان كالمستهزئ بها او المراد لا تتهاونوا بتكاليف الله كما يتهاون بما يكون من باب الهزء والعبث وعن
ابي الدرداء كان الرجل يطلق في الجاهلية ويعتق ويتزوج يقول كنت لاعبا فنزلت فقرأها رسول الله صلعم وقال ثلث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والرجعة وروي الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء المعنى المستغفر من الذنب اذا كان مصرا عليه او على مثله كان كالمستهزئ بآيات
الله ثم انه تعالى لما رغبهم في اداء التكاليف بما ذكر من التهديد رغبهم ايضا في ادائها بان ذكرهم اقسام نعمه عليهم فبدأ اولا بذكرها على الاجمال فقال
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وهذا يتناول كل نعمة الله على العبد في الدنيا والدين وقيل المراد بها الاسلام ونبوة محمد صلعم ثم خصص نعم الدين بالذكر لشرفها
فقال وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم في محل النصب حالا مما انزل
او من فاعل انزل ويحتمل ان يكون ما انزل الصلة والموصول مبتداء وقوله يعظكم به خبره وَاتَّقُوا اللَّهَ في اوامره ونواهيه وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب الثاني هو حكم المرأة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله عز من قائل وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ بلوغ الاجل ههنا
على الحقيقة عن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لا تحبسوهن ولا تضيقوا عليهن واصل العضل الضيق ومنه عضلت
الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وعضلت الارض بالجيش اذا ضاقت بهم لكثرتهم واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم والعضلة اللحمة المجتمعة المكتنزة في
عصبة والخطاب للازواج الذين يمنعون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية مِنْ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ الذين يرغبن فيهم ويصلحون
لهن إِذَا تَرَاضَوْا اي الرجال والنساء تراضيا واقعا بينهم بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز والشهود العدول

قبل المهر المسمى وفرعوا عليه مسئلة فقهية وهو ان مذهب ابي حنيفة وهي انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فالنكاح صحيح لكن للولي ان يعترض عليها
بسبب النقصان عن المهر دفعا للشين عن الاولياء ولان نساء العشيرة يتضررن بذلك فقد يعتبر مهورهن بمهرها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب
في قوله فلا تعضلوهن للاولياء لما روى البخاري في صحيحه ان معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا
ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت خطبت الي فمنعتها الناس وآثرتك بها
فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا قال ففي نزلت هذه الآية فكفرت
عن يميني وانكحتها اياه وعن مجاهد والسدي ان جابر بن عبد الله كانت له بنت عم فطلقها زوجها واراد رجعتها بعد العدة فابى جابر فنزلت واجيب بان
رعاية نظم كلام الله اولى من محافظة خبر الواحد لا يخفى تفكك النظم لو قيل واذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا
يبقى بين الشرط والجزاء نسبة قالوا اليس بعد انقضاء العدة قدرة للزوج على عضل المرأة والجواب قد يقدر على الظلم وقد يجد الطلاق ويدعي انه
كان راجعها في العدة او يدس الى من يخطبها بالوعيد والتهديد او ينسبها الى ما ينفر الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن يدل على ان الاولياء كانوا
يمنعونهن من العود الى اولئك الذين كانوا ازواجهن والجواب ان العرب قد تسمي الشيء بما يؤول اليه فالمراد من يريدون ان يتزوجهم فيكونوا ازواجا
لهن وقيل الوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ثم ان الشافعي تمسك بالآية
في ان النكاح لا يجوز الا بولي لانه لو جاز للمرأة ان تتزوج نفسها او توكل من يزوجها لما كان الولي قادرا على عضلها من النكاح وهذا مبني على ان
الخطاب في لا تعضلوهن للاولياء وفيه ما فيه ولو سلم فلا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعي حاصلا لهن لكن يمنعها الولي من بعض الجهات التي قلنا
في الزوج وفيه فثبوت العضل في حق الولي ممتنع لانه متى عضل تعزل اذا تعزل لا يبقى لعضله اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله تعالى ان ينكحن ازواجهن
على ان النكاح بغير ولي جائز وذلك انه تعالى اضاف النكاح اليها اضافة الفعل الى فاعله والتصرف الى مباشره ونهى الولي عن منعها من ذلك ولو كان ذلك
التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه ويتأكد هذا النص بقوله حتى تنكح زوجا غيره واجيب بان الفعل كما يضاف الى المباشر فقد يضاف ايضا الى
المتسبب كالامير اذا وانما ذهبنا الى هذا وان كان مجازا لدلالة الحديث على بطلان هذا النكاح هذا واما قوله ذلك يوعظ به فالخطاب فيه اما للرسول
ولكل احد على الانفراد كما ان الخطاب في قوله في سورة الطلاق ذلكم يوعظ به للمكلفين مجموعين وقوله من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر تخصيص
لهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن استدل بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرايع يكذبه التكاليف العامة كقوله ولله على الناس
حج البيت وايضا لا يلزم من تخصيص العظة بالمؤمنين تخصيص التكليف بهم ذلكم ازكى لكم اي انمى وهو اشارة الى استحقاق الثواب الدائم واطهر اي
ادنس للآثام والله يعلم وانتم لا تعلمون لان علمه تعالى فعلي كامل وعلمنا انفعالي ناقص فقد يخفى المصلحة والعاقبة علينا او يشتبه المصلحة بالمفسدة
فلا صلاح للمكلف الا في طاعة علام الغيوب ليحوز سعادة الدارين والله ولي التوفيق التأويل انه سبحانه من كمال الكرم والاصطناع اذا صدر من العبد ما
النشوز والانقطاع امهله الى انقضاء عدة الجفاء فلعله يعود الى اقامة شرائط الوفاء ويتحرك داعية في صميم قلبه من نتائج محبة ربه اذا لم يكن له
ان يكتم ما خلق الله في رحم قلبه من المحبة وان ابتلاه الله بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجعة والا
فيقال له من غاية الفضل والنوال يا فارغ البال دع نفسك تعال من طلب منا فلاحا فليلزم عتبتنا مساء وصباحا ولعولتهن احق بردهن في ذلك
ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن اي للعباد حق في ذمة كرم الربوبية كما ان لله تعالى حقا في ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه شبرا فالله احق
برعاية الحق فيتقرب اليه ذراعا والفضل له على الاطلاق لا بدرجة بل بدرجات غير متناهية والله عزيز اعز من ان يراعي العباد مع عجزهم كمال الحقوق
حكيم لا يقتضي حكمته ان يطالبهم بما لم يمنح وسعهم بل يقبل منهم القليل ويوفيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان يعني اهل الصحبة لا يفارقون بجريمة
وجريمتين كما في قصة موسى والخضر ثم في الثالثة ان سلكوا سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب الخائن صديقا مثله
فان ندم بعد ذلك عن افعاله وسام ذلك الصديق وامثاله ورجع الى صحبة اشكاله فلا جناح في التراجع ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان
ان يعضله من صحبة الاقران وفيه ان الله تعالى يتجاوز عن زلات العبد مرة بعد اخرى فاذا اصر العبد ابتلاه بالخذلان وجعله قرين الشيطان كما قال
ومن يعش عن ذكر الرحمن فان طلق قرين الشيطان ورجع الى باب الرحمن تداركه بالغفران والرضوان واما قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما
آتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة وان اتفقت المفارقة ان يستردوا خواطرهم عن الوفاء بالكلية فان العائد في هبته كالكلب
يعود في قيئه الا ان يؤدي الى مداهنة واهمال حق من حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به كان لم يكن بينهما صحبة والله ولي التوفيق

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ
وما دران شیر میدهند فرزندان خود را در مدت دو سال تمام از برای کسی که بخواهد که تمام کند شیر دادن را و بر پدر که فرزند مراورا ست روزی ایشان و پوشش ایشان

بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ
بطور معروف تکلیف نمیشود هیچ نفسی مگر بقدر وسعت آن ضرر نرسد بوالده در ولد و نه از پدر بفرزندش و بر وارث است مانند همین

فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ
پس اگر خواستند هردو انقطاع از شیر خواره بخوشی و مشورت یکدیگر نیست در آن مضرت بر ایشان و اگر خواستید که بدایه و مرضعه شیر دهند فرزندان شما را پس باکی نیست



عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ
بر شما چون تسلیم کردید بر اسلوب آنچه را اقرار داده اید بنوع متعارف و بپرهیزید خدا را و بدانید که بدرستی که خدا بآنچه میکنید بیناست و آنانکه میمیرند از شما

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ
و واگذارند زنهارا فرمان چنانست که نگاه دارند خود را در مدت چهار ماه و ده روز پس چون رسیدند بمنتهای مدت پس باکی نیست بر شما در آنچه کرده اند

فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ
در نفسهای خود شناخته شده و خدا بآنچه میکنید باخبرست و باکی نیست بر شما در آنچه که متعرض آن از خواستگاری زنان یا آنکه نهان کردید

فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا
در نفسهای خود میداند خدا که شما زود است که خاطر نشان کنید ایشان را و لیکن وعده مکنید ایشان را در خفیه بجز آنکه بگوئید گفتاری شناخته شده و آماده نشوید

عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
بستن نکاح را تا آنکه برسد مدت عده بآخر و بدانید که بدرستی که خدا میداند هر آنچه در ضمیر شماست پس بترسید از او و بدانید که خدا آمرزنده

حَلِيمٌ ۝ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ
بامهلت نیست باکی بر شما اگر طلاق دهید زنهارا مادامیکه مباشرت نکرده ایشان که قرار دهید از برای ایشان حصه و بهره دهید ایشان را بر مالدار است اندازه خویش و

عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۝ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً
بر فقیر است اندازه او بهره متداول و این ثابت است بر خوبان و اگر طلاق دادید زنهارا پیش از آنکه مباشرت کنید با ایشان حال آنکه قرار داده اید برای ایشان حصه

فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ
پس نصف آنچه قرار داده اید ثابت است مگر آنکه درگذرند یا درگذرد آنکه در دست اوست بستن نکاح و درگذشتن از آن نزدیکتر است به پرهیزکاری و فراموش نکنید فضل

بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ القراءة لا تضار بضم الراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون بفتح الراء ولا خلاف في تخفيفه
در میان خودتان بدرستی که خدا بآنچه میکنید بیناست في قوله ولا يضار كاتب ما آتيتم بالقصر ابن كثير الباقون بالمد يتوفون بفتح الياء وما بعده المفضل الباقون
بضم الياء النساء او بهمزتين عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر الباقون النساء بواو وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة النساء او تماسوهن حيث
وقعت علي وحمزة وخلف الباقون تمسوهن قدره بالتحريك يزيد وابن ذكوان وروح وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بالاسكان
الوقوف الرضاعة ط بالمعروف ط وسعها ج لاستيناف اللفظ مع قرب المعنى مثل ذلك ج عليهما ط لابتداء الحكم في استرضاع الاجنبية بالمعروف ط بصير
وعشرا ج بالمعروف ط خبير في انفسكم ط معروفا ط اجله ط لابتداء الامر فاحذروه ج للفصل بين موجبي الخوف والرجاء ولهذا كررت كلمة واعلموا فقد
غفور حليم فارجوه والوقف اليق حليم ج فريضة ج لعطف المختلفين ومتعوهن ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى لان الجملة الثانية تفسير المامور
في الاولى قدره الثاني ج لان متاعا مصدر متعوهن والوقف ليبان انه غير متصل بما يليه من الجملتين العارضتين بالمعروف ج لان حقا يصلح نعتا للمتاع
اي متاعا حقا ويصلح مصدر المحذوف اي حق ذلك حقا المحسنين النكاح ط للتقوى ط بينكم ط بصير التفسير الحكم الثاني عشر الارضاع والوالدات قيل هي المطلقات
والمزوجات لان ظاهر اللفظ مشعر بالعموم وقيل المطلقات ولهذا ذكرت عقيب آية الطلاق وتحقيقه انه اذا حصلت الفرقة استتبعت التباغض والتعاند المفضي
الى ايذاء الولد ليتأذى الزوج وربما رغبت في الزوج بزوج آخر فيهمل امر الطفل فندب الله تعالى الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشأنهم
وايضا انه تعالى قال في الآية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجية باقية لوجب ذلك للزوجية لا للرضاع ذكره السدي وقال الواحدي في البسيط
الاولى ان يحمل على المزوجات في حال بقاء النكاح لان المطلقة لا تستحق النفقة وانما تستحق الاجرة ثم ان النفقة والكسوة يجبان في مقابلة التمكين فاذا
اشتغلت بالارضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم ان مؤنتها قد سقطت بالخلل الواقع في الخدمة فازيل ذلك الوهم بايجاب
الرزق والكسوة وان اشتغلت بالارضاع ويرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد وهذا الامر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى فان ارضعن
لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الارضاع لم تستحق الاجرة وانما كان ندبا من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح ولان شفقتها اكثر
ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وقد يفضي الامر الى الوجوب
اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه ولم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار حولين اي عامين التركيب يدل على الانقلاب فالحول منقلب من
من الوقت الاول الى الثاني وكاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة فقد يقال اقمت عند فلان حولين وانما اقام حولا وبعض الآخر وليس التحديد
بايجاب لقوله تعالى بعده ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الارضاع واللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده
اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه ثم المقصود
من ذكر التحديد قطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا في مدة الرضاعة فان اراد احدهما ان يفطمه قبل الحولين ولم يرض الآخر لم يكن له ذلك اما اذا اجتمعا
على ان يفطما قبل تمام الحولين فلهما ذلك وايضا فللرضاع حكم خاص في الشريعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فعلم من التحديد ان

الارضاع ما لم يقع في هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم هذا هو مذهب الشافعي وبه قال علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهري وعن ابي حنيفة
ان مدة الرضاع ثلثون شهرا وقرئ ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل اي في المصدرية لان كلمة ما تارة تقع مصدرية فلا تنصب
وقرئ الرضاعة بكسر الراء وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم انما قيل المولود له دون
الوالد ليعلم ان الوالدين انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال ص
الولد للفراش وفيه ان نفع الاولاد عائد الى الاباء فيجب عليهم رعاية مصالحهم كما قيل كله لك فكله عليك فعليهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر
الاترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن بهذه المعاني مقصودة وذلك قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
بالمعروف تفسير ما يتلوه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه لا يتضار واثم المعروف في هذا الباب قد يكون محدودا بالشرط والعقد وقد يكون
غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها في طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة اذ لو كان ذلك اقل من قدر الكفاية لحقها ضرر
من الجوع والعري ويتعدى ذلك الضرر الى الولد وفي الاية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام والطفل واسطة وبين الاب وبينه واسطة
فانه يستاجر المراة على الارضاع والحضانة بالنفقة والكسوة والتكليف الالزام وقيل اصله من الكلف وهو اثر على الوجه فمعنى تكلف الامر اجتهد
ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه اثره والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه لهذا قيل الوسع فوق الطاقة ومن قرأ لا تضار بالرفع فعلى
الاخبار في معنى النهي ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على الاصل تضارر وتضارر بكسر الراء وبفتحها ومن قرأ بالفتح فعلى النهي صريحا ويحتمل البنائين ايضا
ويتبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وفتحها والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب
ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بسبب التفريط في شان الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا ونحو ذلك ولا يضار مولود له
امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من الرزق والكسوة او يأخذه منها وهي تريد ارضاعه ويكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان
مبنيا للمفعول كان نهيا عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضر والباء من صلته
اي لا تضر والدة بولدها بان تسيء غذاءه وتعهده وتفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر
في شانها فتقصر هي في حق الولد انما قيل بولدها وبولده لان المراة لما نهيت عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها
فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد قوله سبحانه وعلى الوارث مثل ذلك للعلماء فيه اقوال من حيث انه تقدم ذكر الوالد والولد والوالدة واحتمل في
الوارث ان يكون مضافا الى كل واحد من هؤلاء فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب وقوله وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وما بينهما تفسير للمعروف فالمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه
في ان يرزقها ويكسوها بالشرط المذكور من العدل وتجنب الضرار وقيل المراد وارث الولد الذي لو مات الصبي ورثه فيجب عليه عند موت الاب كل ما
كان واجبا على الاب هذا قول الحسن وقتادة وابي مسلم والقاضي ثم اختلفوا في انه اي وارث هو فقيل العصبات دون الام والاخوة من الام وهو قول
عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان وابراهيم وقيل هو وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وابن ابي ليلى وقيل على
الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون غيرهم من ابن العم والمولى عن ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد اي الاب والابن وقيل المراد
من الوارث هو الصبي نفسه فانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على رضاعه
وقيل المراد من الوارث الباقي من الابوين كما في الدعاء المروي واجعله الوارث منا اي الباقي وهو قول سفيان وجماعة فان ارادا فصالا اي فطاما
وليس من باب المفاعلة وانما هو مثال على فعال كالعثار والاباق وذلك ان الولد ينفصل عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وعن ابي مسلم انه
يحتمل ان يكون المراد من الفصال ايقاع المفاصلة بين الولد والام اذا حصل التراضي والتشاور في ذلك ولم يرجع ضرر الى الولد وليكن الفصال صادرا
عن تراض منهما وتشاور مع ارباب التجارب واصحاب الراي فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين لضعف في تركيب الصبي او نقصا لقوة هضمه وسعة
بعد التحديد ذلك ان الام قد تمل من الارضاع فتحاول الفطام والاب ايضا قد يمل اعطاء الاجرة على الارضاع فيطلب الفطام دفعا لذلك لكنهما
قد يتوافقان على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبرت المشاورة وحصل بعدها موافقة الكل على ما يكون فيه اضرار بالولد وان اتفقوا على الفطام
قبل الحولين وهذه غاية العناية من الله بحال الطفل الضعيف ومع اجتماع الشروط لم يصرح بالاذن بل رفع الحرج فقط لما بين حكم الام وانها
احق بالرضاع بين انه يجوز العدول في هذا الباب عنها الى غيرها فقال وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم يقال
ارضعت المراة الصبي واسترضعتها الصبي بزيادة السين مفعولا ثانيا كما يقول انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف احد المفعولين للعلم به وعن الواحدي
التقدير ان تسترضعوا لاولادكم فحذف اللام للعلم به مثل واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم ومن موانع الارضاع للام ما اذا تزوجت
بزوج اخر وقيامها بحق ذلك الزوج يمنعها عن الارضاع ومنها انه اذا طلقها الزوج الاول فقد تكره الارضاع لتتزوج بزوج اخر ومنها ان تأبى
المراة قبول الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور ان وجدنا مرضعة اخرى وقبل الطفل لبنها جاز العدول
عن الام الى غيرها فان لم نجد مرضعة اخرى او وجدنا ولكن لا يقبل الطفل لبنها فالارضاع واجب على الام اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتموه

المرأة





المراة اي ما اردتم ايتاءه مثل اذا قمتم الى الصلوة ومن قرأ ما اتيتم بالقصر فهو من اتى اليه احسانا اذا فعله كقوله انه كان وعده مأتيا اي مفعولا وروى
شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة وليس التسليم شرطا للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى وفيه بحث على ان الذي
يعطي المرضعة يجب ان يكون يدا بيد حتى يكون اهنأ واطيب لنفسها ليحتاط في شان الصبي لهذا قيد التسليم بان يكون بالمعروف وهو ان يكونوا مستبشري
الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن قطعا للمعاذير ثم اكد الجميع بان ختم الاية بنوع من التحذير فقال واتقوا الله واعلموا
ان الله بما تعملون بصير الحكم الثالث عشر عدة الوفاة والذين يتوفون ومعناه يموتون ويقبضون قال الله يتوفى الانفس حين موتها واصل
التوفي اخذ الشيء كاملا وافيا ويبنى للمفعول ومعناه ما قلنا وللفاعل ومعناه استوفى اجله ورزقه وعليه قراءة علي يتوفون بفتح الياء والذي
يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله كان احد الاسباب الباعثة لعلي على ان امره بان يضع
كتابا في النحو فلعل السبب فيه ان ذلك الشخص لم يكن بليغا وهذا المعنى من مستعملات البلغاء فلهذا لم يعتد بقوله وحمله على متعارف الاوساط ويذرون
يتركون ولا يستعمل منه الماضي والمصدر استغناء عنهما بتصاريف ترك والازواج ههنا النساء يتربصن بانفسهن اربعة اشهر مثل قوله يتربصن
بانفسهن ثلثة قروء وقدم وعشرا اي يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشر ايام وانما قيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها قال
في الكشاف ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام وقيل في سبب التغليب ان مبدأ الشهر من الليل والاوائل تقوى من الثواني وايضا
هذه الايام ايام الحزن وايام المكروه خليق ان تسمى ليالي استعارة او المراد عشر مدد كل منها يوم بليلته وذهب الاوزاعي والاصم الى ظاهر الاية وانها اذا
انقضت لها اربعة اشهر وعشر ليال حلت للازواج نقل عن الحسن وابي العالية انه تعالى انما حد العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح في العشر بعد الاربعة
قلت ولعل هذا من الامور التي لا يعقل معناها كاعداد الركعات ونصب الزكوات وانما الله ورسوله اعلم بذلك وهذه العدة واجبة على كل امرأة مات
زوجها الا اذا كانت امة فان عدتها نصف عدة الحرة عند اكثر الفقهاء وعن الاصم ان عدتها عدة الحرائر تمسكا بظاهر عموم الاية وقياسا على وضع الحمل
والا اذا كانت المرأة حاملة فانها اذا وضعت الحمل حلت وان كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولو زعم
قائل ان ذلك في الطلاق فليعول على قصة سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فقال لها النبي ص حللت فانكحي من شئت وعن علي
انها تتربص ابعد الاجلين ولا فرق في عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات الاقراء وغيرها والمدخول بها وغيرها وقال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول
ورد بعموم الاية ولهذا ايضا لم يفرق بين ان ترى المعتدة في المدة المذكورة دم الحيض على عادتها او لا ترى خلافا لمالك فانه قال لا تنقضي عدتها حتى ترى
عادتها من الحيض في تلك الايام مثل التي كانت عادتها ان تحيض في كل شهر مرة فعليها في عدة الوفاة اربع حيض وان كانت عادتها ان
تحيض في كل شهرين مرة فعليها حيضتان وان كانت عادتها ان تحيض في كل اربعة اشهر مرة يكفيها حيض واحد وان كانت عادتها ان تحيض في كل خمسة
اشهر مرة فههنا يكفيها الشهور ثم مذهب الشافعي انها ان ارتابت استبرأت نفسها من الريبة كما ان ذات الاقراء لو ارتابت وجب عليها ان تحتاط وتعتبر
المدة بالهلال ما امكن فان مات الزوج في خلال شهر هلالي والباقي اكثر من عشرة ايام فتعتد ما بقي وتحسب ثلثة اشهر بعده بالاهلة وتكمل ذلك الباقي
ثلثين وتضم بها عشرة ايام فاذا انتهت من اليوم الاخير الى الوقت الذي مات فيه الزوج فقد انقضت العدة وان كان الباقي دون عشرة ايام فتعتد به وتحسب
اربعة اشهر بالاهلة ويكمل الباقي عشرة من الشهر السادس وان كان الباقي عشرة ايام فتعتد بها وباربعة اشهر بالاهلة بعدها وان انطبق الموت على اول الهلال
فتعتد باربعة اشهر بالاهلة وبعشرة ايام من الشهر الخامس واختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فعن بعضهم ويوافقه جديد قول الشافعي
انها ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة لما روي ان النبي ص قال امراة المفقود امرأته حتى ياتيها يقين موته او طلاقه وايضا فالنكاح
معلوم بيقين فلا يزال الا بيقين وقال الاكثرون السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل
عليه ان الصغيرة التي لا علم لها تكفي في انقضاء عدتها هذه المدة ثم المراد من تربصها بنفسها الامتناع عن النكاح بالاجماع والامتناع عن الخروج
عن المنزل الا عند الضرورة والحاجة والاحداد ويعنى به ترك التزين بثياب الزينة وترك التحلي والتطيب والتدهن والاكتحال بالاثمد يحرم عليها ان تختضب
بالحناء ونحو ذلك فيما يظهر من اليدين والرجلين والوجه ولا منع منه فيما تحت الثياب ولا منع من التزين في الفرش والبسط والستور واثاث البيت ومن التنظف
بغسل الرأس والامتشاط وقلم الاظفار والاستحداد ودخول الحمام وازالة الاوساخ والعدة تنقضي ان تركت الاحداد ولكنها تعصي لما روي ان رسول الله ص
قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وعن الحسن والشعبي انه غير واجب لان الحديث
يقتضي حل الاحداد لا وجوبه لكنه ص قال المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغة
بالمشق وهو الطين الاحمر وقد يحتج بقوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع والا لم يخص الخطاب في منكم بالمؤمنين والجواب
انما خصوا بالخطاب لانهم هم العاملون بذلك لقوله انما انت منذر من يخشاها مع انه منذر للكل ليكون للعالمين نذيرا فاذا بلغن اجلهن اذا انقضت
عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء لانهم الذين يتولون العقد او ايها الحكام وصلحاء المسلمين لانهن اذا تزوجن في مدة العدة وجب على كل
احد منعهن عن ذلك فان عجز استعان بالسلطان وذلك لان المقصود من هذه العدة الامن من اشتمال فرجها على ماء زوجها الاول وقيل معناه
لا جناح عليكم وعلى النساء فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالتزين والتطيب ونحوهما مما يشتهر المرأة بفعله وفيه دليل على وجوب الاحداد

في خطبة النساء

بالمعروف بالوجه الذي يحسن عقلا وشرعا وقد يحمل اصحاب ابي حنيفة الفعل ههنا على التزويج فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولي والجواب بعد تسليم ان المراد من الفعل
هو التزويج ان الفعل قد يسند الى السبب مثل بنى الامير دارا وقد تقدم في قوله ان ينكحن ازواجهن ثم ختم الاية بالتهديد المشتمل على الوعد فقال والله
بما تعملون خبير الحكم الرابع عشر خطبة النساء وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والتعريض ضد التصريح ومعناه ان
تضمن كلامك ما يصلح للدلالة على المقصود وغير المقصود الا ان اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح ولهذا قد يقال انه سوق الكلام لموصوف غير مذكور كما يقول المحتاج جئتك
لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول الشاعر وحسبك بالتسليم مني تقاضيا واصله من عرض الشيء وهو جانبه كانه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان في المعاريض
لمندوحة من الكذب وهو قسم من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب وهو الامر والشان خطب فلان فلانة اي سئلها امرا وشانا في نفسها وكذا
في الخطبة والخطاب فان في كل منهما شانا ثم النساء على ثلثة اقسام احدها ان يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهي الخالية عن الزوج والعدة الا اذا كان قد
خطبها اخر واجيب اليه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد صريح الاباء او لم يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد فالاصح انه يجوز
خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك وثانيها ما لا يجوز خطبتها تعريضا ولا تصريحا وهي منكوحة الغير لان خطبتها ربما صارت سببا
للتشويش الامر على زوجها ولامتناع المرأة عن اداء حقوق الزوج اذا وجدت راغبا فيها وكذا الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها
وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان وثالثها ما يفصل في حقها بين التعريض والتصريح وهي المعتدة غير الرجعية سواء كانت معتدة
عن وفاة او عن طلقات ثلث او عن طلقة بائنة كالمختلعة او عن فسخ وسبب التحريم انها متوحشة بالطلاق فربما تكذب في انقضاء العدة بالاقراء مسارعة
الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن وفاة فظاهر الاية تدل على انها في حقها لانها ذكرت عقيب اية عدة الوفاة عنها زوجها ثم انه خص التعريض بعدم الجناح فوجب
ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك وهو ان التصريح لا يحتمل غير النكاح فالغالب ان يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء العدة قبل اوانها
بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعي والتعريض كثير كقوله رب راغب فيك او من يجد مثلك ولست بايم واذا حللت
فادعيني وعد اخرون من الفاظ التعريض ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو
ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك واخطبك وعن ابي جعفر
محمد بن علي انه دخل على امرأة وهي في العدة فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبني
في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم
يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده فما كانت تلك خطبة او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم
لا معرضين ولا مصرحين اباح التعريض في الحال ولا ثم اباح ان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذي لاجله
اباح التعريض فقال علم الله انكم ستذكرونهن لان شهوة النفس اذا حصلت في باب النكاح لم يكد المرء يصبر عن النطق بما ينبئ عن ذلك فاسقط الله
تعالى عنه الحرج ثم قال ولكن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر ثم عبر عن النكاح الذي
هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية الا مواعدة معلومة
الاحسان اليها والاهتمام بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الاشياء مؤكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهي عنها اما ان يكون المواعدة في السر بالنكاح
فيكون منعا من التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله ان انكحتك اتيتك الاربعة والخمسة عن ابن عباس او كقوله عسى اجامعك فاذا تممت
عدتك ظهر نكاحك عن الحسن او يكون ذلك نهيا عن مسارة الرجل المرأة الاجنبية لان ذلك نوع ريبة او نهيا ان يواعدها ان لا تتزوج باحد
سواه ويحتمل ان يكون السر صفة للموعود به اي لا تواعدوهن بشيء يوصف بكونه سرا الا ان تقولوا قولا معروفا وهو التعريض وعن ابن عباس
هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه والعزم عقد القلب على فعل من الافعال معناه ولا
تعزموا عقدة النكاح ان تعقدوها واذا نهى عن العزم فعن نفس الفعل اولى وقيل معنى العزم القطع اي لا تحققوا ذلك ولا توجبوه ومنه قوله
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام وقيل لا تعزموا عليهن ان يعقدن النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا واصل
العقد الشد والعهود والانكحة تسمى عقودا تشبيها بالحبل الموثق بالعقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد منه المكتوب اي حتى يبلغ العدة المفروضة
اخرها وانقضت ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الفرض اي حتى يبلغ هذا التكليف نهايته وباقي الاية بيان موجبي الخوف والرجاء كما تقدم الحكم الخامس
عشر حكم المطلقة قبل الدخول وقبل فرض المهر وذلك قوله عز من قائل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة
واعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا على كل حال وذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وعدة
ثلثة قروء كما سبق وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور بالطلاق كما يجيء في الاية التالية وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول
فحكمها في هذه الاية وهو ان لا مهر لها ويجب لها المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكور في هذه الايات الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل
قياسا على الموطوءة بالشبهة بل اولى لوجود النكاح الصحيح وقد يستنبط حكمها من قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ويحتمل ان يقال هذه
الاية تدل على انه لا مهر للتي لا تكون ممسوسة ولا مفروضا لها فيعرف من ذلك وجوب المهر للممسوسة غير المفروض لها وللمفروض لها غير الممسوسة وقد سلف حكم



الممسوسة المفروض لها فتبين اشتمال القرآن على احكام جميع الاقسام فان قيل ظاهر الاية يشعر بان نفي الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس وليس كذلك فانه
لا جناح عليه ثم بعد المسيس قلنا لعل الاية وردت لبيان اباحة الطلاق على الاطلاق وهذا لان الطلاق لا يباح الا قبل المسيس او بعده الى ان يكون الطلاق
في طهر لم يجامعها فيه ولعل ما بمعنى التي لا للمدة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن ولا يلزم منه وجود الجناح في تطليق غيرهن او المراد
من الجناح في الاية لزوم المهر اي لا مهر عليكم ولا تبعة في تطليقهن فان الجناح في اللغة الثقل يقال جنحت السفينة اذا مالت بثقلها ومما يؤكد ذلك انه
نفى الجناح ممدودا الى غاية هي اما المسيس او الفرض والجناح الذي يثبت عند احد هذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفي في اول الاية
هو لزوم المهر وايضا ان تطليق النساء قبل المسيس اما ان يكون قبل تقدير المهر او بعده ففي القسم الثاني وجب نصف المفروض كما يجيء فيجب ان يكون المنفي
في القسم الاول مقابل المثبت في الثاني واتفقوا على ان المراد بالمسيس والمماسة في الاية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وفيه تادب للعباد في اختيار
احسن الالفاظ للتخاطب والتفاهم والفرض في اللغة التقدير اي تقدروا مقدارا من المهر ومعنى او ههنا ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس او بعدم الفرض
على سبيل منع الخلو فقط ولهذا صح اجتماعهما في هذا الحكم وقيل انها بمعنى الواو وقيل بمعنى الا وقيل بمعنى حتى والكل تعسف ثم انه تعالى لما بين انها
لا مهر لها قبل المسيس والتسمية ذكر ان لها المتعة فقال ومتعوهن فمذهب الشافعي وابي حنيفة انها واجبة نظرا الى الامر وانه للوجوب ظاهرا وهو قول
شريح والشعبي والزهري وعن مالك ويروى عن الفقهاء السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرونها واجبة لانه تعالى قال في اخر الاية حقا على المحسنين فجعلها
من باب الاحسان ورد بان لفظ على منبئ عن الوجوب وكذا قوله حقا واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منقضيا ولهذا قيل الدنيا متاع
ويسمى التلذذ تمتعا لانقطاعه بسرعة على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اوسع الرجل اذا كان ذا سعة من ماله واقتر ضده من القترة وهي الغبار فكانه
بالارض لصيرورة يده وقدره اي قدر امكانه وطاقته فحذف المضاف او قدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به والقدر والقدر
لغتان في جميع معانيهما وفي الاية دليل على ان تقدير المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع يخالف
المقتر قال الشافعي المستحب على الموسع خادم وعلى المتوسط ثلثون درهما واقلها مقنعة واي قدر ادى جاز في جانبي الكثرة والقلة والنظر في البابين الى
العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا تزاد على نصف مهر المثل لان حال المرأة التي سمي لها المهر احسن من حال التي لم يسم لها ثم لما لم تجب زيادة على نصف المسمى
اذا طلقها قبل الدخول فهذه اولى متاعا تاكيد لمتعوهن اي تمتيعا بالمعروف الذي يحسن في الدين والمروة وعلى قدر حال الزوج في الغنى والفقر
على ما يليق بالزوجة بحسب الشرف والوضاعة ونحو ذلك حقا على المحسنين لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او من اراد ان يكون محسنا فهذا شانه
وطريقته وعلى المحسنين الى انفسهم في المسارعة الى طاعة الله تعالى الحكم السادس عشر حكم المطلقة قبل الدخول وبعد فرض المهر وذلك قوله سبحانه وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الاية واعلم ان مذهب الشافعي ان الخلوة لا تقرر المهر وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهي ان لا يكون
هناك مانع حسي او شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن والمرض او يكون معهما ثالث وان كان نائما والشرعي كالحيض والنفاس وصوم الفرض وصلوة الفرض
والاحرام المطلق فرضا كان او نفلا وقوله وقد فرضتم في موضع الحال ومعنى قوله فنصف ما فرضتم فعليكم نصف ذلك والنصف ما فرضتم ساقط
او فثابت الا ان يعفون اي المطلقات عن ازواجهن فتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف اخذ منه شيئا والفرق بين قولك النساء
يعفون وبين الرجال يعفون هو ان الواو في الاول لام الفعل والنون ضمير جماعة النساء ولم يحذف منه شيء وانما وزنه يفعلن والفعل مبني
لا اثر في لفظه للعامل والواو في الثاني ضمير جماعة الذكور واللام محذوف فوزنه يفعون والنون علامة الرفع فقوله او يعفو عطف على محل
ان يعفون والذي بيده عقدة النكاح الولي وهو قول الشافعي ويروى عن الحسن ومجاهد وعلقمة وقيل الزوج وهو مذهب ابي حنيفة ويروى
عن علي وسعيد بن المسيب وكثير من الصحابة والتابعين قالوا ليس للولي ان يهب مهر موليته صغيرة كانت او كبيرة وايضا الذي بيد الولي هو عقدة
النكاح فاذا عقد حصلت العقدة اي المعقودة كالاكلة واللقمة ثم هذه العقدة بيد الزوج لا الولي وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل
الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وحجة الاولين ان الصادر عن الزوج هو ان يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة والهبة لا تسمى عفوا اللهم
الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها
او يقال سماه عفوا على طريقة المشاكلة او لان العفو التسهيل فعفو الرجل هو ان يبعث اليها كل الصداق وعلى وجه السهولة حجة اخرى لو كان المراد
به الزوج وقد قال وان طلقتموهن لناسب ان يقال الا ان يعفون او تعفوا على سبيل الخطاب واجيب بان سبب العدول عن الخطاب الى الغيبة هو
التنبيه على المعنى الذي لاجله يرغب في العفو والمعنى الا ان يعفون او يعفو الزوج الذي حبسها بان ملك عقد نكاحها عن الازواج ثم لم يكن منها
سبب في الفراق وانما فارقها الزوج فلا جرم كان حقيقا بان لا ينقصها من مهرها ويكمل لها صداقها ثم قال الشافعي ثبت ان الذي بيده عقدة النكاح
هو الولي فهم منه ان النكاح لا ينعقد بدون الولي ودل على الحصر المستفاد من تقديم بيده على عقدة النكاح فتبين انه ليس في يد المرأة من ذلك شيء
وان تعفوا اقرب للتقوى قيل اللام بمعنى الى والتقدير العفو اقرب الى التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا الا انه غلب الذكور لاصالتهم وكمالهم
وانما كان عفو البعض عن البعض اقرب الى حصول معنى التقوى لان من سمح بترك حقه فهو الى ان لا يأخذ حق غيره اقرب ولانه اذا استحق بذلك
الصنع الثواب فقط انتفى العقاب بالاحرى عنه ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا التفضل والتسامح فيما بينكم وليس هذا من النسيان فان ذلك غير مقدور بل

المراد منه الترك وذلك ان الرجل اذا تزوج المرأة فقد تعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتأذيها منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل
لها مهرها من غير ان يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتأذيه منها فلاجرم ندب الله تعالى كل واحد منهما الى تطييب قلب الاخر بان يترك كل المهر او يترك
الانصاف فالتنصيف عن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل
له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ثم انه تعالى ختم الاية بما يجري مجرى الوعد والوعيد على العادة
المعلومة فقال ان الله بما تعملون بصير **حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان**
محافظت كنيد بر نمازها خصوصا نماز ميانه و بايستيد براى خدا فرمان برداران پس اگر
**خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم و**
بترسيد از دشمن پس پياده يا سواره نماز گذاريد پس چون ايمن شديد پس ياد آوريد خدا را كه آموخت شما را چيزهائى كه نميدانستيد و آنهائى كه وفات كنند از شما و
**يذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن**
واگذارند زنان خود را وصيت كنند وصيتى از براى زنان خود بهره تمام سال كه بيرون نروند پس اگر بيرون رفتند پس باكى نيست بر شما در آنچه كردند در نفسهاى خود
**من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم**
از شناخته و خدا غالب با حكمت است و از براى رهاشدگان بهره مقدارى معين و اين ثابت بر پرهيزگاران اينچنين ظاهر سازد خدا آيات خود را كه شايد
**تعقلون** القراءة وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب غير روبس الباقون بالرفع الوقوف قانتين ه او ركبانا ج لان
دريابيد
اذا في معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ه ز ج لانقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير فعليهم وصية او فليوصوا وصية و
الوصل جوز لاتصال المعنى فان وصية او وصية قائم مقام خبر المبتدأ اخراج ج من معروف ط حكيم ه بالمعروف ط المتقين ه تعقلون ه التفسير الحكم
السابع عشر الصلوة وذلك انه سبحانه لما بين للمكلفين ما بين من معالم الدين وشعائر اليقين اعقبها بذكر الصلوة التي تفيد انكسار القلب
من هيبة الله تعالى وزوال التمرد وحصول الانقياد للاوامر والانتهاء عن مناهيه فتحصيل السعادات الطرفين وتكميل المصالح الدارين وقد
اجمع المسلمون على ان الصلوات المكتوبة خمس وفي الاية اشارة الى ذلك لان الصلوات جمع فاقلها ثلث والصلوة الوسطى تدل على شيء زائد والا
لزم التكرار وذلك الزائد لو كان الرابع لم يكن للمجموع وسطى فلا اقل من خمسة والمراد بمحافظتها رعاية جميع شرائطها من طهارة البدن والثوب و
المكان ومن ستر العورة واستقبال القبلة والاتيان باركانها وابعاضها وهيئاتها والاحتراز عن مفسداتها من اعمال القلب واعمال اللسان
والجوارح ومعنى المفاعلة في المحافظة اما لانها بين العبد والرب كانه قيل احفظ الصلوة يحفظك الاله الذي امرك بالصلوة كقوله فاذكروني اذكركم
وفي الحديث احفظ الله يحفظك واما لانها بين المصلي والصلوة فمن حفظ الصلوة حفظته الصلوة عن المناهي ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وحفظته عن الفتن والمحن واستعينوا بالصبر والصلوة وكيف لا وفي الصلوة القراءة والقران شافع مشفع في الخبر تجيء البقرة وال عمران
كانهما غمامتان فتشهدان وتشفعان وان سورة الملك تصرف عن المتهجد بها عذاب القبر وتجادل عنه في الحشر وتقف في الصراط عند قدمه
تقول للنار لا سبيل لك عليه وفي الصلوة الوسطى سبعة اقوال الاول انه تعالى امرنا بالمحافظة على الصلوة الوسطى ولم يبين لنا انها اي الصلوة
وما يروى من اخبار الاحاد لا معول عليها فيجب ان تؤدى كلها على نعت الكمال والتمام ولعل هذا هو الحكمة في ابهامها ومثل ذلك اخفى الله تعالى
ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة واسمه الاعظم في اسمائه ووقت الموت في الاوقات ليكون المكلف خائفا عازما على التوبة
في كل الاوقات وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى فقال حافظ على الصلوات
تصبها وعن الربيع ارايت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال السائل لا قال الربيع فان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى
القول الثاني ان الوسطى مجموع الصلوات الخمس فان الايمان بضع وسبعون درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
والصلوة المكتوبة واسطة بين الطرفين القول الثالث انها صلوة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر وابي امامة ومن التابعين قول طاوس
وعطا وعكرمة ومجاهد وهو مذهب الشافعي قالوا هذه الصلوة تصلى في الغلس فبعضها في ظلمة الليل واخرها في ضوء النهار وايضا فان قبلها صلوتي
الظهر والعصر في النهار وبعدها في الليل صلوتين المغرب والعشاء والصبح متوسط بينهما وايضا الظهر والعصر يجمعان في السفر وكذا المغرب والعشاء والفجر منفرد بينهما قال
القفال وتحقيق هذا يرجع الى ما يقوله الناس فلان متوسط اذا لم يمل الى احد الخصمين وكان منفردا بنفسه عنهما وقد اقسم الله تعالى بها في قوله والفجر وليال
عشر وايضا قال تعالى وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا واتفقوا على ان المراد منه صلوة الفجر فخصها في تلك الاية بالذكر للتاكيد كما خص الصلوة
الوسطى في هذه الاية بالذكر للتاكيد فيغلب على الظن انها واحدة وايضا قرن هذه الصلوة بذكر القنوت في قوله وقوموا لله قانتين وليس في المفروضات
صلوة صح فيها القنوت الا الصبح وايضا لا شك انه تعالى افردها بالذكر لاجل التاكيد والصبح احوج الصلوات الى ذلك ففيه ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء
البارد والخروج الى المسجد في الوقت الموحش وايضا الافراد بالذكر ينبئ عن الفضل ولا ريب في فضيلة الصبح لهذا جاء والمستغفرين بالاسحار وروي ان التكبيرة
الاولى منها في الجماعة خير من الدنيا وما فيها وخصت بالاذان مرتين اولاهما قبل الوقت ايقاظا للناس حتى لا تفوتهم البتة وخص اذانها بالتثويب وهو





يقول بين الحيعلتين الصلوة خير من النوم وان الانسان اذا قام من منامه فكانه صار موجودا بعد العدم وعند ذلك يزول عن الخلائق ظلمة الليل و
النوم والغفلة وظلمة النوم والغفلة وظلمة العجز والحيرة ويملأ العالم نورا والابدان حيوة وعقلا وقوة وفهما فهذا الوقت اليق الاوقات بان يشتغل العبد
باداء العبودية واظهار الخضوع والاستكانة لفاطر السموات والارض وجاعل الظلمات والنور وعن علي عليه السلام انه سئل عن الصلوة الوسطى فقال
كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه هي الصلوة الوسطى القول الرابع انها صلوة الظهر وهو مروي عن عمر وزيد بن ابي بكر وابي سعيد الخدري
واسامة بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة اليه اولى وعن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه فربما لم يكن وراءه الا الصف والصفان فقال صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم
فنزلت هذه الاية وايضا ليس في المكتوبات صلوة وقعت وسط الليل والنهار الا هذه وانها صلوة بين صلوتين نهاريتين الفجر والعصر وانها صلوة بين البردين
برد الغداة وبرد العشي وان اول امامة جبرئيل كان في صلوة الظهر كما ورد في الاحاديث الصحاح وان صلوة الجمعة مع ما ورد في فضلها تنوب عن الظهر لا عن غيرها
وعن عائشة انها كانت تقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر وكانت تقول سمعت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغلب على الظن ان المعطوف عليه العصر هو الظهر الذي قبله
وروي ان قوما كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد وسألوه عن الصلوة الوسطى فقال هي صلوة الظهر كانت تقام في الهاجرة القول الخامس
انها صلوة العصر وروي عن علي وعن ابن مسعود وابن عباس وابي هريرة ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي حنيفة ايضا لما ورد من التاكيد فيه
كقوله صلى الله عليه وسلم من فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وقد اقسم الله بها في قوله والعصر ان الانسان لفي خسر ولما يحتاج في معرفة وقتها الى تامل اكثر من حال
الظهر فالمغرب يعرف بغروب جرم الشمس والعشاء بغروب الشفق والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن دائرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال
الناس بحوائجهم وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله بيوتهم
وقبورهم نارا رواه البخاري ومسلم وسائر الائمة وهو عظيم الموقع في المسئلة وفي صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها صلوة
التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املي عليك كما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر القول السادس انها صلوة المغرب عن قبيصة بن ذويب لانها بين بياض النهار وسواد
الليل ولانها وسط في الطول والقصر القول السابع انها صلوة العشاء لانها متوسطة بين صلوتين لا تقصران المغرب والصبح ولما ورد من فضلها عن عثمان
بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء الاخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة وقال اهل التحقيق القلب هو الذي في وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح
والجسد فكانه قيل حافظوا على سورة الصلوات بشرائطها حافظوا على معاني الصلوة وحقائقها بدوام شهود القلب للرب في الصلوة بعد تمامها ثم ان الشافعي
احتج بالاية على ان الوتر ليس بواجب والا كانت الصلوة ستا فلم يكن لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد الوسطى في العدد لكنه يحتمل ان يكون الوسطى في الفضل
من قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا او الوسطى في الزمان وهو الظهر او الوسطى في المقدار كالمغرب فانه ثلث ركعات فيتوسط بين الاثنين والاربع
او الوسطى في الصفة كصلوة الصبح تتوسط بين صفتي الظلام والضياء وقوموا لله قانتين عن ابن عباس ان القنوت هو الدعاء والذكر لقوله تعالى
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ولان قوله حافظوا على الصلوات امر بما في الصلوة من الفعل فيكون القنوت عبارة عن كل ما في الصلوة
من الذكر عن الحسن والشعبي وسعيد بن جبير وطاوس وقتادة والضحاك ومقاتل قانتين اي مطيعين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت في القران فهو الطاعة ومنه
يقنت منكن لله ورسوله فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن كمال الطاعة والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها وادابها وفيه زجر
لمن لم يبال كيف صلى فخفف واقتصر على ما لا يجزي وذهب الى انه لا حاجة بالله الى صلوة العباد ولو كان كما قالوا لوجب ان لا يصلي اصلا لانه تعالى كما لا يحتاج
الى الكثير من عبادتنا فكذلك لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل والسلف الصالح فاطالوا وخشعوا واستكانوا وكانوا
اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود كنا نتكلم في الصلوة فيكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه حتى نزلت و
قوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت عبارة عن الخشوع وخفض الجناح وسكون الاطراف وكان احدهم
اذا صلى خاف ربه فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشيء من جسده ولا يحدث نفسه بشيء من الدنيا حتى ينصرف ويحتمل ان يكون المراد وقوموا
لله داعين لذلك القيام في اوقات وجوبه واستحبابه فان خفتم عدوا فحذف المفعول به للعلم به او فان حصل لكم خوف وكنتم على حالة الخوف على انه
متروك المفعول فرجالا او ركبانا اي فصلوا راجلين او راكبين قيل المعنى فان خفتم فوات الوقت ان اخرتم الصلوة الى ان تفرغوا من حربكم فصلوا رجالا
او ركبانا وعلى هذا فالاية تدل على تاكيد فرض الوقت حتى يترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود ورجال جمع راجل كقيام
جمع قائم وتجار جمع تاجر وجمع رجل يقال رجل رجل اي راجل والركبان جمع راكب كفارس وفرسان ولا يقال راكب الا لمن كان على ابل فان كان على فرس
فانما يقال له فارس لكن المراد في الاية اعم وتخصيص اللفظ بالركبان لانه الغالب فيهم واعلم ان صلوة الخوف اما ان يكون في غير حال القتال و
سوف يجيء بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى واما ان يكون عند التحام القتال وهو المراد بهذه الاية ومذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على
دوابهم ومشاة على اقدامهم الى القبلة والى غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء الا انهم يجعلون السجود اخفض من الركوع ويحترزون
عن الصيحات لانه لا ضرورة اليه بل الشجاع الساكت اهيب وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر لانه صلى الله عليه وسلم اخر الصلوة يوم الخندق واجيب بان الاية ناسخة

لذلك الفعل ويدخل في الخوف المفيد لهذه الرخصة الخوف في القتال الواجب كالقتال مع الكفار ومع اهل البغي وفي القتال المباح كالدفع عن النفس او حيوان محترم او عن المال اما القتال المحظور فانه لا يجوز فيه صلوة الخوف لان الرخص لا تناط بالمعاصي الخوف الحاصل لا في القتال كالهارب من الحرق والغرق والسبع كذا المطالب اذا كان معسرا خايفا من الحبس عاجزا عن بينة الاعسار يرخص في هذه الصلوة لان قوله فان خفتم مطلق يتناول الكل فاذا امنتم فلذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وكما بينه من شروطها واركانها والصلوة قد تسمى ذكرا فاسعوا الى ذكر الله وقيل فاذكروا الله اي فاشكروا الله لاجل انعامه عليكم بالامن وقيل فاشكروه على الامن اذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع على لسان نبيه كيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وما في كما علمكم اما مصدرية او كافة الحكم الثامن عشر عدة الوفاة بوجه آخر والذين يتوفون منكم الاية من قرأ وصية بالرفع فوصية مبتداء وخبره لازواجهم وجاز وقوع النكرة مبتداء لتخصيصه بما يخص به سلام عليكم او التقدير فعليهم وصية لازواجهم فالخبر مضمر او فالامر او المفروض او الحكم وصية فالمبتدأ مضمر او كتب عليهم وصية او ليكن بينهم وصية او وصية الذين يتوفون وصية او والذين يتوفون اهل وصية الى الحول كل هذه الوجوه جايز ومن قرأ بالنصب فعلى تقدير فليوصوا وصية او يوصون وصية مثل انت سير البريد او والزم الذين يتوفون منكم وصية متاعا نصب على المصدر على معنى فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعا والتقدير جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبله من الكلام يدل عليه او نصب على الحال او نصب بالوصية غير اخراج نصب على المصدر المؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون منكم عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن واكثر المفسرين على ان ذلك كان في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا ونسخ ما زاد على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن لقوله صلى الله عليه وسلم الا لا وصية لوارث وعن علي وابن عمر ان لها النفقة وان كانت حاملا واما السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن وهو قول علي وابن عباس وعائشة واختاره المزني قياسا على النفقة وفرقوا بان النفقة في مقابلة التمكين ولا تمكين واما السكنى فللتحصين لما هو موجود وعند الشافعي لهن ذلك على الاظهر وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة ووافقه مالك والثوري واحمد ومبنى الخلاف على خبر فريعة بنت مالك اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي فان زوجي ما ترك لي منزلا يملكه كذا في التفسير الكبير وهو في ملكه فقال نعم فانصرفت حتى اذا كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثاني على النسخ وآخرون على الاستحباب وعن مجاهد انها لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تاخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر وعشرا وان اختارت السكنى في داره والاخذ من ماله وتركته فعدتها الحول قال وانما نزلت الاية على هذين التقديرين ليكون كل واحدة منهما معمولا بها وعن ابي مسلم انكم تضيفون الوصية الى حكم الله تعالى فيلزمكم القول بالنسخ ونحن نضيف الحكم الى الزوج حتى يصير معنى الاية الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وقد وصوا وصية لازواجهم بالنفقة والسكنى حولا فهذا المجموع شرط وجوابه فان خرجن اي قبل ذلك وخالفن وصية الزوج بعد ان يقمن المدة التي ضربها الله تعالى فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف اي نكاح صحيح لان اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة والسبب انهم كانوا في زمان الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا وكانوا يوجبون على المرأة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الاية ان ذلك غير واجب ويؤكده ما روت زينب بنت ام سلمة قالت سمعت امي ام سلمة تقول جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مرتين او ثلثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كان احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على رأس الحول فقالت كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا اي بيتا صغيرا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى يمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طائر فتفتض به قال مالك اي تمسح به جلدها فقلما تفتض بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد بما شاءت من طيب او غيره فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والاقدام على النكاح ومن قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول ومن ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها ليس بواجب عليها وانما قال ههنا من معروف منكرا لان المراد بوجه من الوجوه التي لهن ان يأتينه وما في الاية السابقة اراد بالوجه المعروف من الشرع ويمكن ان يقال ان تلك الاية متأخرة في النزول عن هذه باجماع المفسرين فلهذا نكر اولا ثم عرف لان النكرة اذا تكررت صارت معرفة قال سبحانه كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول الحكم التاسع عشر وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها الواحدة منهن وهي المذكورة في الحكم الخامس عشر وروي انها لما نزلت ومتعوهن الى قوله متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فنزلت هذه الاية حقا على من كان متقيا عن الكفر والمعاصي اعلم ان المطلقات قسمان مطلقة قبل الدخول فلها المتعة ان لم يفرض لها مهر كما مر في الحكم الخامس عشر وان فرض لها مهر فلا متعة لها وحسبها نصف المهر لانه تعالى اقتصر على ذلك ولم يذكر المتعة فهي مستثناة من عموم هذه الاية ومطلقة بعد الدخول سواء فرض لها ام لم يفرض واختلفوا في استحقاقها المتعة فالقديم من قول الشافعي وبه قال ابو حنيفة لا متعة لها لانها تستحق المهر كالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول وفي الجديد لها المتعة وهو قول علي وابنه الحسن وابن عمر لعموم الاية ولقوله تعالى فتعالين امتعكن وذلك في حق نساء





دخل بهن النبي وليست كالمطلقة المذكورة لانها استحقت الصداق لا في مقابلة عوض وهذا استحقت الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب لها المتعة للايحاش وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة تمسكا بظاهر عموم الاية وقيل المراد بهذه المتعة النفقة في العدة بدليل متاعا الى الحول والله اعلم

الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل

آيا ندانی حکایت آنها را که بیرون رفتند از خانهای خود و حال آنکه چند هزار بودند از ترس مرگ پس گفت مر ایشان را خدا که بمیرید پس زنده گردانید بدرستی که خدا اوست صاحب فضل

على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي

بر مردمان ولیکن بیشتری از مردمان سپاس نکنند وجهاد کنید در راه خدا وبدانید که بدرستی که خدا شنونده داناست کیست آنکس که او

يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون القراءات فيضاعفه

وام دهد خدا را وام نیکو پس بیفزاید خدا از برای او مانندهای بسیار وخدا تنگ کند ووسعت دهد وبسوی او بازگردید

بالالف والنصب عاصم غير المفضل وسهل فيضعفه بالتشديد والنصب ابن عامر ويعقوب غير روح فيضعفه بالتشديد والرفع ابن كثير ويزيد وروح الباقون فيضاعفه بالالف والرفع وكذلك في سورة الحديد يبصط ويبصطة بالصاد ابن كثير وابو جعفر ونافع غير الخزاعي عن ابن فليح وابن مجاهد وابي عون عن قنبل وسهل وعاصم غير ابن ذكوان وغير ابن مجاهد والنقاش وشجاع وعلي الحلواني عن قالون مخير الباقون بالسين الوقوف الموت ط احياهم ط لا يشكرون عليم كثيرة ط ويبصط ترجعون التفسير قد جرت عادته سبحانه ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص عبارا للسامعين ليحملهم ذلك على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد فقال الم تر وفيه تقرير لمن سمع بقصتهم ووقف على اخبار الاولين وتعجيب من حالهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب ويكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى الم ينته علمك اليهم او على هذا يجوز ان يكون النبي لم يعرف هذه القصة الا بهذه الاية ويجوز ان يقال كان العلم بها سابقا على نزول هذه الاية ثم انه تعالى انزل الاية على وفق ذلك روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وروي ان حزقيل النبي الذي يقال له ذو الكفل مر عليهم بعد ذلك بزمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب لما راى فاوحى اليه تريد ان اريك كيف احييهم فقال نعم فقيل له ناد ايتها العظام ان الله يامرك ان تجتمعي فجعلت العظام يطير بعضها الى بعض حتى تمت العظام ثم اوحى الله اليه ناد ايتها العظام ان الله يامرك ان تكتسي لحما فصارت لحما ودما ثم نادها ان الله يامرك ان تقومي فقامت فلما احياهم ثم كانوا يقولون سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم بعد حيوتهم وكان يظهر امارات الموت في وجوههم الى ان ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم وعن ابن عباس ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر عسكره بالقتال فخافوا القتال فجبنوا وقالوا لملكهم ان الارض التي نذهب اليها فيها الوباء فنحن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوباء فاماتهم الله باسرهم وبقوا ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر واحياهم الله تعالى بعد الثمانية فبقي فيهم شيء من ذلك النتن وبقي ذلك في اولادهم الى هذا اليوم وقيل ان حزقيل النبي ندب قومه الى الجهاد فكرهوا وجبنوا فارسل الله تعالى عليهم الموت فلما كثر فيهم الموت خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما راى حزقيل ذلك قال اللهم اله يعقوب واله موسى ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وانهم لا يخرجون عن قبضتك فارسل الله عليهم الموت فلما راه ضاق قلبه فدعا مرة اخرى فاحياهم الله تعالى اما قوله سبحانه وهم الوف ففيه دليل على الالوف الكثيرة ولكنهم اختلفوا فقيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل ثلثون وقيل سبعون وعن بعضهم ان الالوف جمع الف كقعود جمع قاعد اي خرجوا وهم مؤتلفوا القلوب وزيف بان ورود الموت عليهم وفيهم كثرة يفيد مزيد اعتبار بحالهم لانهم لو كانوا نفرا يسيرا فاما ورود الموت على قوم بينهم ايتلاف ومحبة فكورود على قوم بينهم اختلاف في ان وجه الاعتبار لا يتغير وقد يوجه بان المراد انهم بالدنيا ومحبتهم لها فاهلكوا والعلم انه حرص الانسان على الحيوة لا يعصمه عن الموت حذر الموت مفعول لاجله فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وجيء بهذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بانها خارجة عن العادة ولا امر ولا قول كامر في قوله سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويدل عليه قوله ثم احياهم واذا صح الاحياء بلا قول فكذا الامانة ويحتمل انه تعالى امر الرسول بان يقول لهم موتوا والظاهر انهم لم يكونوا عند الموت من الاموات ان الام والاحوال ما يصير بها معارفهم ضرورية ويمنع من صحة التكليف بعد الاحياء كما في الآخرة وقال قتادة انما احياهم ليستوفوا بقية آجالهم ان الله لذو فضل على الناس تفضل عليهم بان خرجوا من الدنيا على المعصية فاعادهم الى الدنيا ومكنهم من التوبة والتلافي وتفضل على منكري البعث باقتصاص خبرهم ليستبصروا ويعتبروا وذلك ان تركيب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والا لما وجد اولا واذا كان ممكنا في نفسه وقد اخبر الصادق بوجوده وجب القطع به وفي القصة تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله ولهذا اتبعه بقوله وقاتلوا في سبيل الله ثم ان كان هذا الامر خطابا للذين احياهم على ما قال الضحاك احياهم ثم امرهم بان يذهبوا الى الجهاد فلا بد من اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا وان كان استينافا خطابا للحاضرين على ما هو اختيار الجمهور من المفسرين فلا اضمار وفيه ترغيب لمن يكلا ينكص على عقبيه محب للحيوة بسبب خوف الموت فان الحذر لا يغني عن القدر واعلموا ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله القاعدون والمجاهدون ويعلم ما يضمرونه وهو من وراء الجزاء ولما امر المكلفين بالقتال في سبيل الله اردف ذلك بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي في باب الجهاد كانه ندب العاجز

عن الجهاد ان ينفق على الفقير القادر على الجهاد وامر القادر على الجهاد ان ينفق على نفسه في طريق الجهاد وذا في من ذا اما زايدة ومن استفهام في موضع الرفع
والذي مع صلتها خبره وموصوفة والذي بدلها او اسم اشارة خبر من والذي نعت له او بدل منه قال ابو البقا ولا يجوز ان يكون من وذا بمنزلة اسم
واحد كما كانت ماذا لان ما اشد ابهاما من من اذ كانت من لمن يعقل وقد بنى الكلام على طريقة الاستفهام لان ذلك ادخل في الترغيب والحث على الفعل
من ظاهر الامر وقيل ان هذا الكلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله وانما ورد مسانفا في الانفاق مطلقا على الاطلاق وهو لا يليق بعموم لفظ القرض وما الواجب
منه لان قوله واليه ترجعون كالزجر وهو انما يليق بالواجب لا غير الواجب لان القرض بالتبرع اشبه هذا قول الاصم وقد روي عن بعض اصحاب ابن مسعود ان المراد
من هذا القرض هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن النبي من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فانه له صدقة ويشبه ان
يكون الفقير الذي لا يملك شيئا اذا كان في قلبه نية انه لو قدر لانفق واعطى قامت تلك النية مقام الانفاق وعن الزجاج ان لفظ القرض حقيقة في كل ما
يفعل ليجازى عليه واصل القرض القطع ومنه المقراض لانقطاع الاثر ومن اقرض فكانما قطع له من ماله او عمله قطعة يجازى عليها وقيل ان لفظ القرض
في الاية مجاز فان القرض انما ياخذه من يحتاج اليه لفقره وذلك في حق الله محال ولان البدل في القرض المعتاد لا يكون الا بالمثل وههنا يضاعف ولان المال
الذي ياخذه المستقرض لا يكون ملكا له وههنا المال الماخوذ ملك لله ثم مع حصول هذه الفروق سماه الله تعالى قرضا تنبيها على ان ذلك لا يضيع عند الله
فكما ان القرض يجب اداؤه ولا يجوز الاخلال به فكذا الثواب المستحق على هذا الانفاق واصل الى المكلف لا محالة وقوله قرضا حسنا يحتمل كونه اسم مصدر وكونه
مصدرا بمعنى الاقراض ومعنى كونه حسنا حلالا خالصا لا يختلط به الحرام ولا يشوبه به من ولا اذى ولا يفعله رياء وسمعة وانما يفعله خالصا
لوجه الله تعالى واضعافا انتصب على الحال او على المفعول الثاني ان ضمن ضاعف معنى صير ويجوز ان يكون مصدرا لان الضعف وان كان مصدرا لا انه قد يقع
موقع المصدر كالعطا فانه اسم للمعطى وقد يستعمل بمعنى الاعطاء قال القطامي اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا وانما جاز جمع المصدر
بحسب اختلاف انواع الجزاء لاختلاف الاغراض في المقدار والاخلاص وغير ذلك والضعف المثل والتضعيف والاضعاف والمضاعفة كلها الزيادة على
اصل الشيء حتى يصير مثلين واكثر قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احد كم هو وما هو وانما ابهمه تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب
اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط يقتر على عباده ويوسع عليكم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وايضا من كتب له الفقر
لا ذلك سوا انفق او لم ينفق ومن كتب له الغنى فليس له الا ذلك فعلى التقديرين يكون انفاق المال في سبيل الله اولى واذا علم المكلف ان القبض
والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا وبقي اعتماده على الله فحينئذ يسهل عليه الانفاق في مرضات الله ويحتمل ان يكون المعنى والله يقبض بعض القلوب
حتى لا يقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يسهل عليه البذل وصرف المال واليه ترجعون فيجازيكم بحسب ما قدمتم من اعمال الخير وتسلي التوفيق واسه
انتهاء الطريق الم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال
آيا ننگريستی بسوی گروهی از بنی اسرائیل از پس موسی چون گفتند از برای پیغمبری از ایشان که برانگیز از برای ما پادشاهی در راه خدای گفت
هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
آیا امید دارید که اگر نوشته شود بر شما جهاد را که جهاد نکنید گفتند که چه شده است ما را که قتال نکنیم در راه خدا و حال آنکه بیرون شده‌ایم از خانهای خود و از
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
پس چون که نوشته بر ایشان قتال روگردانیدند مگر کمی از ایشان و خدا داناست بستمکاران و گفت ایشان را پیغمبر ایشان بدرستی که خدا برانگیخت از برای شما طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده
گفتند که کجا میباشد از برای او پادشاهی بر ما و ما سزاوارتریم به پادشاهی از او و حال آنکه داده نشده فراخی مال گفت بدرستی که خدا برگزید او را بر شما و افزود او را
بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت
زیادتی در علم و جسم و خدا میدهد پادشاهی خود را هر که خواهد و خدا محیط داناست و گفت مر ایشان را پیغمبر ایشان بدرستی که نشانی پادشاهی او آنست که بیاید شما را تابوت
فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين فلما
که در آن سکینه است از پروردگار شما و باقی مانده از آنچه واگذاشت آل موسی و هرون که برمیدارند او را فرشتگان بدرستی که در این هر آینه نشانیست اگر باشید گروندگان پس چون
فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة
جدا شد طالوت با لشکر گفت که بدرستی که خدا آزماینده شماست بنهری پس هر که بیاشامد از آن پس نیست از من و هر که نچشد آن را پس بدرستی که از منست مگر کسی که بیاشامد کفی
بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال
بدست خود پس آشامیدند از آن مگر کمی از ایشان پس چون که گذشتند از آن او و آنان که ایمان آوردند با او گفتند نیست طاقت ما را امروز با جالوت و لشکر او گفت
الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت
آنان که یقین داشتند که ایشان ملاقات کنندهٔ خدااند بسیا گروه کم که غالب شدند گروه بسیار را بفرمان خدا و خدا با صابرانست و چون ظاهر شدند
وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل
با جالوت و لشکر او گفتند پروردگارا فرو ریز بر ما صبر را و محکم کن قدمهای ما را و یاری ده ما را بر گروه کافران پس فرار دادند ایشان را بفرمان خدا و کشت



ع ۱۷





داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله
داود جالوت را و داد او را خدا پادشاهی و حکمت و آموخت او را از آنچه خواست و اگر نباشد دفع خدا مردم را بعض از ایشان را ببعضی هر آینه فاسد میشد زمین و لیکن خدا
ذو فضل على العالمين القراءة عسيتم بكسر السين حيث كان نافع التابوت بالهاء وزاد بالامالة حمزة ونصير وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بصطة بالصاد
صاحب فضل است بر عالمیان ابو نشيط والشموني غير النقاد وكذلك يبسط وبسطة والرزق لا تبسطها كل البسط فما اسطاعوا وما استطاعوا من
الا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو التابوت بالسكون غرفة بفتح الغين ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو التابوت بالضم قال الذين بالادغام
روى ابن مهران ومحمد العطار عن ابي شعيب وشجاع وكذلك ما اشبهها فئة ومئة وبابهما غير مهموزتين يزيد وشمني وحمزة في الوقف دفاع الله
كذلك في سورة الحج ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب التابوت دفع الله الوقوف من بعد موسى لانه لو وصل صار اذ ظرفا لقوله الم تر وهو محال
في سبيل الله ط الا تقاتلوا ط وابنائنا ط تعظيما للابتداء امر معظم منهم ط بالظالمين ملكا ط من المال ط والجسم ط من يشاء ط عليم الملائكة ط مؤمنين
بالجنود لا لان قال جواب لما فيخرج للابتداء بالشرط مع الفاء فليس مني ج للابتداء بالشرط اخر لحاد المقصود بيده ج لعطف المختلفين منهم ج
تعظيما للابتداء امر معظم معه لا لان قالوا جواب لما وجنوده ط ملاقوا الله لا لان ما بعده مفعول قال باذن الله ط الصابرين الكافرين ط لان ما قبله دعا
وما بعده خبر ماض متصل بكلام بعده طويل ولا وقف على باذن الله لاتصال اللفظ واتساق المعنى فان الهزيمة كانت منه قتل داود جالوت مما يشاء ط العالمين
التفسير القصة الثانية قصة طالوت والملأ اسم جماعة من الناس كالقوم والرهط لانهم يملأون العيون هيبة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة
وجمعه املاء قال شعر وقال لها الاملاء من كل معشر وخير اقاويل الرجال سديدها قال الزجاج الملأ الرؤساء سموا بذلك لانهم ملؤا بما يحتاج
اليه من كفايات الامور وتدبيرها من قولهم ملؤ الرجل ملاءة فهو مليء اذا كان مطيقا له او لانهم يتمالؤن اي يتظاهرون ويتساندون
والغرض من ايراد هذه القصة عقيب اية القتال ترغيب المكلفين على الجهاد وان لا يكونوا كمن امروا بالقتال فخالفوا وظلموا اذ قالوا لنبي لهم لم
يحصل العلم بذلك النبي وباولئك الملأ من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا يفيد الا الظن لكن المقصود والحث على الجهاد حاصل منهم من قال ان النبي
هو يوشع بن نون بن افراثيم بن يوسف لقوله تعالى من بعد موسى ولكنه لا يلزم منه حصوله من بعده على الاتصال والاكثرون على انه شمويل واسمه
بالعبرية اسمعيل وعن السدي هو شمعون سمته امه بذلك لانها دعت الله ان يرزقها اياه فسمع دعاءها فسمته شمعون والسين يصير شينا بالعبرانية
وهو من ولد لاوي بن يعقوب ابعث لنا ملكا انهض للقتال معناه امير انصدر في تدبير الحروب عن رايه وينتظم به كلمتنا وكان قوام بني اسرائيل بملك يجتمعون
عليه يجاهد الاعداء ويجري الاحكام ونبي يطيعه الملك ويقيم امر دينهم ويأتيهم بالخبر من ربهم نقاتل في سبيل الله بالنون والجزم على الجواب وهي
القراءة المشهورة وقرئ بالنون والرفع على انه حال اي ابعث لنا ملكا مقدرين القتال واستيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل
وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا هل عسيتم خبره ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما وجواب الشرط محذوف يدل
عليه المذكور اي ان كتب عليكم القتال فهل يتوقع منكم الجبن والخور واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه وما لنا
الا نقاتل قال المبرد ما نافية اي ليس لنا ترك القتال والاكثرون على انه للاستفهام واورد عليه انه خلاف المشهور فانه لا يقال ما لك ان لا تفعل كذا
وانما يقال ما لك لا تفعل وعن الاخفش ان ان زائدة اي ما لنا لا نقاتل ورد بان الزيادة خلاف الاصل ولا سيما في كلام رب العزة وعن الفراء ان الكلام
محمول على المعنى لان قولك ما لك لا تقاتل معناه ما منعك ان تقاتل فلما ذهب الى معنى المنع حسن ادخال ان فيه وعن الكسائي واستحسنه الفارسي ان التقدير اي
شيء لنا او اي داع او غرض في ترك القتال فسقطت كلمة في على القياس وقد اخرجنا اي وحالنا انا اخرجنا من ديارنا وابنائنا بالسبي والقهر على نواحيها ومن
بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر منه الاجتهاد في قمع عدوه روي ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء
ملوكهم اربعمائة واربعين وههنا محذوف التقدير فسأل الله تعالى ذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب القتال تولوا الا قليلا منهم وهم
الذين عبروا النهر وسيأتي ذكرهم وانهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم ولكل مكلف في الاسلام على القعود عن القتال
واي وعيد ابلغ من ان وضع الظالمين موضع الضمير العائد اليهم قوله سبحانه وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت
وداود امتنع من الصرف للعلمية والعجمة المعتبرة وقد يمكن تكلف اشتقاقه من الطول لما يجيء من وصفه بالبسطة في الجسم فلعله وافق العبراني العربي
وملكا نصب على الحال او التمييز او مفعول ثان على ان بعث بمعنى صير وفي الاية تقرير لتوليهم وتاكيد لذلك فان اول ما تولوا هو انكارهم امر النبي المبعوث اليهم بالتماس
وذلك انهم قالوا انى يكون كيف ومن اين يصح ويصلح له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية للعطف
فانتظمت الجملتان في سلك الحالية استبعدوا تملكه من وجهين الاول ان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب ومنه موسى وهرون والملك كان في
يهودا ومنه داود وسليمان وان طالوت ما كان من احد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين الثاني انه كان فقيرا ولا بد للملك من مال يعتضد به فعن
انه كان دباغا وعن السدي كان مكاريا وقال الاخرون كان سقاء فازيلت شبهتهم بوجوه الاول قال ان الله اصطفيه عليكم اختاره دونكم واستخلصه
من بينكم وامره عليكم ولا اعتراض لاحد على حكم الله وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
الثاني وزاده بسطة في العلم والجسم طعنوا فيه بنقصان الجاه والمال فقابلهما الله تعالى بوصفين العلم والقدرة وانهما اشد مناسبة لاستحقاق الملك من

وقص طالوت

برهان

والمال لان العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية دونهما وبالعلم والقدرة يتوسل الى الجاه والمال ولا ينعكس ولان العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة لجوهر الانسان والمال والجاه امران منفصلان عن ذات الانسان وانهما لا يمكن سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما وان العالم بامر الحروب والقوي الشديد يكون الانتفاع به في مصالح البلاد والعباد اتم من الحسيب الغني اذا لم يكن له علم يضبط المصالح وقدرة على دفع الاعداء والظاهر ان المراد بالبسطة في العلم هو حذقه فيما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وذلك ان الملك ينبغي ان يكون عالما والا كان مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين مهابة وحشمة والبسطة السعة والامتداد وطول القامة روي انه كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقيل المراد منه الجمال وكان اجمل بني اسرائيل والاظهر ان يراد بها القوة لانها المنتفع بها في دفع الاعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فالملك له والعبيد له والمالك اذا تصرف في ملك نفسه فلا اعتراض لاحد عليه الوجه الرابع ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فاذا فوض الملك اليه فان علم ان الملك لا يتمشى الا بالمال فتح عليه باب الرزق ويوسع عليه قوله عز من قائل ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الآية اعلم ان ظاهر قوله تعالى ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ يدل على انهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبي ثم انه لما قال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا كان ذلك دليلا قاطعا على انه ملك لكنه تعالى لكمال رأفته بالمكلفين ضم الى ذلك الدليل دليلا آخر دالا على صدق النبي واكثار الدلائل من الله تعالى جائز ولهذا كثرت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزات موسى وعيسى ثم ان مجيء التابوت لا بد ان يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح ان يكون معجزة وآية من عند الله دالة على صدق ذلك المدعي وقيل ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه صور الانبياء من اولاده فتوارثوه الى ان وصل الى يعقوب ثم بقي في ايدي بني اسرائيل فكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه في موضع البول والغائط فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم في ذلك الوقت فسلط الله على اولئك الكفار البلاء حتى ان كل من بال عنده او تغوط ابتلاه الله بالبواسير فعلم الكفار ان ذلك لاجل استخفافهم بالتابوت فاخرجوه ووضعوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فعلى هذا اتيان التابوت مجاز لانه اتى به ولم يات هو بنفسه وقيل صندوق من خشب كان موسى يضع التوراة فيه وكان يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعدما قبض موسى عليه السلام لسخطه على بني اسرائيل ثم قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالوت ان ياتيكم التابوت من السماء فنزل من السماء فرفعه من السماء والملائكة كانوا يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت وعلى هذا الاتيان حقيقة واضيف الحمل الى الملائكة في القولين جميعا لان من حفظ شيئا في الطريق جاز ان يوصف بانه حمل ذلك الشيء اما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار واما وزن التابوت فلا يخلو اما ان يكون فعلوتا او فاعولا لا سبيل الى الثاني لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فهو فعلوت من التوب الرجوع لانه ظرف فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته والظاهر ان مجيء التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ومع كونه معجزة له كان آية قاطعة في ثبوت ملك طالوت وقيل ان طالوت كان نبيا واتيان التابوت معجزته لانه كان مقرونا بالتحدي والجواب ان التحدي كان من النبي عليه السلام لا منه فيه سكينة فعيلة من السكون ضد الحركة وهي مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة واما البقية فبمعنى الباقية يقال بقي من الشيء بقية والمراد بالسكينة والبقية اما ان يكون شيئا حاصلا في التابوت او لا والثاني قول الاصم على هذا فمعناه انه متى جاءهم التابوت من السماء وشاهدوا تلك الحالة اطمأنت نفوسهم واقروا بالملك فانتظم امرها بقي من دين موسى وهرون ومن شريعتهما فهذا كقوله صلى الله عليه وسلم في النفس المؤمنة مائة من الابل اي بسببها وعلى الاول قال ابو مسلم كان في التابوت بشارات من كتب الله المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء عليهم السلام بان الله تعالى ينصر طالوت وجنوده فيزول خوف العدو عنهم وعن ابن عباس هي صورة من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي عليه السلام كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اي طيبة واما البقية فهي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وقفيز من المن الذي انزل عليهم قال بعض العلماء انما اضيف ذلك الى آل موسى وآل هرون لان ذلك التابوت قد تداولته القرون بعدهما الى وقت طالوت وفي التابوت اشياء توارثها العلماء من اتباع موسى وهرون فيكون الآل هم الاتباع قال تعالى ادخلوا آل فرعون ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما كقوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود واراد به داود نفسه اذ لم يكن لاحد من آل داود من الصوت الحسن ما كان لداود ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بدلالة المعجزة على صدق المدعي وههنا محذوف في التقدير فاتاهم التابوت فاذعنوا لطالوت واجابوا الى المسير تحت رايته فلما ﴿فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ اصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الاعوان والانصار وكل صنف من الخلق جند قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة روي ان طالوت قال للقوم لا ينبغي ان يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت



قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال نبيهم على قول او طالوت على الاظهر وذلك اما باخبار النبي او بالوحي لانه كان نبيا ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ بما اقترحتموه من النهر قيل في حكمة هذا الابتلاء انه لما كان من عادة بني اسرائيل مخالفة الانبياء والملوك مع ظهور الآيات الباهرة اظهر الله علامة قبل لقاء العدو يتميز بها الصابر على الحرب من غير الصابر لان الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتأثيره حال لقاء العدو عن ابن عباس والسدي انه نهر فلسطين وعن قتادة والربيع انه نهر بين الاردن وفلسطين والنهر والنهر مجرى الماء والتركيب للسعة ومبتليكم اي ممتحنكم ولما كان الابتلاء من الناس انما يكون بظهور الشيء وثبت ان الله لا يبتلي لانه لا يعاقب على علمه بما يفعل ذلك بظهور الافعال من الناس وذلك لا يحصل الا بالتكليف لا جرم سمي التكليف ابتلاء ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ هو كالزجر اي ليس بمتصل بي ولا متحد معي من قولهم فلان مني يريد انه كان بعضه لاختلاطهما واتحادهما او ليس من اهل ديني وطاعتي ومن حزبي واشياعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاق منه طعم الشيء لذاقه واعلم ان الفقهاء اختلفوا في ان من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفة لا يحنث الا اذا كرع في النهر حتى لو اغترف بالكوز ماء من ذلك النهر وشربه لا يحنث لان الشرب من الشيء هو ان يكون ابتداء شربك متصلا بذلك الشيء وقال الباقون بل اذا اغترف الماء بالكوز من ذلك النهر وشربه يحنث لان هذا وان كان مجازا الا انه مجاز مشهور فلما كان من المحتمل في اللفظ الاول ان يكون النهي مقصورا عن الشرب من النهر حتى لو اخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا تحت النهي ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ ليصح النظم وانما فصل قوله ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى منه للعناية ومعنى الاستثناء الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف بملء الكف عن ابن عباس كانت الغرفة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها ولعل ذلك من معجزات نبي ذلك الزمان كما روي عن نبينا من ارواء الخلق العظيم من الماء القليل ويحتمل انه كان مأذونا ان يأخذ من الماء كم شاء مرة واحدة بقربة وجرة بحيث كان المأخوذ في المرة الواحدة يكفيه لدوابه وخدمه لان يحمله مع نفسه الا ان قوله بيده لا يجاوب هذا الاحتمال فشربوا منه كرعوا فيه الا قليلا منهم وقرأ ابي والاعمش الا قليل منهم وهذا من باب الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم فبهذا تميز الموافق عن المنافق والصديق عن الزنديق يروى ان اصحاب طالوت لما هجموا على النهر بعد عطش شديد وقع اكثرهم في النهر واكثروا الشرب فاسودت شفاههم وغلبهم العطش وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو واطاع قوم قليل منهم امر الله تعالى فلم يزيدوا على الاغتراف فقوي قلبهم وصح ايمانهم وعبروا النهر سالمين والمشهور انهم كانوا على عدد اهل بدر لما روي ان النبي قال لاصحابه يوم بدر انتم اليوم على عدد اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه الا مؤمن قال البراء بن عازب كنا نتحدث انهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل انهم كانوا اربعة آلاف ولا خلاف بين المفسرين ان الذين عصوا الله وشربوا من النهر رجعوا الى بلدهم ولم يتوجه معه الى لقاء العدو الا من اطاعه وانما الخلاف في انهم رجعوا قبل عبور النهر او بعده والحق انه ما عبر معه الا المطيعون لقوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ ولقوله فليس مني اي ليس من اصحابي في سفري لان المقصود من الابتلاء ان يتميز المطيع عن العاصي واذا تميز فالظاهر انه لم ياذن العاصين وصرفهم عن نفسه قبل ان يرتدوا عند لقاء العدو وقيل انه استصحب كل جنوده لانهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالمؤمن المنقاد لامر ربه بل لا يصدر الا عن المنافق والفاسق والجواب لعل طالوت والمؤمنين لما جاوزوا النهر ورأوا القوم تخلفوا وما جاوزوه سألوهم عن سبب التخلف فذكروا ذلك وما كان النهر في العظم بحيث يمنع المكالمة او المراد بالمجاوزة قرب حصول المجاوزة او المؤمنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين منهم من يكره الموت وهو يغلب الخوف والجزع على طبعه وهم الذين قالوا لا طاقة لنا ومنهم من كان شجاعا قوي القلب هم الذين اجابوا بقولهم ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ او انهم لما شاهدوا قلة عسكرهم قال بعضهم لا طاقة لنا فلا بد ان نوطن انفسنا للقتل وقال الآخرون بل نرجوا من الله الفتح والظفر فكان غرض الاولين الترغيب في الشهادة والفوز بالجنة وغرض الآخرين التحريض على رجاء الفتح والظفر وكلا الغرضين محمود والطاقة اسم بمنزلة الاطاقة يقال اطقت الشيء اطاقة وطاقة ومثلها اطاع اطاعة والاسم الطاعة واغار اغارة والاسم الغارة واجاب يجيب اجابة والاسم الجابة وفي المثل اساء سمعا فاساء جابة اي جوابا ومعنى قوله ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾ يغلب على ظنونهم انهم لا يتخلصون من الموت عن قتادة او يظنون انهم ملاقو ثواب الله بسبب هذه الطاعة وذلك ان احدا لا يعلم عاقبة امره عن ابي مسلم او يظنون انهم ملاقو طاعة الله من غير رياء وسمعة وبنية خالصة او انهم عرفوا بما في التابوت من الكتب الالهية يقين النصر والظفر الا ان حصول ذلك في المرة الاولى ما كان الا على سبيل الظن والمراد بقوله يظنون يعلمون ويوقنون لما بين اليقين والظن من المشابهة في تأكد الاعتقاد والفئة الجماعة لان بعضهم قد فاء الى بعض فصاروا جماعة وقال الزجاج هي من قولهم فأوت رأسه بالسيف وفأيته اي قطعته كأن الفئة قطعة من الناس والمراد تقوية قلوب الذين قالوا لا طاقة لنا اذ العبرة بالتأييد الالهي والنصرة الالهية فاذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة والذلة واذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة ومحل كم رفع بالابتداء وغلبت الجملة خبره ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بتيسيره وتسهيله ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالمعونة والتأييد يحتمل ان يكون من قوله تعالى وان يكون من قول الذين يظنون قوله سبحانه ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ الآية البراز الارض الفضاء ومنه البروز والمبارزة في الحرب كان كل واحد منهما حصل بحيث يرى صاحبه واعلم ان العلماء والاقوياء من عسكر طالوت لما قرروا مع ضعفاء

وعولهم ان الغلبة لا يتعلق بكثرة العدد وان النصر والظفر باعانة الله اشتغلوا بالدعاء وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا وهكذا كان يفعل نبينا صلعم كما روى في قصة بدر انه كان يصلي ويستنجز من الله وعده وكان متى لقي عدوا قال اللهم اني اعوذ بك من شرورهم واجعلك في نحورهم اللهم بك اصول وبك احول و الافراغ الاخلاء الاناء مما فيه وانما يخلو بصب كل ما فيه فيفيد المبالغة اي صب علينا اتم صبر وابلغه وهذا هو الركن الاعظم في الحاربة فانه ان كان جبانا لم يحصل بطائل ثم ان الشجاع مع ذلك يحتاج الى آلات العدد والاتفاقات الحسنة حتى يمكنه ان يقف ويثبت ولا يصير ملجأ الى الفرار فلذا قالوا وثبت اقدامنا ثم انه مع كل هذه الاشياء يفتقر الى ان يزيد قوته على قوة عدوه حتى يغلبهم هو المراد بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين فلا جرم استجاب الله دعاءهم فهزموهم كسروهم باذن الله بتوفيقه واعانته وقتل داود جالوت عن ابن عباس ان داود كان راعيا ومعه سبعة اخوة مع طالوت فلما ابطأ خبر اخوته على ابيهم ايشا ارسل ابنه داود وكان صغيرا اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في المصاف وبرز جالوت الجبار وكان من قوم عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل من حديد فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على الحق لبارزني بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فسكتوه فذهب الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فمر به طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون لمن يقتل هذا فقال طالوت انكحه ابنتي واعطيه نصف مملكتي فقال داود فانا خارج اليه وكانت عادته انه يقاتل بالمقلاع الذئب والاسد في المرعى وكان طالوت عارفا بجلادته فلما هم داود بان يخرج الى جالوت مر بثلثة احجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا ميتة جالوت ثم لما خرج الى جالوت رماه فاصابه في صدره ونفذ الحجر فيه وقتل بعده ناسا كثيرا فحسد طالوت ولم يف له وعده ثم ندم على صنيعه فذهب يطلبه الى ان قتل وآتاه الله الملك في مشارق الارض ومغاربها والحكمة اي النبوة لان الحكمة وضع الامور مواضعها على الوجه الاصوب والنحو الاصلح وكمال هذا المعنى انما يحصل بالنبوة والمشهور من احوال بني اسرائيل ان الله تع كان يبعث اليهم نبيا وعليهم ملكا كان ذلك الملك ينفذ امور ذلك النبي وكان نبي تلك الزمان اشمويل وملكه طالوت فلما توفي اشمويل اعطى داود النبوة ولما توفي طالوت اعطى الله الملك اياه ايضا ولم يجتمع الملك والنبوة على احد من بني اسرائيل قبله ويروى ان بين قتله جالوت وبين ما اعطاه الله الملك والحكمة سبع سنين قال بعضهم هذا الايتان جبر اله على ما فعل من الطاعة وبذل النفس في سبيل الله ولا يمتنع جعل النبوة جزاء على بعض الطاعات كما قال تع ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته ولهذا ذكر حديث الهزيمة والقتل وترتب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية لا سيما وقد نطقت الاحجار معه وقد قهر العدو العظيم المهيب بالآلة الحقيرة وقال الآخرون ان النبوة لا يجوز جعلها جزاء على الاعمال ولكنها محض عناية الله تع ببعض عبيده كما قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فان قيل لم قدم الملك على الحكمة مع انه ادون منها فالجواب انه تع اراد ان يذكر كيفية ترقي داود في معارج السعادات والتدرج في مثل هذا المقام من الادون الى الاشرف هو الترتيب الطبيعي وعلمه مما يشاء قيل هو صنعة الدروع لقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل منطق الطير علمنا منطق الطير وقيل ما يتعلق بمصالح الملك فانه ما تعلم ذلك من آبائه فانهم كانوا رعاة وقيل علم الدين والقضاء وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ولا يبعد حمل اللفظ على الكل والغرض منه التنبيه على ان العبد لا ينتهي قط الى حالة يستغني عن التعلم سواء كان نبيا او لم يكن ولهذا قيل لمحمد صلعم وقل رب زدني علما ولولا دفع الله معناه ظ واما من قرأ بالالف فاما ان يكون مصدر الدفع نحو جمح جماحا وكتب كتابا وقام قياما واما ان يكون بمعنى انه سبحانه يكف الظلمة والعصاة عن المؤمنين على ايدي انبيائه وائمة دينه فكان يقع بين اولئك المحقين واولئك المبطلين مدافعات كقوله ان الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان الله تع ذكر في الآية المدفوع هو بعض الناس والمدفوع به هو البعض الآخر واما المدفوع عنه فغير مذكور للعلم به وهو الشرور في الدين كالكفر والفسوق والمعاصي فعلى هذا الدافعون هم الانبياء وائمة الهدى ومن يجري مجراهم من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والشرور في الدنيا كالهرج والمرج واثارة الفتن فالدافعون اما الانبياء او الملوك الذابون على شرايعهم ولهذا قال صلعم الملك والدين توأمان الاسلام اس والسلطان حارس فما لا اس له فهو منهدم وما لا حارس له فهو ضايع على هذا فمعنى قوله لفسدت الارض اي بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وغير ذلك من سائر اسباب العمران وقيل المراد بالدفع نصر المسلمين على الكفار ومعنى فساد الارض خبث الكفار فيها وقتلهم المسلمين وقيل المعنى لولم يدفع الكفار بالمسلمين لعم الكفر ونزل سخط الله فاستوصل اهل الارض ويعضد ذلك ما روى ان النبي صلعم قال يدفع بمن يصلي من امتي عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الاشياء ما انظرهم الله طرفة عين ثم تلا هذه الآية ولكن الله ذو فضل على العالمين بسبب ذلك الدفاع وفيه ان الكل بقضاء الله وقدره وبقهره ولطفه وبعدله وفضله التأويل قوله الم تر الى الملأ ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وادعوا غير ما كانوا عرض نقد دعواهم على محك معناهم فما افلحوا عند الامتحان اذ عجزوا عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان وهذا حال اكثر مدعي الاسلام والايمان والذين يزعمون نصلي ونصوم ونحج ونزكي لله وفي الله باللسان دون صدق الجنان وسيظهر ما كان لله وما كان للهوى في كفة الميزان فلما كتب عليهم القتال تبين الابطال من البطال فتولوا الا قليلا منهم وان اهل الحق اعز من العنقاء واعوز من الكيمياء تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل تعيرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل وانما سأل الدعون مقصودهم لانه لم يخلص لله قصودهم ولو انهم قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وآذوا القتال علينا وانه سيدنا ومولانا فلعل الله صدق دعويهم واعطى مناهم واكرم مثواهم كما قال قوم في اثناء البكاء والسعداء وما لنا الا نتوكل





بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فلا جرم اثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فيه اشارة الى ان الحكم الالهية جلت تجليات في جلبابات تعاليها عن ادراك العقول البشرية كنه معنى من معانيها ولهذا قالوا انى يكون له الملك ولبس هذا باعجب من قول المقربين المؤيدين بالانوار القدسية اتجعل فيها من يفسد فيها استحقارا للانسان آدم عم احتجابا بالحجب الانانية والحجبة فلما تكبر بنو اسرائيل قالوا نحن احق بالملك منه ضعهم الله وحرموا الملك لما نوى طالوت لله وقال كيف استحق الملك سبطي في اسباط بني اسرائيل وبانه ادنى بيت بني اسرائيل رفعه الله واعطاه الملك ولما فوق الملائكة ترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدك امرهم بسجود آدم ولما عرضت الخلافة على آدم فتواضع لله وقال انا التراب ولا كبر ولا باب اكرمه الله تع بسجود الملائكة وحمل اعباء الامانة ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه اشارة الى ان آية خلافة العبد ان يظفر بتابوت قلب فيه سكينة من ربه وهي الطمأنينة بالايمان والانس مع الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقية مما ترك آل موسى هو عصا الذكر كلمة لا اله الا الله وهي الثعبان الذي اذا فغرفاه تلقف عظيم سحر سحرة صفات فرعون النفس وان تابوتهم الذي فيه سكينتهم كان بيد اولاده الحدثان وتابوت قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وان كان في تابوتهم بعض التوراة ففي تابوت قلب المؤمن جميع القرآن وان كان في تابوتهم صور الانبياء ففي تابوت المؤمن رب الارض والسماء كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن فاذا حصل لطالوت الروح الانساني تابوت القلب الرباني سلم له ملك الخلافة وانقاد له جميع اسباط صفات الانسان فلا يركن الى الدنيا ويتجهز لقتال جالوت النفس الامارة ان الله مبتليكم بنهر هو نهر الدنيا وما زين للخلق فيها زين للناس حب الشهوات ليظهر المحسن من المسيء ويميز الخبيث من الطيب الا من اغترف غرفة بيده قنع من متاع الدنيا بما لا بد منه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن لصحة الخلق على حد الاضطرار وكان نبينا محمد صلعم يقول اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فاي ما يمسك رمقهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لان من شرب من نهر الدنيا ماء شهواتها ولذاتها وتجاوز عن حد الضرورة فيها لا يطيق قتال جالوت النفس وجنود صفاتها وعسكر هواها لانه صار معلولا مريض القلب فبقي على شط نهر الدنيا رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها ولما برزوا لجالوت وجنوده فيه اشارة الى ان المجاهد في الجهاد الاكبر لا يقوم بحوله وقوته لقتال النفس الا اذا رجع الى ربه مستعينا مستغيثا عن غيره قائلا ربنا افرغ علينا صبرا على الاعتماد بطاعتك والانزجار عن معاصيك ومخالفة الهوى والاعراض عن زينة الدنيا وثبت اقدامنا على التسليم في الشدة والرخاء ونزول البلاء وهجوم احكام القضاء في السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا في الدين عموما والنفس الامارة وصفاتها التي هي اعدى عدو ما بين جنبينا خصوصا فهزموهم باذن الله بنصرته وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس بحجر الحرص على الدنيا وحجر الركون الى العقبى وحجر التعلق الى نفسه بالهوى حتى صار الثلثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى فوضعه في مقلاع التسليم والرضا فرمى جالوت النفس فسخر الله له ريح العناية حتى اصاب نفث بيضة هواها وخالط دماغها فاخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من وراءها ثلثين من صفاتها واخلاقها ودواعيها وهزم الله باقي جيشها وهي الشياطين اخوانها وآتاه ملك الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه مما يشاء من حقائق القرآن واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني باب الطلب لمشايخ البالغين الواصلين الهادين المهديين كما قال ولكل قوم هاد لفسد ما في استعداد اهل المخلوقين في احسن التقويم عن استيلاء جالوت النفس بتبديل اخلاقها وتكدير صفاتها ولكن الله ذو فضل على العالمين من كمال فضله ورحمته حرك سلسلة طلب الطالبين والهم اسرارهم ارادة المشايخ الكاملين ووفقهم للتمسك بذيلهم ووفقهم على التثبت بما هداهم وتنبيههم على الرياضات في حال تربيتهم كما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ولكن الله يزكي من يشاء تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم

این آیات خدا است میخوانیم آنرا بر تو براستی و بدرستی که تو از فرستادگانی این رسولان افزونی دادیم ما برخی از ایشان را بر برخی از ایشان

من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله

کسی بود که سخن گفت با او خدا و برداشت برخی از ایشان را مرتبها و دادیم عیسی پسر مریم را نشانهای ظاهر و نیرو دادیم او را بروح پاکیزه و اگر خواستی خدا

ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا

اختلاف نکردندی آنانکه از پس ایشان بودند از پس آنکه آمد بایشان نشانهای ظاهر و لیکن اختلاف کردند پس از ایشان کسی است که گرویده و از ایشان کسی است که کافر شده و اگر خواستی خدا مختلف نشدندی

ولكن الله يفعل ما يريد يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا

و لیکن خدا میکند آنچه میخواهد ای آنانکه گرویدند خرج کنید از آنچه روزی کردیم شما را از پیش آنکه بیاید روزی که نیست خرید و فروخت در وی و نه دوستی و نه

شفاعة والكافرون هم الظالمون القراءة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع

درخواست کردن و کافران ایشانند ستمکاران

والتنوين وكذلك في سورة ابرهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تأثيم فيها الوقوف بالجنود للابتداء بان المرسلين الجزء الثالث على بعض م لانه لو وصل الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى بعض فيكون موسى عم من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط للعدل القدس ط من كفر ط ما يريد لا شفاعة

الظالمون التفسير تلك القصص المذكورة من حديث الالوف واماتتهم ثم احيائهم ومن تمليك طالوت واظهار الآية التي هي اتيان التابوت وغلبة الجبابرة
على يد داود وهو صبي فقير آيات الله الباهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته نتلوها عليك بتلاوة جبرئيل وفيه تشريف عظيم لجبرئيل
كقوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك من غير تفاوت ولان في تلاوتها
حكمة شريفة وهي اعتبار المكلفين من مثل ليحملوا شدائد الجهاد كما احتملها الامم السالفة ولانها تدل على نبوتك من قبل انها اخبار بالغيب
ولما فيها من الفصاحة والبلاغة ثم اكد ذلك بقوله وإنك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة ودراسة وفيه ايضا تسلية للنبي
فيما يراه من الكفار واهل النفاق من الخلاف والشقاق كما راه الرسل قبله فالمصيبة اذا عمت طابت ولمثل هذا ذكر فقال تلك الرسل اي
الذين تعرفهم وانت من جملتهم فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله بان كلمه الله من غير سفير وهو موسى ورفع بعضهم درجات
قيل ان درجات نصب بنزع الخافض وقيل رفع لبعضهم كقوله ورفعناه مكانا عليا اي له وقيل حال من بعضهم اي ذا درجات وقيل مصدر في
موضع الحال وقيل انتصابه على المصدر لان الدرجة بمعنى الرفعة فكانه قال ورفعنا بعضهم رفعات وايد عيسى بروح القدس ومع ذلك فنالهم
من قومهم ما ذكرناه لك بعد مشاهدة المعجزات وانت رسولهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ولو شاء الله لم يختلف امم اولئك لكن ما قضى
الله فهو كائن وما قدره فهو واقع واعلم ان الامة اجمعت على ان بعض الانبياء افضل من بعض وعلى ان محمدا افضل الكل لوجوه منها قوله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين ومنها قوله ورفعنا لك ذكرك فقرن ذكره بذكره في الشهادة وفي الاذان وفي التشهد ولم يكن ذلك لسائر الانبياء
ومنها انه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعته ببيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته بعزته ولله العزة ولرسوله
ورضاه برضاه والله ورسوله احق ان يرضوه واجابته باجابته يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ومنها ان معجزاته اكثر وقد تنتهي الى الف من جملتها القرآن بل القرآن يشتمل على الف معجز او ازيد لان التحدي وقع باقصر
سورة هي الكوثر وانه ثلث آيات فكل ثلث آيات من القرآن تصلح للتحدي فيكون معجزا برأسه ومنها ان معجزته وهي القرآن باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم
قد انقضت وانقرضت مع ان معجزته من جنس ما لا يبقى زمانين وهي الاصوات والحروف ومعجزاتهم من جنس ما يبقى مدة طويلة ومنها انه اجتمع فيه من
الخصال الجميلة والخلال المرضية ما كان متفرقا فيهم واليه الاشارة بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اي اطلعناك على احوالهم وسيرهم
فاختر انت منها اجودها واحسنها فانه لا يجوز ان يكون مأمورا بالاقتداء بهم في اصول الدين لانه تقليد ولا في الفروع فان شرعه ناسخ الشرائع فاذن
المراد محاسن الاخلاق ومنها انه بعث الى الخلق كافة وكان يتحمل اعباء الرسالة اكثر فيكون ثوابه ازيد ومنها ان هذا الدين افضل والا لم ينسخ به
سائر الاديان فيكون شارعه افضل ومنها ان يكون امته افضل كنتم خير امة اخرجت للناس واذا كان التابع افضل فالمتبوع افضل ومنها ان امته اكثر
لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان لكثرة التابعين اثرا قويا في علو شان المتبوع ومنها ان كل نبي نودي في القرآن فقد نودي باسمه يا آدم اسكن
يا موسى اني انا الله وناديناه ان يا ابراهيم يا عيسى اني متوفيك واما النبي فانه نودي بقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول بل اقسم بحيوته
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واما الاحاديث في هذا الباب فعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله يتذاكرون وهم ينتظرون
خروجه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر ماذا باعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر من آدم اصطفاه الله عليهم خلقه بيده ونفخ فيه من روحه
واسجد له ملائكته فسلم رسول الله على اصحابه وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل وهو كذلك وان موسى نجي الله وهو كذلك
وان عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وان آدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم
الاولين والآخرين على الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي
فقراء المؤمنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت
الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان ونصرت
بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وروى البيهقي في كتابه في فضائل الصحابة ظهر علي بن ابي طالب من البعيد فقال النبي
هذا سيد العرب فقالت عائشة الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب ومما يؤكد هذه المعاني ما ركز في العقول ان خادم
كل ملك ينبغي ان يكون على مقدار من تحت تملكه فامير المدينة يحتاج الى عدة اكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد اعم من نبوة سائر
الانبياء فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلا جرم اعطي من كنوز العلم والحكمة وذخائر المعارف والحقائق ومن جوامع الكلم وبدائع الحكم ومحاسن
العادات ومكارم الاخلاق ما لم يؤت نبي قبله ولن يؤت احد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملحدة بان معجزات سائر الانبياء كانت اعظم
من معجزاته فآدم جعل مسجود الملائكة وابراهيم القي في النار فانقلبت روحا وريحانا واوتي موسى العصا واليد البيضاء وداود لان الحديد
في يده وسليمان اعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف محمد بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس
بن متى وقال لا تخيروا بين الانبياء وقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب ان كون آدم مسجود الملائكة





لا يوجب كونه افضل من محمد بدليل قوله آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة وقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ونقل ان جبرئيل اخذ
بركاب محمد ليلة المعراج وهذا اعظم من السجود وانه تعالى يصلي بنفسه على محمد الى القيمة وسجود الملائكة لآدم ما كان الا مرة واحدة على ان ذلك السجود
ايضا انما كان لاجل نور محمد الذي كان في جبهته فان اول الفكر آخر العمل ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك ومن تأمل كتب دلائل النبوة
وجد في مقابلة كل معجز كان لنبي قبله معجزة افضل منها لمحمد واما قوله لا تفضلوني ولا تخيروا فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وايضا
التمييز بين الشخصين انما يمكن بعد الاحاطة بفضائلهما جميعا وذلك مرتبة لا يليق بكل احد فورد النهي عنه حتى لا يؤدي الى محذور ولعل
التوفيق بين قوله لا تفضلوني وبين ما مر من الاحاديث ان كلا منها ورد في مقام آخر ولغرض آخر فحيث علم انهم يريدون تنقيصه وتهجين
من الانبياء السالفة منعهم عن ذلك وقال انا اكرم الاولين والآخرين وانا سيد العالمين وحيث علم انهم يريدون تنقيص بعض الانبياء زجرهم
عن ذلك وقال لا تفضلوني على انه لا يلزم من النهي عن شيء عدم مطابقة ذلك الشيء للواقع فقد يكون الشيء حقا في الواقع وينهى عن
الاشتغال به لكونه غير مهم بالنسبة الى المكلف فالمراد بهذا الامر لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم ان تعرفوا حقية جميع الانبياء
وتؤمنوا بهم ولنرجع الى ما كنا فيه فقوله من كلم الله التقدير من كلمه فحذف العائد وقرئ كلم الله بالنصب ليس بقوي فان كل مصل فانه يكلم الله
قال المصلي يناجي ربه وانما الشرف في ان يكلمه الله قال الاشعري المسموع هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد سماع ما ليس بحرف ولا صوت
كما لا يمتنع رؤية ما ليس بكيف ولا في جهة وقالت المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا على ان موسى قد كلمه الله واختلف في ان محمدا
ليلة المعراج هل كلمه الله ام لا فمنهم من قال نعم بدليل قوله فاوحى الى عبده ما اوحى واورد ههنا ان التكليم لا يدل على فضل ومنقبة فقد كلم الله
ابليس حيث قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الآيات واجيب بان قصة ابليس ليس فيها ما يدل على انه تعالى كلمه من غير واسطة فلعل
الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف الظاهر والحق ان المكالمة قسمان مكالمة الرضا وهي الموجبة للتشريف ككالمة موسى ومكالمة الغضب وهي
الموجبة للعن كما في حق ابليس وان عليك اللعنة الى يوم وكما في اهل النار اخسؤا فيها ولا تكلمون اما قوله ورفع بعضهم درجات فقيل ان المراد
بيان ان الرسل مراتبهم متفاوتة فاتخذ ابراهيم خليلا واعطي داود الملك والنبوة وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح وخص يحيى بالعفة
والطهارة وعدم الحاجة الى النسوان وخص محمدا بالبعث الى الثقلين وكونه خاتم النبيين الى سائر خصائصه هذا اذا حملنا الدرجات على
المناصب والمراتب واما اذا حملناها على المعجزات ففيه ايضا وجه وذلك ان كل واحد من الانبياء اوتي نوعا آخر من المعجزة لائقا بزمانه فمعجزات موسى
من قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة بما عليه اهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص مناسبة للطب
لان كل ذلك غالب على قومه ومعجزة محمد هي القرآن تضاهي ما عليه الناس في زمانه من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات
متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة
الامة والصحابة وقوة الدولة واذا تاملت الوجوه الثلث علمت ان محمدا كان مستجمعا للكل فمنصبه اعلى ومعجزته ابقى وقومه اكثر ودولته اعظم
واوفر وقيل المراد بهذه الآية محمد لانه هو المفضل على الكل وانما قال ورفع بعضهم درجات على سبيل التنبيه والرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال
له من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم ويريد به نفسه ويكون ذلك افخم من التصريح به وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم
قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يبق فيه فخامة وليس قوله ورفع بعضهم درجات تكرارا لقوله
فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم من قوله فضلنا هو وجود نفس الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات
الكثيرة وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس قد سبق تفسيره وانما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير في قوله وآتينا
للتعظيم وتعظيم المؤتي يدل على عظم الايتاء واما قوله كلم الله فاهيب من قوله كلمنا فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر
هو ان امتهما موجودون حاضرون فنبه على ان هذين الرسولين مع علو درجتهما وتبين معجزاتهما لم يحصل الانقياد من امتهما لهما بل نازعوا
وخالفوا عن الواجب عليهم في طاعتهما واعرضوا ثم ان الرسل بعد مجيء البينات ووضوح الدلائل اختلف اقوامهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر وبسبب ذلك
الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا ولهذا قال تعالى ولو شاء الله اي ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضا و
لكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر الكلام تكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند
انفسهم ولكن الله يفعل ما يريد وفي الآية دلالة على صحة مسئلة خلق الاعمال ومسئلة ارادة الكائنات وان الكل بقضاء الله وقدره لان الداعي
يستند لا محالة الى داعية يخلقها الله عز وجل في العبد المعتزلة يقيدون المطلق في الآيتين فيقولون المراد ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر كما يقال لو شاء
الامام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر ويقولون المراد يفعل ما يريد من افعال نفسه ثم انه تعالى لما امر بالقتال فيما سبق بقوله
وقاتلوا في سبيل الله واعقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله والغرض منه الانفاق في الجهاد ثم اكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت اعقبه
تارة اخرى الامر بالانفاق في الجهاد بقوله يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم وعن الحسن انه مختص بالزكوة لان قوله من قبل ان يأتي يوم كالوعيد انه لا

لا يوجبه الا على الواجب والاكثرون على انه عام يتناول الواجب والمندوب ليس في الاية وعيد انما الغرض ان يعلم ان منافع الاخرة لا يكتسب الا في الدنيا وان
الانسان يجي وحده وما معه الا ما قدم من اعماله ومعنى قوله لا بيع انه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدى به من العذاب او يكتسب ما لا حتى ينفق منه ولا
خلة لا مودة لان كل احد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه او لان الخوف الشديد غالب على كل احد تذهل كل مرضعة
عما ارضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير
الاية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق ونقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون
هم الكافرون وقيل اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله
غني عن العالمين اي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والفسق
فهو كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقيل هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما المسلم فانه
ينفق في سبيل الله قل ام كثر وفائدة الفصل انهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم التاويل تلك ايات الله اسراره وانواره ورموزه
واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها عليك بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات
وصح لهم صفاء الاوقات لذة المناجات في الخلوات ثم قطعوا عن البيان تلك اللذات في مجر القربات وارسلوا الى اهل الغفلات وعبدة طواغيت
الهوى واصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات
وانت عبرت المكونات فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم نطقت عن بضاعة لي مع الله
وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ببضاعة جبرئيل ثم لقيت من القوم ما لقيت فحق لك ان تقول ما اوذي نبي مثل ما اوذيت لان غيرك ما سقى من شرب سقيت فما
اوذي بفطام مثل ما اوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى ان التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومنامهم
وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من اهل الفضل نوار ولانوارهم اثار على قدر استعلاء اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم احيا دهم وهذا
التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى
ومن اخطاه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام مبينا عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وخاص مبينا
به عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت في الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور في بدو الخلقة
لا في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوحدة في قوله جعل الظلمات والنور ويخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في
الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة
وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد بقي بعضهم في مكان من اماكن السموات
كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه راى ادم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون في السماء
الخامسة وموسى في السماء السادسة وابرهيم عليه السلام في السماء السابعة وان محمدا صلى الله عليه وسلم ما بقي في مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين
او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم اخبر عن
فضيلة الخواص انها كانت تفضيلا اياهم اخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيته لا بمشيتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين
من بعدهم ثم اخبر عن جزاء اهل الفضل انه في الانفاق والبذل فخاطب اهل الايمان الذي كان ايمانكم بالبعث والنشر والثواب والعقاب والجنة والنار
حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها في مصارفها العامة والخاصة انفقوا ملكا ونفسا وما
لنا في صلاح انفسكم واغتنموا مساعدة الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان ياتي يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس
في سوق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ولا ينفع خلة خليل لخليل لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب وامرناهم بالانفاق ووعدناهم
الثواب وحذرناهم العقاب فلا اعذر من انذر والله المستعان اَللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ لَا تَاْخُذُهٗ سِنَةٌ وَّلَا نَوْمٌ لَهٗ
خدای کہ نیست معبودی بجز او زنده پاینده فرا نگیرد او را اسقعد خواب و نه خواب مر او راست
مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِيْ يَشْفَعُ
آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است کیست آنکه در شفاعت کند
عِنْدَهٗٓ اِلَّا بِاِذْنِهٖ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيْطُوْنَ بِشَيْءٍ
نزد او مگر بفرمان او میداند آنچه پیش از ایشانست و آنچه بعد از ایشانست و احاطه نمیکنند بچیزی
مِّنْ عِلْمِهٖٓ اِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ
از دانش او مگر بآنچه خواسته است فرا گرفته کرسی او آسمانها
وَالْاَرْضَ وَلَا يَئُوْدُهٗ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيْمُ لَآ اِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ
و زمین را و گران نکند او را نگاهداشتن آنها و اوست برتر بزرگ نیست اکراه در دین
قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَّكْفُرْ بِالطَّاغُوْتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللّٰهُ
بدرستی که ظاهر شده رستگاری از گمراهی پس هر که کافر شود به بت و ایمان آورد





سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اَوْلِيٰٓؤُهُمُ الطَّاغُوْتُ يُخْرِجُوْنَهُمْ
شنوای داناست خدا دوست آنانست که گرویدند بیرون آورد ایشانرا از تاریکیها بسوی روشنی و آنانکه کافر شدند دوستان ایشان بتانند بیرون آورند
مِّنَ النُّوْرِ اِلَى الظُّلُمٰتِ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ القراءة تعرف تمام الوقوف لا هوج لان قوله الحي يصلح بدلا
از روشنی بسوی تاریکیها آن گروه یاران آتش اند که ایشان در آن جاویدانند عن الضمير وخبرا آخر بحذف القيوم ج لاختلاف الجملتين وكذا
نوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لانتهاء الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم
الخلق المقيد لشيئه مبتدأ بالنفي بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم الغي ج لان من الشرط مع
فاء التعقيب الوثقى ط قد قيل للاستيناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة اي مستمسك بها غير منفصمة لها ط عليم امنوا
لا ان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم ومخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لان يخرجونهم
حال الى الظلمات ط النار ج خالدون التفسير قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم انه يخلط الانواع الثلاثة اعني علم التوحيد علم الاحكام
وعلم القصص ما تقرير دلائل التوحيد واما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف في هذا النوع رحمة شاملة ولطف كامل فان الطبع الانسان
جبل على الملال فكلما انتقل من اسلوب الى اسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته وصار اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه وقد
تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده فذكر الان ما يتعلق بعلم التوحيد فقال اَللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما قرئت هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وعن علي سمعت نبيكم وهو
على اعواد المنبر يقول من قرأ اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها
اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القران فقال لهم علي اين انتم عن اية الكرسي ثم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وعن علي انه قال لما
كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت
وهو يقول ذلك فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له واعلم ان الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم واشرف
المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو اشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة
ما سواه ولما كانت الاية مشتملة من نعوت جلاله واوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات ونهاية
التصورات ولنشتغل بالتفسير اما لفظ الله فقد مر تفسيره في اول الكتاب واما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله والهكم اله واحد لا
اله الا هو واما الحي القيوم فقد سلف فيه معناهما في شرح الاسماء الا انا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس ان اعظم اسماء الله الحي القيوم ويؤكده
ما روينا من تضرعه به ولو كان ذكر اشرف منه لذكره وقت الشدة في السجود واما الدليل العقلي فان الحي قيل هو الذي يصلح ان يعلم ويقدر وهو
الدراك الفعال فاورد عليه ان هذه لا يقتضي المدح لمشاركة اخس الحيوانات اياه في ذلك فنحن نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عمن يوجد فيه هذه
الصفة من هذه الحيثية فقط بل كل شيء يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن ههنا يصح ان يقال للموات احياء واحيى الله الارض فان كمال حال الارض
ان تكون معمورة وكمال حال الاشجار ان تكون مورقة نضرة ولما كان كمال حال الجسم ان يكون بحيث يصح ان يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة
حيوة فالمفهوم من الحي هو الكامل في جنسه والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته فلا حي بالحقيقة الا الواجب الوجود لذاته واما القيوم فيطلق
المجموع اعتبارين احدهما انه لا يفتقر في تقومه الى غيره والثاني ان غيره يفتقر في قوامه اليه وبهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين
يتشعب جميع مسائل التوحيد المعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد في ذاته وبجميع جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر في
تحققه الى وجود ذينك الجزئين فيقدح في كونه قيوما ومنها انه لا شريك له ولا اشتراك في الوجود بينهما بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزئين
فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها ان لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم قد ثبت انه واحد ومنها انه ليس في
جهة يشار اليها والا كان متحيزا ومنها انه ليس بجسم لا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك
ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا كان قيوما كانت حقيقته حاضرة عنده ذاته ثم
ذاته مقوم لغيره والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل المقدورات والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما
لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او غير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر والحي اصله حيي كحذر وطمع فادغمت الياء في
الياء عند اجتماعهما وكلا الياءين اصل وقال ابن الانباري اصله حيو بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء ثم كان السابق ساكنا جعلتا ياء
مشددة وزيف بكونه على النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغة اصله قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة
والواو الاولى ياء مشددة ولو كان قووما على فعول لقيل قووم وعن عمر انه قرأ الحي القيام وقرئ القيم ثم لما بين انه حي قيوم اكد ذلك بقوله
لَا تَاْخُذُهٗ سِنَةٌ وَّلَا نَوْمٌ ولهذا فقد العاطف بينهما وكذا فيما بعدهما والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس اي لا تاخذه

نعاس فضلا ان یاخذه نوم او نقول نفی الاخص ولا ثم نفی الاعم لیفید المبالغة من حیث لزوم نفی النوم اولا ضمنا ثم ثانیا صریحا ولو اقتصر علی الاخص
لم یلزم منه نفی الاعم والمعنی انه لا یفتر عن تدبیر الخلق لان القیم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل وهو کما یقال لمن ضیع واهمل انک لوسنان
نائم ومما یدل علی ان السهو والغفلة والنوم علی الله محال هو ان هذه الاشیاء اما ان یکون عبارات عن عدم العلم او عن اضداد العلم وعلی التقدیرین
فجواز طریانها یوجب جواز زوال علم الله تعالی فلا یکون العلم مقتضی ذاته فیفتقر الی فاعل فواجب الوجود لذاته لا یکون واجبا بجمیع صفاته فلا یکون
حیا ولا قیوما هذا خلف وروی عن النبی صلعم ان موسی ع سئل الملائکة هل ینام ربنا فاوحی الله الیهم ان یوقظوه ولا یترکوه ینام ثم اعطاه قارورتین
مملوتین فی کل واحدة وامره بالاحتفاظ فکان یتحرز بجهده الی ان نام فی اخر الامر فضرب احدیهما علی الاخری فانکسرتا وکان ذلک مثلا فی بیان انه
لو کان ینام لم یقدر حفظ السموات والارضین هذه الروایة ان صحت یجب ان ینسب هذا السوال الی جهال قوم موسی کطلب الرؤیة والا فکیف یجوز
علی نبی الله تجویز النوم علی الحی القیوم والتجویز شک والشک فی مثله کفر ثم لما بین کونه قیوما واکده بما اکد ترتب علیه حکما وقوله له ما فی السموات وما
فی الارض لان کل ما سواه فانما تقومت ماهیته وتحصل وجوده به فیکون ملکا له ویلزم منه ان یکون حکمه جاریا فی الکل ولا یکون لغیره فی شیء
من الاشیاء حکم الا باذنه وامره هو المراد بقوله من ذا الذی یشفع عنده الا باذنه ومعنی الاستفهام ههنا الانکار ای لا یشفع فیه رد علی المشرکین
القائلین للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ویلزم من کونه غیر متصرف فی ملکه بوجه من الوجوه الا بامره کونه عالما بالکل وکونه غیره غیر عالم
بالکل الا باعلامه فاشار الی الاول بقوله یعلم ما بین ایدیهم وما خلفهم والی الثانی بقوله ولا یحیطون بشیء من علمه الا بما شاء والمعنی یعلم ما کان
قبلهم وما یکون بعدهم والضمیر لما فی السموات والارض لان فیهم العقلاء فغلبوا او لما دل علیه قوله من ذا من الملائکة والانبیاء والصالحین الشهداء
عن مجاهد وعطاء والسدی یعلم ما کان قبلهم من امور الدنیا وما کان بعدهم من امور الاخرة الضحاک والکلبی ما بین ایدیهم الاخرة لانهم یقدمون
علیها وما خلفهم الدنیا لانهم یخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس یعلم ما بین ایدیهم من السماء الی الارض وما خلفهم یرید ما فی السموات و
قیل ما فعلوا من خیر وشر وما یفعلونه بعد ذلک والغرض انه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فیما یتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه
عالم بجمیع المعلومات لا یخفی علیه خافیة والشفعاء لا یعلمون من انفسهم ان لهم من الطاعة ما یستحقون به هذه المنزلة العظیمة عند الله ولا
یعلمون ان الله تعالی اذن لهم فی تلک الشفاعة ام لا فانهم لا یحیطون بشیء من علمه ای من معلوماته الا بما علم کقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ویحتمل ان
یراد ولا یعلمون الغیب الا بعلمه باعلامه کقوله عالم الغیب فلا یظهر علی غیبه احدا الا من ارتضی من رسول واذا کان الشفعاء وهم الملائکة والانبیاء
لا یعلمون شیئا الا بتعلیم الله فغیرهم بعدم العلم اولی ثم انه لما بین کمال ملکه وحکمه فی السموات وفی الارضین ذکر ان ملکه فیما عدا السموات و
والارضین اعظم واجل وان ذلک مما یقطع دون الانبیاء الی ادنی درجة من درجاتها اوهام المتوهمین فقال وسع کرسیه السموات والارض
یقال وسع فلان الشیء اذا احتمله واطاقه وامکنه القیام به قال صلعم لو کان موسی حیا ما وسعه الا اتباعی ای لم یحتمل غیر ذلک واما الکرسی فاصله
الترکیب وللتلبد منه الکرسی بالکسر للابوال والابعار یتلبد بعضها علی بعض والکراسة لتراکب بعض اوراقها علی بعض والکرسی لما یجلس علیه لترکب
خشباته وللمفسرین فی معناه ههنا اقوال فعن الحسن انه جسم عظیم یسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السریر قد یوصف بانه عرش
وبانه کرسی لان کل واحد منهما یصح التمکن علیه وقیل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحیحة بهذا وعن السدی انه تحت الارض
وعن سعید بن جبیر عن ابن عباس انه قال الکرسی موضع القدمین وینبغی ان یحمل هذه الروایة ان صحت علی ما لا یفضی الی التشبیه ککونه موضع قدم
الروح الاعظم او ملک اخر عظیم القدر عند الله تعالی وههنا اسرار لا احب اظهارها ولو شاء الله ان یطلع علیها عبدا من عبیده فهو اعلم بمجاری اسراره
وقیل المراد من الکرسی السلطان والقدرة والملک لان الالهیة لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب یسمی اصل کل شیء الکرسی لانه تسمیة
للشیء باسم مکانه فان الملک مکانه الکرسی وقیل المراد به العلم لان موضع العالم هو الکرسی وایضا العلم هو الامر المعتمد علیه ومنه یقال للعلماء کراسی
الارض کما قال لهم اوتاد الارض وقیل المقصود من الکلام تصویر عظمة الله وکبریائه ولا کرسی ثم ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع من المحققین کالقفال
والزمخشری وتقریره انه یخاطب الخلق فی تعریف ذاته وصفاته بما اعتادوه فی ملوکهم فمن ذلک انه جعل الکعبة بیتا له یطوف الناس به کما یطوفون ببیوت
ملوکهم وامر الناس بزیارته کما یزور الناس بیوت ملوکهم وذکر فی الحجر الاسود انه یمین الله فی ارضه ثم جعله مقبل الناس کما یقبل ایدی الملوک وکذلک
ما ذکر فی القیمة من حضور الملائکة والنبیین والشهداء ووضع الموازین وعلی هذا القیاس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن علی العرش استوی ووصف
عرشه فقال وکان عرشه علی الماء ثم قال وتری الملائکة حافین من حول العرش ثم قال ویحمل عرش ربک فوقهم یومئذ ثمانیة ثم اثبت لنفسه کرسیا و
لما توافقنا ان المراد من الفاظ الموهمة للتشبیه فی الکعبة والطواف والحجر هو تعریف عظمة الله وکبریائه فکذا الالفاظ الواردة فی العرش والکرسی ولا یؤده
لا یثقله ولا یشق علیه حفظهما حفظ السموات والارض فیلزم نفاذ حکمه وامره مع کونه مقوما للممکنات مقیما للارضین والسموات متعالیا عن التحیز
ومقدسا عن المزمنات فقال فهو العلی العظیم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا الحیز والجهة وکیف لا وهو مقیم للمکان ومدیم للزمان قوله
سبحانه لا اکراه فی الدین الایة لما بین دلائل التوحید بیانا شافیا قاطعا للاعذار ذکر بعد ذلک انه لم یبق للکافر عذر فی اقامته علی الکفر الا ان یقسر علی الایمان
ویجبر علیه وذلک لا یجوز فی دار الدنیا التی هی مقام الابتلاء والاختبار وبناء فیه الاکراه والاجبار ومما یؤکد ذلک قوله قد تبین الرشد من الغی یقال بان





الشیء واستبان وتبین وبین ایضا اذا وضح وظهر ومنه المثل قد بین الصبح لذی عینین والرشد اصابة الخیر والغی نقیضه ای تمیز الحق من الباطل والایمان
من الکفر والهدی من الضلال بکثرة الحجج والبینات وورود الدلائل والایات فمن یکفر بالطاغوت قال النحویون وزنه فعلوت نحو جبروت واصله طغیوت
الا ان لام الفعل قلبت الی موضع العین ثم صیرت الفا لتحرکها وانفتاح ما قبلها وذکر الفارسی انه مصدر کالرغبوت والرهبوت والدلیل علی ذلک انه یقع
فی موضع الجمع کما یقال هم رضا وعدل لهذا قال تعالی اولیاؤهم الطاغوت والاصل فیه التذکیر قال تعالی یریدون ان یتحاکموا الی الطاغوت وقد امروا
ان یکفروا به فاما قوله تعالی والذین اجتنبوا الطاغوت ان یعبدوها فالتانیث لارادة الالهة واما معنی الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشیطان
وعن سعید بن جبیر الکاهن قال ابو العالیة الساحر وعن بعضهم الاصنام وقیل مردة الجن والانس وکل ما یطغی وانما جعلت هذه الاشیاء اسبابا للطغیان
لحصول الطغیان عند الاتصال بها کقوله رب انهن اضللن کثیرا من الناس ویعلم من قوله فمن یکفر بالطاغوت ثم من قوله ویؤمن بالله ان الکافر
لا بد ان یتوب اولا ثم یؤمن بعد ذلک فقد استمسک بالعروة الوثقی استمسک وتمسک بمعنی والعروة واحدة عری الدلو والکوز ونحوهما مما یتعلق
به والوثقی تانیث الاوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لان الاسلام اقوی ما یتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد
المحسوس وهو الحبل الوثیق المحکم حتی یتصوره السامع کانه ینظر الیه بعینه فیزول شبهته بالکلیة والفصم کسر الشیء من غیر ان یبین فصمته فانفصم المفصول
من قوله لا انفصام لها هو المبالغة لانه اذا لم یکن لها انفصام فان لا یکون لها انقطاع اولی وقیل ان الموصوف ههنا محذوف ای التی لا انفصام لها
کقوله وما منا الا له مقام معلوم ای من له وقیل معنی قوله لا اکراه فی الدین لا تکرهوا فی الدین علی انه اخبار فی معنی النهی والاکراه الزام الغیر فعلا
لا یری فیه خیرا یحمله علیه ثم قال بعضهم انه منسوخ بقوله جاهد الکفار والمنافقین وقال بعضهم هو فی اهل الکتاب خاصة لانهم اذا قبلوا الجزیة سقط
القتل عنهم وحکم المجوس حکمهم اما الکفار الذین تهودوا او تنصروا فقیل انهم لا یقرون علی ذلک بل یکرهون علی الاسلام وقیل یقرون علی ما انتقلوا الیه
ولا یکرهون وروی انه کان لانصاری من بنی سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان یبعث رسول الله صلعم ثم قدما المدینة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعکما
حتی تسلما فابیا فاختصموا الی رسول الله صلعم فقال الانصاری یا رسول الله ایدخل بعضی النار وانا انظر فنزلت فخلاهما وقیل معنی قوله لا اکراه ای
لا تقولوا لمن دخل فی الدین بعد الحرب انه دخل مکرها لانه اذا رضی بعد الحرب وصح اسلامه فلیس بمکره معناه لا تنسبوه الی الاکراه فیکون کقوله ولا تقولوا
لمن القی الیکم السلم لست مؤمنا والله سمیع علیم یسمع قول من یتکلم بالشهادة وقول من یتکلم بالکفر ویعلم ما فی قلب المؤمن من الاعتقاد الطیب
وما فی قلب الکافر من العقد الخبیث عن عطاء عن ابن عباس کان رسول الله صلعم یحب اسلام اهل الکتاب من الیهود الذین کانوا حول المدینة
کان یسئل الله ذلک سرا وعلانیة فقیل له والله سمیع لدعائک یا محمد علیم بحرصک واجتهادک قوله سبحانه الله ولی الذین امنوا ای متولی امورهم
وکافل مصالحهم فعیل بمعنی فاعل والترکیب یدل علی القرب فالمحب ولی لانه یقرب منک بالمحبة والنصرة ومنه الولی الذی یلی القوم بالتدبیر فیدل علی ان
الطاف الله تعالی فی حق المؤمنین وفیما یتعلق بالدین اکثر من الطافه فی حق الکافر وذلک انه یخرجهم من الظلمات الی النور من الکفر الی الایمان ومن
الضلالة الی الهدی ومن الشک الی الیقین والاخراج یشمل الکافر اذا امن والمؤمن الاصلی ولا یبعد ان یقال یخرجهم الی النور من الظلمات وان لم یکونوا
فی ظلمة البتة فان العبد لو خلا عن توفیق الله تعالی لحظة لوقع فی ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفیقه تعالی سببا لدفع تلک الظلمات عنه وبین
الدفع والرفع تشابه ومثله قوله وکنتم علی شفا حفرة من النار فانقذکم منها ومعلوم انهم ما کانوا قط فی النار وروی انه صلعم سمع انسانا قال اشهد
ان لا اله الا الله فقال علی الفطرة فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله صلعم قال خرج من النار ومن المعلوم انه ما کان فیها الم توحید کل ما فی القران
من الظلمات والنور فانه اراد بهما الکفر والایمان الا قوله فی اول الانعام وجعل الظلمات والنور فانه عنی به اللیل والنهار قال وانما جعل الکفر ظلمة
لانه کالظلمة لانه کالظلمة فی المنع من الادراک وجعل الایمان نورا لانه کالسبب فی حصول الادراک قلت قد مر ان الایمان والعلم وجمیع الکمالات النفسانیة
والمعارف الیقینیة انوار تزداد النفس نورانیة واشراقا فلا حاجة الی هذا التکلف والذین کفروا اولیاؤهم الطاغوت مصلة هذا وحد فی
موضع الجمع یخرجونهم من النور الی الظلمات وانما وحد النور وجمع الظلمة لان الحق ما یرجع الیه طریقه واحدة وهو ایضا فی نفسه واحد واما الباطل
فلا حصر له ولطرقه کما ان الخط المستقیم الواصل بین النقطتین واحد والمنحنیة غیر محدودة واسناد الاضلال الی الطاغوت وهو کل من یبتغی الی
الطغیان کالمجاز فان الحوادث باسرها تستند الی المبدا الاول بالحقیقة وینتهی الی قضائه وقدره کما سبق تحقیقه مرارا اولئک الکفار وهم مع
معبودهم من الوسائط والوسایل اصحاب النار فیکون رجوا للکل وعبدالهم اعاذنا الله من ذلک التاویل الحی القیوم اشرتهما الی الاسم الاعظم لان
اسم الحی مشتمل علی جمیع سماته وصفاته فان من لوازم الحی ان یکون قادرا عالما سمیعا بصیرا متکلما مریدا باقیا الی غیر ذلک من نعوت الکمال واسمه القیوم
دال علی افتقار کل المخلوقات الیه فاذا تجلی الله العبد بهاتین الصفتین انکشف للعبد عند تجلی صفة الحی معانی جمیع سماته وصفاته وعند تجلی صفة
القیوم فناء جمیع المخلوقات اذ کان قیامها بقیومیة الحی لا بانفسهم فلما جاء الحق وذهق الباطل فلا یری فی الوجود الا الحی القیوم اذ سلب الحی جمیع
اسماء الله وسلب القیوم قیام الممکنات فی نفی التعدد وبقیت الوحدة فیذکره عند شهود عظمة الوحدانیة بلسان عیان الفردانیة لا بلسان بیان الانسانیة
فقد ذکره بالاسم الاعظم الذی اذا دعا به اجاب واذا سئل به اعطی لانه یطوق بالله فیکون الحال کما جری علی لسانه فاما الذاکر عند غیبته عن عظمة
الوحدانیة فبکل اسم دعاه لا یکون الاسم الاعظم بالنسبة الی حال غیبته وعند شهود العظمة فبکل اسم دعاه یکون الاسم الاعظم کما سئل ابو یزید عن الاسم

الاعظم فقال الاسم الاعظم الحى لا حد محمد و ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لان النوم اخ
الموت والموت ضد الحيوة وهو الحى الحقيقى فلا يلحقه ضد الحيوة مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ هذا الاستثناء راجع الى النبى ؐ كانه قيل من ذا
الذى يشفع عنده يوم القيمة الا عبده محمد ؐ فانه مأذون فى الشفاعة موعود بها عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا يعلم محمد ؐ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
من اوليات الامور قبل خلق الخلائق كقوله ؐ اول ما خلق الله نورى اول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفى الف عام
وَمَا خَلْفَهُمْ من احوال القيمة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسى نفسى ورجوعهم اليه بالاضطرار وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
مِنْ عِلْمِهِ واسماء هو شاهد على احوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ويعلم امور اخرتهم واحوال اهل الجنة و
النار وهم لا يعلمون شيئا من ذلك الا بما شاء ان يخبرهم عنه وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مثال العرش فى عالم الانسان قلبه ومثال الكرسى سره
وسوف يجئ تمام التحقيق ان شاء الله تعالى فى قوله الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وان العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى
سعة قلب المؤمن وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا لا يثقل الروح الانسانى حفظ اسرار السموات والارض وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ولما اظهر المخلوقات من العرش
والكرسى والقلب المؤمن وسره علوا فى المرتبة وعظما فى الخلقة اظهارا لكمال القدرة والحكمة يرتدى برداء الكبرياء واتزر بازار العظمة والبهاء و
هو ولى المدح والثناء فقال وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ من علي فى الاخرة واولى فاعلاء ومن عظم فيعظمه ثم خبر عن عزة الدين لارباب اليقين بقوله لَا
إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ كما قال ؐ ليس الدين بالتمنى مع ان التمنى نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامر الشرع
ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع فى مزيد شرح ؐ معنى الدين بقوله فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ تبرأ منه فطاغوت العوام
الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان
الخواص عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن فى طاعة الله واتيان القلب الى الفنا
فى الله واخلاء السر للبقاء بالله هذا هو السكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد ما فاقته عن سكر سطوات شراب التجلى تُبْتُ إِلَيْكَ اى عن هذه
الافاقة وكان مخصوصا عن غالى زمانه بالايمان العيانى وشريكا مع القوم بالايمان البيانى كما قيل شعر لى سكرتان وللندمان واحدة شئ خصصت
به من بينهم وحدى ثم العروة الوثقى التى استمسك بها المؤمن لا يمكن ان يكون من المحدثات المخلوقات لقوله كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ولا يكون
انقصم بطشك الا كانت منفصمة بل يكون من بطشه إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه فى الايمان فهى للعوام توفيق الطاعات
وللخواص مزيد العناية بالمحبة يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ولخواص الخواص الجذبة الالهية التى تقيه عن ظلمات الغيرية وتفنيه بنور الربوبية ولهذا قال ؐ جذبة
من جذبات الحق توازى عمل الثقلين لان الثقلين واعمالهما فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالجذب
لا يخلص منها ابد الابدين ثم اخبر عن تصرفات جذباته فقال اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يخرج العوام من ظلمات الكفر و
الضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات
الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم ان الولاء
والمحبة من قبل الكفار اى هم اولياء الطاغوت كقوله أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ فان الطاغوت لو فسر بالاصنام فهى بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان
او النفس فهم الاعداء لا الاولياء يُخْرِجُونَهُمْ من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها
فوق بعض دركات بعضها تحت بعض أُولَئِكَ اى ارواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام اصحاب النار لان الارواح وان لم يكن من
جلتهم لكن من تشبه بقوم فهو منهم والله المستعان أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي
يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ
لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ
أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ





فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ القراءة ربى الذى مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح انا احيى بالمد ابو جعفر ونافع وكذلك ما اشبهها من المفتوحة والمضمومة وزاد
ابو نشيط بالمد فى المكسورة فى قوله تعالى إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ واشباه ذلك منعه تابعه مثل فيه فلم يلبث تابعه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب
بلسنه فى الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة فى الحالين
والهاء اما اصلية مجزومة بلم او هاء سكت واجروا الوصل مجرى الوقف لحمارك كتل الحمار بالامالة على غير ليث وابى حمدون وحمدويه النجارى عن
ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزة فى رواية ابن سعدان وابى عمرو وابن شنبوذ عن اهل مكة ننشرها بالراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر
ونافع الباقون بالزاى اعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة على الامر حمزة وعلى الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة
وخلف ورويس والمفضل جزا بتشديد الزاى يزيد وجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد فى الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف تراء ابو بكر
وحماد جزؤا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاى مهموزة الوقوف الملك م لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك ويميت لا لان قال عامل اذ وامنت كقوله
الظالمين لا للعطف وللتعجب عروشها ج لان ما بعده من تتمة كلام قبله من غير عطف مولها ج لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب والجزاء بعثه ط
كم لبثت يوم ط لم يتسنه ج وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما من وصل حسن له الوقف على حمارك باضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك
اى لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحمارك لتمام البيان له لا لان قال جواب لما قدير الموتى ط تؤمن ط قلبى ط سعيا ط لاعتراض جواب
الامر حكيم التفسير انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلثا ولها فى اثبات العلم بالصانع والباقيتان فى اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة
ابرهيم ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير فى ربه لابرهيم ويحتمل ان يكون
لنمرود والهاء فى ان اتاه قيل لابرهيم لانه اقرب فى الذكر ولانه لا يجوز ان يؤتى الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذى حاج ابرهيم ولا يبعد ان يعطى الله الكافر بسطة وسعة فى الدنيا و
معنى ان اتاه الله اى لان الله اتاه الملك فابطره واورثه الكبر والعتو وجعل محاجته فى ربه شكرا له كقولك عادانى فلان لانى احسنت اليه تريد انه
عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت ان اتاه عن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين ما كسر ابرهيم الاصنام
وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذى تدعو اليه فقال رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وهذا دليل فى غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن
الاحياء والاماتة فلا بد ان يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان واشكاله بصير باعضائه واحواله ولامر ما ذكره الله تعالى فى مواضع
كتابه فقال وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ويروى ان الكافر دعا شخصين فاستبقى
احدهما وقتل الاخر وقال انا ايضا احيى واميت ثم للناس فى هذا المقام طريقان الاول وعليه اكثر المفسرين ان ابرهيم ؑ لما راى من نمرود انه القى تلك
الشبهة عدل من ذلك الى دليل اخر اوضح من الاول فقال فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ قالوا وفى هذا دليل
على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واورد عليه ان الشبهة اذا وقعت فى الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب فى الحال
ازالة لذلك الجهل واللبس ولما طعن الملك الكافر فى الدليل الاول وفى المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق
بالمعصوم ان يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا ولئن سلمنا ان الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون المنتقل
اليه اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع اظهر واقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه
واما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وايضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات اقوى من دلالة طلوع
الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وايضا ان نمرود لما لم يستحى من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن
منه عند استدلال ابرهيم بطلوع الشمس ان يقول بل طلوع الشمس من المشرق منى فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب وعند ذلك التزم المحققون
من المفسرين ذلك فقالوا انه لو اورد هذا السؤال لكان من الواجب ان يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سؤاله فى
الاحياء والاماتة اسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذى حمل ابرهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع
واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب لما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق
الاول عدل بعض المحققين الى طريق اخر وقالوا ان ابرهيم ؑ لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر تدعى الاحياء والاماتة من الله ابتداء من غير توسط
الاسباب الارضية والسماوية الاول فلا سبيل اليه واما الثانى فنظيره او ما يقرب منه حاصل للبشر فان الجماع يفضى الى الولد بتوسط الاسباب و
تناول السم يفضى الى الموت فاجاب ابرهيم ؑ بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك
لكن الحركات والاتصالات لا بد لهما من فاعل ومدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهى اذن بتحريك رب الارض والسموات قلت و
فيه ايضا طريق اخر نذكره فى التاويلات ان شاء الله تعالى فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد قرئ بهما و

واصح منها القراءة المشهورة يبهت على البناء للمفعول لا يرتاب فيه أحد لا يهتدي ولا يتقال افصح لا يبهت قال الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين
تلبيها على ضعف الدليل فان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل يبهت او يعتمد ان الكافر بقضاء الله وقدره وبمشيته وارادته القصة الثانية
قوله سبحانه أو كالذي مر ذهب الكسائي والفراء والفارسي واكثر النحويين الى انه معطوف على المعنى والتقدير ارأيت كالذي حاج ابراهيم او كالذي
مر ونظيره من القرآن قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كانه قيل لمن السموات فقيل لله مثله قول الشاعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا وعن الاخفش ان الكاف زائدة
والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو الى الذي مر وعن المبرد انما يضمر الفعل في الثاني والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو لم تر الى مثل الذي
مر واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه اكثر المفسرين من المعتزلة ان المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله أنى يحيي استبعاد وانه لا يليق
بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وفيه دليل على ان ذلك التبيين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله اعلم أن الله على كل شيء قدير وذهب
سائر المفسرين الى انه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو ارميا ثم من هؤلاء من قال ان
ارميا هو الخضر وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان ارميا هو النبي الذي بعثه الله عند ما خرب
بختنصر بيت المقدس واحرق التوراة وقيل هو عزير وعلى ما يجيء حجة هؤلاء ان قوله أنى يحيي هذه الله بعد موتها يدل على انه كان عالما بالله و
بانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وانه قد شرفه الله تعالى بالتكلم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر ولنجعلك
وفي بعض قصص الاعادة وغيرها اكرام له ايضا وروي عن ابن عباس ان بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء
بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها احدا فعجب من ذلك وقال أنى يحيي هذه الله
بعد موتها اي من اين يتوقع عمارتها لا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصير
معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فأماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم اعمى
عنه في موته ابصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم فقال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا
عظام بيض تلوح وقد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل
عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت
الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا وقال اعلم أن الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا
ابو فلان عزير بن شرحيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس اربعين الفا من قراء التوراة وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا انه
يقرأ التوراة فلما اتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة واملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التوراة قد دفنت في موضع
واخرجت وعورضت بما املاه فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهو بيت
المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرج منها الالوف حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا
سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كان حيطانها كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت
على سقوفها المتهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا خلا عن اهله وخوى بطن الحامل وعلى
معنى عن اي خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال في الكشاف ويجوز ان يكون على عروشها خبرا
بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي هي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان
وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز ان يراد ان القرية خاوية على مع كون اشجارها معرشة وكان التعجب من ذلك اكثر لان
الغالب من القرية الخالية ان يبطل ما فيها من عروش الفواكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة اقرب فيكون ادخل في كونه آية
ثم بعثه اي احياه كما كان اولا عاقلا فهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية ولو قال احياه لم يحصل هذه الفوائد قال كم لبثت اي
كم مدة فحذف المميز والحكمة في السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والا فمن المعلوم ان الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا ان يعلم
ان مدة موته طويلة او قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق الكذب لبثت يوما او بعض يوم روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب
الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم والظاهر انه علم ان ذلك اللبث كان بسبب الموت بامارات
شاهدها في نفسه وفي حماره لم يتسنه لم يتغير واصله من السنة اي لم تأت عليه السنون لان مر السنين لما لم يغيره فكانها لم تأت عليه على هذا فالهاء
اما للسكت بناء على ان اصل سنة سنوة بدليل سنوات في الجمع وسنية في التحقير وقولهم سانيت الرجل مساناة اذا عاملته سنة واما اصلية على
ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنيهة في التصغير وقولهم اجرت الدار مساناهة وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون وهو المتغير قال تعالى من حمإ مسنون
اي متغير منتن واما من السنة فبناء على ما نقل الواحدي من ان اصل سنة سننة بدليل سنين يجوز ان يكون سننة بدليل سنينة في تحقيرها وان كان قليلا وعلى





التقدير ثم ابدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضى البازي في تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت في الوقف وعن علي الفارسي ان
السن هو الصب فقوله لم يتسن اي الشراب بقي بحاله لم ينصب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافقه قراءة ابن مسعود
فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن واما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير حالا لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل
انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه ان يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما او بعض يوم فالجواب
ان الشبهة كلما كانت اقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها اشد ولهذا قيل وانظر الى حمارك فراه عظاما نخرة فعظم تعجبه حيث رأى
ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن ان يبقى زمانا طويلا وهو الحمار غير باق فعرف طول المدة لمشاهدة عظام حماره
رميما وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة في الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى
حالة الحيوة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك آية قال الضحاك معناه انه جعله دليلا على صحة البعث قال
غيره كان آية للناس لان الله تعالى بعثه شابا اسود الرأس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل
ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه
وشرابه من التغير واما فائدة الواو في قوله ولنجعلك فقد قال الفراء انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر لانه لو قال وانظر الى حمارك لنجعلك آية
كان النظر الى الحمار شرطا وجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء و
مثله في القرآن كثير وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر
الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة اي كيف نحييها وقرئ كيف ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ويحتمل ان يكون من النشر ضد الطي فان
الحيوة يكون كالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء في قوله من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة ومن قرأ بالزاء فمعناه
نحركها ونرفع بعضها الى بعض والتركيب للنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المرأة لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف في موضع الحال من العظام
والعامل فيه ننشزها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم اكثر المفسرين على ان المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من
الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى احيا رأسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان
ينظر الى اجزاء عظام نفسه فراها تجتمع وينضم البعض الى البعض وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما او بعض يوم انما
يليق بمن لا يرى في نفسه اثر التغير لا لمن شاهد اجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وقوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التي اماتها وقيل
هي عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما
في قوله ضربني وضربت زيدا والتقدير فلما تبين له ما اشكل عليه من امر الاماتة والاحياء قال اعلم وتاويله اني قد علمت مشاهدة ما كنت
اعلمه قبل ذلك استدلالا ومن قرأ اعلم على لفظ الامر فمعناه انه عند التبين امر نفسه بذلك والله تعالى امره بذلك كما في آخر قصة ابراهيم واعلم أن الله
عزيز حكيم قال القاضي القراءة الاولى اولى لان الامر بالشيء انما يحسن عند عدم المأمور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا
يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك واما الاخبار عن انه حصل فجائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شيء آخر
غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد امر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا
اوردت القضية كلية نعم لو قيل اعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه ان يكون امرا بتحصيل الحاصل على ان ذلك ايضا ممنوع فان الامر يعود الى شيء
آخر غير حاصل هو عدم الشك فيما يستأنف من الزمان اي ليكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعرض لك شك فيما بعد ذلك كقولك للمتحرك تحرك اي
واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراءة السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى
الثالثة قوله عم طوله واذ قال ابراهيم التقدير واذكر وقت قول ابراهيم وقيل معطوف على قوله الى الذي اي ألم تر الى وقت قول ابراهيم وههنا دقيقة وهي انه
لم يسم عزيرا في قصته بل قال او كالذي مر على قرية وههنا سمى ابراهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء أنى يحيي هذه الله بعد موتها وابراهيم
اثنى على الله اولا بقوله ربي فاري ذلك في غيره ومعنى ارني بصرني وذكروا في سبب سؤال ابراهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء
وابن جريج انه رأى جيفة مطروحة على شط النهر فاذا مد البحر اكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا اكل السباع جاءت الطيور
فاكلت وطارت فقال ابراهيم رب ارني كيف تجمع اجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل أولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب
بالسؤال ان يصير العلم الاستدلالي ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر انا
احيي واميت فاطلق محبوسا وقتل آخر فقال ابراهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال رب ارني كيف تحيي الموتى لينكشف هذه المسئلة عند
نمرود واتباعه بزوال الانكار عن قلوبهم وروي ان نمرود قال له قل لربك يحيي والا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي بنجاتي من القتل او
قلبي بقوة حجتي وبرهاني وان عدولي الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الله تعالى اوحى اليه اني اتخذ بشرا
خليلا فاستعظم ذلك ابراهيم وقال الهي ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيي الميت بدعائه فلما عظم مقام ابراهيم في درجات العبودية واداء الرسالة

حضر بنا الى لعلى اكون لك الخليل فسئل الله احياء الموتى فقال الله أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي على انى خليلك الرابع لا يبعد ان يقال
انه لما جاء الملك الى ابرهيم واخبره بان الله بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على انه الاتى ملك كريم لا شيطان رجيم الخامس لعله طالع فى
الصحف المنزلة عليه ان الله تع يحيى الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه بانه ليس فى منزلة عند الله من عيسى وانه من اولاده السادس امر بذبح الولد
فسارع الى ذلك فقال الهى امرتنى ان اجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فشرفنى بان تجعل بدعائى فاقد الروح ذا روح السابع اراد ان يخصه الله بهذا
التشريف فى الدنيا بان جميع الخلايق يشاهدون الحشر فى الاخرة الثامن لعل ابرهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة واما
ان ابرهيم ع كان شاكا فى المعاد فلا ينبغى ان يعتقد فيه ومن كفر النبى المعصوم فهو بالكفر اولى كيف يظن ذلك بابرهيم ع وقوله بلى اعتراف بالايمان
وقوله لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك فى قدرة الله يوجب الشك فى نبوة نفسه والذى جاء فى الحديث من قوله ع نحن احق
بالشك من ابرهيم فذلك انه لما نزلت هذه الاية قال بعض من سمعها شك ابرهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلعم تواضعا منه وتقديما لابرهيم
على نفسه نحن احق بالشك منه والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام فى قوله أَوَلَمْ تُؤْمِنْ للتقرير كقوله الستم خير من ركب المطايا
وايضا المقصود من هذا السؤال ان يجيبه بما اجاب به ليعلم السامعون انه ع كان مؤمنا بذلك عارفا به وان المقصود من هذا السؤال شئ اخر واللام
فى قوله ليطمئن يتعلق بمحذوف اى ولكن سئلت لمزيد قلبى سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال لا تعرض الخواطر للمستدل بخلاف
المعاين هذا اذا قلنا المطلوب حصول الطمانينة فى اعتقاد قدرة الله تع على الاحياء اما اذا قلنا ان الغرض شئ اخر فلا اشكال فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ
عن ابن عباس هى طاوس ونسر وغراب وديك وفى قول مجاهد وابن زيد حمامة بدل النسر فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره
ويصيره اى املهن واضممهن اليك قال الاخفش يعنى وجههن اليك وفائدة امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ان يتاملها ويعرف اشكالها وهياتها
وحلاها كيلا يلتبس بعد الاحياء ولا يتوهم انها غيرها وفى الاية حذف كانه قيل فاملهن وقطعهن ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ومعنى صرهن قيل
قطعهن فلا اضمار روى انه امر بذبحها ونتف ريشها وان يقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط دماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل
اجزاءها على الجبال التى بحضرته وفى رواية على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم
اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى راسها وانكر ابو مسلم هذه القصة وقال ان ابرهيم ع لما طلب احياء الموتى من الله اراه الله تع مثالا قرب به الامر
عليه والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين على الاجابة اى فعود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها اجابتك حال الحيوة والغرض منه ذكر مثال محسوس
لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثُمَّ ادْعُهُنَّ اى الطيور لا الاجزاء يَأْتِينَكَ سَعْيًا وزيف قول ابى مسلم بانه خلاف
اجماع المفسرين وبان ما ذكره غير مختص بابرهيم فلا يلزم له مزية وايضا ان ظ الاية يدل على انه اجيب الى ما سئل وعلى قوله لا يكون الاجابة حاصلة
ولان قوله عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا دليل ظاهر على تجزية الطيور وحمل الجزء على احد الطيور الاربعة بعيد ثم ظ قوله عَلَى كُلِّ جَبَلٍ جميع جبال الدنيا
فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كانه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع اربعة جبال
على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع وقال السدى وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابرهيم وكان سبعة اما قوله ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا
فقيل عدوا ومشيا على ارجلهن لان ذلك ابلغ فى الحجة وقيل طيرانا ورد بانه لا يقال للطير اذا طار سعى واجيب بان السعى هو الاشتداد فى الحركة
مشيا كانت وطيرانا واحتج الاصحاب بالاية على ان البنية ليست شرطا فى صحة الحيوة لانه تع جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا
على السعى والعدو قال القاضى دلت الاية على انه لا بد من البنية من حيث انه اوجب التقطيع بطلان حيوتها والجواب ان حصول المفارقة لا يدل على وجوب
المفارقة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الاية على حصول النداء لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على ان البنية ليست
شرطا للحيوة واعلم ان الله عزيز غالب على جميع الممكنات حكيم عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء التاويل ان الله تع لما اعطى نمرود ملكا ما اعطى احدا
قبله ادعى الربوبية بما ادعاها احد قبله وسبب ذلك ان الانسان لحسن استعداده للطلب غاية لطافته فى الجوهر دائم الحركة فى طلب الكمال لا يتوقف
لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا فيميل كل الى نفسه مال الى عالم الحس موافقا للبشرية الطبيعية لانه خلق من تراب وطبعه لميل الى السفل فيرى الكمال
فى جمع المال ثم فى طلب الجاه فيصرف المال فيه ثم فى الحكم والتسلط فاذا ملك السفليات باسرها وقهر ملوك الارض اراد ان ينازع ملك الملوك وجبار
الجبابرة فيقول انا احيى واميت بل انا العالم ربكم الاعلى اما جهلا بالكمال او ذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا صلح جوهره بحسن تربية
النبى او من ينوب منابه وهو الشيخ قال ليس فى الوجود سوى الله هذا هو حقيقة فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ يعنى كن فانيا عن وجودك
بالكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غير وجوده فانه جدا وان لم تكن جدا فان المجد من يدق بمطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس لئلا
ان يؤمن بالله يكفر بطاغوت وجوده ووجود كل ما سوى الله قال ابرهيم فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ عن اعراض على
قول الكافر انا احيى واميت والمراد ان ارسال النفس الناطقة لتدبير البدن الطلاع شمس الحيوة من افق البدن فان كنت صادقا فى دعواك ان هذا
يتاتى منك فامسكها عندك وهو الاتيان بالشمس من مغربها وانه ابة الفيا ثم مات فقد قامت قيامته فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ لانه ان امكنه
ان يدعى الاحياء بمعنى الابقاء وهو اطلاع الشمس من المشرق فلن يمكنه ان يدعى الاماتة بمعنى قبض الروح من غير الة القتل وهو الاتيان بالشمس

المغرب



المغرب فهذه طريقة عدل لا يرد عليها شئ من الاعتراضات المذكورة فى التفسير ثم اخبر عن لطايف قدرته فى احياء الموتى بعد انقطاع المدة وجعله
عقيب الدعوى بقوله تع أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وذلك ان قوما انكروا حشر الاجساد بعد اعترافهم بحشر الارواح وزعموا ان الارواح اذا خرجت
من سجن الاشباح وتفوقت بالعلوم بالكلية التى استفادتها من عالم الحس فما حاجتها ان ترجع الى السجن ابدا كما ان الصبى اذا استفاد العلوم فى المكتب
وكبر قده وعظم وقعه لم يحتج الى ان يرجع الى المكتب حال صباه فهو سبحانه لكمال فضله ورافته دفع هذه التسويلات النفسية ورفع هذه الشبهات
الفلسفية بان اماتة عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم احياهما جميعا ليعلم ان الله تع بهما احيى عزير الروح حيى معه حمار الجسد كما ان عزير الروح يكون
عند الملك الجبار يكون حمار الجسد فى جنات تجرى من تحتها الانهار فلعزير الروح شرب من كؤس تجلى صفات الجلال والجمال وسقيهم ربهم شرابا
طهورا ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ولحمار الجسد مرتع من الرياحين ومشرب من الحياض فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين قد علم كل اناس
مشربهم شعر شربنا واهرقنا على الارض قسطها وللارض من كاس الكرام نصيب ثم اكد حديث الحشر بقصة عن خليله ع وذلك قوله رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي
الْمَوْتَى فمفتوح منه رائحة قول موسى رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ الا ان موسى لم يحفظ الادب فى الطلب فبارا ى غير النصب التعب ودب بادب الخاطب الجانى
وعرك شعر ليك لن ترانى وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب رى صاحب الشرب سكران وصاحب الرى صاح شعر شربت الحب كاسا
بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت فلسكر موسى كان يبسط تارة مع الحق بقوله رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ويعربد اخرى بقوله إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ومن
كمال صحو الخليل حاز قدمه اداب العبودية فى الحضور والغيبة فلا جرم اكرم اليوم بكرامة الشيبة انه اول ما شاب شيبة ابرهيم وجرم غدا بالكسوة
انه اول من يكسى ابرهيم ولما ابتلى فى ماله فبذل للضيفان وابتلى بولده فاسلم وتله للجبين وابتلى فى نفسه فاستسلم للمنجنيق ابن كنعان وابتلى بجبريل
فقال اما اليك فلا جرم اكرمه الله بالامامة انى جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان اول من دق باب طلب الحق وقال هذا ربى واول من سلك طريق
الحق وقال انى ذاهب الى ربى واول من نطق بالمحبة وقال انى لا احب الافلين واول من اظهر الشوق وقال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الظالمين و
اول من اظهر العداوة لغير المحبوب فانهم عدو لى الا رب العالمين واول من اشتاق فسئل الرؤية وقال رب ارنى ولا تظنن ان اشتياقه للرب مما يكون
وقت سؤاله شعر ولست حديثا لهذا شوقا ولو عتق حديث هواكم فى حشاى قديم ولكنه من حفظ اداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال
ويقول حسبى من سؤالى علمه بحالى الى ان ساقه التقدير الى حسن التدبير بسؤاله نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ
فقال نمرود هل رايت منه ما تقول فوجد الخليل فرصة للمامول فادرج فى السؤال السؤال فاخفى سره وهو ادنى فى علنه وهو كيف تحيى الموتى وهو
يعلم انه يعلم السر واخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده ان اسمعه من كلامه بفضله وجوده قال أَوَلَمْ تُؤْمِنْ فكان فى هذه الكلمة من اعجاز القران ثلثة
معان مضمرة اولم تؤمن وقت ما امنت عند نمرود بانى احيى واميت فما كان ايمانك حقيقيا اولم تؤمن لميعاد رؤيتى فى الجنة فاربك ثمه اولم تؤمن بما
طلبت من الاحياء مضمر فى كل منها الاثبات فى لفظ النفى فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلثة ببلى سر السرى بلى امنت وكان ايمانى حقيقيا ولكن
ما كان مقصودى الايمان فى الايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فانى فارغ من الموتى واحيائهم ولكنى سئلت ليطمئن قلبى بما تريد وبلى امنت
بميعاد رؤيتك فى الجنة ولكن ليطمئن قلبى برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطراب قلبى من غاية يقينى وبلى امنت بقدرتك على
الاحياء ولكن ما سالتك عن الاحياء وانما سالتك عن كيفية الاحياء ففى ضمن ذلك يحصل مقصودى كان مثله معشوق خياط وهو يريد مشاهدة
معشوقه ويحتشم ان يقول ارنى وجهك لانظر اليك لانه يعلم ان الدلال قرين الجمال وان العزة والحسن توامان وفى مذهب الملاح الطلب رد والسبيل
سد فيقول ارنى كيف تخيط الثياب فكل صانع ماهر فى صنعته يريد ان يرى جودة عمله فيحضر المعشوق عنده بلا حجاب وهو يخيط الثوب فيقول انظر
الى كيف اخيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع ويطمئن قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر عن الخليل من اضطراب قلبه
واضطراب حاله وتضرع بين يدى مولاه وهو الذى يجيب المضطر اذا دعاه وحقق رجاءه وقال خُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ الاية والمراد انك محجوب بك عنى
فحجاب صفاتك عن صفاتى محجوب وبحجاب ذاتك عن ذاتى ممنوع فاما تموت عن صفاتك تحيى بصفاتى فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتى فخذ
أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ وهى الصفات الاربع التى تولدت من العناصر الاربعة التى خمرت طينة الانسان منها فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان
فمن التراب وقرينها وهو الماء تولدت الحرص والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحدة
من هذه الصفات زوج خلق منها لتسكن اليها فالحرص وجه الحسد والبخل وجه الحقد والغضب وجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل
هى كالمعشوقة بين الصفات فتعلق بها كل صفة فهذه الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ يعنى
من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تع خليله بذبح هذه الصفات وهى الطيور الاربعة طاوس البخل فلونه
يزين المال فى نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص بكوره من حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لترفعه فى الطيران وهذه صفة الغضب فلما ذبح
الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقى له باب يدخل به النار فصارت النار عليه لما القى فيها بردا وسلاما والمبالغة
فى تقطيعهن ونتف ريشها وخلط اجزائها اشارة الى محو اثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يد ابرهيم الروح بامر الشرع ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ هى
الجبال الاربعة التى جبل الانسان عليها النفس النامية وهى النباتية والارواح الثلثة الحيوانى والطبيعى والانسانى الملكى فهذه الجبال كالاشجار و

والزروع واجزاء الطيوركالتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من اولئك فيربي بتربيتها ويتصرف فيها الروح الانسانى فيجعلها بنوره موهر خصايص ارواح الانسان فيكون تلك الصفات منتزعة عن صفاتها متحلية باخلاق الروحانيات هذه الخواص للخلق الذي الغالب على احوالهم الروح واما خواص الخواص فلمن ادركته العناية كالخليل فان الله تعالى بعد محو هذه الصفات يتجلى له بصفة المحي فيحيي هذه الصفات الفانية عن اوصافها بنور صفة المحيية فيكون العبد في تلك الحالة حيا بحيوته محييا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش كما ان ما يقول الكاتب رب كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه في يد الامي ويأخذ يده بيده فيكتب فيظهر الكتابة من يد الامي على الصحيفة ففي تلك الحالة يظن الامي انه صار كاتبا فيقول انا الكاتب كقوله شعر عجبت منك ومني افنيتني بك عني ادنيتني منك حتى ظننت انك اني فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامي فيعلم الامي انه امي والكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو الكاتب والى هذه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اي من حسبان انك كاتب وانت امي عربي ما وصلت الى ما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى تجلى لخليله بصفة واحدة وهي صفة المحيي لم يرابه من ابائه وهي كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال لقد رأى من ايات ربه الكبرى والخليل طلب الرؤية لنفس رب ارني والحبيب طلبها له ولامته ارنا الاشياء كما هي وفي ذلك لعلو مرتبته وهمته رفعة وكمال معرفته فلعلو همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة الى هذا تصريحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وفيه ايضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فان جميعها داخلة في الاشياء ولكمال معرفته طلب رؤية الاشياء كما هي وهذا هو الملك الحقيقي الذي لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل واعلم ان الله عزيز اي عزيز عن ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على اسرار الامر يليق بذلك من مخلوقاته مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ

حَبَّةٍ وَاللّٰهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا اَنْفَقُوا

مَنًّا وَلَا اَذًى لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا اَذًى

وَاللّٰهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ اَصَابَهَا

وَابِلٌ فَآتَتْ اُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَاِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ اَيَوَدُّ اَحَدُكُمْ اَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ

وَاَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَاَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَاَصَابَهَا اِعْصَارٌ فِيهِ

نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ القراءة انبتت سبع بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل يضعف بابه ابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعف ورئاء الناس غير مهموز حيث كان يزيد الشموني والحراعي عن ابن فليح حمزة في الوقف الباقون بالهمزة الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه ودوليس عن يعقوب وكذلك ما كان محله النصب من الاعراب كل القران بربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون بضمها اكلها وبابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع وابو عمرو فيما اتصلت بالهاء والالف بما يعملون بصير بالياء التحتانية ابو عون عن قنبل الباقون بالتاء للخطاب الوقوف مائة حبة ط لمن يشاء ط عليم ج عند ربهم ج لعطف المختلفين يحزنون اذى ط حليم والاخر ج للتعلق كاف التشبيه اي بطلا مثل ابطال الذي الاخر ط صلدا ط كسبوا ط الكافرين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فانحاد الكلام فطل ط بصير الانهار لا لان ما بعده صفة لجنة بعد الثمرات لا لان الواو للحال ضعفاء من الوصل ولي الوقف على فاحترقت ط لتناهي مقصود الاستفهام والمعنى ايحب احدكم احتراق جنة صفتها كذا في حال كذا تتفكرون نصف السبع التفسير انه سبحانه لما ذكر من اصول المبدأ والمعاد ما اقتضاه المقام اتبعه ببيان التكاليف والاحكام قال القاضي في كيفية النظم انه تعالى لما اجمل في قوله مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ اَضْعَافًا كَثِيرَةً



فصل بعد ذلك بهذه الاية الاضعاف وبما ذكر من الايتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب بعد الممات لكان التكليف بالانفاق وساير الطاعات عبثا كانه قال لمن عرفت اني خلقتك اكملت نعمي عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتي على المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازي القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعد ما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي امر عبوا في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى لما بين انه ولي المؤمنين وان الكفار اولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل الطاغوت قلت لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التي يملكها العباد الا بالانفاق تبعه حكامه فقال مثل الذين ولا بد من اضمار ليصح التشبيه اي مثل صدقاتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه فقيل الجهاد وقيل جميع ابواب الخير والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجدت في الدنيا سنبلة بهذه الصفة او لم توجد على انه قد يوجد في الجاورس والذرة وغيرهما مثل ذلك وسبع سنابل مثل ثلثة قروء في انه جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف اي تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين في الاخلاص او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستحق ذلك في مشيته والله واسع كامل القدرة على المجازاة لانه فيض غير متناه عليم بمقادير الانفاقات وبمواقعها ومصارفها وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل عنده ثم لما عظم امر الانفاق اردف ببيان الامور التي يجب غايتها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى فالمن ان يعتد به الانعام فان تعالى وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صفوان من منح سائله ومن منع نائله وضن وذلك لما فيه من انكسار قلب الفقير ومن تنفير ذوي الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله لعباده وان المعطي هو الله اذا كان العبد في هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الحقيقية وكان في درجة البهايم التي لا يترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الاثار الى المؤثرات واما الاذى فمنهم من حمله على اذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير بما انفق عليه يقول له لست الامير بها وما انت الا ثقيل وما علم الله ما بيني وبينك ومعنى ثم تراخي الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما اولى لانهما نكرتان في سياق النفي لهم اجرهم وقال فيما يجيء فلهم اجرهم لان الموصول ههنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمه وفرق معنوي وهو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر ههنا الانفاق ومنهم على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التاكيد بما يوجب الربط بينهما هنالك انسب لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي لا يخافون فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا والمراد انهم يوم القيمة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله في سبيل الله ان قوله لهم اجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون ان المن والاذى من قبيل الكبائر حيث تخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة بالاية من وجهين الاول ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم واجيب بان ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثاني ان الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على تقدير المن والاذى لا ثواب له اصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قَوْلٌ مَعْرُوفٌ يقبله القلوب ولا تنكره وذلك ان يرد السائل بطريق احسن وعدة حسنة ومغفرة عفو من السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول لانه اذا رد بغير مقصود فربما حمله ذلك على بذاءة اللسان وقيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو عن ظلم السائل بان يعذر المسئول اذا رده ردا جميلا خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا اَذًى لانه اذا اتبع الاعطاء الايذاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب النفع بعقاب الضرر واما القول المعروف ففيه نفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان الاولى من الناس من خصص الاية بالتطوع لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ورد بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير وَاللّٰهُ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةٍ كل منفق فما وجه المن حَلِيمٌ عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذي وغير المؤذي مثلا فقال يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاَذَى للفقير كالذي اي كابطال المنافق الذي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وهو ان يرائي بعمله غيره ولا يريد رضا الله وثواب الاخرة ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين للذي ينفق فمثله الضمير اما ان يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه المنافق بالحجر واما ان يعود الى المان المؤذي على انه شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد النقي ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضربه الله لعمل المان المؤذي ولعمل المنافق فان الناس يرون في الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيمة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما اذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة اوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى ازالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير وعلى مذهبنا العمل الظاهر كالتراب والمان المؤذي والمنافق كالصفوان يوم القيمة كالوابل وعن القفال ان عمل المان مشبه بما اذا طرح بذرا في صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا اصابه مطر جود بقي مسموع بذره خاليا لا شيء فيه الا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة

فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شيء الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور اي لا يقدر احد من الخلق على ذلك البذر الملقى في ذلك التراب الكائن على
الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذي والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيمة وناهيك بكون المان والمؤذي مقرونين في فرط
شناعة شان المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذي مال الى من والذي متعاقبان فكانه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذي واما لانه
اشير بالذي الى الجنس والجنس في حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شيء مما كسبتم فالتفت من الخطاب
الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة انه يضلهم
عن الثواب طريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله طلب المرضاته وتثبيتا من انفسهم قيل اي يوطنون
انفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة في الايمان مخلصة فيه ويعضده
قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لا ثبات لها في موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها امر الحيوة العاجلة
والمال فاذا بذل ماله وروحه معا فقد ثبتت نفسه كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض
نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره في الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم ومن
على هذا للابتداء وجوابه بالثواب هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطا المراد انهم يتثبتون انفسهم تثبيتا في طلب المستحق وصرف المال في وجهه قال
الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من
حظوظها فهناك اطمئن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل ان يكون المراد به حصول ملكة
الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق المحنة والاتفاق فان الاخلاق ما لم يصر ملكات لصاحبها لم تكد تظهر على جوهر النفس صفاؤه
ونورها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشيء يربو اذا زاد وارتفع
ومنه الربو لزيادة النفس والربا في المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده
عن الماء وربما يضربه الرياح كما ان الوهاد لكونها مصاب المياه قلما يحسن ريعها فان البستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة
حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء
اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل في مقابلة المثل الاول فكما ان الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغي ان يكون هذه الارض
بحيث تربو وتنمو فآتت اكلها اي ثمرها وما يؤكل منها ضعفين مثلي ما كان يعهد وقيل مثلي ما يكون في غيرها فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القدر
يصيبها ولا ينتقص شيء من ثمرها لكرم منبتها او المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر قل ام كثر وكذلك من اخرج صدقة لوجه الله لا يضيع
كسبه قل ام كثر ويحتمل ان يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف
اكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد في زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفيتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازي بحسب
النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب في الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثلا اخر فقال ايود احدكم والهمزة للانكار
البالغ اي لن يود وقرئ له جنات فوصف الله تعالى الجنة بثلثة اوصاف الاول كونها من نخيل واعناب لان الجنة انما تكون منهما الكثرة فيها الثاني
تجري من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك يزيد في رونقها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب بالذكر لانهما اكرم الشجر
واكثرها منافع قال في الكشاف يجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما
بنخل ثم شرع في بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف اي صبيان واطفال فاصابها اعصار
ريح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت اي الجنة ولا يخفى ان هذا المثل في المقصود ابلغ الامثال فان الانسان اذا كان له
جنة في غاية الكمال وكان هو في نهاية الاحتياج الى المال وذلك اوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا اصبح شاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة
فكم يكون في قلبه من الحسرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيمة فاذا اتبع الانفاق النفاق والمن والاذى كان ذلك كا
الاعصار الذي يحرق تلك الجنة ويورثه الحسرة والندامة التاويل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون ارواحهم
وقلوبهم في سبيل الله فلهم الله ومن اعطى تمرة الى فقير فاخذها الله بيمينه ويربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يكون اعظم من الجبل فمن اعطى
قلبه الى الله فهو يربيه بين اصبعي جلاله حتى يصير اعظم من العرش بمائة وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بابتغاء صفاء الاوقات
وفتوحات الخلوات على طلاب الحق وارباب الصدق للقيام باموره في تشفيهم في صلاح دهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا
ليحصلوا وحصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله في طلبه لا في طلب غيره من الثناء والجزاء
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك وجب لي
عليك الاجر ولا اذى بان يطلب من الله غير الله راى احمد خضرويه ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني لهم اجرهم عند
ربهم منزلهم في رتبة العندية عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله في طلب المعروف ومغفرة له







وان لم يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجهل اذى لطلب غير الحق من الحق والله غني عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار
في الطلب غيره ولولا حلمه فما للتراب ورب الارباب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض
ففيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن ابطل حقوقه في الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال ولو كان قصدك في الصدقة
طلب الحق لما منت على الفقير بل كنت رهين منته حيث صار سبب وصولك الى الحق ولهذا قال ع لولا الفقراء لهلك الاغنياء اي لم يجدوا سبيلا
الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغني لان الفقير ياخذ منه الدنيا ويعطيه الاخرة كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الاخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالاخرة لانفق للاخرة لا للناس فمثل المرائي كمثل صفوان عليه تراب
هو عمله فاصابه وابل هو وابل الرد انا اغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خائبا لا يقدرون على شيء مما كسبوا اي توسلوا به الى الله والله
لا يهدي القوم الكافرين بنعمة طلبه وجماله في مواهب ولو وصاله وتثبيتا من انفسهم وتخليص القائهم في طلب الحق ومرضاته من حظوظ
نفسهم كمثل جنة هي قلب المخلص بربوة في رتبة عالية عند الحق اصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فآتت
اكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال وشهود ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطي
اهل الاخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطي اهل الدنيا نصيبا من الاخرة فكذلك يعطي اهل الله نصيبا من الاخرة بالتبعية ولا يعطي اهل
الاخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضات ولاستيفاء اللذات واستيفاء الحيوة ثم
ضرب مثل الروح الانسان وقلبه بجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق في احسن تقويم مستعد لجميع الكرامات منورا بعلم الاسماء بانوار العقل والحواس
السليمات متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة فجنة هي منظور نظر العناية تجري من تحتها الانهار الهداية واصاب لصاحبها ضعف الانسان
وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية في غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها فاصابها اعصار من اعمال البر فيه نار من الرياء و
النفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون في احسانه معكم بايتاء الاستعداد الفطري فلا تبطلوه بقبيح فعالكم ولا تضيعوا اعماركم في طلب امالكم واستعدوا للموت قبل حلول
اجالكم والله المستعان وهو حسبي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا
ای زمره گروندگان خرج کنید از پاکیزه‌ای آنچه کسب کردید واز آنچه برون آوردیم از برای شما از زمین وقصد مکنید
الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ
ناپاک را از آن خرج کنید وحال آنکه نیستید گیرندگان آن مگر که چشم پوشانید در آن وبدانید که خدا بی‌نیاز ستوده است شیطان می‌ترساند شما را از فقر و
يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
وا می‌دارد شما را بناشایسته وخدا وعده می‌کند شما را آمرزش از او و زیادتی وخدا محیط داناست می‌دهد حکمت را بانکه خواهد وهرکه داده شود حکمت پس
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
داده شده خوبی بسیار و متذکر نشوند مگر صاحبان خرد وآنچه خرج کردید از مخارج یا نذر کردید از نذری پس بدرستی که خدا میداند آنرا و نیست ظالمانرا
مِنْ أَنْصَارٍ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ
از یاوری اگر ظاهر سازید صدقه‌ها را پس خوبست آن واگر پنهان دارید آنرا وبدهید آنرا بفقرا پس آن بهترست مر شما را و بپوشد از شما گناهان شما را وخدا
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ
بآنچه میکنید باخبرست نیست بر تو هدایت ایشان ولکن خدا راه مینماید آنرا که خواهد وآنچه انفاق کنید از مال پس مر نفسهای شماراست وآنچه خرج کنید مگر بجهت
وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
رضای خدا وآنچه خرج کنید از مال تمام باز داده شود بسوی شما و شما ستم کرده نشوید مر درویشان راست آنان که بازداشته شدند در راه خدا که نتوانند
ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ
رفتن در زمین می‌پندارد ایشانرا بیخبر مالداران از خودداری می‌شناسی ایشانرا بعلامتهاشان سؤال نکنند مردم را بالحاح وآنچه خرج کنید از خوبی پس بدرستی
بِهِ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
بان داناست آنانکه خرج کنند مالهای خود را در شب وروز در پنهانی وآشکار پس برای ایشان مزدشان در نزد پروردگارشان ونیست ترسی بر ایشان ونه ایشان اندوهگین

ع

القراءة ولا تيمموا بتشديد التاء ومد الالف البزي وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب اي من يؤتيه الله الباقون بالفتح
فنعما هي ساكنة العين ابو عمرو والمفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما هي بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وخلف والخزاز الباقون نعما
بكسر النون والعين والميم مشددة في القراآت ونكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلي ويكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر
وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم بابه بفتح السين ابن عامر ويزيد وعاصم غير الاعشى وهبيرة بسيماهم بالامالة حمزة وعلي

ابن شاذان عن خلاد بخيرا وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى الوقوف من الارض لعطف المتفقين تغمضوا فيه ط حميد بالفحشاء ج
وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق وفضلا ط عليم و قد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج
لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا ط الالباب يعلمه ط انصار فنعما هى ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون
او الياء على الاستيناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيأتكم ط خبير من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتداء النفى
وجه الله ط لا يظلمون فى الارض لان يحسبهم وان صلحت حالا ابعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من احصر التعفف لان تعرفهم يصلح استينافا
والحال وجاى يحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بحقيقة ما فى بطونهم من الضر وهم لا يسئلون الناس على الحاف وقد يجعل لا يسئلون استينافا
فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا ط عليم عند ربهم ج يحزنون التفسير لما رغب فى الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك و
شرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذى امر بانفاقه فى سبيل الله كيف يجب ان يكون فقال
انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اى من طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض
بناء على ان ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روى عن على ع والحسن ومجاهد ان بعض
الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه
فى الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين فى مسجد رسول الله ص فقال النبى ص بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل
لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة فى كل مال يكسبه الانسان فيشمل زكوة التجارة
وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض الا ان العلماء خصصوها بالاقوات لما روى انه ص قال الصدقة فى اربعة
فى التمر والزبيب والحنطة والشعير ليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفى الزكوة فى غير الاربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله ص
فعلم وجوب الزكوة فى الاقوات دون غيرها ولا يكفى فى وجوب الزكوة كون الشىء مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة
ومثله الشافعى بالقت وحب الحنظل وسائر البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش لا زكوة فيها لان الناس لا يتعهدونها وايضا لا يجب الزكوة
فى القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق وبه قال مالك واحمد لرواية ابى سعيد الخدرى ان النبى ص قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة
يجب العشر فى القليل والكثير استدلالا بعموم الاية وتفصيل الكلام فى الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها فهو مذكور فى الفروع
فلذلك لم نطولها ولم نشرع فيها وما المراد بالطيب فى الاية قيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردى لما مر فى سبب النزول انهم كانوا يتصدقون برذالة اموالهم
فهو اعز ذلك ولان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض وبغيره والاية دلت على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود
ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم بآخذيه وانتم تعلمون
انه محرم الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تبالوا من اى وجه اخذتم المال من حلاله او من حرامه ويحتمل ان يراد بما يكون طيبا من جميع
الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستطابة قد يكون شرعا وقد يكون عقلا واعلم ان المال الزكوى ان كان كله شريفا
وجب ان يكون المأخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للاية لان المأخوذ فى هذه الحالة لا
يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان فى المال جيد ورديء فحينئذ يقال للانسان لا تجعل الزكوة من ردىء مالك ولا يكلف ايضا جيده
لقوله ص لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب هو
الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق فى الاية التطوع او هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه قضاء
لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى ولا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال تيممه وتأممه كله بمعنى قصد ومحل تنفقون نصب على الحال وقدم منه عليه
ليعلم ان المنهى عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اى ان كان فى المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم
ابتداء مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم لا تأخذونه فى حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر واطباق جفن على جفن
واصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبايع اغمض اى لا تستقص كانك لا تبصر واصله ان الانسان اذا رأى ما يكره اغمض عينيه كيلا يرى
ذلك فكثر حتى جعل كل مساهلة اغماضا اى لو اهدى لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لى ما لا ترضون
لانفسكم ويحتمل ان يراد الا اذا اغمض بصر البايع اى كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن او وجدتموه فى السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه
واعلموا ان الله غنى عن صدقاتكم حميد محمود على ما انعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدى او حامد شاكر على انفاقكم كقوله فاولئك
كان سعيهم مشكورا ثم ان الله تعالى لما رغب فى اجود ما يملكه الانسان ان ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر اما
الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل فى الخير والشر قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن
ان يكون استعماله فى الشر محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر فى اللغة كسر الفقار وقرىء الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويامركم
بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق ان لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل





للانفاق هو ان يبذل كل ماله فى سبيل الله والطرف الاخس ان لا ينفق شيئا الا الجيد ولا الردى والوسط ان يبخل بالجيد وينفق الردى فالشيطان اذا اراد
نقله من الافضل الى الاخس فمن خفى حيلته ان يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو امره بالفحشاء وذلك ان البخل صفة مذمومة عند
كل احد فلا يمكنه ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هى التخويف بالفقر فاذا انفق الجيد من ماله فاذا اطاعه زاد فيمنعه من الانفاق بالكلية وربما
تدرج الى ان يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدى الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق فيقدم
على المعاصى كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان اردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة اشارة
الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى ما يحصل فى الدنيا من الخلف عن النبى ص ان الملك ينادى كل ليلة اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان
يعدكم الفقر فى غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة فى غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول اولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع
به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بآفة اخرى وعند وجدان العقبى لا بد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء
المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف او مرض او هم بخلاف الانتفاع بما فى الاخرة فانه لا مانع منه وبتقدير التمكن من الانتفاع بالمال
فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف ما يعود فى الاخرة فانه باق لا يزول وايضا لذات الدنيا مشوبة بالالام والمضار البتة فلا لذة الا وفيها الم من وجوه
كثيرة بخلاف لذات الاخرة فانه لا نغص فيها ولا نقص فالمغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيه للدلالة على الكمال والتعظيم لا سيما وقد قرن به لفظة منه فانه
غاية كرمه ونهاية وجوده مما يعجز عن ادراكها عقول الخلايق ويحتمل ان يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه فى اية اخرى فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات وان يجعل شفيعا فى غفران ذنوب اخوانه المؤمنين اما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهى ملكة الجود والسخاء وذلك
ان المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجى وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال
الخارجى والنقصان الداخلى واذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلى والنقصان الخارجى فيكون الانفاق اولى وافضل وايضا متى حصلت ملكة
الانفاق زال عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك فى طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وايضا مهما عرف من
الانسان انه منفق كانت القلوب معقودة على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق ولمثل ذلك من التأثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كافل للخلف قادر
على انجاز ما وعد عليم يحال من انفق نفقة بوعده وبحال من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذى لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد
الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما رجحه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة فى القرآن على اربعة اوجه احدها مواعظ
القرآن وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم واتيناه الحكم صبيا ولقد اتينا لقمن الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى
النبوة واتاه الله الملك والحكمة ورابعها القرآن بما فيه من الاسرار يؤتى الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم فتأمل
يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا
قليل وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات الحاصلة
منها واعلم ان كمال الانسان فى شيئين ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فمرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثانى الى فعل العدل
والصواب لذلك سأل ابراهيم ع رب هب لى حكما وهو الحكمة النظرية والحقنى بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودى موسى ع انى انا الله لا اله
الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدنى وهو العملية وحكى عن عيسى ع انه قال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا
اينما كنت وكلها النظرية واوصانى بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا وجميعها العملية وقال فى حق محمد ص فاعلم
انه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك فهو العملية وقال فى حق جميع الانبياء ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده
ان انذروا انه لا اله الا انا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الايات وامثالها ان كمال الانسان فى هاتين القوتين
والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب واصابة راى فعيل بمعنى فاعل ويجىء بمعنى مفعول فيها يفرق كل امر حكيم اى
محكوم وفى الاية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية انما هى باعطاء الله تعالى والذين حملوا الايتاء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة ما زادوا
الا انه وسعوا الدائرة اذ لا بد من الانتهاء اليه نه سلكوا وما يذكر الا اولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم
ينسبوا هذه الاحوال الى انفسهم بل يرقون الى اسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول واما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا
هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ما له وما عليه عند ذلك تقدم او تحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما فى قلب العبد من نية
الاخلاص والرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعى والنيات فلا يهمل شيئا منها فقال وما انفقتم من نفقة لله او للشيطان
او نذرتم من نذر فى طاعة الله او معصيته فان الله يعلمه وتذكير الضمير اما لانه عائد الى الاخير كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم
يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلزمه الانسان بايجابه على نفسه واصله من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير فى الامر المهم عنده ومنه
الانذار ابلاغ مع تخويف واعلم ان النذر قسمان نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل او يحثه عليه بتعليق التزام قربة
بالفعل او الترك كقوله ان كلمت فلانا او فعلت كذا او دخلت الدار او لم اخرج من البلد فلله على صوم شهر او صلوة او حج او اعتاق رقبة ثم انه اذا كلمه

فما انفقتم

ودخل الدار او لم يخرج فللعلماء ثلثة اقوال احدها يلزمه الوفاء بما التزم والثاني وهو الاصح ان عليه كفارة يمين لما روى انه ع قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث التخيير بين الوفاء وبين الكفارة واما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة او اندفاع نقمة مثل ان شفى الله مريضي او رزقني ولدا فلله على ان اعتق رقبة او اصوم او اصلى كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله ع من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التبرر وهو ان يلتزم ابتداء غير معلق على شيء كقوله لله على ان اصوم او اصلى او اعتق فالاصح انه يصح ويلزم الوفاء به لمطلق الخبر وما يفرض التزامه بالنذر اما المعاصي واما الطاعات واما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنا ونذر المرأة صوم ايام الحيض ونذر قراءة القران في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه لا نذر في معصية الله ثم ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد او ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر مثل المعصية فعليه ان يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روى انه قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج واما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوة الخمس وصوم رمضان لا معنى لالتزامها بالنذر معلقا او غير معلق وكذا لو نذر ان لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح واما غير الواجبات فالعبادات المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فيلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلوة والصدقة والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلوة على الجنازة والامر بالمعروف خلاف لانه بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم ايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها اذا كانت من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود او الحج بشرط المشي اذا جعلناه افضل من الركوب هو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود والقراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب الشارع فيها واما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد نذره روى ان النبي ع راى رجلا قائما في الشمس فسأل عنه فقالوا نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال ع مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه ولو قال لله على نذر من غير تسمية لزمه كفارة يمين لقوله ع من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي والرياء او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه وانما جمع ناصر كاصحاب في صاحب وجمع نصير كاشراف في شريف وقد يتمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر ورد بان الشفيع في العرف لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وايضا ان هذا الدليل النافي عام في حق كل الظالمين وفي كل الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وايضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهرا على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا سألوا رسول الله ع اصدقة السر افضل ام صدقة العلانية فنزلت ان تبدوا الصدقات والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره اذا اخبره على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد النكاح به يتم ويكمل والزكوة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد وكماله في ايمانه فنعما هي من قرأ بسكون العين فنحو على انه وقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله ما يروى في الحديث انه ع قال لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصيل المشاكلة ومن قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة نعم الساعون في الامر المبر قال سيبويه ما في تأويل الشيء اي نعم الشيء هي وقال ابو علي الجبائي نعم ان يقال ما في تأويل شيء لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هي مخصوص بالمدح فالتقدير نعم شيئا ابداء الصدقات فحذف المضاف للدلالة او نعم شيئا تلك الصدقات او تلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تع وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع افضل كما ان الاظهار في الزكوة افضل اما الاول فلان ذلك اشق على النفس فيكون اكثر ثوابا ولانه ابعد عن الرياء والسمعة قال ع لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك انه يطلب السمعة والمعطي في ملاء من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم الاخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في يد الاعمى وبعضهم يلقيها في طريق الفقير او في موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطي وبعض يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال ع افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر قال ايضا ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب في الرياء وقال ع صدقة السر تطفي غضب الرب وايضا في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما انكر الناس على الفقير اخذ تلك الصدقة وظن الاستغناء به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار اذلالا للاخذ واهانة له واذلال المؤمن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال ع من اهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيئا فيقع في حيز اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا اظهرها اقتدى غيره به وامن بعد الحالة هذه ان يكون الاظهار افضل روى ابن عمر انه ع قال السر افضل من العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء واعلم ان الانسان اذا اتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك





الشهوة فههنا الشيطان يورد عليه ذكر رؤية الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان في محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه يفضل علانيته سبعين ضعفا كما روي عن ابن عباس صدقات السر في التطوع يفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان لله تع عبادا راضوا انفسهم حتى من الله عليهم بانوار هدايته وذهب عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل ارادوا ان يقتدي بهم غيرهم فهم كاملون في انفسهم ويسعون في تكميل غيرهم كما قال تع وممن خلقنا امة يهدون بالحق واجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء ائمة الهدى واعلام الدين وسادة الخلق بهم يقتدى في الذهاب الى الله واما ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فلان الله امر الائمة بتوجيه السعاة لطلب الزكوات وفي دفعها الى السعاة اظهارها ولانه ينفي التهمة ولهذا ما روي انه ع كان اكثر صلوته في البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له افضل ولا سيما اذا خاف الظلمة ان يطمعوا في ماله وعن بعضهم ان معنى قوله خير لكم انه في نفسه خير من الخيرات كما يقال الزهد خير من الله وانما قيل وتؤتوها الفقراء لان المقصود من بعث المتصدق ان يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم اخفاها حصلت الفضيلة فلهذا شرط في الاخفاء ان يحصل معه ايتاء الفقراء واما في الابداء فقلما يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ونكفر عنكم من قرأ بالنون مرفوعا فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل في الشرط والجزاء ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتداء محذوف فقوله فهو خير في تأويل فيكون خيرا لكم ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستأنفة ومن قرأ مجزوما فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن اعظم اجرا واما من قرأ ويكفر بياء الغيبة مرفوعا فالاعراب كما مر في النون والضمير لله او للاخفاء وقرئ وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم خير لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه اي ستر ذنب الحنث وقوله من سيئاتكم يحتمل ان يكون من للتبعيض لان السيئات كلها لا تكفر وانما تكفر بعضها ثم ابهم الكلام في ذلك البعض لان بيانه كالاغراء على ارتكابها واحسن حوال العبد ان يكون بين الخوف والرجاء ويحتمل ان يكون للتعليل اي من اجل سيئاتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك اي من اجل ذلك وقيل انها زائدة والله بما تعملون خبير كانه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذي هو ابعد من الرياء عن الكلبي انه قال اعتمر رسول الله ع عمرة القضاء وكانت معه اسماء بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استأمر رسول الله ع فانكما لستما على ديني فاستأمرته في ذلك فانزل الله تع ليس عليك هديهم فامرها رسول الله ع بعد نزولها ان تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما قال الكلبي ولها وجه اخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوهم ان يسلموا واستأمروا رسول الله فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله ع لا تصدقوا الا على اهل دينكم فانزل الله ليس عليك هديهم فقال رسول الله ع تصدقوا على اهل الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والعلماء اجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوة الى غير المسلم فيكون الاية مخصوصة بالتطوع وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره ومعنى الاية ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم وذلك انه ع كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمهم الله تع انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله ومبينا للدلائل فاما كونهم مهتدين فليس ذلك منك ولا بك فالهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسواء اهتدوا او لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم وفيه وجه اخر ليس عليك ان تلجئهم الى الاهتداء بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا ولكن الله يهدي من يشاء اثبات للهداية التي نفاها اولا لكن المنفي اولا هو الهداية اي الاهتداء على سبيل الالجاء فكذا الثاني ومنه يعلم ان الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تع وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظ قوله ليس عليك هديهم انه خطاب مع النبي ع ولكن المراد به امته لان ما قبله عام ان تبدوا الصدقات وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم او فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله اي لستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم وسد خلة مضطر فقد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي اي لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا وجه الله وقيل ليست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة اقحام الوجه انك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف من قولك فعلته له لان وجه الشيء اشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مط وايضا قول القائل فعلت هذا الفعل له يحتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره اما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه في الاخرة اضعافا مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب عملكم شيئا ثم انه لما بين

يجوز صرف الصدقة الى فقير كان اراد ان يبين ان اشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء اى ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء كما لو تقدم ذكر رجل
فيقول عاقل لبيب اى ذلك الذى مر وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء او المراد صدقاتكم للفقراء قيل
نزلت فى فقراء المهاجرين وكانوا نحوا من اربعمائة رجل وهم اصحاب الصفة لم يكن لهم سكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القرآن
ويصومون ويخرجون فى كل غزوة فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى عن ابن عباس وقف رسول الله صلعم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم و
جهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقى من امتى على النعت الذى انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائى ثم انه تعالى وصف هؤلاء
الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين احصروا فى سبيل الله اى حصروا انفسهم ووقفوا على الجهاد فى سبيل الله لان سبيل الله مختص
بالجهاد فى عرف القرآن ولان وجوب الجهاد فى ذلك الزمان كان آكد وكانت الحاجة الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله صلعم اشد فوضع الصدقة
فيهم يكون اوقع لسد خلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائى ان هؤلاء قوم اصابتهم جراحات فى الغزوات
فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا فى الارض اى سيرا فيها
وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة او بالجهاد فلا يفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم
يمنعهم منه الثالثة يحسبهم يظنهم الجاهل بحالهم من لم يختبر امرهم اغنياء من التعفف من اجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل كلما منهم ترك التعفف اظهار
الفقر وهو ترك الشئ والكف عنه الرابعة تعرفهم اى انت يا محمد او كل احد بسيماهم والسيماء العلامة التى يعرف بها الشئ من السمة العلامة فوزنها عفلى
قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدى اثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة الوانهم من الجوع ابو زيد رثاثة ثيابهم وقيل الهيئة فى العيون
وقيل آثار الفكر يروى انه صلعم كان كثير الفكر الخامسة لا يسئلون الناس الحافا اى الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشئ يعطى والتركيب يدل على
الشر كانه لزم المسئول لزوم اللحاف للمشمول عن النبى صلعم ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذى السائل الملحف قيل معنى الاية انهم ان سألوا سألوا
بتلطف ولم يلحفوا واورد عليه انه ينافى التعفف الذى وصفوا به قبل فالوجه ان يراد نفى السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اى
لا ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفف وفائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور و
الآخر طياش خفيف واردت ان تمدح احدهما وتذم الآخر فقلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواض ولا مهذار لم يكن غرضك من
قولك ليس بخواض ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة يغنى عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثانى وقيل معناه
لا يكون السؤال الا بالحاح شديد منهم على انفسهم لشدة حاجتهم كقوله وقلى تفعل وقوله لما اذا ما نازعنى لعلى او عساكا وقيل ان علم السؤال
بطريق الالحاف يتضمن نفى السؤال عنهم راسا لان كل سائل فلا بد ان يلح فى بعض الاوقات كانه يقول اذا رقت ماء وجهى فلا ارجع بغير مقصود
وقيل لعل الساكت عن السؤال يظهر من نفسه امارات الحاجة فيكون حال سكوته انطق بها يكون فى رق القلوب فالمراد انهم وان سكتوا عن
السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السؤال من رثاثة الحال واظهار الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يتجملون للخلق بحيث لا يطلع
على سرهم غير الخالق عن النبى صلعم لا يفتح احد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله لان ياخذ احدكم حبلا
يحتطب به فيبيعه بمد من تمر خير له من ان يسأل الناس وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه ان ثواب هذا الانفاق الذى هو اعظم المصارف لا يكتنه
كنهه فلذلك وكل الى علم الله تعالى بخلاف الاية المتقدمة فانه لما رغب فى التصدق على اهل الاديان قال فى آخره وما تنفقوا من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان
لعبده الذى حسن عنده موقع خدمته ان بحسن خدمتك عالم ومحقق عارف كان ابلغ مما لو قال ان اجرك واصل اليك ثم ارشد فى خاتمة الايات
الى اكمل وجوه الانفاقات بقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الاية وذلك ان الذين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم
دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه متعللين بوقت وحال والباء بمعنى فى اى فى الليل او
النهار سرا وعلانية منصوبان على الظرفية ايضا اى فى وقت السر والعلن او على وصف المصدر اى انفاقا سرا او على الحال لكونه بيانا عن كيفية الانفاق وقيل
لما نزل للفقراء الذين احصروا بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب الصفة وبعث على بوسق من تمر ليلا فنزلت الاية وفى تقديم ذكر الليل وتقديم
السر على العلانية دليل على ان صدقة على كان اكمل وعن ابن عباس ما كان لعلى الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم
علانية فقال له النبى صلعم ما حملك على هذا فقال ان استوجب ما وعدنى ربى فقال لك ذلك فنزلت الاية وقيل نزلت فى ابى بكر حين تصدق باربعين الف
دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية وقيل فى علف الخيل المرتبطة فى سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرس
سمين قرأ هذه الاية والله تعالى اعلم بحقيقة التأويل انفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه احدها الوفاء بالطيب بالحلال فليعف
منه ولو نهر بالجودة فليجبر بفقد جودته وثانيها الثواب على التعظيم لامر الله وثالثها الثواب على الشفقة على خلق الله ورابعها الثواب على الايثار ويؤثرون
على انفسهم وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها الثواب على زيادة الايمان وان المتصدق فى صدقته كالزارع
فى زراعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة اجتهد فى جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء زاد فى جودة صدقته
لتحقق ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الكسب على ذكر المخرج من الارض لقوله صلعم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسب يده وفى الاية

عن



معنى آخر لطيف انفقوا من طيبات ما كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما اخرجنا لكم من ارض طينتكم فى تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق
وليكن النفقة طيبة من خباثة الشبهات طيبا انفاقها من خباثة الاغراض الدنيوية والاخروية طيبا منفقها من خباثة الالتفات والنظر فى الانفاق
الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة فى نفسها فلله قبول طيب من الوسائط فياخذها بيده ويربيها قبل ان يقع فى يد الفقير واذا كانت اليد طيبة فى
انفاقها فلله قبول طيب فانها ابلغ عند الله من عملها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فلله قبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من
اصابع الرحمن وهذا تحقيق قوله صلعم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب ولستم بآخذيه هذا الخبيث لا فى اصل الفطرة ولا فى عهد الخلقة لانكم خلقتم من
اصل طيب وطينة طيبة فالروح من الطيب لانه اقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم
احياكم بالايمان فلنحيينه حيوة طيبة ثم رزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شئ خبيث فى الظاهر والباطن الا ان تغمضوا
فيه فتقبلوه تكلفا وقد كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم يكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارية عليه
عارية لديه انزل الله تعالى كلمة طيبة هى لا اله الا الله ليطيب بالمواظبة عليها اخلاقهم ويستحقوا يوم القيمة ان يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين واعلموا ان الله غنى من كمال غناه اراد ان يغنيكم بثواب الانفاق حميد على ما انعم بعد التكليف ليتوسل به الى الكمال لا بد الشيطان يعدكم
الفقر ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص والياس من الحق والشك فى مواعيد الحق بالخلف والتضعيف
وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو راس كل خطيئة
وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فقد ابتلى بهذه الآفات واضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة الحق افاض عليه سجال غفرانه وبحار فضله
واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والآثام والفضل ما لا يدركه الاوهام للذين احسنوا الحسنى وزيادة فمن ذلك ان يفتح على قلبه باب حكمته عاجلا كما
قال يؤتى الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه اهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات والاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات
تكتسب بالبرهان وهى مشتركة بين اهل الاديان والاسرار والاسرار الالهية مواهب الحق لا ترد الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدى الله
لنوره من يشاء وما يذكر الا اولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا الى عالم النور ثم اخبر عن توفية الاجور للمنفق فى المفروض والمندوب وما
للظالمين الذين وضعوا الشئ فى غير موضعه فبدلوا اما الانفاق للنفاق واما الاخلاص بالرياء من انصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله ومن اذن له الله ان تبدوا الصدقات
ضد اخفائها واخفاؤها تخليصها عن شوب الحظوظ والى الاشارة فى قوله صلعم سبعة يظلهم الله فى ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله اى
عن حظوظ نفسه ليكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون فى ظل صدقته يوم القيمة اى ان كانت صدقته لله كان فى ظل الله وان كانت للجنة كان فى ظل الجنة
وان كانت لطلب الهوى كان فى ظل الهوى وتبرعنى قوله ان تبدوا الصدقات اى تظهروها للطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب بحظ فنعما هى فانها مرتبة
الابرار ان الابرار لفى نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين يعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاءها
لقاء الله ثم اخبر عن الهداية وان ليس لاحد عليها الولاية وان الله فيها ولى الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الانبياء
الفضيلة وانت سيد الاولين والآخرين وانت اكرم الخلائق على رب العالمين لكن ليس عليك هداهم ولكن الهداية من خصائص شاننا ولوائح برهاننا
انت تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه على ان افضل وجوه الانفاق هو الفقير الذى احصره المحبة فى الله عن طلب المعاش لا الذى احصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف
اخذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلا له فى المشرق مذهب ولا له فى المغرب مضرب ولا منه الى غيره مهرب كان فجاج الارض ضاقت برحبها عليه فما يزداد
طوعا ولا عرضا يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة اهل الغيرة اوليائى تحت قبابى لا يعرفهم
غيرى يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست بك فلست غيرى ما رايت اذ رايت ولكن الله راى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان سيماهم
لا يرى بالبصر الانسانى بل يرى بنور الربانى فمن سيماهم فى الظاهر من ظهور آثار احوال الباطن انهم لا يسئلون الناس الحافا لا بقليل ولا بكثير لان
آثار انوار قلوبهم انعكست على ظواهرهم فتنورت بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وفاقتهم وما تنفقوا من خير من المال والجاه او
خدمة بالنفس او اكرام وارادة حتى السلام على هؤلاء السادة استحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم ومن سيماهم فى الظاهر انهم اذا وجدوا
ما لا لم يبيعوا عزة الفقر به بل ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون فى الدنيا
على ما يفوتهم لانهم تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا فى الآخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ٢٧٠

الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا
واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ
لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاتَّقُوا
يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّٰهِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ القراءة الربوا حيث كان بالامالة حمزة وعلي وخلف وهذا
اذا كان معرفا ولا يميلون المنكر في الوصل لاجل التنوين كقوله
وما آتيتم من ربا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فأذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزة وحماد وابو بكر غير ابن غالب والبرجمي حمزة في الوقف بغير
همز اي بالتليين الباقون فأذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ الاول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسرة
بضم السين نافع ميسره بضم السين واثبات الياء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم الياء وان تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد
الصاد لادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم ابو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا للمفعول الوقوف من المس ط مثل الربوا
كلا يظن ان ما بعده من قولهم ان امكن جعل واحل حالا باضمار قد وحرم الربوا ط لابتداء الشرط واستيناف المعنى ما سلف ط لتناهي الجزاء الى الله ج
النار ج خالدون ط الصدقات ط اثيم عند ربهم ج يحزنون مؤمنين ج ورسوله ج اموالكم ج لان ما بعده مستانف وحال عامله معنى الفعل في لام
تملك ولا تظلمون ميسرة ط تعلمون لا يظلمون التفسير الحكم الثاني من الاحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربوا وذلك ان بين الصدقة وبين الربوا
مناسبة التضاد فان الصدقة تنقيص ما امر بها والربوا زيادة منهي عنها وايضا لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب ان يردف بالكسب الحرام وهو
الربوا والحلال وهو البيع وما يناسب من الدين والرهن وغيرها فقال الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰوا اما الاكل فيعم جميع التصرفات لانه عبر عن الشيء بمعظم
مقاصده وكيف لا وقد لعن رسول الله صلعم اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وايضا نفس الربوا لا يمكن ان يؤكل ولكن يصرف الى الماكول فيؤكل
فالمراد التصرف فيه والربوا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومن امالها فلمكان كسرة الراء وهو في المصاحف مكتوب بالواو وانت مخير في كتابتها بالالف
والواو وفي الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربوا قسمان ربا النسية
وربوا الفضل اما الاول فهو الذي كانوا يتعارفونه في الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على ان ياخذوا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طالبوا
المديون براس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل واما ربوا الفضل فان يباع من من الحنطة بمنوين مثلا والمروي عن ابن عباس انه
كان لا يحرم الا القسم الاول كان يقول لا ربوا الا في النسية ويجوز ربا النقد فقال له ابو سعيد الخدري اشهدت ما لم نشهد اسمعت ما لم نسمع فروى
الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا
بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الآخذ والمعطي فيه سواء ثم قال ابو سعيد لا اواني واياك في ظل بيت ما دمت على هذا فروي انه رجع عنه قال محمد بن
سيرين كنا في بيت معنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة ما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برأيي ثم بلغني ان رسول الله صلعم
حرمه فاشهدوا اني قد حرمته وبرئت الى الله منه حجة ابن عباس ان قوله تعالى وَأَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ يتناول بيع الدرهم بالدرهمين وقوله وَحَرَّمَ الرِّبٰوا لا يتناوله
لان كل زيادة ليست محرمة فوجب ان يبقى على الحل ولا يخرج الا العقد المخصوص الذي كانوا يسمونه فيما بينهم ربوا وهو ربوا النسية ويتاكد هذا الرأي
في المسند وفي رواية لا ربوا الا فيما كان يدا بيد ذكر ابو المنهال انه سأل البراء بن عازب وزيد بن ارقم فقالا كنا تاجرين في عهد رسول الله صلعم فسألنا
رسول الله صلعم عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا بأس وان كان نسية فلا يصلح واما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربوا في القسمين اما النسية
فبالقرآن واما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة ربوا النقد في الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة ولا شك ان الربوا انما ثبت
فيها لمعنى فاذا عرفنا ذلك المعنى الحقنا بها ما يشاركها فيه اما الاشياء الاربعة فللشافعي في علة الربوا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روي عن معمر بن
عبد الله قال كنت اسمع رسول الله صلعم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق
كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل او الوزن لما روي انه صلعم قال الذهب بالذهب وزنا
بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربوا في كل مطعوم مكيل او موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز
وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت او يستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربوا وعند ابي حنيفة العلة الكيل حتى يثبت الربوا في الجص والنورة
وعن احمد روايتان كابي حنيفة والاخرى كالجديد واما النقدان فعن بعض الاصحاب ان العلة فيهما عينهما لا العلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية
الغالبة فيشمل التبر والمضروب والحلي والاواني المتخذة منها ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال
احمد وابو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه واما السبب في تحريم الربوا





فهو ان من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيا يحصل له زيادة درهم من غير عوض فاخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله صلعم حرمة مال المسلم كحرمة دمه
ابقاء راس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه وينتفع به امر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل واخذ الدرهم الزائد متيقن وتفويت المتيقن
لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربوا من تحصيل الدرهم
الزائد نقدا او نسيا اعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل لانه يفضي الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ولا يتمكن للغني من ان ياخذ من
ما لا زائدا من الفقير وقيل ان حرمة الربوا قد ثبتت بالنص ولا يجب ان يكون حكمة كل تكليف معلومة لنا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء وتخبط الشيطان تخيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والمس الجنون
على ما كانوا يعتقدون والممسوس والمجنون رجل ممسوس اي مسه الجني فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربه الجن وهذا ايضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا
ارادوا تقبيح شيء ان يضيفوه الى الشيطان كما في قوله تعالى طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فورد القرآن على ذلك وقيل ان الشيطان يمسه بالوسوسة
المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصرع كما يفزع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وارباب الحزم واللب وقالت المسلمون على ان
الشيطان لا يبعد ان يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الاية اقوال احدها ان اكل الربوا يبعث يوم القيمة مجنونا وذلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقوله من المس متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او يتعلق بيقوم اي كما يقوم
المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يريد اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروع لانهم اكلوا الربوا
فاربى الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا وذلك ان الشيطان يدعوه الى الطمع
والملك يجره الى التقوى فيقع هناك حركات مضطربة وافعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات اكل الربوا على ذلك ورثه الخبط في الاخرة واوقعه ذل الحجاب بينه
وبين الله تعالى ذلك العقاب بسبب قولهم إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰوا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا
البيع والا كان حق النظم في الظاهر ان يعكس فيقال انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع ومن حق القايل ان يشبه محل الخلاف بمحل الوفاق
ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربوا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا او نسية فهذا حلال وكذا اذا اعطى العشرة
باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد في الحال وسيحصل
له اموال كثيرة في المآل فاعطاه الزيادة عند وجدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال فاجاب الله تعالى عنها بحرف واحد هو قوله
وَأَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض القياس فان ذلك من عمل ابليس لعنه الله تعالى بالسجود فعارض النص بالقياس وقال
أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ثم ظاهر الاية يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربوا دون الاقدام على اكله مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الاية كون اكل
الربوا من الكبائر ويجب تاويل مقدمة الاية بان المراد من اكلهم الربوا استطابته واستحلاله كما يقال فلان ياكل مال الله قضما وخضما اي يستحل التصرف فيه
الا ان جمهور المفسرين حملوا الاية على وعيد من يتصرف في مال الربوا لا على وعيد من يستحل هذا العقد وقيل يحتمل ان يكون قوله وَأَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد واكثر المفسرين على خلافه لا نجعله من كلام الكفار لانه لا يتم الا باضمار وهو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار
او على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وايضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تعالى عن بيان شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه
موعظة لائقا بالمقام وايضا المسلمون لم يزالوا متمسكين في البيع بهذه الاية ولولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها
وههنا بحث للشافعي وهو ان الاية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم والتبيين فيه لا تعريف الماهية
في العلم به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادة العموم فلا شك ان افادته ضعيف بما لو قيل واحل الله البياعات بلفظ الجموع ومع ذلك فقد تطرق اليه
تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب نعم لو قيل اللفظ المستغرق على الاغلب عرف منه وايضا
روي ان عمر قال خرج رسول الله صلعم من الدنيا وما سألناه عن الربوا ولو كان الربوا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضا تساقطا
وجب الرجوع الى بيان النبي فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ فمن بلغه وعظ من ربه فَانْتَهَىٰ امتنع من استحلال الربوا واتبع النهي فَلَهُ مَا سَلَفَ فلا يؤاخذ بما مضى منه
لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ عن الزجاج والتنوين في موعظة للتعظيم او للتقليل اي موعظة بليغة او شيء من المواعظ
وقيل النهي المتاخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف ذنبا فالمراد له ما اكل من الربوا وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلوف التقدم
ومنه الامم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج من عصيرها وَأَمْرُهُ إِلَى اللّٰهِ لانه ان انتهى عن اكل الربوا كما انتهى عن استحلاله فهو المقر بدين الله
العامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله إِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ عَادَ الى استحلال الربوا وانه مثل البيع فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا اما
القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى اكل الربوا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربوا وكان بالغ في الايات السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما
يجري مجرى الداعي الى ترك الربوا وفعل الصدقة فقال يَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبٰوا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ والمحق نقص الشيء حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل ممحوق
الربوا وارباء الصدقات اما في الدنيا واما في الآخرة وذلك ان الغالب في المرابي وان كثر ماله ان يؤل عاقبته الى الفقر وتزول البركة عن ماله عن ابن مسعود

ان النبي صلعم قال الربوا وان كثر الى قل وذلك لان دعاء الناس عليه يبغضهم اياه لسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وربما يطمع الظلمة في ماله
منهم ان المال في الحقيقة ليس له وعن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربوا لا يبقى عند
الموت ويبقى التبعة عليه وقد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام هذا حال الغنى من الحلال فكيف مال الغنى من الحرام
المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربوا المثل الذي ضربه فيما تقدم كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله ويربي الصدقات المثل
الاخر كمثل جنة بربوة كمثل حبة انبتت سبع سنابل عن ابي هريرة عن رسول الله صلعم ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب
ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد ايضا المتصدق يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل وميل القلوب اليه
وينقطع الاطماع عنه متى اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربوا وان كان زيادة في المال الا انه نقصان
في المآل والصدقة ان كان نقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما يقضي به الحس والطبع ويعول على ما ندبه اليه العقل
والشرع والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على الكفر والصيغة للمبالغة كما في قوله والاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو ايضا
للمبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربوا فيكون جاحدا ووجه آخر هو ان يكون الكفار عائدا الى المستحل والاثيم
الى الآكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يعود كلاهما الى آكل الربوا ويكون تغليظا في امر الربوا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الاية دلالة
على انه تعالى سبقت رحمته غضبه بيانه انه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الآثام كالربوا فان استحلاله كفر وهو في
نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فبقي الاية ساكتة عمن جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار و
المواظبة وعن الذي لم يجمع بينهما ثم قد عرف بدليل آخر ان الكفار الذي لم يواظب على سائر الآثام ليس اهلا لمحبة الله تعالى وذلك لا ينافي السكوت عن
حكمه ههنا والله اعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الاية فاحتج به من قال العمل الصالح
خارج عن مسمى الايمان كما مر واجيب بانه قال في الاية واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة ورد بان الاصل حمل كل لفظ
على فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فيبقى في غيره على الاصل لهم اجرهم عند ربهم لم يقل على ربهم لان الاول يجري مجرى ما اذا باع بالنقد فان ذلك النقد حاضر
متى شاء البائع اخذه والثاني جار مجرى البيع في الذمة نسيئة ولا شك ان الاول افضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس اي فيما يستقبلهم من احوال القيمة ولا هم يحزنون
بسبب ما تركوه في الدنيا فان المنتقل من حال الى حال اخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة
فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق اهل الثواب والكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذي حصل
لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الآخرة وايضا انهم لا يحزنون بسبب انه لم يصدر منا طاعة ازيد مما صدر حتى صرنا بها مستحقين لثواب ازيد مما وجدناه
لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وههنا سؤال وهو ان المرأة اذا بلغت عارفة بالله لما بلغت حاضت ثم عند انقطاع حيضها ماتت والرجل بلغ عارفا بالله
وقبل ان يجب عليه الصلوة والزكوة مات فانهما بالاتفاق من اهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف وقف الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب
ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الاية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر ولا يلزم العكس الكلي ثم انه تعالى لما بين ان من انتهى عن الربوا فله ما سلف
كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا فبين انه يحرم اخذ
ما بقي من الربوا في ذمتهم فان قيل كيف قال يا ايها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب هذا كما يقال ان كنت اخي فاكرمني معناه ان من
كان اخا اكرم ومعناه اذ كنتم مؤمنين او ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان او يا ايها الذين آمنوا بلسانكم ذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين
بقلوبكم قال القاضي وفيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى اجتنب كل الكبائر واجيب بان المراد ان كنتم
عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل اذا حضر الوقت وطن نفسه
على ان تلك الزيادة حصلت له فقطامه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقاء ما نهى عنه وهذه الاية اصل كبير في احكام
الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز
في الاسلام فهو عفو لا يتعقب وان كان النكاح وقع على مهر حرام فقبضته المرأة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب
الشافعي واما سبب نزول الاية فعن ابن عباس بلغنا والله اعلم انها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو
المغيرة يربون لثقيف فلما اظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربوا كله فاتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الى عتاب بن اسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة
ما جعلنا اشقى الناس بالربوا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله صلعم فنزلت هذه الاية والتي بعدها
فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله قال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب
وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي ان انتما اخذتما حقكما كله فهل لكما ان تأخذا النصف و
تؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلعم فنهاهما ونزلت الاية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقال السدي
نزلت في العباس وخالد بن الوليد كانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي





الا ان كل ربوا من ربوا الجاهلية موضوع واول ربوا اضعه ربوا العباس بن عبد المطلب فان لم تفعلوا فأذنوا قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربوا ومعنى
قوله ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربوا فان لم تفعلوا اي فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فأذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على ان
من كفر بشريعة واحدة من شرائع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون مالهم فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على
معاملة الربوا لانه خطاب مع قوم تقدم ذكرهم وما هم الا المخاطبون بقوله يا ايها الذين آمنوا ومعنى قوله فأذنوا عند من جعله من الايذان اعلموا
من لم ينته عن الربوا بحرب من الله فالمفعول محذوف واذا امروا باعلام غيرهم فهم ايضا قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهذه القراءة
في الابلاغ آكد ومن قرأ فأذنوا من اذن بالشيء اذا علم به اي كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف امر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على
من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلعم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله
وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اصلا في قطع الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع
من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه ان المصر على عمل الربوا ان كان شخصا قدر الامام عليه قبض عليه واجرى عليه
حكم الله من التعزير والحبس الى ان يظهر منه التوبة وان كان له عسكر وشوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب ابو بكر مانعي الزكوة وكذا
القول لو اجمعوا على ترك الاذان وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربوا وعن معاملة الربوا فلكم رؤس اموالكم لا
تظلمون الغريم بطلب الزيادة على راس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار على ان كان
هي التي هي تامة بمعنى وجد الشيء وحدث في نفسه لا بمعنى وجدت موصوفة بشيء فانها ح يكون ناقصة يحتاج الى الخبر وقرأ عثمان ذا عسرة بمعنى وان
كان الغريم المترائي ذا عسرة وقراءة المشهورة اولى كيلا يكون النظرة مقصورة على الغريم المترائي بل يعم كل من هو من ارباب العسرة وهي اسم من الاعسار
وهو تعذر الموجود من المال فنظرة الى ميسرة النظرة التأخير والامهال وفي الاية حذف والتقدير فالحكم او فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره
على الامر اي سامحه بالانظار وناظره اي صاحب الحق منظرة او ذو نظرة مثل مكان عاشب اي ذو عشب والميسرة اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين
كمقبرة ومقبرة ومن قرأ بالاضافة الى الضمير فقد حذف التاء كقوله واقام الصلوة واختلفوا في ان حكم الانظار مختص بالربوا ام عام في الكل فعن ابن عباس
وشريح والضحاك والسدي وابراهيم الاية في الربوا قال الكلبي قال بنو عمرو لبني المغيرة هاتوا رؤس اموالنا ولكم الربوا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم اهل
عسرة فأخرونا الى ان ندرك الثمرة فابوا ان يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر المفسرين انها عامة في كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو
فرض ان سبب النزول خاص فلا بد من الحاق سائر الصور به لان العاجز عن اداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول اكثر الفقهاء كمالك وابي حنيفة والشافعي والاعسار
في الشرع هو ان لا يجد في ملكه ما يؤديه بعينه ولا يكون له ما لو باعه لامكن اداء الدين من ثمنه ومن وجد دارا وثوبا لا يعدون في العادة اذا امكنه
بيعها واداء ثمنها ولا يجوز له ان يحبس الا قوت يومه لنفسه وعياله وما لا بد لهم من كسوة لصلوتهم ودفع الحر والبرد عنهم هل يلزمه ان يؤجر نفسه من صاحب
الدين وغيره الاصح انه لا يلزمه وكذا لو بذل غيره له ما يؤديه لا يلزمه القبول واما من له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه ان يبيعها بالنقصان ان لم يمكن الا
ذلك واذا علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وان يطالبه بماله عليه ووجب الانظار الى وقت اليسار فاما ان كان له ريبة في اعساره جاز ان يحبسه الى
ظهور الاعسار وكذا ان ادعى الاعسار وكذبه الغريم فان كان الدين الذي لزمه حصل له عن عوض كالبيع والقرض فلا بد له من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك العوض قد هلك
وان لم يكن عن عوض كالاتلاف والصداق والضمان صدق في القول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو الفقر وان تصدقوا اي على المعسر بما عليه من الدين بدل
على ذلك في المعسر وترك راس المال خير لكم لحصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى ان كنتم تعلمون ان التصدق منا خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل
بما علمه كانه لا يعلمه او تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده وتعلمون ان ما يأمركم به ربكم اصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار كقوله صلعم
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وزيف بان الانظار ثبت وجوبه بالاية الاولى فلا بد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما
يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان المعاملين بالربوا كانوا اصحاب ثروة وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر ووعيد فلا جرم وقع ختم احكام
الربوا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال لا اتقاء ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصي وفعل الاوامر في الدنيا فهذا القول
يتضمن الاتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على انه مفعول به والمعنى تأهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله اي الى ما اعد
لكم من ثواب او عقاب او الى علمه وحفظه وذلك ان للانسان احوالا ثلثا على الترتيب الاولى كونه جنينا لا يملك تصرفا ولا تصرف فيه الا لله الثانية خروجه الى
فضاء وهنالك يرى للابوين ولغيرهما تصرف فيه ظاهرا الثالثة ما بعد الموت وهنالك لا يكون التصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا لله تعالى فكانه عاد الى
الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي جزاء ذلك والمكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل المال يحصله بتجارته والمراد ان كل
مكلف فانه يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل ان يقول
كيف يليق باكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذي اوقع نفسه في تلك الورطة لان الله تعالى مكنه
وازاح علته وسهل طريق الاستدلال عليه وامهله هذا على اصول المعتزلة واما على اصول الاصحاب فهو اشارة الى انه تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق و
المالك ذو تصرف في ملكه كيف شاء واراد لم يكن ظلما عن ابن عباس انها آخر آية نزلت على رسول الله صلعم نزل بها جبرئيل وقال ضعها على راس المائتين والثمانين

من البقرة وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات والله تعالى اعلم بحقيقة الحال التأويل اخبر عن حرص اهل الدنيا وهم اكلة الربوا بعد ذكر قناعة اهل العقبى فمثل اكل الربوا كمثل من له جوع الكلب يأكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم الا آكلة الخضر فانها اكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن اخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع في الحديث مثلان احدهما للمفرط بحيث يفضي به الى الهلاك في العقبى في جميع الدنيا واشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم وذلك ان الربيع ينبت احرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق امعاؤها فتهلك ويقارب الهلاك والآخر للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي امطاره ولكنها من كلاء الصيف التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا تراها الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر يكتسب المال بطريق البيع الشرعي ويؤدي حقه وان كان له حرص في الطلب والجمع ولكن لما كان بامر الشرع وطريق الحل ما ضره واحل الله البيع وحرم الربوا يعني كيف يكون ما ازال نور الامر ظلمته مثل ما زاد ظلمة ارتكاب المنهي مرتكب الربوا في ظلمات ثلث ظلمة الحرص وظلمة المعصية وامره الى الله يرزقه من حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وانواره اثيم عامل بالطبع مقيم في ظلمة اصراره ثم اخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين آمنوا ايمان التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة اتباع الهوى باقامة الصلوة وعالجوا ظلمة الركون الى الدنيا بايتاء الزكوة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوات انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل الايمان المجازي فقال يا ايها الذين آمنوا باللسان اتقوا الله اي بالله كما جاء كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه قدامنا ومن شرط المؤمن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربوا اي اتركوا ما سوى الله في طلبه ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا كل زيادة تمنعكم فأذنوا بحرب من الله ورسوله ببعد منهما وبغض وان تبتم تركتم غيره فلكم رءوس اموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان ذو عسرة لم يصل اليه ما ما علا لاجله عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت حصوله اليه آجلا وان تصدقوا بتبذل لوازمنا ما يتمنون من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدر همتكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر هممنا ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين ثم انه سبحانه كما جمع في القرآن خلاصة الكتب كلها وبرجيع في خاتمة الوحي خلاصة القرآن فقال واتقوا يوما الآية وذلك ان فائدة جميع الكتب راجعة الى معنيين النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس والفوز بالدرجات العلى وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسعي للانسان من هذه المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب الاقامة بشرائط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا تقوى الخاص يخرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا من حجب اوصافهم الى رحبة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فيذوقون بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجهم العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى الاوصاف الى قاب قوسين نهاية حجاب النفس بتأييد انوار القدس وهناك من عرف نفسه فقد عرف ربه هو مقام او ادنى ترجعون فيه الى الله لا بمبدأ وجودك النفخة واخرجك الجذبة وبها اصطفى آدم وكرم بنيه ولهذا البقاء ولقد كرمنا بني آدم لان اهل الكرامة منهم من هو بوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا الرجوع وعد وبشارة للاولياء ووعيد وانذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فبقدر مراتبه في العبودية والتقوى يهتدي الى مقامات القرب من الحق ويجتنب فنائه عن حجاب نفسه يبقى ببقاء ذاته وهويته وهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت بخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة الروزنة وضيقه ولا يظلم الشمس عليه مثقال ذرة فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى

ع يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب

ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق

سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان

ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا

ان تكتبوه







ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة

تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا

فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة

فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله

بما تعملون عليم القراءة الا ان يمل هو بسكون الهاء قتيبة والحلواني عن قالون الباقون بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والمفضل الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حمزة وحده فتذكر بالرفع من الاذكار ابو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار وبالنصب ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن بضم الراء والهاء ابن كثير وابو عمرو الباقون فرهان الوقوف فاكتبوه ط للعدل بالعدل ص لعطف المتفقين فليكتب ج شيئا ط بالعدل ط من رجالكم للشرط مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدل الى اجله ط الا تكتبوها ط لابتداء الامر تبايعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد ط بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم الله ط عليم ه مقبوضة ط لابتداء شرط واستيناف معنى آخر ربه ط للعدل الشهادة ط قلبه ط عليم ه التفسير الحكم الثالث المداينة وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين وهما الانفاق وترك الربوا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الآية بكمالها الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية والحث وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الربوا اباح السلف وانزل فيه اطول آية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وذلك ان المبايعات على اربعة اوجه احدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فيبقى ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت الآية واما القرض فلا يدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة في قوله بدين تخليص التداين بمعنى المجازات او التأكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه وليشمل اي دين كان صغيرا او كبيرا سلما او غيره وفي الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن لانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل كلما تداينتم ليكون نصا في العموم لان الكلية تفهم من بيان العلة في قوله ذلكم اقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل ونقول العلة هي التداين والعلة لا ينفك عنها معلولها فيكون القضية كلية كما في قوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا والاجل مدة الشيء ومنه اجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد او الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى امر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل المتداينين اوثق وآمن من النسيان والتفاوت والتخالف في مقدار الدين وفي انقضاء الاجل وفي سائر ما تشارطا عليه هذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي وجمهور المجتهدين على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان في ايجابهما حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة اما المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل احد لوجود امين كثير في الدنيا بل من له استيهال الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب وفي ذلك نص على الاملاء ولكنه يجب ان يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص احدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الالفاظ المجملة التي يقع النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة امر للمداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا قال بعض الفقهاء العدل ان تكتبه متفقا عليه بين المجتهدين ولا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى التنكير في كاتب ان يكتب وقوله كما علمه الله اما ان يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب ان يكتب مثل ما علمه الله ثم قيل قوله بعد ذلك فليكتب تأكيدا للاول فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى اياها واما بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني امرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة له على المقيد فلا يكون الثاني تأكيدا للاول وانما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله واحسن كما احسن الله اليك وقيل انه على سبيل الايجاب لكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن الشعبي انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وان وجد اشخاصا فالواجب كتبة احدهم وقيل متعلق الايجاب هو

ان يكتب كما علمه الله يعني انه بتقدير ان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله وان لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهماله واعلم ان الكتابة
بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا يتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته واجله
الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء لغتان قال الفراء امللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبني اسد وامليت
لغة بني تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهي تملى عليه بكرة واصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا امر ان لهذا المملي الذي عليه الحق بان يقر
بتمام المال الذي عليه ولا ينقص منه شيئا والبخس النقص فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف بعقدته
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي
عليه الحق الذي يلي امره ويقوم بمصالحه من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وفائدة
توكيد المتصل بالمنفصل في قوله ان يمل هو انه غير مستطيع بنفسه لكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع ان الضمير في وليه
عائد الى الحق اي الذي له الدين يمل قبل وفيه بعد لان قول المدعي كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فاي حاجة الى الكتبة والاشهاد ثم المقصود من
الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا اي اشهدوا والاشهاد والاستشهاد
بمعنى لان معنى استشهدته سألته ان يشهد شهيدين اي شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف
منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم اي من رجال اهل ملتكم وهم المسلمون وقيل يعني الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من اهل
العدالة فان لم يكونا اي الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان اي فليكن او فليشهد او فالشاهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يشهدون
جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على انه ليس كل احد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا
شرائط قبول الشهادة ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون
معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي لا يجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وابو حنيفة
وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على ان العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا لم يأذن له السيد فعلم
منه ان العبد لا يجوز ان يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين واحمد يجوز شهادة العبد قالوا لان العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية
والرق وعند ابي حنيفة يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل ان تضل ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان ينساها لغلبة البرد
والرطوبة على مزاجهن او احد النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احديهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له ارادة ان تضل قال
في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب
منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت و
نظيره قوله اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير ههنا غرضان احدهما حصول الاشهاد
وذلك لا يتأتى الا بتذكير احدى المرأتين والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين ان اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية
وذلك لا يتأتى الا بضلال احدى المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين صحيحا ولا محذور ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروي عن
سفيان بن عيينة انه قال فتذكر معناه فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم ان الشهادة خبر
قاطع ولهذا قال ع على مثل الشمس فاشهد او فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد يكفي للحكم به الا في
هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى ازيد من اثنين الا في الزنى لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولا
يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري انه قال مضت السنة من رسول الله صلعم والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وغير هلال
رمضان والزنى اما عقوبة او غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري يستوي فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق
وحق العباد كالقصاص وحد القذف واما غير العقوبات فالتي لا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق
والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين ايضا و
ان كان مما يختص بمعرفته النساء غالبا فتقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روي عن الزهري انه قال مضت السنة ان يجوز شهادة النساء في كل شيء
لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت شيء من ذلك باقل من
اربع نسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الاولى واما ما هو مال او يقصد به المال كالاعيان
والديون والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل
وامرأتين ثبوتها بشهادة رجلين بنص القرآن منزل على هذا القسم الذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد واليمين لما روي انه ص قضى بالشاهد
واليمين وانكره ابو حنيفة ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ما زائدة مبهمة اي اذا دعوا وقيل اي الى اداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها
وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما امر الكاتب ان لا يأبى الكتابة امر الشاهد ان لا يأبى تحمل الشهادة وقيل امر بتحمل





اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين التحمل اولا والاداء ثانيا والقول الاول اصح لانه اطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل في الاطلاق الحقيقة
وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وايضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وايضا الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل
الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء الى الامر بالاداء اولى ليفيد فائدة جديدة وهي ان الشاهد ان كان متعينا وجب عليه الاداء
وان كان فيهم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسأموا ولا تضجروا ولا تملوا ان تكتبوه اي الدين والحق لتقدم ذكرهما على اي حال كان الحق
صغيرا او كبيرا اما جرت العادة بكتبه كالحبة والقيراط فان القليل من المال ربما افضى الى نزاع كثير وانما نهى عن السآمة لانها من الكسل والكسل صفة
المنافق وايضا من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل لكثرة الكتب فاقتضى المقام ترهيبه واهابته ويجوز ان يكون الضمير
للكتاب ان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يخل بكتابته الى اجله الى وقته الذي تعقدا على تسميته ذلكم الكتب وذلكم الذي امرتكم به من الكتب والاشهاد اقسط
اعدل عند الله واقوم للشهادة اعون على اقامة الشهادة وهما امام اسقط واقام فيكون محمولا على قولهم ما افلسه من المذلق واما من قويم وقاسط
بمعنى ذي قسط على طريقة النسب لا فالقاسط الجائر ولا يصح للمعنى ههنا يقال قسط اذا جار واقسط اي عدل وادنى الا ترتابوا واقرب من انتفاء
الريب نبه الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلث فوائد الاولى تتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين اقرب وعن الجهل ابعد فيكون اعدل
عند الله والثانية تتعلق بالدنيا وهو كونه ابلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج اعون للحفظ والذكر والثالثة انه يدفع الضرر عن نفسه بان لا
يضل في امره ولا يتردد وعن غيره بان لا ينسب الى الكذب والخيانة فلا يقع في الغيبة والجهالة فما احسن هذه الفوائد وما ادخلها في الضبط والترتيب
الا ان تكون تجارة قيل هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى اجل قريب وقد يكون الى اجل بعيد فاستثنى
عن المداينة ما يكون اجله قريبا ويحتمل ان يكون استثناء من قوله ولا تسأموا ان تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكن اذا كانت التجارة
حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستأنفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف في المال لطلب الربح وسواء كانت المبايعة بدين
او بعين فالتجارة حاضرة فاذن المراد بالتجارة ههنا ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد
ومن قرأ تجارة بالرفع فعلى كان التامة او الناقصة والخبر تديرونها ومن قرأ بالنصب فالتقدير الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واليوم الاشنع هو الذي ارتفع شره وعلا وذو كواكب اي شديد يقال
للشديد لاريتك الكواكب ظهرا وقال الزجاج تقديره الا ان تكون المداينة تجارة حاضرة اي يكون دينا قريب الاجل فليس عليكم جناح الا تكتبوها
ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والا لزم ان يكون الكتابة المذكورة اولا واجبة وقد اثبتنا خلاف ذلك وانما خص تعالى هذا النوع من التجارة
لكثرة جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة في كل ما جرى فيه حرج عليهم مع ان خوف التجاحد في مثله قليل واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كانه لما رفع
عنهم الكتابة في التجارة الحاضرة كرر الامر بالاشهاد ليعلم ان حكمه باق فيها لان الاشهاد بلا كتابة تخف مؤنته ويحتمل ان يكون امرا بالاشهاد
مطلقا ناجزا كان التبايع او كالئا لانه احوط عن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار
كاتب ولا شهيد يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل فيكون اصله لا يضارر بكسر الراء وبه قرأ عمر وعليه اكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ومعناه
نهي الكاتب ان يزيد او ينقص والشاهد ان يحرف او يترك الاجابة الى ما يطلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف في الكتابة
والشهادة فسوق واثم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد ان التقدير لا يضارر بفتح الراء وبه قرأ ابن عباس وانه نهي للمداينين عن الضرار بالكاتب
والشهيد كان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل ويحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وان تفعلوا ما نهيتكم عن الضرار او كل ما نهيتكم
عنه من فعل معصية وترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار وارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن امر الله وطاعته ومعنى بكم اي ملتصق بكم و
اتقوا الله في اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم واعلم انه سبحانه جعل البياعات في هذا
المقام على ثلثة اقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع في الثاني وقال وان كنتم على سفر
ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان رسول الله
رهن درعه في غير سفر ولكنه وردت الآية على الغالب فان الغالب انه لا يوجد الكاتب في السفر او لا يوجد دوات الكتابة ولهذا قال
ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرئ ولم تجدوا كتابا ونظيره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم
وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر اخذا بظاهر الآية ولا يعمل بقولهما اليوم واصل
الرهن من الدوام رهن الشيء اذا دام وثبت ونعمة راهنة اي دائمة ثابتة والرهن مصدر جعل اسما وزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن
انتصابه انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف وسقف ورهان
مثل كباش في كبش وقيل احدهما جمع الآخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين او فعليه رهن او فالوثيقة او الذي يستوثق
به رهن ويعلم من قوله مقبوضة ان الرهن لا بد في لزومه من القبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن عن الارتهان
وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم واما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن او وكيله

في الرهن

بينه وبين المرتهن او وكيله ويمكنه منه بتسليم المفتاح فيما له مفتاح قبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع
والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدرا فلا بد من النقل مع التقدير بوزن او كيل او ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت اخر
باذنه او وضعه الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فان امن بعض
الداينين بعض المديونين بحسن ظنه بثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ فليكن المديون عند ظن الداين به و
سمى الدين امانة وان كان مضمونا لايتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل انه مجاز مستعار وذلك انه لما اشترك هذا الدين مع
الامانة الشرعية في وصف وجوب الاداء اطلق اللغوية احدهما على الاخر والايمان افتعال من الامن وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ حتى لا يجحد شيئا منه وفي خلده
جحود واخيانة وفي الاية قول اخر وهو انها خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها امانة في يده والصحيح هو الاول
ومن الناس من قال هذه الاية ناسخة للايات المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد واخذ الرهن والحق ان تلك الاوامر محمولة على
الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الاية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس انه قال في اية المداينة نسخ ثم قال وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وفيه
وجوه الاول عن القفال انه تعالى لما اباح ترك الكتبة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون امينا ثم كان من الجائز ان يكون الظن خطأ
وان يخرج المديون جاحدا للحق وكان من الممكن ان يكون بعض الناس مطلعا على احوالهم ندب الله ذلك الانسان ان يشهد لصاحب الحق
بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة ام لا وشدد فيه بان جعله اثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله خير الشهود من شهد
قبل ان يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة ان ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من ادائها عند الحاجة الى اقامتها فان
في ذلك ابطال حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد فقال وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ والاثم الفاجر والاثم مرتفع بانه
فاعله ويجوز ان يكون قلبه مبتدأ واثم خبره مقدما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والتخصيص بجملة اثم الا قلبه وحده هو ان افعال
الجوارح تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي والصوارف واسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاقتراف ومعدن
الاكتساب ابلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي وعن النبي ان في جسد ابن ادم لمضغة اذا صلحت صلح
بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب وزعم كثير من المتكلمين ان الفاعل العارف المامور والمنهي هو القلب وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ فيه تحذير للكاتم ولهذا يروى عن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وشهادة الزور وكتمان
الشهادة التاويل انه تعالى كما امر العباد ان يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين
عباده في الميثاق إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ الى قوله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ واشهد الملائكة
الكرام وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ وانه تعالى كما امركم ان لَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا امر الملائكة ان يكتبوا معاملاتكم الصغيرة
والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا يجعلون ذلك في اعناقكم وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ثم نودي من سرادقات الجلال يا قولي الظلوم
ضعيف الحال اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ثم ان الكتاب يكتبون عليه في صباحه ومسائه وما يكتبون الا من املائه وانه بالقليل
والكثير مما يملي يخاطب بالنقير وبالقطمير على ما يميل عن الحق يعاتب فليحاسب نفسه قبل ان يحاسب فعليه ان يملي الحق فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ
الْحَقُّ سَفِيهًا جاهلا باملاء الحق لاشتغاله بالباطل أَوْ ضَعِيفًا عاجزا مغلوبا بغلبات نفسه أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ لكونه ممنوعا بالعوائق
والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه ولا يضره ولا قوة له فيما لا يجزيه (?) فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ فان لكل قوم وليا يخرجهم من الاحزان
الى السرور ومن الاشجان الى الحبور ومن العجز والفتور الى القوة والحضور اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ استشهدوا من ارباب القلوب شهيدين مِنْ رِجَالِكُمْ الذين هم بالنسبة اليكم رجال وانتم نساء فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
من ارباب القلوب فَرَجُلٌ منهم وَامْرَأَتَانِ اي رجلان من اهل الصلاح ليكونا بمثابة رجل من اهل الولاية في فائدة الصحبة مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ
الشُّهَدَاءِ ممن يصلح ان يكون من شهداء الله كما قال انتم شهداء الله في الارض أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا عن جادة الاستقامة في بادية النفس المملوة من
شياطين الهوى فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى فالرفيق ثم الطريق واعلم ان اهل الله طائفتان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من وقف
في عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب معاملاته
فهو محبوس في سجن الجسد عليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من اعماله الظاهرة بالنقير والقطمير مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ واما
السائر فلا يقف في محل ولا ينزل في منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار
فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي حل جلجلة الشريعة فالاشارة
في قوله وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا اي السيار الذي يخلص من سجن الجسد وقيد الحواس ورحمة التوكيل فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما
قال بعضهم ما كتب علي صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشفني صاحب اليمين وقال لي امل علي شيئا من معاملات قلبك
لاكتبه فاني اريد ان اتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض (?) فبيد التوكيل لمن يؤدي حق صاحب الحق ويكون هو بامره فاما الذي

اما



اناء الليل واطراف النهار يعقبه ويروح في طلب غرته ما يبرح في جرته فما يحتاج الى التوكيل التقييد فالذي هو موكل على الهاد يكون وكيله حفظا
للطالب لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وللسائر فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ عند الله رهان واية رهان قلوب ليس فيها
غير الله قبض واي قبض مقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن اما الطيار الذي هو عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر فلا يطالب
بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد تيمني ثم شفني من هام ضاق مذهبه في هوى من عز مطلبه كل امر في الهوى عجب وخلاصي منه اعجبه فيما يحتاج الى
الرهن المتهم بالخيانة المتعين للامانة فلم يوجد في السموات والارض ولا في الدنيا والاخرة امين يؤتمن ليتحمل عبء امانة الا العاشق المسكين
لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة عشقها فطار فيها والقى نفسه عليها فلما حملها او سحق منها ما تفرد به من صحابه جاءته من الحضرة الغاب
نسب في البداية الى الافساد وسفك الدماء أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ووقع في النهاية بالظلم والجهل إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
جَهُولًا هذا امر عجيب ونقش غريب من لم يطع في حمل الامانة وابى نسب الى المكانة والطاعة والامانة مكين ثم مطاع ثم امين ومن اطاع في حمل
الامانة واتى نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين احدهما ان الذلة والمسكنة وقعت في قسم العاشق كما ان العزة والعظمة
وقعت في طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مراة ذلة العاشق وثانيهما ان من كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن في الظاهر بصلاح
كتمان امر الامانة وقد يختص غير المؤتمن بحسن الثناء عليه ليكون عزته في الظاهر وذلته في الحقيقة يدل على حقيقة حفظ السر خطاب اسجدوا
لادم وعتاب إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كما اخترتك من بين الخليقة واصطفيتك على البرية بحمل الامانة فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ
أَمَانَتَهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ اشهدتكم على انفسكم يوم الميثاق باقرار قبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فاليوم اطالبكم باداء حقها فادوها
الي ملفوفة بلفافة التقوى لا بايمان عريان ولباس التقوى وفي كتمان الشهادة ان يكون شهودا مع غير شواهد بك وهذا من نتائج خيانة
تلك الامانة سرك بربك فلا يشاهد تلك الا شواهد بك لا يؤدي سرك حقيقة امانة ربك الا الى ربك بربك لربك لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ
آسمانهاست وآنچه در زمین است واگر ظاهر سازید آنچه را که در نفسهای شماست یا پنهان داریدش حساب کند شما را خدا پس بیامرزد آنرا که خواهد وعذاب کند آنرا که خواهد
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا
و خدا بر همه چیزی تواناست — ایمان آورد پیغمبر بآنچه فرستاده شد بسوی او از پروردگارش و مومنان هر یک گرویدند بخدا و فرشتگان او و کتابهای او و پیغمبران او
نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا
جدائی نیست میان هیچیکی از پیغمبران او و گفتند شنیدیم و پیروی کردیم بخشش ترا میخواهیم ای پروردگار ما و بسوی تست بازگشت تکلیف نکند خدا هیچ نفسی را مگر بقدر توانائی او
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا
مر او راست آنچه کسب کرد و بر اوست عقوبت آنچه کسب کرده ای پروردگار ما بار مکن بر ما آنچه که طاقت نیست ما را بدان و درگذر از ما و بیامرز ما را و رحم کن بر ما توئی خداوند ما پس نصرت ده
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ القراءة فيغفر لمن يشاء بادغام الراء في اللام ابو عمرو وجملة اهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب
بر گروه کافران بوفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرأ حمزة غير ابي عمرو والحلواني عن قالون وابن مجاهد وابو عون
ابو ربيعة عن البزي وخلف لنفسه يعذب من بالاظهار ابو عمرو يدغم ويعذب من يشاء كل القران وكتابه على وخلف الباقون وكتبه
جمعا لا يفرق بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون اخطانا مثل فادارأتم الوقوف ما في الارض ط بالله ط لمن يشاء فيغفر بالرفع على
الاستيناف اي فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير ط والمؤمنون ه لمن لم يقف على من رسله ط المصير ه وسعها ط ما اكتسبت ط
او اخطانا ج من قبلنا ج لان النداء للابتداء ولكن الواو لعطف السؤال لنا به ج واعف عنا وقفه واغفر لنا كذلك وارحمنا كذلك لتفصيل
بين انواع المقاصد لاعتراف بان اطاعتنا غير واحد الكافرين ه التفسير انه تعالى لما جمع في هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهي دلائل
التوحيد والنبوة والمعاد واشياء كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف كالصلوة والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق
والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربوا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وعلى كمال علمه وهو قوله وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ وعلى كمال قدرته وهو قوله فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وفي ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين عن ابي مسلم انه لما قال وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ذكر عليه دليلا عقليا فان كان فاعلا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لا بد ان يكون محيطا باجزائها
وجزئياتها وقيل لما امر بالوثوق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر ما علم منه ان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به قال الشعبي
وعكرمة ومجاهد انه تعالى اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وابي هريرة واللفظ
له لما نزلت إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلعم فاتوا رسول الله صلعم ثم بركوا على الركب
فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والصدقة وقد انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله

اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقراها
القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا
يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم
الكافرين قال نعم واعلم ان العلماء اتفقوا على ان الامور التي تخطر بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ازالتها عن النفس لا يؤاخذ بها لانها تجري
مجرى تكليف ما لا يطاق واما الخواطر التي يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على ادخالها في الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تعالى ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من افعال القلوب ثم قال بعضهم انما يؤاخذ بها في الدنيا لما روى الضحاك عن
عائشة انها قالت ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه في الدنيا او حزن او اذى فاذا جاءت الاخرة لم يسئل عنه ولم يعاقب
وروت انها سالت النبي صلعم عن هذه الاية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل فانه في محل العفو لما روي انه
قال بعد نزول قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان الله تجاوز لامتي ما حدثوا به انفسهم ما لم يعملوا او يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه ان يدخل ذلك العمل في الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا لو قيل ان معنى كونه
حسيبا ومحاسبا كونه عالما بما في الضمائر والسرائر فيغفر لمن يشاء وان كان من اصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة
بالتوبة وهو تخصيص بغير دليل ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل
ان يكون له عبدا منقادا خاضعا لاوامره ونواهيه محترزا عن سخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون فان كمال الربوبية في الواجب يستلزم كمال العبودية في الممكن وكمال العبودية في الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه وذلك قوله لا يكلف
الله نفسا الا وسعها الى اخر السورة او نقول انه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب فبين في اخرها ان الذين مدحهم في اول السورة
هم امة محمد والمؤمنون كل امن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا واطعنا كما قال هناك ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وقال ههنا
غفرانك ربنا واليك المصير كما قال هنالك وبالاخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم بقوله ربنا لا تؤاخذنا الى اخر السورة كما قال هناك
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون او نقول انه تعالى لما ذكر في هذه السورة انواع الشرايع والاحكام بين ان الرسول عرف
بالمعجزة الدالة على صدق الملك ان ذلك وحي من الله وصل اليه وان الذي اخبره بذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف وان الشيطان
مضل ثم ذكر عقيبه ايمان المؤمنين بذلك لمعجزات اظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدلت الامة بها على انه صادق في دعواه وهو المرتبة
المتاخرة ومن تامل في نظم هذه السورة وفي بدايع ترتيبها علم ان القران كما انه معجز بسبب فصاحة الفاظه وبلاغة معانيه فهو ايضا معجز بحسب ترتيبه
ونظم مبانيه ولعل الذين قالوا انه معجز باسلوبه ارادوا ذلك ثم ههنا احتمالان احدهما ان يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى
امن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم ابتداء بقوله كل امن فيكون الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل عائدا الى الرسول والى المؤمنين اي كلهم
امن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين امن ولهذا وحد ومثل هذا الضمير يجوز ان يفرد بمعنى كل واحد ويجوز ان يجمع كقوله
وكل اتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه تعالى ما كان مؤمنا بربه ثم امن فيحمل عدم الايمان على وقت الاستدلال وذلك انه عرف بما ظهر من
المعجزات على يد جبرئيل عم ان هذا القران وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب القاء الشياطين ولا
من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثاني ان يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتداء من قوله والمؤمنون كل امن وفي هذا الاحتمال
اشعار بان الذي حدث هو ايمانه بالشرايع التي نزلت عليه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اما الايمان بالله وملائكته و
كتبه ورسله على الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من اول الامر بل كان نبيا وادم بين الماء والطين كما ان عيسى خلق كامل العقل حتى قال
في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذلك لان الذي نزل اليه من ربه قد يكون متلوا يسمعه الغير
ويعرفه فيمكنه ان يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو مختصا بالايمان به ولا يتمكن الغير من الايمان به واعلم ان الاية دلت
على ان معرفة هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان المرتبة الاولى هي الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ والرسول يتوقف على وجود المبلغ
والمرسل والثانية الايمان بالملائكة فانهم وسائط بين الله وبين البشر ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى
والثالثة الكتب فانه الوحي الذي يتلقفه الملك ويوصله الى النبي فمثال الملك في عالم الصورة جرم القمر ومثال الوحي نور القمر فكما ان القمر يستفيد
من الشمس ويوصله الينا فكذا الملك ياخذ الوحي من الله تعالى ويلقيه على الانبياء فلا جرم وقع الرسل في المرتبة الرابعة وهذا الترتيب مما
تقتضيه حكمة عالم التكليف والوسائط والا فلي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل معلوم للانبياء وهذا استطلاع منه
على اسرار اخرى ان كنت من اهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله وباحكامه وباسمائه اما الايمان بوجوده فهو





ان تعلم ان وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالمجسم يكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف معهم في ذات الله تعالى واما الفلاسفة
والمعتزلة فالخلاف معهم في الصفات لا في الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز واما الايمان بصفاته فالصفات اما
ثبوتية او سلبية او اضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح صفة له تعالى بها وما لا يصح وكذا في تفسير اية الكرسي واما الايمان بافعاله فان تعلم ان
كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التي تسمى اختيارية للحيوانات فان ذلك لان مشية الانسان محدثة منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر
في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم واما الايمان باحكامه فان تعلم انها غير معللة بغرض وان كان
يترتب عليها الفوائد وان تعلم ان المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم ان له
الالزام والحكم في الدنيا كيف شاء واراد وان تعلم انه لا يجب على الخلق بسبب الاعمال شيء وانه في الاخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء
بعدله ولا يقبح منه شيء لان الكل ملكه وملكه واما الايمان باسمائه وهي الاسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كلمات انبيائه المرسلة وقد
مر في تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله اما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية محضة
او جسمانية محضة او مركبة من القسمين وعلى تقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية او هوائية فذاك مقام العلماء الراسخين
في العلوم القرانية والبرهانية ويدخل في الايمان بالملائكة اعتقاد انهم معصومون وان لذتهم بذكر الله وحيوتهم بمعرفته وطاعته وانهم
وسايط بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من اقسام هذا العالم واما الايمان
بالكتب فان تعلم ان كلها وحي من عند الله وليس لاحد من المخلوقات ان يلقي فيها شيئا من عند انفسهم ولا سيما في القران العظيم وان من قال
ان ترتيب القران على هذا الوجه شيء فعله عثمان فقد اخرج القران عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القران مشتمل على المحكم والمتشابه
ومحكمه ما يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فان تعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي امر التبليغ وفي الاخلاق والافعال
كما مر في قصة ادم وان تعلم ان النبي افضل ممن ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وان بعض الانبياء افضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض واما فضلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء افضل من الملائكة وقال كثير من العلماء ان الملائكة السموية افضل منهم
وانهم افضل من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك في قصة ادم ايضا وان تعلم ان شرعهم وان صار منسوخا الا ان نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم
الان انبياء ورسل كما كانوا وافترق بعض المتكلمين في ذلك فهذه اشارة الى اصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واما من قرأ وكتابه
على الوحدة فاما ان يراد به القران ثم الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب والرسل واما ان يراد جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف
قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال احل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا الاحلال شائع في جميع الصيام قال العلماء قراءة
الجمع اولى للمشاكلة ما قبله وما بعده وقيل قراءة الافراد اولى لان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب ومن
قرأ لا نفرق بالنون فلا بد من اضمار اي يقولون لا نفرق ومن قرأ بالياء على ان الفعل لكل فلا احتاج الى الاضمار ثم ان الجملة خبر بعد خبر او حال واحد
في معنى الجمع اي بين كل منهم وبين اخر منهم فان النكرة في سياق النفي تعم ولذلك صلحت لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل
لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق في الايمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على ايديهم حسب دعاويهم
والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد وعن ابي مسلم لا نفرق ما جمعوا كقوله واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واعلم ان قوله امن الرسول الى قوله بين احد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا
سمعنا واطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة او نقول ان للانسان اياما ثلثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة
المبدا واليوم البحث عنه يسمى بالوسط والغد والفحص عنه يسمى بعلم المعاد فقوله امن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدا وقالوا سمعنا و
اطعنا اشارة الى الوسط وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله في اخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله
وهو معرفة المبدا الا ان الكمالات الحقيقية ليست الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر
فيه كمال القدرة واما علم الوسط وهو علم ما يجب ان يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب
وتفويض الامور كلها الى مسبب الاسباب وهو قوله وتوكل عليه واما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون اي ليوم غد سيصل اليك فيه
نتايج اعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدا وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة
الى علم المعاد كقوله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الاسرار مما يكون يجذب من حضيض عالم الاسرار الى فسحة عالم الانوار وفي
قوله والمؤمنون كل امن بالله اشارة الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدي اي سمعنا قوله
واطعنا امره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى ههنا اولى ليفيد انه ليس في الوجود قول يجب سمعه الا قوله ولا امر تجب طاعته الا امره والسماع ههنا بمعنى
القبول اي سمعناه باذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلم فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال
واطعنا فدل هذا على انه كما صح اعتقادهم في هذه التكاليف فهم ما اخلوا بشيء منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما و

علا غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله اى اغفر ويقال غفرانك لا كفرانك من قوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اى لن تعدموا جزاءه وفى
الكشاف اى نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسألك غفرانك فيكون مفعولا به لا اشهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال والاستغناء به عن فعله
نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو ان القوم لما قبلوا التكليف وعملوا به فاى حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا ان يكون فرط منهم تقصير فيما
يأتون ويذرون ولعلهم كانوا يرتقون فى درجات العبودية فيستغفرون مما تخلفوا ومن ههنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وقد ورد
قوله ﷺ وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة على مثل هذا ولان جميع الطاعات فى جنب مواجب حقوق الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكى
عن اهل الجنة دعواهم فيها سبحانك اللهم اى ننزهك عن تسبيحنا وتقديسنا وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين اى كل الحمد له وان كنا لا نقدر
على فهم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران مقرون بامرين احدهما بالاضافة اليه والثانى بقوله ربنا اما القيد الاول
فمعناه اطلب المغفرة منك لانك الكامل فى هذه الصفة والمطموع من الكامل فى صفة ان يعطى عطية كاملة وذلك الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها
حسنات ويكون الاضافة اشارة الى ما ورد فى الحديث ان لله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزءا منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات
فبها يترحمون ويتعاطفون واخر تسعة وتسعين جزءا الى يوم القيمة ولعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فانما يظهر اثرها فى محل معين فلولا الوجود
بعد العدم ما ظهر آثار قدرتك ولولا الترتيب العجيب والتأليف الانيق ما ظهرت آثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر آثار مغفرتك
ورأفتك واطلب الغفران الذى لا يمكن ظهوره الا فى حقى وفى حق امثالى من المذنبين واما القيد الثانى فمعناه ربيتنى اذ وجدتنى مع انك لو لم
تربنى فى ذلك الوقت لم تتضرر به لانى كنت ابقى فى العدم والآن لو لم تربنى تضررت به فاسألك ان لا تهملنى وربيتنى حين لم اذكرك بالتوحيد فكيف يليق
بكرمك ان لا تربينى وقد افنيت عمرى فى توحيدك وربيتنى فى الماضى فاجعل تربيتك لى فى الماضى شفيعا اليك فى ان تربينى فى المستقبل او ربيتنى
فيما مضى فاتمم هذه التربية فيما يستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه واليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع احد الا باذنك وفيه اعتراف
بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له المحيا وله الممات قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه
النظم انهم قالوا سمعنا واطعنا فكأنهم قالوا كيف لا نسمع ولا نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما فى وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى مستأنفا فالوجه انهم لما قالوا سمعنا واطعنا ثم طلبوا
المغفرة دل ذلك على انه لا يصدر عنهم ذنب الا على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق
عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فانه كان من امكان الانسان وطاقته ان يصلى اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ولكنه تعالى
ما جعل فى الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رأفته واعلم ان المعتزلة عولوا فى نفى تكليف ما لا يطاق على هذه الآية ثم استنبطوا منها اصلين الاول ان
العبد موجد لافعال نفسه فلو كان بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفعها لضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد
بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثانى ان الاستطاعة قبل الفعل والا لكان المأمور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق اما الاشاعرة
فقالوا تكليف من مات على الكفر كابى لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب ان العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان
حتى يلزم التكليف بالنقيضين والتكليف بامر ممكن لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذى هو محل النزاع لكن الاشعرى لما كانت حجته قوية
عنده خصص الآية بانها انما وردت فى التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق من اهل النار على
انه لو جعلت من قول المؤمنين لم يبق فيها حجة ويحتمل ان يقال ما حكاه عنهم فى معرض المدح وجب ان يكونوا صادقين فيه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
قال الواحدى ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل الاكتساب اخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب ما يكتسب لنفسه
خاصة وقيل فى الاكتساب مزيد اعتمال وتصرف فلهذا اختص بجانب الشر دلالة على ان العبد لا يؤاخذ من السيئات بما عقد الهمة عليه وربط القلب به
بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيف ما صدر عنه قالت المعتزلة فى الآية دليل على ان الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد فلو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه
الاضافة وجرى صدور افعاله منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له عليه البتة ولانتفت فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة
مرارا وكذا تقرير الكسب وبيان المذاهب فيه فى تفسير قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب بالآية على فساد القول بالمحابطة
لانه تعالى بين ان لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح فى ان الاستحقاقين يجتمعان وانه لا يلزم من طريان احدهما زوال الآخر وقال
الجبائى تقدير الآية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفره بالتوبة وانما اضمرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة
دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالآية فى ان الله تعالى لا يعذب الاطفال بذنوب آبائهم والفقهاء تمسكوا بها فى
اثبات ان الاصل فى الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها ان المضمونات لا تملك باداء الضمان لان المقتضى لبقاء الملك قائم
وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل ام الولد والمدبر ومنها انه لا شفعة للجار لان
المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل فى الشريك لكثرة تضرره بالشركة فيبقى فى الجار على الاصل ومنها ان القطع
لا يسقط الضمان لوجود المقتضى والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان منكرى وجوب الزكوة
احتجوا به والجواب ان دلائل وجوب الزكوة اخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين اربعة انواع من الدعاء الاول ربنا لا تؤاخذنا

ان نسينا





ان نسينا او اخطأنا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت وعاقبت اللص وقيل معنى المشاركة فيهما ان الناسى قد امكن من
نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فصار من يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه فى ايذاء نفسه وفى التفسير الكبير ان الله يأخذ المذنب بالذنب والمذنب يأخذ ربه بالعفو
والكرم اى يتمسك عند الخوف عن عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو ان يترك الفعل لتأويل فاسد والخطاء
وهو ان يفعل الفعل لتأويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم اى تركوا العمل فتركهم ان يثيبهم واما ضد الذكر فقد ورد عليه ان النسيان والخطاء متجاوز
عنهما فى قوله ﷺ رفع عن امتى الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الاول ان النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا
يعذر فيه اى ما فى ثوبه وامكن ازالته الى ان نسى فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا اذ كان لزمه المبادرة الى ازالته وكذا اذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى
نسى فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسى فانه يكون معذورا وروى انه ﷺ كان اذا اراد ان يذكر حاجة شد خيطا فى اصبعه فثبت
ان الناسى قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر واذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل انه ذكر النسيان والخطاء
والمراد بهما ما هما مسببان عنهما من التفريط والاغفال الثانى ان هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين بالله حق تقاته فما كان يصدر عنهم
ما لا ينبغى الا على وجه الخطاء والنسيان فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكانه قيل ان كان النسيان مما
يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث العلم بان النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فربما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له
قبل الدعاء من فضل الله اما لاستدامته واما لاعتداد تلك النعمة ولغير ذلك كقوله قل رب احكم بالحق ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع ان مؤاخذة الناسى غير ممتنعة عقلا وانما رفع عدم المؤاخذة بالآية والحديث فلما كان
ذلك جائزا فى العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول الناسى غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه
جائز من الله تعالى عقلا لما ارشد الله تعالى الى طلب ترك المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو لاهل الكبائر فلولا ان النسيان والخطاء لا بد ان يفسرا
بما فيه العمد والقصد الى فعل ما لا ينبغى اذ لو فسرا بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا
فسر بما ذكرنا وقد امر الله المسلمين ان يدعوه بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة
مرجوا النوع الثانى من الدعاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ثم سمى العهد اصرا لانه ثقيل والاصر
العطف لان من عطفت عليه ثقل على قلبك ما يصل اليه من المكاره يقال ما تأصرنى على فلان آصرة اى ما تعطفنى عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد
علينا فى التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم فى الزكوة ومن اصاب
ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا فى الدنيا فاجاب الله تعالى دعاءهم كما قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وقال ﷺ رفع عن
امتى المسخ والخسف والغرق وانما طلبوا هذا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب العقوبة وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا وميثاقا
يشبه ميثاق من قبلنا فى الغلظ والشدة وهو قريب من الاول قال بعض العلماء لما كانت الفظاظة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم
فى التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غلب عليهم وكانت مصلحتهم فى التخفيف وترك التغليظ واما ان اليهود لم خصت بغلظ
الطبع وهذه الامة باللطافة والكرم فليس لنا ان نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يدرك كله لا يترك كله النوع الثالث من الدعاء ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به من الاصحاب من تمسك به فى جواز تكليف ما لا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء واجاب المعتزلة عنه بان
معنى قوله لا طاقة لنا اى يشق فعله لا الذى لا قدرة لنا عليه وفى الحديث ان النبى ﷺ قال فى المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق اى لا
يشق عليه وزيف بان معناه ومعنى الآية المتقدمة يكون نحوا واحدا فلو اعترض لذلك فقالوا المراد منه العذاب اى لا تحملنا عذابك الذى لا نطيق حمله
سلمنا انهم سألوا الله تعالى ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز ان يفعل خلاف ذلك كما ان قوله رب احكم بالحق لا يدل
على جواز ان يحكم بالباطل وكذا قول ابرهيم ولا تخزنى يوم يبعثون لا يدل على ان خزى الانبياء جائز وقيل لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذى
لا قدرة عليه بالتحميل واجيب بان الحاصل فيما لا يطاق هو التحميل دون الحمل لما طلب اولا ان لا يكلف بالفعل الشاق كان من لوازمه ان لا يكلف بما لا يطاق فكان
المناسب طرح هذا الدعاء لا اقل من عكس الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر اى لا تحملنا عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التى
كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم فى المحافظة عليها واما على تفسير الاشاعرة فهو انهم سألوا ان لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا
وهو التكليف بما كلف من قبلهم ثم سألوا ان لا يكلفهم التكليف الشاق الذى لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم ام لا وقيل الاول طلب
ترك التشديد فى مقام القيام بظاهر الشريعة والثانى طلب ذلك فى مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله وخدمته وشكر نعمه اى كما لا نطيق منك
حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة يليق بقدس عظمتك وكمالك اما الفائدة فى حكاية هذه الادعية بصيغة الجمع فى لا تؤاخذنا
ولا تحمل علينا فذلك لانه اذا اجتمعت النفوس والهمم على شيء كان حصوله ارجى النوع الرابع من الدعاء واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وانما حذف النداء
وهو قوله ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القرب والزلفى من الله و
الفرق بين العفو والمغفرة والرحمة ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة ان يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة فان الخلاص

عذاب النار انما يطيب لما حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسمانى والثانى هو العذاب الروحانى وبعد التخلص منهما اقبل على طلب الثواب وهو ايضا قسمان جسمانى هو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحانى وهو اقبال العبد بالكلية على مولاه وهو قوله انت مولينا ففيه الاعتراف بانه سبحانه هو المتولى لكل نعمة ينالونها وهو المعطى لكل مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذى لا تتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد الذى لا ينتظم شمل مهامه الا باصلاح مولاه وبهذا الاعتراف يحق الوصول الى الحق من عرف نفسه اى بالامكان والنقصان عرف ربه اى بالوجوب والتمام ثم اذا وصل الى الحق اعرض بالكلية عما سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين اعنا على قهر كل من خالفك ... وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية الى ما سواك عن رسول الله السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة وعنه من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وعنه اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبى قبلى وعنه انزل الله ايتين من كنوز الجنة ... قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل ...

[illegible]

... عنا حجب انانيتنا واغفر لنا شواهد هويتك وارحمنا برفع البينونة من بيننا انت مولينا وولينا فى رفع وجودنا وناصرنا فى نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين ... على قمع كفار الانانية التى تمنعنا من وحدتك ... فارفع بجودك انيتى من البين وحسبى الله

## سورة ال عمران وهى مدنية حروفها ١٤٢٠٤ كلماتها ٣٤٨٠ اياتها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ اللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّوْمُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَاَنْزَلَ التَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَاَنْزَلَ الْفُرْقَانَ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ ذُو انْتِقَامٍ



اِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى الْاَرْضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ هُوَ الَّذِىْ يُصَوِّرُكُمْ فِى الْاَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ هُوَ الَّذِىْ اَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ مِنْهُ اٰيٰتٌ مُّحْكَمٰتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتٰبِ وَاُخَرُ مُتَشٰبِهٰتٌ فَاَمَّا الَّذِيْنَ فِىْ قُلُوْبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُوْنَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَاْوِيْلِهٖ وَمَا يَعْلَمُ تَاْوِيْلَهٗٓ اِلَّا اللّٰهُ وَالرّٰسِخُوْنَ فِى الْعِلْمِ يَقُوْلُوْنَ اٰمَنَّا بِهٖ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ اِلَّآ اُولُوا الْاَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً اِنَّكَ اَنْتَ الْوَهَّابُ رَبَّنَآ اِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيْهِ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيْعَادَ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ اَمْوَالُهُمْ وَلَآ اَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللّٰهِ شَيْـًٔا وَاُولٰٓئِكَ هُمْ وَقُوْدُ النَّارِ كَدَاْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوْبِهِمْ وَاللّٰهُ شَدِيْدُ الْعِقَابِ

[illegible]

ان ربنا قيم على كل شئ يكلأه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء
فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا لا ياكل الطعام
ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة وغذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام و
يشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال فكيف يكون هو كما زعمتم فسكتوا ثم ابوا الا الجحود ثم قالوا يا محمد الست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال
بلى قالوا فحسبنا فنزل فاما الذين فى قلوبهم زيغ الاية وتمام القصة سيجئ فى اية المباهلة ان شاء الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة له نظم
عجيب ونسق بديع وذلك ان اولئك النصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوه فى شأن الالهية او فى امر النبوة اما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى حى قيوم كما مر
فى تفسير اية الكرسى وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان ياكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل من نفسه وهذه الكلمة
اعنى قوله الله لا اله الا هو الحى القيوم جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث واما الثانى فقوله نزل عليك الكتاب بالحق
كالدعوى وقوله وانزل التورية والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريرها انكم وافقتمونا على ان التورية والانجيل كتابان الهيان لانه تعالى قرن
بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين اقوال الكاذبين ثم ان المعجز قائم فى كون القرآن نازلا من عند الله كما قام فى الكتابين واذا كان الطريق
مشتركا فالواجب تصديق الكل كالمسلمين اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد ولم يبق بعد ذلك عذر لمن نازع فى دينه فلا جرم ختم بالتهديد
والوعيد فقال ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد وانما خص القرآن بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا
فيه وانهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب فالمراد هناك نزوله مطلقا من غير اعتبار التنجيم قال ابو مسلم معنى قوله بالحق صدق فيما
تضمنه من الاخبار عن الامم او ان ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق فى العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق
الباطل او انه قول فصل وليس بالهزل وقال الاصم اى بالحق الذى يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف
فى المعاملات وقيل مصونا من المعانى الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا قيما لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفى قوله مصدقا لما بين يديه
انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا
استحال ان يسلم من التحريف والخرافة وفيه انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع
التى هى صلاح كل زمان فان قيل كيف سمى ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مجازا فى معنى التقدم او لغاية ظهور تلك الاخبار جعلها كا
لحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكام اكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول دالة
على ان احكامها ثبتت الى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة
فى ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا تختلف والتورية والانجيل اسمان اعجميان احدهما بالعبرية والاخر بالسريانية
فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف ذلك فقال الفراء التورية معناها الضياء والنور من ورى الزند يرى اذا قدح و
ظهرت النار قال واصلها تورية بفتح التاء والراء وفيه قلبت الياء الفا او تورية بكسر الراء تفعلة مثل توصية الا ان الراء فتحت على لغة طى
فانهم يقولون فى ناصية ناصاة وزعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث واما الانجيل
فالزجاج انه افعيل من النجل الاصل اى هو الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وقيل من نجلت الشئ استخرجته اى به تم اظهار الحق بسببه ابو عمرو الشيبانى التناجل
التنازع سمى بذلك لان القوم تنازعوا فيه ومعنى قوله من قبل اى من قبل ان ينزل القرآن وهدى للناس اما ان يكون عائدا الى الكتابين عائدا الى
الكتابين فقط فيكون قد وصف القرآن بانه حق ووصف التورية والانجيل بانه هدى وانما لم يوصف القرآن بانه هدى مع انه قال فى اول البقرة هدى
للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن فذكر انه حق فى نفسه سواء قبلوه او لم يقبلوه واما الكتابان فهم قائلون بصحتهما
فنعتهما بالهداية لذلك واما ان يكون راجعا الى الكتب الثلاثة وهو قول الاكثرين وانزل الفرقان قيل اى جنس الكتب السماوية لانها كلها يفرق
بين الحق والباطل وقيل اى الكتب التى ذكرها كانه وصفها بوصف اخر فيكون كما قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم وقيل اى
الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شئ من الشرائع والاحكام وانما هو مواعظ ويحتمل ان يجاب بان غاية المواعظ هى
الزام الاحكام المعلومة فيؤل الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشانه واظهارا لفضله وفى التفسير
الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلاثة بين انه انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذى يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها وبين كلام الخلق
ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلائل وهم اولئك النصارى او كل من اعرض عنها لان خصوص السبب لا يمنع عموم
اللفظ فقال ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالبه احد لقدرته ذو انتقام
له انتقام عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم وانتقمت منه اذا كافاته بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب
وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثانى صفة الفعل قوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شئ لما ذكر انه
حى قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما بكميات حاجاتهم وكيفياتها و





وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على دفعها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات فاشار الى ذلك بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ و
الثانى لا يتأتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فاشار اليه بقوله هو الذى يصوركم ثم فيه لطيفة اخرى وهى انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله
لا يخفى عليه شئ والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز ان يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات
بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلى فلا جرم قال هو الذى يصوركم فى ظلمات الارحام فان البنية العجيبة والتركيب الغريب من اعضاء
مختلفة فى الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها شرايين وبعضها اعصاب ثم انه ضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتاليف الاكمل
وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا من العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية
واشرفها تعديل المزاج واشار اليها بقوله هو الذى يصوركم وروحانية واشرفها العلم فلا جرم اشار الى ذلك بقوله هو الذى انزل عليك
الكتاب ويحتمل ان يكون نزول هذه الايات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا فى ذلك على نوعين من الشبه احديهما تتعلق
بالعلم وهو ان عيسى كان يخبر عن الغيوب وذلك قوله تعالى وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم والثانية تتعلق بالقدرة كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غيرهما فازال شبهتهم الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فمن المعلوم بالضرورة من حال عيسى
انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشياء فيه دلالة قاطعة على انه ليس باله ولكن احاطته ببعض الغيبيات لا يدل على كونه الها لاحتمال
انه علم ذلك بالوحى او الالهام وازال شبهتهم الثانية بقوله هو الذى يصوركم وذلك ان الاله هو الذى يقدر على ان يصور فى الارحام من قطرة صغيرة من
النطفة هذا التركيب العجيب والتاليف الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لامات اولئك
الذين اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتة بعض الاشخاص واحياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة على يديه والعجز عن اماتة
البعض واحيائه يدل على عدم الالهية قطعا واما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات المتناسبة
الى مقدمات الزامية وهو انكم ايها المسلمون توافقوننا على انه ما كان له اب من البشر فيكون ابنا لله والجواب عنه بقوله ايضا هو الذى يصوركم
لان هذا التصوير لما كان منه فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء من غير اب وقالوا للرسول الست تقول ان عيسى كلمة الله
وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظى واللفظ محتمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل
العقلى كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التأويل او تفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذى انزل عليك الكتاب الاية فظهر انه ليس فى اسئلتهم
حجة ولا شبهة الا وقد اشتملت هذه الايات على دفعها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة فى قوله فى الارض ولا فى السماء مع انه لو اطلق كان ابلغ قلت
الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى لعظمتهما فى الحس والحس متى اعان العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك
اكمل وهذه فائدة ضرب الامثلة فى العلوم قال الواحدى التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة حاصلة للشئ عند ايقاع التاليف بين
اجزائه واصله من صاره اذا اماله وذلك ان الصورة مائلة الى شكل ابويه والارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف و
قيل سمى رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم اى صوركم لنفسه ولتعبده وكيف فى موضع الحال اى على اى حال اراد
طويلا او قصيرا اسود او ابيض حسنا او قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهتهم اعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين
بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب
واحياء بعض الاشخاص لا يكفى فى كونه الها ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب احكمت اياته الر تلك
ايات الكتاب الحكيم والمراد كونه كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعانى وانه بحيث لا يتمكن احد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه
ودل على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثانى والمراد انه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والاعجاز والبراءة من التناقض والتناقض ثم ان هذه
الاية هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فيعنى
ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر وبالمتشابه القدر المشترك بين المجمل والمؤول كما تقرر فى المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام
فى اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام يمنع الفرس من الاضطراب وفى حديث النخعى احكم اليتيم كما تحكم ولدك اى امنعه
من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغى واما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لا يهتدى
الانسان اليه متشابها اطلاقا لاسم السبب على المسبب ونظيره المشكل لانه اشكل اى دخل فى شكل غيره ثم ان كل احد من اصحاب المذاهب يدعى ان الايات
الموافقة لمذهبه محكمة ولقول خصمه متشابهة فالمعتزلى يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا ان يشاء الله متشابه
والسنى يقلب الامر فى ذلك وكذا المعتزلى يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسنى بالعكس فلا بد من
قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظى او عقلى والدليل اللفظى لا يكون قاطعا البتة لتوقفه
على نقل اللغات وعلى وجوه التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلى والعقلى
وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون اولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه فى المسائل الاصولية فاذن لا سبيل الى صرف اللفظ عن معناه

الراجح الى معناه المرجوح الا بالدلالة القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى
من هذا اللفظ ما اشعر به ظاهره فعند هذا لا يحتاج الى ان يعرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ماذا لان السبيل الى ذلك انما يكون بترجيح مجاز على
مجاز وترجيح تأويل على تأويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بينا ولا سيما المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر فاذن الخوض
في تعيين التأويل غير جائز والله اعلم المسألة الثانية في حكاية اقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس ان المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة
الانعام قل تعالوا اتل الى آخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع لان هذه الآي كذلك والمتشابهات هي التي اشتبهت على اليهود كاوائل
السور اولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه وعنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم
المحكم هو الذي يكون دلائله واضحة لائحة كانشاء الخلق في قوله فخلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتأمل كآيات
البعث فان التأمل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى الاصم بوضوح الدلائل جلائها وبالخفاء خلاف ذلك
فهذا هو الذي ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والمؤول وان عنى بالواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته
بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن متشابه فان انشاء الخلق ايضا يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري ينسب ذلك
الى الطبيعة والمنجم الى تأثير الكواكب لعل الاصم يسمي ما هو ابعد عن الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل كل ما امكن تحصيل
العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي او بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيامة وبمقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف
فذلك متشابه المسألة الثالثة في انه لم جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها من الملحدة من طعن فيه وقال كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه المرجوع
اليه في دينه الموضوع الى يوم القيامة بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والنافي
فيها يتشبث بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي ليس كمثله شيء فكل منهم يسمي الآيات
الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها على بعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكيم مع انه
لو جعله كله ظاهرا جليا خالصا عن المتشابه نقيا كان اقرب الى الغرض والجواب انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق
وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وايضا لو كان كله محكما كان مطابقا لمذهب واحد فقط فكان ينفر ارباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه
والانتفاع به فاذا كان مشتملا على القسمين حتى يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في تأمل معانيه وبعد التفحص والاستكشاف
صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات فيتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وايضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة
بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال والطمأنينة وافتقر ايضا الى تحصيل علوم اخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان
واصول الفقه واصول الكلام الى غير ذلك ولما في المتشابهة من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب قوي هو ان القرآن
كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الاغلب عن درك الحقائق فمن سمع منهم في اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا
متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطا بما يدل على
الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطبون به في اول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم آخر الحال عن سبيل المحكمات قوله هن ام الكتاب
الام في اللغة الاصل الذي يكون منه الشيء فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات فلا جرم صارت المحكمات
اصولا للمتشابهات وانما لم يقل امهات الكتاب ليطابق المبتدأ لان مجموع المحكمات في تقدير شيء واحد هو الاصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله و
جعلنا ابن مريم وامه آية على معنى ان مجموعهما آية واحدة واخر ومنه آيات اخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق فيتبعون
ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروحا منه قال بلى قالوا
حسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة في اوائل السور وقال قتادة والزجاج هم منكروا البعث لانه قال في
آخره وما يعلم تأويله الا الله وما ذاك الا وقت القيامة فانه تعالى اخفاها عن الخلق حتى الملائكة والانبياء والتحقيق انه عام لكل مبطل متشبث
باهداب المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله
الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولوما تأتينا بالملائكة فموهوا الامر على الضعفة
قال اهل السنة ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله في مكان
والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة
على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وانه من الله تعالى والا تسلسل فيكون
حصول الفعل مع تلك الداعية وعدمه عند عدمها واجبا فيبطل التفويض ويثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا احتملت الدلائل العقلية فكيف يجوز
للعاقل ان يسمي الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من ان كل آية يوافق مذهبهم فهي المحكمة وكل آية يخالفه فهي
المتشابهة والانصاف ان الآيات ثلاثة اقسام احدها ما تأكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذاك هو المحكم حقا وثانيها التي قامت الدلائل القاطعة

على امتناع



امتناع ظواهرها فذلك هو الذي يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وثالثها الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان
الامر اشتبه فيه ولم يتميز احد الجانبين عن الآخر لكن ههنا عقدة اخرى وهي ان الدليل العقلي نفسه مما تشتبه بحسب تشكيك كل فريق وتخيله صادر في
طرفه مادة وصورة فكل فرقة تدعي بمقتضى فكره ان الدليل العقلي قد قام على ما يوافق مذهبه تأكد به الظاهر الذي يتعلق به فالخلاص من البين الا بتأييد سماوي
ونور الهي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم انه تعالى بين ان للزائغين غرضين احدهما ابتغاء الفتنة وهي في اللغة الاستهتار بالشيء والغلو فيه
فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بامرأة بشعره فكان المتمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا عاشقا لا ينقطع
عن تخيله البتة وقيل الفتنة في الدين هو الضلال عنه اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في
البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تأويله اي طلب المعنى الذي يرجع
اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير ان يكون قد وجدوه في كتاب الله بيانا قال القاضي ابو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين احدهما
ان يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة والثاني ان يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه وهو قوله وابتغاء تأويله ثم انه تعالى قال وما
يعلم تأويله الا الله والعلماء اختلفوا في هذا الموضع منهم من يقف ههنا فعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن و
مالك بن انس والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول ابي علي الجبائي ومنهم من لم يجعل الواو في والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه
حاصلا عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ في العلم وهو الثبوت والتعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن انس واكثر
المتكلمين وقد روي عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان اما فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قيل
واما الراسخون في العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات
تلك الحقيقة وفي المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالتراجيح اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال به في المسائل القطعية مثاله
الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الآية ما اشعر به ظاهرها الا ان
في مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين احدها الا بدليل لغوي ظني والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن
انس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها ان ما قبل هذه الآية يدل على ذم طالب تأويل المتشابه حيث قال فاما
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم يتوجه على الكل
وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون آمنا به وقال تعالى في اول البقرة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهؤلاء
الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم كل من عند ربنا لان كل من عرف شيئا
على التفصيل فانه لا بد ان يؤمن به انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا ان القرآن
كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز ان يكون ظاهرها مراد الله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى
شيء غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى اي شيء كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله
بحيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردودا شبهة لهم في الطعن في كلام
الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند مزيد توضيح وتأكيد وتفخيم لشأن القرآن ويحتمل ان يعود الضمير في آمنا به
الى الكتاب اي يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه ويحتمل ان يكون قوله يقولون
حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين
فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا اولوا الالباب اي يتعظ الا ذوو العقول الكاملة الذين يستعملون اذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق
ظاهره دلائل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه
لا بد ان يكون له معنى صحيح عند الله وان دق عن فهومنا وقيل هو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل حتى علموا من التأويل ما علموا ثم انه تعالى
حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اي بعد وقت هدايتنا والثاني قولهم وهب لنا من لدنك
رحمة سألوا ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويزين جوارحهم واعضاءهم
بزينة الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل في الدنيا سهولة اسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت
سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال والظلمة والوحشة في القبر وسادسها في القيامة سهولة العقاب والخطاب وغفران السيئات
وتبديلها بالحسنات وسابعها في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وثامنها في الحضرة رفع الاستار ورؤية الملك الجبار وفي قولهم من لدنك
تنبيه على ان هذا المقصود لا يحصل الا من عنده ويؤكده قوله انك انت الوهاب فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية
كرمك ونهاية جودك وموهبتك ولنعد الى ما يتعلق بالدعاء الاول قال اهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر

منها ما يتوقف على داعية يخلقها الله تعالى فيه اذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما ورد في القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يعني الداعيين ومما يؤكد ذلك ان الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات بل يؤمنون بها على سبيل الاجمال ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الوقت ان يتكلموا بالمتشابه فيكون هذه الاية من اقوى المحكمات وهو ظاهر في ان الازاغة والهداية كليهما من الله تعالى اما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلائل على ان الازاغة لا يجوز ان يتصل من الله تعالى لان ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الاية الى التاويل فقال الجبائي واختاره القاضي المراد لا تمنع قلوبنا الالطاف التي معها يستمر قلبهم على صفة الايمان وزيف بان اللطف ان صح في حقهم وجب عندكم على الله ان يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيته ولصار محتاجا وقال الاصم لا تبتلنا بتكاليف نزيغ عندها قلوبنا والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نامن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملني على ايذائك اي لا تفعل ما اصير عنده موذيا لك وزيف بان التشديد في التكليف قبيح ان علم الله تعالى ان له اثرا في حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزيغ كما يقال فلان يكفر فلانا اي يقول انه كافر وزيف بان التسمية دائرة مع الفعل وفعل الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية ايضا بسببه وقال الجبائي ايضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا ان يحمل على شيء اخر وهو انه تعالى اذا علم انه مؤمن في الحال وعلم انه لو بقي الى السنة الثانية لكفر اماته في هذه السنة ويرد عليه انه لو كان علمه بانه يكفر في السنة الثانية توجب عليه ان يميته لكان علمه بانه لا يؤمن قط ويبقى على الكفر طول عمره فوجب ان لا يخلقه وعن الاصم ايضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته لقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة فكانهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض ما يتعلق بالاخرة فانا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت وجامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كانه يصدقهم فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا ان يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله ولا سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف للمظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت والموضع قاله في الصحاح واعلم انه لا يلزم من انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو بدليل منفصل قال الواحدي ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم اذا وعد السراء انجز وعده ✽ وان وعد الضراء فالعفو مانعه ✽ وناظر ابو عمرو بن العلاء عمرو بن العبيد فقال ما تقول في اصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال ابو عمرو انك اعجم لا اقول اعجم اللسان ولكن اعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد كرما وانشد واني وان اوعدته او وعدته ✽ لمكذب ايعادي ومنجز موعدي وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعائهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عذابهم فقال ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وقيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا في قصتهم ان ابا حارثة بن علقمة قال لاخيه اني لاعلم انه رسول الله حقا ولكني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم واولادهم لا يدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والاخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب المولمة اما الاول فالى الاشارة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانهما اقرب ما يتوسل به المرء عند الخطوب واذا لم يفد اقرب الطرق الى دفع المضار في ذلك اليوم فما عداه بالتعذر اولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير واما الثاني فالاشارة بقوله واولئك هم وقود النار فانه لا عذاب ازيد من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها في الحطب اليابس ومن في قوله من الله للبدل مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل رحمة الله او طاعته شيئا وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه في الدنيا بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وانشد ابو علي شعر فليت لنا من ماء زمزم شربة ✽ مبردة باتت على طهيان ✽ وطهيان من بلاد الازد قلت يجوز ان يقال من للابتداء تقديره من عذاب الله والجار والمجرور مقدم حالا من شيء ومن زائدة لتاكيد النفي لن تغني عنهم عذاب الله شيئا من الغناء اي لن تدفع وقال ابو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغني عند الله شيئا قوله تعالى كداب آل فرعون يقال داب فلان في عمله اي جد وتعب دابا ودؤبا فهو دائب والدائبان الليل والنهار والداب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنيع وحالة ومجراه واصله من دابت ثم اطلق الاسم الخاص على العام اي حال هؤلاء الكفار وجدهم او دابهم او شانهم او صنيعهم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وكفرهم بدينه كداب آل فرعون مع موسى عليه السلام ثم ان اهلكنا اولئك بذنوبهم نكذلك نهلك هؤلاء فقوله كذبوا باياتنا تفسير لدابهم على انه جواب سؤال مقدر كانه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا باياتنا

كان الانفاق مشروط بشرط عدم التوبة

التقدير





بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا فاخذهم الله بذنوبهم اي صاروا عند نزول العذاب كالماخوذ المامور الذي لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى كداب الله في فرعون اي بجعلهم الله وقود النار كعادته وصنيعه في فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال يحتمل ان يكون الاية جامعة للعادة المضافة الى الله وللعادة المضافة الى الكفار كانه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم في ايذاء محمد كعادة من قبلهم في ايذاء الرسل وعادتنا ايضا في اهلاك هؤلاء كعادتنا في اهلاك اولئك الكفرة وقيل الدؤب اللبث والدوام والتقدير دؤبهم في النار كدؤب آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم في النار كمشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقيل المشبه هو ان اموالهم واولادهم لا تنفعهم مثل حالة العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم المكذبين بالرسل من العذاب الذي عنده لم ينفعهم مال ولا ولد فكذلك حالكم ايها الكفار المكذبون بمحمد فينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغني عنكم الاموال والاولاد ويحتمل ان يكون وجه التشبيه انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستيصال وهو قوله فاخذهم الله بذنوبهم ثم صاروا الى دوام العذاب وهو قوله والله شديد العقاب فينزل بمن كذب محمدا من امته في الحال المعجلة من القتل والسبي والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة بقوله فيما بعد قل للذين كفروا ستغلبون والثاني المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد التاويل الم الالف اظهار الوحدة مطلقا ذاتا وصفة فان الالف واحد في ذاته وصفاته في وضع الحساب منفرد بالاولية والانقطاع عن غيره في وضع الحروف ولهذا استغنائه وعدم تغيره في جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحداني ازلا وابدا فان الالف مصدر جميع الحروف فانه من استقامته يخرج كل حرف معوج ثم في اللام المتصل كل حرف منهما بالاخر اشارة الى ان كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول وقسم ما كان فكان ولا يزول وهذان قسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذي لا زال كان ولا يزال يكون واليه الاشارة بالالف واما اللام فاشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك لاجساده وقوعه في المرتبة الثانية من الالف اشارة الى انه مسبوق بالوجود والالف سابق عليه ولانكساره فيه يشير الى تغيره وزواله والميم اشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح وذلك ان الميم اول حرف من اسم المبدئ واخر حرف من اسم القيوم فيشير الى انه كان ابداء المبدئ حين لم يكن بقيومية القيوم حين كان لا يزال وتوجه اخر الالف اشارة الى وجود حقيقي قائم بذاته واللام يشير الى اثبات ونفي فالاثبات في لام التمليك له ما في السموات وما في الارض والنفي في لا النافية اي لا وجود لشيء بالحقيقة سواه والميم يشير ايضا الى اثبات ونفي فالاثبات ميم اسم القيوم والنفي ما النافية اي ما في الوجود حقيقة الا هو ودليل الوجهين في الم الله لا اله الا هو الحي القيوم فالله اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفي الشرك عن وجوده واثبات وحدته في وجوده والحي القيوم اثبات جميع صفات كماله ونفي جميع صفات النقص عن ذاته وقد اودع مجموع معاني هذه الاية في قوله الم فمعنى قوله الله اودع في اول حرف من حروفه وهو الالف ومعنى قوله لا اله الا هو اودع في اول حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحي القيوم اودع في اخر حرف من حروفه وهو الميم وانما اودع في اخر حرفه ههنا ليكون السر مودعا في الاية من اول حرفها مكتوما فيما بينهما والحروف الثلثة من قوله الم يكون الالف من اولها دالا على المعنى الذي هو في الكلمة الاولى وهي الله واللام من وسطها دالا على المعنى الذي في الكلمة الثانية وهي لا اله الا هو والميم من اخرها دالا على المعنى الذي مودع في الثالثة وهو الحي القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا في الم كما روي عن سعيد بن جبير وغيره وهو القرآن وضمونه كما روي عن ابي بكر وعلي ثم انه تعالى بعد ان اظهر اسرار الوهيته المودعة في الم بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم اظهر الطاف ربوبيته المكنونة في اسرار العزة مع حبيبه محمد فقال نزل عليك الكتاب بالحق نزل حقائق القرآن وانواره على قلبك بالحقيقة متجليا لسر لك مخفية عن نزرك فصرت مشاهدا لسر الله المودع في الم وهو الذي بين يديك الله لا اله الا هو الحي القيوم فصرت مصدقا بالتصديق تحقيقا لا مصدقا تقليدا فانهم اذا لم تعلم تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وانت بعد بيضة لا من الطيارين ولا من السيارين وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظن يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلي انواره باسرار وحقائق بيني وبينك لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة في صحائف والواح يقرؤها كل قارئ يستوي في هداها الانبياء والامم قاطبة هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلي انوار القرآن بالتنزيل على قلبك وبين انزال الكتب على صورة الانبياء ويفرق بين تعليمك القرآن وبين تعليمهم الكتب فان كانوا ابتدارسون الكتب فانت مخلوق بالقرآن فشتان بين نبي يجيء هو بذاته نور ومعه كتاب قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وبين نبي يجيء معه نور من الكتاب قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان بين نبي تشرف بكتابة الموعظة له في الالواح وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وبين نبي تشرف امته بكتابة الايمان لهم في قلوبهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان ان الذين كفروا بايات الله المستترون بحجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فعمي عن مشاهدة هذه الايات البينات لهم عذاب شديد من هذا العمى والحرمان وهم في خسران من الركون الى هذا النقصان والله عزيز ذو انتقام يعز اهل العزائم بنيل المرام وينتقم من اهل السلوة بحجاب العزة ثم اخبر تعالى عن كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وكيف يخفى وانه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن نقص الاحكام الحكيم فيما يجري من الازل الى الابد فجفت به الاقلام وفي الاية اشارة الى

للعادة

الآخر حرفه

اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة فی رحم قلب مريد صادق يستلم التصرفات ولاية الشيخ وهی بمثابة ملك الارحام فی تصوير المريد حواله الظاهرة والباطنة على قوام الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصكه منه حركة عنيفة او يجده بحة غريبة يلزم منه سقوط النطفة وفسادها ويقعد بامر الشيخ وتدبيره فالله تع يتصرف فی ولاية الشيخ المؤيد بتاييد الحق بمرور كل اربعين عليه بشرائطها يحولها من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس التی منها صدر الى عالم الانس فيكون الجنين فی رحم القلب هو طفل خليفة الله فی ارضه فيستحق الان ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه واوليائه يلقی الروح من امره على من يشاء من عباده كتب فی قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح يكون ادم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم اجمعون الايات المحكمات تنزيلها شرب الخواص والعوام لبسط الشرع والاهتداء والمتشابهات تاويلها شرب الخواص خواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فاما الذين فی قلوبهم زيغ اللبث قلوبهم عطاء الريب وحجبوا انوار الغيب وهم اهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا باهوائهم وابتغاء تاويله ليضلوا الناس بارائهم والراسخون فی العلم يقولون امنا به ما شاهدوا من انوار الحق فی تحقيق تاويلها كل من عند ربنا بتوفيقه واعلامه وتعريفه وما يذكر الا اولوا الالباب الذين خرجوا فی متابعة النبی من ظلمات قشور وجودهم النفسانی الى نور الباب وجودهم الروحانی وهم الراسخون فی قشور العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق لباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفی الاية اشارة الى ان علوم الراسخين كلها بتعليم الله تع اياهم فی الميثاق اذ تجلی صفة الربوبية للذرات تع اشهدهم على انفسهم لشواهد الربوبية الست بربكم فشهدوا تلك الشواهد كون فی جبلة الذرات علم التوحيد فقالوا بلی ويندرج فی علم التوحيد كل العلوم كما قال تع وعلم ادم الاسماء كلها فلما ردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتنقلت بقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام الى مقام تمامات البعد عن الحضرة الى ان وضع الحمل وردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة ببلى اسفل سافلين القالب محتجبة بحجب البشرية ناسية تلك العلوم النطق بها ثم ابواه يذكرانه تلك العلوم بالرموز والقرائن حتى يتذكر بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية واستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذی اجاب به الرب قال بلی فان ذلك اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور ولباب تلك الوجود المستمع المجيب الميثاقی فسمعه قشر ذلك السمع الذی استمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذی ابصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذی فقه خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التی تعلمت من الحق فالنبی انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التی كان ابواه يذكرانه قشرها كما قال فذكر انما انت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا اولوا الالباب انما يتذكر اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراط بغلبات ظلمات طبايعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا الى حضرة جلالك ونور جمالك حتى سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا بلب ابصارنا لب التاويل وتذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك وتغنينا عنا بك انك انت الوهاب وفيه اشارة الى ان وظيفة الطالب ان لا يسكن فی مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طالبا كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكما انه لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب طالبه فان بعد هذه الدار دار القرار توفی فيها جزاء الابرار والفجار فحصول الارب بقدر رعاية الادب فی الطلب ومقاساة التعب والنصب وان النفوس خير زاد للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات نفسانيتهم لن تغنی عنهم طاغوت اموالهم ولا اولادهم من انوار الله التی حجبوا عنها واولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التی تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التی لا تحرق الا قشور الجلود ولا يخلص الى القلوب فان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب فرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحيوة الى سموم الممات شعر فی فؤاد المحب نار هوی احر نار الجحيم ابردها وكذلك دأب جميع الكفار الذين ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة انوارنا ومحافظة اسرارنا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم والله شديد العقاب اليم نار فراقه عظيم عذاب بعده. واشرافه بالنار خوفنی قومی فقلت لهم: النار ترحم من فی قلبه نار

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم اية فی فئتين التقتا فئة تقاتل

بگو مر انهارا که کافر شدند زود است که مغلوب شوند و محشور شوند بسوی دوزخ و بد جایگاهیست . تحقیق که بود مر شمارا نشانی در دو طائفه که ملاقات کردند گروهی کارزار میکردند

فی سبيل الله واخری كافرة يرونهم مثليهم رای العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فی ذلك لعبرة لاولی الابصار

در راه خدا وطائفه دیگر که کافر بودند میدیدند انهارا دو چندان در بادهٔ نظر وخدا قوت دهد بیاری خود هر که را که خواهد بدرستی که در این هر آینه عبرتیست صاحبان دیده

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام

اراسته شد از برای مردمان دوستی شهوات را از زنان وفرزندان و پوستهای پراز طلا و نقره و اسبان نشان دار و حیوانات

والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن الماب قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم

و زراعت این است بهره زندگانی دنیا وخدا در نزد اوست بهتر بازگشت بگو آیا خبر دهم شمارا به بهتر از این مر انهارا که پرهیز کردند در نزد پروردگار

جنات تجری من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين

بهشتها که روانست از زیر انها نهرها جاوید باشند در آن و زنان پاکیزه و خوشنودی از خدا وخدا بیناست به بندگان انان





يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين

میگویند ای پروردگار ما بدرستی که ما گرویدیم پس بیامرز گناهان مارا و نگاه دار مارا از عذاب آتش . آن صبر کنندگان و راستگویان و فرمان برندگان و انفاق کنندگان

والمستغفرين بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم

و استغفار کنندگان در سحرها . گواهی داد خدا بیگانگی خود بجز او و فرشتگان و صاحبان دانش ایستاده بعدالت نیست خدائی مگر او که غالب است درستکار

ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات

بدرستی که دین در نزد خدا اسلام است و اختلاف نکردند انها که داده شدند کتاب مگر پس از آنکه آمد ایشانرا دانش از روی ستم در میانشان و هر که کافر شود بایات

الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهی لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم

خدا پس بدرستی که خدا زود حساب کننده است پس اگر محاجه کنند با تو پس بگو که تسلیم کردم روی خود را از برای خدا و هر که تابع است مرا و بگو مر آنهارا که داده شدند کتاب و بیسوادان آیا اسلام آوردید

فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون

پس اگر اسلام آوردند پس بتحقیق هدایت یافتند و اگر روی گردانند پس جز این نیست که بر تو رسانیدن است و خدا بیناست به بندگان بدرستی که آنها که کافر شوند بنشانهای خدا و میکشند

النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم

پیغمبرانرا بدون حق و میکشند آنهارا که امر میکنند بعدالت از مردمان پس مژده ده آنهارا بعذاب دردناک آن گروه آنها اند که باطل است کردارهاشان

فی الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم

در دنیا و آخرت و نیست از برای ایشان یاوران آیا ندیدی آنهارا که داده شدند بهره از کتاب را که خوانده شوند بسوی کتاب خدا تا حکم کند

بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم فی دينهم ما

در میان انها پس اعراض کنند گروهی از ایشان در حالتی که روی گردانانند این بجهت آنست که گفتند نرسد مارا آتش مگر روزهای شمرده چند و فریب داد ایشانرا در دینشان آنچه

كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون القراءة سيغلبون ويحشرون

بودند که دروغ میبستند پس چگونه است وقتی که گرد آوریم ایشانرا از برای روزی که نیست شکی در آن و وافی داده شود هر نفسی آنچه کسب کرده و ایشان ستم کرده نشوند

بياء الغيبة حمزة وعلى وخلف وعباس مخير الباقون بتاء الخطاب ترونهم بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون بالياء مثليهم بضم الهاء سهل ويعقوب وكذلك الفتح قبل الياء مثل بجنبيهم رای العين بغير همزة ابو عمرو وغير شجاع ويزيد الاعشی والاصفهانی عن ورش وحمزة فی الوقف الباقون بهمزة ساكنة او نبئكم بهمزة غير ممدودة بعدها واو مضمومة ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس واوقية وابی شعيب ونافع غير قالون ءانبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد قالون وعباس واوقية وابو شعيب الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشی والبرجمی وافق يحيی وحماد الا فی من اتبع رضوانه فی المائدة ان الدين بفتح ان علی الباقون بالكسر وجهی بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر البخاری عن هشام وحفص والمفضل والاعشی والبرجمی ومن اتبعنی باثبات الياء فی الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو وابو جعفر ونافع غير قالون فی الوصل ويقاتلون الذين حمزة ونصير فی رواية علی بن نصير الباقون ويقتلون ليحكم بضم الياء وفتح الكاف ابو جعفر الباقون بالعكس الوقوف جهنم ط المهاد ط التقتا ط لان التقدير منهما فئة واحديهما العين ط من يشاء ط الابصار ط والحرث ط الدنيا ج لتفصيل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين المآب ط من ذلكم ط لتناهی الاستفهام من الله ط بالعباد ج للاية على جعل الذين خبر مبتداء محذوف ای هم الذين او مدحا على اعنی الذين ولجواز انه نعت للعباد او للمتقين التارج لان الصابرين يصلح بدلا للذين والوقف اجوز نصبا على المدح بالاسحار ط الا هو للعطف فلو وقف احترازا عن وهم دخول الملائكة واولوا العلم فی الاستثناء والمشاركة فی الالوهية كان جيدا بالقسط ط الحكيم ط الاسلام ط لان بالفتح على البدل من انه الاسلام بينهم ط لاطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ومن اتبعن ط لابتداء امر يشمل اهل الكتاب والعرب والاول مختص باهل الكتاب فلم يكن الثانی من جملة اجزاء الشرط اسلمتم ط لتناهی الاستفهام الشرط اهتدوا ج لابتداء شرط اخر مع العطف البلاغ ط بالعباد بغير حق لمن قرا ويقاتلون لعدم المعنى من قوله يقتلون اليم والاخرة ز للابتداء بالنفی مع اتحاد المقصود من ناصرين معرضون معدودات ص لان الواو للعطف والحال يفترون لا يظلمون التفسير عن ابن عباس فی رواية ابی صالح عنه قال لما هزم الله المشركين يوم بدر قال يهود المدينة هذا والله النبی الامی الذی بشرنا به موسى نجده فی كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية وارادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخری فلما كان يوم احد نكب اصحاب رسول الله ص شكوا وقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف فی ستين راكبا الى اهل مكة ابی سفيان واصحابه فوافقوا واجمعوا امرهم وقالوا لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الاية وقال محمد بن اسحق بن يسار فی رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما اصاب رسول الله ص قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود فی سوق بنی قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انی نبی مرسل تجدون ذلك فی كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك

لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة اما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون ثم تموتون
وتحشرون الى جهنم في الآخرة ومعنى جهنم قد مر في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر ومن قرأ
بتاء الخطاب فمعناه الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر بلفظ المخاطبة ومن قرأ بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ اي
قل لهم قولي لك ستغلبون وفي الآية احتجاج القائل بتكليف ما لا يطاق فانه تعالى اخبر عنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو آمنوا واطاعوا لانقلب الخبر
كذبا وفيها دليل على صحة البعث والحشر واخبار الصادق وقوله ستغلبون وقد وقع كما اخبر اخبار عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبي صلعم
نظيره في حق عيسى عم وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية في فئتين
التقتا يوم بدر فئة احديهما جماعة تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله واعلاء كلمته واخرى كافرة هم كفار قريش
وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه احدها ان المسلمين كان قد اجتمع فيهم من اسباب الضعف امور منها قلة العدد والعدد كانوا ثلثمائة وثلثة
عشر رجلا مع كل اربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتأهبوا ومنها ان ذلك
ابتداء غازة في الحرب لانها اول غزوات رسول الله صلعم وكان قد حصل في المشركين اضداد هذه المعاني كانوا تسعمائة وخمسين رجلا وفيهم ابو سفيان
وابو جهل ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير واهل الخبر كلهم دارعون وفيهم دروع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحروب والغارات واذا كان كذلك كان غلبة
المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها انه صلعم كان قد اخبر عن ذلك باخبار الله تعالى في قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني جمع قريش او عير ابي سفيان
وكان اخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجزة وثالثها امداد الملائكة كما سيجيء في هذه السورة ورابعها
قوله يرونهم مثليهم وفيه اربعة احتمالات لان الضمير في يرون اما ان يعود الى الفئة الكافرة او الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير
في مثليهم الى كل منهما فهذه اربعة الاول ان الفئة الكافرة رأت المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين الثاني انها رأت المسلمين مثلي عدد المسلمين
ستمائة ونيفا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بتاء الخطاب اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي انفسهم ودليل الاحتمالين
جميعا ان عود الضمير في يرون الى الاقرب وهو الفئة الكافرة اولى ولانه سبحانه جعل هذه الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فوجب
ان يكون الراؤن هم الكفار حتى تكون حجة عليهم لو كانت الآية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها حجة على الكفرة والحكمة في ذلك ان يهابهم المشركون
ويجبنوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لاختلاف الوقتين فكانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترأوا عليهم
فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا على ان تقليلهم تارة في اعينهم وتكثيرهم اخرى ابلغ في القدرة واظهار الآية الاحتمال الثالث ان الرائين
هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قرر عليهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريبا من ثلثة امثالهم فلو رأوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع
ان يكون الراؤن هم المسلمون ثم انهم رأوا المشركين على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن ان يقول به احد لان هذا يوجب نصرة الكفار
وايقاع الخوف في قلوب المؤمنين والآية تنافي ذلك وفي الآية احتمال خامس وهو ان اول الآية قد بينا انه خطاب مع اليهود فيكون المراد ترون ايها
اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو ان الاحتمالين الاول والثاني يقتضي ان المعدوم صار مرئيا والاحتمال الثالث يوجب ان يكون
الموجود الحاضر غير مرئي اما الاول فهو محال عقلا والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وهذا
يكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا على الحال ويحمل الرؤية على الظن والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل انه في غاية الكثرة
لكن قوله رأي العين لا يساعد ذلك ومعناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات واما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ
عند حصول الشرائط وصحة الحاسة لا يكون الادراك واجب الحصول بل يكون عندهم جائزا لا واجبا والزمان زمان خوارق العادات واما المعتزلة
فعندهم الادراك واجب الحصول عند استجماع الشرائط وسلامة الحس فاعتذروا عن ذلك بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتأمل البالغ
فيدرك البعض دون البعض ولعل الغبار صار مانعا عن ادراك البعض او خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية ثلث العسكر او يحدث في
عيونهم ما يستقل به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين كل ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما
بالحجة والعاقبة كيوم احد ان في ذلك الذي ذكره من الآية لعبرة نوع عبور وهو المجاوزة من منزل الجهل الى مقام العلم لاولي الابصار ذوي العقول
التي تبصر القضايا باعيانها كالمشاهد المعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لمعيشة الانسان وهو انه زين للناس اللذات الجسمانية والآخرة وهي عالم
الروحانيات خير وابقى لانها معدة لمن واظب على العبودية واتصف بالخصال الحميدة واما ما يتعلق بالقصة فانا روينا ان ابا حارثة بن علقمة
النصراني اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد صلعم الا انه يمنعه من اتباعه حب المال والجاه وروينا ايضا انه صلعم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر اظهروا
من انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدد فبين الله تعالى في هذه الآية ان تلك الاشياء متاع الدنيا وزينتها والآخرة خير والمزين
هو الله تعالى اما عند الاشاعرة فلانه خالق افعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان واما عند جمهور
المعتزلة فلحكمة الابتلاء انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ولانها وسائل الى منافع الآخرة وهو ان يتصدق بها او يتقوى بها



على طاعة الله وليشتغل بشكرهما كان الصاحب بن عباد يقول شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من اقصى القلب ولان القادر على وجوه اللذات
اذا تركها واقبل على اداء وظائف الخدمة كان اشق وله اكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي ان كل ما كان واجبا او مندوبا او مباحا فالتزيين
فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالتزيين فيه من الشيطان وحكي عن الحسن انه قال الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك واحتج في الآية
بانه اطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات وان تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير الى هذه الغاية لا يليق الا بمن جعل
الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض الذم ذلك متاع الحيوة الدنيا والذام للشيء لا يكون مزينا له وقال قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهاة شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها
وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للمقدرة مقدور وللمرجو رجاء وفيه فائدة اخرى هي ان الشهوة صفة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها
شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الآية دليل على ان الحب غير الشهوة لان المضاف
يجب ان يكون مغايرا للمضاف اليه والشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من فعل العباد وهي ان يجعل الانسان كل همته مصروفة الى اللذات والطيبات
واعلم ان الانسان قد يحب شيئا ولكنه يحب ان لا يحبه وقد يحبه ويحب ان يحبه ويعتقد مع ذلك ان تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة
ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان عم اني احببت حب الخير ومعناه احب الخير واحب ان اكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لان
الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضي ان هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك انه موجود في الاغلب في اكثر الاوقات فلا يبعد
التعميم فطال ما اعطى للاغلب حكم الكل على ان من همته بمجموعها مقصورة على طلب اللذات الروحانية في غاية الندرة وبقاء ذلك النادر في جميع
الاحيان على ذلك الخاطر اعز وامنع ثم شرع في بيان تلك الاعيان المشتهاة فذكر منها ما هي الامهات ورتبها في سبع مراتب الاولى النساء
لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال صلعم ما اخوف ما اخاف
على امتي النسوان الثانية الاولاد ولا سيما البنين ولهذا خصوا بالذكر ومحبة النسوان والاولاد كانها امر غريزي ولولاها لم يتصور بقاء النسل
للحيوانات الثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار مأخوذ من عقد الشيء واحكامه ومنه القنطرة والمال الكثير قنطار لان
الانسان يتوثق بها في عقد النوائب ابو عبيدة انه وزن لا يحد ابو هريرة عن النبي صلعم القنطار اثنا عشر الف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن
وزعم الكلبي ان القنطار بلسان الروم ملء مسك ثور من ذهب او فضة وعن سعيد بن جبير ثمانون الف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار
للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبي القناطير ثلثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة وانما كان الذهب
والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فمالكهما كالمالك لجميع الاشياء وكل الصيد في جوف الفرا ولولا التقى لقلت جلت قدرته وصفة
المالكية هي القدرة وانها صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط
وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو جولانها في مشيها او لانه يتخيل الاختيال لان منه القوة في استحضار الصور والمسومة قيل المرعية اسمت
الدابة وسومتها اذا ارسلتها في مرجها للرعي ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل هي المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة
فعن ابي مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هي البلق وقال قتادة الشية وقيل الكي ومجاهد وعكرمة المسومة المطهمة اي الحسان قال الاصمعي يقال مطهم اي
تام كل شيء على حدة فهو بارع الجمال السادسة الانعام وهو جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا الابل خاصة فانها غلب
عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك الذي ذكر متاع الحيوة الدنيا لان وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما ان يكون من بني نوعه
او من غيره والاول الاصل وهو المرأة او فرع وهو الولد وانما فرض الكلام في الذكور لشرفهم والثاني اما ان يكون من المعدنيات واكثرها
فائدة واعمها عائدة الجوهران الثمينان فخصا بالذكر واما ان يكون من الحيوانات للركوب او للكر والفر والتجمل وللحمل واللحم وهو الانعام واما ان
يكون من النباتات والحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للذكر والفضول لانها لم تكن معتادة عند العرب والقرآن يخاطبهم على اعمهم والله
عنده حسن المآب اي المرجع وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال
سبقت رحمتي غضبي ثم بين ان ذلك المرجع كما انه حسن في نفسه فهو احسن وافضل من هذه الدنيا والمقصود ان يعلم العبد انه كما ان الدنيا اطيب
وافسح من بطن الام فكذلك الآخرة افسح واوسع من الدنيا ولانه لما علم ان الدنيا ان منافع الآخرة خير منها قال مستفهما على سبيل التقرير
اؤنبئكم بخير اي بشيء هو خير من ذلكم الذي عددتم ثم استأنف بيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما يقول هل ادلكم على
خير من فلان عندي رجل من صفته كيت وكيت وبيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع تأبد الخلود فان النعمة وان عظمت
فتوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم لا يتكامل طيبها الا بالشركاء فبهن يحصل الانس ثم وصف
الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة اي من الاقذار والمنفرات وبعد كونه تمام النعمة ذكر ما هو فوق التمام فقال ورضوان من الله
ويندرج فيه جميع المطالب والمقاصد لان العبد اذا رضي عنه المولى لم يتصور منصب اجل منه على ان كان المولى وما يملكه للعبد كما ان العبد
وما يملكه للمولى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل ان يكون اللام في قوله للذين اتقوا متعلقا بخير واختص المتقون لانهم

اشبا الفرس قام على رجليه

م المنفقون بغير تقع جنات على الجزاى هوجنات وبعضه قراءة بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام فى هذه القراءة يتعين ان
يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل ان يتعلق بما تعلق به قوله للذين اى ثبت لهم عند ربهم ويحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من
تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى ان هذا الثواب لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا فى علم الله والله بصير بالعباد
عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختاره لهم من نعيم الاخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور الدنيا او بصير بهم يثيب ويعاقب بحسب استحقاقهم
او بصير بالذين وما جوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد
حكى الله تعالى ذلك عنهم فى معرض المدح لهم والثناء عليهم فقيل دل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما
زعموا كان ادخاله فى النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعالى وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب وقوعه عبث فلا يصلح للمدح ويمكن
ان يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم انه حاصل له اظهارا لذل العبودية وابداء للاستكانة والخشوع وايضا صورة العمل الصالح لا يفيد ما لم يقع
فى حيز القبول فعلى المتقى ان لا يتكل عليها ويبتهل الى الله فى مواجب الغفران ثم عدد من اوصاف عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم فى
كل واحد منها او اشارة الى ان كل واحد منها يكفى فى استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين اى فى اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن و
الشدائد وقف رجل على الشبلى فقال اى صبر اشد على الصابرين فقال الصبر فى الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله قال لا قال فاى شئ قال الصبر عن الله فصرخ
الشبلى صرخة كاد يتلف وحه والصادقين اى فى الاقوال وفى الافعال بان لا ينصرف عنها قبل تمامها وفى النيات بان يمضى العزم على الخيرات والقانتين
المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين ما تيسر على ما تقرر بشروطه مصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار اى فيها والسحر قبل
طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر اخذوا فى الدعاء والاستغفار هذا ليلهم وذلك نهارهم وللاستغفار
بالاسحار مزيد اثار وانوار لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا اعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لا يبعد ان يفيض عليه سجال
المغفرة وان يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بانوار المعارف واثار اللطائف ما بان ترتيب الاوصاف فالصبر
يشمل اداء جميع التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات امر محمود فاشير الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا امرين يعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال
والتضرع الى حضرة القدس والجلال وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقى الاوصاف
حاصله التعظيم لامر الله قال الكلبى لما ظهر رسول الله بالمدينة قدم عليه حبران من احبار اهل الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه
هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى اخر الزمان فلما دخلا على النبى عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد
قال نعم قالا انا نسئلك عن شهادة فان انت اخبرتنا بها امنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله سلانى قالا اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله
فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله ووجه النظم انه مدح المؤمنين واثنى عليهم بقوله ربنا
اننا امنا ثم بين ان دلائل الايمان ظاهرة جلية واعلم ان الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن اولى العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان لا يكون
كذلك اما الاول فنقرره من وجهين احدهما ان الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد هو حاصل فى حق الله تعالى وفى حق
الملائكة وفى حق اولى العلم اما من الله فذلك انه اخبر فى القران انه اله واحد لا اله الا هو وذلك فى مواضع كثيرة كالاخلاص واية الكرسى وغيرهما والاستدلال
بالدلائل السمعية فى هذه المسئلة جايز لان العلم بنبوة محمد لا يتوقف على العلم بها واما من الملائكة واولى العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله
تعالى بالدلائل القاطعة فكلهم اخبروا ايضا ان الله واحد لا شريك له وثانى الوجهين ان تجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان فالله تعالى اظهر
ذلك وبين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة واولو العلم اظهروا ذلك وبينوه ايضا الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت
انما وقع فى الشئ الذى به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم الاظهار والبيان فشئ واحد فى حق الكل فكانه قيل للنبى ان وحدانية الله تعالى امر
قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين والمنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى
وعبدة الاوثان فاثبت انت وقومك يا محمد على ذلك فانه هو الاسلام واما الثانى فهو قول من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة
عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة واولى العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على
النبى فالصلوة من الله غير الصلوة من الملائكة فان قيل المدعى للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعى شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد
بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم
حتى ارشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل اى شئ اكبر شهادة قل الله وفى انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وهذا وجه ليكون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة ومثل هذا ابوك عطوفا ولا رجل
الا عبد الله شجاعا ويحتمل ان يكون حالا من اولى العلم اى حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط فى اداء هذه الشهادة الثانى ان يكون صفة
للمنفى كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد ذكرنا انهم يتسعون فى الفصل بين الصفة والموصوف الثالث ان يكون نصبا على المدح وان كان نكرة

كقوله



كقوله شعر وياوى الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالى ومعنى كونه قائما بالقسط قائما بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اى يجريه على سنن
الاستقامة او مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب وفيما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم
واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات و
عدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شئ من الاشياء وعدم النقص والنقض فى شئ من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات
العليا ومركوز فى العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شئ الا على وفق العدالة وقضية السوية وغاية الاصلح عموما او خصوصا فكل
ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة او يشبه الجور والقبيح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه عن حاطته التامة بسلسلة الاسباب
والمسببات والمبادى والغايات فانظر فى كيفية خلقة اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق
فى الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر فى كيفية خلقة العناصر و
اجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق فى العلم والجهل والفطانة
والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى مخلوق مستعد لادراك تفاصيل كلمات
الله فالخوض فى ذلك خوض فيما لا يعنيه بل لا يعنيه ولا ينفعه الا العلم الاجمالى بانه تعالى واحد فى ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه و
لا راد وان الكل بقضائه وقدره وفى كل واحد من مصنوعاته ولكل شئ من افعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا موجده وخالقه يفعل ما
يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه عناء والجدال فيه هراء فمن نسب الى الجور فى فعل من الافعال فهو
الجائر لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات والمطلع على الكليات والجزئيات من ازل الازال
الى ابد الاباد ومن زعم ان شيئا من الاشياء خير او شر اذ اعتقاده حسنا او قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيته وارادته فقد كذب بان احد خالقه
لانه يدعى التوحيد ثم يثبت قادرا اخر وخالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد
صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ لامة محمد ان يقولوا على وفق
شهادة الله والملائكة واولى العلم لا اله الا هو واعلام بان هذه الكلمة يجب ان يكررها المسلم ما امكن هو المسك ما كررته يتضوع ثم اكد
كونه متفردا بالالوهية وقائما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم القدرة الا بالتفرد
والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى والدين فى اللغة الجزاء ثم
الطاعة سمى الدين لانه سبب الجزاء والاسلام فى اللغة الانقياد والدخول فى السلم او فى السلامة او فى اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشئ اى
خلص له والاسلام فى عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان فى الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد
الكلى وهو المراد ههنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير فى الذات ولا فى الصفات
كما شهد هو به واما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به ونهاه عنه فانه عدل وصواب فيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهى عنه ليكون عبدا
منقادا معترفا بانه تعالى قائم بالقسط ومن قرا بفتح ان فتقديره عن البصريين ذلك بدل من الاول بدل الكل فكانه قيل شهد الله ان الدين عند الله
الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شئ وقيل تقديره شهد الله انه لا اله الا هو وان الدين عند الله
الاسلام وقيل شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل
على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثانى بالفتح على ان الفعل واقع على الثانى وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه اوضح الدلائل وازال الشبهات والقوم
ما قصروا الا لقصورهم وتقصيرهم فقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى لما قرب اجله سلم التورية الى سبعين
رجلا من الاحبار وجعلهم امناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم التورية بغيا بينهم وتحاسدا
على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم فى امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو
انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد وقالوا نحن احق بالنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم اى الدلائل التى لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جميع عظيم وهو بعيد قاله فى
تفسير الكبير ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب لا يصعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة والمراد انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه
ويجازيه على كفره ثم بين للرسول ما يقوله فى محاجتهم فقال فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله قال الفراء اى اخلصت عملى لله فعلى هذا الوجه معنى
العمل وقيل اى اسلمت وجهى على الله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر منى من الاعمال فالوجه فى الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه
وقيل الوجه مقحم والتقدير اسلمت نفسى لله وليس فى العبادة مقام اعلى من اسلام النفس لانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله ومن
اتبعن معطوف على الضمير المرفوع فى اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه والواو بمعنى مع ثم فى كيفية ايراد هذا الكلام طريقان احدهما ان هذا اعراض
عن المحاجة لانه تعالى كان قد اظهر المعجزات كالقران ودعاء وكلام الذئب وغيرها وقد مر فى هذه السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد صلعم

بين نفى الضد والند والصاحبة والولد بقوله شهد الله وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغى والحسد فلم يبق الا ان يقول
اما انا ومن اتبعن فمنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكره المحتج المحق مع المبطل المصر فى اخر كلامه وثانيها ان
قوله اسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقا للعبادة فكانه قال هذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك
بهذا القدر المتفق عليه وداع الخلق اليه وانما الخلاف فى امور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون
يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء هم المدعون فعليهم اثباتها ونظير هذه الاية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن ابى مسلم ان الاية فى هذا الموضع كقول ابرهيم انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض كانه
قال فان نازعوك يا محمد فى هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابرهيم وانتم معترفون بانه كان محقا فى قوله صادقا فى دينه فيكون من باب
التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتى هى احسن وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين هم مشركوا العرب الذين
لا كتاب لهم ءاسلمتم ومعناه الامر وفائدته التعيير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تأل جهدا فى سلوك طريقة الكشف
والبيان له هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله فى اية تحريم الخمر فهل انتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء
فان اسلموا فقد اهتدوا الى ما هدى الله اليه ولهم الفوز والنجاة فى الاخرة وان تولوا اعرضوا عن الاسلام والى اتباعك فانما عليك البلاغ
ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من يشاء ويترك على الضلالة من اراد ثم وصف المتولين
بصفات ثلث واردفه بوعيده فقال ان الذين يكفرون بايات الله اى ببعضها لان اليهود كانوا مقرين ببعض الايات الدالة على وجود الصانع
وقدرته وعلمه وشئ من المعاد وبكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض ايات الله كافر بجميعها ويقتلون النبيين اى
المعهودين كانهم قتلوا كلهم لا اكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون او يقاتلون الذين يامرون بالقسط من الناس عن الحسن فى الاية
دلالة على ان الامر بالمعروف والناهى عن المنكر تلى منزلته عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروى ان رجلا قام الى رسول الله فقال
اى الجهاد افضل فقال ص افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون فى حكم المستقبل لانه من الحال لانه
وعيد لمن هو فى زمن رسول الله ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله
والمؤمنين جميعا الا انه تعالى عصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم كما يقال السم قاتل اى ذلك من شانه ان وجد القابل ويقولون صفوا
[illegible] اسلافهم لانهم راضون بذلك عن ابى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله ص اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا
امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفاء
لتضمن اسم ان معنى الشرط فان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول اجتماع اسباب الالام
والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم واستعارة البشارة ههنا للتهكم الثانى زوال اسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله اولئك حبطت اعمالهم
فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا فابدال المدح بالذم والثناء باللعن واسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبى والقتل
والجزية واما فى الاخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك فى حقهم وهو قوله وما لهم من
ناصرين ثم ذكر غاية عناد اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله ص بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت يا محمد فقال على ملة ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا
الى التورية فهى بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقال الكلبى نزلت فى اللذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله ص فيهما بالرجم وانكر اليهود عليه وسوف
تجئ القصة فى سورة المائدة مفصلة وقيل دعاهم النبى ص او اياهم والنصارى الى الايات الدالة على صحة نبوته من التورية ومنها ومن الانجيل
فابوا فنزلت معنى قوله اوتوا نصيبا اى حظا وافرا من علم الكتاب يريد احبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به غير القران
من الكتب التى كانوا مقرين بحقيتها وقيل اى حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهى نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون
الى كتاب الله وهو التورية كما مر فى اسباب النزول لانه تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذى
يعتقدون صحته وعن ابن عباس انه القران وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم اى الكتاب بينهم اى
بينهم وبين رسول الله ص فحذف الثانى للعلم به او يراد الحكم فى الاختلاف الواقع بينهم كما فى قصة الزانيين ولهذا راجعوا فى ذلك رسول الله
رجاء ان يكون عنده رخصة فى ترك الرجم قال فى الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادى بين من اسلم من احبارهم وبين من لم
يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار
او الذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتى الدعاء والتولى وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وهجيراهم وفى الضمير
فى هم اما ان يرجع الى الفريق اى هم جامعون بين التولى والاعراض لا عن استماع الحجة فى ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات واما





ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قد وصف العلماء والرؤساء بالتولى والباقين بالاعراض لاجل علمائهم ومقلديهم واما ان يرجع الى الكل اهل الكتاب
اى هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولى والاعراض وذلك العقاب والوعيد بسبب انهم كانوا يتساهلون فى امر العقاب لا يفرقون بين
ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات هى ايام عبادة العجل فاستوجبوا الاثم من وجوه احدها
استقصار مدة العذاب ومن اين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودات
فقط فيه دليل على انهم استحقروا تكذيب محمد ص والقران وذلك كفر صريح وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون بالنبوة من قريش ومن زعمهم ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون او فكيف حالهم فى هذا الحذف تمام ما لا يخفى من تحريك النفس على استقصاء كل نوع من العذاب اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا ليوم الخميس معناه جمعوا لفعل يوجد فى يوم الخميس واذا قلت جمعوا فى يوم الخميس فلا تضمر فعلا وايضا
من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب وعقاب جزاء ما عملت وهم لا
يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسى روى ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار
راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار التاويل ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلى بالشقاوة ربنا غلبت
علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس والهوى يرد الى اسفل سافلى الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما
عاش فيه ويحشر على ما مات عليه فى قعر جهنم وبئس المهاد مهاد مهده فى معاشه قد كان لكم اية فى فئتين التقتا ان الله تعالى فى الظاهر من المؤمن والكافر
وفئتين فى الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة وبينهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر فالله يؤيد بنصره من يشاء من
القلب وجنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس واعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن
جنود الفئتين واعوان الفريقين بقوله زين للناس واعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس والغالب عليهم الهوى
وهم اصحاب النفوس والخواص ويذكرهم بلفظ الولى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان جهنم سبع دركات
محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمانية للخواص منها التقوى للذين اتقوا
والرضاء بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا امنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات
عاجلة تجرى من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التى تتولد منها فاذا عاش فى الجنات مات وحشر كذلك
ثم اشار الى حال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما طلبوا لهم الدنيا مرعى على اولياء
ولا وقفوا عند جنة الماوى ما زاغ البصر وما طغى انما طلبوا قرب المولى للذين احسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلى عن علمه السرمدى على ذاته
الاحد وكونه الصمد انه لا اله الا هو وهى شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها احد فكان ذاته
لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدره على كمال عزه حين لا حين ولا اين ولا عقل ولا جهل
ولا غير ولا شرك ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا اولوا العلم ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر
الذى كان عما كان كما كان وهو انه لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح
ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد ولكن ماء التوحيد القدم يجرى فى مجارى انهار المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة واولى العلم ثم الملائكة وان
كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان اولوا العلم ولكن خص اولوا العلم منهم بمشربية فالزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها لى سكرتان وللندمان واحدة
شئ خصصت به من بينهم وحدى تحقيق معنى الاية شهد الله انه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة واولوا
العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو تأكيد لاولى العلم الذين لهم شركة مع الملائكة فى مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالشربية لماء
التوحيد فشاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذى لا يشاهد عزته الا عزته من بين البرية الحكيم الذى بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الاختلاف فى الصورة من نتائج تناكر الارواح فى عالم المعنى والارواح فما تعارف منها فى الميثاق تقاربهم فى الصف
او تقابلهم فى المنزل ائتلف وما تناكر منها تباعدهم فى الصف وتدابرهم فى المنزل اختلف الا من بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد لكن المحمود
منه ما يخص باسم الغبطة ويقتلون النبيين الانسان يخلق مستعدا لقبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكمال الانسان فى قبول فيض اللطف
ان يفدى نفسه فى متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية ونقصانه فى قبول فيض القهر ان يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا تحبط اعماله ولا يرجى
توبته كابليس الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة الى ان من اوتى حظا من العلم فعليه اذا دعى الى حكم من احكام الله والى ترك الدنيا ومخالفة الهوى
ان يمتثل وينقاد الا ان كان مغرورا بالدنيا او الدعوى وهذه حال اكثر من اوتى نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل الغرة بالله
فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من

تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير ۝ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي

من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ۝ لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل

ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير ۝ قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه

يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير ۝ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من

سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ۝ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ۝ قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ۝ ان الله اصطفى ادم

ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين ۝ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ۝ القراءة الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد على فعيل حيث كان ابو جعفر ونافع وحمزة و

علي وخلف وسهل ويعقوب وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها ابو زيد عن المفضل

وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرأ حمزة وعلي وخلف بالامالة الوقوف ممن تشاء ز لان التاء في الجملتين المتضادتين معنى الجملتين مثلها

وتذل من تشاء ط الخير ط قدير ٥ في الليل ز للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحي لعطف المتفقتين حساب المؤمنين ج تقاة ط نفسه ط

المصير نصف الجزء يعلمه الله ط وما في الارض ط قدير محضرا ج لا جوزان يوقف على سوء تقديره وما عملت من سوء كذلك بعيدا ط نفسه ط

بالعباد ذنوبكم ط رحيم والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين العالمين لا لان ذرية بدل من بعض ج عليم لا لاحتمال ان اذ متعلق

بالوصفين اي سميع دعاءها وعلم رجاءها حين قالت واصطفى ال عمران وقت قولها ولاحتمال نصب اذ باضمار اذكر التفسير انه سبحانه لما ذكر من

طريقة المعاندين ما ذكر علم نبيه طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم معناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة

عوض عن يا وانما اخرت تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع

همزته في يا الله وعند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففوا الهمزة من ام وزيف بان التقدير لو كان

كذلك لزم ان يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز ان يتكلم به على اصله من غير تخفيف الهمزة وباثبات حرف النداء واجيب بانه لم يوسط

العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثاني تفسيرا للاول فيكون اكد وبان الاصل كثيرا

ما يصير متروكا مثل ما اكرمه فانه لا يقال شيء ما اكرمه في التعجب ومالك الملك نداء مستانف عند سيبويه فان النداء باللهم لا يوصف كما لا يوصف

اخواته من الاسماء المختصة بالنداء نحو يا هناه ويا نومان ويا ملكعان وقد اجاز المبرد نصبه على النعت كما جاء في يا الله عن ابن عباس

انس بن مالك ان رسول الله صلعم حين افتتح مكة ووعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك

فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك فنزلت الاية وعن عمرو بن عوف ان رسول الله صلعم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا و

اخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلعم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها

ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي قصور الحيرة كانها انياب

الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها قصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي

ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح

لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى امر نبيه ان يسأله ان يعطيه ملك فارس و

الروم ويرد ذل العرب عليهما وامره بذلك ليدل على انه يستجيب له هذا الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا امروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك

الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه ان قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما

بين كونه مالك الملك وانه هو الذي يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك مملوكه فصل ذلك بقوله تؤتي الملك من تشاء اي النصيب الذي

قسمت له واقتضته حكمتك فالاول عام والاخر بعض من الكل وهذا الملك قيل ملك النبوة لانها اعظم مراتب الملك لان العلماء لهم امر على

بواطن الخلق والجبابرة لهم امر على ظواهر الخلق والانبياء امرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل احد ان يقبل شريعتهم ولهم ان يقتلوا من اراد و ان





المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا ابعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان يجب ان يكون فقير يتيم فكيف يليق به هذا

المنصب العظيم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود يقولون النبوة في اسلافنا فنحن احق بها وقد وقع في تفسير قوله قل للذين كفروا

ستغلبون ان اليهود تكبروا على النبي صلعم بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو

النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى انه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى انه ينقلها من نسل الى نسل كما نزع من

بني اسرائيل ووضع في العرب او بمعنى انه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتناول من لم

يكن في ظلمة الكفر قط ومثله او لتعودن في ملتنا مع ان الانبياء لم يكن في ملتهم قط حتى يتصور العود اليها وقيل المراد من الملك التسلط الظاهر

وهو الاقتدار على المال بانواعه وعلى الجاه وهو ان يكون مهيبا عند الناس وجيها غالبا مظفرا ومطاعا ومن المعلوم ان كل ذلك بايتاء الله تعالى

فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل حتى ابالج ندرا اينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة

ونحو لا نعلمنا ان الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات

الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل احد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا ان يكون من مسبب الاسباب وفاعل الكل ومدبر الامور

وناظم مصالح الجمهور ؛ لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم اقطار السماء تعلقي ؛ لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مفترقان اي تفرق ؛ ومن الدليل

على القضاء وكونه ؛ بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق ؛ وكذا الكلام في نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم تنفيذ بعمر من العادل المصلح

يقتضي ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب

الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم

وهذا كقوله صلعم كما تكونون يولى عليكم والصحيح ان الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ و

القدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل

من الاعزاز والاذلال في الدنيا والاخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده ولا ذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا

كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتيسير الله تعالى وتقديره

بيدك الخير بقدرتك يحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر تنبيها لاوليائه على رغم من اعدائك

او لان جميع افعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى

المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير فكلها خير او لان القادر على ايصال الخير اقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني وللاحتراز عن

لفظ الشر مع ان ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير

تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار وبالعكس ففي كل منها قوام العالم

ونظامه او ياتي بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمته بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم ياتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه

فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الاخر والاول اقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا ازداد من هذا في ذلك فقد ادخله فيه وتخرج الحي

من الميت المؤمن من الكافر او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه او الطيب من الخبيث والحيوان من النطفة والطير من البيضة

وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او يخرج السنبلة من الحب تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو

قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اردفه بشريطة الشفقة على خلق الله وتفوق

لما ذكر انه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه فقال لا يتخذ

المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر لالتقاء الساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرأ والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الاخر

وقوله من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج

بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن

جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس ايضا في رواية الضحاك

نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلعم يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل

من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود

والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلعم فانزل الله تعالى هذه الاية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد

كرر ذلك في ايات اخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون

من حاد الله ورسوله وكون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان

يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الاية لقوله يا ايها الذين امنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك ممنوع منه

كالمتوسط بين القسمين وهو ان يكون اليهم المعونة والمظاهرة لقرابة او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن
بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد ان دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه حذرا من ان يجره الى استحسان طريقة
والرضاء بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلاجرم هدد فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله اي من ولايته ومن دينه في شيء يقع عليه
اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا كالبيان لقوله من دون المؤمنين ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالات
غير متصور وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال تود عدوي ثم تزعم انني ❊ صديقك ليس النوك عنك بعازب ❊ قال
بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الاخر كالملك العادل فانه يحب ان ارادان يعم الحكم لابد له ان يزيل عليه
اذا كانوا في مرتبة واحدة الا ان تتقوا منهم تقاة قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة ووزنها فعلة وكذلك فالتقاة اسم وضع موضع
المصدر قال الواحدي ويجوز ان يجعل تقاة ههنا مثل رماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا او تخافوا
ولهذا عدي بمن ويحتمل ان يكون التقاة او التقية بمعنى المتقي مثل ضرب الامير لمضروبه فالمعنى ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه رخص لهم في موالاتهم
اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار
الطوية كقول علي كن وسطا وامش جانبا اي ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله وللتقية عند العلماء احكام منها اذا كان الرجل في
قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له ان يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط ان يظهر خلافه ويعرض في كل ما يقول ما امكن فان التقية تاثيرها في
الظاهر لا في احوال القلب ومنها انها رخصة فلو تركها كان افضل لما روى الحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله فقال لاحدهما
اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم انه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الاخر
وقال اتشهد ان محمدا رسول الله فقال نعم نعم نعم فقال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم ثلثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله فقال
اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له واما الاخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظير هذه الاية الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد يجوز ان تكون ايضا فيما يتعلق باظهار الدين فاما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل
والزنى وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها ان الشافعي جوز
التقية بين المسلمين كما جوز بين الكافرين محاماة على النفس ومنها انها جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله حرمة مال
المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد لان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع
الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في اول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن قال التقية جائزة الى يوم القيمة وهذا ارجح
عند الائمة ويحذركم الله نفسه قيل اي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة اعدائه لان شدة العقاب على حسب قدرة
المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الذي يحذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء اي ينهاكم الله
عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم وضمائركم لان
القلب في الصدر مجازا اقامة الظرف مقام المظروف او تبدوه يعلمه الله يتعلق به علمه الازلي ثم استانف بيانا اشمل فقال ويعلم ما في السموات
وما في الارض ثم قال انما ما للتحذير والله على كل شيء قدير ثم خلط الوعيد بالترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد فقال يوم تجد وفي عامله وجوه قال
ابن الانباري والى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شيء قدير يوم تجد وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة
الله تعالى تعظيما لشانه مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر اي اذكروا والاظهر ان العامل فيه تود والضمير في بينه لليوم اي تود كل نفس
يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا ايضا ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا والامد الغاية التي ينتهى اليها كما
كانت او زمانا والمقصود تمنى بعده كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا انه يكون ما كتب فيه العمل من الصحائف
حاضرا او يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل
ان يكون حالا واحتمل ان يكون ما عملت مبتدأ من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل ان يكون ما شرطية وتود جزاء له وهو قليل
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وقراءة عبد الله ودت تحملها على السوء الا ان الحمل فيها على الابتداء والخبر وقع في المعنى
لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم ويحذركم الله نفسه تاكيد للوعيد والله رؤف بالعباد قال الحسن من رافته ان حذرهم نفسه وعرفهم كمال
علمه وقدرته وانه يمهل ولا يهمل ورغبهم في استيجاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز ان يراد انه رؤف بهم حيث امهلهم للتوبة والتلافي
او هو وعد كما ان التحذير وعيد والمراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عينا يشرب بها عباد الله كما هو منتقم من الفساق ويحذرهم نفسه فهو
رؤف بالعباد المطيعين المحسنين ثم انه تعالى دعا القوم الى الايمان به وبرسوله من طريق اخر سوى طريق التهديد بالتحذير فقال قل ان كنتم تحبون الله
قال الحسن وابن جريج زعم اقوام على عهد رسول الله انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله هذه الاية وروى الضحاك عن
ابن عباس قال وقف النبي على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون

هافقال



لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابيكم ابرهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انا نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى
فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام ليقربوكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم
وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها نزلت حين زعمت اليهود انهم ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا انهم يعظمون
المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل ان كل من يدعي محبة الله تعالى من فرق العقلاء فلابد ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا
قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد وجبت متابعته فليس في متابعته الا انه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه
وترك المحبوب والاعراض بالكلية عن غيره وقد مر في قوله والذين امنوا اشد حبا لله تحقيق المحبة وانها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب وقال
ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور في الدنيا يستر على عبده انواع المعاصي
رحيم في الاخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى انه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله بن ابي ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى فنزلت قل اطيعوا الله والرسول وذلك ان الاية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته
ثم ان المنافق القى شبهة في البين امر الله تعالى ان يقول انما اوجب الله عليكم متابعتي لا لما يقول النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله مبلغ
تكاليفه فان تولوا اعرضوا او تعرضوا على ان يكون الثناء الاولى محذوفا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم فانه لا يحصل للكافرين محبة الله
لانها عبارة عن الثناء لهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين ان محبته لا تتم الا بمتابعة الرسل بين علو
درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية اي جعلهم صفوة خلقه والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشيء
الذي يصفى وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقيل
المعنى ان الله اصطفى دين ادم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الانبياء مخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية
والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهي اما مدركة او محركة اما المدركة فهي الحواس الظاهرة او الباطنة اما الظاهرة فقوله زويت لي
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله اقيموا صفوفكم وتراصوا فاني اراكم من وراء ظهري وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما
حصل لابرهيم وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ذكروا في تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس بمستبعد
فانه يروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلثة ايام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال
اطت السماء وحق لها ان تئط فسمع اطيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الملك وقد سمع سليمان
كلام النمل وفهمه ومثله ما يروى ان النبي تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ايام وقال ان هذا الذراع يخبرني
انه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابرهيم قيل فهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا ادراك
ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل عجيب ان يحمل هذا على معنى اخر وهو انه تعالى لا يبعد ان يجعل المنافي ملائما للاعجاز او لخاصية اودعها في
المنافي حتى يصير ملائما واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي علمني رسول الله الف باب
من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب فاذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي واما القوة المحركة فكعروج النبي وعروج عيسى الى السماء و
كرفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار واما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس او
كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلاجرم يجري عليها الانوار الفائضة من المبادي العالية ثم من سائر النفوس وكمل ولهذا
بعثوا مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين مصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك افضل من
البشر او من سكان السموات ايضا عند من يرى البشر افضل المخلوقات ثم ان القران دل على ان اول الاشياء صطفى الله وخليفته ثم انه وضع كمال
القوة الروحانية في شعبة معينة من اولاد ادم وهم شيث واولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابرهيم ثم انشعب من ابرهيم شعبتان اسمعيل
واسحق فجعل اسمعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد وجعل اسحق مبدأ لشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب و
وضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد فلما ظهر محمد نقل نور النبوة ونور الملك اليه وبقي الدين والملك في امته الى يوم
القيمة فالمراد بال ابرهيم اولاده وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما واما ال عمران فقيل اولاد عمران بن يصهر
والد موسى وهرون وقيل المراد بال عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امرأت عمران ولا شك ان عمران بن ماثان
جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على يده فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء
الله اياه لا لكونه شريكا لله ولان هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين ذرية بدل من ال ادم بعضها من بعض
قيل اي في التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير ادم
كانوا من الذين من ادم وقيل يعني ان الال ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر
ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال في الكشاف ماثان

اصطفى ادم

سليمان بن داود بن ايشا بن يهودا بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان بين ماثان وسليمان قوما آخرين وكذلك بين ايشا ويهودا والله سميع لاقوال
العباد عليم بضمائرهم وافعالهم فيصطفى من خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه تقريرا للعوام ببطلان هذا الكلام فيكون اول الكلام تشريفا للمرسلين وآخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع
لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل ان يتعلق بما بعده كما مر في الوقوف التاويل مالك الملك هو مالك الوجود
فلا وجود بالحقيقة الا له تؤتي الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد
بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النوري وتذل من تشاء بذل القبض القهري بيدك الخير انك على كل
شيء قدير تضمين للدعاء بذكر السبب كما يقال للجواد انك الذي يقدر على اعطاء كل خير فاتنا واعزنا يا مفيض كل خير ويا كاشف كل ضير تولج ليل ظلمات
الصفات البشرية النفسانية في نهار انوار الصفات الروحانية وبالعكس تخرج القلب الحي بالحيوة الحقيقية من النفس الميتة وتخرج القلب الميت عن
الحيوة الحقيقية من النفس الحية بالحيوة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب المؤمن والروح والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان
والهوى والدنيا اولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من انوار الله والطافه في شيء الا ان تتقوا
من هلاك النفوس فان النفس مركب الروح فتواسوها كيلا تعجز عن السير او الرجوع ولقطع الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله
نفسه اي من صفات قهره قل ان تخفوا ما في صدوركم من معادات الحق في ضمن موالاة النفس ويعلم ما في سموات قلوبكم وما في الارض نفوسكم
يوم تجد كل نفس ما عملت اثر الخير والشر ظاهرا في ذات المرء وصفاته بحسب ذلك يبيض وجه قلبه او يسود ولكنه في غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب
النفس والجسم كمثل نائم لدغته حية لحية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نائما نوم الغفلة فاذا مات انتبه واحس ثم اخبر عن طريق الوصول انه في
متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلث درجات وللمحبة المحب ثلث درجات ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلث درجات اما درجات الاتباع
فالاولى درجة عوام المؤمنين وهي متابعة اعماله والثانية درجات الخواص وهي متابعة اخلاقه والثالثة درجة اخص الخواص وهي متابعة احواله
واما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا حب يتغير بتغير
الاحسان وهو للمتابعين الاعمال الذين يطمعوا جزاء على ما يعلمون وفيه قال ابو الطيب وما انا بالباغي على الحب رشوة : ضعيف هوى يرجى عليه ثواب
والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا له ولانه اهل لذلك كما قال رابعة احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل
لذاكا : ويضطر هذا المحب في هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد لبقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال الشعر ما عبد الله
لا ارجو مثوبة لكن تعبد اعظام واجلال : والثالثة محبة اخص الخواص المتبعين للاحوال وهي الناشئة من الجذبة الالهية في مكان من كنت كنزا
مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فاهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة لسبق العناية شعر غذينا بالمحبة يوم قالت له الدنيا ايتيا
ايتيا طائعينا : وحقيقة هذه المحبة ان يفني المحب بسطوتها ويبقى المحبة فيه بلا هو كالنار يفني الحطب بسطوتها ويبقى النار منه بلا هو نار
ولا دخان واما درجات محبة الله للعبد فاعلم ان كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه في الحقيقة صفات
المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله وافعاله قرأ القارئ
بين يدي الشيخ ابي سعيد ابي الخير قوله يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعة الصانع
اذا مدح صنعه فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه حقيقة الا انه لما كان مورده الخلق بحسب ذلك اختلفت مراتبها مع انها صدرت
عن محل واحد كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من اهل المعرفة
بالرحمة ومشربهم الاعمال فقيل لهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف المتابعة
وتعلقت بالخاص من اهل المعرفة بالفضل ومشربهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل يتجلى صفات الجمال ويغفر لكم
ذنوبكم يستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني ببذل الوجود يحببكم الله
يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحو كم عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فهم بين روضة المحو
وغدير الاثبات احياء عند ربهم يرزقون في هذا المقام المحب والمحبوب والمحبة واحدا كما ان الرائي في المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون
الرائي والمرئي والرؤية واحدا قل اطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدورة محبته لكم ان الله اصطفى آدم وذلك ان الله
تعالى خلق العالمين سبعة انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح وجمع في آدم جميع الانواع وخصه بتشريفات من هو
تشريف ونفخت فيه من روحي فهو المظهر لجميع آياته وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله وان الله خلق آدم ثم ذكر خواص اولاد آدم
نوحا وآل ابراهيم وآل عمران والمراد بالآل كل مؤمن تقي بعضها من بعض بالوراثة الدينية العلماء ورثة الانبياء فالعالم كشجرة وثمرتها اهل المعرفة والله
سميع لدعائهم عليم باحوالهم وخصالهم اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت
چون گفت زن عمران پروردگارا نذر کردم از برای تو آنچه در شکم من است آزاد کرده پس بپذیر از من بدرستی که تو
بهم یطوفون وبهم یرزقون





السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم
شنونده دانا است پس چون که نهاد حمل گفت ای پروردگار من بدرستی که من نهادم آن را دختر و خدا داناتر است بآنچه نهاد ونیست پسر مانند دختر ومن نام نهادم او را مریم
واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما
ومن پناه میدهم او را بتو با فرزندانش از شیطان رانده شده پس قبول کرد او را پروردگار او بقبول نیکو وتربیت داد او را پرورش نیکو وپذیرفت او را زکریا هر وقت که
دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
در آمدی بر او زکریا در محراب یافتی در نزد او روزی گفت ای مریم چگونه شد مر ترا این گفت که آن از نزد خداست بدرستی که خدا روزی میدهد هر که را خواهد بی اندازه
هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي
از آن جا خواند زکریا پروردگارش را گفت ای پروردگار من ببخش مرا از نزد خود فرزندان پاک نهاد بدرستی که تو شنونده دعا پس ندا کردند او را فرشتگان در حالتی که ایستاده بود نماز میکرد
في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون
در محراب که خدا مژده میدهد ترا بیحیی باور دارنده مر بنده از خدا را ومهتر وپارسا وپیغمبری از نیکوکاران گفت ای پروردگار من کی
لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلثة ايام
مرا فرزند شود وحال آنکه دریافت مرا پیری وزنم نیز نازا است گفت که اینچنین است خدا که میکند هر چه خواهد گفت پروردگارا قرار ده از برای من نشانه گفت نشانه تو آنست که گفتگو نکنی با مردم سه روز
الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار القراءة متى تلك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وبما وضعت على الحكاية ابن عامر
مگر بطریق رمز و یاد آور پروردگار خود را بسیار و بپاکی یاد کن در شام و صبح
ويعقوب وابو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة واني اعيذها بفتح الياء ابو جعفر
ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وقرأ ابو بكر
وحماد بالمد النصب ههنا الباقون بالمد الرفع فناديه بالياء والامالة علي وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التأنيث في المحراب بالامالة
حيث كان مخفوضا قتيبة وابن ذكوان ان الله يبشرك ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلي الباقون بالتشديد
لي آية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير الوقوف منتج بلا ابتداء ولا احتمال لانك العليم انثى ط لمن قرأ بما وضعت بالتاء
الساكنة ومن قرأ على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت ط كالانثى ج للابتداء بان ولاحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها
على قراءة من قرأ وضعت بالضم الرجيم حسنا ص لمن قرأ كفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب تعالى مفعول
كقوله اكفلنيها المحراب لا لان جد جواب كلما رزقا ج لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا ط من عند الله ط حساب ج لما قلنا في رزقا
طيبة ج للابتداء وجواز كلا لانك الدعاء في المحراب لا وان كسر ان لان من كسر جعل النداء في معنى القول الصالحين عاقر ط ما يشاء آية ط رمزا ط
والابكار التفسير انه سبحانه ذكر في هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنة ام مريم البتول وجدة عمران بن ماثان بنت فاقود اخت ايشاع
التي كانت تحت زكريا بن اذن روي ان حنة كانت عاقرا لم تلد الى ان كبرت وعجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها
للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران
وهي حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كالهام موسى فقذفته في اليم عن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبد تخليصه من الرق
وتحرير الكتاب اذا اصلحته وخلص من الغلط ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه يد وتصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة
ولا سبي كان في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع عن الانتفاع و
يجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا فان ابى المقام واراد ان يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار
له بعد ذلك ولم يكن نبي الا ومن نسله محرر في بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت
مطلقا اما لبناء الامر على الفرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال مما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت
لك ان اجعل ما في بطني محررا فلما وضعتها يعني ما في بطنها لانها كانت انثى في علم الله او على تاويل النفس والنسمة الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر
بمعنى المحبول كما سمي بالحمل ثم ادخلت عليه التاء للاشعار بمعنى الانوثة ومنه الحديث نهى عن حبل الحبلة ومعناه ان يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي
في بطن الناقة على تقدير انه يكون انثى قالت رب اني وضعتها حال كونها انثى ثم من قرأ والله اعلم بما وضعت على الحكاية فمجموع الكلام الى آخر
الآية من قولها ويكون فائدة قولها اني وضعتها انثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذي تقدم منها والخوف من انها لا يقع الموقع الذي
يعتد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها ثم خافت ان يظن بها انها قالت ذلك لا ضعلام الله تعالى فقالت
والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى ليس جنس الذكور كجنس الاناث لا سيما في باب السدانة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا في شرعهم
والذكر يمكن له الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل ان
تكون غايرة بالله واثقة بان كل ما صدر عنه فانه يكون خيرا وصوابا فقالت رب اني وضعتها انثى ولكنك عرفت واعلم بحالها وضعت فلعل

لك فيه سر او ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لي لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام في الذكر وفي الانثى للعهد وهو حاضر ذهنها لكنها في الذكر لحاضر ذهني بتقدير المدلول لما في بطني عليه ضمنا وفي الانثى لحاضر ذهني حقيقة لتقدم لفظة انثى ومن قرا بما وضعت بسكون التاء للتانيث فالجملتان اعني قوله والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت لما علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها اية للعالمين وهي جاهلة بذلك ثم زاده بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واني سميتها مريم وذلك ان اباها قد مات عند وضعها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم في لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا اردفت ذلك بالاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها الضمير يعود الى امراة عمران ظاهرا بدليل انها التي خاطبت ونادت بقولها رب اني وضعتها ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى انكار ما في بطنها فسر بها بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشيء وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكى انه لم يسمع غيره واجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء في قوله بقبول بمنزلة الباء في قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفي التقبل نوع تكلف فكانه انما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال في الكشاف معناه فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في النذر او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل وذلك من قولهم استقبل الامر اذا اخذه باوله اي فاخذها من اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا قيل كانت تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام وقيل المراد نماؤه في الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية والوحي على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلث مرات ففي كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب اقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها من اول امرها وهو قول الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب المذكور والارجح انها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم في الصغر وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهي غرفة يصعد عليها بسلم وقيل هو اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وفي التركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه و كان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز من قائل كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم ان الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى ابو هريرة عن النبي ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت وذلك لدعاء حنة واني اعيذها ومنها تكلمها في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روي عن النبي انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبي لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها وفي امثال هذه الخوارق من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق في الاول يدعي النبوة وفي الثاني يدعي الولاية والنبي يدعي المعجز ويقطع به والولي لا يمكنه ان يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبياء مامورون باظهار المعجزة والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بان دلالة صدق الانبياء دليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد من غير العالم واجابوا عن حديث ابي هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكشاف واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه قلت عجيب من مثله مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان والصراخ منه في وقت الولادة [illegible] بعالم الارواح وبزمان المكاشفة بعيد العهد من عالم الغفلة والالف بالمحسوسات ان يحس به في وقت

اخر



اخر ويصرخ على ان اثر من الشيطان ونخسه يظهر في هيئات النفس واحوالها ولها امور لا يعرفها الا بعد المفارقة او قطع العلائق البدنية والكلام فيه يستدعي فهما واستعدادا اخر غير العلوم الظاهرة قال الجبائي لم لا يجوز ان يكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا من تفاصيل ما ياتيها من الارزاق من عند الله فاذا راى شيئا بعينه في وقت معين قال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك يعلم ان الله تعالى اظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا يشاهد عندها رزقا معتادا الا انه كان ياتيها من السماء وكان زكريا يسالها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره على انا لا نسلم انه ظهر لها شيء من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا راى شيئا من ذلك خاف ان ذلك الرزق اتاها من حيث لا ينبغي وكان يسالها عن كيفية الحال قلت امثال هذه الشبهات يوجبها الشك في القران وفي الحديث والعصبية المحضة على انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان ماذونا من عند الله في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال ايضا كيف قنع بمجرد اخبارها في نوال النعمة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن اخبر الله تعالى بانه اصطفاها على نساء العالمين وقال وجعلناها وابنها اية للعالمين القصة الثانية واقعة زكريا ردذلك قوله سبحانه هنالك اي في ذلك المكان الذي كانا فيه في المحراب او في ذلك الوقت الذي شاهد فيه تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضي ان يكون قد عرف في ذلك الزمان والمكان امرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا راى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء وبالعكس وان ذلك خارق للعادة نطمع سوانح في امر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امراة عاقر وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا في قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية الوقت لانه في الطلب واما المعتزلة الذين انكروا كرامات الاولياء وارهاص الانبياء قالوا ان زكريا لما راى اثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى ان يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء النبي لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان لا يكون الاجابة مصلحة فيصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه واقول ان دعاء النبي لا يكون بمجرد التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالضد على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن اصلح لم يبشر الله عليه ويصرفه عنه ومعنى قوله من لدنك ان حصول الولد في العرف والعادة له اسباب مخصوصة وكانت مفقودة في حقه فكانه قال اريد منك يا رب ان تعزل الاسباب في هذه الواقعة و تخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع الذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانث الطيبة لتانيث لفظ الذرية في الظاهر فالتذكير والتانيث تارة يجيء على اللفظ واخرى على المعنى وهذا في اسماء الاجناس بخلاف الاعلام فانه لا يجوز ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير انك سميع الدعاء بمعنى سماع اجابة وذلك لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة ظاهر اللفظ للجمع وهذا في باب التشريف اعظم ثم روى ان المنادي كان جبريل قال الوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل وياكل الاطعمة النفيسة اي من هذا الجنس ويأكل منه ولانه جبريل كان رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه اخرون ان الله يبشرك بيحيى ان زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل له ان ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل ان يكون المعنى يبشرك بولد يسمى يحيى كما يجيء في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم اعجمي كموسى وعيسى ومن جوز ان يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال ابو عبيدة اي مؤمنا بكتاب الله وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهما حاملان بهما فقالت يا مريم اشعرت اني حبلى فقالت مريم واني ايضا حبلى قالت امراة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس ان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من امن به وصدق انه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة الله وهي كن من غير واسطة اب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء او لكونه متكلما في اوان الطفولية او لانه منشأ الحقايق والاسرار كالكلمة ولهذا سمي روحا ايضا لانه سبب حيوة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان او لانه وردت البشارة به في كلمات الانبياء وكتبهم كما لو اخبر عن حدوث امر ثم حدث قلت قد جاء قولي وكلامي اي كنت اقول انه تكلم به ومنها قوله وسيدا والسيد الذي يفوق قومه في الشرف وكان يحيى فائقا القوم بل الناس كلهم في الخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل اي محصورا عن النساء لضعف في الالة وزيف بانه من صفات النقص فلا يليق في معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل وهو الذي لا ياتي النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك النكاح كان افضل في تلك الشريعة فلو ان الامر بالنكاح والحث عليه ورد في شرعنا كان الاصل بقاء الامر على ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا تتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام وهو منع النفس عما لا ينبغي روي انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا اشارة الى ما عدا الامر

فانه ليس بعدها الا النبوة ثم قال من الصالحين اى من اولادهم لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن
الصالحين او لان صلاحه كان اتم لقوله صلعم ما من نبي الا وقد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم فيه ان الختم على الصلاح
هو الغرض الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمن بعد حصول النبوة وادخلنى برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف توفنى
مسلما والحقنى بالصالحين ثم ان الملائكة لما نادوه قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر ادركتنى السن
العالية واثر في طول العمر واضعفنى قال اهل اللغة كل شيء صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا امكن تصور الطلب من الجانبين فيجوز
بلغت الكبر وبلغنى الكبر لان الكبر كالشيء الطالب للانسان فهو يأتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا يأتيه بمرور العمر عليه ولا يجوز بلغنى البلد في موضع بلغت
البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب وامرأتى عاقر هي من الصفات الخاصة بالنساء وقيل رجل عاقر اى لا تنبت شيئا فان قيل لما كان زكريا هو
الذى سئل الولد ثم اجابه الله تعالى الى ذلك فاوجه تعجبه واستبعاده بقوله انى يكون من ابن يحصل لى غلام فالجواب على ما في الكشاف ان الاستبعاد
انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينة ان دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة فكان
قد نسى ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة في زمان الشيخوخة استغرب كان له يومئذ مائة وعشرون سنة او تسع وتسعون ولامرأته
ثمان وتسعون وعن السدى ان الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولا سيما انه
كان من مصالح الدنيا ولم يتأكد بالمعجزة فرجع الى ازالة ذلك الخاطر فسئل ما سئل والجواب المعتمد ان زكريا لم يسئل عما سئل استبعادا او تشككا في
قدرة الله تعالى وانما اراد تعيين الجهة التى بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل
ما يشاء وهو ما جملة واحدة اى الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفانى والعجوز العاقر او جملتان
فيكون كذلك الله مبتدأ وخبرا اى على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيانا له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه تلقى
سروره وثقه بكرمه وانعامه سئل عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لى آية علامة اعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر من اول الامر قال
آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام اى بلياليها ولهذا ذكر في سورة مريم ثلث ليال ومعنى قوله الا تكلم الناس قال المفسرون اى لا تقدر على التكلم
حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة مشتغلا بذكر الله بالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشئ
الواحد علامة على المقصود واداء لشكر النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفي هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز
عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر
وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه عوتب بذلك حيث سئل بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام ثلث ولحسن
العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهى انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل ان يكون قد طلب علامة للعلوق
واحتمل ان يكون قد طلب كالدالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودالة على الفعل الخارق جميعا مع مناسبتهم
للواقعة حيث سئل ما كان من حقه ان لا يسئل وزعم ابو مسلم ان المعنى آيتك ان تصير مأمورا بعدم التكلم ولكن الاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا
اشارة بيد او راس او بالشفتين ونحوها واصل التركيب للتحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء من قوله الا تكلم وجاز وان
لم يكن الرمز من جنس الكلام لانه مؤدى مؤدى الكلام ويجوز ان يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفى وعلى هذا فالاستثناء متصل
من غير تكلف وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس
دفعة بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب
لانه كان عاجزا عن التكلم فقط وسبح حمله بعضهم على صل كيلا يكون تكرارا للذكر وقد يسمى الصلوة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون الآية
بالعشى مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر ابكر يبكر اذا خرج
للامر من اول النهار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار التأويل ان الله تعالى في كل ذرة من ذرات الموجودات وحركة من حركاتها اسرار
لا يعلمها الا الله فانظر ماذا اخرج الله من الاسرار عن طعام طائر فرخه وماذا اظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيمة
بواسطة مريم وعيسى فتقبل منى راجع الى المحرر لا الى النذر اى تقبلها منى ان تكفلها وتربيها تربية المحررين فتقبلها ربها اى تقبلها
ربها ان ربيها بقبول حسن كقبول ذكرا وقبولا اخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا من كمال فتنته كفالتها الى زكريا حيث اراد ان يخرج
عيسى منها بلا اب لئلا يدخل عليها غيره فيكون ابعد من التهمة وجد عندها رزقا اى فتوحات الغيب التى يطعم الله به خواص عباده الذين
يبيتون عنده لا عند انفسهم ولا عند الخلق كقوله صلعم ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ما لم يكن في حسابها
من الولد بلا اب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما انه تعالى جعل اطعام
الطائر فرخه سبب تحريك قلب حنة بطلب الولد فكذلك جعل حالة مريم وما كان يأتيها من الرزق خارقا للعادة سبب تحريك قلب زكريا
قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة اى ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب والواسطة

الصالح



الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثانى الذى هو لارواح الاولياء المحتجبة بين الله تعالى حجاب الصف الاول وبخلاف الصف الثالث الذى هو
لارواح المؤمنين وبخلاف الصف الرابع الذى هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته الملائكة وهو قائم بالله يصلى بالله باسره في الملكوت
يحارب نفسه وهواه في المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه منذ خلق ما ابتلى بالموت لا يموت القلب بالمعاصى ولا يموت الصورة
لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل احياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهى قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا
اى حرا من رق الكونين وحصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من اهل الصف الاول رب انى يكون لى غلام لم يكن
من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة آيتك الا تكلم الناس لغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان
الحقيقة على ملكك فان النفس الناطقة تكون مغلوبة في تلك الحالة بشواهد لحوق الغيب فلا تفرغ لاجراء عادتها في الشهادة بالكلام الا رمزا
لهذا يقوى الروح الحيوانى ويستمد منه القوة البشرية فيحيى الله تعالى الشهوة الميتة فيحيى ما تولد من الشهوة الميتة التى احياها الله يحيى ولاستمرار
هذه الحالة في الايام الثلثة امر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا حسبى الله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك
وچون گفتند فرشتگان اى مريم بدرستى كه خدا بر گزيد ترا

وطهرك واصطفيك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ذلك من انباء الغيب
و پاك ساخت ترا و بر گزيد ترا بر زنان جهانيان اى مريم فرمان بردارى كن مر پروردگار خود را و سجده كن و ركوع كن با ركوع كنندگان اين از اخبار پوشيده است

نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة
كه وحى كرديم آن را بسوى تو و نبودى تو نزد ايشان چون انداختند قلمهاى خود را كه كدام از ايشان در پذيرد مريم را و نبودى نزد ايشان وقتى كه نزاع ميكردند چون گفتند فرشتگان

يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في
اى مريم بدرستى كه خدا مژده ميدهد ترا بكلمه از او كه نام او مسيح عيسى پسر مريم است باجاه در دنيا و در آخرت و از نزديكان است و سخن گويد با مردمان در

المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما
گهواره و در ميانسالى و از شايستگان است گفت مريم كه پروردگارا چگونه باشد مرا فرزندى و حال آنكه مس نكرده مرا آدمى گفت همچنين خدا مى آفريند هرچه ميخواهد چون حكم راند كارى را پس

يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من
ميگويد مر او را كه بشو پس ميشود و بياموزد او را الكتاب و نبوة و تورية و انجيل را و پيغمبر است بسوى بنى اسرائيل و ميگويد كه من آورده ام شما را نشانه

ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيى الموتى
از خدا كه ميسازم از براى شما از گل چون صورت مرغ پس ميدمم در او پس ميگردد مرغى بفرمان خدا و شفا ميدهم كور مادرزاد را و ماخوش برص و زنده كنم مردگان را

باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما
بفرمان خدا و خبر ميدهم شما را بآنچه ميخوريد و آنچه را كه پنهان داريد در خانهاى تان بدرستى كه در اين هر آينه نشانيست شما را اگر باشيد گروندگان و باور دارنده مرا از

بين يدى من التورية ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى
كه پيش از من بوده از تورية و تا حلال گردانم از براى شما بعض چيزهائى كه حرام شده بود بر شما و آورده ام شما را نشانه از پروردگار شما پس بپرهيزيد خدا را و اطاعت كنيد مرا بدرستى خدا پروردگار

وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار
و پروردگار شماست پس عبادت كنيد او را اين راه راست است پس چون يافت عيسى از ايشان كفر را گفت كيست ياور من بسوى خدا گفتند حواريون كه مائيم ياورى دهندگان

الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا و
دين خدا ايمان آورديم بخدا و گواهى ده باينكه ما مسلمانانيم پروردگارا گرويديم بآنچه فرو فرستادى و پيروى كرديم پيغمبر را پس بنويس ما را با گواهى دهندگان و مكر كردند

مكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل
مكر كرد خدا و خدا بهترين مكر كنندگان است چون گفت خدا كه اى عيسى بدرستى كه ميرانم ترا و بالا برنده ام ترا بسوى خود و پاك كننده ترا از انها كه كافر شدند و گرداننده

الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين
انها را كه متابعت كردند ترا بر بالاى آنان كه كافر شدند تا روز قيامت پس بسوى من است بازگشت شما پس حكم كنم در ميان شما در آنچه بوديد كه در آن اختلاف كرديد پس اما آنان

كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
كه كافر شدند پس عذاب كنم ايشان را عذاب سخت در دنيا و در آخرت و نباشد مر ايشانرا ياوران و اما آنان كه گرويدند و كردند كارهاى شايسته پس تمام دهد

اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
مزدهاى ايشانرا و خدا دوست ندارد ستمكاران را اين آنكه ميخوانيم بر تو از نشانها و پند استوار بدرستى كه مانند عيسى در نزد خدا چون مانند آدم است كه آفريد او را

من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين القراءة ويعلمه بالياء ابو جعفر ونافع وعاصم وسهل
از خاك پس گفت مر او را كه باش پس بود حق از پروردگار تست پس مباش از شك آرندگان

ويعقوب الباقون بالنون انى اخلق بكسر الهمزة وبفتح الياء نافع انى اخلق بالفتح فيهما ابن كثير وابو عمرو ويزيد كهيئة بتشديد الياء يزيد وحمزة
فى الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغنى ان خلفا يقول ان حمزة كان يترك الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون بالياء والهمزة الطائر يزيد الباقون
الطير فيكون بتاء التانيث للمفضل الباقون بياء الغيبة طائرا ابو جعفر ونافع ويعقوب كذلك فى المائدة الباقون طيرا انصارى الى
بفتح الياء ابو جعفر ونافع وقرا فنبيه ابو عمرو وطريق ابى الزعرا بالامالة فيوفيهم بياء الغيبة حفص وروبس وزاد رويس ضم الهاء الباقون بالنون
الوقوف العالمين الراكعين اليك ط يكفل مريم ص لعطف المتفقين يختصمون منه قد قيل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة فى اسمه لكن المراد
من الكلمة الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا فالوجه ان لا يوقف الى الصالحين لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا من
المقربين ومكلما وكائنا من الصالحين المقربين الصالحين بشر ط يشاء فيكون ه فلا يحلج لان ورسولا يجوز ان يكون معطوفا على
ومن الصالحين او منصوبا بمحذوف اى ويجعله رسولا والوقف اجوز لتباعد العطف من ربكم ج لمن قرا انى اخلق بالكسر باذن الله ج
والثانى كذلك للفصل بين المعجزات فى بيوتكم ط مؤمنين ج للعطف واطيعون ه فاعبدوه ط مستقيم الى الله ط انصار الله ج لان
امنا فى نظم الاستيناف مع امكان الحال اى وقد امنا بالله كذلك لانقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون الشاهدين ومكر الله ط
الماكرين القيمة ج لان ثم لترتيب الاخبار والاخر لا ابتداء بالنفى مع ان النفى تمام المقصود ناصرين اجورهم ط الظالمين الحكيم ادم ط لان
الجملة لا يتصف بها المعرفة فيكون الممترين التفسير القصة الثالثة قصة مريم والعامل فى اذ ههنا هو ما فى قوله اذ قالت امرأة عمران لمكان
العطف والمراد بالملائكة ههنا جبرئيل كما يجئ فى سورة مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم ان مريم ما كانت من الانبياء لقوله تع وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فارسال جبرئيل اليها اما ان يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما ان يكون ارهاصا
لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبى من المعتزلة او معجزة لزكريا وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث
فى الروع والالهام كما فى حق ام موسى واوحينا الى ام موسى ثم انه تع مدحها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون الاصطفاءان
بمعنى واحد للتكرار الصرف فحمل المفسرون الاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور فى اول عمرها منها قبول تحريرها مع كونها انثى
ومنها قال الحسن ما غذتها امها طرفة عين بل القتها الى زكريا وكان رزقها من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام
الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من انواع اللطف والهداية والعصمة فى حقها واما التطهير فتطهيرها عن الكفر
والمعصية كما قال فى حق ازواج النبى ص واهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن
الافعال الذميمة والاقوال القبيحة واما الاصطفاء الثانى فهو ما اتفق لها فى اخر عمرها من ولادة عيسى بغير اب وشهادته ببراءتها عما قذفتها
اليهود وقيل المراد اصطفاؤها على نساء عالمى زمانها لما روى انه ص قال كمل من نساء العالمين اربع مريم واسية امرأة فرعون وخديجة
وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا اوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقوله اقنتى امر بالعبادة على العموم واسجدى
امر بالصلوة تسمية للشئ باعظم اركانها كما فى قوله وادبار السجود وفى الخبر اذا دخل احدكم المسجد فليسجد سجدتين ولا ريب ان السجود اشرف الاركان
لقوله ص اقرب ما يكون العبد من الله تع وهو ساجد ثم قال واركعى مع الراكعين فالاول امر بالصلوة مط والثانى امر بالصلوة فى الجماعة
وانما عبر عن الصلوة ههنا بالركوع اما لتغير العبارة وقد يسمى باجزاء اركانه واما تسمية للشئ بمعظم اركانه بناء على ما قيل الركوع افضل
من السجود لان الراكع حامل بنفسه فى الركوع فالمشقة فيه اكثر او للتمييز عن صلوة اليهود وقيل واركعى مع الراكعين امر بالخضوع والخشوع
بالقلب ويحتمل ان يراد بقوله اقنتى الامر بالصلوة لان القنوت احد اجزائها وان يراد بقوله واسجدى واركعى كل منهما فى وقته لان الواو
يفيد التشريك لا الترتيب او المراد انظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى فى عدادهم لا فى عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما للتغليب واما
لان الاقتداء بالرجل حال الاختفاء من الرجال افضل من الاقتداء بالنساء روى ان مريم بعد ذلك قامت فى الصلوة حتى ورمت قدماها
وسال الدم والقيح منها اللهم لا تواخذنا باسم الرجولية ونحن اقل فى خدمتك من احد النساء ذلك الذى سبق من انباء حنة
وزكريا ويحيى ومريم من اخبار الغيب نوحيه اليك قد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الوحى اليه بامر خفى من اشارة
او كتابة او غيرها وبهذا التفسير يعد الالهام وحيا كقوله واوحى ربك الى النحل وقال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقال فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه القى هذه الانباء الى النبى بواسطة جبرئيل بحيث يخفى على غيره سماه وحيا وما كنت لديهم نفى
المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفى استماع الانباء من حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل
السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحى فلم يبق الا المشاهدة الممتنعة فى حقه فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحى ومثله فى القران غير
عزيز وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور اذ يلقون اقلامهم ينظرون او ليعلموا او يقولون ايهم يكفل مريم حذف متعلق
الاستفهام لدلالة الالقاء عليه وظاهر الاية يدل على انهم كانوا يلقون الاقلام فى شئ على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض فى استحقاق
ذلك المطلوب وليس فيها دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روى فى الخبر انهم كانوا يلقونها فى الماء بشرط ان من جرى قلمه على خلاف جرى الماء





فالبدله ثم انه حصل هذا المعنى لزكريا فصار اولى بكفالتها وقيل عرف برسوب الاقلام وارتفاعها كما مر وعن الربيع انهم القوا عصيهم فى الماء الجارى
فجرت عصا زكريا على ضد جرية الماء فغلبهم قال ابو مسلم المراد بالقاء الاقلام ما كانت تفعله الامم من المساهمة عند التنازع فيطرحون
منها ما يكتبون عليها اسماءهم فمن خرج له السهم سلم له الامر قال تع فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التى يتقاسم بها العرب
لحم الجزور وانما سميت تلك السهام اقلاما لانها تقلم وتبرى قال القاضى وقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى الاشتقاق
الا ان العرف الظاهر يوجب اختصاص القلم بهذا الذى يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون يتنازعون على التكفيل
قيل هم خزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحى ولا شبهة انهم كانوا من الخواص واهل الفضل فى الدين والرغبة فى طريق
الخير ثم المراد بهذا الاختصام يحتمل ان يكون ما كان قبل الاقتراع وان يكون اختصاما اخر حصل بعد الاقتراع وبالجملة فالمقصود شدة رغبتهم
فى التكفل بشانها والقيام باصلاح مهامها اما لان عمران كان رئيسا لهم فارادوا قضاء حقوقه واما لاجل انها كانت محررة لخدمة بيت
العبادة واما لانهم وجدوا فى الكتب الالهية لها ولابنها شانا القصة الرابعة حكاية ولادة عيسى وذكر طرف من معجزاته اذ قالت الملائكة يعنى
جبرئيل كما مر ومتعلق اذ هو متعلق واذ قالت كان هذا بدل من ذلك ويجوز ان يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال فى الكشاف هذا على ان
الاختصام والبشارة وقعا فى زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعنى وانما لقيته فى ساعة منها فيكون الزمان الواسع زمانا للكل منهما فيكون
الثانى بدل الكل من الاول ويجوز ان يتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما روى عن الحسن انها كانت عاقلة فى حال الصغر وان كان
ذلك من كراماتها فجاز ان يرد عليها البشرى فى حالة الصغر ولا يفتقر الى ان يوخر الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب ممكن
فى نفسه وكيف لا وقد يشاهد حدوث كثير من الحيوانات على التولد كتولد الفار عن المدر والحيات عن الشعر العفن والعقارب عن الباذروج
غاية الاستبعاد عرفا وعادة وهذا لا يوجب عند الحكماء ظنا قويا فضلا عن العلم ثم ان الصادق اخبر عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته و
مما يزيده فى العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما تكون اسبابا لحدوث الحوادث كتصور حضور المنافى للغضب وكتصور السقوط لحصول
السقوط للماشى على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف ما لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا كالاصل فى بيان جواز المعجزات
والكرامات فما المانع ان يقال انها لما تخيلت صورة جبرئيل كفى ذلك فى انعلاق الولد فى رحمها فان منى الرجل ليس الا لاجل العقد
فاذا حصل الانعقاد لمنى المرأة بوجه اخر امكن علوق الولد قوله بكلمة منه لفظة من ههنا ليست للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية لانه تع
غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية اى بكلمة حاصلة من الله وذلك ان عيسى لما خلق من غير واسطة اب صار تاثير كلمة كن فى حقه
اظهر واكمل فكان كانه نفس الكلمة كما ان من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصريح الاقبال والمسيح لقب من الالقاب
المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلنى مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع اما احتمال
اشتقاق عيسى من العيس البياض الذى تعلوه حمرة فبعيد اما احتمال المسيح من المسح فقريب عليه الاكثرون عن ابن عباس سمى بذلك
لانه ما كان يمسح ذا عاهة الا برأ وقال احمد بن يحيى لانه كان يمسح الارض اى يقطعها وعلى هذا فيجوز ان يقال له مسيح بالتشديد كشريب وقيل
لانه مسح الاوزار والاثام وقيل لانه لم يكن فى قدمه خمص كان ممسوح القدمين وقيل لانه ممسوح بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبياء
ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز ان يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة يعرفون بها الانبياء حين يولدون وقيل لان جبرئيل
مسحه بجناحيه وقت الولادة صيانة له عن مس الشيطان وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن واما المسيح الدجال فسمى بذلك لانه
ممسوح احد عينيه ولانه يمسح الارض اى يقطعها فى المدة القليلة قالوا ومنه الدجال لضربه فى الارض اى قطعها وقيل الدجال من دجل الرجل
اذا موه ولبس وتقديم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وانما نسب الى مريم والخطاب لها تنبيها
على انه لا اب له حتى ينسب اليه كما فى سائر الابناء فلا ينسب الا الى امه وذلك من جملة ما اصطفيت به وانما ذكر ضمير الكلمة فى اسمه لان المسمى
بها مذكر وانما قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز والذى يتميز به عن غيره
هو مجموع الثلثة وجيها ذا الجاه والشرف والقدر وقيل الكريم لان اشرف اعضاء الانسان هو الوجه فى الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة
وبالبراءة عن العيوب وفى الاخرة بشفاعة الامة المحقين وعلو الدرجة فى الجنة ونصبه على الحال من النكرة الموصوفة وهى
كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما مر فى الوقوف اى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبته للملائكة
والمهد قيل حجرها وقيل الالة المعروفة لاضجاع الصبى كيف كان فالمراد انه يكلم الناس فى الحالة التى يحتاج الصبى فيها الى المهد وكهلا عطف على
الظرف اى يكلم الناس فى الصغر وفى الكهولة والكهل فى اللغة الذى اجتمع قوته وكمل شبابه من قولهم اكتهل النبات اى قوى روى ان عمره بلغ
ثلثا وثلثين ثم رفع الى السماء ولا ريب ان اكمل احوال الانسان ما بين الثلثين والاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن
الفضل المراد ان يكون كهلا بعد نزوله من السماء وانه يكلم الناس ويقتل الدجال فان قيل ان تكلمه فى المهد كهلا من المعجزات ولكن تكلمه
فى حالة الكهولة ليس من المعجزات فما الفائدة فى ذكره فالجواب من وجوه قال ابو مسلم معناه انه يتكلم حال كونه فى المهد كهلا على حد واحد

وصفة واحدة ولا شك انه غاية في الاعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلبا في الاحوال من الصبى الى الكهولة فان التغير
على الاله محال وقيل المراد انه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة امه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي والنبوة قال الاصم المراد انه
يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب اخر وههنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من اعجب الامور واغربها ولا شك
ان مثل هذه الواقعة يكون بمحضر جمع عظيم وتتوفر الدواعي على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان اولى الناس بمعرفتها النصارى
لانهم فرطوا في محبته حتى ادعوا الهيته لكنهم اطبقوا على انكاره فعلمنا انها لم توجد اصلا والجواب ان اطباق النصارى على انكاره ممنوع ولو سلم فان
كلام عيسى في المهد انما كان للدلالة على براءة مريم مما نسب اليه من السوء وكان الحاضرون جمعا قليلا ولا يبعد في مثلهم التواطؤ على الاخفاء و
بتقدير ان يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم الى البهت فهم ايضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب بقي الامر مكتوما الى
ان نطق القران بذلك ثم ختم اوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك صفات يحيى وفيه ان الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم
هو المقصد الاسنى والامد الاقصى قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا او تشككا وانما ارادت تعيين الجهة كما
مر في قصة زكريا فاجيبت بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره الا انه عبر عن الفعل ههنا بالخلق لان القدرة ههنا اتم وهو تخليق
المولود بغير اب لهذا اكده بقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقد تقدم تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطف على
يبشرك او على وجيها او على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه ويحتمل ان يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لان المعنى
في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذى علمه امور اربعة اولها الكتاب فكان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل
به وثالثها التورية لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على العلوم الخمسة ورابعها الانجيل وفيه العلوم التي خصه الله تع بذلك
وشرفه بانزالها عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا
على وجيها وما بعده الى بني اسرائيل اي الى كلهم لانه جمع مضاف وفيه رد على اليهود القائلين بانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم انى قد جئتكم
متعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول اي ناطقا باني قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار للعدول عن الغيبة الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين
يدي فمعطوف على قوله باية اي جئتكم باية والتقدير جئتكم مصاحبا لاية من ربكم ومصدقا لما بين يدى وجئتكم لاحل وفي الكشاف تقديره ويعلمه
الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى والرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد
جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدى وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس رسولا باني قد جئتكم باية من ربكم والمراد بالاية الجنس
لا الفرد لانه عدد انواعا من الايات ثم ابدل عن الاية قوله انى اخلق فيمن قرأ بفتح انى ويحتمل ان يكون مع ما بعده مرفوعا اي هي انى اخلق ومن قرأ
انى اخلق فللاستيناف وللبيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب هذا احسن ليوافق قراءة الفتح و
المعنى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير من هيئات الشيء واصلحته فانفخ فيه اي في ذلك الطير المصور او الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا وهو
اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع يروى انه خلق انواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرأ طائرا وذلك انه لما ادعى النبوة
واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام
الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن عيونهم سقط ميتا باذن الله بتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الاية على ان الروح جسم رقيق كالريح
ولذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز ان يقال انه تع اودع في نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ في شيء كان نفخه موجبا لصيرورة
ذلك الشيء حيا وذلك انه تولد من نفخ جبرئيل في مريم وجبرئيل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح في الاجساد او يقال ليس
الامر كذلك بل الله تع كان يخلق الحيوة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى فيه على سبيل اظهار المعجزات وهذا هو الحق لقوله تع الذى خلق
الموت والحيوة ولقوله حكاية عن ابرهيم في المناظرة ربي الذى يحيي ويميت فلو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال وابرئ الاكمه
والابرص ذهب اكثر اهل اللغة الى ان الاكمه هو الذى يولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة
السدوسي صاحب التفسير وقيل الاكمه من عمى بعد ان كان بصيرا رواه الخليل عن مجاهد انه الذى لا يبصر بالليل واما البرص فانه بياض يظهر في
ظاهر البدن وقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذى يغذوه فيضعف القوة المغيرة من تمام التشبيه
وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الاصداف فيحيل الدم السائر اليه الى مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا في جوهره نقيا من البلغم
خاليا وهو داء عياء عسر البرء لا يكاد يبرأ وخاصة الزمن منه والاخذ في الازدياد والذى يرجى برؤه من البرص ما اذا دلك احمر بالدلك
يكون معه خشونة ما اثم الذى يلبث عليه يكون شديد البياض اذا اخذ جلده بالابهام والسبابة واشيل عن اللحم وغرزت فيه الابرة
خرج منه دم او رطوبة مودية ولا شك ان برء مثل هذا المرض من قبيل الاعجاز فيروى انه اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق
منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده واحي الموتى احياء عاذر وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من
قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له قال الكلبي كان عيسى





يحيى الاموات بياحي يا قيوم وكرر قوله باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالوهية وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل انه كان من اول
امره يخبر بالغيوب وروى السدي انه كان يلعب مع الصبيان ثم كان يخبرهم بافعال ابائهم وامهاتهم وكان يخبرهم بان امك خبات لك كذا
فيرجع الصبي الى اهله ويبكي الى ان ياخذ ذلك الشيء فقالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا في
البيت فقال فمن في هذا البيت فقالوا خنازير فقال عيسى كذلك يكونون فاذا هم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت
نزول المائدة وذلك ان القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك والادخار افتعال من ادخر قلبت كل
من التاء والدال دالا ثم ادغم واعلم ان الاخبار عما غاب معجز دال على ان ذلك الخبر صار معلوما بالوحي مالم يستعن فيه بالة ولا تقديم مسئلة
بخلاف ما يقوله المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من احوال الكواكب او الجن ولهذا يقع لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها
كونه رسولا من عند الله ذكر انه لماذا ارسل فقال ومصدقا لما بين يدي من التورية وذلك انه يجب على كل نبي ان يكون مصدقا لمن تقدمه
من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاغراض في بعثة عيسى
تقرير احكام التورية وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا اخر في بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذي
حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما في التورية اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب ولا يمكن التاييد منه
فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التورية وعن وهب منبه ان عيسى ما غير شيئا من احكام التورية
وانه ما وضع الاحد بل كان يقرر السبت ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بامرين احدهما ان الاحبار كانوا قد وضعوا من عند انفسهم
شرائع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ودفعها واعاد الامر الى ما كان والثاني ان الله تع كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما
قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا قد حرم عليهم
الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة
رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض وانما جعل
القول اية من ربه لان الله تع جعل له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل ويجوز ان يكون تكريرا لقوله انى قد جئتكم باية من ربكم
اي جئتكم باية بعد اخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتي بغير اب فاتقوا الله لما خصكم به من الايات واطيعون فان طاعة الرسول
من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربي وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية وردا لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى
الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم القصة الخامسة ذكر عاقبة امر عيسى ثم شرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات فهم بماذا
عاملوه فقال فلما احس اي علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس وانهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك باذنه قال السدي
لما بعثه الله تع رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم وكان امر عيسى في قومه كامر محمد ص بمكة وكان مستضعفا
فخرج هو وامه يسيحان في الارض فاتفق انه نزل على رجل في قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوما
حزينا فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك ان يجعل على كل رجل منا يوما يطعمه ويسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتي
والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي ادع الله ليكفي ذلك فقال ع يا اماه اني ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد احسن
واكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى ع اذا قرب مجيء الملك فاملا قدورك وخوابيك ثم اعلمني فلما فعل دعا الله تع فتحول ما في القدور
طبيخا وما في الخوابي خمرا فلما جاء الملك اكل وشرب وسأله من اين هذه الخمر فتوقف الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى اخبره بالواقعة
فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعاه حتى يحيي ولدي اجابه وكان ابنه قد مات في تلك الايام فدعا عيسى ع وطلب منه ذلك
فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال ما ابالي ما كان فدعا الله فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته قد عاش تنادوا
بالسلاح واقتتلوا وصار امر عيسى ع مشهورا وقصد اليهود قتله ع واظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين انه هو المسيح المبشر به في
التورية وانه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من اول الامر طالبين قتله قال من انصاري الى الله قيل انه لما دعا ع بني اسرائيل الى الدين
وتمردوا عليه فر منهم واخذ يسيح في الارض فمر بطائفة من صيادي السمك منهم شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى
انكم تصيدون السمك فهل لكم ان تصيروا بحيث تصيدون الناس لحيوة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في
الماء فما اصطاد شيئا فامره عيسى ع بالقاء شبكته في الماء مرة اخرى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة
اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه اخرهم للقتل وكان هو في الهرب منهم فقال لاولئك الاثني عشر من
الحواريين ايكم يحب ان يكون رفيقي في الجنة على ان يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فاجابه الى ذلك بعضهم ومما يذكره النصارى في انجيلهم ان اليهود
لما اخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى حسبك ثم ادنى ع اذن العبد
فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل ان المراد بطلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه ع وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما

موضع اخر فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف نصرته اياه الى نصرة الله عز وجل اياى وقيل من انصارى الى الله ان اظهر دين الله فالجار على القولين من صلة انصارى مضمنا معنى الاضافة وقيل من انصارى حال ذهابى الى الله او حال التجائى اليه وقيل من انصارى فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته وفى الحديث انه كان يقول اذا ضحى اللهم منك واليك اى تقربا اليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف قيل الى بمعنى اللام وقيل بمعنى مع او فى سبيل الله وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دينه ورسوله وحوارى الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحوارى ما حور من الطعام اى بيض وهو لباب الدقيق عن سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة اخلاقهم ومنه قولهم فلان نقى الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذى يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هوارى فعرب واما ان الحواريين من هم فقيل الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وامنوا به كما حكينا وقيل ان امه دفعته الى صباغ فكان اذا اراد ان يعلمه شيئا كان هو اعلم به منه فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد علمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فطبخ عيسى حبا واحدا وجعل الجميع فيه وقال كونى باذن الله كما اريد فرجع الصباغ وسئله فاخبره بما فعل فقال قد افسدت على الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون منه وامنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثنى عشر اتبعوا عيسى كانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من افضل منا اذا شئنا اطعمنا واذا شئنا سقينا وقد امنا بك فقال افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب فسموا حواريين وقيل ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه كان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا ينقص فذكروا هذه الواقعة لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من انت قال عيسى بن مريم قال فانى اترك ملكى واتبعك فتبعه ذلك الملك مع اقاربه فاولئك هم الحواريون قال القفال يجوز ان يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين جميعا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى والمخلصين فى محبته وطاعته امنا بالله يجرى مجرى السبب لقولهم نحن انصار الله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا فى نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله تعالى وهو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبياء وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيمة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضى ان يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين فقال ابن عباس اى مع محمد وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وعنه ايضا اكتبنا فى زمرة الانبياء لان كل نبى شاهد لقومه وقيل اكتبنا فى جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق ونظمته كرمهم بذكرك فى قولك شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقيل اجعلنا ممن هو مستغرق فى شهود جلالك بحيث لا نبالى بما يصل الينا من المشاق والالام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك واكتب ذكرنا فى زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا ان كتاب الابرار لفى عليين ومكروا يعنى كفار بنى اسرائيل الذين احس عيسى منهم الكفر ومكر الله والمكر فى اللغة السعى بالفساد فى خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وامكر اذا اظلم وقيل اصله اجتماع الامر واحكامه ومنه امراة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رايا محكما قويا مصونا عن جهات النقص والفتور لا جرم سمى مكرا اما مكرهم بعيسى فهو انهم هموا بقتله واما مكر الله بهم فهو ان رفعه الى السماء وما مكنهم من ايصال السوء اليه وروى ان ملك اليهود اراد قتل عيسى وكان جبرئيل لا يفارقه ساعة فامره جبرئيل ان يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت اخرجه جبرئيل من تلك الروزنة وكان قد القى شبهه على غيره فاخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب واخرى قالت كان ابن الله واخرى قالت كان عبد الله ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثنى عشر وكانوا مجتمعين فى بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فالقى الله شبهه عليه ورفع عيسى وذكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعدان رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل انه قتل رجلا من بنى اسرائيل ممن يحب امرك وكان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل ما فعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسئلهم عن عيسى فاخبروه فتابعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بنى اسرائيل فقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية فى الروم وكان اسم هذا الملك طيباريس وهو صار نصرانيا الا انه ما اظهر ذلك ثم انه جاء بعده ملك اخر يقال له طيطوس غزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك فيها حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله بما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل الهم مكروا فى اخفاء امره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث اعلى دينه واظهر شريعته وقهر بالذل عدوهم





اليهود والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم ان المكر ان كان عبارة عن الاحتيال فى ايصال الشر فهو فى حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان يؤول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او بانه تعالى عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابهم على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه يمتنع فى حق الله تعالى الا انه قد اختص فى العرف بالتدبير فى ايصال الشر الى الغير قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله ومفعول اذكر يا عيسى انى متوفيك اى متم عمرك وعاصمك من ان يقتلك الكفار الى ان يأذن رفعك الى سمائى واصونك من ان يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك اى مميتك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم رافعك الى وهذا القول مروى عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفى ثلث ساعات ثم رفع واحيى وقال محمد بن اسحق توفى سبع ساعات ثم احياه الله ورفعه وقال الربيع بن انس انه نومة ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف ورعب اخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وقيل التوفى اخذ الشئ وافيا اى اخذك بروحك وجسدك جميعا فرافعك الى فيعالو هم من يتوهم انه اخذ بروحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالى على فلان اى استوفيته وقيل جعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره واثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشئ على ما يشابهه فى اكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف اى متوفى عملك ورافع طاعتك فكانه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه من المتاعب فى تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع اجره وهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل فى نسق الكلام تقديم وتاخير فان الواو لا يقتضى الترتيب والمعنى انى رافعك الى ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد فى الخبر انه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك ما قوله ورافعك الى فالمشبهة تمسكوا بمثله فى اثبات المكان لله تعالى وانه فى السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على انه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التاويل بان المراد الى محل كرامتى ومقر ملائكتى ومثله قول ابرهيم انى ذاهب الى ربى انما ذهب من العراق الى الشام وقد يسمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم والمراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان فى الارض ملوكا مجازية ولئن سلم انه تعالى يمكن ان يكون فى مكان فليس رفع عيسى الى ذلك المكان سببا للبشارة ما لم يتيقن الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو ان يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق فى الاية دلالة على اثبات المكان له تعالى ثم انه كما عظم شانه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا اى من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيمة ولعمرى انه كذلك فلا يرى ملك يهودى فى الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على انا نقول المراد بمتبعى المسيح هم الذين كانوا يؤمنون بانه عبد الله ورسوله ثم امنوا بمحمد بعده فصدقوه فى قوله ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد والمتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه فى اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم ان نص القران دل على انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليه اشكالات الاول انه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فانى اذا رايت ولدى ثم رايته ثانيا فح اجوز ان هذا الذى رايته ثانيا ليس ولدى بل هو انسان اخر القى شبهه عليه وكذا الصحابة الذين راوا محمدا يامرهم وينهاهم احتمل ان يكون محمدا انسانا اخر القى شبهه عليه وانه يفضى الى سقوط الشرايع وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر فى الاخبار المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس وانتم جوزتم وقوع الغلط فى المبصرات ففتح هذا الباب اوله سفسطة واخره ابطال النبوات الثانى ان جبرئيل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفى لاهل الارض فكيف لم يكف فى منع اولئك اليهود وانه كان يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة اولئك الذين قصدوه بالسوء والقاء الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث انه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة فى القاء شبهه على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين فى القتل من غير فائدة مع ان ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا ان المصلوب هو عيسى وانه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع ان النصارى على كثرتهم فى المشارق والمغارب وافراطهم فى محبة عيسى اخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن فى المتواتر يوجب الطعن فى النبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر ان المصلوب بقى حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك اشتهر وتواتر والجواب عن الاول ان كل من اثبت القادر المختار سلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك فى وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثانى والثالث ان ذلك يفضى الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافى التكليف والتلبيس المذكور قد ازاله تلامذة عيسى الحاضرون منه العالمون بالواقعة وعن الرابع انه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين فى ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس ما روى ان الذى القى عليه الشبه كان من خواص اصحابه فلهذا صبر على انا نقول قد ثبت بالمعجزات القاطعة صدق محمد صلعم فى كل ما اخبر عنه فهذه

الاحتمالات يمتنع ان تصير معارضة للنص القاطع والله ولى الهداية قال ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وفيه بشارة
لعيسى بانه سيحكم بين المؤمنين به والجاحدين وبتفسيره قوله فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا بالقتل والسبى والذلة
وانواع المصائب والرزايا التى لا ثواب عليها وَالْآخِرَةِ بدخول النار خالدين فيها وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ الواضعين الشئ فى غير موضعه التكذيب فى مقام التصديق والعمل السيئ مكان العمل الصالح
وذلك ان المحبة عبارة عن ايصال الخير اليه وهو وان اراد كفر الكافر الا انه لم يوصل الثواب اليه قالت المعتزلة المحبة والارادة واحدة فالمعنى
انه لا يريد ظلم الظالمين ذَلِكَ الذى سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نَتْلُوهُ عَلَيْكَ والتلاوة والقصص كلاهما يؤول الى معنى واحد
هو ذكر الشئ بعضه على اثر بعض جعل تلاوة الملك لما كانت بامره كتلاوته مِنَ الْآيَاتِ خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والمراد بها الآيات القرآن
ويحتمل ان يراد انه من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وظاهر انك لا تكتب ولا تقرأ
فبقى ان يكون من الوحى ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذى ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ القرآن وصف بصفة من هو سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه او هو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى ان الاحكام تستفاد منه او بمعنى المحكم
أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ اى عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذى منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبياء اخبر انه تعالى نزل
هذه القصص مما كتب هناك قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد
قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير اب فان كنت صادقا فارنا مثله
فانزل الله عز وجل إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ اى حاله الغريبة كحاله ووجه الشبه ان كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة بل
الوجود من غير اب وام اغرب فشبه الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغى ان يكون اقوى حالا من المشبه فى وجوه الشبه ثم فسر كيفية خلق آدم بقوله
خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ اى قدر جسدا من طين قيل اشتقاق آدم من الادمة وقال ابن عباس سمى آدم لانه خلق من اديم الارض كلها احمرها و
اسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان فى ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث وقيل انه اسم عجمى كآزر ووزنه فاعل لا افعل والضمير عائد
الى آدم الموجود كقولك هذا الكوز اصله من الطين ثم قال له كن فيكون وهذا كقوله ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ وانما لم يقل فكان
اما لانه حكاية حال ماضية واما تصوير لتلك الحالة العجيبة كقوله فاضربها بلا دهش فخرت والمراد اعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان ما قال له ربك كن
فانه يكون لا محالة وقيل معنى ثم تراخى الخبر عن الخبر لا تراخى المخبر كقول القائل اعطيته زيدا الفا اليوم ثم انا اعطيته امس الفين ثم انا اخبركم انى
اعطيته امس الفين فكذا قوله خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ صيره بشرا سويا ثم انه يخبركم انه انما خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه تعالى
بكيفيته وتوقع ارادته لايقاعه على الوجه المخصوص والمراد بكن ادخاله فى الوجود قالت الحكماء انما خلق آدم من التراب لوجوه ليكون متواضعا
وليكون ستارا وليكون اشد التصاقا بالارض فيصلح للخلافة فيها لما فيه من اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التى هى اضوء الاجرام
السفلية وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملائكة من الهواء الذى هو ارق الاجرام واعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من امواج
ماء البحار وابقاها معلقة فى الفضاء وخلق آدم من التراب الذى هو اكثف الاجرام فاتاه النور والهداية وكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر
على انه تعالى هو المدبر بغير احتياج والخالق بلا امتزاج علاج خلق البشر من التراب لاطفاء نيران الشهوة والحرص والغضب خلقه من الماء خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ
بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ليكون صافيا يتجلى فيه صور الاشياء ثم مزج بين التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا إِنِّي خَالِقٌ
بَشَرًا مِنْ طِينٍ ثم انه سئل من الطف اجزاء الطين وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثم جعل طينا لازبا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ
ثم بلتنه وغير رائحته وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ عن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه
لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ
الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق يعنى الذى انبأتك من شان عيسى
لا الذى اعتقد النصارى فيه انه اله ولا الذى يزعم اليهود من رميها بيوسف النجار والحق مبتدأ ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل
من الشيطان فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الشاكين قال ابن الانبارى اصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه شرا
وفى هذا النهى زيادة الثبات والطمانينة ولطف للامة وقد مر نظائره فى سورة البقرة التاويل الاصطفاء ثلثة انواع اصطفاء
على غير الجنس إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ولم يكن جنس حين خلقه واسجد له ملائكته واصطفاء على الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم على الكائنات كقوله
لولاك لما خلقت الكونين وقال صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائى واصطفاء على الجنس كقوله يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ويَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ
لاصطفائنا اياه وَطَهَّرَكِ عن الالتفات بغيره وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ لتبلغ درجة الكمال وان لم يكن ذلك من شان النساء إِنَّ اللَّهَ
يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ كل صنف من اصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة لقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت
ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كان صنفا من اصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه خلق نسخة العالم بما فيه



فيه فهو ايضا كلمة المعرفة كالعالم لكنه خص من العالم بما فيه بكرامة معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل
المزكى بتزكية الشريعة المربى بتربية ارباب الطريقة وانما خص عيسى بهذا الاسم اعنى الكلمة من بين سائر الانبياء والاولياء لانه خلق مستعدا
لهذا الكمال فى بدء امره قد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان من اختصاصه بالكلمة انه قال فى
المهد إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ روى مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت انا وهو حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان
سبح فى بطنى وانا اسمع وسمى المسيح لانه حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاستخرج منه ذرات ذريته لم يرده الى مقامه كما جاء فى الخبر ان الله تعالى اذن للذرات
بالرجوع الى ظهر آدم وحفظ ذرة عيسى روحه عنده حتى القاها الى مريم فكان قد بقى عليه اسم المسيح اى الممسوح وَكَهْلًا كهو حال النبوة لان بلوغ
الانبياء عند كهولتهم مِنَ الصَّالِحِينَ يعنى صلاحيته قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ
الروح الانسانى الذى هو خليفة الله فى ارضه قابل لجميع انوار الصفات خلافة عنه حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير
ذلك من الآيات التى هى من نتائج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكائن من العناصر واحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنع عن قبول
انوار الصفات الى ان يخرجه مدد العناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبى آيات المعجزات
وعلى الولى امارات الكرامات ولما كان روح عيسى وذرة طينته المستخرجة من ظهر آدم محتبسة عند الله حتى القاها الى مريم من غير شائبة
ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمى روح الله كان قابل انوار الصفات فى بدء امره فكلم الناس فى المهد وكتب وقرأ التوراة والانجيل من غير تعلم
ويحيى ويبرئ وغير ذلك من الآيات فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما احس من النفس وصفاتها الكفر قال مَنْ أَنْصَارِي
إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ وهم القلب وصفاته نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ اى بوحدانيته والتبرى عن غيره وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ منقادون
لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ من الحكم والاسرار واللطائف والحقائق وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ الوارد من
نفحات الطافك فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ المشاهدين لانوار جلالك وَمَكَرُوا اى النفس وصفاتها والشياطين واتباعها فى هلاك عيسى الروح
وَمَكَرَ اللَّهُ بتجلى صفات قهره فى فناء النفس وصفاتها وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ فى قهر النفس الامارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع شهواتها اذ قال الله
يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ عن الصفات النفسانية والسمات الحيوانية ورافعك الى بجذبات العناية كما اسرى بعبده الى قاب قوسين او ادنى
ومن خواص الجذبة الربوبية خمود الصفات البشرية ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ باللطف والقهر بالاختيار على قدم السلوك او بالاضطرار عند نزع الروح
فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله وَالْآخِرَةِ بالقطيعة والبعد عن الله وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا
انفسهم بانقضاء العمر فى طلب غير الله تعالى ثم قال له كن فيكون هذه السنة فى تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك ولكنه اجراها
فى تكوين آدم من تراب بلا اب وام وخلق حواء بلا ام وخلق عيسى من مريم بلا اب خرقا للعادة ودلالة على الجبارية ودفعا لما يقع من قال بالايجاب
فى الايجاد فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فى هذه الكينونة فانه فى الازل فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
پس هر که حجت کند با تو در ان پس از آنکه آمد ترا از دانش پس بگو بیایید تا بخوانیم
فما كان من الممترين ولا يكون الى الابد
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ
فرزندان مارا و پسران شمارا و زنهای مارا و زنهای شمارا و خودهای مارا و خودهای شمارا پس سوگند خوریم پس گردانیم لعنت خدای را بر دروغ گویان بدرستی که این آینه
الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
حکایت راست و نیست هیچ خدائی بجز خدای و بدرستیکه خدا هر آینه اوست غالب استوار پس اگر برگردند پس بدرستی که خدا داناست بتباه کنندگان بگو ای اهل کتاب
تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا
بیایید بسوی سخنی که برابرست در میان ما و میان شما که نپرستیم بجز خدا را و انباز نیاوریم با وی چیزی را و فرا نگیرد برخی از ما برخی را خدایان از غیر خدای پس اگر گشتند
فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
پس بگوئید گواه باشید بآنکه ما مسلمانیم ای اهل کتاب چرا حجت میکنید در ابراهیم و حال آنکه فرو فرستاده نشد توریه و انجیل مگر از بعد او آیا پس درک نمیکنید
هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا
آگاه باشید ای گروه که حجت کردید در آنچه شمارا بآن دانش است پس چرا حجت میکنید در آنچه نباشد شمارا بآن دانشی و خدا میداند و شما نمیدانید نبود ابراهیم یهودی
وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ
و نه ترسا و لیکن بودی یگانه منقاد و نبود او از مشرکان بدرستی که سزاوارتر بابراهیم هر آینه آنانند که پیروی کردند او را و این پیغمبر و آنان
آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
که گرویدند و خدا دوست گروندگانست دوست داشتند گروهی از اهل کتاب که گمراه کنند شمارا و گمراه نمیکنند مگر خودهاشانرا و درک نمیکنند ای اهل کتاب
لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ القراءة ها انتم بالمد
چرا کافر میشوید بآیات خدا و حال آنکه شما گواهی میدهید ای اهل کتاب از برای چه میپوشانید حق را بباطل و پنهان میدارید حق را و حال آنکه میدانید

وغير الهمزة حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن مجاهد وابو عون عن قنبل ها انتم على وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز الوقوف الكاذبين القصص
الحق ج الا الله ط الحكيم المفسدين من دون الله ط لنا ها جملة وافيه الى ابتداء شرط مسلمون من بعده ط تعقلون ليس لكم به علم ط لا
تعلمون كامسلما ط المشركين والذين امنوا ط المؤمنين لو يضلونكم ط يشعرون تشهدون تعلمون التفسير روى انه صلعم لما اورد الدلائل
على نصارى نجران ثم انهم اصروا على جهلهم قال صلعم ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم فقالوا يا ابا القاسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم ناتيك
فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام
الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار
على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلعم وقد خرج وعليه مرط من شعر اسود وكان صلعم
قد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني
لارى وجوها لو سألت الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة ثم قالوا يا ابا القاسم
رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلعم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال صلعم
فاني اناجزكم اى احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب للمسلمين طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل
عام الفي حلة الفا في صفر والفا في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك فقال صلعم والذي نفسي بيده ان الهلاك قد
تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما
حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروى عن عائشة انه صلعم لما خرج في المرط الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم
علي ثم قال صلعم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث
فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق
الوحي والتنزيل فقل تعالوا اى هلموا والمراد المجيء بالراي والعزم كما تقول تعال نتفكر في هذه المسئلة وهو في الاصل تفاعلوا من العلو وذلك ان
بيوتهم كانت على اعالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان اى ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجيء فصار بمنزلة هلم ندع ابناءنا وابناءكم
اى يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ويأت بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار
من هم اعز من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نتباهل وقد يجيء افتعل بمعنى
تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والتباهل ان يقول كل واحد بهلة الله على الكاذب منا اى لعنته ويقال بهله الله اى لعنه وابعده من
رحمته ومنه قولهم بهله انا اهمله وناقة باهلة لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها واخذ لبنها لا قوة بها على الدفع من نفسها
فكان المباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي وقوتي وخلاني من كلاءته وحفظه هذا اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء
يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الاية لئلا يلزم التكرار اى ثم نجتهد في الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسئل الله ان يلعنه
وفي الاية دلالة على ان الحسن والحسين وهما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله صلعم لانه صلعم وعد ان يدعو ابناءه ثم جاء بهما وقد
يتمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا افضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في
الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثنا عشرية يزعم ان عليا افضل من سائر الانبياء سوى محمد قال وذلك انه ليس
المراد بقوله وانفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن ابي طالب فاذا نفس علي هي
نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا علي قال ويؤكده ما رويه المخالف والموافق انه صلعم قال من اراد ان يرى ادم
في علمه ونوحا في طاعته وابرهيم في خلته وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن ابي طالب فدل الحديث على انه اجتمع فيه
ما كان متفرقا فيهم واجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا
الانسان على ان النبي صلعم افضل ممن ليس بنبي واجمعوا على ان عليا ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الاية كما انه مخصوص في حق محمد فكذا في حق
سائر الانبياء واما افضل اصحاب الكساء فلا شك في دلالة الاية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على
صحة نبوة محمد صلعم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يتجرأ على تعريض اعزته وخويصته وفلذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا
ان القوم عرفوا من التورية والانجيل ما يدل على نبوته صلعم لما احجموا عن مباهلته واما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء فليس من قبيل المباهلة واما قول فان النبي صلعم لم يعرض نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج
والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلى عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وما من اله الا الله وهو في افادة
معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فيه رد
عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله

غالبا



غالبا بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان تولوا اعرضوا عما وصفت من التوحيد وان الاله يجب ان يكون غالبا لا يدفع ولا يمنع
وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع وبلغوا ان يكون قادرا على المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا على
العناد فاقطع كلامك منهم وفوض امرهم الى الله فان الله عليم بحال المفسدين في الدين وبنياتهم واغراضهم الفاسدة فيجازيهم باعمالهم
الخبيثة ثم انه صلعم لما اورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فانخزلوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية
امره الله تعالى بنمط اخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا اهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الاية
من تمام قصتهم ولانه كلام منصف فخوطب بما يطيب به قلوبهم كالوفد وقيل حامل القرآن يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود
والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلعم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى و
قالت النصارى يا محمد صلعم ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الاية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا
اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة سواء فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على
صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف فيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه والمراد الى كلمة سواء مستوية
بيننا وبينكم لا يختلف فيها القران والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فمحل ان لا نعبد خفض على البدل من كلمة او رفع على الخبر اى هي ان لا نعبد وانما ذكر امورا ثلثة لان النصارى
جمعوا بين الثلثة فعبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به غيره لانهم اثبتوا اقانيم ثلثة ابا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان اقنوم الكلمة تدرع
بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلين لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى بن مريم وحيث
اثبتوا ثلثة ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء انفسهم
من غير شرع وبيان ولانهم يسجدون لهم ويطيعونهم في المعاصي وهو التفسير رؤية الامور من الوسائط افرءيت من اتخذ الهه هواه
ولان من مذهبهم ان الكامل في الرياضة يظهر فيه اثر اللاهوت ويحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا
عليهم اسم الرب الا انهم اثبتوا في حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء
فان قبل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح على ذلك القول بالاشتراك فيه ضائع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب ان لا يرجع
في التحليل والتحريم والانقياد والايمان الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله صلعم قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم قال صلعم هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة فان تولوا عن
التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او مثل المحجة فاعترفوا
باني انا الغالب او يكون من باب التعريض ومعناه فاعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون
ان ابرهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التورية والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل ان يكون يهوديا
او نصرانيا لا يقال هذا ايضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابرهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما انزل بعده بزمان اطول مما بينه
وبين انزال التورية والانجيل لانا نقول القران اخبر بان ابرهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس في الكتابين
انه كان يهوديا او نصرانيا فظهر الفرق وايضا المسيح ما كان موجودا في زمان ابرهيم حتى يعبد وعبادة المسيح النصرانية عندكم وايضا لا نسخ في
دين اليهود والنسخ جائز في ملة ابرهيم ها انتم هؤلاء ها حرف التنبيه وانتم مبتداء وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى
يعني انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل من نعت محمد صلعم وليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة
انما اراد انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم
وعن الاخفش ها انتم اصله ءانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهالتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم
كيف كان حال هذه الشرايع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا او عرض بالمشركين من اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح
فان قيل قولكم ابرهيم على دين الاسلام ان اردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان اردتم به الموافقة في الفروع
لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون
للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح افعالهم او الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ
تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابرهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع
موافقة شرعه شرع ابرهيم في معظم الفروع وروى الواحدي عن اصحاب رسول الله صلعم قالوا لما هاجر جعفر بن ابي طالب واصحابه الى الحبشة
واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلعم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند

ابراهيم ع

النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط مع هدايا الادم
وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه فقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون و
انهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا
السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد منا ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما
اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك
لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب
الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه
فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم
يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما يمنعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك
وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية اهل
الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك
من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما و
لينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا
فارددنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشي سلهما هل اهرقنا دما بغير حق
فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها فقال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي
قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا
غيره ولزمناه نحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه اصدقني قال جعفر
اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وامره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام
جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس
فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم بالله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيا مرسلا
فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى قال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما
يامركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله
وحده لا شريك له فقال اقرأ علي شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت اعين النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر
زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم ليشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون
في عيسى وامه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح
على ما يقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم شيوم بارضي يقول آمنون من سبكم او آذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا
دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك
المشركون وادعوا انهم في دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو واصحابه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني
ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابراهيم على رسول الله ص وهو بالمدينة
قوله ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي يعني محمدا ص والذين آمنوا في آخر الزمان والله ولي المؤمنين
بالنصرة والتائيد والتوفيق والتشديد ومعنى اولى الناس اخصهم به واقربهم منه من الولي القرب وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه
وبالجر عطفا على ابراهيم عن رسول الله ص ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرأ ان اولى الناس الآية ثم بين انهم
لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما ارادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد
ذكرنا في سورة البقرة وما يضلون الا انفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال او وما يقدرون
على اضلال المؤمنين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح افعالهم بطريق
الاستفهام فقال لم تكفرون بآيات الله قيل اي بالتوراة والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد ص وان ابراهيم كان حنيفا مسلما وان
الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتوراة والانجيل ما الكفر بما يدل عليها فيكون قد اطلق اسم الدليل على المدلول والكفر بنفس التوراة
لانهم كانوا يحرفونها وينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوة محمد ص ومعنى وانتم تشهدون انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم
كانوا ينكرون اشتمال التوراة والانجيل على نعت محمد ص واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الآية اخبار عن الغيب

فيكون



فيكون معجزا او قيل آيات الله هي القرآن وشهادتهم انهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل آيات الله جملة المعجزات على النبي ص ومعنى تشهدون انكم تعترفون
بدلالة المعجزة على صدق المدعي ثم لما وبخهم على الغواية اردفه التوبيخ بالاغواء وهو اما بالقاء الشبهات في البين وهو معنى لبسهم الحق بالباطل
واما باخفاء الدلائل وهو كتمانهم الحق عن الحسن وابن زيد حرفوا التوراة فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس اظهروا الاسلام اول النهار ثم رجعوا
عنه في آخره تشكيكا للناس قيل ان في الكتابين ما يدل على نبوة محمد ص والبشارة به وفيهما ما يوهم خلاف ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه في القرآن
في القرآن فلبسوا على الضعفاء احد الامرين بالآخر كما يفعل كثير من المشبهة وهذا قول القاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا معترف بان
شرع موسى حق ثم ان التوراة دلت على انه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبهات واما كتمان الحق فهو ان الآيات الدالة في التوراة على نبوة محمد ص
كان الاستدلال بها مفتقرا الى التدبر والتأمل والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي بمجموعها يتم الاستدلال كما يفعل المبتدعة
في زماننا وانتم تعلمون انكم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا او تعلمون انكم اهل المعرفة وتعلمون حقيتها او ان عقاب من يفعل هذه الافعال
عظيم سخيف وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ
وگفتند گروهی از اهل کتاب که بگروید بآنکه فرو فرستاده شده بر آنها که گرویده اند در اول روز و کافر شوید در آخر آن شاید
يَرْجِعُونَ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ
که برگردند و نگروید مگر مرانرا که پیروی کرد دین شما را بگو که هدایت راه خداست که داده شود یکی مانند آنچه را که داده شدید یا حجت کنند شما را در نزد پروردگار
قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمِنْ
بگو که بدرستی افزونی و رحمت بدست خداست میدهد آنرا بهر که میخواهد و خدا محیط و داناست مخصوص گرداند برحمت خود آنرا که بخواهد و خدا صاحب افزونی بزرگست و از
أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا
اهل کتاب کسی است که اگر امانت دهی او را ... باز گرداند بتو و از ایشان کسی است که اگر امانت دهی ... بتو مگر آنکه همیشه باشی بر او ایستاده این بجهة آنست که ایشان گفتند
لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
نباشد بر ما در نانویسندگان راهی و میگویند بر خدا دروغ را و حال آنکه میدانند آری هر که وفا کرد بعهد خود و پرهیز کرد پس بدرستیکه خدا دوست دارد
إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
بدرستی که آنها که میفروشند بعهد خدا و سوگندهاشان بهای کمی آنگروه بهره نیست آنها را در آخرت و سخن نگوید با آنها خدا و ننگرد بایشان
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ
در روز قیامت و پاک نگرداند آنها را و مر آنهاست عذابی دردناک و بدرستی که از آنها گروهیست که میپیچانند زبانهاشان را بکتاب تا پندارید آنرا از کتاب و نیست آن از کتاب
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ
و میگویند که آن از نزد خداست و حال آنکه از نزد خدا نیست و میگویند بر خدا دروغ را و آنها میدانند سزاوار نیست مر آدمی که بدهد او را خدا
الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
کتاب و داوری و پیغمبری پس آنگاه بگوید بمردم که باشید بندگان من غیر از خدا ولیکن بگوید که باشید خداپرستان بجهة آنکه بودید که تعلیم میکردید کتاب را
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ القراءة آن
و بجهة آنکه خواندید آنرا و نفرماید شما را که فرا گیرید فرشتگان و پیغمبران را خدایان آیا بفرماید شما را بکفر بعد از آنکه شما مسلمانانید يؤتى بهمزتين
وتليين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤدهي ولا يؤدهي ابن كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلي وخلف وحفص والمفضل وعباس و
سهل وزيد عن يعقوب وقرأ ابو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو في رواية اليزيدي طريق ابي ايوب الهاشمي بالاختلاس الباقون
ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن عامر بحذف المفعول الاول العلم به هو الناس الباقون تعلمون بالتخفيف من
العلم ولا يأمركم بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي والاعشى والبرجمي وابو زيد عن المفضل وقرأ ابو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب
الوقوف يرجعون لا للعطف دينكم ط هدى الله لا لان التقدير ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل مع مقوله
معترض ومن قرأ آن يؤتى مستفهما وقف عليها عند ربكم ط بيد الله ج لان يؤتيه لا يتعلق بما قبله مع ان ضميره عائد الى الله من يشاء ط
عليم ط لاحتمال الاستيناف والصفة من يشاء ط العظيم اليك الاولى ج لتضاد الجملتين معنى مع تفاقهما لفظا قائما ط سبيل ج لان الواو للاستيناف
مع اتساق معنى الكلام يعلمون المتقين يزكيهم ص اليم وما هو من الكتاب ج لعطف المتفقين مع وقوع العارض وما هو من عند الله ج يعلمون
تدرسون لا لمن قرأ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ان يؤتيه اربابا ط مسلمون التفسير هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذي انزل يحتمل ان يراد كل ما
انزل الله عليهم ويحتمل ان يراد بعض ما انزل اما الاحتمال الاول فقول الحسن والسدي تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم
ادخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار اي اوله والوجه في اللغة مستقبل كل شيء ومنه وجه الثوب لاول ما يبدو منه

ثعلب عن ابن الاعرابي اتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وانشد للربيع بن زياد: من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا
بوجه نهار * يجد النساء حواسرا يندبنه قد قمن قبل تبلج الاسحار وذلك انه كان من عادتهم ان لا يظهروا الجزع على المقتول الى ان يدركوا الثار فيقول
البيت من كان مسرورا فليأت ترتشفي الغيظ ودرك الثار قبل ان يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ص ليس بذلك فان اصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد
والا لما امنوا به في اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب تدبروا وتفكروا في امره وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التامل التام والبحث الشافي انه
كذاب فيكون في هذا الطريق تشكيك لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال معنى وجه النهار واخره ان رؤساء اليهود والنصارى
قال بعضهم لبعض نافقوا واظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امر هؤلاء في اضطراب
فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف امرهم واضمحل دينهم ويرجعوا الى دينكم فيكون هذه الاية كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه
في جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم
ويرجعوا من دين الاسلام والرغبة فيه والاحتمال الثاني قول من قال انها نزلت في شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله
وهو صلوة الصبح واخره صلوة الظهر وتقريره انه ص كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلوة الظهر
قال كعب بن الاشرف وغيره امنوا بالقبلة التي صلى اليها صلوة الصبح فهي الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود
لمخالفتهم فقالوا امنوا بالذي انزل على محمد ص من امر الكعبة وصلوا اليها من اول النهار ثم اكفروا بالكعبة اخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة
لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هؤلاء واطلعه على سرهم كيلا يؤثر الحيلة في قلوب
ضعفاء المؤمنين ولان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل ويصير ذلك اعظاتهم وفيه ايضا انه اخبار عن الغيب
فيكون معجزا ثم قال تع ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على انه من بقية حكاية كلام اهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى
هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى اخرها كلام الله الا انهم اختلفوا في ان قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند
من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل
منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا عد الاية من المواضع المشكلة اما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في
قراءة من قرأ بهمزة واحدة ويقدر همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا لام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر والمعنى أآن اي
امن اجل ان يؤتى احد شرايع مثل ما اوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب
وعد ذنوبه عليه قد احسن اليه من قبل احساني اليك امن اهانتي لك والمعنى امن هذا فعلت ما فعلت ام من ذلك ونظيره قوله امن هو
قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا
تصدقوا الانبيا بقرر شرايع التورية فاما من جاء بتغيير شئ من احكام التورية فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة
مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا
فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور
ويحتمل ان يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان
ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقيل للنبي ص قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد
الضعيف ثم استفهم فقال أآن يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لا لشئ اخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ثم قال او يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل بالايمان عند كفركم به
من محاجتهم لكم عند ربكم لان ما اوتوا مثل ما اوتيتم فحين لم تؤمنوا به ثبت لهم حجة عليكم واما ان لم يقدر همزة الاستفهام فالتقدير اما كما
سبق او يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون او بمعنى حتى ويتم الكلام
بحذف اي حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضي لهم عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى مفعول فعل محذوف هو لا تنكروا لانه لما كان الهدى
هدى الله كان له ان يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تنكروا ان يؤتى احد سواكم من الهدى
ما اوتيتم او يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم او يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل ويضمر لا بعد ان
مثل ان تضلوا اي لا تضلوا والتقدير قل يا محمد ص لامتك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو دين الاسلام الذي هو
افضل الاديان وان لا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عند ربكم في الاخرة لانه يظهر لهم في الاخرة انكم محقون وانهم ضالون
واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان هدى الله هو الهدى جملة معترضة

ابومسلم

فمعناه



فمعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ولا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم
فحذف حرف الجر من ان على القياس قال في الكشاف اراد اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى
اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى والضمير
في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت ما
معنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك فلم ينفع كيدكم وحيلكم وذبكم اي سركم
تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكد للاعتراض الاول وهو اعتراض اخر يجيء بعد تمام الكلام كقوله
وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها فان قيل ان جد القوم في حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد ص كان اعظم
من جدهم في حفظ غير اتباعهم عنه فكيف يليق ان يوصي بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد ص عند اتباعهم وان يمتنعوا من ذلك
عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهي الاسرار بافشاء هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد انه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا
عند خويصتكم واصحاب اسراركم على انه يحتمل ان يكون شائعا ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله
قل ان الهدى هدى الله فيما بين جزئي كلام واحد هذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل ان يكون هذا كلاما امر الله نبيه ان يقوله
عندما وصل الكلام الى هذا الحد كانه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لا جرم ادب رسول الله ص بان يقابله بقول حق ثم يعود الى الحكاية
تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة امنت بالله لا اله الا الله او تعالى الله ثم يعود الى تلك
الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان
الهدى هدى الله ان الفضل بيد الله واعلم انه تع حكى عن اليهود امرين احدهما ان يؤمنوا وجه النهار ويكفروا اخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين
في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى الله وذلك انه مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة عين
ولا اثر وثانيهما انهم استنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فاجاب عنه بقوله قل ان بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل
الرسالة وهو في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له
غالب عليه يوضحه قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذي لفاعله ان يفعله
وان لا يفعله ولا يصح ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم والمصالح ومواقع فضله فلهذا يختص برحمته
من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على ان يؤتي بعض عباده مثل ما اتيكم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها
فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تع امر اجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما اتاهم
بل يكون اشرف واعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر نعماءه واكرامه على مراتب معينة وعلى اشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تع
في قدرته وحكمته ثم انه تع كذبهم في دعويهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان ونقض العهد
والكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال ومن اهل الكتاب الاية فيها دلالة على انقسامهم الى قسمين اهل الامانة واهل الخيانة فقيل
ان اهل الامانة هم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من يخالفهم في الدين
واخذ اموالهم وقيل ان اصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم واهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تامنه
بقنطار يؤده هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار لا يؤده فنحاص بن عازورا
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال اهل الحقيقة هي فيمن يؤتى كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه
وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفاء به وفيمن يحرز بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما سواها غير مؤد حقوقها ويقال
امنته بكذا وعلى كذا ومعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار
ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه واما الاقوال فيه فقد مرت في اوايل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس
ان القنطار الف ومائتا اوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والدين لان الانسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى
المبايعة وعلى المقارضة وليس في الاية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس انه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار
فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقلنا عنه ايضا انها نزلت في الوديعة واما قوله الا ما دمت عليه قائما فمنهم من حمله
على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه مجتمعا معه ملازما اياه فان انظرته واخرته انكروهم
ومنهم من حمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة اصله ان الطالب للشئ يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تع امة
قائمة اي عاملة بامر الله غير تاركة وقال ابو علي الفارسي انه في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما اي ثابتا لا ينسخ فمعنى الاية الا
دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده بسبب انهم يقولون ليس علينا في الاميين من

اموال

الفضل

العرب تستبين الخطاب والعتاب انما لا ضربنا العون في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف واخذ ماله باي طريق كان واما لانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا ويحتمل ان يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين بالردة فيستحلون دماءهم واموالهم وروي ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بادعائهم ان ذلك في كتابهم وَهُمْ يَعْلَمُونَ انهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة او يعلمون حرمة الخيانة او يعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر عن ابن عباس انه سئل رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيب انفسهم بَلَى قال الزجاج عندي وقف التمام ههنا لانه مجرد نفي ما قبله اي بلى عليهم سبيل في ذلك ما بعده استيناف وقال غيره انه يذكر في الابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم لَيْسَ عَلَيْنَا جناح قائم مقام قوله نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ تعالى وقيل لهم ان اهل الوفاء بالعهد واهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف على بلى وقيل ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شيء فلو انهم اوفوا بالعهود واوفوا اول كل شيء بالعهد الذي اخذه الله تعالى في كتابهم من الايمان بنبي آخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولو انهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد الى المبتدأ والضمير في بعهده يجوز ان يرجع الى من ويجوز ان يرجع الى اسم الله كقوله في الآية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى اصلان لجميع مكارم الاخلاق فالوفاء بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتممها وتزينها حتى يأتي بها على وجه الكمال من غير شائبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون ان يقول يحب الموفين او الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة فيها لا يتمشى الا بالايمان الكاذبة غالبا لا جرم اردفها بالوعيد عليها وايضا الخيانة في العهود وفي تعظيم اسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلا جرم قال إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ الآية واختلفت الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الآيات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤس اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التورية في شان محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوه بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله كيلا يفوتهم الرشى والماكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي ان ناسا من علماء اليهود اولي فاقة اصابتهم سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسألهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابكم قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم علي وانا اريد ان اميركم واكسو عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة سوى صفته ثم انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه وسألوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما اتيناه اذا هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا واخرجوا الذي كتبوا فنظر اليه كعب ففرح ومارهم وانفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الآية على وفقه وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه ومعنى يشترون يستبدلون بعهد الله مواثيقه والايمن هو الذي يؤكد الانسان بها خبره من وعد او وعيد او انكار او اقرار بذكر الله تعالى او صفة من صفاته وما يجري مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه تعالى رتب على الشرى بعهد الله وبايمانهم ثمنا قليلا خمسة انواع من الجزاء فقوله أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ اشارة الى انه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اشارة الى ما يحصل لهم هنالك من صنوف الآلام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم لان من منع كلامه في الدنيا غيره فانما ذلك لسخطه عليه فاذا امره بجنبه عنه يقول لا اكلمك ولا ارى وجهك واذا اجرى ذكره لم يذكره بالجميل قال في الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه فيمن يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد من النظر تقليب الحدقة الى جانب المرئي التماسا لرؤيته لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق بهذه الآية على ان النظر المقرون بحرف الى ليس بمعنى الرؤية والا لزم من هذه الآية ان لا يكون تعالى رائيا وذلك باطل قلت يجوز ان يراد بهذا النظر المعهود وهو الذي سيحصل لعباده وانبيائه من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وعلى هذا جاز ان يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم

ندمهم

مرتبة



من نفي رؤية يراه العباد اياه وقتئذ نفي رؤية لا يرونه حينئذ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ قال القفال معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللي عبارة عن عطف الشيء ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية وانما كانوا يفعلون مثل ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة وفي الكشاف اي يقلبونها بقراءتها عن الصحيح الى المحرف اقول وذلك ان لي اللسان اشبه بالتشدق والتنطع والتكلف مذموم فعبر الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلي اللسان ذما لهم وتقبيحا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق بين الفاظ المدح والذم في الشيء الواحد لِتَحْسَبُوهُ اي المحرف الذي دل عليه يلوون ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا تلك الشبه من الكتاب وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ نفي اولا كونه من الكتاب ثم نفي العلم ليعلم انه كالنص من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من احكامه المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التورية فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خابطين فان وجدوا قوما من الاغمار والجاهلين بالتورية قالوا انه من التورية وان وجدوا قوما عقلاء زعموا انه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير الفاظ التورية او اعراب الفاظها فالذين اقدموا على ذلك يجب ان يكون طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحقون بآية من كتاب الله تعالى لم يبعد اطباق الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الجبائي والكعبي بالآية على ان فعل العبد ليس بخلق الله تعالى والا صدق اليهود في قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم والجواب الغلط فيه ان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله بخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله وهو حكم من احكامه فتوجه التكذيب اليه تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا لا الى ما لم يزعموا فلم يتوجها في الآية استدلال ثم من جملة ما حرفه اهل الكتاب انهم زعموا ان عيسى كان يدعي الالهية ويامر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل مَا كَانَ لِبَشَرٍ الآية وقيل ان ابا رافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان نسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان احدا لا ينال من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم الله ان كان الامر كما قلتم وجب ان لا تشتغلوا باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمله ويصل لفظ الآية فان قوله ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ كقوله اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ومعنى قوله مَا كَانَ لِبَشَرٍ قال الاصم لو ارادوا ان يقولوا ذلك يمنعهم الله منه نظيره وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعي تبليغ الاحكام عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس ما لم تكن كاملة بحسب قوتيها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب السماوي عليه والحكم وهو فهم ذلك الكتاب بيانه وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مامورا بتبليغ ما فهم الى الخلق واحسن هذا الترتيب واذا كانت كاملة بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبي وقصارى امره صرف القلوب والارواح من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله مَا كَانَ لِبَشَرٍ الى قوله كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ انه يحرم عليه هذا الكلام لان ذلك يحرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل فعلا فقيل له ان فلانا لا يحل له ان يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاء عليه ومثله مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ على سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ومعناه النفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثُمَّ يَقُولَ تبعيد هذا القول عن مثل ذلك البشر وَلَكِنْ يقول كُونُوا رَبَّانِيِّينَ قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به مواظبا على طاعته كما يقال رجل الهي اذا كان مقبلا الى معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا شعراني ولحياني ورقباني للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدها رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم القيام والالف والنون كما في ريان وعطشان لا يختص بحال النسبة وقال ابو زيد الربانيون هذا النسبة يشمل الولاة ايضا قال القفال يحتمل ان يكون الوالي سمي ربانيا لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه فمعنى الآية ولكن يدعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم امر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية او سريانية

كونوا ولكن م

وسواء كانت عربية يدل على ان الانسان الذى علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الخير عن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس مات ربانى هذه الامة والباء فى قوله بما كنتم للسببية وما مصدرية وتعلمون من التعليم والعلم على القراءتين فيعلم منه ان التعليم والعلم والدراسة وهى القراءة توجب على صاحبها كونه ربانيا والسبب لا محالة مغاير للمسبب فهذا يقتضى ان يكون كونه ربانيا امرا مغايرا لكونه عالما ومعلما و مواظبا على قراءة العلم وما ذاك الا ان يكون تعلمه لله وتعليمه لله ودراسته لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب وخسر وكان السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن غرس شجرة تروقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ولهذا قال ص نعوذ بالله من قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع وفى الاية دليل على صحة قوله ص العلماء ورثة الانبياء فامل تقهم باذن الله ولا يامركم من قرا بالنصب فوجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتاكيد النفى المتقدم اى ما ينبغى لبشر ان ينصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص الله بالعبادة ثم يخالفه الى ان يامر الناس بعبادة نفسه و يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهيننى ويستخفنى والثانى ان يكون حرف النفى زائدة فيرجع المعنى الى ان رسول الله ص كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح بحيث قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر فى معنى النهى ويراد بالنبيين عيسى وعزير ص كانه اخرج نفسه بتلك الدعوى عن زمرة الانبياء ومن قرا بالرفع على الاستئناف فظاهر وينصره قراءة عبد الله بن مسعود ولن يامركم والضمير فيه على قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد ص وقيل لعيسى وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح ايامركم اى البشر وقيل الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكار اى انه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوا رسول الله ص ان يسجدوا له ص قلت وضع الشىء ابتداء اسهل من رفع نقيضه ثم وضعه فيحتمل ان يكون المراد فما صح ولا يعقل ان يامر النبى ص امته بعبادة نفسه اول ما استنبئ فكيف يعقل ان يامرهم بذلك بعد الفهم بالاسلام واستنارة باطنهم بنور الهدى الايمان والله

وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ

ولى التوفيق — وچون گرفت خدا پیمان پیغمبران را چونکه دادم شما را از کتاب و دانش پس آمد شما را پیغمبری باور دارنده مر آنچه با شماست هر آینه ایمان آرید

بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّى

بآن و هر آینه یاری دهید او را گفت آیا اقرار کردید و فرا گرفتید بر این عهد مرا گفتند اقرار کردیم گفت پس گواه باشید و من با شما از گواهانم پس هر که برگشت

بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّٰهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

پس از این پس آن گروه ایشانند فاسقان آیا بجز دین خدا میخواهند و مر او راست اسلام آورده هر که در آسمانها و زمین است برغبت و اکراه و بسوی او باز گردانیده شوند

قُلْ آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى

بگو گرویدیم بخدا و آنچه فرستاده شد بما و آنچه فرستاده شد بر ابراهیم و اسمعیل و اسحق و یعقوب و فرزندان او و آنچه داده شد موسی و عیسی

وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

و پیغمبران از پروردگار ایشان جدائی نمیداریم در میان احدی از ایشان و ما او را تسلیم کنندگانیم و هر که خواهش کند بجز اسلام دینی را پس پذیرفته نشود از او و او در آخرت

مِنَ الْخَاسِرِينَ كَيْفَ يَهْدِي اللّٰهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي

از زیانکاران است چگونه هدایت کند خدا گروهی را که کافر شدند پس از گرویدن ایشان و گواهی دادند که پیغمبر حق است و آمدشان گواهان و خدا راه ننماید

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّٰهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ

گروه ستمکاران را آن گروه پاداش ایشان اینست که بر ایشان است دوری خدا و فرشتگان و مردمان همه جاویدان در آن که سبک نشود از ایشان عذاب

وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا

و ایشان مهلت داده نشوند بجز آنان که توبه کردند از پس این و صلاح کردند پس بدرستی که خدا آمرزنده مهربانست بدرستی که آنانکه کافر شدند پس از ایمان پس افزودند

كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا

در کفر پذیرفته نشود توبه ایشان و آن گروه ایشانند گمراهان بدرستی که آنانکه کافر شدند و مردند کافران پس قبول نشود از یکی ایشان پری زمین از طلا

وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

و اگرچه فدیه دهند آن را آن گروه مر ایشان راست عذاب دردناک و نیست ایشان را یاری دهندگان

القراءات لما بكسر اللام حمزة والخزاز الباقون بفتحها آتيناكم على صيغة جمع المتكلم ابو جعفر ونافع الباقون آتيتكم على الوحدة يبغون بياء الغيبة وترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول ابو عمرو غير عباس وقرا عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرا يعقوب يبغون بالياء التحتانية ترجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملء بالهمزة الارض بغير الهمز روى البخارى عن ورش وروى الاصفهانى عنه بغير همز فيهما الباقون بالهمز فيهما الوقوف ولتنصرنه ط اصرى ط اقررنا ط الشاهدين الفاسقون يرجعون من ربهم ص منهم ج مسلمون منهج لعطف المختلفين الخاسرين البينات ط الظالمين ه اجمعين ه لا ينظرون لا للاستثناء رحيم توبتهم ج الظالمون افتدى به ط ناصرين

التفسير



التفسير الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد ص قطعا لاعذارهم واظهارا لعنادهم من جملتها اخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد ص فى القرآن اذ اخذ الله وقيل واذكروا يا اهل الكتاب واضافة الميثاق الى النبيين اما ان يكون من اضافة العهد الى المعاهد منه وعن ومن اضافة العهد الى المعاهد كما تقول ميثاق الله وعهد الله اما الاحتمال الاول فيؤيده ما يشعر به ظاهر اللفظ من ان اخذ الميثاق هو الله والماخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس ثم على هذا القول نقل عن على ع انه ما بعث آدم ومن بعده من الانبياء الا اخذ عليه العهد لئن بعث محمد ص وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه والذى يدل على صحته ما روى انه ص قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية اما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعى فهذا على سبيل الفرض والتقدير وهو انهم لو كانوا احياء لوجب عليهم الايمان بمحمد ص لا ان الميت يكون مكلفا وقيل المراد اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف وامة النبيين فقد ورد كثيرا فى القرآن لفظ النبى ص ويراد به الامة كقوله يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وقيل النبيون اهل الكتاب وذلك تهكم على زعمهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة عن محمد ص لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويؤكده قراءة ابى وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واما الاحتمال الثانى فالمعنى عليه ان الانبياء عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد ص فانه يجب عليهم ان يؤمنوا به ويؤكده انه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم وروى عن ابن عباس انه قيل له ان اصحاب عبد الله يقرؤون واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونحن نقرا واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم من قرا بفتح اللام ففيه وجهان احدهما ان ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبره لتؤمنن و اللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول فى آتيتكم محذوف وفى جاءكم ما دل عليه لما معكم لانه فى معنى ما آتيتكم والتقدير للذى آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله لتؤمنن به ثانيهما واختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الربط ان يقال اخذ الميثاق فى معنى الاستحلاف وما هى المتضمنة لمعنى الشرط وحينئذ يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما الا والنصرة فالاصح فى هذا المقام ان يجعل المذكور جوابا للقسم ظاهرا ولهذا ادخل اللام والنون المؤكدة فى لتؤمنن ولتنصرن وادخل اللام فى الشرط وتسمى موطئة لانها تعين من اول الامر بان المذكور هو جواب القسم لا الشرط ثم ان الشرط يكون مستغنيا عنه لان جواب القسم يسد مسده ومن قرا بكسر اللام للتعليل ففيه وجهان احدهما ان يكون ما مصدرية اى اخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ولمجىء رسول الله ص موافق لكم فى الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق سائر الانبياء والثانى ان يكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين وقيل اصله لمن ما اى لمن اجل ما آتيتكم ادغمت النون فى الميم فاجتمعت ثلث ميمات فحذفوا احداها للتخفيف فيؤول المعنى الى قراءة حمزة وفى جميع القراءات قيل لا بد من اضمار بان يقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين فقال مخاطبا لهم لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار كما يثير قيل واذ اخذ او اخذنا ولما فى اخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع آخر واستحسنه فى التفسير الكبير مع انه متكلف فقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه و النبيون عام وليس كلهم اصحاب كتاب ولكنه وصف الكل بوصف اشرفهم او الكتاب لذوى الكتب والحكمة لغيرهم وجعل الداعى الى الكتاب والى العمل به كالذى انزل عليه الكتاب ومن للبيان او للتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجىء الى النبيين وانما يجىء الى الامم معناه فى زمانكم وان كان المراد من النبيين اولادهم او اممهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته فى التوحيد والنبوات واصول الشرائع فاما تفاصيلها وان وقع الخلاف فيها فذاك فى الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبياء متفقون على ان الحق فى زمان موسى ليس الا شرعه وان الحق فى زمان محمد ص ليس الا شرعه ولو قلنا ان المراد بالرسول هو محمد ص فالمراد اما ما ذكرنا وان نعته ص وصفته ص واحواله مذكورة فى الكتب المتقدمة فكان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم والظاهر ان المراد بهذا الميثاق هو التوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجىء مصدقا لما معهم وقيل يحتمل ان يكون الميثاق اشارة الى ما قرر فى عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فهو انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ الميثاق انه تعالى شرح صفاته ص فى كتب الانبياء المتقدمين فاذا صارت احواله ص مطابقة لما جاء فى الكتب الالهية وجب الانقياد له ص ومما يصح لو كان المراد بالنبيين اولادهم او اممهم او ميثاق النبيين من الامم او ميثاق الله من النبيين على تقدير كونهم احياء اقول والله اعلم يحتمل انه يستقبل ثم جاءكم المجىء فى الزمان الثانى فيكون معنى الآية ان الله تعالى اخذ ميثاقه من كل نبى اوتى كتابا وحكمة ان يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقا لما معه وينصره ببيانه يظهر حقيته فى وقته وانه من عند الله سبحانه وانه موافق له فى اصول العقائد وفى قواعد مكارم الاخلاق فيكون هذه الآية تمهيدا لما يجىء بعد من قوله قل آمنا بالله الآية قال الله او كل نبى كل منه مستفهما بمعنى الامر اقررتم بالايمان به والنصرة والاقرار فى الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفى اللغة منقول بهمزة التعدية من قر الشىء يقر اذا ثبت ولزم مكانه واخذتم اى قبلتم على ذلكم اصرى عهدى والاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا يؤخذ منها

عدل اي لا يقبل وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي اي قبلتم عهدي سمي العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار كذلك بالاشهاد وقال
فَاشْهَدُوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفي قوله وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من
الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل احد نفسه شاهدا على نفسه
كقوله وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر في الجهل به واصله ان الشاهد هو الذي يبين
صدق الدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالشاهد للشيء المعاين له او يكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد
الوعيد بقوله فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الخارجون عن دين الله وطاعته ووعيد
الفساق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ويحتمل ان
يراد يتولون فغير دين الله يبغون وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ من قرا بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب
في اقررتم واخذتم وللالتفات بعد قوله اولئك هم الفاسقون ومن قرا بياء الغيبة فلرجوع الضمير في الاول الى الفاسقين وفي الثاني الى جميع
المكلفين والاصل افيبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو فائدة الهمزة
ههنا متوجه الى الدين الباطل عن ابن عباس ان اهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلعم فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم فكل واحد من الفريقين ادعى
انه اولى به فقال صلعم كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا يكون الاية كالمنقطعة عما قبلها
ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضي تعلقها بما قبلها فالوجه ان هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغي و
العناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكر ان يفعلوا ذلك وقرانه يعلمون ان الاعراض عن دين الله خارج عن قضية العقل
وكيف لا وقد اخلص له تعالى الانقياد وخصص له الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه
فهو ذليل بين يدي قدرته خاضع لجلال قدرته في طرفي وجوده وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا او
نظير الاية وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فلا سبيل لاحد على الامتناع عن مراده طوعا او كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال لانهما
من جنس الفعل اي طائعين وكارهين كقولك اتاني ركضا اي راكضا ولو قلت اتاني كلاما اي متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان
فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها في غيره من الالام والمكاره التي تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره
واما الكافرون فينقادون في الدين كرها اي خوفا من السيف وعند الموت ونزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل
الارض وقوله ذلك لان السفلي ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه طاعة يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا ومن
شاهد الجلال اسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ اي الى حيث لا مالك سواه
ظاهرا وباطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق كل رسول كان قبله
امر النبي بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه اما وجه التوحيد في قل فظاهر بناء على ما قلنا واما وجه الجمع في امنا فللتشريف او لانه
بانضمامهم معه في سلك الاخبار عن الايمان وليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه بل هو لازم لجميع المؤمنين كقوله وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ او لاجلال قدره وتنبيه حيث امر ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقائد ثم ذكر الايمان
بما انزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة احوالها الا بالقران المنزل على محمد صلعم ثم ذكر الايمان بما انزل على مشاهير الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل

لا سبيل الى معرفته

وفي ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى انهم ليسوا من الدين في شيء حيث خالفوا
مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبي ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور في تفسير قوله وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
فههنا قد اخذ الميثاق على محمد صلعم بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم ياخذ عليه الميثاق لمن ياتي بعده فيكون في الاية دليل على انه لا نبي بعده
واعلم ان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فيجوز ان يعدى انزل بعلى تارة كما في هذه الاية وبحرف الانتهاء اخرى كما في البقرة فنطق القران بالاعتبارين
جميعا وقيل عدي هناك بالى لمكان تولوا فان الوحي ياتي الامة بطريق الانتهاء وعدي ههنا بعلى لمكان قل فان الرسول ياتيه الوحي بطريق الا(ستعلاء)
وزيف في الكشاف بقوله تعالى وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وبقوله آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا والانصاف ان هذا القائل لم يدع ان هذه
المناسبة يجب اعتبارها في كل موضع وانما ادعى اعتبارها في الموضعين فيصلح حجة للتخصيص والله اعلم وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فائدة تقديم الجار
ان يعلم ان هذا الاذعان والايمان والاستسلام لا غرض فيه الا وجه الله دون شيء اخر من طلب المال والجاه بخلاف احبار اليهود الذين يشترون
بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فليسوا من الاسلام في شيء وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ فماذا بعد الحق الا الضلال وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكبائر عند المعتزلة
وقد يستدل بالاية على ان الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول
عند الله للاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظي لان الاسلام ان اريد الانقياد الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الاية وان اريد







الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ثم بين وعيد
من ترك الاسلام فقال كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا
بالنبي بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم بالبينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا
ولددا وفي رواية اخرى عنه نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم اخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى
التائب بقوله إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله صلعم ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله فيه هذه
الاية الى قوله فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فحملها اليه رجل من قومه فقراهن عليه فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله صلعم لاصدق
منك وان الله اصدق الثلثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة في الاية ان اصولنا يشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف
ووضع الدلائل والا كان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الاية بشيء اخر سوى نصب
الدلائل قالوا فالمراد بهذه الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
وقال وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى او المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ وقوله يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وقال اهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في باب التكليف في دار العمل ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله
فان الله يخلقه عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه وقال اهل التحقيق كيف يهدي
الله اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق الربانية وقوله وَشَهِدُوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لانه
في تقدير ان امنوا كقوله تعالى فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وكيف ما كان
فمعنى الاية يؤول الى انه تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل ولا مما يسوغ انكاره بعد ان جاءتهم
الشواهد الدالة له على صدقه من القران وغيره لكن الشهادة هو الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف
مغايرا للمعطوف عليه وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الواضعين الشيء في غير موضعه وذلك ان الخصال الثلث اعني الايمان والشهادة ومشاهدة
المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبي المبعوث في اخر الزمان لا الكفر والعناد وفيه دليل على ان ذنب العالم اقبح من ذنب الجاهل ولهذا صرح في اخر
الاية بانه تعالى لا يهديهم بعد ان عرض بذلك في اول الاية ثم ردفه بغاية الوعيد فقال أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ الى قوله وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ وقد مر مثله في البقرة
وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب الملحق بالكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الكفر العظيم
ولا يكفي التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال وَأَصْلَحُوا اي باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات واظهروا
انا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المتقدمة مغتر رجع عنها فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ في الدنيا بالستر رَحِيمٌ في الاخرة بالعفو او غفور بازالة العقاب
رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر
الى كفره وهو المراد في الاية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب امنوا بمحمد صلعم قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا
كفرا بسبب طعنهم فيه في كل وقت وانكارهم لكل معجز يظهر عليه الى غير ذلك من تخليطاتهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا
بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم والقران وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم
الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة
في الكفر ثم انه تعالى حكم في الاية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم تعالى في هذه الاية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وايضا ثبت بالدليل ان التوبة
بشروطها مقبولة فما معنى قوله لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت
والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وقيل في نحوله على
ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص قال القاضي والقفال وابن الانباري هي من تتمة قوله إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا يريد انه لو كفر بعد التوبة
الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد ان التوبة من تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه اقول
ويحتمل ان يكون لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ جعل كناية عن الموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر مائتون على الكفر لابد
نعلم من قساوة القلوب والافضاء الى الرين والجراءة الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آيسين من الرحمة هذا
اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير التعميم فنقول انما جعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان القضية لا تكون
كلية فكم من مرتد ويهودي مزداد للكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فاكتفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول
التوبة حتى يرد الكلام في معرض الكناية ومن المعلوم انها ذكر اللازم وارادة الملزوم وانه لا بد للعدول من فائدة فصح ان يبين فائدة العدول على
وجه يصير القضية كلية وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال
واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف لاجل الياس من الرحمة وهذا هو الذي عول عليه في الكشاف والحاصل انه كانه قيل ان اليهود

المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حقهم ان لا تقبل توبتهم وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الضَّآلُّوْنَ الكاملون فى الضلال ضلوا فى تيه الاوصاف البهيمية والا
السبعية فلم يكادوا يخرجون منها بقدم الانابة واعلم ان الكافرين على ثلثة اقسام احدها الذى يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذى سيق
لاجله الاية التى بعدها الاستثناء وثانيها الذى يتوب توبة فاسدة وهو المذكور فى قوله لن تقبل توبتهم على وجه وثالثها الذى يموت على
الكفر من غير توبة فذكره فى الاية الاخيرة وملاء الشئ قدر ما يملاءه وذهبا نصب على التمييز وربما يقال على التفسير ومعناه ان يكون الكلام تاما
الا انه يكون مبهما كقولك عندى عشرون عددا فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد ومعنى الفاء فى فلن يقبل ان يعلم ان
الكلام مبنى على الشرط والجزاء واذا ترك كما فى الاية الاولى فلعدم قصد التسبيب والاكتفاء بمجرد الحمل والوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب
الكشاف وليت شعرى انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خص به فبماذا يجيبون ولعل عقيدتهم فى امثال هذه المواضع انها من الاشياء
المتغلبة وهو وهم والسر فى التخصيص هو انه لما قيد فى الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تاكيدا للزوم وتغليظا فى الوعيد
والله اعلم اما الواو فى قوله وَلَوِ افْتَدٰى بِهٖ فانها تشبه عطف الشئ على نفسه لانه كالمكرر فلهذا كثرت اقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانبارى
انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقيل انها لبيان التفصيل بعد
الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفى القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية و
يقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفى قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كانه قيل
فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله وَلَوْ اَنَّ لِلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مَا فِى الْاَرْضِ
جَمِيْعًا وَّمِثْلَهٗ مَعَهٗ لَافْتَدَوْا بِهٖ والمثل يحذف كثيرا فى كلامهم مثل ضربت ضرب زيد اى مثل ضربه ابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله كانه يراد به فى
نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا اى انت وذلك ان المثلين يقوم احدهما مقام الاخر فى اغلب الامور فكانا فى حكم شئ واحد فان قيل من المعلوم ان
الكافر لا يملك يوم القيمة شيئا وبتقدير ان يملك فلا نفع فى الذهب هناك فما فائدة هذا الكلام فالجواب انه على سبيل الفرض والتقدير والذهب
كناية عن اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز الاشياء وفرض ان فى بذله نفعا للاخذ وان المبذول فى غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى
تخليص نفسه من عذابه ثم صرح بعقابهم ونفى من يشفع لهم فقال اُولٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ وَّمَا لَهُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ قال اهل التحقيق ماتوا
اى مات قلوبهم اُولٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ بموت القلب وفقد المعرفة وَمَا لَهُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ على احياء القلب بنور المعرفة حسبى الله ونعم الوكيل

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوْا مِمَّا تُحِبُّوْنَ ۬ وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ شَيْءٍ فَاِنَّ اللّٰهَ بِهٖ عَلِيْمٌ ۝ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ اِلَّا مَا
هرگز نرسید بنیکوی تا آنکه خرج کنید از آنچه دوست دارید و آنچه خرج کنید از مال پس بدرستی که خدا بآن داناست همه خوردنیها بود حلال برای بنی اسرائیل مگر آنچه
حَرَّمَ اِسْرَآءِيْلُ عَلٰى نَفْسِهٖ مِنْ قَبْلِ اَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرٰىةُ ۭ قُلْ فَاْتُوْا بِالتَّوْرٰىةِ فَاتْلُوْهَآ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝ فَمَنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ
که حرام کرد اسرائیل بر خودش از پیش آنکه نازل شود توریة بگو ای محمد بیاورید توریة را پس بخوانید آنرا اگر بوده باشید راستگویان پس هرکه دروغ بندد بر خدا
مِنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ ۝ قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ ۣ فَاتَّبِعُوْا مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا ۭ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝ اِنَّ اَوَّلَ بَيْتٍ وُّضِعَ
پس از این پس آن گروه ایشانند ستمکاران بگو راست گفت خدا پس پیروی کنید دین ابراهیم را که پاکیزه است و نبود از مشرکان بدرستی که نخست خانه که بنا کرده شد
لِلنَّاسِ لَلَّذِيْ بِبَكَّةَ مُبٰرَكًا وَّهُدًى لِّلْعٰلَمِيْنَ ۝ فِيْهِ اٰيٰتٌۢ بَيِّنٰتٌ مَّقَامُ اِبْرٰهِيْمَ ڬ وَمَنْ دَخَلَهٗ كَانَ اٰمِنًا ۭ وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ
از برای مردم هر آینه آنست که در مکه است بابرکت و راه نماینده مر جهانیانرا در آن آیات روشن است جای ابراهیم و هرکه درآید در آن باشد آسوده و مر خدا راست بر مردم
حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا ۭ وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰلَمِيْنَ ۝ قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ
قصد خانه کعبه هرکه تواند بسوی او راهی و هرکه کافر شود پس بدرستی که خدا بی نیاز است از جهانیان بگو ای اهل کتاب چرا باز دارید از راه خدا
مَنْ اٰمَنَ تَبْغُوْنَهَا عِوَجًا وَّاَنْتُمْ شُهَدَآءُ ۭ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اِنْ تُطِيْعُوْا فَرِيْقًا مِّنَ الَّذِيْنَ
آنرا که گرویده میطلبید در آن کجی و شما گواهانید و نیست خدا بی خبر از آنچه میکنید ای زمره آنها که گرویده اید اگر پیروی کنید گروهی را از آنان که
اُوْتُوا الْكِتٰبَ يَرُدُّوْكُمْ بَعْدَ اِيْمَانِكُمْ كٰفِرِيْنَ ۝ وَكَيْفَ تَكْفُرُوْنَ وَاَنْتُمْ تُتْلٰى عَلَيْكُمْ اٰيٰتُ اللّٰهِ وَفِيْكُمْ رَسُوْلُهٗ ۭ وَمَنْ يَّعْتَصِمْ
داده شده اند کتاب را برگردانند شما را پس از ایمانتان کافران و چگونه کافر شوید و حال آنکه خوانده شود بر شما آیات خدا و در شما پیغمبر اوست و هرکه درآویزد
بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ۝ القراءة ان تنزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء
بخدا پس بدرستی که راه نموده شده براه راست
يزيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد الباقون بفتحها الوقوف تحبون ط عليم
تنزل التورية ط صادقين ط الظالمون ط حنيفا ط المشركين ط للعالمين ج لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا مقام ابرهيم ج للابتداء بالشرط
مع الواو ولان الامن من الايات امنا ط سبيلا ط العالمين ط بايات الله ق قد قيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون ط شهداء ط تعملون
كافرين ط رسوله ط لتناهى الاستفهام الى الشرط مستقيم ط التفسير انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق
الذى ينتفعون به فى الاخرة وهو الانفاق من احب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهى انه سبحانه وتعالى سمى جوامع خصال الخير برا فى قوله تعالى و



وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ الاية وذكر فى هذه الاية لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوْا مِمَّا تُحِبُّوْنَ فالمعنى انكم وان اتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا باجر
خصلة البر ولن تبلغوا حقيقتها حتى تكون نفقتكم من الاموال التى تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه
لله روى انه لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان لى حائطا بالمدينة يعنى بيرحاء هو احب اموالى الى اصدقته فقال صلعم بخ بخ ذاك مال
رابح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها فى اقاربه وروى انه جعلها بين حسان بن ثابت وابى بن
كعب وروى ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الاية بفرس له كان يحبه وجعله فى سبيل الله فحمل عليه رسول الله صلعم اسامة فوجد زيد فى نفسه وقال
انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلعم اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر الى ابى موسى الاشعرى ان يبتاع له جارية من سبى جلولاء يوم
فتحت مدائن كسرى فلما راها اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوْا مِمَّا تُحِبُّوْنَ فاعتقها ولم يصب منها ونزل بابى ذر
ضيف فقال للراعى ائتنى بخير ابلى فجاء بناقة مهزولة فقال خنتنى فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتك اليه فقال ان يوم
حاجتى اليه يوم اوضع فى حفرتى وفى تفسير البر قولان احدهما ما به يصيرون ابرارا لقوله ان الابرار لفى نعيم ليكون المراد بالبر ما
يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة فى قوله وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ وجعلها التقوى لقوله اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ
والثانى الجنة اى تنالوا ثواب البر وقيل المراد بر الله اولياءه واكرامه اياهم من قول الناس برنى فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عنى و
قال تعالى اَنْ تَبَرُّوْهُمْ وَتُقْسِطُوْٓا ومن فى قوله مِمَّا تُحِبُّوْنَ للتبعيض نحو اخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه
ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد بما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى وَاِنَّهٗ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيْدٌ وقيل
هو ما يكون محتاجا اليه كقوله وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلٰى حُبِّهٖ وَيُؤْثِرُوْنَ عَلٰٓى اَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وقيل هو اطيب المال وارفعه هو كل
كما مر وعن ابن عباس اراد به الزكوة اى حتى تخرجوا زكوة اموالكم ويرد عليه انه لا يجب على المزكى ان يخرج اشرف امواله واكرمها وقال الحسن
ما انفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدى عن مجاهد والكلبى انها منسوخة باية الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافى
الترغيب فى بذل المحبوب لوجه الله وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ شَيْءٍ من للتبيين يعنى من اى شئ كان طيب او خبيث فَاِنَّ اللّٰهَ بِهٖ عَلِيْمٌ فيجازيكم بحسبه ويعلم الوجه الذى
لاجله تنفقون من الاخلاص والرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد صلعم وبعد توجيه الالزامات الواردة على اهل
الكتاب فى هذا الباب اجاب عن شبهة للقوم وتقرير ذلك من وجوه احدها انهم كانوا يقولون فى انكار شرع محمد صلعم على انكار النسخ فاورد عليهم
ان الطعام الذى حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان
ذلك كان حراما من لدن ادم ولم يحدث نسخ فامر النبى ان يطالبهم باحضار التورية الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد صلعم لانه كان اميا
فامتنع ان يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التورية الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعى انك على ملة ابرهيم فكيف
تاكل لحم الابل والبانها وتفتى بحلها مع ان ذلك كان حراما فى دين ابرهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا
ان يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة فى اولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التورية وثالثها انه لما نزل
قوله تعالى فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبٰتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ وقوله وَعَلَى الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِيْ ظُفُرٍ الى غير ذلك من الايات
الدالة على انه انما حرم عليهم كثيرا من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل ان ذلك يقتضى وقوع النسخ
ومن قبل انه تسجيل عليهم بالبغى والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت هى عليه وانما هو قديم فنزلت كُلُّ الطَّعَامِ اى
المطعومات كلها لدلالة الكل على العموم وان كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم اولا والطعام اسم
لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض اصحاب ابى حنيفة انه اسم البر خاصة ويرد عليه ان المستثنى فى الاية عن الطعام كان شيئا سوى الحنطة وما يتخذ
منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول فى الخنزير فيحتمل ان يكون المراد الاطعمة التى كان يدعى اليهود
فى وقت نبينا صلعم انها كانت محرمة على ابرهيم صلعم وعلى هذا يكون اللام فى الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا
استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ والوصف بالمصدر يفيد المبالغة واما الذى حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس
عن النبى صلعم ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحمان
الابل والبانها وهذا قول ابى العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النساء فنذر ان شفاه الله ان لا ياكل شيئا من العروق وجاء
فى بعض الروايات ان الذى حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار
تحريم يعقوب سببا للحرمة فاجاب المفسرون بان الاطباء اشاروا اليه باجتنابه ففعل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء
وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق فى تحريم المراة والجارية وايضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم
فاعتبروا ولقوله فى معرض المدح لَعَلِمَهُ الَّذِيْنَ يَسْتَنْۢبِطُوْنَهٗ مِنْهُمْ ولان الاجتهاد طاعة شاقة فيلزم ان يكون للانبياء منها نصيب وافر لا
سيما ومعارفهم اكثر وعقولهم انور واذهانهم اصفى وتوفيق الله وتسديده معهم اوفى ثم اذا حكموا بحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفة

فى تلك الحكم كان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص والا لقيل الا ما حرمه الله على
اسرائيل فلما نسب الى اسرائيل دل على انه باجتهاده كما يقال الشافعى يحلل لحم الخيل وابو حنيفة يحرمه وقال الاصم لعل نفسه تتوق الى هذه الانواع
فامتنع من اكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده
احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب ومعنى قوله من قبل ان تنزل التورية ان هذا الاستثناء انما كان
قبل نزول التورية اما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا الى آخر الاية ثم ان القوم
نازعوا رسول الله صلعم فى اخباره عن الله تعالى فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروى انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا فلزمت الحجة
عليهم وظهر اعجاز النبى صلعم وصدقه فلهذا قال فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذى ظهر من الحجة الباهرة فاولئك هم الظالمون
الواضعون للباطل فى موضع الحق والكذب فى مقام الصدق والعناد فى محل الانصاف وايضا ان تكذيبهم وافتراءهم ظلم منهم لانفسهم ولمن
يقلدهم من اشياعهم قل صدق الله فى جواب الشبهة الثالثة وفيه تعريض تكذيبهم فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهى التى عليها محمد صلعم ومن
تبعه حتى تتخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم حيث الجأتكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والزمتكم تحريم الطيبات
التى احلها لابرهيم ولمن يقتدى به وما كان من المشركين وفيه تنبيه على ان محمدا صلعم على دين ابرهيم فى الفروع لما ثبت ان الذى حكم صلعم بحله حكم
ابرهيم بحله وفى الاصول لان محمدا صلعم وابرهيم كليهما صلعم لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى
وخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس قال مجاهد هو جواب عن شبهة اخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت
المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وارض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن فى نبوة محمد صلعم وقيل
ان الاية المتقدمة سيقت لجواز النسخ وان اعظم الامور التى اظهر رسول الله صلعم نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى الكعبة
وقيل لما انجر الكلام فى الاية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابرهيم وكان الحج من اعظم شعائر ملته اردفها بفضيلة البيت ليفرع عليها
ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى انه على ملة ابرهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابرهيم
واهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى عبدين فى المرة الاولى لم يعتق واحد
منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى فى المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق ايضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدا لهم
وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كل اول يقتضى ان يكون له ثان فضلا ان يشاركه فى جميع خواصه فلا يلزم
من كونه اول ان يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا فى وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه اول بيت وضع للناس
يحتمل ان يكون المراد انه اول فى البناء والوضع ويحتمل ان يكون المراد انه اول فى الوضع وان كان متاخرا فى البناء فلا جرم حصل فيه للمفسرين قولان الاول
انه اول فى بنائه ووضعه جميعا روى الواحدى رحمه الله فى البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين
وفى رواية اخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض وان قواعده لفى الارض السابعة السفلى وروى ايضا عن محمد بن
على بن الحسين عن على بن ابى طالب عن ابيه قال ان الله تعالى بعث ملائكة فقال ابنوا لى فى الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله تعالى من فى
الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق ادم وقد ورد فى سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمر ومجاهد
والسدى انه اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله قبل الارض بالفى عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض
تحته وعن الزهرى قال بلغنى انهم وجدوا فى مقام ابرهيم ثلثة صفوح منها كان فى الصفح الاول انا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس
والقمر وحففتها بسبعة املاك حفا وباركت لاهلها فى اللحم واللبن وفى الثانى انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى من وصلها وصلته
ومن قطعها قطعته وفى الثالث انا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه
بعينه قد يستدل على صحة هذا القول بما روى انه صلعم قال يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا
وجودها ولانه تعالى سماها ام القرى وهذا يقتضى سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلوة كان ثابتا فى اديان جميع الانبياء وايضا قال
تعالى فى سورة مريم اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله خروا سجدا وبكيا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم
غير الكعبة لم يكن هى اول بيت وضع للناس هذا خلف القول الثانى روى ان النبى صلعم سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم
بيت المقدس فسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن على رضه ان رجلا قال له هو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس
مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم ان الغرض الاصلى من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس ولا تاثير للاولية فى البناء
فى هذا المقصود وان كان لا يبعد ثبوت تلك الاولية ايضا كما روينا انفا وفى سورة البقرة ايضا من الاخبار والاثار فمن فضائل البيت ان
الآمر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبرئيل والبانى ابرهيم الخليل وتلميذه ابنه اسمعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات
ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابرهيم كما يجئ ومنها قلة ما يجتمع من الحصى الجمار فيه فانه منذ الاف سنة يرمى فى كل سنة خمسمائة

بالفى سنة صح

الف انسان



الف انسان كل واحد منهم سبعين حصاة ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع فى سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذى يرمى اليه الجمرات مسيل ماء ولا مهب
رياح شديدة وقد جاء فى الاثار ان كل من كانت حجته مقبولة رفعت جمرته الى السماء ومنها ان الطيور تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها البتة اذا
وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوانات المتضادة فى الطبايع لا يؤذى بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها ان من سكانها لم ينقل البتة ان ظالما هدم
الكعبة او بكة بالكلية واما بيت المقدس فقد هدمه بختنصر بالكلية ومنها قصة اصحاب الفيل سوف تجئ فى موضعها ان شاء الله العزيز ومنها انه
وضعها بواد غير ذى زرع لفوائد منها انه قطع بذلك رجاء اهل حرمه وسدنة بيته عن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها انه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات
كل شئ بدعوة خليله ابرهيم صلعم وانه من اعظم الايات ومنها ان لا يسكنها احد من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فيبقى ذلك الموضع المنيف
والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود ارباب الهمم الدنية ومنها ان لا يقصدها الناس للتجارة بل ياتون لمحض العبادة والزيارة ومنها انه تعالى
اظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع اشرف البيوت فى اقل المواضع نصيبا من الدنيا فكانه تعالى يقول جعلت الفقراء فى الدنيا اهل البلد الامين
لاجعلهم فى الاخرة اهل المقام الامين ومنها كانه قيل كما لم يجعل الكعبة الا فى موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا يجعل كعبة المعرفة الا
فى قلب خال عن محبة الدنيا للذى ببكة للبيت الذى ببكة قال فى الكشاف وهى علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم وضربة لازب
ولازم مما يعتقب فيه الميم والباء لتقارب مخرجيهما وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وفى الصحاح بكة اسم لبطن مكة واما اشتقاق بكة فمن
قولهم بكه اذا زحمه وفعن سعيد بن جبير سميت لانهم يتباكون فيها اى يزدحمون فى الطواف وهو قول محمد بن على الباقر يصلى وتمر امراة
بين يديه فذهبت ادفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر المراة بين يدى الرجل وهو يصلى والرجل بين يدى المراة وهى تصلى ولا باس
بذلك فى هذا المكان ويؤكده هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان المطاف هناك وفيه الازدحام ولا شك ان بكة غير البيت لان الاية تدل على ان
البيت حاصل فى بكة والشئ لا يكون ظرفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اى تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه
واما مكة فاشتقاقها من قولك مك الفصيل ضرع امه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من كل جانب فى قطر او لقلة
مائها كان ارضها امتص ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف
البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين اما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن فى الظرف لان التقدير للذى ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار
واما معناه فالبركة اما النمو والتزايد وكثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شئ ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة
شبه الحوض لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لما يحصل لمن حجه او اعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب و
تكفير الذنوب قال صلعم صلوة فى مسجدى هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال صلعم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل
فى نفسه ان الكعبة كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها فى الصلوات فى اقطار الارض واكنافها ولعرى انها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا شك انه
يحصل فيما بين هؤلاء المصلين اشخاص ارواحهم علوية وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية وضمائرهم ربانية علم انه اذا توجهت تلك الارواح الصافية
الى كعبة المعرفة واستقبلت اجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت انوار اولئك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية فى سره قال القفال
يجوز ان يكون بركته ما ذكر فى قوله يجبى اليه ثمرات كل شئ فيكون كقوله الى الارض المقدسة التى باركنا فيها وان فسرنا البركة بالدوام فلا شك
انه لا ينفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكان يفرض فانه صبح لقوم ظهر لاخرين وعصر لغيرهم ومغرب
او عشاء فلا يخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وايضا بقاء الكعبة على هذه الحالة الوفا من السنين دوام واما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم
ومتعبدهم او لانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد صلعم بما فيه من الايات والاعاجيب او لانه هدى الى الجنة ومعنى هدى هاديا او ذا هدى قال الزجاج
وجوز ان يكون محله رفعا اى وهو هدى فيه ايات بينات يحتمل ان يراد بها ما عدده من بعض فضائله ويكون قوله مقام ابرهيم غير متعلق
بما قبله فكانه قيل فيه ايات بينات ومع ذلك فهو مقام ابرهيم وموضعه الذى اختاره وعبد الله فيه وقال الاكثرون الايات هى ما بينه
وتفسيره قوله مقام ابرهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز ففيه دليل ايضا على علم الصانع وقدرته وارادته و
حيوته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله ان ابرهيم كان امة واما بان يجعل المقام مشتملا على
ايات لان اثر القدم فى الصخرة الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاء هذا الاثر دون اثار سائر
الانبياء اية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوفا من السنين اية قال الزجاج قوله ومن دخله
كان امنا من تمة التفسير للايات وهذه الجملة وان كانت من مبتداء وخبر او من شرط وجزاء الا انه فى تقدير مفرد من جهة المعنى فكانه قيل فيه
ايات بينات وامن من دخل كما لو قلت فيه اية بينة من دخله كان امنا كان معناه فيه اية بينة امن من دخله وهذا التفسير بعيد تصحيحه
على ان الاثنين جمع كما قال صلعم الاثنان فما فوقهما جماعة وفى القران هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر ايتان وطوى ذكر غيرهما دلالة على
تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير مما سواهما ومنه قوله صلعم حبب الى من دنياكم ثلث الطيب والنساء
وجعلت قرة عينى فى الصلوة ومنهم من تمم الثلثة فقال مقام ابرهيم وامن من دخله ولله على الناس حجه وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع

تلا عمى من ثابت وعند ابي حنيفة لا حج عليه يروى انه يستنيب قال الائمة لا بد مع الشرائط من امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة
ما يمكنه المسير فيه الى الحج السير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلة او اكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة
اهل البلد بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلوة في وقتها فيجوز التراخي ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان
ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال احمد ومالك وابو حنيفة في رواية انه على الفور حجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة
خمس من الهجرة واخره النبي صلعم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث ابا بكر اميرا على الحاج
سنة تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما واما النوع الثاني فهو الاستطاعة بالاستنابة فانها جائزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة
عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت والكبر والزمانة او مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي
فقال يا رسول الله صلعم اختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك دين اكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله
تعالى فهو احق بالقضاء عنه وان امراة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك
على الراحلة افاحج عنه قال نعم وقد يكون الاستنابة بطريق الاستيجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستيجار كتفريق الزكوة وعند ابي حنيفة
واحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو استاجر كان ثواب النفقة للامر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني
واعطيك نفقتك وهذا ايضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استاجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لا بد ان تكون
معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم
ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الاية انواع من التوكيد والتغليظ منها قوله ولله على الناس اي حق واجب
له عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم يعرفوا فان كثيرا من اعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال
ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايراد الغرض في صورتين تقريرا له في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ
ما فيه ولهذا قال رسول الله صلعم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره قوله صلعم من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار
الغنى وتهويل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول فانا او فاني فانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال
عن العالمين ولم يقل عنه لانه تعالى اذا كان غنيا عن كل العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد اولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد
عام في كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روى عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود فانهم قالوا ان
الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك لما نزلت اية الحج جمع رسول الله صلعم اهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين
فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس فقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر ومن الاحاديث
الواردة في تاكيد امر الحج قوله صلعم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه
ان يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الامن او غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة
الا نفقت اي هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اي عجل عقوبتهم وما اصلوا ثم انه سبحانه لام اهل الكتاب في الخطاب
فقال قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد صلعم بعد ظهور البينات ودحوض الشبهات او بعد معرفة فضيلة الكعبة
ووجوب الحج والله شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر باياته ودلالتها على نبوة محمد صلعم ثم انه تعالى لما
نكر عليهم في ضلالهم وبخهم على اضلالهم فقال لم تصدون عن سبيل الله من امن قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء الشكوك
والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكاران نعت محمد صلعم في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكدهم او بتذكيرهم ما كان بينهم
في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى مثله ومحل تبغونها عوجا نصب على الحال او بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما لا
يرى كالدين والقول واما الشيء الذي يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان
وتبغون بمعنى تطلبون ويقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام مثل بغيت المال والاجر فان اريد تعديته الى مفعولين زيدت اللام فقد
تبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا اي صدت لك ظبيا والضمير عائد الى السبيل فانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم
ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا صلعم ليس بذلك المنعوت في كتابنا والمراد انكم تتبعون انفسكم
في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم ويحتمل ان يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا ابدا عوجا
الهم انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل قال ابن عباس
او انتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلعم او انتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني الاحبار
وقيل من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم وعدهم بقوله وما الله بغافل عما تعملون كقول السيد لعبده وقد
انكر طريقته لا يخفى على سيرتك ولست بغافل عنك وانما ختم الاية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان ذلك فيما

والاضلال



والمراد مقامات ابرهيم وهي ما اقامه من المناسك فالمراد بالايات شعائر الحج وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة اية
على التوحيد قال في الكشاف وفيه توكيد لكون مقام ابرهيم حده بيانا واما ومن دخله فقد مر اختلاف العلماء وفيه في سورة
البقرة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقيل كان امنا من النار لما روى عن النبي صلعم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة
امنا وعنه الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلعم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير
حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلعم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه
جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت لما ذكر فضائل البيت اردفه بايجاب الحج وهما لغتان الفتح لغة حجاز والكسر لغة نجد وكلاهما
مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله
على من استطاع من الناس حج البيت قال الفراء يجوز ان ينوى الاستئناف بمن والخبر او الجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع
اليه سبيلا فلله عليه حج البيت قال ابن الانباري يحتمل ان يكون محله رفعا على البيان كانه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل
هم من استطاع والضمير في اليه للبيت او الحج واستطاعة السبيل الى الشيء هي امكان الوصول اليه واحتج اصحاب الشافعي بالاية على ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرايع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح ان يكون معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهري مكلف بالايمان
بمحمد صلعم مع انه غير حاصل والمحدث مكلف بالصلوة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالاية على ان الاستطاعة
قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق اجاب الاشاعرة
بان هذا ايضا لازم عليكم لان القادر اما ان يكون مامورا بالفعل قبل حصول الداعي الى الفعل وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق او بعد حصول
الداعي وحينئذ يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون في التكليف به فائدة واذا كانت الاستطاعة منتفية في الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان
وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافي توجيه التكليف اليه واعلم ان الحج لا يجب باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لما روي عن ابن عباس قال
خطبنا رسول الله صلعم فقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام اقرع بن حابس فقال افي كل عام يا رسول الله صلعم فقال لو قلتها لوجبت
ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب اكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد هو
الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلوته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولي ان يحرم عن المجنون وعن الصبي الذي لا يميز ويحج بهما
لما روي عن ابن عباس ان النبي صلعم مر بامراة وهي في محفتها فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت الهذا حج فقال رسول الله صلعم نعم ولك اجر وعن جابر
قال حججنا مع النبي صلعم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا يصح مباشرة
الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبي المميز ان يحرم ويحج باذن الولي ولا يشترط فيها الحرية كسائر العبادات و
لوقوعه عن حجة الاسلام والمعنى فيه ان الحج عبادة عمر لا يتكرر فاعتبر وقوعها في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم اذن
يعود الى ثلثة الاسلام والتكليف والحرية ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة
وحضر الجمعة ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد على الثلثة المذكورة انفا وهو الاستطاعة بالاية والاستطاعة نوعان استطاعة
مباشرة بنفسه واستطاعة تحصيله بغيره النوع الاول يتعلق بامور اربعة احدها الراحلة والناس قسمان احدهما من بينه وبين مكة
مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشي او لم يكن لما روي انه صلعم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد
والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوي على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل
ايضا ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد مؤنة محمل او شق محمل ووجد
شريكا يجلس في الجانب الاخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا القسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج
والا فلا يجب الا مع الراحلة ومعها ومع المحمل كما في حق البعيد المراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا او استيجارا بثمن المثل او باجرة
المثل وكذا في المحمل المتعلق الثاني الزاد واوعيته وما يحتاج اليه في السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له اهل وعشيرة يرجع اليهم او لا يحب
الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب واجرة البذرقة كل ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودايع ونفقة من يلزمه نفقتهم الى العود
وبعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد مسكنه ودست ثوب يليق به وخادم يحتاج اليه لزمانته او لمنصبه ولو كان له راس مال يتجر فيه وينفق
من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته او كان له مستغلات يرتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة في الحال
ولا عبرة لخوف الفقر في الاستقبال المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن على النفس من نحو سبع او عدو والامن على المال
من عدو او رصدي وان رضي بشيء يسير والامن على البضع للمراة بخروج زوج او محرم او نسوة ثقات وفي البحر يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف
الدابة المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض او غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولا بد

الرصدي

اظهروه من الكفر بنبوة محمد ﷺ وهذا فيما اضمروه وهو السعي بالاحتيال والقاء الشبهة وفي تكرير الخطاب الاثنين بقوله يا اهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه والين المقال لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة وبرو يمحون زيد بن اسلم وجابر ابتغاء شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئت والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الآيات فجاء النبي ﷺ حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما سمعوا صوته ﷺ انصتوا له ﷺ وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي رواية زيد بن اسلم خرج اليهم رسول الله ﷺ فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين فانزل الله عز وجل الآيات قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع اكره الينا من رسول الله ﷺ فاومى الينا بيده فكففنا واصلح الله ما بيننا فما كان شخص احب الينا من رسول الله ﷺ فما رأيت يوما قط اقبح ولا اوحش اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون استفهام بطريق الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول ﷺ في كل واقعة وبين اظهركم رسول الله يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا اثر فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالف فترجعوا في ما يعن لكم الى الكتاب والنبي ﷺ قلت اما الكتاب فانه باق على وجه الدهر واما النبي ﷺ فان كان قد مضى الى رحمة الله في الظاهر ولكن نور سره باق بين المؤمنين فكانه باق على ان عترته ﷺ وورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر ولهذا قال ﷺ اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من زمرتهم بعصمتك وهدايتك وفي هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون ابدا الى يوم القيمة ثم بين ان الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك بدينه ويلتجئ اليه في دفع شرور الكفار فقد هدي الى صراط مستقيم والاعتصام الاستمساك بالشيء في منع نفسه من الوقوع في آفة اما المعتزلة فحيث لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله هداية بل قالوا انه بفعل العبد اولوا الآية بان المراد بالهداية الزيادة في الالطاف المرتبة على اداء الطاعات او المراد الهداية الى الجنة قال في الكشاف فقد هدى فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده التأويلات لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا احب الاشياء اليكم وهو انفسكم ان الفراش لا ينال من بر الشمع وهو شعلته حتى تنفق مما احبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا الخلق ثلثة اصناف الملك النوراني العلوي وغذاؤه الذكر خلق للعبادة والحيوان الظلماني السفلي وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من القبيلتين وغذاؤه روحانية الذكر وجسمانية الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلثة اقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه اولئك كالانعام بل هم اضل ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو المذكور وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه وقوي روحه اولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلا للانسان كما للحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحيوة القلب واستيلاء الروح من قبل ان ينزل الوحي والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد ان يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا فاتبعوا ملة ابرهيم وكان من ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا آخر ان اول بيت وضع للناس يعني لله لانه غني عن العالمين ان انموذج بيت الله في الانسان وهو العالم الصغير القلب الذي وضع ببكة صدر الانسان مباركا وهدى يهتدي عليه جميع اجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب ينفسح له وانشرح فبه يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه الفاصلة مقصوده منها مقام ابرهيم هو الخلة التي توصل الخليل الى الخليل ومن دخله يعني مقام ابرهيم ببذل المال والنفس والولد ارضا لخليله كان آمنا من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل ان استطاع اليه السبيل وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه





وآداب الحج واركانه منها الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن الثياب والمألوفات والتطهر عن الاخلاق المذمومات والتوجه الى فاطر الارض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعة بالاطواف السبعة حول الكعبة الربوبية ومنها السعي بين صفاء الصفات ومروة الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى انوار الالهية وتمام المناسك على هذا ومن كفر بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الالطاف ولا يترقب لجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين لا يستكمل بهم ومنهم وانما يستكملهم منه قل يا اهل الكتاب في الخطاب معهم بالمنة مع علمنا السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن الهوى الا من الله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ

(ترجمهٔ فارسی بین السطور: ای گروه آنان که گرویده‌اید بپرهیزید خدا را سزاوار پرهیزیدن و نمیرید مگر که شما مسلمان باشید و درآویزید برشتهٔ خداوندی همه و پراکنده نشوید و یاد آورید نعمت خدا را بر شما چون بودید دشمنان پس دوستی انداخت در میان دلهای شما پس صبح شدید بنعمت او برادران و بودید بر کنار گودی از آتش پس رهانید شما را از آن همچنین ظاهر کند خدا از برای شما آیات خود را شاید که راه یابید و باید که باشد از شما گروهی که بخوانند بسوی نیکی و امر کنند بنیکی و نهی کنند از ناخوش و آن گروه ایشانند رستگاران و مباشید چون آنان که پراکنده شدند و اختلاف کردند پس از آنکه آمد ایشان را حجتها و آن گروه مر ایشان راست عذاب بزرگ در روزی که سفید شود رویها و سیاه شود رویها پس اما آنانکه سیاه است رویهاشان گویند آیا کافر شدید پس از ایمانتان پس بچشید عذاب را بجهت آنکه کافر شدید و اما آنانکه سفید است رویهای ایشان پس در رحمت خدایند یعنی بهشت ایشان در آن جاویدان این آیات خدا که میخوانیم آنرا بر شما براستی و نیست خدا که بخواهد ستم از برای جهانیان و مر خدا راست هرچه در آسمانها و هرچه در زمین است و بسوی خداست بازگشت کارها بودید شما بهترین گروهی بیرون آورده شده از برای مردمان که امر میکردید بخوبی و نهی میکردید از بدی و ایمان آوردید بخدا و اگر گرویدندی اهل کتاب هرآینه بهتر بود مر ایشان را بعضی از ایشان مومنانند و بیشترشان فاسقانند هرگز زیان نرسانند شما را مگر آزاری کم و اگر کارزار کنند با شما برگردانند پشتها پس یاری کرده نشوند)

القراءة حق تقاته بالامالة علي ولا تفرقوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الوقوف مسلمون ولا تفرقوا لعطف المتفقين اخوانا ج لاحتمال الواو للحال والاستيناف منها ط تهتدون المنكر ط المفلحون للعدول البينات ط عظيم لا لتعلق الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه ج اسودت وجوههم مر لان التقدير فيقال لهم اكفرتم تكفرون ففي رحمة الله ط خالدون بالحق ط للعالمين ما في الارض ط الامور وتؤمنون بالله ط خيرا لهم ط الفاسقون قيل لا وقف عليه وقف لان المعرف لا يتصف بالجملة الا اذى ط والادبار وقفة لان ثم لترتيب الاخبار اي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم لا ينصروا التفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار امرهم في هذه الآيات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهو ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى او هو القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او الوالدين والاقربين شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقويه كما يحق ان يتقي وهو ان يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصي ولا يجوز ان يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطاء والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا الفريق فرق بين الآيتين لناصر القول الاول ان يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز ان يؤمر بالاتقاء الاغلظ والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف ونزول هذه بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما نهى عن ان يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى امرهم بما هو كالاصل لجميع الخيرات في صلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله والاتفاق على اعلاء كلمته فقال واعتصموا

بحبل الله جميعا حال كونهم مجموعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بعنايته بامساك المتدلى على مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه لان وجه الشبه صفة غير حقيقية ومنتزع من عدة امور ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد بناء على ان فى الكلام تشبيهين ويجوز ان يفرض الاستعارة فى الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق دقيق والسائر عليه مأمون ان يزل قدمه على الجادة فيراد بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين مختلفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجيء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما روى عن على بن ابى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم هذا القرآن حبل الله وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى اهل بيتى وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق الا الضلال ويد الله مع الجماعة قال صلى الله عليه وسلم ستفترق امتى على نيف وسبعين فرقة الناجى منهم واحدة فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروى السواد الاعظم وروى ما انا عليه واصحابى قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتى على الضلالة وقد يتمسك بالاية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية ان احتيج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل احد يوجب التفرق والاختلاف وهو منهى عنه واجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته عليهم وذلك انهم كانوا فى الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا فى الله متراحمين متناصحين وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومنافسة بسبب الاغراض الدنيوية اما العارف الناظر من الحق الى الخلق فانه يرى الكل اسيرا فى قبضة القضاء فلا يعادى احدا من البشر لانه مستبصر بسر الله فى القدر فاذا امر بمعروف فهو ناصح لا بعنف معير وكان نحبه محبته ونظرائه فى الدين ورفقائه فى طلب اليقين اشد من حب الوالد لولده فكانوا كالاقربين والاخوان بل كجسد واحد كنفس واحدة وقيل يريد الاخوان فى النسب وذلك ان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام وكان بينهما العداوة والحروب وبقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله فذكرهم الله تعالى تلك النعمة وفيه دليل على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبى ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف لا بخلق الفعل واجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لا بد ان يكون لامر زائد على ما ذكرتم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ومنه يقال اشفى على الشىء اذا اشرف عليه كانه بلغ شفاه اى حده وطرفه وانقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير فى منها للحفرة او للنار او للشفا اما لانه فى معنى الشفة واما لانه اضافة الى الحفرة وهو بعضها كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم قال بعضهم الشفة اصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح عليه السلام ليس بى ضلالة حين قال له قومه انا لنريك فى ضلال مبين اى ليس بى صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الاية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التى فيها النار وتمثيلا لحيوتهم التى يتوقع بعدها الوقوع فى النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحيوة وان طالت كانه ليس بين الحيوة وبين الموت المستلزم للوقوع فى الحفرة الا ما بين طرف الشىء وبين ذلك الشىء قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول وسائر الالطاف حتى امنوا وقال اهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذى انقذ نفسه من النار لكن الاية دلت على ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق افعال العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى او لتكونوا على رجاء هداية فالاول قول المعتزلة والثانى لاهل السنة وقد مر فى اوائل سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين فى تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب فى فعل ما ينبغى والكف عما لا ينبغى من محرماته ومكروهاته فلذا اتبعه النوعين زيادة فى البيان فقال ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا فى ان كلمة من فى قوله منكم للتبيين او للتبعيض فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه كيف لا وقد وصفهم الله تعالى بذلك فى قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من اولاده جند وللامير من غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر فروض الكفايات وقال اخرون انها للتبعيض اما لان فى القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كالنساء والمرضى والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر فى اقامتها وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وايضا فقد اجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا ايجابا





ايجابا على البعض الذى يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم ان الامر بالمعروف على ثلثة اضرب احدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث يجتمع شرائطها فانهم ان تواعدوا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يأمرهم بما لا يجوزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم بصلوة العيد الثانى ما يؤمر به الافراد كما اذا اخر بعض الناس الصلوة عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من اخرها والوقت باق ثانيها ما يتعلق بحقوق الادميين وينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل الشرب او انهدم سوره او طرقه ابناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان فى بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن امر ذوو المكنة برعايتها والى خاص كمطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يأمره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس ثالثها الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد واخذ السادة بحقوق الارقاء وارباب البهائم بتعهدها وان لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير هيئات العبادات كالجهر فى الصلوة السرية وبالعكس او ترتيب الاذان يمنعه وينكر عليه ومن تصدى للتدريس والوعظ وهو ليس من اهله ولم يؤمن اغترار الناس به فى تأويل وتحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به واذا راى رجلا واقفا مع امرأة فى شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان فى طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فصنها عن مواضع الريب وان كانت اجنبية فخف الله معها فى الخلوة ولا ينكر فى حقوق الادميين كتعدى الجار فى جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلوة من ائمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا فى النظر فى الخصومات والسوقى المختص بمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فليسلط الداعى الى الخير فى حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان ليتمرنوا والمجانين كيلا يضروا وليتدرج الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب فى الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية والجسمانية وذلك ان هذه الدعوة منصب النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين بعده ومن ههنا ذهب الضحاك الى ان المراد من المذكورين فى هذه الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن على رضى الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شنأ الفاسقين غضب الله له وكفى بقوله تعالى واولئك هم المفلحون اى الاختصاص بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا فى ان الفاسق ليس له ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه ليس من اهل الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر ان الامر بالمعروف والناهى عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح حال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق من يرى نامرا ان يأمر غيره بالمعروف فى انها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهى عنه والنهى عن ارتكاب المنهى واجبان على الفاسق فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الاخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق فى هذه القضية ما قيل: وغير تقى يأمر الناس بالتقى ❊ طبيب يداوى الناس وهو مريض ❊ والقرآن ينعى عليهم لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقد سلف تقريره فى البقرة وعن داود الطائى انه سمع صوتا من قبر الم ازل الراصل الم اصمار فعل كذا وكذا اجيب بلى يا عدو الله لكن انك اذ اخلوت بارزتنه بالمعاصى لم تراقبه قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا فى النظم وجهان احدهما انه تعالى ذكر فى الايات المتقدمة انه بين فى التورية والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان اهل الكتاب حسدوا فاحتالوا لالقاء الشكوك فى تلك النصوص ثم انجر الكلام الى امر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات فى النصوص واستخراج التاويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الاية من تتمة الايات المتقدمة وثانيهما انه لما امر الامة بالمعروف ونهى عن ضده وكان ذلك مما الامة يقدر على تنفيذه كيف ومن الناس ظلمة ومتغلبون فلا جرم حذر اهل الحق ان يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا يكون الاية من تتمة الاية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والتكرير للتاكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا فى الدين او تفرقوا بسبب التاويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة قوله او تفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا فى بلد واختلفوا بان صار كل منهم يدعى انه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف ان اكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسئل الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة او اولئك الذين اقتفوا اثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وفى تعليق الظرف بقوله لهم فائدتان احدهما ان ذلك العذاب فى هذا اليوم والاخرى ان من حكم هذا اليوم ان يبيض بعض الوجوه ويسود بعضها ونظير ذلك فى القرآن وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه عليها غبرة ترهقها قترة وفى امثال هذه الالوان قولان احدهما واليه ميل ابى مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما سلم

الحسن بن علي الا معوية قال له رجل يا مسود وجوه المؤمنين وتمام الخبر سوف يجيء إن شاء الله في تفسير سورة القدر ولبعض الشعراء في الشيب بياض
القرون سودت وجهي عند بيض الوجوه سود القرون وثانيهما ان السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في الا
الحقيقة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل
ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته واحاطت به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك ان يعرف اهل الموقف كل صنف
فيعظمونهم او يصغرون بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور او ويل وثبور وايضا اذا عرف المكلف في الدنيا انه يحصل له في الآخرة
احد الحالتين ازداد رغبته في الطاعات وترك المحرمات تلك وللتحقيق فيه ان الهيئات والاخلاق الحميدة انوار والملكات والعادات الذميمة
ظلمات وكل منها لا يظهر آثارها كما هي الا بعد المفارقة الى الآخرة انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج اهل السنة
بالآية على ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم اهل القيامة الى قسمين مبيض الوجوه وهم المؤمنون
ومسودها وهم الكافرون كقوله تعالى في آخر الآية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضي عليه بان عدم ذكر القسم الثالث لا
يدل على عدمه وايضا لفظ وجوه نكرة تفيد العموم وايضا المذكور في الآية هم المؤمنون والذين كفروا بعد الايمان ولا شبهة ان الكافر الاصلي
من اهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول في الفساق والجواب لا يجوز ان يكون المراد ان كل احد اسلم وقت استخراج
الذرية من صلب آدم فيكون الخطاب لجميع الكفار وانه تعالى جعل موجب العذاب في آخر الآية هو الكفر من حيث انه كفر لا الكفر من حيث انه بعد
الايمان فان قيل لم قدم البياض على السواد اولا وعكس آخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو الترتيب انه بدأ بذكر اهل الثواب وختم بهم ايضا تنبيها على ان ارادة
الرحمة اكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت رحمتي غضبي ولما في ذلك من رعاية حسن المطلع والمقطع فانه فن بديع في الفصاحة ومن المراد
الذين كفروا بعد ايمانهم قال ابي بن كعب هم جميع الكفار لانهم آمنوا وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي ص وقيل المراد
اكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من دلائل التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج انهم اهل الكتاب آمنوا قبل مبعث النبي ص
وكفروا به بعد بعثته قال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ص يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية ولما رأى ابو امامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم
السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله ص قال بل سمعته من
رسول الله ولو لم اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام
فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال انك بارض منهم كثير فاعاذك الله منهم هذا ما اخرجه الامام ابو عيسى الترمذي في جامعه ولكن
المشهور من مذهب اهل السنة ان الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام في قوله تعالى اكفرتم بمعنى الانكار قال القاضي وفيه
كذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على ان الكفر منهم لا من الله قالت المرجئة فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر اما قوله ففي رحمة الله
فالمراد بها الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك اي لا يظعنون عنها
ولا يموتون وفي اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على ان العبد وان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله وبرحمته وفي اضافة
الرحمة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود اهل الثواب دون اهل النار وان كانوا مخلدين بالآية الاولى اشارات الى ان جانب
العفو والمغفرة والرحمة مغلب كيف لا وقد اورده بقوله تلك الاحكام التي وردت في خبر الوعيد والوعد وانقضى ذكرها آيات الله نتلوها
عليك متلبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسيء باساءته او متلبسة بالمعنى الحق لان معنى المتلو حق وما الله يريد ظلما
للعالمين ولكن مصالح الخلق لا ينتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقيق دفعا للكذب عمن هو اصدق القائلين
قال الجبائي قوله ظلما نكرة في سياق النفي فوجب انه لا يريد شيئا مما يكون ظلما سواء فرض منه او من العبد على نفسه او على غيره واذا لم يرد
لم يفعل اذ لو كان فاعلا للشيء من الاقسام الثلاثة كان مريدا له هذا خلف فثبت بهذه الآية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد
اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريدا
له فدلت الآية على انه قادر على الظلم وعلى ان يمنع من الظلم الظلمة على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال ولله ما في السموات وما في الارض واتفق
لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل او العجز او الحاجة وكل ذلك على الله تعالى محال لانه مالك
لكل ما في السموات وما في الارض بل لكل ما في الوجود وربما يقال معنى الآية اما ان يكون انه لا يريد ان يظلمهم او انه لا يريد ان يظلم بعضهم
بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البريء من الذنب اشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لان الظلم
تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فنفي الظلم منه محال عندكم فلا يلزم منه مدح والثاني ايضا محال على قولكم لان كل
بارادة الله وتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الآية على وجه صحيح في مذهبكم اجاب اهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح
صفة على امكان تصور ذلك الشيء منه بدليل قوله لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم ولا يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم







والاكل عليه الثاني انه تعالى ان عذب من ليس مستحقا للظلم لم يكن ظالما لكنه في صورة الظلم وقد يطلق اسم احد المتشابهين على الآخر كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها والحق في هذا المقام ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه واذا كان اللطف والقهر من ضرورات صفات الكمال فوضع كل منهما في
مظهره يكون وضع الشيء في موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله ولله ما في السموات وما في الارض على ان افعال العباد مخلوقة
لله تعالى لانها من جملة ما في السموات وما في الارض اجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد انه مملوكه لا انه مفعول له
وايضا الآية مسوقة في معرض المدح ولا مدح في نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه وايضا قوله ما في السموات وما في الارض يتناول ما كان ظرفا
لهما وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التي هي اعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول فعل العبد هو
مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله دفعا للتسلسل والترجيح من غير مرجح قالت الحكماء تقديم السموات في الذكر على الارض دليل
على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السماوية ولا شك ان الاحوال السماوية مستندة الى خلقه وتكوينه تعالى فيكون الجبر
لازما من هذا الوجه والى الله اي الى حكمه حيث لا مالك سواه ترجع الامور فالاول اشارة الى انه تعالى مبدأ المخلوقات كلها وهذا اشارة الى انه
معاد الكل اليه قوله عز من قائل كنتم خير امة في النظم وجهان احدهما انه لما امر المؤمنين بما امرهم ونهاهم عما نهى عدل الى طريق آخر يقتضي حملهم على
الانقياد والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوي داعيتهم في ان لا يبطلوا على انفسهم هذه المرتبة وذلك انما يكون بالتزام التكاليف الشرعية
وثانيهما انه لما ذكر حال الاشقياء وحال السعداء نبه اولا على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله وما الله يريد ظلما للعالمين بمعنى انهم
استحقوا ذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب عد السعداء بقوله كنتم خير امة اي تلك الكرامات والسعادات انما فازوا بها في الآخرة
لانهم كانوا في الدنيا خير امة واقول لما انجر الكلام في مخاطبة المؤمنين الى بيان ان كل ما في الوجود ملكه وملكه ابداعا واختراعا وان منتهى
الكل اليه تبع ذلك مرتبة هذه الامة ليعلم انها بسابقة العناية الازلية انجعلهم مظهر الالطاف وذكر بعدها رذيلة اهل الكتاب ليعرف
انها لوقوعهم في طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين
قالا لابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وافضل منكم فانزل الله هذه الآية
قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير امة على الحال اي حدثتم والاكثرون على انها ناقصة فجاء ايهام انهم كانوا موصوفين بالخيرية
في الزمان الماضي دون ما يستقبل فاجيب بان كان لا يدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل
المراد كنتم في علم الله او في اللوح المحفوظ خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة كقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل
وقال ابو مسلم هذا تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم وما بينهما اعتراض والتقدير انه يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم
خير امة فلهذا نلتم من الرحمة وبياض الوجه ما نلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال انتم فكان هذا التشريف حاصلا للكل ولكنه مخصوص
بقوم معينين من اصحاب رسول الله ص وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها زائدة والمعنى انتم خير امة وزيفه ابن
الانباري بان الزائد لا يقع في اول الكلام ولا تعمل كقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان ولا يقولون كان عبد الله
قائم على ان كان زائدة لان البداية بها دليل شدة العناية والملغى لا يكون في محل العناية وقيل انها بمعنى صار اي صرتم خير امة واصل الامة الطائفة
المجتمعة على الشيء الواحد فامة محمد ص هي الطائفة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا اطلقت الامة في نحو قول العلماء اجمعت الامة في
نحو قول العلماء اجمعت الامة وقعت عليهم وقد يقال الكل من جمعتهم دعوته انهم امة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا بهذا القيد
قال الزجاج ظاهر الخطاب في كنتم مع اصحاب النبي ع ولكنه عام في حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وقوله للناس
اما ان يتعلق باخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها ظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل
بينها وبين غيرها واما ان يتعلق بكنتم اي كنتم للناس خير امة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستيناف بقوله تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالآية على ان اجماع هذه الامة
حجة لانها لو لم تحكم بالحق لم يكن خيرا من المبطل ولان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم امرين بكل معروف وناهين
عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا واما انه من اي وجه يقتضي ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلاثة كانت حاصلة لسائر
الامم فذلك ان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد واقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل واعرف المعروفات
الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وانكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لغرض ايصال الغير الى اعظم المنافع
وتخليصه من اعظم المضار فكان من اعظم العبادات ولما كان امر الجهاد في شرعنا اقوى منه في سائر الشرائع كما قال النبي ع انا نبي السيف امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم وهذا معنى ما روي عن ابن عباس في تفسير
قوله كنتم خير امة تامرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله ويقروا بما انزل الله ويقاتلونهم عليه ولا اله الا الله اعظم المعروف والتكذيب انكر
المنكر وفائدة القتل على الدين لا ينكره منصف فان اكثرهم يحبون ما الفوه من الاديان الباطلة ولا يتأملون في الدلائل التي تورد عليهم
فاذا خوف بالقتل دخل في دين الحق مكرها الى ان يالفه متدرجا واما الايمان بالله فلا شك انه في هذه الامة اكمل لانهم آمنوا بكل ما يجب

ملك لا اضافة

ووجدتم خير امة

الايمان به من رسول وكتاب وبعث وحساب وثواب وعقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عداه والا لم يكن في الحقيقة ايمانا ولهذا نفى عن اهل الكتاب في قوله ولو امن اهل الكتاب وانما قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الاية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف وتاكد القيام به ولهذا كرر بعد قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف فكانت العناية به اشد فكان تقديمه اهم وليعلم ان التكميل افضل من الكمال نفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تاخير الايمان بالله تكريرا له مرة بالتضمن ولو مرة بالمطابقة على ان الواو لا يفيد الترتيب وفيه اداة ان بني عليه قوله ولو امن وفي التفسير الكبير ان اصل الايمان مشترك فيه بين الاديان فلا تتبين فيه الخيرية لكن الاية سيقت لبيان الخيرية وليس ذلك الا لان هذه الامة اقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم اتبع ذكر الايمان بالله ليعلم ان شرط تاثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى ان ايمان اهل الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو امن اهل الكتاب يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبسائر ما لا بد منه من الامور المعدودة لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية ايضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة او لحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعد من ايتاء الاجر مرتين على ما هم فيه من الاستتباع بعض الجهلة مع العوام وشيء نزر من الرشى وبعد ذلك خلود في النار ثم فصل اهل الكتاب على سبيل الاستيناف فقال منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي واصحابه فاللام للعهد والسابق واكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله تعالى وعن دينه فيفاد الكفر او بزيادة والمراد انهم ليسوا بعدول في دينهم ايضا فهم مردودون باتفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي ان يقتدى بهم البتة ثم اخبر عن حالهم وكان كما قال تعالى وهو اية الاعجاز بجملة مستانفة هي لن يضروكم الا اذى الا ضررا لا يبالى به كقول كطعن في الدين وتهديد وتحريف نص والقاء شبهة واظهار كلمة الكفر باشراك عزير والمسيح الاذى مصدر كالاسى يقال اذاه يؤذيه اذى واذاة واذية والاذى نوع من الضر فصح استثناؤه به والتقدير لن يضروكم شيئا من انواع الضرر الا ضررا يسيرا وبهذا تبين ان الاستثناء ليس بمنقطع على ما ظن وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا يصير نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل بوقع ليكون نفي النصر وعدا مطلقا وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم وابشركم ان النصر والقوة منتفية عنهم راسا فلن يستقيم لهم امر البتة ومعنى ثم افادة التراخي في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم ايما كانوا اعظم من الاخبار بانهزامهم عند القتال فان قيل هب ان اليهود كذلك لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الاية مخصوصة باليهود واسباب النزول تدل على ذلك فكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع واهل خيبر ولعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال ولم يوجد نصراني بهذه الحالة وفي الاية تشجيع للمؤمنين وتثبيت لمن امن من اهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتحريفاتهم التاويل اتقوا الله حق تقاته لاهل العزائم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله بوجوده ولا تموتن الا وانتم مسلمون لا ينتف وجودكم المجازي الا وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستعددتم الوجود الحقيقي وهو البقاء بالله واعتصموا اهل الاعتصام طائفتان اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب لان مشربهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بالله هو مولكم مقصودكم او ناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله ولانفسكم فانقذكم منها بالهداية والايمان وتاليف القلوب كذلك مثل ما بين ما ابه للاوس والخزرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم ايها الطلاب اياته وهي الجذبة الالهية وتجلي صفات الربوبية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال واولئك هم المفلحون من وعيد من يامر بالمعروف ولا ياتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر اي يجعل ما في الضمائر على الظواهر اكفرتم بعد ايمانكم هم ارباب الطلب السائرين الى الله انقطعوا في بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب لان الناس نيام لا يذوقون الم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ففي رحمة الله في الدنيا بالجمعية والوفاق مع اهل الله هم فيها خالدون في الاخرة لانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه تلك الاحوال ايات الله مع خواصه نتلوها عليك بالحق نظهرها عليك بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد والبياض في غير موضعهما كنتم خير امة اخرجت من العدم الى الوجود مستعدة لقبول كمالية الانسان من جملة الخيرية تخفيف التكليف وضمان الضعيف ومنها عتاب مطيعهم لشوم عصاتهم وعفو عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها ازالة لعنة وزلا لة رحمة ومنها شكا منهم البنا وشكر منا اليهم قبل وجودنا ولو امن اهل الكتاب يعني علماء السوء لن يضروكم ايها المحققون الا اذى من طريق الانكار والحسد وان يقاتلوكم ينازعوكم ويخاصموكم يولوكم الادبار من صدق بيانكم ثم لا ينصرون لانكم اهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون ضربت





عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ الْاَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
برايشان بينوائى اين بانجهت است كه بودند كه كافر شدند بآيات خدا وميكشتند پيغمبرانرا بدون حقى اين بانجهت است كه نافرمانى كردند وبودند

يَعْتَدُونَ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ اُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ اٰيَاتِ اللّٰهِ اٰنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ
درگذشتگان نيستند يكسان از اهل كتاب طائفه كه ايستاده است ميخوانند آيات خدارا در ساعات شب وايشان سجود ميكنند ميگروند

بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَيَاْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَاُولٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ
بخدا وروز واپسين وميفرمايند بنيكوئى ونهى ميكنند از بدى وپيشى ميگيرند در خوبى وآنگروه از نيكانند

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ اَمْوَالُهُمْ وَلَا اَوْلَادُهُمْ مِنَ اللّٰهِ
وآنچه ميكنيد از خوبى پس كافر نشويد آنرا وخدا داناست باحوال پرهيزكاران بدرستى كه آنها كه كافر شدند بى نياز نشوند از مال ونه اولاد از خدا

شَيْئًا وَاُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
چيزى را وآنگروه ياران آتشند ايشان در آن جاويدانند مانند آنچه خرج كنند در اين زندگانى دنيا چون مانند بادى است در آن

صِرٌّ اَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ فَاَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلٰكِنْ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ
سرمائى باشد كه برسد بكشت گروهى كه ستمكردند بنفسهاى خود پس هلاك كند آنرا وستم نكرد آنهارا خدا وليكن خود بر خود ستمكردند اى گروه آنان كه

اٰمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَاْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
گرويديد فرا مگيريد دوستى يعنى همرازى از غير شما كه تقصير نكنند در تباهى شما دوست دارند مشقت شمارا بدرستى كه آشكار شده عداوه از كلام ايشان وآنچه پنهان

صُدُورُهُمْ اَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْاٰيَاتِ اِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا اَنْتُمْ اُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ
در سينهاى ايشان بزرگتر است ظاهر كرديم از براى شما آياترا اگر باشيد دانشمندان آگاه باشيد شما آنگروه دوست داريد ايشانرا ودوست ندارند شمارا وايمان آوريد بكتاب

كُلِّهِ وَاِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا اٰمَنَّا وَاِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْاَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
همه آن وچون ملاقات كنند شمارا گويند گرويديم وچون با هم شدند گزيدند بر شما انگشتانرا از خشم بگو بميريد بخشم خود بدرستى كه خدا داناست بآنچه در

الصُّدُورِ اِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَاِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَاِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
سينهاست اگر برسد شمارا خوبى بد آيد ايشانرا واگر برسد شمارا بدى شاد شوند بآن واگر صبر كنيد وپرهيز كنيد ضرر نرساند شمارا كيد ايشان

شَيْئًا اِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ القراءة ويسارعون ونحوه كسارعوا ونسارع مما له بقتيبة وابو عمرو وطريق ابن عبدوس ما
چيزى بدرستى كه خدا بآنچه ميكنند محيط است يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص بو عمرو مخير الباقون بتاء الخطاب تسؤهم

ونحوه من كل همزة مجزومة بغير همزة الاعشى واوقية والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم من الضير ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقرا المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوما ثم محركا للساكنين بالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة الوقوف المسكنة ط بغير حق ط يعتدون قبل لا ووقف عليه لان ضمير ليسوا يعود اليه ضمير منهم المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين والذين عصوا واعتدوا احد الفريقين سواء ط يسجدون قيل لا وقفه على جعل يؤمنون حالا لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما عنتم ج لاحتمال كون قد بدت حالا اكبر ط تعقلون كله ج للعطف مع الحذف اي وهم لا يؤمنون بكتابكم امنا ق قد قيل والوصل اولى لان المقصود بيان تناقض حاليهم في النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور تسؤهم للابتداء بشرط اخر والوصل اجوز اذ الغرض تقرير تضاد الحالين منهم يفرحوا بها ط لتناهي وصف الزامهم وابتداء شرط على الوعيد شيئا ط محيط التفسير هذا اخبار من مستقبلات احوال اليهود المعلومة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان في عامة الاحوال بالقتل والسبي والنهب اينما وجدوا الا معتصمين او متلبسين اي الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين فهما في حكم واحد اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فيكون دمهم محقونا ومالهم مصونا وهو نوع من العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى او وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس ما يزيد الامام عليها او ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا تنفك عنهم وباؤا بغضب من الله قيل انه من قولك تبوا فلان منزل كذا والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا بالغضب وضربت عليهم المسكنة عن الحسن ان المراد بها الجزية وانما افردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة وقال الاكثرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا لكنهم مستخفون في جميع النواحي والاكناف يظهرون من انفسهم الفقر والمدقعة البتة وباقي الاية قد مر تفسيره في البقرة الا انه سبحانه قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء الانبياء بغير حق لان جمع التكسير يفيد التكثير فذكره في الموضعين اعني في البقرة وفي اول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة

لو عدمهم فهو معبود لهم الحق القادر الغنی الخیر الذی لا غایة لکرمه و لا نهایة لعلمه فما ظنك بمثیب هذا شانه ثم بین احوال اهل الشقاء بقوله ان
الذین کفروا الایة وقد سبق تفسیر مثله فی اول السورة ثم انه لما بین ان اموال الکفار لا یغنی عنهم شیئا امکن ان یخطر بالبال ان الذی
ینفقون منه فی وجوه الخیرات لعلهم ینتفعون بذلك فازال ذلك الوهم بقوله مثل ما ینفقون الایة قال اکثر المفسرین واهل اللغة الصر البرد
الشدید وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدی وابن زید وفی الصحاح الصر بالکسر برد یضرب النبات والحرث وعلی هذا فمعنی الایة کمثل
ریح فیها برد وذلك ظاهر وجوز فی الکشاف ان یکون الصر صفة معناه البارد فیکون موصوفه محذوفا بمعنی صرة فیها صر کما تقول برد بارد
علی المبالغة او یکون فی تجریدیة کما یقال رایت فیك اسدا ای انت اسد ان ضیعنی فلان ففی الله کاف وقیل الصر السموم الحارة وروی ابن
الانباری باسناده عن ابن عباس فیها صر قال فیها نار وعلی جمیع الاقوال الغرض من التشبیه حاصل سواء کان بردا مهلکا او حرا محرقا فانه
مبطل للحرث فیصح التشبیه وهذا من التشبیه المرکب الذی مر ذکره فی اول سورة البقرة ویجوز ان یراد مثل اهلاك ما ینفقون کمثل اهلاك ریح
او مثل ما ینفقون کمثل مهلك ریح وهو الحرث والمراد ما کانوا ینفقون من اموالهم فی المکارم والمفاخر وکسب الثناء وحسن الذکر بین
الناس لا یبتغون بها وجه الله ولهذا قیده بقوله فی هذه الحیوة الدنیا فشبه ذلك بالزرع الذی حسه البرد فصار حطاما وقیل مثل ما
ینفقون یعنی ابا سفیان واصحابه من سفلة الیهود المنفقین علی احبارهم فی ایذاء رسول الله صلعم وفی جمع العساکر علیه فی کونه مبطلا
لما اتوا به قبل ذلك من اعمال البر کمثل ریح فیها صر فی کونه مبطلا للحرث والظاهر ان الضمیر فی ینفقون عائد الی جمیع الکفار وذلك ان انفاقهم
اما ان یکون لمنافع الدنیا فلا یبقی له اثر فی الاخرة فی حق المسلم فضلا عن الکافر واما ان یکون لمنافع الاخرة فالکفر مانع عن الانتفاع و
لعلهم کانوا ینفقون فی الخیرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان الی الضعفاء والارامل یرجون خیرا کثیرا فی المال لکنهم اذا قدموا
الاخرة راوا کفرهم مبطلا لاثار تلك الخیرات فکان کمن زرع وتوقع منه نفعا کثیرا فاصابه جائحة فلا یبقی معه الا الحزن والاسف وقیل
کانوا ینفقون فیما ظنوه خیرا وهو معصیة کانفاق الاموال فی ایذاء الرسول صلعم وفی تخریب دیار المسلمین ولا یبعد ان یفسر الایة بحیثهم
فی الدنیا فانهم انفقوا اموالا کثیرة فی تجهیز الجیوش والاغراء علی المسلمین وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر علیهم واظهر الله الاسلام واعز اهله
فلم یبق مع الکفار من ذلك الانفاق الا الحیرة والحسرة وقیل المراد بالانفاق ههنا هو جمیع اعمالهم التی یرجون الانتفاع بها فی الاخرة کقوله
لا تاکلوا اموالکم بینکم بالباطل والمراد جمیع الانتفاعات ما فائدة قوله ظلموا انفسهم وعدم الاقتصار علی قوله اصابت حرث قوم فهی
الغرض تشبیه ما ینفقون بشیء یذهب بالکلیة حتی لا یبقی منه اثر ولا عثر وحرث المسلم المطیع لیس کذلك لانه اذا اصابته جائحة فی الدنیا ابدله
خیرا منه فی الدنیا او فی الاخرة فان المسلم مثاب علی کل الم یصیبه حتی الشوکة یشاکها اما الذین عصوا الله فاستحقوا اهلاك حرثهم عقوبة
لهم فحرثهم هو الذی لا یتصور منه بعد الاهلاك فائدة اصلا ویحتمل ان یراد بالظلم ههنا وضع الزرع فی غیر موضعه فان من زرع لا فی
موضعه وفی غیر اوانه ثم اصابته الافة کان اولی بان یصیر ضائعا والضمیر فی وما ظلمهم للمنفقین ای ما ظلمهم بان لم یقبل نفقاتهم ولکنهم
ظلموا انفسهم حیث لم یاتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث ای ما ظلمهم باهلاك حرثهم ولکن ظلموا انفسهم بارتکاب ما استحقوا
به العقوبة ثم انه تعالی لما بالغ فی شرح احوال المؤمنین والکافرین شرع فی تحذیر المؤمنین من مخالطة الکافرین قال ابن عباس ومجاهد نزلت
فی قوم من المؤمنین کانوا یصافون المنافقین ویواطئون رجالا من الیهود لما کان بینهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع
فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم علیهم وبطانة الرجل خصیصه وصفیه الذی یفضی الیه بشقوره ای بهموره الا صفیة بالقلب
المهملة الواحدة شقر واصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذی یلی منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن موادة کل کافر
لان قوله بطانة نکرة فی سیاق النفی وقوله من دونکم یتکد ذلك وهو اما ان یتعلق بلا تتخذوا او یکون صفة لبطانة ای بطانة کائنة من
دونکم مجاوزة لکم والاول اولی لان الغرض لیس هو النهی عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهی عن الاتخاذ من غیر ابناء جنسهم واهل
ملتهم بطانة وانهم یقدمونه الامهم والذی بیانه اعنی من للتبیین وقیل زائدة ثم ذکر علة النهی فقال لا یالونکم خبالا یقال الا فی الامر
یالو اذا قصر فیه ثم استعمل معدی الی مفعولین فی قولهم لا الوك نصحا ولا الوك جهدا علی التضمین ای لا امنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه
رجل مخبول ومخبل ناقص العقل فاسده وقیل خبالا نصب علی التمییز وقیل مصدر فی موضع الحال والمعنی لا یترکون جهدهم فی مضرتکم وفسادکم
ودوا ما عنتم ای عنتکم علی ان ما مصدریة والعنت الوقوع فی امر شاق ومنه یقال للعظم المجبور اذا اصابه شیء فهاضه قد اعنته والمراد جوابه
وتمنوا ان یضروکم فی دینکم ودنیاکم اشد الضرر والحاصل من الجملتین انهم لا یقصرون فی افساد امورکم فان لم یمکنهم ذلك لمانع من خارج تحبب ذلك
غیر زائل عن قلوبهم قد بدت البغضاء هی شدة البغض کالضراء شدة الضر والافواه جمع الفم واصله فوه بدلیل تکسیره کسوط واسواط فحذفت
الهاء تخفیفا واقیمت المیم مقام الواو لانهما حرفان شفویان وظهور البغضاء من الیهود واضح لفشرهم العصا وکسرهم عن الانیاب وعدم
التقیة فی تکذیب النبی صلعم والکتاب واما من المنافقین فذلك لان المداحی لا بد ان ینفلت من لسانه ما یکشف عن نفاقه وخبث طویته
وعن قتادة قد بدت البغضاء لاولیائهم من المنافقین والکفار لاطلاع بعضهم بعضا علی ذلك وما تخفی صدورهم اکبر لان فلتات



کالذین والصابئین وغیرهما ثم تدرج الی ما هو نص فی الکثرة فی الموضعین الاخرین تعظیما علیهم وتقطیعا لشانهم ولمثل هذا عرف الحق فی البقرة
اشارة الی الحق الذی اذن الله ان یقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التی حرم الله الا بالحق ثم نکر فی المواضع الباقیة ای بغیر ما حق اصلا
فی نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وتدینهم لیسوا سواء کلام تام وما بعده کلام مستانف للبیان قال الفراء وابن الانباری تقدیره ومن اهل
الکتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة الا انه لم یذکر هذا القسم علی مذهب العرب من الاکتفاء باحد الضدین لحظورهما بالبال معا غالبا
قال ابو ذویب عصانی الیها القلب انی لامرها مطیع فما ادری ارشد طلابها اراد ام غی فاکتفی بذکر الرشد عن ضده ویقول زید وعبد الله لا
یستویان زید عاقل دین زکی فیغنی هذا عن ان یقال وعبد الله لیس کذلك قیل وهو اختیار ابی عبیدة ان امة مرفوعة بلیس علی لغة
من قال اکلونی البراغیث وهو بدل من الضمیر علی نحو واسروا النجوی الذین ظلموا والتقدیر لیسوا سواء امة قائمة وامة مذمومة وفی
تفسیر اهل الکتاب قولان الاول وعلیه الجمهور انهم الیهود والنصاری قال ابن عباس ومقاتل لما اسلم عبد الله بن سلام واضرابه قالت الاحبار
الیهود ما امن بمحمد صلعم الا اشرارنا ولو کانوا من خیارنا لما ترکوا دین ابائهم وقالوا لهم لقد خسرتم حین استبدلتم بدینکم دینا غیره فنزلت و
عن عطا انها نزلت فی اربعین من اهل نجران واثنین وثلثین من الحبشة وثمانیة من الروم کانوا علی دین عیسی وصدقوا بمحمد صلعم الثانی انهم کل
من اوتی الکتاب من اهل الادیان فعلی هذا یکون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال اخر رسول الله صلعم لیلة صلوة العشاء ثم خرج الی المسجد
فاذا الناس ینتظرون الصلوة فقال انه لیس من اهل الادیان احد یذکر الله فی هذه الساعة غیرکم وفی روایة فبشرهم انه لا یصلی هذه
الصلوة احد من اهل الکتاب فانزل الله هذه الایات لیسوا سواء الی قوله والله علیم بالمتقین قال القفال لا یبعد ان یقال اولئك الحاضرون
کانوا نفرا من مؤمنی اهل الکتاب فقیل لیس یستوی من اهل الکتاب هؤلاء الذین امنوا بمحمد صلعم فاقاموا صلوة العشاء فی الساعة التی ینام
فیها غیرهم من اهل الکتاب الذین لم یؤمنوا ولا یبعد ایضا ان یقال المراد کل من امن بمحمد صلعم فسماهم الله اهل الکتاب کانه قیل اولئك الذین سموا
انفسهم باهل الکتاب حالهم وصفتهم تلك الخصال الذمیمة والمسلمون الذین سماهم الله تعالی اهل الکتاب حالهم وصفتهم کذا فکیف یستویان
فیکون الغرض من هذه الایة تقریر فضیلة اهل الاسلام تاکیدا لما تقدم من قوله کنتم خیر امة کقوله افمن کان مؤمنا کمن کان فاسقا
لا یستوون ثم انه تعالی مدح الامة المذکورة بصفات ثمان الاولی انها قائمة قیل ای فی الصلوة وقیل ثابتة علی التمسك بدین الحق ملازمة
له غیر مضطربة وقیل ای مستقیمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنی استقام وههنا نکتة وهی ان الایة دلت علی ان المسلم قائم بحق العبودیة
وقوله قائما بالقسط دل علی ان المولی قائم بحق الربوبیة وهذه حقیقة قوله اوفوا بعهدی اوف بعهدکم الصفة الثانیة یتلون ای امة
قائمة یتلون ایات الله اناء اللیل والتلاوة القراءة واصل الکلمة الاتباع فکان التلاوة هی اتباع اللفظ ایات الله القرآن وقد یراد
بها اصناف مخلوقاته الدالة علی صانعها واناء اللیل ساعاته واحدها انی مثل معا وانی وانو مثل نحی ونحو الصفة الثالثة وهم یسجدون
یحتمل ان یکون حالا من یتلون کانهم یقرءون القرآن فی السجدة تخشعا الا ان ما روی عن النبی صلعم الا انی نهیت ان اقرا راکعا وساجدا یاباه
وان یکون کلاما مستقلا ای یقومون تارة ویسجدون اخری ویبتغون الفضل والرحمة بکل ما یمکن کقوله یبیتون لربهم
سجدا وقیاما قال الحسن یریح راسه بقدمیه وقدمیه براسه وذلك لاحداث النشاط والراحة وان یکون المراد وهم یصلون ویتهجدون والصلوة
تسمی سجدة ورکعة وسبحة وان یراد وهم یخضعون لله کقوله ولله یسجد من فی السموات والارض وعلی هذین الاحتمالین لا منع من کونه
حالا الصفة الرابعة یؤمنون بالله والیوم الاخر فالصفات المتقدمة اشارة الی کمال حالهم فی القوة العملیة وهذه اشارة الی کمالهم
بحسب القوة النظریة فان حاصل المعارف معرفة المبدا والمعاد ولا یخفی ان غیر مؤمنی اهل الکتاب لیسوا من القبیلتین فی شیء
الخامسة والسادسة یامرون بالمعروف وینهون عن المنکر وهاتان الصفتان اشارة الی انهم فوق
التمام وذلك لسعیهم فی تکمیل الناقصین بارشادهم الی ما ینبغی ومنعهم عما لا ینبغی وفیه تعریض بالامة المذمومة انهم کانوا مداهنین
تحریفاتهم واعتقاداتهم الفاسدة الصفة السابعة ویسارعون فی الخیرات ای المذکورات
وعن سفیان الثوری اذا کان الرجل محبا فی جیرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن الصفة السابعة ویسارعون فی الخیرات
کلها وهی من صفات المدح لان المسارعة فی الخیر دلیل فرط الرغبة فیه حتی لا یفوت فنفی التاخیر وما روی انه صلعم قال العجلة من الشیطان
مخصوص بهذه الایة علی انها تفید کلیة الحکم لان القضیة اهملت اما الاکیف فلان الامور متفاوتة منها ما یحمد فیه التاخیر لکونه مما یحصل علی
علی مهل وتدریج فلو طلب منه خلاف ضعف فات الغرض وضاع السعی ولکونه غیر معلوم العاقبة فیفتقر الی مزید تدبر وتامل ومنها ما
یحمد فیه التعجیل لضد ما قلنا فتنتهز فیه الفرصة وتغتنم فان الفرص تمر مر السحاب قال صلعم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحیوتك قبل موتك الصفة الثامنة واولئك من الصالحین وذلك
ان الامور بخواتیمها والعاقبة غیر معلومة الا فی علم الله تعالی فاذا اخبر عنهم بانخراطهم فی سلك الصالحین فذلك المقصود وقصاری
المجهود ثم شرط للامة الموصوفة بل لجمیع المکلفین ایصال الجزاء الیهم البتة تاکیدا للاخبار عنهم بقوله واولئك من الصالحین فقال وما
تفعلوا من خیر فلن یکفروه ای لن تحرموا ثوابه ولن تمنعوه فضمن الکفران معنی الحرمان ولهذا تعدی الی مفعولین مع ان الاصل فیه التعدیة
الی واحد نحو شکر النعمة وکفرها وسمی منع الجزاء کفرا کما سمی ایصال الثواب شکرا فی قوله فان الله شاکر علیم ثم ختم الکلام بقوله والله
علیم بالمتقین مع انه عالم بکل الاشیاء بشارة لهم بجزیل الثواب ودلالة علی انه لا یفوز عنده بالکرامة الا اهل التقوی وتنبیها علی ان الملتزم

للنساء متناهية وكوامر اصل تكون متناهية ثم بين ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل في مدلولات هذه النصائح فقال قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون من اهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدو والولي ثم ان سياق هذه الجمل يحتمل ان يكون على سبيل تنسق اوصاف البطانة كأنه قيل لا تتخذوا بطانة غير لابيكم خبالا وادين عنتكم بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتداء واحسن من ذلك وابلغ ان يكون الجمل مستأنفات كلها على جهة التعليل للنهي كأنه قيل لم لا نتخذهم بطانة فقيل لانهم لا يقصرون فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل وما اية ودادة العنت فقيل قد بدت والله اعلم اما كون هذا التقدير احسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف ولا عاطف ههنا واما كونه ابلغ فلبناء الكلام على السؤال والجواب وتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوي بالبراهين ولا يخفى جلالة قدر هذه الفوائد ثم استأنف للتحذير نمطا آخر من البيان مشتملا على التوبيخ فقال ها انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطاء وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو اقبح الاشياء او تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة ولا يحبونكم لاختلاف الدين او تحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر في باطنهم وتحبونهم لانهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحبوب محبوب ولا يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في اموردينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون مثل ذلك بكم او تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر والحق ان هذه الاعتبارات وامثالها مما لا تكاد تنحصر داخلة في الآية ثم ذكر سببا آخر مما يأبى ان يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله واضمر قرينه وهو وهم لا يؤمنون به لان ذكر احد الضدين يغني عن الآخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون للحال واللام في الكتاب للعهد اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ثم ذكر مضادة اخرى فقال واذا لقوكم قالوا آمنا احدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام لان هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما راوا من ائتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شأنهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم بان الله تعالى اتاح ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والمقدر كائن فان كان هذا سبب الغيظ فلا محالة تكونون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله عليم بذات الصدور اي بصواحباتها وهي الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة المقولة فمعناه اخبرهم بما يسرونه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يهلككم او تموتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو اخفى مما تسرونه وهو مضمرات القلوب مخفياتها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني اعلم ما اضمره الخلائق ولم يظهروه على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون امرا بالقول لفظا بل يراد حدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون امرا بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله نصره ثم ذكر نوعا آخر من مضادتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والايتلاف بين الاحباء تسؤهم ساءه يسوءه نقيض سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من اضداد ما عددناه يفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا واقول لعل الغرض ان يكون المس اقل من الاصابة وانه ادخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا ينهض لقليل من الخير الا ان يكون هناك كمال البغض والشماتة فلما وجد اذا اصاب العدو بلية عظمى كما قيل عند الشدائد تذهب الاحقاد الا يكون ثمة غاية الحقد اذا كان حال القوم مع المسلمين في القصتين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او ان تصبروا على اوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه وقال ابن عباس هو العداوة شيئا من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه اشارة من الله تعالى الى ان يستعان على دفع مكائد الاعداء بالصبر والتقوى فمن كان الله كان الله له وفي كلام الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك وقال بعضهم اذا ما شئت ارغام الاعادي بلا سيف تسل ولا سنان فزد في مكرماتك فهي اعدى على الاعداء من نوب الزمان ان الله بما تعملون في عداوتكم ان تعملون انتم من الصبر والتقوى محيط فيجازي كل احد بما هو اهله التأويل ضربت عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص الا ان تعتصموا بحبل الله وطلبه وحبل من الناس يعني متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته ويقتلون الانبياء يميتون سننهم وسيرهم ليسوا اي العلماء الربانيون والمدعون فلن تكفروه لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ثم اخبر عن نفقات اهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح هي هواء الهوى فيها صر الشهوة اصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد الانساني ثم نهى اهل المحبة عن مباطنة اهل السلو من هذا الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون في انكار والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا وشهواتها ما عنتم ما مقتموه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم او فرجوا بما قاسيتم

---



من المجاهدات والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من افواههم اعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل والحقد اكبر تحبونهم محبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في القرآن من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور وان موقعها في الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهال وطعن

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

وچون صبح کردی از اهل خود که جای دادی مومنان را در جای خود از برای جهاد وخدا شنونده داناست

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ

چون قصد کردند دو طائفه از شما که متفرق شوند وخدا دوست ایشانست وبر خدای پس توکل کنند گروندگان وهر آینه یاری کرد شما را خدا در بدر

أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

وشما خواران بودید پس بترسید خدا را شاید که سپاس گزارید چون گفتید مر مومنان را که آیا بس نیست شما را که یاری دهد پروردگار شما بسه هزار از فرشتگان

مُنْزَلِينَ ۝ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ

فرود آمدگان آری اگر صبر کنید وپرهیزید وبیایند شما را از عقب انها که گفته شد امداد کند شما را پروردگار شما به پنج هزار از فرشتگان نشان کرده

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ

ونگردانید او را خدا مگر مژده از برای شما وتا محکم شود دلهای شما بان ونیست یاری مگر از نزد خدای غالب استوار تا ببرد جانبی از انهارا

كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ۝ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ۝ وَلِلَّهِ

که کافر شدند یا نگونسار کند ایشان را پس برگردند زیانکاران نیست برتو از کار انها چیزی توبه پذیرد برانها یا که عذاب کند انهارا پس انها ستمکارانند ومر خدای راست

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

آنچه در آسمانهاست وآنچه در زمین است میامرزد از برای انکه خواهد وعذاب کند انرا که خواهد وخدا آمرزنده مهربانست

القراءة تبوي المؤمنين بغير همز ابو عمرو وغير شجاع وورش والاعشى وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاي ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح ايضا مسومين بكسر الواو ابو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بفتح الواو الوقوف للقتال ط عليم لا لان اذ بدل من اذ غدوت ويتعلق بالوصفين او بقوله تبوئ ان تفشلا لا لان الواو للحال وليهما ط المؤمنون اذلة ج للفاء تشكرون منزلين ط لتمام القول بلى لاتحاده مع ما بعده مسومين قلوبكم به ط الحكيم لا لتعلق اللام بمعنى الفعل في النصر خائبين ويعج الجزء ظالمون وما في الارض ط من يشاء ط رحيم التفسير انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا واتقوا ذكر خلاف ذلك انه لم يصبروا اتبعه قوله واذ غدوت من اهلك لقد نصركم الله ببدر يعني انهم يوم احد كانوا كثيرين مستعدين للقتال فلما خالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم اطاعوا امر الرسول فغلبوا واستولوا على خصومهم ووجه آخر في النظم وهو ان الانكسار يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وذلك يدل على انه لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال ابو مسلم هذا كلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا اي قد كان لكم مثل تلك الآية اذ غدا الرسول يبوئ المؤمنين والجمهور على انه منصوب باضمار اذكر عن الحسن ان هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب واكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الآية نزلت في واقعة احد وهو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وابي مسلم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة من المدينة قالوا من منزل عائشة وهو المراد بقوله من اهلك عن مجاهد والواحدي انه مشى على رجليه الى احد واصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان رسول الله لما خالف رأي عبد الله بن ابي شق عليه ذلك وقال اطاع صلى الله عليه وسلم الصبيان وعصاني ثم قال لاصحابه

ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما يظفر بعدوكم وقد وعد اصحابه ان عدائهم اذا غابوا ان يهزموا فاذا رايتم اعداء الله قد هزموا فليستبقوا نكم فيصيرا لامر على خلاف ما ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل اولادنا وانفسنا وكان جملة عسكر الاسلام الفا
وقيل تسعمائة وخمسين فبقي نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلاثة الاف وقواهم الله مع ذلك حتى هزموا المشركين لكنهم لما رأوا انهزام
القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا ان يكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا امر الرسول
ولم يعلموا انما ظفرهم الله يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين فكروا
على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم وشج وجه رسول الله
وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه ولم يبق معه الا ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر ان محمدا قتل فاشرف
ابو سفيان وقال افي القوم محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال افي القوم ابن ابي قحافة فقال لا تجيبوه فقال افي القوم ابن الخطاب فقال ان
هؤلاء قتلوا فلو كانوا احياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ابقى الله لك ما يخزيك فقال ابو سفيان اعل هبل اعل هبل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه فقالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا لا سواء قتلانا
في الجنة وقتلاكم في النار ولنرجع الى التفسير بوأته منزلا اي انزلته فيه مقاعد اي مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى
استعمل المقعد والمقام في المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك اي من موضع حكمك ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لما امرهم
ان يثبتوا في تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل ان المقاتلين قد يقعدون في الامكنة المعينة الى ان يلاقيهم العدو
فيقوموا فلهذا سميت تلك المواضع مقاعد والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم ونياتكم فانا بينا انه كان في القوم موافق ومنافق اذ همت
طائفتان منكم هما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان ان تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر
انهما ما كانت عزيمة ممضاة ولكنها كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها صاحبها ذم وان ردها
الى الثبات والصبر فلا باس بما فعل وعن معوية انه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو
ابن الاطنابة شعر وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي ومما يدل على ان ذلك الهم لم يفض الى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما ولو كانت
ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون والتوكل تفعل من وكل امره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفيه اشارة الى الانسان يجب ان يدفع ما يعرض له من
مكروه وآفة بالتوكل على الله وان يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طائفتان منكم نحن الطائفتان بنو حارثة
وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله والله وليهما اخرجاه في الصحيحين ومع ذلك قال بعض العلماء ان الله ابهم ذكرهما وستر عليهما فلا
يجوز لنا ان نهتك ذلك الستر ولقد نصركم الله ببدر وهو ما بين مكة والمدينة عن الواقدي انه اسم الماء بعينه وعن الشعبي انه سمي
باسم رجل كان ذلك الماء له وانتم اذلة انما جاء بجمع القلة دون الذلائل الذي للكثرة ليدل على انهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم
كانوا قليلي العدد ايضا كما مر في تفسير قوله قد كان لكم آية ولم يعن بالذلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولعل
المراد انهم كانوا اذلة في زعم المشركين في اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكى عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل ولعل الصحابة كانوا قد شاهدوا
الكفار في مكة في غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على اولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية في نفوسهم فاتقوا الله
في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقويكم ما انعم به عليكم من نصرة او لعل الله ينعم عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر
موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول للمؤمنين اختلف المفسرون في ان هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل في قوله اذ نصركم او
يوم احد فيكون بدلا ثانيا من اذ غدوت والاول قول اكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والعدة يوم بدر اقل
وكان الاحتياج الى المدد اكثر والثاني مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان بالف
من الملائكة لقوله تعالى في سورة الانفال فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة دون ثلاثة الاف وخمسة وقد اجيب
بانهم امدوا بالف ثم زيد الفان فصار ثلاثة الاف ثم زيدت الفان اخران فصار خمسة الاف فكانه قيل لهم الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بالف من الملائكة فقالوا بلى ثم قيل الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف فقالوا بلى ثم قيل لهم ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة الاف
وهو كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ايسركم ان تكونوا ربع اهل الجنة قالوا نعم قال ايسركم ان تكونوا ثلث اهل الجنة قالوا نعم قال فاني ارجو
ان تكونوا ثلث اهل الجنة وايضا لعل اهل بدر امدوا بالف ثم بلغهم ان بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة
عددهم فوعدهم الله بان الكفار ان جاءهم مدد فانا امدكم بخمسة الاف من الملائكة ثم انه لم يات قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين
بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا والمسلمون على الثلث منهم





فانزل الله الفا من الملائكة بعدد الكفار اليهم ثم وعدهم ان يجعل الثلاثة الالاف خمسة الاف ان صبروا واتقوا واجيب بان هذا تقريب حسن
لكنه لا يغلب على الظن ان يكون الامر كذلك قالوا قال تعالى ويأتوكم من فورهم ويوم احد هو الذي كان ياتيهم الاعداء اما يوم بدر فهم ذهبوا
الى الاعداء واجيب بان المشركين لما سمعوا يوم بدر ان الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي
ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فاخبرهم الله تعالى انهم ان ياتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة الاف ثم قالوا في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة احد ثم
قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يجب ان يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم عاد الى قصة
احد ثم انزال الخمسة الاف كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا بل خالفوا امر الرسول فلما فات الشرط لا
جرم فات المشروط واما انزال ثلاثة الاف فانه صلى الله عليه وسلم وعدهم ذلك بشرط ان يثبتوا في تلك المقاعد فلما اهملوا الشرط لم يحصل المشروط روى الواقدي
عن مجاهد انه قال حضرت الملائكة يوم احد لكنهم لم يقاتلوا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك في
صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم انه ملك امد به وعن سعد بن ابي وقاص انه
قال كنت ارمي السهم يومئذ فيرده علي رجل ابيض حسن الوجه ما كنت اعرفه فظننت انه ملك هذا حاصل تقرير القولين واختلفوا ايضا في عدد
الملائكة فمنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزائد لان الوعد بامداد الثلاثة الالاف لا شرط فيه والوعد بامداد خمسة الالاف مشروط بالصبر
والتقوى ومجيء الكفار من فورهم فهما متغايران وعلى هذا ان حملنا الاية على قصة بدر فقد ورد فيها ذكر الالف في موضع اخر فيكون المجموع
تسعة الاف وان حملناها على قصة احد كان الجميع ثمانية الاف ومنهم من ادخل الناقص في الزائد فقال وعدوا بالف ثم زيد الفان فصح
ان يقال وعدوا بثلاثة الاف ثم زيد الفان اخران فوعدوا بخمسة الاف واجتمع اهل التفسير وارباب السير انه تعالى انزل الملائكة يوم بدر وانهم
قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انه لم يقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون ومنهم من قال ان
نصر الملائكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار وباشعار المؤمنين بان النصرة لهم واما ابو بكر الاصم فقد انكر امداد الملائكة وقال ان الملك
الواحد يكفي في اهلاك اهل الدنيا وايضا فان اكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة معلوم وايضا لو قاتلوا فاما ان يكونوا
بحيث يراهم الناس اولا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول ثلاثة الاف او اكثر ولم يقل احد بذلك ولانه خلاف قوله ويقللكم في اعينهم
ولو كانوا في غير صورة الناس لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم جز الرؤس وتمزق البطون
واسقاط الكفار من غير مشاهدة فاعل لهذه الافعال ومثل هذا يكون من اعظم المعجزات فكان يجب ان يتواتر ويشتهر بين الكافر والمسلم و
الموافق والمخالف وايضا انهم لو كانوا اجساما كثيفة وجب ان يراهم الكل وان كانوا اجساما لطيفة هوائية فكيف ثبتوا على الخيول واعلم ان هذه
الشبه لا يليق ايرادها بقوانين الشريعة وبمن يدعي التمسك بها ويعرف ان الله تعالى قادر على ما يشاء فاعل لما يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها
مع ان نص القرآن ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر روى عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون في انديتهم
بما ظفروا ويقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كانوا نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا المقام ان التكليف ينافي الالجاء وانه
تعالى قادر على اهلاك جميع الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك او بلا سبب كذا على ان يجبرهم على الاسلام ويقسرهم لكنه اراد
اشاعة هذا الدين على مهل وتدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف فلا جرم اجرى الامور على ما اجرى فله الحمد على ما او
وله الحكم في الاخرة والاولى والحاصل ان اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم وهو حين نزول الباس فلا جرم اظهر القدرة و
جعل عاليها سافلها وفي حرب احد كان الزمان زمان تكليف فلا جرم اظهر الحكمة ليتميز الموافق عن المنافق والثابت من المضطرب فانه
جرى الامر في احد كما جرى في بدر اشبه ان يفضي الامر الى حد الالجاء وينافي التكليف ونوط الثواب والعقاب به ولمثل ذلك مد الملائكة بعد
امد على عادة الامداد بالعساكر والا فملك واحد يكفي في اهلاك كثير من الناس والله اعلم ولنعد الى تفسير الالفاظ قال صاحب الكشاف انما قدم
لهم الوعد بنزول الملائكة ليقوي قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة الاف من الملائكة
وانما جيء بلن الذي هو تاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم كالآيسين من النصر ومعنى الكفاية سد الخلة
والقيام بما يجب ومعنى الامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال قال بعضهم ما كان على جهة القوة والاعانة قيل فيه امده يمده وما كان على جهة
الزيادة قيل فيه مده يمده وقرئ منزلين بكسر الزاء بمعنى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم
ثم قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غليت
ثم استعمل في معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور او للتراخي ثم سميت به الحالة التي لا توقف
فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجيء خمسة الاف مشروطا بثلاثة اشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار
على الفور فلما لم يوجد هذه الشرائط بكلها او بجلها فلا جرم لم يوجد المشروط ويحتمل ان يتعلق قوله من فورهم هذا بما بعده اي يمددكم
ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر النزول عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنائم واتقوا مخالفة الرسول

وقوله مسومين من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم اللقاء ليعرف بها فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيول واذنابها وعن مجاهد مجزورة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت الابل وسومتها اذا ارسلتها للرعي فالمعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم واسرهم او ان الله تعالى ارسلهم على المشركين ليهلكوهم كما تهلك الماشية النبات في المراعي وما جعله الله الضمير عائد الى المدد والامداد الدال عليه الفعل وقال الزجاج وما جعل الله ذكر المدد الا بشرى وهي اسم من البشارة اى الا لتبشروا بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل طمأنينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد لا يكمل الا عند الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا اى طائفة وقطعة من الذين كفروا وانما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف كما قال اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم والكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه وفسره الائمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين ظافرين بمبتغاهم قيل الخيبة لا يكون الا بعد التوقع نقيضه الظفر واما اليأس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد نصركم او بقوله وما النصر ويحتمل ان يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض سببا من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتر ميلك لتخدمني لتعينني لتقوم بخدمتي قوله عز من قائل ليس لك من الامر شيء فيه قولان احدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة احد عن انس بن مالك قال كسرت رباعيته رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ودمي وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج رأسه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن اقواما فقال اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت هذه الاية وفيه او يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما رآه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن منهم بثلثين فنزلت وقيل اراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا امره والذين انهزموا فمنعه الله عن ذلك وروي عن ابن عباس وقيل اراد ان يستغفر للمسلمين الذين عصوا امره فنزلت قال القفال كل هذه الامور وقعت يوم احد فلا يمتنع حمل نزول الاية في الكل القول الثاني واليه ذهب مقاتل انها نزلت في واقعة لبني وهي ان النبي بعث جمعا من خيار الصحابة قراء سبعين الى بني عامر ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى موضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره واخذهم وقتلهم فجزع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدا ودعا على الكفار في القنوت اربعين يوما يقول بعدما يرفع رأسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن بني لحيان والعن رعلا وذكوان اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة المستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف حتى انزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء ولا يخفى ان ظاهر الاية يدل على انه كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ يتوجه الاشكال بان فعل ذلك الفعل ان كان من الله تعالى فكيف منعه منه والا فهو قدح في عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى والجواب ان المنع من الفعل لا يدل على ان الممنوع مشتغل به كقوله فلا تطع الكافرين مع انه ما اطاعهم وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه ما اشرك قط ولعله صلى الله عليه وسلم شاهد من قتل حمزة وغيره ما اورثه حزنا شديدا وكان من الممكن ان يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته وتاكيدا لطهارته وان سلمنا انه كان مشغولا بذلك الفعل والقول فانه محمول على ترك الاولى والنهي ارشاد الى اختيار الافضل وايضا ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهي وانما هو بطلب الاصلح فالذي يظن به انه خلاف مسؤوله وقد وقع فهو بالحقيقة سؤله صلى الله عليه وسلم ولهذا سأل الله تعالى ان يجعل لعنه على من لا يستحقه طهرا وزكوة ورحمة والله اعلم وقوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة ومن شان هذه الحادثة شيء فاني اعلم بمصالح عبادي او المراد الامر الذي هو خلاف النهي اي ليس لك امر خلقي بشيء الا ما يكون امري وحكمي او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف اما على الامر اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم ويجوز ان يكون معطوفا على شيء والحاصل منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه وامره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وان لا يخوض العبد في اسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله او يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شيء كالكلام الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشتفي منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند اهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق العزم فيهم على ان لا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل وهذا التفسير هو التحقيق لان الندم كراهة تحصل في القلب عما سلف منه والعزم





ارادة يتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر في فعلها الى ارادة اخرى وتسلسل فهو اذن بخلق الله تعالى واما المعتزلة ففسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف وبقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم او عصيانهم ثم اكد ما ذكر من قوله ليس لك من الامر شيء بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اي هما والحقائق والماهيات التي فيهما لله فليس الحكم عنه فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بعيم فضله وان كان من الابالسة والفراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين كل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة والمغفرة غالب ولهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما روي عن ابن عباس في تفسير الاية يهب الذنب الكبير خلق الله ارادة الطاعة اطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد ومعصيته ينتهي الى الله وفعل الله لا يوجب على الله شيئا اما المعتزلة فناقشوا في ذلك وروي عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب والحق ان العذاب لازم ملكه العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم ملكة الطاعة فان اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان اريد غير ذلك ممنوع والله اعلم التأويل الخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى خروج السالك الصادق والسائر العاشق وذلك ان يغدو في طلب الحق والرجوع الى المبدأ من اهله اي صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين اي صفات الروحانية مقاعد للقتال النفس والشيطان والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص للخلاص عن ورطة تيه الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا يعني القلب وصفاته والروح واخلاقه والله وليهما يخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم اذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى ان نور النبي يلهم ارواح المؤمنين على الدوام عند مقاتلة الشيطان ومجاهدة النفس ومكايد الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلثة الاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية التي لا بد منها كقوله وانزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يزدكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا ليقهر بعضا من الصفات النفسانية التي منشأ الكفر بنصر الروح وصفاته او يكبتهم او يغلبهم ويظفر بهم وما النصر الا من عند الله يعز بحكمه من يشاء على ما يشاء والله

يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ◯ واتقوا النار التي اعدت للكافرين ◯ واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ◯ وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ◯ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ◯ والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ◯ اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين ◯ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ◯ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ◯ ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ◯ ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ◯ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين

ای زمره انسانی که گرویدید مخورید سود را افزوده تو بر تو و بپرهیزید از خدا شاید که رستگار شوید و بترسید از آتشی که آماده شده برای کافران و پیروی کنید خدا و پیغمبر را شاید که رحم کرده شوید و بشتابید بسوی آمرزشی از جانب پروردگار و بهشتی که عرض وی عرض آسمانها و زمین است آماده شده از برای ترسندگان آنان که خرج کنند در خوشی و تنگدستی و فرو برندگان خشم و درگذرندگان از مردمان و خدا دوست دارد نیکوکاران را و آنان که چون کردند کار زشتی یا ستم کردند بنفسهای خود را یاد کردند خدا را پس طلب آمرزش کردند مر گناهان خود را و کیست که بیامرزد گناهان را بجز خدا و اصرار نکردند بر آنچه کردند و ایشان میدانند آن گروه مزد ایشان آمرزش است از پروردگار ایشان و بهشتها که روانست از زیر آن جویها جاویدان در آن و خوبست مزد کارکنان بدرستی که گذشت از پیش شما طریقها پس بگردید در زمین پس بنگرید که چگونه بوده عاقبت تکذیب کنندگان این بیانیست از برای مردم و راستی و پندیست مر پرهیزکاران را و سست مشوید و محزون مگردید و شما باشید بلند مرتبها اگر باشید گروندگان اگر برسد شما را زخمی پس بدرستی که رسید کفار را زخمی مثل آن و این روزهایست که بگردانیم در میان مردمان و تا بیازماید خدا آنها را که گرویدند و فرا گیرد از شما گواهان را و خدا دوست ندارد ستمکاران را و تا پاک کند خدا آنها را که گرویدند و برطرف کند کافران را

القراءة سارعوا بغير واو العطف ابو جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة الباقون بالفتح الوقوف مضاعفة ص لعطف المتفق تفلحون ج للعطف للكافرين ه ترحمون ه ومن قرأ سارعوا بغير واو فوقفه مطلق والاوضح لان ما بعده صفة لجنة اي اي جنة واسعة معدة للمتقين لا لان الذين صفتهم عن الناس ط المحسنين ج لان والذين يصلح مبتدأ وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف الى يعلمون ويصلح معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم اولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله والذين

بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على الذنوب بهم بالابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح
لا احد يغفر الذنوب الا انت خالدين فيها ط العاملين سنن لا لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالنبأ المكذبين للمتقين مؤمنين ط
بين الناس ج لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اى ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين لا للعطف على ليعلم الكافرين التفسير قال القفال
يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربوا وكانوا ينفقون تلك الاموال
على العساكر وكان من الممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا لكي يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام
منهم فورد النهى عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الآيات ابتداء امر ونهى وترغيب وترهيب تتمة لما سلف من الارشاد الى
الاصلح في امر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهى عن الربوا في حال كونه اضعافا فانا علم انه منهى عنه مطلقا وانما نهى عنه مع توبيخ بما كانوا عليه
في الغالب والمعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل وهكذا مرة بعد اخرى حتى يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون
واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه ان اتقاء الله في هذا النهى واجب وان الفلاح يتوقف عليه فلو اكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه ان الربوا من الكبائر
لا من الصغائر ويؤكده قوله واتقوا النار التى اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار
المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها ولان اكثر اهل النار الكفار
فغلب جانبهم كما لو قلت اعدت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع من ركبها البعض حوائجه ومثله قوله في صفة الجنة اعدت للمتقين فانه
لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه ان رجاء الرحمة
موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به اصحاب الوعيد في ان من عصى الله ورسوله في شئ من الاشياء فهو ليس اهلا للرحمة وغيرهم
يحمل الآية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشئ الواحد
لانهما متلازمان ويتمسك كثير من الاصوليين به في ان ظاهر الامر يوجب الفور قالوا في الكلام محذوف والتقدير سارعوا الى ما يوجب
مغفرة من ربكم ونكر المغفرة ليفيد المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع
الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن على بن ابى طالب هو اداء الفرائض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لانه المقصود
من جميع العبادات وعن ابى العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة احد وقال الاصم بادروا الى التوبة من
الربوا لانه ورد عقيب النهى عن الربوا ثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولا بد
للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين ان نفس السموات لا يكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات
لقوله في موضع آخر كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه ونظيره خالدين فيها
ما دامت السموات والارض لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون
كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزى ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من
السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما يكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له
فلا بد ان يكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا وقال ابو مسلم معنى العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات
والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على ان المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة ادنى من الطول
واذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطائن في العادة يكون ادون حالا من الظهائر واذا كانت البطانة
كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اى واسعة والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق
ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء واجيب بعد
تسليم كونها الآن مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروى ان رسول هرقل سأل
النبى صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله و
رسوله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل
وسئل انس بن مالك عن الجنة أفي الارض ام في السماء فقال واى ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش
ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون في السراء والضراء
في حال الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه وعن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب فكان
الفقير انكر عليها فقالت احسب كم هي من مثقال ذرة وقيل في عرس او حبس والمراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا
يدعون الاحسان الى الناس في حالتى فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان الانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم بان
كان مخالفا فانهم لا يتركونه وفي افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة ولانه كان اهم في ذلك الوقت لاجل

الحاجة



الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه
ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كانه كتمه على امتلائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من اقسام الصبر والحلم قال صلى الله عليه وسلم من كظم
غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربوا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لامثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ و
الصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل
من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم عليه السلام ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافأة انما الاحسان ان تحسن الى من
اساء اليك والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة
الى هؤلاء وذلك انه من انواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعنى بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم
وبالنفس فان الجود بالنفس اقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة اخرى وهو
المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الآخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الآية دالة على جميع جهات
الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان
نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الآية
وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فكانا لا يفترقان في احوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة في
السفر وخلف الانصارى في اهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن
حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر راجعا فقالت سبحان الله خنت امانتك وعصيت
ربك ولم تصب حاجتك قال فندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته اهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل
عليه فوافقه ساجدا وهو يقول ربى ربى ذنبى قد خنت اخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسئله عن ذنبك لعل الله ان يجعل
لك فرجا وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلوة العصر نزل جبرئيل عليه السلام بتوبته فتلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اذا
فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين فقال عمر يا رسول الله اخاص هذا ام للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة
وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ابنو اسرائيل كانوا اكرم على الله منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة
بابه اجدع اذنك اجدع انفك افعل كذا فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم فبين انهم اكرم على الله
منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف اى فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اذنبوا اى ذنب
كان مما يؤاخذ الانسان به وقيل الفاحشة هي الزنا لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة
وهذا القول انسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه عليه السلام
كان مأمورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله اى وعيده او عقابه وانه
سائلهم او نهيه او جلاله الموجب للخشية والحياء منه او ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف و
يكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواحدي ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا
هم مبصرون وقيل المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من آداب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم
يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله
في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذاك لا اثر له في ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا
الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضى ايصال العبد الى العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضى ازالة ذلك
العقاب عنه لكن صفة الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبى فجانب العفو والمغفرة ارجح ولا سيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار
والتنصل باقصى ما يمكن للعبد وفي كتاب مسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون
فيغفر لهم وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا ابالى يا ابن آدم
لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا ابالى يا ابن آدم انك لو اتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بي شيئا
لاتيتك بقرابها مغفرة وعن على عليه السلام قال حدثني ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ويصلي ثم يستغفر الله
الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم
يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صررت الصرة شددتها وصر الفرس اذنيه ضمها الى رأسه اصر

ايضا عن النبي ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل اصروا وحرف النفي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب واردت نفي المجي والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر العالم ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتميز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله صلعم رفع القلم عن ثلث وعلى هذا يجوز ان يراد نفي الاصرار في حالة العلم لا نفيه مطلقا كما لو اردت في المثال المذكور نفي الركوب لا نفي المجي في حال الركوب لا نفي المجي على الاطلاق اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وهي اشارة الى ايصال الثواب ونعم اجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس جزاء على عملهم وذلك انه سمى الجزاء اجرا والاجر واجب مستحق وكذلك الجزاء وللقائل ان يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا ايضا بالاية على ان اهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب ما مر ان كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب ان لا يدخلها غيرهم بفضل الله ورحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تامل احوال القرون الخالية فقال قد خلت من قبلكم سنن واصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه كانه اجراه على نهج واحد او من سننت النصل احددته او من سن الابل اذا احسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستيصال بدليل قوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب في الاخرة هذا قول اكثر المفسرين قال مجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر ولكن المؤمن بقي له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التامل في حال احد القسمين يكفي في معرفة حال القسم الاخر ولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتامل احوال امثالهم وليس المراد من قوله فسيروا في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير السير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد ان يقال ندب الى السير لمشاهدة اثار الاقدمين لان اثر اقوى من اثر السماع كما قيل ان اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار هذا بيان المشار اليه اما ان يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم اما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان احدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الى البغية واقول يشبه ان يكون البيان عاما لجميع المكلفين باي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وخص المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر كما بين هذه المقدمات ومهدها ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كانه قال اذا بحثتم عن احوال القرون الخالية علمتم ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة والغلبة لارباب الحق والوهن الضعف اي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما اصابكم يوم احد وهنا وجبنا ولا تحزنوا على ما قتل منكم وخرج وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او وانتم الاعلون بالحجة والعاقبة الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما ان يكون قيدا لقوله وانتم الاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما ان يكون قيدا لقوله ولا تهنوا اي ان صح ايمانكم بالله بحقية هذا الدين فلا تضعفوا لثقتكم بان الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله يوم احد فبينا هم كذلك اذ اقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلعم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل الله تعالى هذه الاية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وانتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلعم يوم احد كئيبا حزينا جعلت المراة تجيء بزوجها وابيها وابنها مقتولين فقال رسول الله صلعم اهكذا تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز وقيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة توهم انها جمع قرحة ومعنى الاية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك في يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم اولى بان لا تفتروا ولا تجبنوا ونظيره فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم احد وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار

فهي من جملة اذن بين تجنبا للمحتملة
العقاب وجنات
خالدين فيها ومنع
الثواب



وعشرون رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم اول النهار كما يجي من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازمة وانما تكفي المشابهة في نفس القتل والجراحة وتلك الايام موصوف وصفة مبتدا وخبره نداولها او تلك مبتدا والايام خبره كقولك هي الايام تبلي كل جديد والتعبير الابوصف يكون تلك اشارة الى الوقائع والاحوال العجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدم والمداولة نقل الشيء من واحد الى اخر يقال تداولته الايدي اي تناقلته والدنيا دول اي تنتقل لما تقدم تغيره من قوم الى اخرين لا يدوم مسارها ومغامها فيوم يحصل فيه السرور للتولي والغم لعدوه ويوم اخر بالعكس فلا يبقى شيء من احوالها ولا يستقر اثر من اثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوة واخرى فارغة وليس المراد من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين واخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يناله الكافرون بل المراد انه تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة ان يكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه والى هذا اشير في قوله سبحانه وليعلم الله الذين امنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل مذهب في تقرير الفوائد والتقدير نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرة ومنها ان يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الاية ونحوها كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا على انه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه وتاويل الاية ان اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان او قدرته والمراد معلومه او مقدوره فكل اية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الاية ليظهر معلومنا وهو المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة يقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم وعلى الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير ليعلمهم مميزين عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق ليعلم بعده ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة كقوله لتكونوا شهداء على الناس فان كونهم كذلك منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد والمراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر بن شميل لانهم احياء حضروا دار الاسلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال ابن الانباري لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة والله لا يحب الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى فهو اعتراض بين بعض التعليلات وبعض وفيه ان دولة الكافرين على المؤمنين للفوائد المذكورة لا لانه يحبهم ومن الحكم قوله وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين والمحص في اللغة التنقية والمحق النقصان وقال المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء قال الزجاج معنى الاية انه ان حصلت الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين اي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو اثار الكفار وهذه مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك انفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بالتدريج وهل ليقطع طرفا بقصها من اطرافها التاويل لا تاكلوا الربوا ما يودي الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا مضاعفة الى ما لا يتناهى فلا يملا جوف ابن ادم الا التراب واتقوا الله خطاب للخواص اي اتقوا بالله عن غير الله في طلب الله لعلكم تفلحون عن حجب ما سوى الله وتظفرون بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم ارباب الوسايط بقوله واتقوا النار اي نار الحرص التي تودي منها الى نار القطيعة وجوزوا بقدمي طاعة الله وطاعة رسوله ثم اخبر عن المسارعة الى الجنان بمسارعة النفس والجنان عرضها السموات اي المسافة بين العبد بينها هذا لان الوصول اليها بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي عن عيسى انه قال لم يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية ينفقون اموالهم في السراء وارواحهم في الضراء بل من سوى الله في طلب الله فعلوا فاحشة هي روية غير الله او ظلموا انفسهم بالتعلق بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه وروية ومن يغفر ومن يستر بكشف عواطف ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من رؤية الوسايط والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شيء ما خلا الله باطل اولئك جزاؤهم مغفرة اي هم مستحقون لمقامات القرب من ربهم وفي اصناف الطاعة تجري من تحتها الانهار العناية ونعم اجر العاملين لان نيل المقصود في بذل المجهود قد خلت من قبلكم امم لهم

على الكافرين والحزينة

بالقناعة

فتبروا في الارض بقوا الحيوانية بالعبور على اوصافها الدنية لتبلغوا سماء علو بكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية لا تهنوا ايها السائرون في السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم من اللذات الفانية وانتم الاعلون من اهل الله ان تمسسكم في اثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح من مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوماً نعمة ويوماً نقمة ويوماً محنة ويوماً منحة ويتخذ منكم شهداء ارباب المشاهد والمكاشفات وليمحص الله فيه اشارة الى ان كل الم ونصب يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه وتكفير لسره وما يصيب الكافر من نعمة ودولة وغنى ومنى فهو سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه ويوجد اخر البلاء لاهل الولاء تمحيصاً وب عن ظلمات العيوب وتنويرها بانوار الغيوب ومحو صفات نفوسهم الكافرة ومحو سمات اخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظائر الارواح أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ

بهشت را و هنوز خدا معلوم نکرده است خدا انهارا که جهاد کردند از شما و معلوم نکرده است صابرانرا و هر آینه بودید شما که ارزو میکردید مرگرا از پیش انکه بیابیدش

فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ

پس هر آینه دیدید انرا و حال انکه مشاهده میکردید و نیست محمد مگر پیغمبری که گذشت از پیش او پیغمبران ایا پس اگر بمیرد یا کشته شود برگردید

عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ

بر پاشنهای تان و هر که برگردد بر پاشنه خود پس ضرر نرساند خدا را چیزی و زود است که مزد دهد خدا شاکرانرا و نباشد مر نفسیرا که بمیرد

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ

مگر بفرمان خدا نوشته است با مدت و هر که بخواهد ثواب دنیا را بدهیم او را از ان و هر که بخواهد ثواب اخرت را بدهیم او را از ان و هر اینه زود است مزد دهیم شاکرانرا

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ

و چه بسیار از پیغمبری که مبارزت کردند با او طائفه بسیاری پس سست نشدند بانچه رسید ایشانرا در راه خدا و ناتوان نشدند و مستاصل نشدند و خدا

يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

دوست دارد صابرانرا و نبودی گفتار ایشان مگر انکه گفتند که پروردگارا بیامرز مارا گناهان مارا و زیادروی مارا در کار ما و استوار کن قدمهای

وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ما را و یاری ده ما را بر گروه کافران پس داد ایشان ثواب دنیا و خوبی ثواب آخرت و خدا دوست دارد خوبکارانرا ای زمره انان که

آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ

گرویدید اگر پیروی کنید انهارا که کافر شدند برگردانند شما را بر پاشنهای تان پس برگردید زیانکاران بلکه خدا صاحب اختیار شما و اوست بهتر یاوری

القراءة رايتموه بغير همزة يعني بالياءين ونحوه راوك وراوه روى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف بردثواب وبابه مدغما ابو عمرو وشان ابن عامر وسهل وحمزة وعلي وخلف نؤته مثل يؤده وكائن بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير وقرا يزيد كاين بالمد بغير همزة وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب على يغير نون في الوقف كاي الباقون وكاين في الحالين قتل ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة المفضل الباقون قاتل الوقوف الصابرين تلقوه ص لطول الكلام الرسول ج لان ما بعده يصلح صفة واستينافا الرسل ط اعقابكم ط لتناهي الاستفهام شيئا ط الشاكرين مؤجلا ج لابتداء الشرط منهاج للعطف منها الشاكرين قتل ط ليكون قتل النبي الزاما للحجة على من اعتذر في الانهزام بما سمع من نداء ابليس الا ان محمدا قد قتل ومن التقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرا قاتل فلان لا يقف كثيرا لابتداء النفي مع فاء التعقيب استكانوا ط الصابرين الكافرين الاخرة ط المحسنين خاسرين مولكم ج الناصرين التفسير انه سبحانه لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها اتبعها ما هو السبب الاصلي في ذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفي العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفي المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة احدهما مقام الاخر تقول ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا وتصبروا وانما انكر هذا الحسبان لانه تعالى اوجب الجهاد قبل هذه الواقعة واوجب الصبر على تحمل متاعبها وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن كانه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان الحب هو الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل النقدير انظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الصابرين ووجه اخر وهو ان يكون مجزوما



ايضا لكن الميم لما حركت لالتقاء الساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ لما يعلم الله بفتح الميم الا انه اراد ولما يعلمن الله بفتح الميم الا انه اراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرا الحسن بعلم بالجزم على العطف وروى عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة ويراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتال قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين اياهم كفر ولا يجوز للمؤمن ان يتمنى الكفر او يريده ويرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبه ذلك بمن شرب دواء الطبيب النصراني فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته قالت الاشاعرة ههنا من اراد شيئا اراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا ريب انهم ارادوا ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فارادوا صيرورتهم شهداء الا اذا قتلهم الكفار فلا بد ان يريدوا ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر ومعصية فثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون قال الزجاج اي وانتم بصراء كقولهم رايته بعيني اي رايتموه معاينين حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل ان يراد رايتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بعد ذلك انتم تنظرون اليهم من غير جد منهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالشعب امر الرماة ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل علي عليه السلام طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فهزموا ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما راوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما راى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمية واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول الله ودافع عنه ابو بكر وعلي عليه السلام وظن ابن قمية انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل قيل وكان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله صلى الله عليه وسلم فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فنزلت وما محمد الا رسول اي مرسل قال ابو علي وقد يكون في غير هذا الموضع بمعنى الرسالة اي حاله مقصور على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام قد خلت من قبله الرسل فيخلو كما خلوا وكان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم بين اممهم ابدا افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة التي قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه في الحقيقة كانه دخل عليه والمعنى افتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين احدهما ان الحاجة الى الرسول هي التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فلا يلزم من قتله او موته الارتداد عما كان هو عليه من الدين وما يلزم كالجهاد وثانيهما القياس على موت سائر الانبياء وقتلهم فان موسى عليه السلام مات فلم يرجع امته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عليه السلام قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم انه متقدم في النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا في العصمة على القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الاخرة باي طريق كان بدليل فانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزئيها الصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهي تنقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعناه هو التردد بين النكبات اي سواء فرض وقوع الموت والقتل فلا تاثير له في ضعف الدين ووجوب الادبار والارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذي تاتي به من الافعال لا يضر السماء والارض يريد انه يعود ضرره عليه وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم فنفي امثالهم قال تعالى وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس ان تموت ووجه النظم ان المنافقين ارجفوا ان محمدا قد قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل قولهم

بان القتل مثل الموت فی انه لا یحصل الا فی الوقت المقدر وکما انه لو مات فی بلده لم یدل ذلک علی فساد دینه فکذا لو قتل وفیه تحریض المؤمنین
علی الجهاد باعلامهم ان الحذر لا یغنی عن القدر وان احدا لا یموت قبل الاجل وان خوض المهالک واقتحم المعارک او الغرض بیان حفظه
وکلائته للنبیه فانه ما بقی فی تلک الواقعة سبب من اسباب الهلاک والشر الا وقد حصل الا انه تعالی لما کان حافظ النبیه ولم یقدر فی ذلک
الوقت اجله لم یضره ذلک وفیه تقریع لاصحابه انهم قد قصروا فی الذب عنه وجواب عما قاله المنافقون للصحابة لما رجعوا لو کانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الاخفش والزجاج تقدیر الکلام وما کانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء
الله وقدره فانه لا یحدث شیء الا بمشیئة الله وارادته فاورد الکلام علی سبیل التمثیل کانه فعل لا ینبغی لاحد ان یقدم علیه الا ان یاذن الله
فیه وذلک ان اسناد الموت الی النفس نسبة الفعل الی القابل لا الی الفاعل وقال ابو مسلم الاذن هو الامر والمعنی ان الله تعالی یامر ملک الموت
بقبض الارواح فلا یموت احد الا بهذا الامر وقیل المراد التکوین والتخلیق لانه لا یقدر علی خلق الموت والحیوة احد الا الله وقیل التخلیة
والاطلاق وترک المنع بالقهر والاجبار والمعنی ما کان لنفس ان تموت بالقتل الا باذن یخلی الله بین القاتل والمقتول وفیه انه تعالی لا یخلی
بین نبیه وبین احد لیقتله ولکنه جعل من بین یدیه ومن خلفه رصدا لیتم علی یدیه بلاغ ما ارسل به فلا تهنوا فی غزواتکم بعد ذلک
بارجاف مرجف وقیل الاذن العلم ای لن یموت نفس الا فی الوقت الذی علم الله موتها فیه وفی الایة دلیل علی ان المقتول میت باجله
وان تغیر الاجال ممتنع ولذا اکد هذا المعنی بقوله کتابا مؤجلا وهو مصدر مؤکد لنفسه لدلالة ما قبله علیه لان کاستنا ای کتب الموت کتابا
مؤجلا موقتا الاجل معلوم لا یتقدم ولا یتاخر وقیل الکتاب المؤجل هو المشتمل علی الاجال وقیل هو اللوح المحفوظ الذی کتب فیه جمیع الحوادث
من الخلق والخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضی الاجل والرزق مضافان الی الله تعالی واما الکفر والفسق والایمان و
الطاعة فکل ذلک مضاف الی العبد فاذا کتب تعالی ذلک فانما یکتب ما یعلمه من اختیار العبد فذلک لا یخرج العبد عن ان یکون مذموما او ممدوحا
والجواب انه تعالی تکییس للقضیة فان الله تعالی اذا علم من العبد الکفر استحال ان یاتی هو بالایمان والا انقلب علم الله جهلا واذا کان هو غیر قادر
علی الایمان فما معنی اختیاره ثم انه کان فی الذین حضروا یوم احد من یرید الدنیا ومن یرید الاخرة کما اخبر الله تعالی فی هذه السورة فقوله
ومن یرد ثواب الدنیا نؤته منها ای من ثوابها تعریض بالفریق الدنیوی وهم الذین شغلتهم الغنائم وباقی الایة مدح للفریق الاخر الا
ان فضله تعالی وعطیته شامل لکلا الفریقین لکن ثواب الفریق الثانی هو المعتد به فی الحقیقة ولهذا ختم الکلام بقوله وسنجزی الشاکرین
فابهم الجزاء واضافه الی نفسه تنبیها علی ان جزاء الذین شکروا نعمة الاسلام فلم یشغلهم عن الجهاد شیء لا یکتنه کنهه ویقصر عنه العبارة وانما کان ذلک
بعموم فضله وجسیم طوله وهذه الایة وان وردت فی الجهاد لکنها عامة فی جمیع الاعمال بالنیات وذلک لان المؤثر فی جانب الثواب والعقاب
القصود والدواعی فمن وضع الجبهة علی الارض والوقت ظهر الشمس امامه فان قصد بذلک السجود عبادة الله تعالی کان من الایمان وان قصد
تعظیم الشمس کان من الکفر وکاین الاکثرون علی انها فی الاصل مرکبة من کاف التشبیه وای التی هی فی غایة الابهام اذا قطعت عن الاضافة کما
ان کذا مرکب من الکاف وذا المقصود به الاشارة فکاین مثل کذا فی کون المجرور مبهما عند السامع الا ان فی ذا اشارة فی الاصل الی
ما فی ذهن المتکلم بخلاف ای فانه للعدد المبهم ومیزها منصوب ومفرد علی الاصل والاکثر ادخال من فی ممیز کاین وبه ورد القران والتمییز بعد کذا و
کاین فی الاصل عن الکاف مر او ای کما فی مثل رجلا لانک تبین فی کذا رجلا وکاین رجلا ان مثل العدد المبهم من ای جنس هو ولم تبین العدد
المبهم فی ای لان الاصل کان معربا لکنه امحی عن الجزئین معناهما الافرادی وصار المجموع کاسم مفرد بمعنی کم الخبریة فصار کانه اسم مبنی علی السکون
اخره نون ساکنة کما فی من لا تنوین تمکن فلهذا یکتب بعد الیاء نون مع ان التنوین لا صورة لها خطا ولاجل الترکیب تصرف فیه فقیل
کائن مثل کاعن وربما ظن بعضهم انه اسم فاعل من کان ولکنه بنی لکثرة الاستعمال وهاتان اللغتان فیه مشهورتان ولهذا قرئ بهما
وفیه لغات اخر غیر مشهورة ترکنا ذکرها لانه لم یقرا بها لعلک تجدها فی کتبنا الادبیة ومحل کاین ههنا رفع علی الابتداء وقوله قتل
او قاتل خبره والضمیر یعود الی لفظ کاین فانه مفرد للفظ وان کان مجموع المعنی والربیون معناه الالوف والجماعات الکثیرة الواحد ربی عن
الفراء والزجاج قال ابن قتیبة اصله من الربة الجماعة فحذف الهاء فی النسبة ویقال تربوا ای تجمعوا وقال ابن زید الربانیون الائمة و
الولاة والربیون الرعیة والکسر فیه من تغییرات النسب کالضم فی دهری والقیاس الفتح ثم من قرا قتل فمعنی الایة ان کثیرا من الانبیاء قتلوا
والذین بقوا بعدهم ما وهنوا فی دینهم بل استمروا علی جهاد عدوهم ونصرة دینهم وکان ینبغی ان یکون لکم فیهم اسوة حسنة فیکون المقصود
من الایة حکایة ما جری لسائر الانبیاء لیقتدی هذه الامة بهم ومن قرا قاتل فالمعنی وکم من نبی قاتل معه العدد الکثیر من اصحابه فاصابهم من عدوهم
قروح فما وهنوا فعلی هذا یکون الغرض من الایة ترغیب الذین کانوا مع النبی صلعم فی القتال وربما یؤید هذه القراءة بما روی عن سعید بن
جبیر انه قال ما سمعنا بنبی قتل فی القتال ویحتمل ان ینزل القراءة الاولی علی هذه الایة ایضا بان یقال المعنی وکاین من نبی قاتل من
کان معه وعلی دینه ربیون کثیر فما ضعف الباقون وما استکانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا علی جهاد عدوهم ثم انه تعالی
مدح هؤلاء الربیین بصفات وذلک قوله فما وهنوا ولا بد من تغایرها فقیل فما وهنوا عند قتل النبی وما ضعفوا عن الجهاد بعده

وما استکانوا



وما استکانوا للعدو ای لم یخضعوا له وفیه تعریض بما اصاب المسلمین من الوهن والانکسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلعم وبضعفهم عند ذلک
عن جهاد الکفار واستکانتهم لهم حین ارادوا ان یعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابی فی طلب الامان من ابی سفیان وقیل الوهن استیلاء
الخوف علیهم والضعف ضعف الایمان واختلاج الشبهات فی صدورهم والاستکانة الانتقال من دینهم الی دین عدوهم وقیل الوهن ضعف
یلحق القلب والضعف مطلقا الاختلال القوة الجسمیة والاستکانة اظهار ذلک العجز والضعف واستکان قیل افتعل من السکون کانه سکن
لصاحبه لیفعل به ما یرید والاشباع علی هذا فالمد شاذ کقولهم هو منه بمنتزاح ای ببعید یرید بمنتزح والاصح انه استفعل من کان والمد قیاسی کان صاحبه
تغیر من کون الی کون ای من حال الی حال والله یحب الصابرین بان یرید اکرامهم والحکم بالثواب والجنة لهم ثم اخبر انهم کانوا مستعینین عند ذلک
بالصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان یقتدی هذه الامة بهم فان من عول فی تحصیل مهماته علی نفسه
وعلی عدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجاء الیه فاز بالظفر وفی اضافتهم الذنوب والاسراف الی انفسهم وهم ربانیون هضم للنفس واستغفار
لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالی ضمن نصر المؤمنین فاذا لم یحصل النصرة وظهر امارات استیلاء الاعداء دل ذلک علی
صدور ذنب وتقصیر من المؤمنین فیلزم تقدیم التوبة والاستغفار علی طلب النصرة لیکون طلبهم الی ربهم عن زکاء وطهارة واقرب
الی الاستجابة ثم انهم عمموا الذنوب اولا الصغائر والکبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصصوا الذنوب الکبائر بقولهم واسرافنا فی امرنا
لان الاسراف فی کل شیء هو الافراط فیه والمراد بتثبیت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد
بالنصر الامور الزائدة علی القوة والعدة والشدة کالقاء الرعب فی قلوب الاعداء وکاحداث احوال سماویة او ارضیة توجب انهزامهم کهبوب
ریح تثیر الغبار فی وجوههم واجراء سیل فی مواضع وقوفهم وفی الایة تادیب وارشاد من الله تعالی فی کیفیة الطلب عند النوائب جهادا کان
او غیره فاتاهم الله ثواب الدنیا من النصرة والغنیمة والعز وطیب الذکر وانشراح الصدر وثواب الاخرة هو الجنة وما فیها من المنافع و
اللذات وذلک غیر حاصل فی الحال والمراد حکم لهم بحصولها فی الاخرة وحکم الله بالحصول کنفس الحصول او المراد انه سیؤتیهم مثل اتی امر الله ای
سیاتی قال القاضی ولا یمتنع ان یکون الایة مختصة بالشهداء وانهم فی الجنة عند ربهم کما ماتوا احیاء وثواب الاخرة کله حسن فما ظنک
بحسن ثوابها وانما لم یصف ثواب الدنیا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وکدورتها وصفوها بالانقطاع والزوال قال القفال یحتمل ان
یکون الحسن هو الحسن کقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة کما یقال فلان جود وعدل اذا کان غایة فی الجود ونهایة فی العدل
وههنا نکتة وهی انه ادخل من التبعیضیة فی الایة المتقدمة فی قوله نؤته منها فی الموضعین ولم یذکر فی هذه الایة لان اولئک اشتغلوا بالثواب عن
العبودیة فلم ینالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم یذکروا انفسهم الا بالعیب والقصور ولم یسئلوا ربهم الا ما یوجب اعلاء کلمته فلا جرم فازوا
بالکل وفیه تنبیه علی ان من اقبل علی خدمة الله اقبل علی خدمته کل ما سوی الله ثم قال والله یحب المحسنین والاحسان ان تعبد الله کانک تراه
وههنا سر وهو انه تعالی وفقهم للطاعة ثم اثابهم علیها ثم مدحهم علی ذلک فسماهم محسنین لیعلم العبد ان الکل بعنایته وفضله یا ایها الذین امنوا
ان تطیعوا الذین کفروا عن السدی المراد بالذین کفروا ابو سفیان واصحابه فانه کان کبیر القوم فی ذلک الیوم والمعنی ان تستکینوا لهم
وتستامنوهم وعن علی هم المنافقون عبد الله بن ابی واشیاعه قالوا للمؤمنین عند الهزیمة ارجعوا الی اخوانکم وادخلوا فی دینهم وعن
الحسن هم الیهود والنصاری یستغوونهم ویوقعون لهم الشبهة فی الدین ولا سیما عند هذه الواقعة کانوا یقولون لو کان نبیا حقا
لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم انما هو رجل حاله کحال غیره من الناس یوم له ویوم علیه والاقرب انه عام فی جمیع الکفار فان خصوص
السبب لا ینافی ارادة العموم فعلی المؤمنین ان لا یطیعوهم فی شیء ولا ینزلوا علی حکمهم وعلی مشورتهم حتی لا یستجروهم الی موافقتهم
وهو المراد بقوله یردوکم علی اعقابکم ای الی الکفر بعد الایمان فتنقلبوا خاسرین فی الدنیا وهو استبدال ذلة الکفر بعزة الاسلام
والانقیاد للاعداء الذی هو اشق الاشیاء لدی العقلاء وفی الاخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع فی العقاب المخلد بل الله
مولیکم ناصرکم وهو اضراب عما کانوا بصدده من طاعة الکفار والمعنی انکم انما تطیعون الکفار لینصروکم ویعینوکم علی مطالبکم وهذا
خطأ وجهالة لانهم عاجزون مثلکم متحیرون وبغیر اذن الله لا ینفعون ولا یضرون وهو خیر الناصرین لو فرض ان لاحد سواه قدرة
علی النصرة لانه خبیر بمواقع الحاجات قدیر علی انجاز الطلبات بنصره فی الدنیا والاخرة بلا شائبة علة من العلل فنصرة غیره لو فرض
فانه مخصوص بالدنیا وببعض الامور وفی بعض الاوقات والغرض من الاغراض الفاسدة کیف ولا ناصر بالحقیقة سواه التاویل
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ان تلجوا عالم الملکوت ولم تظهر منکم مجاهدات توریث المشاهدات والصبر علی تزکیة النفوس وتصفیة القلوب
علی وفق الشریعة وقانون الطریقة بتجلی الارواح بانوار الحقیقة ولقد کنتم یا ارباب الصدق واصحاب الطلب تمنون الموت موت النفوس
عن صفاتها من قبل ان تلقوه المجاهدات والریاضات فی خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو فی الجهاد الاصغر ظاهرا
وفی الجهاد الاکبر باطنا فقد رایتموه هذه الاسباب التی کنتم تمنونها عیانا وانتم تنظرون ولا تقدرون اروا احکم ولا تجاهدون حق الجهاد
فی الله بارواحکم واشباحکم افان مات او قتل انقلبتم علی اعقابکم فیه ان الایمان التقلیدی لا اعتبار له فینقلب المقلد عن ایمانه عند

اعدام المقلد عن اول الدين او الاسناد وكذا عند موت المقلد فيتحير عند سؤال الملكين في قولهما له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان
لا دريت ولا تليت ويقولان فيه ما قال الناس فيقول كنت اقول زماناض نقول في هذا الرجل فيقول هاه هاه لا ادري كنت اقول فيه ما قال الناس فيقولان لا دريت ولا تليت وَسَيَجْزِي اللَّهُ بالايمان بالايمان الحقيقي
الشَّاكِرِينَ الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي باداء حقوقه وهو الايتمار باوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ عن
اوصافها الذميمة واخلاقها الردية وتتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذبات اشراق نوره كما ان ظلمة الليل لا ينتهي الا باشراق طلوع الشمس
ثم اثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وهذه رتبة الخواص اي من عمل شوقا الى الحق
وفقد اي نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت وفيه انشد خليلي هل ابصرتما او
سمعتما باكرم من مولى تمشي الى عبد اتى زائرا من غير وعد وقال لي لانه اصونك عن تعذيب قلبك بالوعد ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره
على النعمة فثوابه في الآخرة وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ اي كلا الفريقين على قدر شكرهما وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ فاول اعدى العدو الذي بين جنبيه
ومعه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما اصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة
والانفات الى ان تطيعوا الذين كفروا اي النفوس الكافرة سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
وصفاتها يردوكم الى اسفل سافلين بشريتكم وبهيميتكم

مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ۝ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ

حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ

الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى

أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ثُمَّ أَنْزَلَ

عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ

الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ

لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ

وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ۝ فَبِمَا رَحْمَةٍ

مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ

مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ القراءة الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلي ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون
العين وما ويهم وبابه بغير همز ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة





في الوقف لقد صدقكم وبابه بادغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وهشام وسهل ونغشى بتاء فوقانية وبالامالة حمزة وعلي
وخلف الباقون بالياء الغيبة كله بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب يعملون بياء الغيبة ابن كثير وحمزة وعلي وخلف حمزة لبناء
الخطاب بضم ومتنا بكسر الميم من مات يمات حيث كان نافع وعلي وحمزة وخلف وافق حفص الا هاهنا بالجواز فلهذا الباقون بضم
الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفين الظالمين
باذنه ج لان حتى يحتمل انتهاء الحسن ووجه الابتداء اظهر لاقتران اذا مع حذف الجواب اي اذا فعلتم وفعلتم ابتلي الامر
ويمنعكم نصره والوقف على تحبون ط في الوجهين الآخرة ج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل العطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم ج
عفى عنكم ط المؤمنين اصابكم ط تعملون ط طائفة منكم لا لان الواو للحال الجاهلية ط من شيء ط لله ط يبدون لك ط هاهنا ط مضاجعهم ج
لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اي ليبتلي حكم فيكم وليبتلي ما في قلوبكم الصدور الجمعان لا لان ان خبره كسبوا ج لاحتمال الواو وما
واستينافا عنهم ط حليم وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم او بمحذوف اي ذلك ليجعل في قلوبهم ط ويميت ط بصير
يجمعون تحشرون لنت لهم ج لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك ص للوصل ولجعل العطف للامر بالرحمة على الاتباع الغلظة في
الامر ج لفاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله ط المتوكلين لكم ج لابتداء شرط آخر مع الواو من بعده ط المؤمنون ه التفسير ثم بذكر في
هذه الآيات وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا شك ان هذا من
اسباب الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم احد او هو عام في جميع الاوقات الاظهر الثاني كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة
في يوم احد الا انا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله نصرت بالرعب مسيرة شهر
وذهب كثير من المفسرين الى انه مختص بيوم احد لورود في شأن ذلك القصة قال السدي لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين
الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا
فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى نادى ان ابا سفيان صعد الجبل الخوف
وقال اين ابن ابي كبشة يعني رسول الله صلعم اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فاجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملاء
القلب ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي القاء جميع انواعه فيها وانما يقتضي وقوع
هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهذا هو في
الواقع لانه لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما في الحرب واما في المحاجة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما اشركوا
اي بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الدعاء انما يصير في محل الاجابة عند الاضطرار كما قال أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ و
اعتقاد ان لله شريكا لا يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرني فذاك الآخر ينصرني فلا يحصل له الاجابة فيلزمهم
الرعب والخوف هذا على تقدير ان معبوديهم يصح منهم الاجابة فكيف وانهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا اي الهة لم ينزل
الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه قيل للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كانه الحق
بالقهر قال الجوهري السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ان هناك حجة الا انها لم تنزل لان الشرك لا يقوم عليه
حجة ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كل ما لا دليل عليه لم يجز اثباته
ومنهم من بالغ فيقول ما لا دليل عليه يجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على حدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا بالاحتياج
المحدثات اليه يكفي في دفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته اقول هذا اذا لم اسند للمنا بعد
الدليل على وجود الشريك على نفيه اما اذا اسند للمنا بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل
على نفي الشريك ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الآخرة فقال وماويهم النار والمكان الذي ياوي اليه النار
وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوي اذا اقام به ثم اكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله وعده
اذ تحسونهم تستاصلونهم قتلا قال اصحاب الاشتقاق حسه اي قتله لانه ابطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا اصاب بطنه وداسه
اذا اصاب راسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد انه صلعم رأى في المنام انه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين
يوم احد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الا ان
هذا كان مشروطا بشرط هو الصبر والتقوى وقيل المراد هو ان الرسول صلعم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم
ثبتم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم
وقيل لما رجعوا المدينة قال ناس من المؤمنين اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم قال بعض العلماء
هذا ليس بشرط فلهذا لم يقتض الجواب والمعنى فلقد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل الا ان وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر قال النبي

انه للمجازاة ثم اختلفوا فى الجزاء على وجوه احدها قال البصريون انه محذوف كما مر فى الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال الكوفيون جوابه وعصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع اخرجهم من المكان الذى عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها قال ابو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقطة والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما هزموا المشركين وراَتهم يصعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة وقال عبد الله بن جبير امير الرماة عهد الينا ان لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقى عبد الله مع طائفة دون العشرة الى ان قتلهم المشركون وقوله فى الامر اما ان يكون بمعنى الشان والقصة اى تنازعتم فيما كنتم فيه من الشان او بمعنى الامر الذى يضاده النهى اى تنازعتم فيما امركم الرسول به وعصيتم ترك ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية لانهم فشلوا اى ضعفوا عن الثبات طمعا فى الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول فى انا نذهب فى طلب الغنيمة ام لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية بمفارقة ذلك الموضع خاصة بالبعض اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الاخرة وفائدة قوله من بعد ما اريكم ما تحبون التنبيه على عظم شان المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم ذلك الاكرام واذاقهم وبال امرهم قوله ثم صرفكم عنهم قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وحالت الريح دبورا وكانت صباحتى وتغلب المشركين على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه واما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير قالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه الصرف عن الكفار معصية وقد اضافها الى الشيطان فى قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وايضا انه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا فى تاويل الاية وجوها قال الجبائى ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان اولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هناك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة اصلا فلهذا السبب جاز لهم ان يتنحوا عن ذلك الموضع ويتحرزون فيه عن العدو الا ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل فى جماعة من اصحابه فتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف جائزا اضافه الله الى نفسه بمعنى انه كان بامره وباذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه امرهم هناك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا فى تلك المعركة قتل اقاربهم واحبابهم من اعظم انواع الابتلاء فاذن الاية مشتملة على المعذورين فى الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وسبب العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان امر رسول الله وقال الكعبى ثم صرفكم عنهم بان لم يامركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال ابو مسلم الاصفهانى المعنى من الصرف انه تعالى ازال ما كان فى قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ومعنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما خالفوا فيه امره ثم اعلمهم انه قد عفى عنهم قال القاضى ظاهر قوله ولقد عفى عنكم يقتضى تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح ان يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن اهل العفو وقالت الاشاعرة لا شك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل جم غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الاية يدل على انه تعالى قد عفى عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الاية دليلا على انه قد يعفو عن اصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم فى جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم او عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالاية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة لان من انه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون اما منصوب باضمار واذكروا واما ان يتعلق بما قبله اى عفى عنكم اذ تصعدون كم ما صدعنهم من مفارقة ذلك المكان والاخذ فى الوادى كالمنهزمين بذنب فتزنوه او المعنى ليبتليكم اذ تصعدون او ثم صرفكم حين اصعاد والاصعاد الذهاب فى الارض والابعاد فيها قال معاذ النحوى كل شئ له اسفل واعلى كالوادى والنهر والازقة فيقال فيه اصعد اذا اخذ من اسفله الى اعلاه واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلون على احد لا تلتفتون البه واصله ان المعرج على الشئ يلوى اليه عنقه او عنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله انا رسول الله من كر فله الجنة فيحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى محاربة العدو فى اخريكم فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم بسبب الهزيمة قد تقدموه وبقى هو صلى الله عليه وسلم فى الجماعة المتاخرة يقال جئت فى اخر الناس واخراهم كما تقول فى اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم قال فى الكشاف انه عطف على صرفكم واقول لا يبعد ان يعطف على تصعدون لانه بمعنى اصعدتم بدليل ان يقال اثاب اليه اى رجع والمراة تسمى ثيبا لان واطيها عائد اليها فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان او شرا الا ان العرف خصه بالخير فان حملنا لفظ الاية على اصل اللغة استقام بلا تاويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك





السيف وتحيتك الضرب اى جعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو فى الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء فى بغم يحتمل ان يكون بمعنى المعاوضة نحو بعت هذا بذاك ويحتمل ان يكون بمعنى المصاحبة اما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم لما اذقتم الرسول غما بسبب عصيانكم امره اذاقكم الله غم الانهزام وقيل الاحتساب والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد غم يوم احد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفى الكشاف يجوز ان يكون الضمير فى فاثابكم للرسول اى فاساكم فى الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغيره غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ومن الانهزام فى سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها واما الاحتمال الثانى ففيه وجهان احدهما ان يكون هناك غمان الاول ما اصابهم عند الفشل والتنازع والثانى ما حصل عند الهزيمة او الاول غم فوت الغنائم والثانى ان ابا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما والاول هذا والثانى خوفهم من رجوع المشركين واستيصال المسلمين او الاول ما اصابهم فى انفسهم واموالهم والثانى غم الارجاف بقتل الرسول او الاول خوف عقاب المعصية والثانى غم التوبة فانها لا تتم الا بالعزم على ترك المعاودة واذا امرهم بالمعاودة بعد الفلة والذلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان لم خاف الكفر وعقوبة الاخرة وثانيهما ان يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشمل جميع الغموم المعدودة وما ينخرط فى سلكها ثم اللام فى قوله لكيلا تحزنوا يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد عفى عنكم لان فى عفوه تعالى ما يزيل كل هم وحزن واما ان يتعلق بقوله فاثابكم فيكون المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم احد فى مقابلة ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصايبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوائدها قالت الاشاعرة معنى اثابة الغم من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شئ واما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه اسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغتمون بالمضار وهم لا يحمدون على ذلك ولا يذمون وان سلم انه بخلق الله فلرعاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية ولكن الغرض ان لا يبقى فى قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول فانما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابهم من غلبة العدو وان جعلنا الباء بمعنى مع فالمعنى كما فى قول الزجاج او المراد انكم قلتم لو بقينا فى هذا المكان وامتثلنا وقعنا فى غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم امر الرسول وطلبتم الغنيمة وقعتم فى غموم اخر كل واحد منها اعظم مرد فيصير هذا مانعا لهم من ان يحزنوا على فوات الغنيمة فى وقعة اخرى ثم كما زجرهم على تلك المعصية بزاجر دنيوى زجرهم بزاجر اخروى فقال والله خبير بما تعملون عالم بجميع اعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم اخبر ان الذين كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد فريقان احدهما الجازمون بحقيقة هذا الدين وان هذه الواقعة لا تؤدى الى الاستيصال الاخبار الصادق ان هذا الدين سيظهر على سائر الاديان فخاطب الجماعة بقوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا واراد هؤلاء بقوله يغشى طائفة منكم والامنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور فى اوائل النوم وانتصاب منه على انها حال متقدمة من نعاسا مثل رايت راكبا رجلا او مفعول له بمعنى نعستم امنة او على انه حال من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع امن كبار وبررة او على انه مفعول انزل ونعاسا بدل منه قال ابو طلحة غشينا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل تحت جحفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود النعاس فى القتال امنة والنعاس فى الصلوة من الشيطان وذلك انه فى القتال لا يكون الا من غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون فى الصلوة الا من غاية البعد عن الله وكان فى ذلك النعاس فوائد منها ان شموله للمؤمنين كلهم لا فى الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة له صلى الله عليه وسلم موجبة لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم فى الجهاد ومنها ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس يجدد القوة والنشاة ومنها شغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها ان الاعداء كانوا حراصا على قتلهم فبقاؤهم سالمين فى تلك المعركة وهم فى النوم من ادل الدلائل على حفظ الله وكلاءته معهم ومن الناس من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف للفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع ان فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم ان من قرأ تغشى بالتاء فللعود الى الامنة ومن قرأ بالياء فلعود الى النعاس وبنصره كونه اقرب وكون المبدل فى حكم المنحى وموافقته لقوله فى قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب يقول غشيه النعاس وقلما يقولون غشيه الامن ولان النعاس والامنة لما كانا شيئا واحدا كان التذكير اولى واما الفريق الثانى فهم المنافقون الذين كانوا فى شك من نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن ابى ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله وطائفة قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم النبى ولا المسلمين والمهم الامر الشديد يقال اهمنى ذلك الامر اى اقلقنى واحزننى فالمعنى اوقعتهم انفسهم فيما حل بهم فى الهموم والاشجان فهم فى التشاكى والبث والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشئ و

واستغرقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان احب الاشياء عندهم هو النفس كانت اسباب الخوف على النفس هناك موجودة والدافع لذلك وهو
الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن هناك الا هم انفسهم يظنون بالله غير الحق وهو في حكم المصدر اي غير الظن الحق الذي يجب ان
يظن به وظن الجاهلية بدل منه والفائدة في هذا الترتيب ان غير الحق اديان كثيرة واردأها مقالات اهل الجاهلية فذكروا انهم يظنون بالله
ظنا ما ظلا تبين انهم اختاروا من الاديان اردأها كما يقال فلان دينه ليس بحق دينه دين الملاحدة او ظن الجاهلية مصدر وغير الحق تاكيد للظنون
كقولك هذا القول غير ما تقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما اضيف للملابسة اي الظن المختص بالملة الجاهلية
وهي زمان الفترة قبل الاسلام او يظن اهل الجاهلية وهم اهل الشرك الجاهلون بالله فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك
الظن الذي هو انهم كانوا ينكرون الاله العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول
النبي ص ان الله يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو انهم كانوا يقولون لو كان محمد حقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد اما عند اهل
السنة فلانه تعالى فاعل ما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه واذا شرف المولى عبده بخلعة لم يجب ان يشرفه من بعد واما المصالح في افعاله واحكامه فلا
يبعد ان يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه لاضطر
الناس الى معرفة الحق وكان ينافي التكاليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز
الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شيء حكاية شبهة تمسك
بها اهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها احدها هل لنا من التدبير من شيء يعنون راي عبد الله بن ابي
وان النبي ص لم يقبل قوله حين امره ان يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكي عنه لو اطاعونا ما قتلوا وثانيها من عادة العرب
انه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر اي هل لنا من الشيء الذي كان يعدنا به محمد ص وهو النصر والقدرة
شيء وثالثها انقطع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء والغرض منه تعيير المسلمين على التشدد في الجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله قل ان الامر
والحوادث باسرها مستندة الى قضاء الله وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك
واذا اراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا الدين على الاديان وقع لا محالة يخفون في انفسهم في ضمائرهم او فيما بينهم ما لا يبدون لك وذلك
الخفي قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من يذب عنه ولما قتل من المسلمين من قتل
في هذه المعركة فامر الله تعالى نبيه ان يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا
فيها لان ما كتب في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم
تتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم
وليمحص ما في قلوبكم خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذي
في الصدر والتمحيص مورده الهيئات والعقائد التي في القلب واعلم ان نسق هذه الاية انيق ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدا واهمتهم
صفته ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره محذوفا اي وثمة او ومنهم طائفة واهمتهم ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى اهمتهم انفسهم
ظانين او استينافا على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون او بيان واما وقوع القول الذي مقوله انشاء بدلا من الاخبار
بالظن فلان سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرا كله بالرفع
فلانه مبتدا ولله خبره والجملة خبر ان ومن قرا بالنصب فلكونه تاكيدا للامر ولله خبر ان كما لو قلت ان الامر اجمع لله وقوله يقولون استيناف
وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف واما نظمه فانه لما اخبر عن هذه الطائفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بانهم يقولون
هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بل شاكا في حقية هذا الدين وفي المبدا والمعاد وفي القضاء و
القدر فازال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك
مظنة ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين اراد ان يكشف عن حالهم ويبين مقالهم كيلا يغتر بهم المؤمنون فقال
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ذلك القول انما صدر عنهم في هذه فكان لسائل ان يسال ما الذي يخفونه في انفسهم فقيل
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل ان يراد لو كان لنا راي مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل
ههنا فيكون كالطعن في قوله قل ان الامر كله لله قال في التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السني والمعتزلي فذاك يقول
والعصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء امن وان شاء كفر فامر النبي ص ان يجيب عن هذه الاعتقاد
بان ما قضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح ففائدته الابتلاء وهو ان يتميز الموافق من
المنافق لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهر القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال والله عليم
بذات الصدور قد صاحبتها وهي الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه لا يخفى عليه شيء وانما ذلك لمحض الالهية او للاستصلاح





قوله عز من قائل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يوم احد ذكر محمد بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم
ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان اولهم سعد بن عثمان اخبر ان رسول الله ص قتل ثم بعده رجال دخلوا على نسائهم
وجعل النساء يقلن اعن رسول الله ص تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هناك المغزل اغزل قال بعض الرواة ان المسلمين لم
يبعدوا الجبل قال القفال الذي يدل عليه الاخبار في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر
الجوانب واما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هنالك ومن المنهزمين عمر الا انه لم يكن في اوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على
الجبل الى ان صعد النبي ص ومنهم ايضا عثمان انهزم هو ومع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم
رجعوا بعد ثلثة ايام فقال لهم النبي ص لقد ذهبتم فيها عريضة واما الذين ثبتوا مع الرسول ص فكانوا اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين
ابو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من
الانصار الحباب بن المنذر وابو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان
ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت ثلثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمة
وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروي عن ابن عيينة انه اصيب بين يدي رسول الله ص نحو من ثلثين
كلهم يجيء ويجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع انما استزلهم الشيطان تقول زللت يا فلان تزل زللا
اذا زل في طين او منطق والاسم الزلة واستزله غيره كانه طلب منه الزلة ودعاه اليها والباء في ببعض ما كسبوا للاستعانة مثلها في كتبت
بالقلم والمعنى انه كان قد صدر عنهم خيانات فبواسطة تلك الخيانات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير وجوه قال
الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا
لقاء الله الا على حال يرضونها والا بعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين فيه وقيل انهم لما اذنبوا بسبب
مفارقة المركز اوقعهم الشيطان بشوم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشومها قدر الشيطان على
دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال ببعض ما كسبوا لان الكسب يكون جرا
كقوله لها ما كسبت او لان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال
الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل ان يكون الباء بمعنى في اي السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض الاعمال
اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد وتقوية القلوب
حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون عملا اخر اما في هذه الغزوة او
قبلها ولقد عفا الله عنهم فيه بيان انهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقي البحث في اي ذنب هو والظاهر انه
التولي لان التوبيخ وقع عليه والاية سيقت لاجله ثم انه من الصغاير او من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه ان كان من الصغاير
فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الاية قال القاضي الاقرب انه من الصغاير
لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة
والخطا في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا النص حيث عفي عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار
فليحمل على الظن ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ما يزيد عنهم في الجهاد فقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافقي يوم احد كعبد الله بن ابي واصحابه وفيه دليل على ان الايمان ليس
عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والا لم يسم المنافق كافرا وقالوا لاخوانهم مثل قال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك انهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والمقتول لا يكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان
المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا اقارب المنافقين وكانوا
مسلمين او اتفاق الجنس ولعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد
محاربة العدو قريبا كان او بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سائق وسوق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون ان ضربوا او اذ
ضربوا الذي شاكل في المعنى قوله وقالوا لانه اراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض فالكافرون يقولون لو كانوا
ما ماتوا وما قتلوا فمن حكى عنهم بعد ذلك لا بد ان يقول قالوا ويجوز ان يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي
لانه لازم الحصول في المستقبل مثل اتى امر الله وفيه دلالة على جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة
كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القران اولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال
الواحدي في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا واما اللام

في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ففي متعلقه وجهان الاول انه قالوا اي قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله ذلك الكلام حسرة فيكون
لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف استعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لان اقارب
ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو بالغوا في منعه عن ذلك السفر والغزو لم يمت او لم يقتل فازدادت حسرتهم وتلهفهم
بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد ان الحيوة والموت لا يكونان الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شيء من هذا النوع من الاسف
وقيل لانهم اذا القوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون في الجهاد غنيمة بقي اولئك المتخلفون في الخيبة والندامة
وقيل المراد حسرتهم يوم القيمة اذا راوا ثواب المجاهدين وقيل لتقصو خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعدما اعلم الله المؤمنين بطلانها
وقيل الغرض انهم واجتهادهم في تكثير الشبهات يعمي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة الوجه الثاني ان تعلق
اللام قوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونهم مثلهم حسرة لان مخالفتهم
فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم ثم قال والله يحيي ويميت ردا لجهالتهم وجواب عن مقالتهم اي الامر بيده والخلق له فقد يحيي المسافر
والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف ان يتلقى اوامره بالامتثال فالله اعلم بحقيقة الاحوال ولا يجري الامور الا على وفق قضائه
واحكامه ونقضه وابرامه كل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت
كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء وفي امثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف
ضربة بالسيف اهون من موت على فراش ويجوز ان يكون المراد والله يحيي قلوب اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب اعدائه
بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم ومن قرا على الغيبة فالضمير للذين كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما ذكر
الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه سبب للقاعد عن الجهاد وتنفر الطبع
عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون فاللام الاولى هي الموطئة
والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الاية الاخرى والمعنى ان القتل والموت في السفر وغيره لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا
بالسفر ولئن سلم انه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله ولان لذلك الخير مما يجمعون من الدنيا وما فيها لو لم تموتوا
وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرا بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال
الذي يعد خيرا او ورد على حسب معتقدهم ان اموالهم خير لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد
قد يموت صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى في الغد فكم من امير اصبح اسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعل
مانعا من مرض او خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالالام ومنافعها مخلوطة بالمضار وبتقدير
صفائها عن الشوائب فلا بد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الاخرة اصفى واضفى وابقى وانقى ولا سيما منافعها العقلية واي نسبة
لانتفاع الحمار بلذة قبقبه وذبذبه الى ابتهاج الملائكة المقربين بشروق انوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع اخر فقال ولئن متم او قتلتم
لالى الله تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت والقتل بقيتم اياما قلائل في الدنيا مع اللذات الحسية
الخيالية فتركتموها لا محالة فيكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو عرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال في دين الله وصلتم
الى اعلى الدرجات وهي مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الاية الاولى وعكس في الثانية ليقع الابتداء والختم على ما هو افضل
او لان الاية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا
وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه باي جهة يفارقون الدنيا ولا شك ان الغالب على احوال الخلق كلهم
الموت ولهذا السر اطلق القتل اطلاقا ليعم انواع القتل كلها وفي قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر
وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على
اللطف اعظم انواع الوعد ولدلالته على كمال القهر اشد انواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمي في الحرف المتصل باسم الله تنبيها على
ان الالهية تقتضي هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز في العقول من انه هو الذي يبدئ
ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها انه اضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا او اموات لا يخرجون عن قبضته ومنها انه
خاطب الكل ليعلم ان القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في بساط العدل وفضاء القضاء موقوفون واعلم انه
تم ذكر في الايتين المغفرة والرحمة والحشر فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه و
الثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم اهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه ما احسن هذا التنويع روي ان
عيسى مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم وراى عليهم سيماء الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال
هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باخرين فراى عليهم تلك الاثار فسالهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو اكرم من ان

يمنعكم



ان يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث وراى عليهم سيماء العبودية اكثر فقالوا نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال انتم
المخلصون والمتعبدون المحقون قال القاضي في الاية دليل على ان المقتول ليس بميت لانه لو كان لكان قوله ولئن متم او قتلتم عطفا للشيء على
نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما ارشدهم في الايات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من
جملة ذلك ان عفى عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلعم حين عفى عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم روي ان امراة عثمان
دخلت على النبي صلعم وكان النبي صلعم وعلي عم يغسلان السلاح فقالت ما فعل ابن عفان اما والله لا تجدونه امام القوم فقال لها علي ان عثمان
فضح الذمار اليوم فقال رسول الله صلعم مه وروي انه قال حينئذ اعياني ازواج الاخوات ان يتحابوا ولما دخل عثمان مع صاحبيه ما زاد على ان قال
لقد ذهبتم فيها عريضة وعنه انه قال انما انا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب احدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال
لا حلم احب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل ابغض الى الله من جهل امام وخرقه فلما كان صلعم امام العالمين وجب ان يكون اكثرهم حلما و
احسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوبهم اليه وسكنت نفوسهم لديه وراوا فيه اثار الشفقة
وامارات النصيحة عن بعض الصحابة انه قال لقد احسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله صلعم بهذا الدين جملة وبالقرآن
دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما
وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم ان من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه
يعلم ان الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا فاته مطلوب لم يغضب واذا حصل له
مطلوب لم يانس به لانه مطلع على الروحانيات التي هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع احدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها
ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العشرة مع الخلق ولما كان صلعم اكمل البشر في القوتين النظرية و
العملية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب ان يكون اكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت
لهم وما مزيدة للتوكيد اما الحكم بزيادتها فللنظر الى اصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكانه قال فبرحمة واما افادتها التوكيد فلا محالة
زيادة حرف لا فائدة فيه اصلا وجوز بعضهم ان يكون استفهامية للتعجب والتقدير فباي رحمة واذا كان لينه ورفقه رحمة من الله لان
الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تع فلا رحمة بالحقيقة الا له ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمته عوضا
كالخوف من العقاب والطمع في الثواب او الثناء او يحمله على ذلك رقة طبع او حمية او عصبية الى غير ذلك من الاغراض وايضا رحمة المخلوق على غيره
لو تمت ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد مواتاة سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه وربطه
على جاش الراحم وضبط حال المرحوم ثم بين ان الحكمة في لين جانبه ما هي فقال ولو كنت فظا سيء الخلق واصله فظظ كحذر فظظت يا رجل بالكسر
فظاظة غليظ القلب قاسيه بحيث لا يتاثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك
احد والتركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام ويقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك منهم من حمل الاية على واقعة احد فقال
فبما رحمة لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا
هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال
حق من حقوق الله ولهذا امر بالغلظة في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في الزانية والزاني ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم
فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع اخر ان الفضيلة في الوسط وهو استعمال الكل في شيء في موضعه وان طرفي
الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى واحتج الاشاعرة بالاية في مسئلة القضاء والقدر وذلك ان
حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد صلعم من الهداية والدعوة والبيان
والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين اصفى الاصفياء وبين اشقى الاشقياء
فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستندا الى رحمة الله هذا خلاف نص الاية فاذن جميع افعال العباد بقضاء
الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق كل
المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف بالحقيقة كسب نفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله
ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على انه اوجب عليه ان يعفو
عنهم في الحال كانه تعالى قد عفى عنهم كانه قيل اعف عنهم قبل عفوك عنهم فاني قد عفوت عنهم واستغفر لهم فاني غفرت لهم قبل ان
تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر والمشاورة ماخوذة من قولهم شرت العسل اذا اجتنيته و
استخرجته من موضعه وقيل من شرت الدابة شورا عرضتها على البيع اقبلت بها وادبرت والمكان الذي تعرض فيه الدواب مشوارا

يقال اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار و تركيب يدل على الاظهار والكشف فبالمشاورة يظهر خير الامور وحسن الاراء وقد ذكر
العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس واعقلهم فوائد منها انها توجب علو شانهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم
وفي تركه ذلك نوع من الاهانة والفظاظة وكان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا
يبعد ان يخطر ببال احد ما لم يخطر بباله ولا سيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم
حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فاخطؤا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان مظنة انه قد بقي في
قلبه اثر من تلك الواقعة ومنها ان يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها ان تصير النفوس الطاهرة متطابقة على تحصيل
اصلح الوجوه فيكون اعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وهذا هو السر في الجماعات والجمعة ومنها
انه تعالى امر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وامره بها بعدها ليدل على انهم الان اعظم حالا مما كانوا وان عفوه اعظم
من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل به وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة
فيه لانه اذا جاء النص بطل الراي والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل يجوز المشاورة في كلها ام لا قال
الكلبي وكثير من العلماء ان الامر ههنا مخصوص بالحروب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي بالاتفاق فهو اذن للمعهود
السابق وليس ذلك الا ما جرى من امر الحرب في قصة احد وقد استشار الحباب بن منذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول على الماء فقبل منه واشار
عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة فقبل منهما وخرق
الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص منه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة في الباقي وكيف لا وانه كان مامورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي
لقوله فاعتبروا يا اولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من امور الدين
وقد عد المشاورة من جملة ما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب وفي قول عن الشافعي انه حمله على الندب قال وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم
البكر تستامر في نفسها ولو اكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الراي على شيء
بعد الشورى فتوكل على الله لان الاعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والراي الحسن عن جابر بن زيد العزم فاذا عزمت
بالضم اذا ارشدتك الى شيء واوقفتك فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر
فلا غالب لكم احد وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه لان الفعل عامل وهو من قولك
ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك
الجذبات فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء لانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله فليتوكل
المؤمنون امرهم بالتوكل لما علم ان الامر كله له ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه وليس المراد بالتوكل ان يهمل
الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائط والاسباب كما يتصور الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل
هو ان يراعي الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتاييده وتوفيقه وتسديده التاويل ولقد صدقكم الله
ايها الطلاب وعده الامن طلبني وجدني اذ تقتلون جنود الصفات البشرية بارة لا على وفق الطبع حتى اذا رايتم قتال النفس وحال القتل
في امر الطلب عصيتم الدليل المربي من بعد ما اريكم الدليل بالبينة ما تحبون من دلالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ دلكم على الله
لان منكم من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الاخرة وفي هذه الاية عند الشبلي فضاح صيحة وقال ما كان من احد
يقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلائها عليكم ليمتحنكم بالستر بعد ما تجلى لكم انوار المشاهدات
وبالصحو بعد ما اسكركم باقداح الواردات وبالقطع بعد ما ارضعكم بالبان الملاطفات ولقد عفى عنكم يعني بعد ابتلائكم عفى
الله تعالى تكم الى الدنيا والاخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين في الازل اذ تصعدون في طريق الحق طالبين بعد
ما كنتم هاربين لا تلتفتون الى احد من الامرين الدنيا والاخرة ورسول الوارد من الحق يدعوكم الى عبادي فجازاكم بدل غم الدنيا والاخرة
غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا لما اصابكم من نعيم الاخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والاخرة
وطلب جده فلا يضيع جهادكم ويوفي جزاءكم ثم اخبر عن انزال الحقائق على الطائفة على غيبها في صورة مختلفة فانزل الامن في صورة النعاس على اصحاب
واخرج جواهر الوقائع الغيبية لارباب القلوب والمكاشفات من معدن النعاس فان اكثرها يقع بين النوم واليقظة وطائفة من ارباب
النفوس ومدعي الاسلام لا همة لهم الا هم انفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها ظن الجاهلية وهو ان الامور الى الخلق
لا الى الله ولا بقضائه وقدره هل لنا من امر النصرة والظفر من شيء ما قتلنا ههنا بالباطل على ايدي حزب الشيطان وليبتلي الله
على ما في صدوركم ايها المنافقون لان الصدر معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ونزعنا ما في صدورهم من غل يوسوس في صدور
الناس وليمحص ما في قلوبكم ايها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمينان كتب في قلوبهم الايمان الا بذكر الله تطمئن القلوب وسنة





الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استحق
من معدن الانسان حديده ما كسبوا من التولي ليجعله مراة ظهور صفات العفو والمغفرة والحلم ولقد عفى الله عنهم ان الله غفور حليم
ليعلم ان الله تعالى في كل شيء من الخير والشر اسرار لا يعلمها الا هو ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد وسلكوا في ارض نفوسهم سبيل الرشاد او كانوا غزى مجاهدين مع كفار
النفس والهوى والشيطان لو كانوا موا في معنا ما ماتوا بمقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول
حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب اهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحزنون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة
الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون انهم يحسنون وباقي الحقايق قد مرت في التفسير وقد سنح عند تحرير هذا الموضع ان قوله فبما رحمة
من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني انه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفي
كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانفضت من الجوانب وتلاشت ولتعطلت
حكمة التدبير وفقدت الكمالات التي خلق الانسان لاجلها ثم الكلام في ان هذا اللين لا بد له من الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط ولا
يخرج عن قانون الشرع والعقل كما نقدره الله حسبي وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا
يظلمون افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماويه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله
بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا
قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين
وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا
لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف
عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين الذين استجابوا لله و
الرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا
رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين
القراءة يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير رويس والباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول
ولا يحسبن بياء الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر

على الباقون بالفتح وخافوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف
الوقوف ان يغلط لابتداء الشرط يوم القيمة ج لانتهاء جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون نصف الجزء وجهنم ط المصير عند الله بما تعملون
والحكمة ج لمكان العطف مبين مثليها ج لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط انفسكم ط قدير وليعلم المؤمنين ج نافقوا ج لاحتمال
العطف والاستيناف والوصل على تقدير وقد قيل لهم او ادفعوا ط لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستيناف في قلوبهم ط يكتمون ج
لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون او خبر مبتدأ محذوف ما قتلوا ط صادقين امواتا ط عند ربهم ص يرزقون لا لان فرحين
حالهم من فضله لا للعطف من خلفهم لا لتعلق ان بيحزنون م للابتر واستيناف الفعل اذ يستحيل ان يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون
وفضل لان التقدير وبان ومن كسر وقف الجملة ح اعتراضية المؤمنين ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدأ خبره للذين احسنوا
او نصبا على المدح الاول اوجه لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدأ محذوف ايمانا ق و
الوصل اولى للعطف واتصال توكل اللسان بيقين القلب الوكيل سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم اولياء ص لوصل النهي عن الخوف بعد
ذكر التخويف مؤمنين التفسير هذا حكم من احكام الجهاد واصل الغلول اخذ الشيء في خفية يقال اغل الجازر والسالخ اذا ابقى في الجلد شيئا من
اللحم ليسرق والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذي يجري في اصول الشجر لانه مستتر
بالاشجار وقال صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقال ايضا هدايا الولاة غلول قال الجوهري غل يغل غلولا اي خان
واغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال ابو عبيدة الغلول في المغنم خاصة وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر عن
ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلثة دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله
اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك
لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك
لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم
يجيء يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيمة على
رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك ومعنى الاية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين ما كان
لنبي ان يخون اي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها اعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار
في الاخرة كيف وانه امين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات فلا يكون امينا في الارض هيهات قيل اللام منقولة والتقدير
وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اي وما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان احدهما
يخان اي يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان النبي عليه كلما كان اجل منصبا كانت
الخيانة في حقه افحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الاخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت
كانوا في غاية الفقر فكانت تلك الخيانة وقتئذ قبح وثانيهما يخون اي ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد يقول العرب اكفرت
الرجل جعلته كافرا او نسبته الى الكفر قال القتيبي لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى ان يقال هو من اغللته اي
وجدته غالا او لا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل
وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبي ان يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان اغل بمعنى وجده غالا وانما
يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها
وقد طعن بعضهم في هذه القراءة وقال ان اكثر ما جاء من هذا القبيل في التنزيل اسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان لا نشرك ما
كان ليأخذ اخاه ما كان لنفس ان تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس انه قال ليس
في الكلام ما كان لك ان تضرب بضم التاء والحق ان القران حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روي انه صلى الله عليه وسلم لما وقعت غنائم
هوازن في يده غله رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما
اسباب النزول اكثر ما روي انه اخر قسمة الغنيمة في بعض الغزوات لمانع فجاء قوم وقالوا الا تقسم غنائمنا فقال صلى الله عليه وسلم لو كان لكم مثل احد
ذهبا ما حبست منكم درهما اترون اني اغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان اشراف الناس طمعوا ان يخصهم النبي صلى الله عليه وسلم من الغنائم
بشيء زائد فنزلت وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت

مبالغة



مبالغة في النهي لرسوله يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا
وتقبيحا بصورة الامر وقيل نزلت في اداء الوحي كان يقرأ القران وفيه عيب دينهم وسب الهتهم فسألوه ان يترك ذلك فقيل ما كان لنبي
ان يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس او رهبة عنهم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره
نظيره في مانع الزكوة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس انه قال يمثل له ذلك الشيء في قعر جهنم
ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه
الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت ذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك قد يكون
انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال امره ويكون فيه تفضيح مقصوده قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيمة وعلى
رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لو باله
وتبعته والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويقرره عليه يوم القيمة ويجازيه لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل
اشتهار من يحمل ذلك الشيء وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات للجزاء لكل كاسب على
سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب هذا ابلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء فقيل ثم يوفى ما كسب فضل
ما احتمل فقال افمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره امن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك افمن اتبع رضوان الله
في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه بشدة ارادة انتقام لاجل الغلول وقال الزجاج افمن اتبع رضوان الله بامتثال امر
النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى دفع المشركين يوم احد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والاخرون المنافقون
وقيل افمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب لتكون
الاية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله وماويه جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا
يجوز في الحكمة ان يسوى بين المسيء والمحسن فانه لا كان اغراء بالمعاصي واباحتها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل اي لهم درجات
وحسن هذا الحذف لان اختلاف اعمالهم كانه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية
يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراقية والاظلام ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم في انفسهم درجات لا انهم
درجات وقيل المراد ذوو درجات ثم الضمير الى اي شيء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في اهل الثواب
والدركات في اهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان ماويهم جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان و
يؤيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا ولا يراد به عندية المكان لتنزهه تعالى عن
ذلك الا انه يفيد في الجملة تشريفا وانه يليق باهل الثواب قال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب لانهم متفاوتون في العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان منهم ضحضاحا وغمرا وقال ان اهون اهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يا رب وهل يعذب احد
عذابي والاوجه ان يكون عائدا الى الكل لان درجات اهل الثواب متفاوتة وكذا دركات اهل العقاب حسب تفاوت اعمال الخلق وقد
يستعمل الدرجات في مراتب اهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بمقدارها قوله عز من قائل لقد من الله
على المؤمنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما بينهم لم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق من هذا حاله الخيانة
ومنها كانه تعالى قال الا اكتفي في وصفه بان انزهه عن الخيانة ولكني اقول ان وجوده فيكم من اعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم جاهلين
وانما حصل لكم الشرف في العلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل ان يعينه بما قدر
عليه يكون باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المنة ههنا الانعام على
من لا يطلب الجزاء منه والوجه في المنة اما ان يعود الى اصل البعثة واما ان يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول ان الخلق مجبولون على
النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه دلائل الكمال ويزيح عللهم في كل حال وايضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم
لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبي صلى الله عليه وسلم لهم وايضا انهم جبلوا على الكسل والملل وهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات
فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة انوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند
سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم اليه ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الثاني ان هذا الرسول بعث من انفسهم اي
من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده وعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من امن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين
منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم اخذ ما يجب اخذه عنه واذا كانوا واقفين على احواله في الصدق
والامانة كان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه ايضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابرهيم عليه السلام
كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتوراة والانجيل وما كان للعرب ما

يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وانزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الامم وقيل من انفسهم اي من جنس الانس لا من الملك
لان الجنس الى الجنس اميل ويروى عن النبي صلعم وعن فاطمة رضي الله عنها انهما قرا من انفسهم بفتح الفاء اي اشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون
عاما ويحتمل ان يراد بهم العرب ويصح لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة
ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد واما سائر اوصافه من قوله يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
فقد مر تفسيرها في البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين كما سلف في قوله وان كانت
لكبيرة ومعنى المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون اعم نفعا
واتم وقعا ثم لما اجاب عن نسبة النبي صلعم الى الغلول حكى عنهم شبهة اخرى وهي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله
الى هذا واجاب عنها بقوله قل هو من عند انفسكم والواو في قوله اولما اصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة
احد الا ان حرف الاستفهام قدم على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومقول القول انى هذا واصابتكم في محل الجر باضافة لما
اليه والتقدير اقلتم حين اصابتكم ويجوز ان يكون الجملة معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ من اين اصابنا هذا وكيف نصر علينا
ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبي معهم والمراد بالمصيبة واقعة احد بمثليها واقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين
يوم احد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل اراد نسبة الضعف في الهزيمة لا في عدد القتلى والاسرى فالمسلمون
هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم ايضا في الاولى يوم احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل
مرة واحدة فخرج عن قوله قد اصبتم مثليها جواب ضمني يعني ان احوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثلي ما نالوا منكم فما
وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب آخر فقال قل هو من عند انفسكم وفي تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة لشوم معصيتكم وذلك انهم
عصوا الرسول في امور في الخروج عن المدينة وكان رأيه الاقامة ثم في الفشل وفي التنازع وفي مفارقة المركز وفي الاشتغال بطلب الغنيمة
الثاني ما روي عن علي عم انه قال جاء جبرئيل عم الى النبي صلعم يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى
وامرك ان تخيرهم بين ان يقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان يأخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلعم ذلك
للقوم فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا فاخذ الفداء منهم فيتقوى به على قتال العدو ونرضى ان تستشهد منا بعدتهم فقتل يوم
احد سبعون رجلا بعدد اسارى بدر فمعنى هو من عند انفسكم هو باخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالاية على ان العبد
مختار في الفعل والترك لانه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله ان الله على كل شيء قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون
الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله ان يقدر عليه لامتناع ايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافي انتهاء
الكل الى مسبب الاسباب ويؤيده قوله وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس اي وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية
للمؤمنين لان الرضاء بالقضاء لازم وقيل بتخليته لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبرت المصالح
فذلك قد وقع ليعلم المؤمنين اي ليتميزوا عن اهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصور
انهم شرعوا في الاعمال اللائقة بالنفاق في ذلك الوقت واحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القائل رسول الله
كان يدعوهم الى القتال وقيل هو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري لما انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس تبعهم فقال انشدكم الله
في نبيكم وانفسكم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ان كان في قلبكم حب هذا الدين او ادفعوا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم يكن بكم غم الآخرة
وطلب مرضات الله اي كونوا من رجال الدين او من رجال الدنيا وقال السدي وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا
معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة والرعب ثم انه كان سائل سأل فماذا اجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم كانهم جحدوا ان يكون بين الفريقين قتال البتة والمراد لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لوافقناكم عليه
لكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة وذلك ان رأي عبد الله كان في الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم في
الجواب فاسد اما الاول فلان ظهور امارات الحرب كافية في وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن في امور الدنيا قائم مقام العلم
ولا امارة اقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل احد واما الثاني فلانه تعالى لما وعدهم النصر والغلبة ان صبروا واتقوا لم يكن الخروج
الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولو كان كذبوا بهم قال هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانهم تباعدوا بهذا الجواب المبني عن الدغل
والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم او المراد انهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال
تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال اكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان القرب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال
الله اقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة الف او يزيدون فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدي فيه دليل على ان الآتي بكلمة
التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول بكفرهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم





خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد والله اعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجاري احوالهم
فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء الذين قالوا منصوب على الذم او على البدل من الذين نافقوا او مرفوع على الذم اي هم الذين او على البدل من ضمير يكتمون
وقيل يجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم احد اخوة في النسب او في سكنى الدار
او في الجنسية في النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه وعن الاصم بانه قد خرج يوم احد فكيف يصف
بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد قعدوا عن القتال والجواب ان القعود عن القتال هو الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لو اطاعونا
في امرنا اياهم بالقعود ما قتلوا كانهم قعدوا واكتفوا بذلك بل ارادوا تثبيط غيرهم وذلك لحب الطباع من محبة الحيوة وكراهة الموت ومن
يسمع يخل فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب في القعود ونفر طبعه عن الجهاد فاجابهم الله تعالى بقوله قل فادرؤا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين في ان الحذر يغني عن القدر وان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من اسباب النجاة وفيه استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا
دفاعين لاسباب الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على ان
القتل امر مكروه يجب على العاقل ان يتحرز عنه لو امكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا والخطاب
للرسول او لكل احد ومن قرأ على الغيبة فالضمير للرسول والمراد لا يحسبن حاسب او لا يحسبنهم امواتا وضمير المفعول للذين قتلوا اي لا تحسبن
الذين قتلوا انفسهم امواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه مذكور كلاهما كما حذف المبتدأ في قوله بل احياء اي هم احياء للدلالة
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى
قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا
في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغكم عنهم فانزل هذه الاية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلعم فقال
ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا
فقال يا عبدي سلني اعطك فقال اسألك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يا
رب فابلغ من ورائي فنزلت وقال جماعة من اهل التفسير نزلت الاية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم
نعمة او سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الاية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم انهم احياء
متنعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحيوة فعن طائفة انها على سبيل المجاز وقال الاصم والبلخي اريد بها الذكر الجميل في الدنيا والثواب
الجزيل في العقبى وروي ان عبد الملك بن مروان لما رأى الزهري وعلم فقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك ومن هذه الطائفة
من قال بجواز هذه الحيوة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة وروي انه لما اراد معوية ان يجري العين الى قبور الشهداء
امر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم
فانفطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يغسلون كما لا يغسل الاحياء وذهبت طائفة من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون احياء
والغرض تكذيب منكري المعاد وزيف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر ثابت فالثواب اولى وبانه نهي عن حسبانهم امواتا والذي يزيل
هذا الحسبان هو اعتقاد انهم احياء في الحال لا اعتقاد انهم احياء في القيمة فان ذلك مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه وبما رويناه عن
ابن عباس ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والاستبشار بمن يكون في الدنيا لا بد ان يكون قبل
يوم القيمة وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن بحيوة روحانية وان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى
يوم القيمة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان اجزاء البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال
والقوة والكلال وكلنا يجد من نفسه انه شيء واحد من اول عمره الى آخره والباقي مغاير للمتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه
حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه واجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشيء المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان
جسما مخصوصا ساريا او جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا او اماته الله ثم يعيده حيا وبهذا يثبت عذاب القبر
وثوابه ويزول الشبهات ومن تأمل في الامور الواردة عليه وجد احوال النفس مضادة لاحوال البدن وجد قوة احدهما مقتضية لضعف الآخر
كما ان البدن يضعف وقت النوم ويقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح واذا اعرضت النفس عن الطعام
والشراب واقبلت على مطالعة العالم العلوي ازدادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها
المعارف الالهية واكثر ارباب الشرع على انهم احياء في الحال بحيوة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد اجسادهم الى السموات والى قناديل
تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها ومن
الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة

في هذه المسئلة عندك خلاف ما يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تقبل على بدن اخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الفلاسفة من ان النفس ينقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ وتتألم بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة او بالعقائد الباطلة والملكات الذميمة والذي قوله ان النفس تبقى له علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها وليس ببدع ان يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء واعمال الجوارح والالات وبعد الموت يجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء والحساب فكيف ينبغي ان يقاس احدهما على الاخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى ان يقوم القيمة الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روي انه ص وقف على قليب بدر وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا وفي حديث عذاب القبر انه ليسمع قرع نعالهم ولعل السر فيه انه اكتفى بهذا القدر من التصرف وان كان اكثر من ذلك كما سيكون في القيمة الكبرى ثاني تكليف سائر الاحياء وافضى الامر الى الالجاء وهو السر في اخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم الله تعالى بمزيد التلذذ بنعيم الاخرة كما قتلوا انفسهم للثواب كما عجلوا الى الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغي ان يناسب عملهم فافهم هذه الاسرار فانها علق مضنة وبه يثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله اعلم ومعنى عند ربهم انهم مقربون ذوو اكرامة كقوله فالذين عند ربك والمراد بحيث لا يملك احد سوى ربهم او المراد في علمه وفي حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين بما اتيهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصصهم به من التفضيل على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية وفرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور مصدر الكمال ويستبشرون بالذين باخوانهم من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم انهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم اي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله يبشرهم بان من ترك خلفهم من المؤمنين يبعثون امنين يوم القيمة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم وانما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبه تألم فاكرمهم الله تعالى بازالة ذلك التعلق بان اعلمهم امن اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سروران من قبل حالهم انفسهم وذلك قوله فرحين بما اتيهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم واعزتهم وذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم كرر هذا المعنى لمزيد التأكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب وفضل والتفضل الزائد وهذا هو سرورهم بسعادة انفسهم وان الله اي وبان الله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة احد بعدها ولاهما بغزوة حمراء الاسد الثانية بغزوة بدر الصغرى اما الاولى فما روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا اكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد ان يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه الى الخروج في طلب ابي سفيان وقال لا اريد الا ان يخرج معي الا من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال فالقى الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا بالاتيان بجميع المامورات واتقوا بالانتهاء عن المحظورات او احسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات روي انه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة اخرى وكان فيهم من يتوكأ عليه صاحبه ساعة ومن في قوله للذين احسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال ابو بكر الاصم نزلت في يوم احد لما رجع النبي بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبي ص ودفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى اخيها حمزة فقال ص للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة اخيها فقالت قد بلغني ما فعل به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امراة اخرى قد قتل زوجها وابوها واخوها وابنها فلما رأت الرسول ص وهو حي قالت ان كل مصيبة بعدك جلل واما الثانية فروي عن ابن عباس ان ابا سفيان لما عزم ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل نقتتل بها ان شئت فقال ص لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله فلما حضر الاجل خرج ابو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا





فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة وثبطهم ولكن عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي اتوكم في دياركم وقراركم فقتلوا اكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال ص والذي نفسي بيده لاخرجن اليهم وحدي فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهي ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله ص احدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات فوافوا السوق وباعوا ما معهم واشتروا بها ادما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق وانزل الله في المؤمنين الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود كما ذكرناه وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولان الواحد اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله ويرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال نعيم ذلك القول المخذل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس بابي سفيان فدسهم الى المسلمين ليجبنوهم وضمن لهم عليه جعلا حمل بعير من زبيب قال السدي هم منافقو المدينة كانوا يثبطون المسلمين عند الخروج ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان واصحابه والمفعول محذوف اي جمعوا لكم الجموع والعرب تسمي الجيش جمعا فاخشوهم فزادهم نعيم او قول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام فكان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم واستدل بالاية من قال ان الطاعات داخلة في مسمى الايمان وانه يزيد وينقص بحسب تزايدها ونقصانها واما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فقد اوّلها بان الزيادة وقعت في ثمرات الايمان ولكنها جعلت في الايمان مجازا وقد مر تحقيق الكلام لنا في هذا المعنى في اوائل الكتاب وكما انهم اضمروا ذلك بحسب الاعتقاد وافقوا الخليل ع حين القي في النار فاظهروه باللسان و قالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله في قوله فحسبه جهنم ونعم الوكيل والكافي والكافل والموكول اليه هو ثم عملوا بما اعتقدوه وقالوه فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله وهي العافية وفضل وهو الربح بالتجارة او النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراح وصفهم بانه حصل لهم الملائم ولم يحصل لهم المنافي وهذه غاية المطالب ونهاية الاماني ولان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله سبحانه وتعالى ثم روي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله وليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلي في ثواب المطيعين هو فضله بهم ورحمته عليهم لم ينج احد بعمله الا ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف احدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم الشيطان المثبط هو الشيطان لعنه وتمرده واغوائه ثم بين شيطنته بقوله يخوف اولياءه والشيطان صفة اسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ان تؤثر خوف الله على خوف الناس الذين هم اولياء المثبطين والاولياء هم ابو سفيان واصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله ص وعلى هذا فالضمير في فلا تخافوهم للناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باوليائه كقوله ويخوفونك بالذين من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وابو علي وزيفه ابن الانباري بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا ضرورة الى اضمار حرف الجر والله حسبي التأويل قد ذكرنا ان النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فالان نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على تعجيل ذائقة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى اجساد اكثرهم بل تبقى غضة طرية وكانهم هم الشهداء في الحقيقة وهكذا الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيوف الرياضات ومطارق الاذكار واسنة السنة الطاعنين وتجرعوا غصص مخالفات النفس ومكايدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة وليس كل طبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سببا للتألم بل بعضه سبب اللذة والابتهاج يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وكما ورد في حديث الشهداء من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة والذي جاء فيه ان ارواحهم في اجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن ان يخلق الله تعالى من ذلك جسما لطيفا اشبه طائر يكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى تحركه وتطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى واما كون الطير خضراء فاما لان بدن الميت يميل الى الخضرة واما ان يكون عبارة عن النضرة تعرف في وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة الى ما سيؤول اليه اهل الجنة والنار يوم القيمة كالمتوسط بين الحالين الذين يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذه المعاني ما وجدتها في كتب التفسير فلها وباي ارجوان اكون مصيبا فيها والغرض فالله تعالى ورسوله اعلم بمرادهما ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم ان

الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ۝ ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم
آنان که خریدند کفر را بایمان ضرر نرسانند خدا چیزی و مر ایشانراست عذابی دردناک ونپندارند آنان که کافر شدند که آنچه مهلت میدهیم ایشانرا بهتر است مر خود ایشانرا

انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ۝ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
جز این نیست که مهلت میدهیم ایشانرا تا زیادتی کنند گناه و مر ایشانراست عذابی خوار کننده نباشد خدا که واگذارد گروندگانرا بر آنچه شما بر آنید تا که جدا کند ناپاک را از پاک

وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا
ونباشد خدا که آگاه کند شما را بر غیب ولیکن خدا اختیار میکند از پیغمبران هر کرا خواهد پس بگروید بخدا و پیغمبران او و اگر بگروید و پرهیزگاری کنید

فلكم اجر عظيم ۝ ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما
پس مر شماراست مزدی بزرگ ونپندارند آنانی که بخل کنند بآنچه که داد ایشانرا خدا از افزونی خود آن بهتر است ایشانرا بلکه آن بدتر است ایشانرا زود باشد که طوق نمایند

بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير ۝ لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
آنچه را بخل کردند بآن در روز قیامت و مر خداراست میراث آسمانها و زمین و خدا بآنچه میکنید مطلع است بدرستی که شنید خدا گفتار آنانرا که گفتند بدرستی که خدا محتاج

ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ۝ ذلك بما قدمت ايديكم
وماییم مالداران هر آینه ثبت کنیم آنچه را که گفتند و کشتن ایشان پیغمبرانرا بدون حق و میگوییم بچشید عذاب سوزانرا این بآنچه است که از پیش فرستاد دستهای شما

وان الله ليس بظلام للعبيد ۝ الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار
و آنکه خدا نیست ستمکننده مر بندگانرا آنانکه گفتند بدرستی که خدا عهد کرد با ما که نگرویم مر پیغمبری را تا که بیاید ما را قربانی که بخورد او را آتش

قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ۝ فان كذبوك فقد كذب
بگو هر آینه آمد شما را پیغمبران پیش از من با گواهان و بآنچه گفتید پس چرا کشتید ایشانرا اگر بوده باشید راستگویان پس اگر تکذیب کردند ترا پس بتحقیق تکذیب کرده شد

رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ۝ كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة
پیغمبرانی از پیش تو که آورده بودند گواهان و نوشتها و کتاب واضح هر نفسی چشنده است مرگ را و جز این نیست که تمام داده شوید مزدهای خود را در روز قیامت

فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ۝ لتبلون في اموالكم وانفسكم
پس هر که منع کرده شود از آتش و در آید در بهشت پس بدرستی که بهره مند گردید و نیست زندگانی دنیا مگر بهره فریب هر آینه آزموده شوید در مالهاتان و در نفسهاتان

ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك
و هر آینه بشنوید از آنان که داده شدند کتابرا از پیش شما و از آنها که انباز آوردند آزارهای بسیار و اگر تحمل کنید و پرهیزگاری کنید پس بدرستی که آن

من عزم الامور ۝ واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم
از ثابت در کارهاست وچون فرا گرفت خدا پیمان آنانرا که داده شدند کتابرا هر آینه ظاهر نمایید از برای مردمان و پنهان نسازید پس انداختند آنرا عقب پشتهای خود

واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ۝ ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
وخریدند بآن بهای کم را پس بد است آنچه را میخرند ونپندار تو آنانرا که شاد میشوند بآنچه یافتند ودوست دارند که ستایش کرده شوند بآنچه نکردند

فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ۝ ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير ۝
پس مپندار ایشانرا رستگاران از عذاب و مر ایشانراست عذابی دردناک و مر خداراست پادشاهی آسمانها و زمین و خدا بر هر چیزی تواناست

القراءة ولا يحزنك من الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزنني وليحزن الذين امنوا يزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاء ولا خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلثة بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء في تحسبنهم ابو عمرو وابن كثير وقرا حمزة كلها بتاء الخطاب وقرا ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاوليان على الغيبة والاخريان بالخطاب يميز بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب عباس يحز الباقون خفيف بفتح الياء وكسر الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وابو عمرو ولقد سمع وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام سيكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في وقتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب الحلواني عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض فيهما زحزح عن مدغما شجاع وابو شعيب من طريق العطار وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير رويس وابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم الوقوف الكفر ج للابتداء بان ولاحتمال اضمار اللام او الفاء شيئا ط في الاخرة ج لعطف المختلفين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم ط شيئا ج لما ذكر في الاخرة ط اليم لانفسهم ط اثما ج لما ذكر مهين من الطيب ط ورسله ط عظيم خيرا لهم ط شر لهم ط القيمة ط والارض خبير اغنياء م لئلا يصير ما بعده من قولهم ومن قرأ بضم الياء فوقفه مطلق بغير حق ج لمن قرأ ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله او يقول الزبانية فلا يتعطف





على قوله سيكتب مع اتساق المعنى الحريق للعبيد لا لاحتمال الصفة وان يكون المراد هم الذين والوقف اولى لانه لا يظلم العبيد مطلقا العبيد لو نعم او كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير صحيح تاكله النار ط صادقين المنير الموت ط يوم القيمة ط لابتداء شرط في امر معظم فقد فاز ط الغرور كثيرا ط الامور ولا تكتمونه ز لان الجملتين وان اتفقا لم يكن النبذ متصلا باخذ الميثاق فلم يعطف الى ظرفه قليلا ط يشترون من العذاب ج لما ذكر اليم والارض ط قدير التفسير نزلت في كفار قريش والله تعالى جعل رسوله امنا من شرهم واتاح العاقبة له وان جمعوا الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان كلها وقيل في المنافقين ومسارعتهم هي انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب واقعة احد ويؤيسونهم من النصر والظفر وربما يقولون ان محمدا طالب ملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلبه احد وقيل ان قوما من الكفار اسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم لا تؤثر في لحوق ضرر به وقد نقض هذا القول بان المسارعة هي شدة الرغبة في الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان المستمر على الكفر بان ارادته ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة لا انما يليق بمن امن فاستوجب الحظ ثم احبط وبان الحزن انما يكون على فوات امر مقصود وذلك هو ما قدر النبي من الانتفاع بايمانهم وانتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى انه لا يحزن بسبب فوات ذلك فضرره بالدين وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الاية فان قيل الحزن على كفر الكافر وعلى معصية العاصي طاعة فكيف نهى نبي الله عن ذلك فالجواب انه نهى عن الاسراف في الحزن حيث يأتي عليه نظيره لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين او المراد لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا اعاديك انهم لن يضروا الله اي دينه شيئا من الضرر يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة فيه دليل على ان ارادة الله تتعلق بالعدم وتنصيص على ان الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم عذاب عظيم انه كما لا حظ لهم من منافع الاخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفي الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الى حد اراد ارحم الراحمين ان لا يرحمهم وان الداعي الى تعذيبهم خلص خلوصا لم يبق معه صارف البتة ثم انزل في اليهود خاصة وهو الاشبه او في الكفار عامة ان الذين اشتروا الاية والغرض تاكيد تقوية قلب الرسول كانه قيل ان الكفرهم ينازعونك في الدين لا لاجل شبهتهم بل بناء على الحسد المنازعة في منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر وهو ان يبيع بالقليل من الدنيا السعادة الكثيرة في الاخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق الضرر بالغير ولو قيل ان الاية في المرتدين فالمعنى ان اختيارهم الدين بعد الدين ثم الارتداد على العقبين يدل على الاضطراب وضعف الراي والانسان المضطرب حاله لا قدرة له على ايصال الضرر الى الغير ثم بين ان بقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء احد لا خير فيه فقال ولا يحسبن من قرأ بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما في حيزه ساد مسد مفعوليه ومن قرأ بتاء الخطاب فالذين كفروا المفعول الاول وان مع ما في حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يمض الا احد المفعولين لان المبدل في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع السكوت على متاعك في التقدير ولا تحسبن الذين كفروا انما املي خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي لا تحسبن اصحاب ان الاملاء خير لهم او لا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم قال الاصمعي يقال املى عليه الزمان اي طال واملى له وامهله قال ابو عبيدة ومنه الملاء الارض الواسعة الطويلة والملوان الليل والنهار ويقال تمتعت عنده ملاوة من الدهر اي حينا وبرهة وانما نصب على التميز وفي وصف العذاب اولا بالعظم ثم بالالم ثم بالاهانة تدرج من الاهون الى الاشق وفيه من الوعيد والسخط ما لا يخفى قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا محالة والاية دلت على انها ليست بخير وفيه دلالة على انه سبحانه فاعل الخير والشر وايضا نص على ان الغرض من هذا الاملاء ان يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وايضا اخبر انه لا خير لهم فيه وانهم لا يحصلون منه الا على الازدياد في البغي والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا انهم مجبورون على ذلك في صورة مختارين اجابت المعتزلة بان المراد ان هذا الاملاء ليس خيرا من موتهم شهداء اذ الاية من تتمة قصة احد لا انه ليس بخير مطلقا وزيف بان المبالغة لا يجوز ذكره الا مع المفضل عليه لكنه لم يذكر فعلمنا انه لنفي الخيرية لا لنفي كونه خيرا من شيء اخر وعن الثاني ان ازدياد الاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض كقولك قعدت عن الغزو للعجز والفاقة ومثله وجعلوا لله اندادا ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك للاضلال يقال ما كانت موعظتي لك الا لزيادة تماديك في الغي اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان علمه تعالى بانهم يزدادون اثما على تقدير الامهال علة فاعلية لازديادهم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا في الكلام تقديم وتاخير وترتيبه لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر ان الاولى وفتح الثانية ورد بان التقديم والتاخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع ان الواحدي انكرها ثم انه تعالى اخبر انه لا يجوز في حكمته ان يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل احد الجنسين عن الاخر بابقاء الحوادث وابداء الوقايع كما في قصة احد لله در النائبات فانها صقال اللئام وصيقل الاحرار فقال ما كان الله ليذر اللام لتاكيد النفي والخطاب في انتم للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق وخوطبوا بانه كان في حكمة الله ان يترك المخلصين على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهما الغنا فرق

اي طوله

الشيء بعضه من بعض لهو ميزاً وميزه تمييزاً وفي الحديث من ماز اذى عن الطريق فهو له صدقة وجمع ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفرداً الا انه للجنس والمراد جميع المنافقين مع المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه ليعلم انه المطرح من الشيئين الملقى لرداءته فاذا الميز يقع على الادون والاهون وبم يحصل هذا الميز قيل بالمحن والمصايب كالقتل والهزيمة وكاد عاهم النبي ص الى الخروج معه ما بهم من القروح فمثل ذلك يظهر الثابت من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وقلة شوكة المخالفين ليظهره على الدين كله وقيل بالوحي الى نبيه لهذا اراده بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي اي يصطفي ويختار من رسله من يشاء وبنا الكلام على ثلث مراتب الاولى ان هذا المنصب الذي استاثر الله تع بعلمه لا يليق بكل احد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول ايضاً لا يعلم المغيبات بان يطلع عليه من تلقاء نفسه بخاصية فيه لكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تع اياه عليه ان هذا مؤمن وذاك منافق الثالثة ان هذا ايضاً مختص ببعض الرسل في بعض الاوقات حسب مشيته وارادته فامنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله ان تعتقدوه وحده علاماً للغيوب ومن جملة الايمان بالرسل ان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيداً مصطفين لا يعلمون من الغيب الا ما علمهم الله تع ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلاناً مؤمن وفلاناً منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه ولا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقراين المفيدة للظن الغالب ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي يتميز المرتاب ويخلص اهل الوفاء من اهل الجفاء والمراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فامنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن اقر بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال السدي قال رسول الله ص عرضت على امتي في صورها كما عرضت على ادم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزؤا فقالوا زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال الكلبي قالت قريش تزعم يا محمد ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من اهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال ابو العالية نزلت حين سئل المؤمنون ان يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز من قائل لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرا بتاء الخطاب قدر مضافاً اي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم وكذا من قرا بالياء وجعل فاعله ضمير النبي او احد ومن جعل الموصول فاعلاً فالمفعول الاول محذوف للدلالة والتقدير ولا تحسبن هؤلاء بخلهم هو خيراً وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الاية نزلت في مانعي الزكوة نزلت الوعيد عليه وسوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لا يوعد بخيلاً لم يتخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي حكم الزكوة ساير المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ص ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم الذي اتاهم الله وعلى هذا يكون عوداً الى ما انجر منه الكلام الى قصة احد وذلك هو شرح احوال اهل الكتاب بعضاً ان كثيراً من ايات بقية السورة فيهم وعلى هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تع يجعل في رقابهم طوقاً من النار كقوله ص من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار والمراد فيه انهم لم يطيقوا افواههم والسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما ان يكون محمولاً على ظاهره وهو ان يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه يقول انا مالك عن ابن مسعود عن النبي ص ما من رجل له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقاً في عنقه شجاع اقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرا مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا تحسبن الذين يبخلون الاية وعن ابن عمر قال قال ص ان الذي لا يؤدي زكوة ماله يخيل اليه ماله يوم القيمة شجاعاً اقرع له زبيبتان فيلزمه ان يطوقه يقول انا كنزك واما ان يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة اطواقاً اي سيلزمون اثمه في الاخرة الزام الطوق وفي امثالهم يقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون ان ياتوا بما بخلوا به يوم القيمة ونظيره ما روي عن ابن عباس انه كان يقرء وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه اي يؤمرون باداء ما منعوه حتى لا يمكنهم الاتيان به فيكون ذلك توبيخاً على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكناً ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال غيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان اذا تفرد به بعد ان كان مشاركاً له فيه ومثله وورث سليمان داود اي تفرد بذلك بعد ان كان داود مشاركاً له فيه وغالباً عليه والله بما تعملون خبير من قرا على الغيبة فظاهر اي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرا على الخطاب فللالتفات وهي ابلغ في الوعيد لان الغضب



كانه تناهى الى حد اقبل على الخطاب وشافه بالعتاب ثم شرع في حكاية شبه الطاعنين في نبوة محمد ص وذلك انه لما امر بالانفاق في سبيل الله قالوا لو كان محمد صادقاً في ان الله تع يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن اغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وايضاً لو كان نبياً لكان انما يطلب المال لاجل ان يجئ نار من السماء فتحرقه كما كان في الازمنة السالفة فاما لم يفعل ذلك عرفنا انه ليس بنبي فهذا بيان النظم وليس في الاية تعيين القائلين الا ان العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم في موضع اخر يد الله مغلولة اي عنوا انه بخيل وذلك الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تع قادراً على كل المقدورات فاذا عجز عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غني ولما روى عكرمة ومحمد بن اسحق والسدي ومقاتل ان رسول الله ص كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان تقرضوا الله قرضاً حسناً فقال فنحاص بن عازوراء وهو من علمائهم انزعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر ولطم في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله ص وقال يا محمد انظر الى ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله ص لابي بكر ما الذي حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال كذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الاية تصديقاً لابي بكر وايضاً ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا فلا يبعد ان محمداً ص لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا او الاموال كانوا قد قالوا ما كان الا لله اغنياء فاي حاجة الى اموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاص وحده فانما استقيم قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تع انه لم يجبهم عن شبهتهم اما على قواعد اهل السنة فبان يقول هو يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد ان يامر عبيده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء واما على قوانين المعتزلة فبان في هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تسخير البعض للبعض فبذلك يرتبط امور التمدن وينتظم احوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة وروده في القران لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق حتى لا يحتاج في ذاته ولا في شيء من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك في كمال غناه في وجوده فقد عاد بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند اولي الالباب وانما يستاهل صنوفاً من العتاب وضروباً من العذاب فلهذا قال على جهة الوعيد سنكتب ما قالوا في صحايف الحفظة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على انهم كالمريقين سواء الله حق قدره حتى نسبوا اليه ما نسبوه فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق هو من اسماء جهنم فعيل بمعنى مفعول كالاليم بمعنى المؤلم او سميت باسم صاحبها اي ذات حرقة والمعنى ننتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما اذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا القول يحتمل ان يقال عند الموت وعند الحشر او عند قراءة الكتب ويحتمل ان يكون كناية عن الوعيد ان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب لمو او للوعيد بما قدمت ايديكم من السب والقتل وذكر الايدي لان اكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان كان بعضه باللسان او بساير الجوارح والالات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفرداً قيل بما قدمت يداك مثنى كما في سورة الحج قال الجبائي قوله وان الله اي وبان الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على ان فعل العقاب بهم كان يكون ظلماً بتقدير ان لا يقع منهم الذنوب وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز ان يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلاً والا لكان الظلم حاصلاً والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزاء لما كان مرتباً على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك الملك والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلماً فخلق ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلماً قيل انه نفى الظلم الكثير عن نفسه وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم له اجاب القاضي بان العذاب الذي توعد بان يفعل بهم لو كان ظلماً لكان عظيماً فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتاً وهذا يؤكد ما ذكرنا ان ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلماً عظيماً لو لم يكونوا مذنبين اقول انه تع نفى حقيقة الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وتحقيقه ما ذكرناه انه مالك الكل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم ان نصك عنه كانه قال ان خيل اليكم ان في الوجود شراً بناء على ما في ظنكم من ان الحكيم قد يصك عنه الشر القليل بتبعية الخير الكثير فاعلموا انه منزه عن صدور الشر الكثير مني وان هذا من القليل الذي في ضمن خيراً كثيراً ونقول اراد نفي الشر القليل واصل الظلم عنه ولكنه القليل من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا عبر بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازوراء وحيي بن اخطب اتوا رسول الله ص فقالوا تزعم ان الله بعثك الينا رسولاً وانزل عليك الكتاب وان الله قد عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطا كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون الثروب واطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون

على اللسان الاقوال ... يوم القيمة

حول البيت فينزل نار بيضاء لها دوي حفيف ولا دخان لها فيأكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله واصله مصدر كالكفران و
الرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله ص لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلوة قربان اي بها يتقرب الى الله ويستشفع في الحاجة لديه و
للعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء في التورية مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله ص فلا تصدقوه حتى يأتيكم
بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمدا فكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها في كونها خارقة للعادة
واية لصحة النبوة سواء فاي فائدة في تخصيصها ولانه اما ان يكون في التورية ان مدعي النبوة وان جاء بجميع الايات لا تقبلوا قوله الا
ان يجيء بهذه الاية المعينة وح لا يكون ساير المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز في هذه واما ان يكون فيها ان مدعي النبوة
يطالب بالمعجزة اية كانت وح يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا نبههم الله تع الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من
قبلي بالبينات وبالذي قلتم اي بمدلوله ومؤداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين انما الايمان يجب عند الاتيان بالقربان وانما ذكر
مجيء الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجيء القربان ليتم الالزام وذلك ان القوم يحتمل ان يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة
لا موجب لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث اضاف
اليه البينات ثبت انهم اتوا بالموجب وبالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في اصل الشريعة
والنبوة او في قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم بالبينات وبالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك اي رسل والمصيبة
اذا عمت طابت جاؤا بالبينات وهي الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور اي مكتوب قال الزجاج
الزبور كل كتاب ذي حكمة فليشبه ان يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير او الموضح
المبين ويعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وانها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القران وعطف
الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة والاستنارة اشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم لشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكال
وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التورية والانجيل والزبور ثم اكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما
يزيل الغموم والاشجان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس ذائقة الموت
المكلفون فالقضية لا يمكن اجراؤها على عمومها لا استثناء الله تع منها تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وكذا الجمادات لان لها ذوات ولقوله
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولا لاهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون في دار
التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روي عن ابن عباس لما نزل قوله تع كل من عليها فان قالت الملائكة مات اهل الارض فلما
نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفي الاية دليل على ان المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لا بد ان يكون
باقيا حال حصول الذوق قالت الحكماء الموت واجب الحصول عند هذه الحيوة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية
ثم الحرارة الغريزية تؤثر في تحليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا يزال يستمر هذه الحالة الى
ان تفنى الرطوبة الاصلية وح فينطفي الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذه الحيوة قالوا والارواح
المجردة لا موت لها وناقشهم المسلمون فيه وانما توفون اجوركم يوم القيمة في ذكر التوفية اشارة الى ان بعض الاجور يعطى قبل ذلك اليوم
كما قال ص القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار اي نحي وابعد والزحزحة تكرير الزح فقد فاز لم يقيد
الفوز بشيء لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له هذان فقد فاز الفوز المطلق المتناول
لكل ما يفاز به قال ص من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر وياتي الى الناس ما يحب ان
يؤتى اليه فالاول غاية حقوق الله والثاني محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم
تبين له فساده ورداءته وذلك ان لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن علي بن ابي طالب
لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها
على الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت
الواو لسكونها ولم يجب قبلها من الضم والمراد ما نالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من
الصلوة والزكوة والصوم والجهاد والذي كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن في الدين الحنيف والهلية واغراء المخالفين وتحريضهم
عليهم والمنافقين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة او تصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات
فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التي لا يترخص لعاقل في تركه لكونه حميد العاقبة بين الصواب وهو من عزائم
الله ومما الزمكم الاخذ به قال الواحدي كان هذا قبل نزول اية القتال وقال القفال الظاهر انها نزلت بعد قصة احد فلا يكون منسوخا
باية السيف والمراد الصبر على ما يؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير الاحوال والامر بالقتال

لانبياء



لا ينافي الامر بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي ويحرض عليه كفار قريش في شعره
وكان النبي ص قدم المدينة واهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبي ص ان يستصلحهم كلهم وكان المشركون واليهود يؤذونه
ويؤذون اصحابه اشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك فنزلت الاية وروي ان رسول الله ص ركب على حمار واردف اسامة بن زيد
وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي وذلك قبل ان يسلم عبد الله فاذا في المجلس
اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه وقال لا
تغبروا علينا فسلم رسول الله ص فنزل فدعاهم الى الله وقرا عليهم القران فقال عبد الله بن ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا
فلا تؤذينا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله ص فاغشنا به في مجالسنا فانا
نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي ص يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي ص دابته فسار حتى دخل
على سعد بن عبادة فقال له يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله ص
اعف عنه واصفح فوالذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك وقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك فعفى عنه رسول الله ص وانزل الله هذه الاية ثم انه تع عجب من حال اليهود انه كيف يليق
بحالهم ايراد الطعن في نبوته مع ان كتبهم ناطقة بها بل من جملة ايذائهم الرسول انهم يكتمون نعته وصفته فلهذا قال واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب والضمير في لتبيننه قيل لمحمد لانه معلوم وان كان غير مذكور اي لتبينن حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعود
الى الكتاب كانه اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن ولا تكتمونه قيل الواو
للحال اي غير كاتمين ويحتمل ان يكون للعطف وان لم يكن مؤكدا بالنون والامر بالبيان يتضمن النهي عن الكتمان لكنه صرح به للتاكيد
فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشيء المطروح المتروك وعن علي ع ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا و
قال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا ياكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا
علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا انهم كتموا الحق ليتوسلوا بذلك الى وجدان حظ يسير من الدنيا
فبئس ما يشترون وهو يدخل في الوعيد كل من كتم شيئا من امر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب
لمسارهم واستجذاب لمبارهم او لتقية من غير ضرورة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيره ثم ذكر نوعا اخر من ايذاء اليهود وعدهم عليه وسلى
رسوله بذلك فقال لا تحسبن الذين يفرحون من قرا بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول ولكل احد والمفعولين الذين يفرحون
والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التاكيد ومن ضم الباء في الثاني مع تاء الخطاب فللخطاب للمؤمنين
ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف اي لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين والثاني للتاكيد ومعنى
بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تع انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه اي بمكان
الفوز وقال الفراء اي ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه في الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس فقل له لئن كان
كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذا انما دعا النبي ص يهود فسألهم
عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ثم قرا ابن عباس واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب الايتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها
ان محمدا ليس نبي الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقران ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذي
جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن اهل الصوم والصلوة نحن اولياء الله فذلك قول الله يفرحون بما اتوا بما فعلوا ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية يعني بما ذكروا من الصوم والصلوة والعبادة وعن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين
كانوا اذا خرج رسول الله ص الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا عنه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية
وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه وصفه بسداد السيرة وحسن السريرة ونحن اذا انصفنا من انفسنا وجدنا
اكثر مجاري امورنا على هذه الحالة نسأل العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك السموات والارض والغرض انه كيف يرجو
النجاة من كان معذبه هذا القادر الغالب البالغ التاويل هو خيرا لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والسخا بمنزلة الاكسير حتى يجعل
الخير شرا او بالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه محيط بالقلب ومنه ينشأ معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر
والغضب والبخل حب الدنيا راس كل خطيئة ولله ميراث السموات والارض الانسان وارث الدنيا والاخرة اولئك هم الوارثون اذا مات
من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه ان من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله ان الله

نفير ونحن اغنياء فيه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فيعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة الصفات
الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة انا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن اغنياء بقربان تاكله النار قالت
يهود صفات النفس البهيمية والسبعية والشيطانية لا نعتقد لرسول اى لخاطر رحمانى او الهام ربانى حتى ياتينا بقربان هو الدنيا وما فيها يجعلها
نسيكة لله عز وجل تاكله نار الله الموقدة التى تقدح من زناد محبتهم فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله
فلا تاكل نار الله قل يا وارد الحق قد جاءكم رسل من قبلى اى واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذى قلتم اى بجعل الدنيا قربانا
فلم قتلتموه غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق اثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء ولا بد لها من موت فمن كان
موته بالاسباب يكون حيوته بالاسباب ومن كان فناؤه فى الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من اهل العلم الظاهر
ومن اهل الربا اذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم
الامور اى من امور اولى العزم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله اعلم ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل و
بدرستى كه در آفرينش آسمانها وزمين وگرديدن شب و
النهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض
وروز هر آينه نشانهاست مر صاحبان خرد را آنانكه ياد آورند خدا را ايستاده ونشسته وبر پهلوهاشان واانديشه نمايند در آفرينش آسمانها وزمين
ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين
پروردگارا نيافريدى اينرا باطل منزهى تو پس نگاهدار ما را از عذاب آتش پروردگارا بدرستى كه تو هر كه را در آرى در آتش پس رسوا كردى اورا و نيست ستمكاران را
من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
ياورى پروردگارا ما شنيديم ندا كننده را كه ندا ميكرد براى گرويدن كه بگرويد به پروردگارتان پس گرويديم پس بيامرز گناهان ما را و بر انداز گناهان ما را
وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب
وبميران ما را با خوبان پروردگارا بده ما را آنچه وعده كردى بر پيغمبرانت ورسوا مكن ما را در روز قيامت بدرستى تو خلاف نمى‌كنى وعده را پس اجابت كرد
لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى
ازبراى ايشان پروردگار ايشان كه من بر باد ندهم كردار كننده را از مرد وزن بعضى از شما از بعضى پس آنانكه ترك وطن كردند وبيرون شده از خانهاشان وآزار كشيدند در
سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله
راه من وكشتند وكشته شدند هر آينه بر ريزم از ايشان گناهان ايشانرا وهر آينه در آورم ايشانرا در بهشتها كه روانست از زير آنها جويها ثوابها از نزد خدا
والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد
وخدا در نزد اوست نيكو ثواب فريب ندهد ترا گرديدن آنانكه كافر شدند در شهرها بهره ايست كم پس جايگاه ايشان دوزخ وبد جايگاهيست
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار
لكن آنانكه پرهيز كردند پروردگارشان ايشانراست بهشتها كه روانست از زير آن جويها جاويدانند در آن نعمتى از نزد خدا وآنچه در نزد خداست بهترست مر خوبانرا
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا
وبدرستى كه از اهل كتاب هر آينه كسى است كه ميگرود بخدا وآنچه فرستاده شد بسوى شما وآنچه فرستاده شد بايشان فروتنان مر خدا را نفروشند بآيات خدا بهاى
قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله
كمى آنگروه مر ايشانراست مزدشان در نزد پروردگارشان بدرستى كه خدا زود حساب است اى زمره آنانكه گرويده ايد صبر كنيد ودر صبر كوشيد وپيوند كنيد وبپرهيزيد خدا را
لعلكم تفلحون القراآت الابرار بالامالة ابو عمرو وحمزة غير خلاد وروح الكسائى والبخارى عن ورش وخلف وابن مجاهد والنقاش
شايد كه رستگار شويد عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء غير ابن مجاهد والنقاش فى جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلى
وخلف وقرا ابن كثير وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون قاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة رويس الباقون بالتشديد
نزلا حيث كان [illegible] الوقوف الالباب ج لاحتمال الذين صفة مجرورا ومستانفا نصبا او رفعا على المدح بتقدير اعنى
الذين او هم الذين والوصل اشهر والارض ج لحق المحذوف اى يقولون ربنا باطلا ج للابتداء سبحانك تعظيما والا فالقول محذوف
التعقيب متعقب النار ه اخزيته ط انصار ه فآمنا قيل والوصل اولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف
على آمنا اى اذا آمنا فاغفر الابرار ج للاية وللعطف يوم القيمة ط الميعاد ه انثى ج لاتحاد الكلام والا فبعضكم مبتدأ من بعض ج و
الانهار ج لان ثوابا مفعول له او مصدر من عند الله ط الثواب ه البلاد ه لان التقدير لهم متاع او ذلك متاع جهنم ط المهاد ه من
عند الله ط للابرار ه لا لان ما بعده حال الخ قليلا ط عند ربهم ط الحساب ه تفلحون ه التفسير انه لما طال الكلام فى تقرير القصص والاحكام



عاد الى ما هو الغرض الاصلى من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة
اخبرينى باعجب ما رايت من رسول الله فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجيب اتانى فى ليلتى فدخل فى لحافى حتى الصق جلده بجلدى ثم قال يا عائشة
هل لك ان تاذنى لى الليلة فى عبادة ربى فقلت يا رسول الله انى لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء فى البيت
فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلى فقرأ من القرآن وجعل يبكى حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكى ثم رفع
يديه فجعل يبكى حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فراه يبكى فقال له يا رسول الله اتبكى وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالى لا ابكى وقد انزل الله على فى هذه الليلة ان فى خلق
السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وعن على ان النبى كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان فى خلق
السموات والارض الى ان عد ثمانية دلائل وههنا اقتصر منها على الثلثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لا بد له من
من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق فى معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى آخر كالبصر اذا حدق الى مرئى امتنع
تحديقه نحو آخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعنى المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادى قدس الوحدانية وانما
وقع الاقتصار على ادلة السماوية لانها اقهر وابهر والعجائب فيها اكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله وكبريائه اسهل وانما قال فى تلك السورة
لايات لقوم يعقلون وفى هذه السورة لايات لاولى الالباب لان العقل له ظاهر ولب ففى اول الامر يكون عقلا وفى كمال الحال
يكون لبا وباقى التفسير قد مر هنالك ثم بعد دلائل الالهية ذكر وظائف العبودية وهى ان يكون باللسان وسائر الاركان وبالجنان
مع الرحمن فقوله الذين يذكرون اشارة الى عبودية اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو فى موضع حال اخرى معطوف
على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون فى اعم احوالهم كما قال من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر
ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلوة اى يصلون فى حال القيام فان عجزوا ففى حال القعود فان عجزوا ففى حال الاعتماد وهذا موافق
لمذهب الشافعى فى ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق مذهبه ايضا ان الاستلقاء يمنع من استعمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع
على الجنب والصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت اولى ولان الاستغراق فى النوم يكون فى هيئة الاستلقاء اكثر فذلك وضع الغافلين
وقال ابو حنيفة بل يصلى مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد وقوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض اشارة الى عمل
الجنان وقد عرفت معنى الفكر فى البحث الخامس من تفسير قوله وعلم آدم الاسماء واعلم انهم لم يقل ويتفكرون فى الله كما قال يذكرون الله
لقوله تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق والسبب فيه ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل
بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر فى المخلوقات ممكن وفى الخالق غير ممكن كيف وان
الفكرة ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشئ عبارة عن
حصول صورة الشئ فى النفس فيكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شئ الا انه بكل شئ محيط لكن اذا تفكر فى مخلوقاته
سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف
اولا ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعرف ما فى كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما
خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس احوال هذه المصنوعات الى صانعها علم ان ذاته تعالى منزه عن مشابهة شئ من هذه المصنوعات فيعلم انه
ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا فى حيز وجهة فيقول سبحانك اى نزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ
من الاستغراق فى بحار العظمة وجهر الجلال هذا المبلغ وجد نفسه ذرة من ذرات الكائنات واقعة فى حضيض عالم البشرية مخالطة بالطبائع
والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج
السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اى ابلغت
فى اخزائه نظيره قوله فقد فاز وفى كلامهم من ادرك مرعى الضمان فقد ادرك ثم توسل الى المسئلة بالايمان بمحمد وذلك قوله ربنا
اننا سمعنا مناديا الاية فهذا بيان وجه النظم فى هذه الكلمات والايات على وجه القى فى روعى والله اعلم باسرار كلامه وعن النبى
بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وعنه
لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى امر الله الذى هو عمل القلب
لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل اهل الارض وعنه لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على انه بمعنى المخلوق
او الى السموات والارض بتاويل المخلوق وفى كلمة هذا ضرب من التعظيم كانه لعظم شانه معقول به لهم حتى صار حاضرا فى خزانة الخيال و
باطلا نصب على المصدر اى خلقا باطلا او على الحال وقيل بنزع الخافض اى بالباطل او للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على ان كل ما يفعله الله
تعالى فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد لاجل حكمة وغاية وقوله سبحانك جملة معترضة نزهه بها عن العبث ان يخلق شيئا بغير حكمة

فوجه النظم في قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق الارض والسموات ان يجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفته ووجوب
طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا بمرجح
عام وذلك المرجح لا بد ان ينتهي الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله بمصالح
العباد بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزايل الذي لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشي
والاضمحلال والمراد انه خلقهما خلقا محكما متقنا كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهما
في غاية شدة التركيب وبصدد البقاء الا انك غني عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف ذاته بالغنى اقر لنفسه بالعجز و
الحاجة اليه في الدنيا والاخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالاية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب واودع
في كل واحد منهما قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلي
قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن ان يقصد منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهوا
والماء يشاركها في ذلك فلا يبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون في ذلك قالوا ان الفلكيات اسباب
للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام ان وجود الوسايط لا ينافي استناد الكل الى مسبب
الاسباب وان تكون افعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم ان يقيهم
عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب الى
الاستجابة كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى
عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج اخزى الله العدو اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه
وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف او انقطاع حجة او بوقوع في بلاء قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان صاحب الكبيرة من
اهل الصلوة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد اخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه واجيب
بانه لا يلزم من ان لا يكون من امن مع النبي مخزيا ان لا يكون غيره وهو مؤمن مخزيا وايضا الاية ليست على عمومها لقوله وان منكم
الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من يدخل النار فانه ليس بمخزي وعن سعيد بن المسيب والثوري
ان هذا في حق الكفار الذين دخلوا النار للخلود وايضا انه مخزي حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله لا يخزي نفي
على الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد ويحتمل ان يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك
واذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتجت المرجئة بالاية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن
لقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي
الله النبي والمدخل في النار مخزي بهذه الاية والمقدمات باسرها يبطلها المنع اما الاولى فباحتمال ان لا يسمى بعد القتل مؤمنا وان
كان قبله مؤمنا واما الاخريان فبخصوص المحمول لجزئية الموضوع كما تقرر انفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا في ان العذاب الروحاني
اشد لانه من سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو التخجيل وهو امر نفساني وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين اي الداخلين في
النار من انصار في نفي الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون
هم الظالمون وايضا لا تاثير للشفاعة الا باذن الله فيؤول معنى الاية الى ان الامر يومئذ لله وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين
بهذا الحكم انه وعد للمتقين الفوز لهم بهذه الحجة بخلاف الفساق وايضا دلائل الشفاعة مخصصة لعموم الاية قالوا الفاسق لا يخرج من
النار والا كان مخرجه ناصرا له وعورض بالايات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي تقول سمعت رجلا يتكلم بكذا فتوقع
الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به او جعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله صلعم لقوله ادع
الى سبيل ربك ادعو الى الله وداعيا الى الله وقيل القران كان سبب الهداية في قوله ان هذا القران يهدي كانه يدعو الى نفسه
وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعوا من ادبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي ويعظ لدلالة تصاريفه
قال يا واضع الميت في قبره خاطبك الدهر فلم تسمع يقال ينادي الى كذا ولكذا ودعاه اليه وله وهداه للطريق واليه فيقام كل من
اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال ابو عبيدة هذا على التقديم والتاخير اي سمعنا
مناديا للايمان ينادي كما يقال جاء مناد للامير فنادى بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض ولهذا فسر
بقوله ان امنوا وان مفسرة او مخففة معناه اي امنوا او بان امنوا والفائدة في الجمع بين المنادي وينادي للايمان هو فائدة الاطلاق
ثم التقييد والاجمال ثم التفصيل من شان المطلق والمجمل وكونه ادخل وقعا في النفس واعز فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية واما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتاكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء



وقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر وقيل الاول ما تقدم من الذنب والثاني المستانف وقيل الاول ما اتى به الانسان مع العلم بكونه ذنبا
والثاني ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار اي معدودين منهم في زمرتهم او مشاركين لهم في الثواب او على مثل اعمالهم
ودرجاتهم كقول الرجل انا مع الشافعي في هذه المسئلة اي مساو له في ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالاية على ان العفو غير مشروط
بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل بدون ذكر التوبة بل بدون التوبة بدلالة التعقيب في فاغفر بعد قولهم امنا ثم انه تعالى
اجابهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم ربهم ويعلم منه ثبوت شفاعة النبي صلعم لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادي للايمان وهو الرسول عقيب قوله امنا وهو التصديق فيكون على صلة للوعد كقولك
وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل ان يتعلق بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما
عليهم ما حمل وقيل على السنة رسلك والمتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم
بانه لا يخلف الميعاد كما صرح به في اخر الادعية لان معظم الغرض في الدعاء اظهار سيماء العبودية والمراد وفقنا للاعمال التي نصير بها اهلا
لوعدك واعصمنا عما يكون اهلا للاخزاء او طلبوا تعجيل النصرة على الاعداء والمراد احفظ علينا اسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل
على انهم طلبوا منافع الاخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم
القيمة لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل من وعطاء الحاصل من هذه الايات انهم نظروا في المصنوع تعرفوا منه الصانع فقالوا
ربنا ثم تفكروا في عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا ان صانعه حكيم والحكيم لا يخلو افعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا
بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تاملوا في غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل ووجدوا عاقبة
التكليف الجنة او النار فتضرعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والاخلاص من النار ولان دفع الضرر اهم من جلب المنفعة جعلوا
اول دعائهم واخرهم الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحاني عند العقلاء اشد من العذاب الجسماني فلا جرم وقع الختم على الاستعاذة
من الاخزاء اللهم شاركنا في هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت الارض والسماء انك واهب العطايا وكاشف
الغطاء عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله تعالى حكى عنهم في هذه الايات
انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم اي اجابهم اني اي باني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى من في منكم للتبعيض
لان كل عامل فرد من افراد المخاطبين ومن في من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما انثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من
بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اي من اصله او المراد بعضكم كانه من البعض الاخر لفرط اتصالكم واتحادكم
كما يقال فلان مني اي على خلقي وسيرتي قال صلعم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بين بها شركة النساء
مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله صلعم اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء
فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا اوطانهم مع الرسول صلعم او بعده باختيارهم واخرجوا
من ديارهم الجاء الكفار الى الخروج واوذوا في سبيلي يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا من قرا بالتشديد فللتكثير وتكرار القتل فيهم وقيل اي قطعوا
ومن قرا قتلوا وقاتلوا فاما لان الواو لا يفيد الترتيب الطبعي فانهم قاتلوا حتى قتلوا واما من قولهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت امارات
القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد اي قتلوا لاكفرن جواب للقسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذي طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة اي ثوابا
يختص به وبقدرته وبفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندي ما تريد اي انا مختص به وبملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا
نصب على المصدر المؤكد اي اثابة او تثويبا من عنده لان قوله لاكفرن ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وقال الكسائي هو منصوب على الحال
وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة او بيعا او صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات
العالم بكل المعلومات القاضي جميع الحاجات وفي تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق في دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على ان حكمه تعالى
تقتضي نوط الثواب والجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهمل جانب العمل راسا عن الحسن خبره تعالى انه استجاب لهم الا
انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المؤمنين
الثواب العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم اراد ان يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف
يسمعه اي لا يغرنك ايها السامع او للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله اوله والمراد هو فلعل السبب في
عدم اغتراره هو تواتر امثال هذه الايات عليه قيل ان مشركي مكة كانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى
من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد بتقلبهم تبسطهم وتصرفهم

في المكاسب والمزارع والمتاجر لك التقلب في الكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما وعد الله للمؤمنين من الثواب
او هو قليل في نفسه لانسبة لمدته الى ما بين امدي الازل والابد مع قلته سبب للوقوع في نار جهنم ابد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت
سببا للمضرة العظيمة لم يكن في الحقيقة نعمة ولهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما
يعد للضيف ويعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شيء اخر يكون اصلا بالنسبة
اليها قلت ويحتمل ان يكون قوله وما عند الله باق اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازيه شيء من نعيم الجنة وقيل المعنى
وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف و
العامل معنى الاستقرار في لهم او هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء او نصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين
وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمني اهل الكتاب كلهم فقال وان من اهل الكتاب هذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل
نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فاسلموا
وعن جابر بن عبد الله وانس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله ص في اليوم الذي مات فيه فقال
رسول الله ص لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله ص الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض
الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج
حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذي يدخل على خبر ان او على اسمه عند الفصل
كما في الآية والمراد بما انزل اليكم القرآن وما انزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ
تارة وعلى المعنى اخرى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من احبارهم ورؤسائهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شان
هذا الوعد حسب ما اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطي ما لكل احد من جزاء
الحسنات والسيئات والمراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بسرعة حصول الاجر ثم ختم السورة بآية جامعة لاسباب سعادة
الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامره بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة
التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا وآفاتها و
مخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل والمدينة فامره بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الردية من الاقارب والاجانب و
ترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان او بالسنان ثم انه لا بد
للانسان في تكلف اقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر بالمرابطة من الربط
الشد فكل من صبر على امر فقد ربط قلبه عليه والزم نفسه اياه ثم لا بد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها
فلهذا امر بتقوى الله ثم لما تمت وظايف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه فظهر ان هذه الآية مشتملة
على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لآداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي
تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والزكوة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع
وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما اصابكم يوم احد قال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي ان يكونوا اصبر منكم وقال
الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما اكثر ترغيب الله في الجهاد فيها امرهم بالمصابرة مع الاعداء اما المرابطة
ففيها قولان احدهما ان يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط اولئك خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا لقتال الآخر
قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا
يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلوة بعد الصلوة لما روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه قال لم يكن في زمن
رسول الله ص غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلوة خلف الصلوة وفي حديث ابي هريرة ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلك
الرباط ثلث مرات والله اعلم التأويل ان في خلق سموات القلوب واطوارها وخلق ارض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية
وصفاتها ونهار الروحانية وانوارها لآيات لاولي الالباب الذين عبروا بقدمي الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى
لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا
هذه المراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ويقولون ما
خلقت هذا باطلا اي خلقته لاظهار الحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا باعدك عنا
عذاب نار قهرك والبعد منك ففيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم اخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية ربنا
اننا سمعنا من هاتف الحق في الغيب بسمع الحقيقة مناديا فاغفر لنا ذنوبنا اي كما اسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا قبل





ان تخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا اضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر او انثى فيه تقيمكم ورجوليتكم فالذين هاجروا
لاهوا عن الاوطان والاوطار لاعمال السيئة والاخلاق الذميمة واخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة وديارها الى عالم الحقيقة
بسطوات تجلي صفات الربوبية واوذوا في طلبي بانواع البلاء وقاتلوا مع النبيين وقتلوا بسيف الصدق لاكفرن عنهم سيئات
وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص
والهدى والقناعة والعفة والمروة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب و
المحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق
تجري من تحتها الانهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند
الجنة وغيرها وان من اهل الكتاب من علماء الظاهر علماء متقين يكون ايمانه من نتيجة نور الله
الذي دخل قلبه ويؤمن بما انزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما انزل
اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال ص اذا تجلى الشيء خضع له لا يشترون لما اوتوا
من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية قبل فناهم
اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا في مراقبة القلب عند الابتلاءات و
رابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله في الالتفات الى ما سواه لعلكم
تفلحون فتفوزوا بالبقاء بالله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين

## مدنية
## سورة النساء
## حروفها ١٦٠٣٠ كلماتها ٣٧٤٥ آياتها مائة وست وسبعون

### بسم الله الرحمن الرحيم

ع٢ يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون
اى گروه مردمان بپرهيزيد از پروردگار خود آنكه بيافريد شما را از يك نفس و بيافريد از آن جفت او و پراكنده كرد از ان دو مردان بسيار و زنان و بپرهيزيد از خداى [illegible]
به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان
[illegible] و از قطع ارحام بدرستيكه خداى هست بر شما نگاهبان و بدهيد يتيمان را مالهاى ايشان و بدل مكنيد پليد را بپاكيزه و مخوريد مالهاى ايشان را با مالهاى خود بدرستيكه آن
حوبا كبيرا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما
گناهيست بزرگ و اگر بترسيد از آنكه عدالت نورزيد در باره يتيمان پس نكاح كنيد آنچه پاكيزه است از زنان دو تا و سه تا و چهار تا پس اگر بترسيد كه بعدالت رفتار نكنيد پس يكى را و آنچه
ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
در تصرف دستهاى شماست اين نزديكتر است بآنكه ميل نكنيد و بدهيد زنان مهرهاى ايشان را [illegible] پس اگر ببخشند از طيب نفس از مهر چيزى را پس بخوريد آنرا گوارا
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا
و مدهيد بيخردان مالهاى خود را كه قرار داده است خدا از براى شما قيام و روزى دهيد ايشانرا و بپوشانيد ايشانرا و گوئيد بايشان گفتار خوش [illegible] و بيازمائيد يتيمانرا تا چون برسند
النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
بنكاح پس اگر دريافتيد از ايشان رشدى پس بسپاريد بايشان مالهاى ايشانرا و مخوريد آنرا از روى اسراف [illegible] پس بايد كه عفت ورزد و هر كه بى چيز است
فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل
پس بخورد باندازه پس چون رد كرديد بسوى ايشان مالهاى ايشانرا پس گواه گيريد بر ايشان و بس است خداى حسيب مردان را بهره از آنچه [illegible] پدر و مادر و خويشان از آنچه كم
منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين
از آن يا زياد بهره واجب و چون حاضر آيند قسمت را خداوندان خويشى و بى پدران و بينوايان پس بدهيد ايشانرا از آن و گوئيد ايشانرا گفتارى خوش و بايد كه بترسند آنان
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون
كه اگر واگذارند از عقب خود فرزندان ناتوان كه بترسند بر ايشان پس بايد كه بپرهيزند از خدا و گويند گفتارى محكم بدرستيكه آنانكه ميخورند مالهاى يتيمان را بستم جز اين نيست كه ميخورند
في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

القراءات تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلي وخلف عباس مخير الباقون بالتشديد اي بادغام التاء في السين والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ما طاب بالامالة لحمزة ونحلته بالرفع يزيد الباقون بالنصب هنيئا مريئا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة في الوقف على انهما وقف واذا انفرد هنيا همزها كل القراء يزيد قياما ابن عامر ونافع الباقون قياما ضعافا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعدان والعجلي وخلف لنفسه وقتيبة على اصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وابو بكر وحماد والمفضل الباقون بفتحها الوقوف ونساء ج لان الجملتين وان اتفقتا الا انه اعترضت المعطوفات والارحام ط رقيبا ه بالطيب ص الى اموالكم ط كبيرا ه ورباع ج ايمانكم ط الا تعولوا ط لابتداء حكم آخر نحلة ط لان المشروط خارج عن اصل الموجب مريئا ه معروفا ه النكاح ج اموالهم ج ان يكبروا ط لابتداء جملتين متضادتين فليستعفف ج بالمعروف ط للعوالي حملا الموجب بعد وقوع الفاعل عليهم ط حسيبا ه والاقربون الاولى ص او كثر ط نصيبا مفروضا ه معروفا ه خافوا عليهم ص سديدا ه نارا ط سعيرا ه التفسير كانت هذه السورة مشتملة على انواع كثيرة من التعطف على الاولاد والنساء والايتام

وايتاء



وايتاء حقوقهم اليهم وحفظ اموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلوة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرهن الى غير ذلك من المناسبات ومكارم الاخلاق التي تناط بها صلاح المعاش والمعاد فافتتح السورة ببعث المكلفين على التقوى ومن غرائب القرآن ان فيه سورتين صدرهما يا ايها الناس احداهما في النصف الاول وهي الرابعة من سوره والاخرى في النصف الثاني وهي ايضا في الرابعة من سوره ثم التي في النصف الاول مصدرة بذكر المبدأ اتقوا ربكم الذي خلقكم والتي في النصف الثاني مصدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة اما المبدأ الاول وهو انه خلقنا فلا شك انه علة لوجوب الانقياد للتكاليف والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شأن العبد امتثال امر مولاه في كل ما يأمره وينهاه وايضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة اخرى منه واما المبدأ الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق اشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير اشكالهم وتباين امزجتهم واختلاف اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة او العلة الموجبة كان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم في هذا المبدأ فوائد اخر منها انه امر عقيبه بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم متفرعين من اصل واحد او بنية واحدة يعاون على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة واظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب واجمع المفسرون على ان المراد بالنفس الواحدة ههنا آدم عليه السلام والتأنيث في الوصف نظرا الى لفظ النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وقال ابو مسلم وخلق من جنسها زوجها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فاي فائدة في خلقها من ضلع من اضلاع آدم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها الحديث احتج جمع من الطبائعيين بالاية على ان الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض محال والجواب انه لا يلزم من احداث شيء في صورة واحدة من المادة لحكمة ان يتوقف كل احداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف اي انشأها او ابتدأها وخلق منها او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بعث اليهم رسول الله اي خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر اقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يلزم من خلق بني آدم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره تفصيل الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم دخول الواو الا ان المراد وصفه تعالى بالاوصاف الثلاثة جميعا من غير ترتيب بينها في النسق والا كان لا تثبت بها العبث بالفائدة العطف بالواو وفي الجمع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل والترتيب موكول الى قضية العقل فافهم والله تعالى اعلم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال اتم فكانت كثرتهم اظهر وفيه تنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز واللائق بحال النسوان الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسيهما ثم ان هذا البث محمول على ما عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب آدم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما اولادهما ومن اولادهما جمعا آخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قرأ بالنصب فللعطف على اسم الله اي واتقوا الارحام ان تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما للعطف على محل الجار والمجرور كقوله فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار ابي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء اي والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرأ بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تمام ما قبله ولا سيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة اخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالآباء وههنا حلف اولا بالله ثم قرن به الرحم فاين احدهما من الآخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم ايضا منهي عنها لكن لا نسلم انه نهى عنها مطلقا وانما المنهي عنها ما حلف على سبيل التعظيم واما الحلف بطريق التأكيد فلا بأس بها ولهذا جاء في الحديث افلح وابيه ان صدق سلمنا انها منهي عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والسؤال وهو سؤال البعض للبعض اسألك بالله وبالرحم وانشدك الله والرحم وقرئ والارحام بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي والارحام كذلك اي انها مما يتقى او يتساءل به فان قيل قال اولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا اما تكرار الامر فللتأكيد كقولك للرجل عجل عجل واما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلان الغرض في الاول الترغيب بتذكير النعمة والاحسان والتربية وفي الثاني الترهيب لفظ الله تدل على كمال القدرة والقهر فكأنه قيل انه ربك واحسن اليك فاتق مخالفته والا فانه شديد العقاب قوي السطوة قال العلماء في الاية دليل على جواز المسألة بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال امرنا رسول الله بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى ما في الاية من تعظيم حق الرحم وتأكيد النهي عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال في سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما

من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الصحيح عن عائشة قالت قال رسول الله الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله يقول ليس الواصل بالمكافي الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله
الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فلهذا ابتنى ابو حنيفة
على هذا الاصل مسئلتين احديهما ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقي الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن
الاستخدام ايحاش وقطيعة رحم والثانية ان الهبة لذي الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها لان الرجوع ايحاش والقطيعة ثم انه ختم الاية بما يتضمن
الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا اي حافظا عليكم جميع اعمالكم فيجازيكم بحسبها ثم انه سبحانه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفة
ومن له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى اموالهم واصل اليتيم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم
فاليتيم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه في عرف الشرع اختص بالذي لم يبلغ الحلم قال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم والمراد انه اذا احتلم لا يجري عليه احكام
الصغار لانه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره فان قيل اذا كان اسم اليتيم في الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون
يتيما لا يجوز دفع امواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى اموالهم قلنا في الجواب طريقان احدهما
ان المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم كقوله فالقي السحرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة قبيل
السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ
وقال عليه السلام تستأمر اليتيمة في نفسها ولا تستأمر الا وهي بالغة وعلى هذا يكون في الاية اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا
ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما روى مقاتل والكلبي انها نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير
لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله
من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي
الوزر على والده قيل لانه كان مشركا الطريق الثاني ان المراد بهم الصغار اي الذين هم يتامى في الحال اتوهم بعدما زالت صفة اليتم اموالهم والوهم
من اموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاولياء والاوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج اي لا تتبدلوا
الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال
غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستئخار او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو الاختزال لاموال اليتامى والاعتزال عنها حتى تتلف
بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان ياخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردي قال صاحب الكشاف
هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل الا ان يريد بالتبادل مبادلة تدخل على المأخوذ وفي التبديل على المعطى ولما كان المأخوذ الطيب كان تبديلا ثم وجهه
لعله يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي فيكون تبديلا وقيل معنى الاية ان اكل مال اليتيم سلفا مع التزام بدله
فيكون تبديل الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم منضمة الى اموالكم في الانفاق وتسوية بينهما لتكون في الحل اثرا اي الاكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدور على الضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل الى
ههنا بمعنى مع والفائدة في زيادة قوله الى اموالكم واكل اموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح والتوبيخ لانهم اذا كانوا مستغنين
عنها بما رزقهم الله من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم احرى ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم
وان خفتم الا تقسطوا اقسط الرجل عدل وقسط قسوطا جار قال الزجاج اصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا اقسط فمعناه ظلم صاحبه في قسطه من
قوله قاسطته فقسطته اي غلبته على قسطه واذا قالوا اقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل اصفق اذا اتى بالنصف فيلزمه العدالة والتسوية واعلم
ان قوله ان خفتم شرط وقوله فانكحوا جواب له ولا بد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه الاول ما روى عن عروة انه
قال قلت لعائشة ما معنى قول الله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها و
جمالها الا انه يريد ان ينكحها بادنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة ردية لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج
عنها فقال تعالى وان خفتم ان تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله بعد
هذه الاية فيهن فانزل الله تعالى ويستفتونك في النساء الاية فقوله فيها وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد هذه الاية وهي قوله
وان خفتم الا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة اخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال ويكون وليها فيتزوجها ضنا بها
عن غيره فربما اجتمع عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم الا تقسطوا
في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثاني وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي منقولا عن ابن عباس لما نزلت الاية
المتقدمة في اكل اموال اليتامى من الحوب الكبير خاف الاولياء الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج







واكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى
في العجز والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فكانه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون
من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا من الحرج خائفين من الزنا ايضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روي عن عكرمة كان الرجل عنده
النسوة ويكون عنده الايتام فاذا انفق مال نفسه على النسوة اخذ في انفاق اموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم ان تظلموا اليتامى باكل اموالهم عند
كثرة الزوجات فقد حظرت عليكم ان تنكحوا اكثر من اربع ليزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع ايضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع والناقص
وهو الواحدة ونبه بذلك على ما بينهما فكانه قيل ان خفتم الاربع فثلاثا وان خفتم فاثنتين وان خفتم فواحدة قال الظاهرية النكاح واجب لقوله
فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بحالة الخوف فلا يلزم منه
الوجوب على الاطلاق وايضا الاية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه اراد به الجنس يقول الرجل عندي ما
منهما الرجل والمرأة تريد ما ذلك الشيء الذي عندك او ما تلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله او ما ملكت ايمانكم
ولان ما ومن يتعاقبان قال تعالى والسماء وما بناها فمنهم من يمشي على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم اي ما حل لكم من النساء لان فيهن من يحرم
نكاحها كما سيجئ واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا امر اباحة فيؤول المعنى الى قوله ابيحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مستدل سلمناه
لكن الاية تصير مجملة لان اسباب الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الاية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الاية عامة دخلها التخصيص
وانه اولى من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا والجواب عن الاول انه ذكر الشيء مبهما ثم صرح مع الابهام
تكرارا بدليل قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثاني ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما يأتي بعدها اخرجته التحريم لا
اجمال واما قوله مثنى وثلاث ورباع لم يوجد في كلام الفصحاء الا هذه والا احاد وموحد وجوز الاعشار ومعشر قياسا على قول الكميت لم يستريثوك حتى
رميت فوق الرجال خصالا عشارا فاتفق النحويون على ان فيها عدلا محققا وذلك انه تفيد بها تقسيم ذي اجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه غير العدد
مكرر على الاطراد في كلام العرب نحو قرأت الكتاب جزءا جزءا وجاءني القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة وكان القياس في باب العدد ايضا التكرير عملا
بالاستقراء والحاق الفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث مثلا غير مكرر لفظا حكم بان اصله لفظ مكرر وليس الا ثلاثة ثلاثة فقد
منع صرف مثل هذا للعدل والوصف لا الاصلي فان هذا التركيب يستعمل الاوصاف بخلاف المعدول عنه وقيل ان فيه عدلا مكررا من حيث اللفظ
لان اصله كان ثلاثة ثلاثة مرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلاث ومثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما في الكشاف
واذا جرى على النكرة فمحمول على البدل وضعف بعدم جريانه على المعارف ولو تعرضنا لمعنى الاية فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد
ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة منصوب بالنصب اي فاختاروا وانكحوا او الزموا واحدة ومن
قرأ بالرفع اراد فكفت واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فيما وجدتموه فعليكم به ثم قال او ما ملكت ايمانكم في التسوية
في السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شئتم من الاماء الا انهن اقل تبعة واخف مؤنة من المهائر لا على المرء اكثر منهن او اقل عدل بينهن في القسم ام
لم يعدل عزل عنهن ام لم يعزل ولمكان التسوية بينها وبينهن احتج بها الشافعي في بيان ان نوافل العبادات افضل من النكاح وذلك للاجماع على ان
الاشتغال بالنوافل افضل من التسري فوجب ان يكون افضل من النكاح لان الزائد على احد المتساويين زائد على الاخر ولمانع ان يمنع التسوية فان تورث الطبيب
مثلا للمريض كل التفاح والرمان يحتمل ان يكون للتسوية بينهما وقد يكون للمقاربة اي ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة
للضرورة ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى ان اكثر الفقهاء على
ان نكاح الاربع مشروع للاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يمكن من النكاح
الا باذن مولاه وايضا انه قال بعد ذلك فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول كذلك
لان هذه الخطابات وردت متتابعة على نسق واحد فيبعد ان يدخل التقييد في اللاحق دون السابق وكذا قوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه
هنيئا مريئا والعبد لا ياكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد ان يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر الاية ومن الفقهاء من سلم ان ظاهر الاية يتناول
العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على ان الرق له تاثير في نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد
من حقوق النكاح وجب ان يحصل للعبد نصف ما للحر الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج باي عدد اريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء
اطلاق في جميع الاعداد بدليل صحة استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا
ينافي ثبوت الحكم في الباقي بل نقول ذكرها يدل على نفي الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدينة والى البستان
كان تنصيصا في ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وايضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيها على حصول الاذن في جميعها ولئن
سلمنا الكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها واما السنة فلما ثبت بالتواتر انه مات عن تسع ثم امرنا
باتباعه في قوله فاتبعوه واقل مراتب الاباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فمن رغب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جوابهم امران احدهما الخبر كخبر

ان نوفل بن معاوية اسلم وتحته خمس نسوة فقال له امسك اربعا وفارق واحدة وزيف بان القرآن دل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون
مجملا ونسخ القرآن بخبر الواحد جائز وبان الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع النسب او الرضاع واقول القرآن لم يدل على عدم الحصر غايته انه لم يدل
على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وايضا قوله امسك اربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على ان المانع هو الزيادة
على الاربع لا غيرها وكذا في نظائر هذا الحديث وثانيهما الاجماع فقهاء الامصار وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم
فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب ان المخالف اذا كان شاذا فلا يعتبر والقرآن لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن
الاجماع دل على وجود مبين في زمان الرسول ولئن سلم ان القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق
لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي ان يقال مثنى او ثلاث ورباع باو الفاصلة لانا نقول يلزم حينئذ ان لا يجوز النكاح الا على احد هذه الاقسام
فلا يجوز لبعضهم ان يأتي بالتثنية ولغيره ثان بالتثليث ولآخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة التي دلت عليه الواو وذلك
ادنى ألا تعولوا اي اختيار الواحدة او التسري اقرب من ان لا تميلوا ولا تجوروا وكلا اللفظين مروي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم عال الميزان
عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه الا تفتقروا ورجل عائل اي
فقير وذلك انه اذا قل عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي انه قال معناه ان لا تكثر عيالكم وطعن فيه بعض القاصرين ان هذا في اللغة
معنى تعيلوا لا معنى تعولوا يقال عال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاووس ألا تعيلوا وايضا انه لا يناسب قوله وان خفتم ألا تقسطوا
وايضا مذهبه انه يحل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقال عند اختيار التسري ولا حصر فيهن والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى جعل
اللغة وتمام علم انه تعالى اشار الى الشيء بذكر لازمه اي حمل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وفي الكناية
في الكشاف على وجه آخر وهو انه جعل قوله تعالى ألا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم ولا شك ان من
كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم وهو الانفاق واراد الملزوم
وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور واراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني ان تحمل الكلام على ما
يلزم منه تكرار اولى بتقدير التسليم فتفسير الشافعي ايضا يؤول الى تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا وعن الثالث ان الجواري اذا كثرن فله
ان يكلفهن الكسب فينفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا فكأنه لا عيال وايضا اذا عجز المولى باعهن وتخلص منهن بخلاف المهاير فان الخلاص عنهن
يفتقر الى تسليم المهر اليهن وقال في الكشاف لعل الشافعي جاء بتعبيره نكتة فكنى مظان كثرة الولد بالاضافة الى التزوج وآتوا النساء صدقاتهن
اي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب
كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيئا ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيئا لك النافجة يعنون انك تأخذ مهرها ابلا
فتضمها الى ابلك فتنفج مالك اي تعظمه وقال ابن الاعرابي النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وامر بدفع الحق الى
اهله وهذا قول الكلبي وابي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل ان يكون المراد من الايتاء المناولة فيكونوا امروا بدفع المهور التي
سموها لهن ويحتمل ان يراد الالتزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد اي حتى يضمنوها فيكون المعنى ان الفروج لا تستباح الا بعوض يلزم سواء سمي
ذلك ولم يسم الا ما خص به الرسول من الموهوبة قال ويجوز ان يراد الوجهان جميعا اما قوله نحلة فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد اي فريضة
ديانة فيكون مفعولا لها او حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي اي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء
بمعنى الاعطاء او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يؤخذ بالمطالبة لا يسمى
نحلة او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيئا لان البضع في ملك المرأة بعد
النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل منافع النكاح من قضاء
الشهوة والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان يؤتي الزوجة المهر وكان ذلك عطية من الله تعالى ابتداء ثم لما امرهم بايتاء الصدقات
اباح لهم جواز قبول ابرائها وهبتها فان طبن لكم عن شيء منه نفسا نصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلبس ان النفس لهن كلهن ولو جمعت لجاز والضمير في منه
للصداق والمذكور وفي قوله طبن وبناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون ان يقول سمحن او وهبن وفي قوله عن شيء منه دون ان يقول عنه تنبيه
على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعثهن على تقليل الموهوب ولهذا
ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة
منها او اكثر ومن هذا التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض خرجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور لانه لا يجوز هبة كل الصداق اذا
طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان
من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال
المريء لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل اصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب بالجملة فهو عبارة عن التحلل





او المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وفيما صفتا للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد نوقف على
قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء او على انهما قاما مقام مصدريهما اي هنأ مرأ والمراد بالاكل التصرف الشامل للعين والدين قال بعض
العلماء ان وهبت ثم طلبت علم انها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك
لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم
الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما امر بايتاء اليتامى اموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم حفاظا لاحلام وان بلغوا او ان التكليف فقال
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء فورد ان الانسان لو قتل اموالهم واجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال
الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الواحدة الشخصية كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه
لكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل انفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا هنا المال شيء ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية
حسنت اضافة اموال السفهاء الى اوليائهم ويحتمل ان يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة
ادنى سبب وقيل خطاب للآباء نهاهم الله تعالى اذا كان اولادهم سفهاء ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم فعلى هذا يكون اضافة الاموال اليهم حقيقة
والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب اجله يجب عليه ان يوصي بماله الى امين يحفظه على ورثته وقد رجح القول الاول بان ظاهر النهي للتحريم وقد
اجمعت الامة على انه لا يحرم عليه ان يهب من اولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله واجمعوا على انه يحرم للولي ان يدفع الى السفهاء اموالهم وايضا
قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا فهذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا الآباء واقول لا يبعد حمل الآية على كلا القولين لان الاضافة
في اموالكم لا يفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية او اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء رجالا
كن او امهات او بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة
اطاعت قيمها وقد جمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم اولاد الخفاف العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير
اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله والصحيح ان المراد بالسفهاء كل من ليس
له عقل يفي بحفظ المال ولا يهتدي الى صلاحه وتثميره والتصرف فيه يدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند اهل
الدين والعلم بمصالح الدارين فيضع المال فيما لا ينبغي ويفسده ومعنى جعل الله لكم قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام
اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قيما فعلى حذف الالف من قياما وهو مصدر قام واصله قوام فقلبت الواو ياء لاعلال فعله فان لم يكن مصدر
لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولأن اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس
الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال
ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال هي وان ادنتني فقد صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد
صان الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على اهله وفيه الفقر مخذلة والبؤس مرذلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها
تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال ابو العتاهية اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل اذا مالت الدنيا على المرء رغبت اليه وما
الناس حيث يميل وليس الغنى الا غنى زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل وقد اختلف اقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما حوم
من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغنى مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا مذهب
من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقر تارك والغنى ملابس وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا قول من غلب
عليه حب السلامة وقال الباقون خير الامور اوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين شعر
ومن كلفته النفس فوق كفافها فما ينقضي حتى الممات عناؤه والحاصل ان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا
يكون فارغ البال الا بواسطة المال فبذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا وفي آية المداينة حيث امر بالكتابة
والشهادة والرهان المقبوضة فمن اراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن ارادها لعينها فمآلها من خسره وندامه ثم انه سبحانه امر بعده ذلك
بثلاثة اشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وانما لم يقل منها كيلا يكون امرا بجعل بعض اموالهم رزقا لهم فيأكلها الانفاق بل امر بان يجعلوها
مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويثمروها حتى يكون نفقتهم من الارباح لا من اصول الاموال وصلبها واكسوهم كل من الرزق والكسوة بحسب المصلحة
وكما يليق بحال امثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل ان يقولوا اذا ربحت
في سفري هذا فعلت بك ما انت اهله وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك
وبارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه
ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها
وعظه ونصحه وحثه على الصلوة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول

او عمل فهو معروف وما نفرت منه النفس فمنكر ثم بين ان السفهاء متى يؤتون اموالهم فشرط في ذلك شرطين احدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني ويدخل وقت امكانه باستكمال تسع سنين فمن لم يحتلم فبلوغه ببلوغ خمس عشرة سنة تامة قمرية عند الشافعي وثماني عشرة عند ابي حنيفة وهذان مشتركان بين الغلام والجارية ولها امارتان اخريان الحيض والحبل ولطفل الكفار امارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة واما الايناس فمعناه في اللغة الابصار والمراد في الآية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن هنا قال ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المامور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا اذن له في البيع والشرى وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لانا لا نسلم انه يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه موقوف على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله حسب ما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع والشرى بحضوره ثم باستكشاف ذلك البيع والشرى منه وما فيهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيئا ليبيع او يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي يعقد ثم العقد لو اراد وولد الزارع يختبر في امر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف فيما يتعلق بحرفته والمرأة في امر القطن والغزل وحفظ الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفارة وما اشبهها ولا يكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين او اكثر على ما يليق بالحال ويفيد غلبة الظن انه رشيد نوعا من الرشد يليق بحاله لا الرشد من جميع الوجوه على اكمل ما يمكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه لا بد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق باصلاح ماله بحيث لا يقدر الغير على تضييعه ثم ان ابا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء الى مصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عن فرعون في قوله وما امر فرعون برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وابو حنيفة لا يراه ثم انه اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند صاحبي ابي حنيفة وعند الشافعي لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الآية وعند ابي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس ثم قال ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مصدران في موضع الحال اي مسرفين ومبادرين كبرهم او مفعول لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير ضد القصد والاسراف والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا اي اسن وكبر بالضم يكبر كبرا وكبارة اي عظم نهاهم عن الافراط في الانفاق كما نهوا قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه وليتركه والسين زيادة مبالغة كانه طلب زيادة العفة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وللعلماء خلاف في ان الوصي هل له ان ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له ان يأخذ قدر ما يحتاج اليه بقدر اجرة عمله لان النهي في الآية عن الاسراف مشعر بان له ان يأكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروي ان عمر بن الخطاب كتب الى عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فاني قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الا واني قد انزلت نفسي واياكم من مال الله منزلة والي مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وايضا فقياسا على الساعي في اخذ الصدقات وجمعها فانه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا هنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية ان له ان يأخذ بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا ايسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه واكثر العلماء على ان هذا الاقراض انما جاء في اصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول من البان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال قال ابو بكر الرازي الذي نعرفه من مذهب اصحابنا انه لا يأخذ لا على سبيل القرض ولا ابتداء سواء كان غنيا او فقيرا واحتج بقوله وآتوا اليتامى اموالهم واجيب بانها عامة وقوله فليأكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما واجيب بان محل النزاع هو ان اكل الوصي مال اليتيم ظلم او لا وقال وان تقوموا لليتامى بالقسط وهو ايضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على ان الوصي اذا دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط ان يشهد عليه اظهارا للامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه يصدق بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وظاهر الامر للوجوب لانه امين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي ولا كمال الشفقة كالاب فلم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتنفيرا للناس عن قبول الوصاية وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض ومحاسبا كالشريب بمعنى الشارب وفيه تهديد للولي لليتيم ان يتمادوا ولا يتكاثروا والباء في بالله زائدة نظرا الى اصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم من ههنا شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس ان اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها ام كحة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا





ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا نعطي الا من قاتل على ظهور الخيل وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة قال فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك علي بنات وانا امرأته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته من المال شيئا فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله لي فيهن فانصرفوا فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لبني العم وسبب الاجمال في الآية ثم التفصيل فيما بعد هو الفطم من المألوف شيئا فشيئا والتدرج في الامور دأب الحكيم وهكذا انزل الاحكام والتكاليف شيئا بعد شيء الى ان كملت الشريعة الحقة والدين الحنيفي مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا مقدرا لا بد لهم ان يحوزوه او على المصدر المؤكد كانه قيل قسمة مفروضة احتج بعض اصحاب ابي حنيفة بهذه الآية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال واولاد البنات لان الكل من الاقربين غاية ما في الباب ان مقدار نصيبهم غير مذكور ههنا الا انا نثبت بالآية استحقاقهم لاصل النصيب وتقدير المقادير من سائر الادلة واجيب بانه تعالى قال نصيبا مفروضا وبالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر والقائلون بتوريثهم انما يثبتونه بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا انه غير مراد من الآية وايضا ليس المراد بالاقربين من له قرابة ما وان كانت بعيدة والا دخل جميع اولاد آدم فيه فالمراد اذن اقرب الناس الى الوارث وما ذاك الا الوالدان والاولاد ودخول الوالدين في الاقربين يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار والله تعالى اعلم قال المفسرون انه تعالى لما ذكر في الآية ان للنساء اسوة بالرجال في ان لهن حظا من الميراث وعلم ان في الاقارب من يرث ومنهم من لا يرث وربما حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم قال واذا حضر القسمة اولوا القربى الآية ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من قال باستحبابه وعلى الوجوب فعن سعيد بن المسيب والضحاك انها منسوخة بآية المواريث وعن ابي موسى الاشعري وابرهيم النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها مما تهاون به الناس قال الحسن ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى والمساكين من الورق والذهب فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم ارجعوا بورك فيكم وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا ان هذا الرضخ يستحب اذا كانت الورثة كبارا واما اذا كانوا صغارا فليس الا القول المعروف كان يقول الولي اني لا املك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وان يكبروا فسيعرفون حقكم والضمير في منه اما ان يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله الموصي ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل اولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون وقوله وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة الشرطية وهي لو مع ما في حيزها صلة الذين والمعنى وليخش الذين من صفتهم وحالهم انهم لو تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم واما المخشي فغير منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا او امروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون على اولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد اي الصواب العدل هو ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالقول الجميل ويدعوهم يا بني ويا ولدي وهذا القول اليق بما تقدم وما تأخر من الآيات الواردة في باب الايتام نبههم الله تعالى على حال انفسهم وذريتهم اذا تصوروها ليكون ذلك اجلب ما يدعوهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القائل لقد زاد الحيوة الي حبا بناتي انهن من الضعاف احاذر ان يرين البؤس بعدي وان يشربن رنقا بعد صاف وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك ولا يزالون يامرونه بالوصية الى الاجانب الى ان يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض خوفهم على اولاد انفسهم لو كانوا وعلى هذا يكون الآية نهيا للحاضرين عن الترغيب في الوصية والقول السديد ان تقولوا للمريض لا تسرف في الوصية فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا يبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز ان يتصل الآية بما قبلها فيكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن ثابت سألت مقسما عن الآية فقال هو الرجل الذي يحضره الموت ويريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وامسك على ولدك مالك مع ان ذلك الانسان يحب ان يوصى له وعلى هذا يكون نهيا عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم اكد الوعيد في باب اهمال مال اليتيم فقال ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اي ظالمين او على وجه الظلم من ولاة السوء وقضاته لا بالمعروف انما يأكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار وكانه نار في الحقيقة وقال السدي يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة اسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من النار يخرج من اسافلهم فقال جبرئيل هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو من

صلی فلان النار بالکسر یصلی صلیاً احترق ومن قرأ بالضم فمعناه الالقاء فی النار لاجل الاحراق ومن الاصلاء وقد یشدد من التصلیة والمعنی واحد وهو السّعیر النار وسعرت النار والحرب هیجتها والهبتها فهی سعیر ای مسعورة والتنکیر للتعظیم ای نارًا مبهم الوصف لا یعلم شدتها الا خالقها قالت المعتزلة لا یجوزان یدخل تحت هذا الوعید اکل الیسیر من ماله بل لابدّ ان یکون مقدارًا خمسة دراهم لا نه القدر الذی وقع علیه الوعید فی آیة الکنز فی منع الزکوة ولا بد مع ذلک من عدم التوبة فقیل لهم انکم خالفتم هذا العموم وخصصتم من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم کونه صغیرة فلم لا یجوز لنا ان نزید فیه شرط عدم العفو وههنا نکتة وهی انه اوعد مانع الزکوة بالکیّ واکل مال الیتیم بامتلاء البطن من النار ولا شک ان هذا الوعید اشد والسبب فیه ان الفقیر غیر مالک لجزء من النصاب حتی یملکه المالک والیتیم مالک لماله فکان منع الیتیم اشنع وایضًا الفقیر یقدر علی الاکتساب من جهة او علی السؤال والیتیم عاجز عنهما فکان ضعفه اظهر وهذا من کمال عنایته تعالی بالضعفاء فنرجوان یرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقوته التاویل ذکر الناسین بدو خلقهم بالاشباح والارواح فخلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد قال اول ما خلق الله روحی فهو ابو الارواح وخلق من روح زوجه وهی النفس خلقها من ادنی شعاع من اشعة انوار روح محمد وبث منهما رجالاً کثیرًا ارواحًا کاملین ونساء ارواحًا ناقصات واتقوا الله الذی تساءلون به ای اتقوه ان تساءلوا به غیره والارحام ولا تقطعوا رحم رحمتی بصلة غیری وآتوا الیتامی اموالهم تزکیة عن آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلیة بالقناعة والمروة وعلو الهمة والعافیة ولا تتبدلوا الخبیث بالطیب تزکیة عن آفة الخیانة والخدیعة وتحلیة بالامانة وسلامة الصدر ولا تاکلوا اموالهم الی اموالکم تزکیة عن الجور وتحلیة بالعدل فان اجتماع مثل الرذائل کان حوباً کبیرًا حجابًا عظیمًا فانکحوا ما طاب لکم تزکیة عن الفاحشة وتحلیة بالعفة ذلک ادنی ان لا تعولوا تزکیة عن الحدة والغضب وتحلیة بالسکون والحلم وآتوا النساء صدقاتهن تزکیة عن البخل والغدر وتحلیة بالوفاء والکرم فکلوه هنیئًا تزکیة عن الکبر والانفة وتحلیة بالتواضع والشفقة فهذه کلها اشارة الی تربیة یتامی القلوب والنفوس بایتاء حقوق تزکیتهم عن الاوصاف وتحلیتهم بهذه الاخلاق ثم نهی عن ایتاء النفوس الامارة حظوظها فقال ولا تؤتوا السفهاء وانما قال اموالکم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنیا لاجلهم ان الارض یرثها عبادی الصالحون وارزقوهم فیها بالله ما یسد الجوعة واکسوهم ما یستر العورة وما زاد فاسراف فی حق النفس وقولوا لهم قولاً معروفًا کلوا من رزق الله فاذا شکر نعمته بامتثال اوامره ونواهیه الا ذیبوا طعامکم بذکر الله کما قال اذیبوا طعامکم بذکر الله وابتلوا الیتامی ای قلوب المتاهبین بالتوسع فی المعیشة بعدان کانوا محجورین عن التصرف حتی اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغین فان آنستم منهم رشدًا بان یستمدوا بذلک التوسع علی السیر وزادوا فی اجتهادهم وجدهم کما قال الجنید اشبع الزنجی وکده فادفعوا الیهم اموالهم فالعبد فی هذا المقام یکون جائز التصرف فی مال سیده کالعبد المأذون ولهذا قال ههنا اموالهم ولا تاکلوها اسرافًا ای فان الشیخ یا اولیاء الطریقة من المهدیین البالغین شد التصرف فی اصحاب الارادة فادفعوا الیهم عنان التصرف باجازة الشیخوخة ولا تجعلوا الشیخوخة ماکلة لکم غیره وغبطة علیهم ان یکبروا بالشیخوخة ومن کان غنیًا بالله من قوة الولایة مستظهرًا بالعنایة فلیستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن کان فقیرًا مفتقرًا الی ولایة المرید فلیاکل بالمعروف فلینتفع باعانته ولیجزله بالشیخوخة مع الامداد فی الظاهر والباطن فاذا دفعتم الیهم اموالهم سلمتم الیهم مقام الشیخوخة فاشهدوا علیهم الله ورسوله وارواح المشایخ واوصوهم برعایة حقوقهما مع الله والخلق ثم اخبر عن نصیب کل نسب فقال للرجال وهم الاقویاء من الطلبة وللنساء وهم الضعفاء نصیب مما ترک الوالدان والاقربون وهم المشایخ والاخوان فی الله ترکتهم برکتهم وانوارهم نصیبًا مفروضًا علی قدر استعدادهم واذا حضر القسمة ای فی محافل صحبتهم ومجالس ذکرهم اولوا القربی المنتمون الیهم والمقتبسون من انوارهم والمفتقرون لاثارهم فارزقوهم من مواهبهم کالیتامی وقولوا لهم قولاً معروفًا فی التشویق وارشاد الطریق وتشهیر هوان الدنیا عند الله وعزة اهل الله فی الدارین ولیخش الذین لو ترکوا من خلفهم ذریة ضعافًا من متوسطی المریدین او المبتدئین خافوا علیهم آفات المفارقة بسفر او موت فلیتقوا الله ای یوصیهم بالتقوی وان یقولوا قولاً سدیدًا هو لا اله الا الله فان التقوی ومداومة الذکر حظوتان یوصلان العبد الی الله ان الذین یاکلون یضیعون اطفال الطریقة بعدم التربیة ورعایة وظائف النصیحة انما یاکلون فی بطونهم نار الحسرة وتوالغرامة لانتفع البتة

یُوصِیکُمُ اللَّهُ فِی أَوْلَادِکُمْ لِلذَّکَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَیَیْنِ فَإِنْ کُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَیْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَکَ وَإِنْ کَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَیْهِ لِکُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَکَ إِنْ کَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ یَکُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ کَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصِی بِهَا أَوْ دَیْنٍ آبَاؤُکُمْ وَأَبْنَاؤُکُمْ لَا تَدْرُونَ أَیُّهُمْ أَقْرَبُ لَکُمْ نَفْعًا فَرِیضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ کَانَ عَلِیمًا حَکِیمًا

ع ١٣

ولکم





وَلَکُمْ نِصْفُ مَا تَرَکَ أَزْوَاجُکُمْ إِنْ لَمْ یَکُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ کَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَکُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَکْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصِینَ بِهَا أَوْ دَیْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَکْتُمْ إِنْ لَمْ یَکُنْ لَکُمْ وَلَدٌ فَإِنْ کَانَ لَکُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَکْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَیْنٍ وَإِنْ کَانَ رَجُلٌ یُورَثُ کَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِکُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ کَانُوا أَکْثَرَ مِنْ ذَلِکَ فَهُمْ شُرَکَاءُ فِی الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصَی بِهَا أَوْ دَیْنٍ غَیْرَ مُضَارٍّ وَصِیَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِیمٌ حَلِیمٌ تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ یُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ یُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِینَ فِیهَا وَذَلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ وَمَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَیَتَعَدَّ حُدُودَهُ یُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِیهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِینٌ وَاللَّاتِی یَأْتِینَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِکُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَیْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْکُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِکُوهُنَّ فِی الْبُیُوتِ حَتَّی یَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ یَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِیلًا وَاللَّذَانِ یَأْتِیَانِهَا مِنْکُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ کَانَ تَوَّابًا رَحِیمًا إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَی اللَّهِ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ یَتُوبُونَ مِنْ قَرِیبٍ فَأُولَئِکَ یَتُوبُ اللَّهُ عَلَیْهِمْ وَکَانَ اللَّهُ عَلِیمًا حَکِیمًا وَلَیْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السَّیِّئَاتِ حَتَّی إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّی تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِینَ یَمُوتُونَ وَهُمْ کُفَّارٌ أُولَئِکَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِیمًا یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لَا یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ کَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَیْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ یَأْتِینَ بِفَاحِشَةٍ مُبَیِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ کَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَی أَنْ تَکْرَهُوا شَیْئًا وَیَجْعَلَ اللَّهُ فِیهِ خَیْرًا کَثِیرًا وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَکَانَ زَوْجٍ وَآتَیْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَیْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِینًا وَکَیْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَی بَعْضُکُمْ إِلَی بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْکُمْ مِیثَاقًا غَلِیظًا وَلَا تَنْکِحُوا مَا نَکَحَ آبَاؤُکُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ کَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِیلًا

ع ١٤

القراءة واحدة بالرفع ابو جعفر ونافع الباقون بالنصب فلامه وما بعده بکسر الهمزة لاجل کسرة ما قبلها حمزة وعلی الباقون بالضم یوصی وما بعده مبنیًا للمفعول ابن کثیر وابن عامر ویحیی وحماد والمفضل ووافق الاعشی فی الاولی وحفص فی الثانیة الباقون مبنیًا للفاعل ندخله بالنون فی الحرفین نافع وابن عامر وابو جعفر الباقون بالیاء وکذلک فی سورة الفتح والتغابن والطلاق واللذان بتشدید النون ابن کثیر وکذلک قوله هذان وهاتین وارنا اللذین واشباه ذلک واما قوله فذانک فابن کثیر وابو عمرو ویعقوب عباس مخیر الباقون بالتخفیف کرها بالضم وکذلک فی التوبة حمزة وعلی وخلف الباقون بالفتح مبینة مبینات بفتح الیاء ابن کثیر وابو بکر وحماد وقرأ ابو جعفر ونافع وابو عمرو وسهل ویعقوب مبینة بالکسر مبینات بالفتح الباقون کلها بالکسر الوقوف الانثیین ما ترک فلها النصف ط لانتهاء حکم الاولاد ان کان له ولد

فلامه الثلث او دخي اباؤكم وابناؤكم لتعدد ميرهم ابناؤكم ولاحتمال كون اباؤكم مبتدأ وخبره لاتدرون نفعا من الله حكيما لم يكن لهن ولد منهما السدس دبره
لان غير حال عامله يوصي مضار لاحتمال نصب وصية به كما يجيء من الله عليم لان تلك مبتدأ حدود الله خبره فيهما لان ما بعده اعتراض مفرد
للجزاء العظيم خالدا فيها لان ما بعده من تتمة الجزاء مهين وبعده منكم لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا فاذوهما عنهما رحيما عليهم حكيما السيئات لان
حتى اذا يصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت يصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار اليما كرها كالعدل لعل الاحتمال النهي منبئة للعارض بين المتعقبين
بالمعروف كثيرا شيئا مبينا غليظا سلف ومقتا سبيلا التفسير انه تعالى لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا
ولم يكن ذلك الا ببيان جملة احكام الميراث وتقول اجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله اي
يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم واعلم ان اهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين النسب والعهد اما النسب فكانوا يورثون الكبار
ولا يورثون الصغار والاناث كما مر واما العهد فالحلف والتبني كما سيجيء في تفسير قوله والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم وكان التوريث
بالعهد مقررا في اول الاسلام مع زيادة سببين اخرين احدهما الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان اجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة
ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان من اقاربه والثاني المواخاة كان رسول الله يواخي بين اثنين منهم فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر
في الاسلام ان اسباب التوريث ثلثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء ان المعتق يرث بالعصوبة من المعتق روي ان رسول الله ورث ابنة
حمزة من مولى لها ووراء هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة
كما يحملون عنه الدية قال انا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وعن ابي حنيفة واحمد انه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة
لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال الضايع الذي لا يرجى ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده
اشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع مع ابوي الميت اما حال الانفراد فثلثة ذكور واناث معا او اناث فقط او ذكور فقط اما
الحالة الاولى فبينها قوله للذكر مثل حظ الانثيين اي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه احكام ثلثة احدها خلف ذكرا واحدا وانثى واحدة
فله سهمان ولها واحد ثانيها خلف ذكورا واناثا لكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم وثالثها خلف مع الاولاد جمعا اخرين كالزوجين فهم ياخذون
سهامهم والباقي بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب انثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما هو
حظه لذلك ولان الابتداء بما ينبئ عن فضل احد الامرين اولى في الادب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكانه
قيل كفى للذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فليقطعوا الطمع عن الزيادة واما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب النساء من المال اقل من نصيب الرجال فلنقصان
عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث ولان احتياجهن الى المال اقل لان ازواجهن ينفقون عليهن ولكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة
فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة ويحكى عن جعفر الصادق ان حواء اخذت حفنة من الحنطة واكلت واخذت
حفنة اخرى وخبات حفنة اخرى ثم دفعتها الى ادم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف
نصيب الرجل واما الحالة الثانية فهي ان يكن اكثر من اثنتين او اثنتان او واحدة وحكم القسم الاول مبين في قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وحكم
القسم الثالث في قوله وان كانت واحدة فلها النصف من قرأ بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير في كانت اما ان يعود
الى البنات وجاز لعدم الالتباس بدليل واحدة واما ان يعود الى غائب حكمي اي ان كانت البنت او المولودة وقراءة النصب اوفق لقوله فان كن نساء
وقراءة الرفع ايضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف في عود الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير في كن وكانت مبهما ويكون نساء وواحدة
تفسيرا لهما على ان كان ناقصة واما القسم الثاني وهو حكم البنتين فغير مذكور في الاية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما
النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بان النصف ايضا مشروط
بالوحدة واقول لعله نظر الى ان الواحد من الاعداد الغير المحصورة التي فوق الاثنين سوى الثلثة والحمل على الاقرب اولى وقال الاكثرون من الصحابة
وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالاية فلزم ان يكون للبنتين الثلثان وايضا نصيب البنت مع الولد الذكر
الثلث فلان يكون نصيبها مع ولد اخر انثى هو الثلث اولى لان الذكر اقوى من الانثى وعلى هذا فكان قوله للذكر مثل حظ الانثيين دالا على
الانثيين فذكر بعده بيان انهن وان بلغن ما بلغن من العدد لم يجاوزن الثلثين وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى يقول في اخر السورة
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان اولى وهذا قياس جلي ومما يؤيده انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث
البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين وقيل لفظ فوق وهو صفة لنساء او خبر بعد خبر للتاكيد وليخرج اقل الجمع وهو اثنان لا بد
كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتاخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها
فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس وقال سعد بن الربيع قتل معك يوم احد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي
الله في ذلك فنزلت هذه الاية فقال رسول الله ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعمهما اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فلك واما الحالة الثالثة
وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الاية لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان

للابن



للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا اكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وايضا قال وما
ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص شمل ولد الولد فقيل
اسم الولد يقع على ولد الابن ايضا لقوله تعالى يا بني ادم يا بني اسرائيل وقيل قيس ولد الولد على الولد لما انه كولد الصلب في الارث والتعصيب لكنه لا يحجب
شيئا مع اولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب اصلا او لا يأخذ كما في مسئلة بنت واحدة وبنت ابن فلها باقي تكملة
الثلثين ولد الصلب كل الميراث في بيانهم البتة واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان
ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل ملتين وان المرتد ماله لبيت المال سواء اكتسب في الاسلام او في الردة وعند ابي حنيفة ما
اكتسب في الاسلام يرثه اقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روي ان فاطمة لما طلبت الميراث احتجوا بقوله نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من ال يعقوب وبقوله وورث سليمان داود اذ الاصل في التوريث
للمال ووراثة العلم والدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في اولادكم ولان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا علي وفاطمة والعباس وهؤلاء
كانوا من اكابر الزهاد والعلماء في الدين واما ابو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله انه يرث الرسول
عليه الصلوة والسلام فكيف يليق بالرسول ان يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها اشد الحاجة وقد
يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث ولعل فائدة تخصيص
الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق بشيء فمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم اجابوا بان فاطمة رضيت بقول ابي بكر
بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه ابو بكر واعلم ان جميع ما ذكرنا انما هو في حالة انفراد الاولاد اما حالة اجتماعهم بالابوين
فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب
في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في ابويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير
العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل لابويه السدس لاوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي
او بالتفاوت ولو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدأ وخبره لابويه وقد
توسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلث احوال الاولى ان يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى
فههنا ثلثة اوجه احدها ان يحصل معهما ولد ذكر واحد او اكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها ان يحصل معهما
بنتان او اكثر فالحكم كما ذكر وثالثها ان يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الاية والباقي للاب بحكم
التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد اعظم لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيبه اكثر ونصيب الوالدين اقل فالجواب والله اعلم ان الوالدين
ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا اما الاولاد فهم في زمان الصبا فاحتياجهم الى المال اكثر وايضا كانهما قالا لابنائهما بلسان الحال انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وايضا ولد الولد ولده وفيه حال الولد اهم عند الوالدين من غيره الحالة الثانية ان لا يكون
معهما احد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله وان لم يكن له ولد وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب
فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قيد فرضية الثلث للام بان يكون
الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه والى
الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج او الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب
ليكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكر والانثى فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا صار شيء منه مستحقا بقي
الباقي بينهما على قدر الاستحقاق الاول وايضا الزوج انما ياخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية في قسمة الباقي وعن ابن سيرين انه
وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث ونصف السدس اكثر مما للام وخالفه في الزوج
والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث يبقى للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين وهذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين
الحالة الثالثة ان يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان واحدا من الاخوة او الاخوات
لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على ان ثلثة منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى ان الاثنين يحجبان كما في
الثلثة بناء على ان الاثنين جمع لوجود التعدد في التثنية فما فوقها فصح ان يتناول الاخوة للاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب
البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذا للاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين الاعرابي في الفتوحات انه رأى رسول الله
في المنام فسأله عن خلاف الائمة في ان اقل الجمع اثنان او ثلثة فعلمه ان اقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلثة وقال الاثنان فما فوقهما جماعة
وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمن فقال كيف ترد الام الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمن لا استطيع رد شيء كان قبلي ومضى
في البلدان فاشار الى اجماعهم قبل ان اظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين او الثلثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم حتى يبقى

للاب الثلثان فان لا يكون لهم شيء من الميراث ويكون خمسة الاسداس للاب وذهب ابن عباس الى الاول وذهب الجمهور الى الثاني اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر الا بالحجب فوجب ان يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر ان هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء ﴿من بعد وصية يوصي بها او دين﴾ حتى لو استغرق الدين كل المال لم يكن للورثة فيه حق وان لم يكن او كان لكنه قضي وفضل بعده شيء فان اوصى الميت وصية اخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله تعالى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انكم لتقرؤن الوصية قبل الدين وان رسول الله قضى بالدين قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقديم في الذكر لان كلمة او لا يفيد الترتيب البتة وانما استفيد الترتيب من السنة عكس الترتيب في اللفظ وفائدة هذا العكس ان الوصية تشبه الميراث في كونها ماخوذة من غير عوض فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوس الورثة مطمئنة الى ادائه فكان في تقديمها ترغيب لهم في ادائها ولهذا جيء بكلمة او دلالة على التسوية بينهما في الوجوب لان كلما ليس يحصل فيه الامران يجيء باو الفاصلة ليدل على انه ان كان احدهما فالميراث بعده وكذا ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة ان سهام اهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها يفارق الدين من جهة انه متى هلك من المال شيء دخل النقصان في انصباء اصحاب الوصية كما في الارث بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال ﴿آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا﴾ قال ابو البقاء ايهم مبتدأ واقرب خبره والجملة في موضع نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لانها من افعال القلوب اولى من الجائز ان لا يكون من افعال القلوب بل يكون بمعنى المعرفة وكان ايهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة نحو ﴿لننزعن من كل شيعة ايهم اشد﴾ قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله ﴿فريضة من الله﴾ ومن حق الاعتراض ان يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية اي لا تدرون من انفع لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون ام من اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل عن ابن عباس ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سأل ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذا الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف ان انتفاعه في الجنة بهذا الاكرام بذاك وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي الى كيفية تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال في غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الانفاق والتربية فلا بد ان الابن يحتاج الى ان ينفق الاب عليه والاب يفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز ان يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الاول ﴿فريضة من الله﴾ نصب على انها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد اي فرض الله ذلك فرضا ﴿ان الله كان عليما﴾ بكل المعلومات فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد ﴿حكيما﴾ لا يامر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان ههنا منخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان لكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كان كذلك اي لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا واعلم ان الوارث اما ان يكون متصلا بالميت بغير واسطة او بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما ان يكون هو النسب او الزوجية فهذه ثلاثة اقسام الاول قرابة الولاد الفروع والاصول وهو اشرف الانساب لان لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة والشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا اردفه بالقسم الاول وذلك قوله ﴿ولكم نصف ما ترك ازواجكم﴾ الى قوله ﴿توصون بها او دين﴾ ثم بين احوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله ﴿وان كان رجل يورث كلالة﴾ فما احسن هذا النسق وكما جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذا جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وفيه تنبيه في انه على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني مرات وذكرهن على الغيبة اقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن ولا فرق في الولدين الذكر والانثى ولا بين الابن وابن الابن ولا بين البنت وبنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لا يرث وههنا مسئلة قال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ﴿ولكم نصف ما ترك ازواجكم﴾ وقال ابو حنيفة لا يجوز لانها ليست زوجة ولو كانت زوجة لحل وطؤها لقوله ﴿الا على ازواجهم﴾ واجيب بانه لو لم يكن زوجة له لكان قوله ما ترك ازواجكم مجازا ولو كانت زوجة مع انه لا يحل له وطؤها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص اولى كما بين في اصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطي كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلوة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن الوطي بالشبهة وايضا حل الوطي ثابت على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شيء من تلك المصالح فعاد الى اصل الحرمة اما حل الغسل ففيه مصالح فوجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية اخرى التوقف وكان يقول ثلاثة لان يكون بينهن الرسول لنا احب الي من الدنيا وما فيها الكلالة





والخلافة والربوا وقيل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي قال الفرزدق ورثتم قناة الملك لا عن كلالة عن ابني مناف عبد شمس وهاشم والمختار الصحيح من الاقوال قول ابي بكر لان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا فاستعير للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها بالاضافة الى قرابة الاصول والفروع كالة ضعيفة ويحتمل ان يقال هي من الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالرأس وقرابة الولادة فانها تذهب على الاستقامة كما قال الشاعر نسب تتابع كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب وايضا فانه تعالى قال في آخر السورة ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد﴾ فاكتفى عمر بذلك الجواب لانه تعالى حكم في تلك الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك ان الاخوة والاخوات لا يرثون حال وجود الابوين فيلزم ان لا يكون الميت كلالة حال وجود الابوين ايضا انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة ثم اتبعها ذكر الكلالة وهذا الترتيب يقتضي ان يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل وصفا للمورث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والولد ويمكن ان يحمل عليه بيت الفرزدق اي ما ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الآباء فسمى العم كلالة وهو ههنا مورث لا وارث وقد يجعل وصفا للوارث ومنه قول جابر مرضت مرضا اشفيت منه على الموت فاتاني النبي فقلت يا رسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة اراد انه ليس له والد ولا ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والوكالة واذا جعلت صفة للوارث والمورث كانت بمعنى ذي كلالة كما يقال فلان من قرابتي اي من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف اي احمق وقوله تعالى ﴿وان كان رجل يورث﴾ فيه احتمالان الاول وهو قول عطاء والضحاك ان يكون مأخوذا من ورث الرجل يرث فيكون الرجل هو الموروث منه وينتصب كلالة على الحال او على انه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز ان يكون مفعولا له اي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد بن جبير ان يكون مبنيا للمفعول من اورث فالرجل هو الوارث وينتصب كلالة على الوجوه المذكورة وقيل ما السبب في انه قال وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال وله اخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد وجاز اسناده اليهما ايضا تقول من كان له اخ او اخت فليصله او فليصلها والترجيح بالتذكير لشرف معارض بالتانيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز ايضا ولعل التوحيد والتذكير في الآية اولى اما الاول فلان الرجال في الاحكام اصل والنساء تبع لهم واما ثانيا فليدل على احد المذكورين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت من الام ويدل عليه ما نسب الى ابي وسعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من الام ﴿فلكل واحد منهما﴾ اي من الاخ والاخت ﴿السدس﴾ من غير مفاضلة للذكر على الانثى هذا على الاحتمال الاول وهو ان الرجل موروث منه واما على الاحتمال الثاني وهو ان الرجل وارث فالضمير عائد الى الرجل والى واحد من اخيه او اخته والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ثم قال ﴿فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾ فبين ان نصيبهم كيف ما كانوا لا يزاد على الثلث وقد يسند الاجماع الى هذا بيانه انه قال في آخر السورة ﴿قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ واثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا اثبت للاخوة والاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع فعلم ان المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الآية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم اخياف وهناك الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان او من الاب وهم اولاد العلات فالكلالة وان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا انها في الآية خاصة كما بينا ﴿غير مضار﴾ حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور اي يوصي وعلم انه ثمة موصيا والضمير فيه وهو ذو الحال يعود الى رجل على تقدير انه المورث والى الميت الذي عليه سياق الكلام اي ان كان الرجل وارثا وضرار الورثة بان يوصي بازيد من الثلث وبالثلث فما دونه وبنية مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا لوجه الله وقد يقر بان الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه او يبيع شيئا بثمن بخس او يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان ان ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلفهم ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان في المال قلة وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس اوصى على قانون العدالة وقد روى عكرمة عن ابن عباس ان الاضرار في الوصية من الكبائر موقوفا ومرفوعا وعن شهر بن حوشب عن ابي هريرة عن النبي ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة فاذا اوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة ﴿وصية من الله﴾ نصب على المصدر المؤكد وعلى انه مفعول مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد ان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية ﴿والله عليم﴾ بمن جار في وصيته او عدل ﴿حليم﴾ عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لا يخفى ثم اكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال ﴿تلك حدود الله﴾ وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من احكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف ان يتجاوزها ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ﴿ومن يطع الله﴾ ﴿ومن يعص الله﴾ عام في هذه التكاليف وفي غيرها كما ان الوالد يقبل على الولد ويؤدبه في امر مخصوص ثم يقول احذر مخالفتي ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال ولا يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا لانهما جريا على غير من هما له فكان يلزم ان يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها فالة

المنزلة الاية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك ان التعدى فى جميع حدود الله محال لان من حدوده ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية والتعدى فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فاذن المراد تعدى اى حد كان ولان الاية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدى فى هذه الحدود ولجيب بما مر من ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاى مانع لنا من ان نزيد فيه شرطا اخر وهو عدم العفو وبان الاية لعلها مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصى تصح استثناؤها من هذا اللفظ اى ومن يعص الله فى كذا وفى كذا وكل لا يتحقق الا فى حق الكافر نعم يخرج منه ما يخصصه دليل عقلى كما ذكرنا من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الاية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصى فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده ايضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم ان المراد هو التعدى فى حدود المواريث فلعل المراد من التعدى هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب فيلزم منه الكفر والله اعلم بمراده قوله عز من قائل واللاتى يأتين الفاحشة الاية وجه النظم فيه ان التغليظ عليهن فى باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المأمور به فى الايات المتقدمة وفيه ان مدار الشرع على العدل والانصاف والاحتراز فى كل باب عن طرفى الافراط والتفريط فلا ينبغى ان يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتى جمع التى وفيه لغات اللائى بالهمزة واللواتى واللوائى فكانهما جمعا الجمع وقد يحذف التاء من الاولى وقد يسهل همزة اللاء بين الهمزة والياء لكونها مكسورة وقرأ ورش واللاء يئسن من المحيض وقد يقال اللاى بياء ساكنة بعد الالف من غير همز وقد يقال اللوا بحذف التاء والياء معا وقد يقال اللات كاللات قال ابن الانبارى العرب يقول فى الجمع من غير الحيوان التى كقوله اموالكم التى جعل الله لكم قياما وقال فى هذه الاية اللاتى لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشئ الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يلغى هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة فى القبح مصدر كالعافية واجمعوا على انها الزنى ههنا قال المحققون حصر هذا العمل بالفاحشة لان القوى البدنية نطقية وغضبية وشهوية وفساد الاولى بالكفر والبدعة وامثالهما وفساد الثانية القتل بغير حق ونحوه وفساد الثالثة الزنى واللواط والسحق وما اشبهها وهذه اخس الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم او من الحرائر ومن نسائكم المؤمنات والثيبات فقوله فاستشهدوا عليهن اربعة منكم احتياطا لامر الزنى والمراد بقوله منكم اى من رجالكم قال الزهرى مضت السنة من رسول الله صلعم والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء فى الحدود وان شهدوا مفصلا مفسرا كقولهم رأيناه ادخل ذكره فى فرجها كالمرود فى المكحلة او كالرشا فى البئر ولا يقع ذلك من الوصف بالحرمة لا بمعنى عرضى كالحيض ولا مع تحليل عالم كالمتعة ولا بشبهة فامسكوهن فى البيوت خلدوهن محبوسات فى بيوتكم حتى يتوفاهن الموت اى ملئكة الموت وحتى يأخذهن الموت ويستوفى ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح او بالحد واللذان يأتيانها منكم يعنى الزانى والزانية او اللائط والملوط فاذوهما فوبخوهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله اما لكما فى النكاح منكح عن هذه فان تابا واصلحا وغير الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والذم او خوطب الشهود الذين عثروا على سرهما ان يهددوهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن العرض على الامام واعلم ان للعلماء اختلافا فى الايتين فعن الحسن ان الثانية مقدمة فى النزول والمراد بايذا الزانيين ولا سيما وبامساك النساء فى البيوت الى ان يتبين احوالهن وقال السدى المراد بهذه الاية البكر من الرجال والنساء وبالاية الاولى الثيب وعن ابى مسلم ان الاية الاولى فى السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا ان يخلصهن الله والثانية فى اللائطين وحدهما الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم اى من رجالكم كما فى قوله اربعة منكم واما الزنى من الرجل والمرأة فذلك فى سورة النور وحده فى البكر الجلد وفى المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شئ من الايات ولا تكرار الشئ الواحد فى الموضع الواحد مرتين وزيف قول ابى مسلم بانه قول لم يقل به احد وبان الصحابة اختلفوا فى احكام اللواطة ولم يتمسك احد منهم بهذه الاية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا الحكم دليل على ان الاية ليست فى اللواطة اجاب ابو مسلم بانه قول مجاهد وهو من اكابر المفسرين على انه بين فى الاصول ان استنباط تاويل جديد جائز وايضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطى وليس ذلك فى الاية دلالة عليه بالنفى والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح للحد وجمهور المفسرين على ان الايتين فى الزنا وانهما منسوختان لما روى مسلم فى كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبى الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه فانزل عليه ذات يوم فلقى كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عنى فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الاية صارت منسوخة باية الجلد وعن اصحاب ابى حنيفة ان اية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ باية الجلد واية الجلد نسخت بدلالة الرجم وقال فى الكشاف من الجائز ان لا يكون الاية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ ابو سليمان الخطابى فى معالم السنن انه لم يحصل النسخ فى الاية ولا فى الحديث وذلك ان الاية تدل على ان امساكهن فى البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلعم خذوا عنى الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الاية لا ناسخا لها وصار ايضا مخصصا لعموم اية الجلد الله تعالى عليم ثم اخبر عن المستحقين لعدم قبول التوبة فقال انما التوبة على الله واجبة وجوب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال اكثر المفسرين كل من عصى الله





فهو جاهل وسمى جهالة لانه ولهذا قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لانه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكانه لا علم له ولهذا التفسير يكون المعصية مع العلم بانها معصية جهالة وقيل المراد انه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد انه يكون جاهلا بكونها معصية لكنه يكون متمكنا من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا اجمعنا على ان اليهودى يستحق على اليهودية العقاب وان كان لا يعلم كون اليهودية معصية لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا ومعصية وان النائم والساهى لا يستحق العقاب لانه اتى بالقبيح غير متمكن من العلم بكونه قبيحا اما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الاية وانما يعرف حاله بطريق القياس وانه لما كانت التوبة على الجاهل واجبا فلان يكون واجبا على العامد اولى لانه عالم بقبح تلك المعصية اما قوله ثم يتوبون من قريب فقد اجمعوا على ان المراد من هذا القريب قبل حضور زمان الموت ونزول سلطانه ومعاينة اهواله وانما كان ذلك الزمان قريبا لان الاجل ات وكل ما هو ات قريب لان مدة عمر الانسان وان طالت قليلة بالنسبة الى طرفى الازل والابد كانه كالعدم ولان الانسان يتوقع فى كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب ومن فى من قريب اما لابتداء الغاية اى يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية او للتبعيض اى يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا لما قلنا اى فى جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب الا فهو تائب بعيد لا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة فبقى ما وراء ذلك فى حكم القريب مثله قوله ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والفائدة فى قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله ان الاول اعلام بانه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل والاحسان والثانى اخبار بانه سيفعل ذلك والمراد بالاول التوفيق للتوبة والاعانة عليها وبالثانى قبولها وكان الله عليما بانه انما اتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيما يجب فى كرمه قبول توبة العبد اذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبول التوبة مشاهدة الاحوال التى عندها يحصل العلم بالله على سبيل الاضطرار حيث يغلب على ظنه نزول الموت كما فى الفولنج وفى حالة الطلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة اولى بالقبول لقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه وانما المانع من قبوله معاينة سلطان الموت ومشاهدة احواله واهواله بحيث يصير معرفته بالله ضرورية كما لاهل الاخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يتوجه نحوه تمام الاختيار وافضى الامر الى حد الالجاء والاجبار وههنا بحث للاشاعرة وهو ان اهل القيامة لا يشاهدون الا انهم صاروا احياء بعد ان كانوا امواتا ويشاهدون ايضا اهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف يكون ذلك العلم ضروريا وبتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك ان العبد مع علمه الضرورى بوجود الاله المثيب المعاقب قد يقدم على المعصية لعلمه بانه كريم وانه لا ينفعه طاعة العبد ولا يضره ذنبه وايضا العلم النظرى هو الذى لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق بينه وبين الضرورى البتة وعلى هذا فكيف صار النظرى موجبا للتكليف والضرورى منافيا للتكليف فثبت ضعف هذا الفرق وانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد قبول التوبة فى بعض الاوقات وبعدله اخبر عن عدم قبول التوبة فى وقت اخر وله ان يقلب الامر فيجعل المقبول مردودا والمردود مقبولا ولا يسئل عما يفعل واقول التحقيق فيه انه مالك الملك يتصرف فى ملكه كيف يشاء وقوله صدق وامره حق وقد عين لعباده خالص دينا وعقبى وقد اخبر انه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه اعتراض انه لم يعكس الامر ثم ان لليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فليس يبعد ان لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف ويكون عين اليقين منافيا له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر فى انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول الاحوال الاخروية فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة او المعنى انه كما ان التوبة عن المعاصى لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الايمان لا يقبل عند القرب من الموت او المراد ان الكفار اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا فى الاخرة لا يقبل توبتهم اولئك اعتدنا اى اعددنا فى الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم فى الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فالتاء الوعيدية المعطوف فمغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار والاولون فساق لكنهما مشتركان فى العذاب الاليم فثبت ان حكمهما واحد اجيب بان اولئك اشارة الى اقرب المذكورين وبعضهم ان الكفار اشنع فعلا من الفساق والطائفة الاولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا فى حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه كنمرود ومثله قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها من ههنا شرع فى النهى عما كانوا عليه فى الجاهلية من ايذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك انواع الاول قوله لا يحل لكم ان ترثوا وفيه قولان احدهما ان الوراثة تعود الى المال اى لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى تموتوا موالهن وقد كادت لا تساكنوهن وثانيهما انها ترجع الى اعيانهن وكانوا اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها او بعض اقاربه فالقى ثوبه عليها وقال ورثت ما له فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذى اصدقها الميت وان شاء زوجها من انسان اخر واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فنزلت النوع الثانى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن قال اكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الامر عليها حتى تفتدى منه بمالها وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل انه خطاب للوارث بان يترك منعها من التزويج لمن شاءت وارادت ليبذل المهر المثبت ما اخذت من الميت كما كان

يفعله اهل الجاهلية وقيل انه نهى للاولياء عن عضل المرأة او للازواج كما مر في سورة البقرة قال في الكشاف اعراب تعضلوهن النصب عطفا على ان ترثوا
ولا لتأكيد النفي قلت الظاهر انه نهي لعطفه الامر وهو قوله وعاشروهن عليه صاحب الكشاف نظر الى ما قبله وذهل عما بعده الا ان يأتين بفاحشة
مبينة من قرأ بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي بينها او الشهود الاربعة هم يبينونها ومن قرأ بالكسر فلانها اذا تبينت وظهرت
صارت سببا للبيان كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس لما صرن اسبابا للضلال ثم انه استثناء مما ذا قيل من اخذ المال اي لا يحل له ان يحبسها
ضرارا لتفتدي الا اذا زنت فيحل لزوجها ان يسألها الخلع كان الرجل اذا اصاب امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وقيل استثناء
من العضل وهو عن حبسهن في بيوت الاولياء والازواج الا بعد اتيان الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ بآية الجلد وقيل الفاحشة
هي النشوز وشكاسة الخلق اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون في طلب الخلع النوع الثالث من التكليف المتعلق باحوال النساء
وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال في القول والانصاف في المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا فههنا قد يميل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على المواصلة منه الثناء في الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب
في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب ما لكثير اليمن في صحبتها قال صلى الله عليه وسلم الشؤم في المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان عنتم في مفارقتهن
فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بان تتخلص من زوج سيء العشرة وتجد زوجا آخر اوفق منه النوع الرابع من التكاليف وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج وذلك انه لما اذن في مضارتهن اذا اتين بفاحشة بين تحريم المضارة في غير حالة الفاحشة روي ان الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج
بامرأة اخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التي يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم
وفيه دليل على جواز المغالاة في المهر روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنع و
تلت هذه الآية فقال عمر كل الناس افقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل ان يقال ذكر ايتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والفرض لا الوقت وهو
موضع الحال اي وقد اتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء ادى المال اليها ام لا واعلم ان النشوز ان كان من قبل الزوجة حل اخذ
مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا انه يفيد الملك لو خالع كما ان البيع وقت النداء منهي عنه ثم انه يفيد الملك اتأخذونه استفهام
بطريق الانكار بهتانا وهو ان يستقبل الرجل بامر قبيح يقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وفي الحديث اذا واجهت اخاك بما
ليس فيه فقد بهته وهو مصدر في موضع الحال اي باهتين واثمين او على انه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض اي ببهتان وقيل بمضمر اي
تصيبون بهتانا وسبب تسميته هذا الاخذ بهتانا انه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكأنه يقول ليس ذلك بفرض فيكون بهتانا او انه عند
العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وان لا يأخذه منها فاذا اخذه منها صار القول الاول بهتانا اي باطلا او كان من عادتهم انهم اذا ارادوا تطليق زوجة
رموها بفاحشة حتى تفتدي فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه في الاغلب سيق الكلام على ذلك وبالحقيقة ان اخذ هذا المال طعن في ذاتها
من حيث انه مشعر بانها قد اتت بفاحشة وبغي على مالها فهو بهتان من وجه وظلم من وجه وقيل المراد عقاب البهتان والاثم كقوله انما يأكلون
في بطونهم نارا ثم عجب من الاخذ منهما فقال وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدي واختاره الزجاج وابن
قتيبة واليه ذهب الشافعي ان المراد بالافضاء الجماع اذ الفضاء الساحة ويقال افضيت اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة
عند الجماع وقيل الافضاء ان يخلو بها وان لم يجامعها وهو قول الكلبي واختاره الفراء وهو اظهر مذهب ابي حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح
مذهب الشافعي بان الكلام ورد في معرض التعجب فيما يتم اذا كان هذا الافضاء سببا قويا في حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة
وايضا الافضاء الابدان يكون مفسرا بفعل ينتهي منه اليها لان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذا اذ لم يحصل فعل من افعال احدهما الى الآخر
فان قيل على هذا يجب ان يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا في تحقق الافضاء وانتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القائل
قائلان قائل بتفسيره الافضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وايضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الافضاء وقد اشتبه معناه انه الخلوة او
الجماع فوجب الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم اكد المنع من استرداد المهر بقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قال
السدي وعكرمة والفراء هو قولكم تزوجتك هذه المهر على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان ومعلوم انه اذا الجأها الى
ان تبذل المهر فقد سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقود على الصداق واليها اشار في الحديث واستحللتم
فروجهن بكلمة الله وقال آخرون اخذن منكم بسبب افضاء بعضكم الى بعض ميثاقا غليظا وصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة
فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس من التكاليف المتعلقة باموال النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم قال ابن عباس
وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة خلافية قال ابو حنيفة يحرم على الرجل ان يتزوج بمزنية
ابيه وقال الشافعي لا يحرم حجة ابي حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطي لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد
ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح اي الوطي لان اهلية العقد حاصلة ابدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية ولقوله ما نكح الخ
فيدخل فيه الابنة المزنية لانها منكوحة اي موطوءة وعورض بالآيات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله وانكحوا الايامى منكم فانكحوا ما طاب

نكحوا



لكم من النساء وبقوله ان النكاح سنتي ولا شك ان الوطي من حيث انه وطي ليس سنة له وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبان من حلف من ولا ذكر
انهم ليسوا من اولاد النكاح لم يحنث سلمنا ان الوطي سمي بالنكاح لكن العقد ايضا مسمى به فلم كان حمل الآية على ما ذكرتم اولى من حملها على ما ذكرنا مع
اجماع المفسرين على ان سبب نزول الآية هو العقد لا الوطي قالوا الحقيقة في الوطي مجاز في العقد لانه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل في الوطي لا في العقد
وانما اطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب فالحمل على الحقيقة اولى او مشترك بينهما ويجوز استعماله في مفهوميه معا فيكون الآية
نهيا عن الوطي وعن العقد معا او لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهيا عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون
نهيا عن القسمين فان النهي عن اللون يكون نهيا عن التسويد والتبييض لا محالة واجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبان استعمال اللفظ المشترك في كلا
مفهوميه غير جائز وبان معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطي لكن في قوله ما نكح لا نسلم انها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء
وانما هي مصدرية التقدير ولا تنكحوا نكاح آبائكم فان نكاحهم كانت بغير ولي وشهود وكانت مؤقتة ومع تراض فنهوا عن مثل هذه الانكحة قاله محمد بن جرير الطبري
سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح آباؤكم ولكنا لا نسلم ان من يفيد العموم واذا لم تفد العموم لم تتناول محل النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان
النهي للتحريم لكن لا نسلم انه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد وفي صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا ثم انا
نستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فهي نهي عن نكاحهن الى غاية نفي ايمانهن فهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد
تلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت وغيرها الا ما اخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله واحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله تعالى اذا جاءكم
من ترضون دينه فزوجوه وقوله فانكحوا ما طاب لكم الا كفاء ويقوله الحرام لا يحرم الحلال قد دخل التخصيص فيه بما لو وقع قطرة من الخمر في اناء من الماء
فخمرها لا يمنع من لا شدة لا يعني غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسئلة فوضح الكلام على قول الشافعي وطئ حمدت به ووطئ رجمت به فكيف
يشتبهان ثم انما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه احسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على المعنى فان النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب
المنهي عنه فكأنه قيل انكم مؤاخذون بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثني غرائب
سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى
يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد
تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد سلف فانكم مقرون عليه قالوا انه
اقرهم عليهن مدة ثم امر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول قال ما اقر احد على نكاح
امرأة ابيه وان كان في الجاهلية وروي انه بعث ابا بردة الى رجل عرس بامرأة ابيه ليقتله ويأخذ ماله انه اي ان هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة علم
الله تعالى ان هذا الفعل كان ابدا ممقوتا عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف
والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب امر قبيح ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار قالوا
مراتب القبح ثلث في العقول وفي الشرع وفي العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح العادي وساء
فعل ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده والله تعالى اعلم التأويل الوراثة الدينية انما تثبت بسبب او نسب فالسبب هو الارادة بلبس خرقة المشايخ والنسبة
بهم والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفاتهم لانهم ظاهرا وباطنا مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية
من صلب ولايتهم ومن هنا قال الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وانما يتوارث اهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية
والذكورة والانوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد ويتوارثهم العلوم الدينية واللدنية كقوله العلماء ورثة الانبياء وقول موسى للخضر هل
اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الامارة بالسوء فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من
خواص العناصر الاربعة التي انتم منها مركبون وهي التراب ومن خاصيتها الخسة والذلة والماء ومن خواصه اللين والانوثة والشره والهواء ومن خواصه
الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب حب الرياسة فان شهدوا بان يظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن
في البيوت في سجن الدنيا واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى يموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها او يجعل الله لهن سبيلا
بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب واللذان يأتيانها منكم اي النفس والقالب يأتيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال و
الاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر تجاه الذي بصفة
الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية تقتضي المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية بحسب فالعمل السوء اذا كان مصدره
الجهولية بحسب يكون على عقبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب اي عقيب المعصية قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل ان
يقال من قريب اي قبل ان يموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية بالكسل لا اختيارية بالجنان ولا
تنكحوا ما نكح آباؤكم فيه اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها آباؤكم العلوية الا
ما قد سلف من التدبير الالهي في ازدواج الارواح لضرورة اكتساب الكمال فان الركون الى العالم السفلي يوجب مقت الحق والله اعلم

حرمت علیکم امهاتکم وبناتکم واخواتکم وعماتکم وخالاتکم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتکم
حرام کرده اند بر شما مادران شما و دختران شما و خواهران شما و عمهای شما و خواهران شما و دختران برادر و دختران خواهر و مادرهای شما

اللاتی ارضعنکم واخواتکم من الرضاعة وامهات نسائکم وربائبکم اللاتی فی حجورکم من نسائکم
آنهائی که شیر دادند شما را و خواهران رضاعی شما را و مادران زنان شما را و دختران زنهای شما آن دخترانی که در حجرهای شمااند از زنان شما

اللاتی دخلتم بهن فان لم تکونوا دخلتم بهن فلا جناح علیکم وحلائل ابنائکم الذین من اصلابکم وان
زنانی که صحبت کرده اید بایشان پس اگر نبوده باشید صحبت کرده بایشان پس نیست گناهی بر شما و زنان پسران شما آنچنان پسرانی که از صلبهای شمااند و اینکه

تجمعوا بین الاختین الا ما قد سلف ان الله کان غفورا رحیما والمحصنات من النساء الا ما ملکت
جمع کنید میان دو خواهر مگر آنچه گذشت براستی که خدا هست آمرزنده مهربان و زنان پارسا از زنان مگر آنچه مالک باشد

ایمانکم کتاب الله علیکم واحل لکم ما وراء ذلکم ان تبتغوا باموالکم محصنین غیر مسافحین
دستهای شما نوشت خدا بر شما و حلال شده بر شما آنچه غیر از این است که بخواهید بمالهای خود زن کنندگان نه زناکنندگان

فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فریضة ولا جناح علیکم فیما تراضیتم به من بعد الفریضة
[illegible]

ان الله کان علیما حکیما ومن لم یستطع منکم طولا ان ینکح المحصنات المؤمنات فمن ما ملکت
[illegible]

ایمانکم من فتیاتکم المؤمنات والله اعلم بایمانکم بعضکم من بعض فانکحوهن باذن اهلهن و
[illegible]

اتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غیر مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتین بفاحشة
[illegible]

فعلیهن نصف ما علی المحصنات من العذاب ذلک لمن خشی العنت منکم وان تصبروا خیر لکم والله غفور رحیم
[illegible]

یرید الله لیبین لکم ویهدیکم سنن الذین من قبلکم ویتوب علیکم والله علیم حکیم والله یرید
[illegible]

ان یتوب علیکم ویرید الذین یتبعون الشهوات ان تمیلوا میلا عظیما یرید الله ان یخفف عنکم
[illegible]

وخلق الانسان ضعیفا یا ایها الذین آمنوا لا تاکلوا اموالکم بینکم بالباطل الا ان تکون
و آفریده شده است آدمی ناتوان ای گروه آنچنان کسانی که گرویده اید مخورید مالهای خود را در میان خود بطور باطل مگر که باشد

تجارة عن تراض منکم ولا تقتلوا انفسکم ان الله کان بکم رحیما ومن یفعل ذلک عدوانا وظلما
سوداگری از رضای طرفین از شما و مکشید نفسهای خود را براستی که خدا هست بشما مهربان و هر که مرتکب شود این از روی دشمنی و ستمگری

فسوف نصلیه نارا وکان ذلک علی الله یسیرا
پس زود است که داخل کنیم او را در آتش و هست این بر خدا آسان

القراءة والمحصنات کل القرآن بکسر الصاد الاولی والمحصنات من النساء علی الباقون بالفتح واحل مبنیا للمفعول یزید حمزه وعلی وخلف وعاصم غیر ابو بکر وحما الباقون مبنیا للفاعل احصن بفتح الهمزة والصاد حمزه وعلی وخلف وعاصم غیر حفص الباقون احصن بضم الهمزة وکسر الصاد تجارة بالنصب حمزه وعلی وخلف وعاصم غیر حفص الباقون بالرفع الوقوف دخلتم بهن الاولی لابتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح علیکم لذلک فان جملة الشرط معترضة اصلابکم للعطف سلف رحیما للعطف الجزء الخامس ایمانکم لان کتاب الله یحتمل ان یکون مصدر التحریم لانه فی معنی الکتابة ویحتمل مصدر محذوف ای کتب الله کتابا والاحسن ان یکون مفعولا لای حرمت کتاب الله من قرأ واحل بالفتح لم یحسن الوقف علی علیکم للعطف علی کتب ومن قرأ واحل بالضم عطفا علی حرمت جاز له الوقف لطول الکلام مسافحین لابتداء حکم المتعة فریضة الفریضة حکیما فتیاتکم المؤمنات بایمانکم من بعض للعطف المختلفین اخدان لذلک من العذاب لعنت منکم خیر لکم رحیم ویتوب علیکم حکیم عظیما یخفف عنکم لانقطاع النظم مع اتحاد المعنی ای یخفف لضعفکم ضعیفا انفسکم رحیما نارا یسیرا التفسیر انه سبحانه نص علی التحریم اربعة عشر صنفا من النسوة سبعة من جهة النسب الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة اخری لا من جهة النسب الامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وامهات النساء والربائب بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء والآباء وهذه فی الآیة المتقدمة والجمع بین الاختین والمحصنات من النساء وذهب الکرخی الی ان هذه الآیة





مجملة لانه اضیف التحریم فیها الی الامهات والبنات والتحریم لا یمکن اضافته الی الاعیان وانما یمکن اضافته الی الافعال وذلک غیر مذکور فی الآیة فلیست اضافة هذا التحریم الی بعض الافعال التی یمکن ایقاعها فی ذوات الامهات والبنات اولی من بعض وهذا معنی الاجمال والجواب من المعلوم بالضرورة من دین محمد ان المراد منه تحریم نکاحهن [illegible] ولا تنکحوا ما نکح آباؤکم [illegible] لا یحل دم امرئ مسلم الا لاحدی ثلاث [illegible] تحریم کقول القائل [illegible] ولا یشتبه ان المحرم هو الله [illegible]

[illegible]

الحي فلا اثر للجثة ولا بعد الحول لبن الهلال لبن ولا للوصول الى معدة الصبي المبتلى لابد مع ذلك من حس صبا الفوله لا تحرم المصة والمصتان ولا الرضعة والرضعتان
لما روت عائشة حمزة صحابة من عند ابي حنيفة الرضعة الواحدة كافية الصنف الحادي عشر قوله وامهات نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل الاب والام
الثاني عشر وربائبكم اللاتي في حجوركم والربائب جمع ربيبة وهي بنت امرأة الرجل من غيره ومعناها مربوبة لان الرجل يربها والحجور جمع حجر بالفتح والكسر وكونها
في حجره عبارة عن تربيته وهو بناء للكلام على الغالب مثله هو في حضانة فلان واصله من الحضن الذي هو الابط وقال ابو عبيدة في حجوركم اي في بيوتكم وعن علي
انه جعل كونها في بيته وكونها في حجره شرطا وهو مسلك لا حسن واما سائر العلماء فذهبوا الى ان الكلام اخرج مخرج الاعم الاغلب وانه اذا دخل حرمت ابنتها عليه
سواء كانت في تربيته او لم يكن اما اشتراط الدخول بامها فلقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وهو متعلق بربائبكم كما يقول بنات رسول الله من خديجة واما
عدم اشتراط التربية فلقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا يقتضي ان السبب لحصول الجناح هو مجرد الدخول
وذهب جمع من الصحابة ان ام المرأة انما تحرم بالدخول بامها وهو قول علي وزيد وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انما يحرم انه تعالى ذكر جملتين
وهو قوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوجب ان يكون ذلك الشرط معتبرا في الجملتين معا
واما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط اليها الا لفظ تعلق الشرط بالثانية
وانه تعلق بالجملتين فلا حاجة الى تعليقه بالاخرى وايضا عود الشرط الى الجملة الاولى وحدها باطل بالاجماع وكذا عوده اليهما معا لان معنى من مع الاولى البيان
ومعناها مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض
امكن اعتبار الاتصال في النساء والربائب معا فامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الا ان هذا تكلف
فيه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى اما اللفظ فلان قوله وامهات نسائكم وكذا وربائبكم يكون ح مبتدأ وقوله من نسائكم خبرا ويقع بين المعطوفات فاصلة
كان قوله وحلائل ابنائكم وما بعده معطوف على فاعل حرمت واما من جهة المعنى فلان الحكم بالاتصال والاتحاد يقتضي التحليل لا التحريم ظاهرا ومما يدل على ان
الجملة الاولى مرسلة ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نكح الرجل امرأة فلا يحل له ان يتزوج امها دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالام
فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان عبد الله بن مسعود يفتي بنكاح ام المرأة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة
فصادفهم مجمعين على خلاف فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع عليه الباب وامره بالنزول عن تلك المرأة وعن سعيد بن المسيب
ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امرأة قبل الدخول واراد ان يتزوج امها فله ذلك وان ماتت عنده لم يتزوج امها اقام الموت مقام الدخول في التحريم
كما قام مقامه في باب المهر والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة
عند ابي حنيفة تقوم مقام الدخول وقد تمسك ابو بكر الرازي بالاية في اثبات ان الزنى موجب للمصاهرة قال لان الدخول بها اسم لمطلق الوطي من نكاح
كان او من سفاح ورد بان تقييد قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطي بالحلال الصنف الثاني عشر وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم يخرج المتبنى و
كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان نزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وحكم الابن من الرضاع
حكم الابن من النسب في تحريم حليلته على ابيه لقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان كان ظاهر قوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وظاهر قوله
واحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي الحل فههنا قد تخصص عموم القرآن بخبر الواحد واتفقوا على ان حرمة التزوج بحليلة الابن يحصل بنفس العقد ولا يتوقف الحرمة
على الدخول لما روي عن ابن عباس انه قال ابهموا ما ابهم الله اراد به التأبيد الا ترى انه قال في السبع المحرمات من جهة النسب انها من المبهمات اي من اللواتي تثبت
حرمتهن على سبيل التأبيد اتفقوا ايضا على تحريم حليلة ولد الولد على الجد اما جارية الابن فقد قال ابو حنيفة يجوز للاب ان يتزوج بها وقال الشافعي لا يجوز لان
الحليلة فعيلة اما بمعنى المفعول من الحل اي المحللة او من الحلول بمعنى ان السبب يحل فيها واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في لحاف واحد ويحل كل واحد منهما في قلب صاحبه
لما بينهما من الالفة والمودة وعلى التقادير يصدق على جارية الابن انها حليلته كما يصدق على زوجته انها حليلته فيتناولها الحرمة بالاية الصنف الثالث عشر
وان تجمعوا بين الاختين اي حرمت عليكم الجمع بينهما والتأنيث للتغليب او للاكتساب او بتأويل الخصلة ويمكن ان يقال الواو نائبة الفعل المطلوق من غير اعتبار
تذكيره وتأنيثه والجمع يكون اما بالنكاح او بالملك بهما اما النكاح فلو عقد عليهما معا فنكاحهما باطل وعلى الترتيب بطل الثاني لان الدفع اسهل من الرفع
واما الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احداهما ويشتري الاخرى فقد اختلف الصحابة فيه فقال علي وعمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر لا يجوز الجمع بينهما
لاطلاق الاية ولانه لو جاز الجمع بينهما في الملك لجاز بينهما وطئهما معا لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولان الاصل في الابضاع الحرمة فلو
سلم ان الاية تدل على الجواز فالاحوط جانب الترك واما سائر الصحابة والفقهاء فقد قالوا النهي ورد عن نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز الا انه اذا وطئ
احداهما حرم وطي الثانية عليه لا يزول هذه الحرمة ما لم يزل ملكه عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج قال ابو حنيفة ههنا لا يجوز نكاح الاخت في
عدة الاخت البائن لان النكاح الاول كانه باق بدليل وجوب العدة ولزوم النفقة وقال الشافعي يجوز لان نكاح المطلقة زائل بدليل لزوم الحد بوطئها
واما وجوب العدة ولزوم النفقة فنقول لما حصل النكاح حصلت القدرة على حبسها ولا يلزم من حصول القدرة على حبسها حصول النكاح لان استمتاعا
عليه لا ينتج واذا اسلم الكافر وتحته اختان فقد قال الشافعي اختار ايتهما شاء وفارق الاخرى سواء تزوج بهما معا او على الترتيب لان الكفار ليسوا مخاطبين
في فروع الشرائع باحكام الدنيا اذ لا يتصور تكليفهم بالفروع ما داموا كافرين بعامة فيه التزام الفروع في الاخرة كما جاء على ترك الاسلام ومما يؤيد قول الشافعي





ما روي ان فيروز الديلمي اسلم على ثمان نسوة فقال له اختر منهن اربعا وفارق سائرهن ولم يتفحص عن الترتيب وقال ابو حنيفة ان تزوج بهما معا فرق بينهما وعلى
الترتيب فارق الثانية لان الخطاب بالفروع في قوله وان تجمعوا عام متناول المؤمن والكافر فيما لا يقف صحته حتى يقبل النهي الا على الفساد والكافر مخاطب
بالفروع ومما يدل على ان الخطاب بالفروع لا يظهر اثره في حق الكافر في الاحكام الدنيوية الاجماع على انه لو تزوج بغير شهود او على سبيل القهر والغصب
ثم بعد الاسلام تقرر ذلك النكاح اما قوله تعالى الا ما قد سلف فمعناه ان ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما وقد مر نظيره واعلم ان رسول
الله الحق بالاختين جميع المحارم حيث قال لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وضبط العلماء ذلك بان كل شخصين بينهما قرابة او رضاع لو كان احدهما ذكرا
والاخر انثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فيحرم الجمع بين المرأة وبنت بنتها وبنات الاولاد اختها او كل بين المرأة وبنت اختها وبنات اولاد اختها
سواء كانت العمومة والخؤولة من النسب او الرضاع ولا يحرم نكاح المرأة وام زوجها ولا نكاح المرأة وبنت زوجها لانه لا يوجد الحرمة على تقدير ذكورة كل واحد
منهما وانما توجد على تقدير ذكورة ام الزوج او بنته فقط لكان المصاهرة ح بخلاف ما لو فرضت المرأة ذكرا فانه لا يكون بينهما قرابة ولا رضاع وقد ضبط
تحريم الجمع بعبارة اخرى احسن هي انما يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة او رضاع يقتضي المحرمية والثانية يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما وصلة قرابة او رضاع لو كانت
تلك الوصلة بينك وبين امرأة لحرمت عليك الصنف الرابع عشر والمحصنات من النساء وقد ورد الاحصان في القرآن بمعان احدها الحرية والذين يرمون
المحصنات فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وثانيها العفة محصنات غير مسافحات احصنت فرجها وثالثها الاسلام فاذا احصن قيل في تفسيره
اذا اسلمن ورابعها كونها ذات زوج المحصنات من النساء اي ذوات الازواج منهن والوجوه كلها مشتركة في اصل المعنى اللغوي وهو المنع مدينة حصينة ودرع حصينة
مانعة صاحبها من الآفات والجراحات والحرية سبب لمنع الانسان من نفاذ حكم الغير فيه والعفة مانعة من ارتكاب المناهي وكذا الاسلام والزوج مانع الزوجة
من كثير من الامور والزوجة مانعة من الوقوع في الزنى وفي بكر احصان الا انهن احصن فروجهن بالزوج ومعنى قوله الا ما ملكت ايمانكم ان اللاتي سبين ولهن
ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وهكذا اذا سبي الزوجان معا خلافا لابي حنيفة قياسا على شري الامة وابائها وارثها فان كلا منها لا يوجب
الفرقة واجيب بان الحاصل عند السبي احداث الملك فيها وعند البيع نقل الملك من شخص الى شخص والاول اقوى فظهر الفرق وقيل المعنى ان ذوات الازواج
حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع الفراق بينهن وبين ازواجهن وقيل المحصنات الحرائر والمعنى حرمت عليكم الحرائر الا العدد الذي جعل الله
ملكا لكم وهو الاربع او الا ما اثبت الله لكم ملكا عليهن لحصول الشرائط المعتبرة من حضور الولي والشهود وغير ذلك القول هو الاول لما روي عن ابي
سعيد الخدري قال اصبنا سبايا يوم اوطاس لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم
فاستحللناهن قوله كتاب الله عليكم قال الزجاج يحتمل ان يكون منصوبا باسم فعل ويكون عليكم مفسرا له اي الزموا كتاب الله واحل
لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سواء كن مذكورات بالقول الصريح او بدلالة جلية او خفية او بينا النبي كما قلنا في تحريم الجمع بين الاختين
وغيرهما وقد دخل بعد هذه العناية في الاية تخصيصات اخر منها ان المطلقة ثلاثا لا يحل بدليل ذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره ومن الحرية والمرتدة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ومنها المعتدة بدليل قوله والمطلقات يتربصن ومنها ان من في نكاحه حرة لم يجز له ان
ينكح امة بالاتفاق وعند الشافعي القادر على طول الحرة لا يجوز له نكاح الامة بدليل فمن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل مثنى وثلاث ورباع
ومنها الملاعنة لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وقوله ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم في حال
كونكم محصنين لا في حال كونكم مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم التي جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسروا دينا كم ودنياكم ويجوز ان يكون تبتغوا
بدلا من وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر لانه مفهوم من سوق الكلام وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ومعنى محصنين
متعففين عن الزنى وسمي الزنى سفاحا لانه لا غرض للزاني الا سفح النطفة اي صبها قال ابو حنيفة لا يجوز المهر باقل من عشرة دراهم لانه تعالى قيد التحليل
بالابتغاء بالاموال والدرهم والدرهمان لا يسمى اموالا وقال الشافعي يجوز بالقليل والكثير لان قوله باموالكم مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي توزيع الفرد على
الفرد فيتمكن كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي انه قال من اعطى امرأة في نكاح كف دقيق
او سويق فقد استحل وقال ابو حنيفة لو تزوج بها على تعليم سورة من القرآن لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها لان الابتغاء بالمال اسم للاعيان لا المنافع
وكذا قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه والايتاء والاكل من صفة الاعيان ولو تزوج امرأة على خدمة سنة فان
كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة وقال الشافعي الاية تدل على ان الابتغاء بالمال جائز وليس فيه ان الابتغاء بغيره جائز ام لا والاية قد
خرج الخطاب مخرج الاغلب الاعم فلا تدل على نفي ما سواه ومما يدل على جواز جعل المنفعة صداقا قوله تعالى في قصة شعيب على ان تأجرني ثماني حجج وما
في شرع من قبلنا يبقى الى ان يظهر الناسخ وايضا التي وهبت نفسها لما لم يجد الرجل الذي اراد التزوج بها شيئا قال صلى الله عليه وسلم هل معك شيء من القرآن قال نعم سورة
كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن ومنه يعلم جواز اعتاق الامة صداقا لها لانه اسما وقد روي عن النبي انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه
من خواصه ممنوع فما استمتعتم به من المنكوحات من الجماع او عقد عليهن او خلوة صحيحة عند ابي حنيفة فآتوهن اجورهن اي عليه فسقط الراجع للعلم به ويجوز
ان يراد بها النساء ومن للتبعيض او البيان لا للابتداء الاستمتاع ويكون رجوع الضمير اليه في به على اللفظ وفي فآتوهن على المعنى والاجور المهور لان المهر
ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار والدابة اجرا وفريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او يقيمه مقام ايتاء لان الايتاء المفروض مصدره وكذا اي فرض

وذلك فريضة ولا يخفى ان استمتع بها لدخول بها يجب تمام المهر وان استمتع بعقد النكاح فقط فالاجر نصف المهر قال اكثر علماء الامة ان الاية في النكاح مؤبد
قيل المراد بها حكم المتعة وهي ان يستاجر الرجل المرأة بمال معلوم الى اجل معلوم يجامعها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها واتفقوا على
انها كانت مباحة في اول الاسلام ثم السواد الاعظم من الامة على انها صارت منسوخة وذهب الباقون منهم الشيعة الى انها ثابتة كما كانت ويروى هذا عن ابن
عباس وعمران بن الحصين قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال هي متعة كما قال قلت هل لها
عدة قال نعم عدتها حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وفي رواية اخرى عنه ان الناس لما ذكروا الاشنعة في المتعة قال قاتلهم الله اني ما افتيت باباحتها على الاطلاق
لكني قلت انها تحل للمضطر كما يحل الميتة والدم ولحم الخنزير له ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي في الصرف والمتعة واما عمران
الحصين فانه قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها آية تنسخها وامرنا بها رسول الله صلعم وتمتعنا معه ومات ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برأيه ما شاء يريد
ان عمر نهى عنها وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي انه قال لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي حجة الجمهور على حرمة المتعة ان الوطي لا يحل الا في الزوجة
او المملوكة لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وهذه المرأة ليست مملوكة ولا بزوجة والا لحصل التوارث ولثبت النسب ولوجبت العدة
عليها بالاشهر والتوالي باطلة لعدمها بالاتفاق وروي عن عمر انه نهى عن المتعة على المنبر بمحضر من الصحابة ثم لم ينكروا عليه احد منهم فلو سكتوا للعلم بحرمتها
فذاك ولو سكتوا لجهلهم بحلها وحرمتها فمحال عادة لشدة احتياجهم الى البحث عن امر النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فاخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة
وذلك محال منهم ومما روي عن عمر انه قال لا اوتى برجل نكح بامرأة الى اجل الا رجمته ثم ان الصحابة لم ينكروا عليه مع ان الرجم لا يجوز في المتعة فلعله ذكر ذلك على
سبيل التهديد والسياسة ومثل ذلك جائز للامام عند المصلحة الا ترى انه قال من منع منا الزكوة فانا آخذها منه وشطر ماله مع ان اخذ شطر المال
من مانع الزكوة غير جائز الا للسياسة وروى الواحدي في البسيط عن مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن ابيهما عن علي ان رسول الله صلعم
نهى عن متعة النساء وعن اكل لحوم الحمر الانسية قال وروى الربيع بن سبرة الجهني عن ابيه قال غدوت على رسول الله فاذا هو قائم بين الركن والمقام مسند ظهره الى
الكعبة يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا وان الله قد حرم عليكم الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا
مما آتيتموهن شيئا القائلون باباحة المتعة قالوا الابتغاء بالاموال يتناول الاستمتاع بالمهر على سبيل التأبيد وعلى سبيل التوقيت بل الاية مقصورة
على نكاح المتعة لما روي ان ابي بن كعب كان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن وبه قرأ ابن عباس ايضا والصحابة ما انكروا عليهما فكان
اجماعا وايضا امر بايتاء الاجور لمجرد الاستمتاع اي التلذذ وهذا في المتعة واما في النكاح المطلق فيلزم الاجر بالعقد ايضا قال في اول السورة فانكحوا ما طاب
ان يحمل هذه الاية على نكاح المتعة لئلا يلزم التكرار في سورة واحدة والحمل على حكم جديد اولى ومما يدل على ثبوت المتعة ما جاء في الروايات ان النبي صلعم نهى
عن المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر واكثر الروايات انه اباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح وذلك ان اصحابه شكوا اليه يومئذ طول العزوبة فقال
استمتعوا من هذه النساء وقول من قال انه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا ضعيف لم يقل به احد من المعتبرين الا الذين ارادوا ازالة التناقض عن هذه
الروايات ونهي عمر يدل على انه كان ثابتا في عهد الرسول وما كان ثابتا في عهده لم يكن لينسخ بقول عمر كما اشار اليه عمران بن الحصين واجيب بان المراد من قوله
وانا انهى عنها انه قد ثبت عندي نسخها في زمان الرسول وقد سلموا له ذلك فكان اجماعا ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة الذين حملوا
الاية على بيان حكم النكاح قالوا المراد انه اذا كان المهر مقدرا بمقدار معين فلا حرج في ان يحط عنه شيئا او يبرئه عنه بالكلية كقوله فان طبن لكم عن شيء
وقال الزجاج لا اثم عليكم في ان تهب المرأة للزوج مهرها او يهب الزوج للمرأة تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول قال ابو حنيفة الحاق الزيادة بالصداق جائز لان
التراضي قد يقع على الزيادة وقد يقع على النقصان وهي ثابتة ان دخل بها او مات عنها اما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها نصف المسمى في
العقد وقال الشافعي الزيادة بمنزلة هبة فان قبضتها ملكته بالقبض وان لم تقبضها بطلت والدليل على بطلان هذه الزيادة انها لو التحقت بالاصل
فاما ان يرتفع العقد الاول ويحدث عقدا ثانيا وهو باطل بالاجماع واما ان يحصل عقد مع بقاء العقد الاول وهو تحصيل الحاصل والذين حملوا
الاية على حكم المتعة قالوا المراد انه ليس للرجل سبيل على المرأة من بعد الفريضة وهي المقدار المفروض من الاجر والاجل فان قال لها زيديني في الايام و
ازيدك في الاجر فهي بالخيار ان الله كان عليما حكيما لا يشرع الاحكام الا على وفق الحكمة والصواب ثم وسع الامر على عباده فقال ومن لم يستطع منكم طولا
فضلا في المال وسعة ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان وان ينكح متعلق بطولا يقال طال على الامر اذا غلبه وتمكن من فعله
والمحصنات ههنا الحرائر والمعنى ومن لم يقدر على نكاح الحرة فلينكح من الاماء التي ملكتها ايمانكم قال ابن عباس يريد جارية اخيك فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج
بجاريته نفسه والفتيات المملوكات يقول العرب للامة فتاة وللعبد فتى عن النبي صلعم لا يقولن احدكم عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي قال الشافعي ان الله تعالى
شرط في نكاح الاماء ثلث شرائط اثنان في الناكح الاولى فقد طول الحرة وهو عبارة عن عدم ما ينكح به الحرة كما يقول الرجل لا استطيع ان احج اذا كان لا يجد
ما يحج به فاذا كان كذلك جاز له التزوج بالامة لان العادة في الاماء تخفيف مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة ساداتهن والثانية خشية العنت كما يجيء في آخر
الاية والثالثة في المنكوحة وهو ان يكون الامة لمسلم ومع ذلك تكون مؤمنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المؤمنات فالقيد الاول مستفاد من قوله من
فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين والقيد الثاني مستفاد من وصف الفتيات بالمؤمنات اما فائدة القيد الاول فهي ان الولد
تابع للام في الحرية والرق فيتعلق الولد رقيقا على ملك الكافر لان هذا القيد الثاني اكثر لانه لان الولد اذا رق لكافر يتبع عليه في الحال واما نكاح







القيد الثاني فالحذر من اجتماع النقصانين من الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد والحسن ومذهب مالك والشافعي اما ابو حنيفة فانه يقول الغني والفقير
سواء في جواز نكاح الامة وذلك انه يحمل النكاح في الاية على الوطي ويقول المراد من لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح الامة لو كانت كتابية جاز له نكاحها
ولكن نكاح الامة المؤمنة افضل فيحمل التقييد في الاية على الفضل لا على الوجوب قياسا على جواز نكاح الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحرائر بالمؤمنات
واجيب بالفرق وهو اجتماع النقصانين ومن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولا شك ان في الاية دلالة على الحجر عن نكاح الاماء وان لم
عليه لا يجوز الا عند الضرورة وذلك لاتباع الولد الام في الرق ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وانها تعود تسبب ذلك الفجور والوقاحة ولما للمولى عليها
من حق الاستخدام فلا يخلص للزوج ولان السيد قد يبيعها فتصير مطلقة عند من يقول بذلك ولان مهرها ملك لمولاها فلا يقدر على ان يهبه منها فيا من وجهها
ولا على ابرائه والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله اعلم بما في الصدور بعضكم من بعض كلكم
اولاد آدم فلا يتداخلكم انفة من التزوج بالاماء عند الضرورة او كلكم مشتركون في الايمان وهو اعظم المفاخر فاذا حصل الاشتراك فيه فما وراءه غير ملتفت
اليه وفيه توهين لما كانوا عليه في الجاهلية من الفخر بالانساب والاحساب وتانيس بنكاح الاماء اذا كن مؤمنات ثم شرع كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن
باذن اهلهن فلذلك اتفقوا على ان نكاح الامة بدون اذن سيدها باطل لان نكاحهن غير واجب فيتوجه الامر الى اشتراط الاذن ولان التزوج بها يعطل على السيد
اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز الا باذنه ولفظ القرآن مقصور على الامة واما العبد فقد ثبت ذلك في حقه بالحديث روى جابر عن النبي صلعم اذا تزوج العبد بغير اذن
سيده فهو عاهر واستدل الشافعي بالاية على ان المرأة البالغة العاقلة لا يصح نكاحها الا باذن الولي لان قوله فانكحوهن الضمير فيه يعود الى الاماء والامة
ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق زائلة والاشارة الى ذات موصوفة بصفة عرضية زائلة يبقى بعد زوال تلك الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع
هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه يحنث في يمينه فعند زوال الرق عنها وهي حرة عاقلة بالغة يتوقف جواز نكاحها على اذن وليها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة
ثبت في سائر الصور ضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان ظاهر الاية يدل على الاكتفاء بحصول اذن اهلها وعنده لا يجوز للمرأة ان تزوج امتها
واجيب بان المراد بالاذن الرضا وعندنا ان رضا المولى لا بد منه فاما انه كاف فليس في الاية دليل عليه ايضا ان اهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى
ان كان رجلا او ولي المولى ان كان امرأة سلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام يخصصه قوله العاهر هي التي تنكح نفسها اقتضى ان لا يكون لها عبارة في نكاح
مملوكها ضرورة انه لا قائل بالفرق قلت الانصاف ان استدلال الشافعي بالاية ليس بقابل لان نقول لا نسلم ان صفة الرق للامة عرضية من حيث انها امرأة وان سلمنا
فلا نسلم ان الاشارة الى ذات الامة في الاية يبقى بعد زوال صفة الرق فكونها مثل قول القائل لا اكلم هذا الشاب ممنوع من المعلوم ان المراد به ذات الشاب
من حيث هو لكنه كقول الحالف لا اكلم شابا فانه لو كلم زيدا وزيد شاب حنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث وآتوهن اجورهن اي مهورهن وفيه دلالة على
وجوب مهرها سمى لها المهر او لم يسم وفي قوله بالمعروف دلالة على انه مبني على الاجتهاد وغالب الظن في المعتاد المتعارف وهو مهر المثل والمراد بغير مطل وضرار
واحوجاج الى الاقتضاء وقيل الاجور النفقة عليهن لان المهر مقدر فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكانه تعالى بين ان كونها امة لا يقدح في وجوب نفقتها وكسوتها
كما في حق الحرة اذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على العادة وعن بعض اصحاب مالك ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان المولى اذا آجرها للخدمة كان هو المستحق
للاجرة دونها واحتجوا في المهر بظاهر قوله وآتوهن اجورهن واما الجمهور فقالوا ان مهرها لمولاها كقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهذا ينفي
كون المملوكة مالكة لشيء اصلا ولان منافعها كانت مملوكة للسيد وقد اباحها للزوج بعقد النكاح فوجب ان يستحق بدلها اما ظاهر الاية فلو حملنا
لفظ الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه على المهر فالجواب انها ثمن ابضاعهن فلذلك اضيف الاجور اليهن وليس في قوله وآتوهن ما يوجب كون المهر
ملكا لهن وهبت المهر ملك لهن ولكنه كما قال العبد وما يملكه لمولاه او المراد وآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات قال ابن عباس اي عفائف وهو حال
من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرون على انه يجوز فالاية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال اكثر المفسرين المسافحة
هي التي تواجر نفسها اي رجل ارادها والمتخذة الخدن هي التي لها صديق معين وكان اهل الجاهلية يفصلون بين القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن
بكونها زانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم فلا جرم افردهما الله تعالى بالذكر تنصيصا على حرمتهما معا ولا متخذات اخدان جمع خدن كالاتراب جمع ترب والخدن الذي
يخادنك اي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن يقع على الذكر والانثى فاذا احصن بالتزوج وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد او بالاسلام وهو
قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكانه تعالى ذكر حال ايمانهن اولا في النكاح في قوله من فتياتكم المؤمنات ثم كرر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند
اقدامهن على الفاحشة وههنا اشكال وهو ان المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يراد بها الحرائر المتزوجات والحرائر الابكار و
على الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم محال وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنى الامة محصنة كانت او لم تكن وقد علق
ذلك في الاية بمجموع الامرين الاحصان والزنى والجواب انا نختار القسم الاول ويسقط الرجم عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف والثاني والمراد
بيان تخفيف عذابهن وذلك ان حد الزنى يتغلظ عند التزوج لهذا اذا زنت فقد وجب تخفيفها خمسون جلدة لا يزيد عليها فلان يكون قبل التزوج هذا
القدر اولى واعلم ان الخوارج اتفقوا على انكار الرجم واحتجوا بان الاية تدل على ان عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كان على الحرة الرجم لزم تنصيف
الرجم في حق الامة وهو محال والجواب ما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي ولطفها جعلوا الاية اصلا في نقصان حكم العبد عن حكم الحرة في غير الجلد وان
كان من الامور ما لا يتبعض كالصلوة والصوم وغيرهما ذلك اشارة الى نكاح الاماء بالاتفاق لمن خشي العنت منكم وقد عرفت فيما مر ان معنى الوقوع

سورة النساء

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا وَلَا تَتَمَنَّوْا

اگر پرهیز کنید گناهان کبیره را که نهی کرده شده اید از آن برطرف میکنیم از شما گناهان صغیره شما را و در آوریم شما را در جایگاهی بلند پایه و آرزو مکنید

مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ

آنچه را که زیادتی داده است خدا بآن برخی از شما را بر برخی از برای مردان بهره ایست از آنچه کسب نمودند و از برای زنان بهره ایست از آنچه کسب کردند و بخواهید خدا را

مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ

از فضل او بدرستی که خدا هست بهر چیزی دانا و از برای هر یک قرار دادیم وارثان از آنچه واگذاشتند پدر و مادر و خویشان و آنان که بسته شده

أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ

سوگندهای شما پس بدهید ایشان را قسمت ایشان را بدرستی که خدا هست بر هر چیزی گواه مردان مسلط اند بر زنان بسبب آنچه زیادتی داد خدا برخی را

عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ

بر برخی و بسبب آنچه خرج کردند از مالهاشان پس زنان نکو عبادت کننده گانند و نگاهدارند گانند حقوق مردان در غیبت بآنچه حفظ کرد خدا و آنها از زنان که میترسید از

نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ

بی پروائی ایشان پس پند دهید ایشان را و ترک کنید ایشان را در خوابگاه و بزنید ایشان را پس اگر اطاعت کردند شما را پس نخواهید بر ایشان راهی را بدرستی خدا هست

عَلِيًّا كَبِيرًا وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ

بلند مرتبه بزرگ و اگر ترسید نزاع را در میان ایشان پس برانگیزید داوری را از جانب مرد و داوری را از جانب زن اگر خواهند صلاح را موالفت اندازد خدا

بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي

در میان ایشان بدرستی که خدا هست دانای باطلاع و بپرستید خدا را و انباز قرار مدهید باو چیزی را و بپدر و مادر خوبی کنید و بخداوندان

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ

أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ۝ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ۝ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ۝ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ۝ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ۝

القراءة يكفر ويدخلكم بالياء المفضل الباقون بالنون مدخلا بفتح الميم وكذلك في الحج ابو جعفر ونافع الباقون بالضم ... وحمزة وعلي وخلف الباقون عاقدت من المعاقدة حفظ الله بالنصب يزيد الباقون بالرفع والجار بالامالة ... المفضل عباس يخبر الباقون بضم الباء وسكون الخاء حسنة بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالنصب يضعفها بالتشديد ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعفها بالالف ...

[illegible]



[illegible]

دا بضا ان الواحد منهم كان يجد اسا نا اجنبيا ابنا له وهم الادعيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يواخي بين كل رجلين منهم فكانوا يرثون بالتبني والمواخاة فنسخ ومنهم
من زعم انها غير منسوخة وقوله والذين معطوف على ما قبله والمعنى ان ما ترك الذين عقدت ايمانكم فلوارثه هو اولى به فلا تدفعوا المال الى الحليف بل الى الوارث
فيكون الضمير في فاتوهم للموالى قاله ابو على الجبائي او المراد بالذين عاقدت الزوج والزوجة يعنى ميراث الولد والوالدين كما في قوله يوصيكم الله قال ابو مسلم
وقيل المراد الميراث الحاصل بسبب الولاء وقيل هم الحلفاء والمراد بانباء نصيبهم النصرة والنصيحة والمصافاة وقال الاصم المراد التحفة بالشيء القليل كقوله
واذا حضر القسمة وذهب جمهور الفقهاء الى انه لا يرث المولى الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث لما روى ابن عباس ان رجلا اعتق
عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا العبد فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على ان المال صار لبيت المال ثم دفعه النبي الى الغلام لفقره
وقال ابو حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة وخالفه الشافعي فيه وحكى الاقطع ان هذه الموالاة لا تصح عند
ابي حنيفة ايضا الا بين العرب دون العجم لخاوة عقدهم في امورهم ان الله كان على كل شيء شهيدا لانه عالم بجميع الجزئيات والكليات فيشهد على الخلق يوم القيامة بكل
ما عملوه وفيه وعيد للعاصين ووعد للمطيعين ثم انه قد مر ان النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ونحوه فذكر في هذه الاية ما يشتمل على بعض
اسباب التفضيل فقال الرجال قوامون على النساء يقال هذا قيم المرأة وقوامها ابنا مبالغة للذي يقوم بامرها ويهتم بحفظها كما يقوم الوالي على الرعية ومنه سمي الرجال
قواما والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا اي انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية
انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء
والعلماء والحكماء وفيهم الامامة الكبرى وهي الخلافة والصغرى وهي الاقتداء بهم في الصلوة وانهم اهل الجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص
بالاتفاق وفي الانكحة عند الشافعي وزيادة السهم في الميراث والتعصيب فيه وتحمل الدية في القتل الخطاء والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة
وعدد الازواج واليهم الانتساب كل ذلك يدل على فضلهم وحاصلها يرجع الى العلم والقدرة ومنها سبب خارجي وذلك انهم فضلوا عليهن بما انفقوا اي اخرجوا في نكاحهن
من اموالهم مهرا ونفقة عن مقاتل ان سعد بن الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
افرشته كريمتي فلطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه وكانت قد نزلت اية القصاص فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل اتاني وانزل الله
هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فلهذا قال العلماء لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها
ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل اما في اللطمة ونحوها فلا ثم قسم النساء قسمين ووصف الصالحات منهن بانهن قانتات مطيعات لله وللزوج
حافظات للغيب بما يجب حفظه في غيبة الزوج في غيبته والغيب خلاف الشهادة ومواجب حفظ غيبة الزوج ان تحفظ نفسها عن الزنى لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها
ولئلا يلحق به الولد الحاصل من نطفة غيره وان تحفظ اسراره عن الافشاء وماله عن الضياع ومنزلها عما لا ينبغي شرعا وعرفا عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت
اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها وتلا الاية وما في قوله بما حفظ الله موصولة والعائد محذوف اي بالذي حفظه الله
لهن اي عليهن ان يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن في قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
فقوله بما حفظ الله يجري مجرى قولهم هذا بذاك اي هذا في مقابلة ذاك او مصدرية والمعنى انهن حافظات للغيب بحفظ الله اياهن فانهن لا يتيسر لهن حفظ الغيب الا
بتوفيق الله او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على الامانة واوعدهن العذاب الشديد على الخيانة ومن قرأ بما حفظ الله بالنصب فما ايضا موصولة اي
بالامر الذي يحفظ حق الله وامانته وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم او مصدرية اي بسبب حفظهن حدود الله واوامره فان المرأة لولا انها تحافظ
رعاية تكليف الله وتجتهد في حفظ اوامره والا لما اطاعت زوجها ثم ذكر غير الصالحات منهن فقال واللاتي تخافون تعرفون بالقرائن والامارات نشوزهن عصيانهن
والترفع عليكم بالخلاف من نشز الشيء ارتفع ومنه نشز للارض المرتفعة فعظوهن وهو ان يقول اتقي الله فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي
عليك فرض ونحو ذلك واهجروهن في المضاجع اي في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع اي بيوتهن التي
يبتن فيها اي لا تبايتوهن وفي ضمن الهجران الامتناع من كلامها ولكن ينبغي ان لا يزيد في هجره الكلام على ثلث فاذا هجرها في المضجع فان كانت تحب الزوج شق ذلك
عليها فتترك النشوز وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فكان ذلك دليلا على كمال النشوز فهنا فيباح الضرب وذلك قوله واضربوهن والاولى ترك الضرب
لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء على ازواجهن اي اجترأن فرخص في ضربهن فطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير
يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم ومعناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيرا ممن لم يضربوا
واذا ضربها وجب ان لا يكون مفضيا الى الهلاك البتة وان يكون مفرقا على بدنها ولا يوالي به في موضع واحد وينفي الوجه لانه مجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين
وقيل دون عشرين لانه حد كامل في شرب العبد ومنهم من قال يرى الضرب بالسواك او بالعصي وبالجملة فالتخفيف مرعي في هذا الباب ولهذا قال علي بن ابي طالب يعظها
بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال اخرون هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز
فاما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطه حيث يراه اهله فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالاذى والتوبيخ واجعلوا
ما كان منهن كان لم يكن ان الله كان عليا كبيرا لا بالجهة كبيرا لا بالجثة فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على ازواجكم وانه يتجاوز عن سيآتكم
الانسانية فيه سوط لمن ضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به يا ابا مسعود لله اقدر منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام ومنها انه مع علوه وكبريائه سلطانه





تعصونه فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو اذا رجع الجاني عليكم او انه مع علوه وكبريائه لا يكلفكم الا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن محبتكم فلعلهن لا يقدرن
على ذلك او انه مع علو شانه وكبريائه يكتفي من العبيد بالظواهر ولا يهتك السرائر فانتم اجدر بان لا تفتشوا عما في قلبها من الحب والبغض اذا اصلحت الحال في الظاهر
او انكن ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله تعالى قادر على الانتصاف منكم ثم بين انه ليس بعد الضرب الا المحاكمة فقال وان خفتم قال
ابن عباس اي علمتم وذلك لان ما وقع على النشوز حيث لم ينجع فيها الوعظ والهجران والضرب واعترض عليه الزجاج بانه اذا علم الشقاق قطعا فلا حاجة الى
الحكمين واجيب بان الشقاق معلوم الا انا لا نعلم ان سبب الشقاق منه ومنها فالحاجة الى الحكمين لهذا المعنى او نقول المراد اذا كان الشقاق في الاستمرار وعن
شقاق بينهما شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع وهو اجراء الظرف مجرى المفعول به او على جعل البين مشاقا مثل نهاره صائم والتثنية
للزوجين يدل عليهما ما سبق من الكلام او ذكر الرجال والنساء فابعثوا حكما من اهله رجلا مقنعا رضي يصلح لحكومة الاصلاح بينهما ويهتدي الى المقصود من البعث
ولا بد فيه من العقل والبلوغ والحرية والاسلام ويستحب ان يكون الحكمان من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن احوالهما ولتسكن اليهما نفوس الزوجين
فيبرزان لهما ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات كل من الامرين وينبغي ان يخلو حكم الرجل بالرجل وحكم المرأة بالمرأة فيعرفا ما عندهما
وما فيه رغبتهما فاذا اجتمعا لم يخف احدهما على الاخر ما علم ثم المبعوثان وكيلان من جهة الزوجين او موليان من جهة الحكام المخاطبين بقوله فابعثوا من النساء
فيه قولان اصحهما وبه قال ابو حنيفة واحمد انهما وكيلان لان البضع حق الزوج والمال حق الزوجة وهما رشيدان والخطاب في قوله فان خفتم وفي فابعثوا للائمة
الا انه لا يجري مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به وثانيهما وبه قال مالك انهما موليان لانه تعالى سماهما الحكمين ولما روي ان عليا بعث حكمين من زوجين
فقال اتدريان ما عليكما ان رايتما ان تجمعا وان رايتما ان تفرقا ان تفرقا وعلى الاول يوكل الرجل الذي هو من اهله بالطلاق وبقبول العوض في الخلع
والمرأة الاخرى ببذل العوض وقبول الطلاق ولا يجوز بعثهما الا برضاهما فان لم يرضيا ولم يتفقا على شيء ادب القاضي الظالم واستوفى حق المظلوم وعلى الثاني لا
يشترط رضى الزوجين في بعث الحكمين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فيه اربعة اوجه الاول ان يريد الحكمان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما هو خير
الثاني ان يريد الزوجان اصلاحا ابدل الله الزوجين بالشقاق وفاقا الثالث ان يريد الحكمان اصلاحا يوفق الله بين الزوجين الرابع ان يريد الزوجان خيرا يوفق الله بين
الحكمين حتى يتفق كلمتاهما ويحصل الغرض والتوفيق جعل الاسباب موافقة للغرض ولا يستعمل الا في الخير والطاعة وفيه انه لا يتم شيء من الاغراض الا بتوفيق
الله تعالى وتيسيره ان الله كان عليما خبيرا بتوفيق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين فيقضي علمه وارادته وفيه وعيد للزوجين والحكمين في سلوك ما يخالف
طريق الحق وعد على الجد في حسم مادة الخصومة والخشونة ثم ارشد الى مجامع الاخلاق الحسنة بقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان من عبد الله
واشرك به شيئا اخر فقد حبط عمله ووصل سعيه وبالوالدين احسانا فقيد ولحسنوا بهما احسانا يقال احسن بفلان والى فلان وبذي القربى واليتامى والمساكين
وقد مر تفاسيرها في البقرة قال ابو بكر الرازي ان اضطر الى قتل ابيه بان يخاف ان يقتله ان ترك قتله جاز له ان يقتله والجار ذي القربى الذي قرب جواره
والجار الجنب الذي بعد جواره عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه الا ان حد الجوار بعون دارا وعن الزهري اربعون دارا من كل جانب
وقيل الجار ذي القربى الجار القريب النسب والجار الجنب الاجنبي والتركيب يدل على البعد ومنه الجانبان للناحيتين والجنبان لبعد كل منهما عن الاخر
ومنه الجنابة لبعده عن الطهارة وعن حضور الجماعة والمسجد ما لم يغتسل ومن قرا الجنب فمعناه المجنوب مثل خلق بمعنى مخلوق والمراد ذي الجنب فحذف
المضاف والصاحب بالجنب هو الذي حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او في
مسجد وغير ذلك من ادنى صحبة اتفقت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة فانها تكون
معك وتضطجع الى جنبك وابن السبيل المسافر الذي انقطع عن بلده او الضيف وما ملكت ايمانكم عن علي بن ابي طالب انه كان اخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما ملكت ايمانكم وذكر اليمين تاكيد كما يقال مشت رجلي والاحسان اليهم ان لا يكلفهم فوق طاقتهم ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة
جميلة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يليق بحالهم في كل وقت كانوا في الجاهلية يسيئون الى المملوك فيكلفون الاماء البغاء وهو الكسب بفروجهن
ويضعون على العبيد الخراج الثقيل وقيل كل حيوان فهو مملوك والاحسان الى كل نوع بما يليق بحاله طاعة عظيمة ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا تياها
جهولا يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه فما لكه وعن الالتفات الى حالهم والتفقد لهم والتحقي بهم ويانف من اقاربه اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا كانوا
ضعفاء واصله من الخيلاء الكبر والفخور المتطاول الذي يعدد مناقبه وعن ابن عباس هو الذي يفخر على عباد الله تعالى بما اعطاه من انواع نعمه ولعل
هذا يجوز على سبيل التحدث بالنعم فقط الذين يبخلون البخل في اللغة منع الاحسان وفي الشرع منع الواجب فيه وفي لغات البخل مثل الفقر والبخل بضم
الباء وسكون الخاء وبضمهما وبفتحهما وسبب النظم ان الاحسان الى الاصناف المذكورين انما يكون في الاغلب بالمال فذم المعرضين عن ذلك الاحسان
لحب المال ويحتمل ان يشمل البخل بالعلم ايضا اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم مقتا للسخاء وقد قالت العرب البخل في امثالهم ابخل من الضنين بنائل
غيره وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما اتاهم من فضل الغنى حتى اوهموا الفقر مع الغنى والاعسار مع اليسار والعجز مع الامكان مخالفة لسنة نبي الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال ان الله تعالى يحب ان يرى على عبده اثر نعمته وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصر فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى
اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه ثم ان هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكاية من الله تعالى
ولا يرضى بقضائه فلذلك قال واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ويحتمل ان يراد كافر النعمة لا كافر الايمان وقال ابن عباس ان الاية في اليهود كانوا يأتون

رجالا من الانصار يخالطونهم وينتصحون لهم يقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وابقاؤهم كتمهم صفة محمد لم يبينوها
للناس ثم ذم الذين لا ينفقون اموالهم عطف عليهم الذين ينفقون اموالهم ولكن رئاء وفخارا وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله ومثل
هذا الانفاق دليل على انه لا يؤمن بالله واليوم الاخر ولا انفق لله وللاخرة ومن يكن الشيطان له قرينا في الدنيا امرا بالبخل والرياء فساء قرينا في الاخرة
يقرن به في النار ثم استفهم على سبيل الانكار فقال وماذا عليهم وما الذي عليهم باب الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد التوبيخ فكل منفعة في ذلك
كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وكان الله بهم عليما بعث على اصلاح افعال القلوب التي يطلع عليها علام الغيوب
وردع عن دواعي النفاق والرياء والسمعة والفخار احتج القائلون بان الايمان يصح على سبيل التقليد بان قوله وماذا عليهم لو آمنوا مشعر بان الاتيان
بالايمان في غاية السهولة والاستدلال في غاية الصعوبة واجيب بان الصعوبة في الايمان بالاستدلال التفصيلي لا الاجمالي وقال الجمهور المعتزلة لو كانوا
غير قادرين لم يقل وماذا عليهم كما لا يقال للمرأة ماذا عليها لو كانت رجلا وللقبيح ماذا عليه لو كان جميلا واجيب بعدم التحسين والتقبيح العقليين وانه لا يسئل
عما يفعل ثم رغب في الايمان والطاعة فقال ان الله لا يظلم مثقال ذرة والمثقال مفعال من الثقل كالميزان من الوزن والذرة النملة الصغيرة وعن ابن
عباس انه ادخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها ثم قال كل واحد من هذه الاشياء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وانتصاب مثقال على انه مفعول
ثان اي لا ينقص الناس مثقال ذرة او على المصدر اي ظلما قدر مثقال ذرة واذا نفى الظلم راسا الا انه اخرج الكلام على اصغر المتعارف وهذه الاية مما يتمسك
به المعتزلة في انه تعالى غير خالق لاعمال العباد والا كان ظلمهم منسوبا اليه وفي ان العبد يستحق الثواب على طاعته والا كان منعه عنه ظلما واجيب بانه اذا
كان متصرفا في ملكه كيف شاء فلا يتصور منه ظلم اصلا وقد يحتج الاصحاب بها على صحة مذهبهم في عدم الاحباط بان عقاب شرب قطرة من الخمر لو كان مزيلا
لطاعات سبعين سنة كان ظلما وفي عدم وعيد الفساق بان عقاب شرب جرعة من الخمر لو كان دائما مخلدا لزم ابطال ثواب ايمان سبعين سنة وهو ظلم
ثم قال وان تك حسنة حذفت النون من هذه الكلمة بعد سقوط الواو بالتقاء الساكنين لاجل التخفيف لكثرة الاستعمال ومن قرأ حسنة بالرفع فعلى كان التامة ومن
قرأ بالنصب فالتأنيث في ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث والمراد بالمضاعفة ليس هو المضاعفة بالمدة لان مدة الثواب غير متناهية وتضعيف غير
المتناهي محال بل المراد المضاعفة بحسب المقدار كان يستحق عشرة اجزاء من الثواب فيجعله عشرين او ثلثين عن ابن مسعود انه قال يؤتى بالعبد يوم القيمة
وينادي مناد على رؤس الاولين والاخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له اعط هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد
ذهبت الدنيا فيقول الله للملائكة انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله الجنة بفضل رحمته
ومصداق ذلك في كتاب الله وان تك حسنة يضاعفها قال الحسن قوله يضاعفها احب عند العلماء مما لو قال في الحسنة الواحدة مائة الف حسنة لان
هذا يكون مقداره معلوما اما على هذه العبارة فلا يعلم كنهه الا الله تعالى وعن انس ان رسول الله صلعم قال ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا
ويجزى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم تكن له حسنة يجزى بها اما قوله ويؤت من لدنه اجرا
عظيما فان لدن بمعنى عند الا ان لدن اكثر تمكنا يقول الرجل عندي مال ان كان المال ببلد اخر ولا يقول لدي مال الا اذا كان بحضرته والمعتزلة حملوا
المضاعفة على القدر المستحق وهذا الثاني على الفضل التابع للاجر ويمكن ان يقال الاول اشارة الى السعادات الجسمانية والثاني اشارة الى اللذات
الروحانية والله اعلم التأويل جملة الكبائر مندرجة تحت ثلث احدها اتباع الهوى ويتشعب منه البدع والضلالات وطلب الشهوات وحظوظ النفس
بترك الطاعات وثانيها حب الدنيا ويتشعب منه القتل والظلم واكل الحرام وثالثها رؤية غير الله وهو الشرك والرياء والنفاق وغيرها ثم اخبر ان
الدين ليس بالتمني فقال ولا تتمنوا فانه لا يحصل بالتمني ولكن للرجال الحقيقة في الله نصيب مما جدوا في طلبه وللنساء وهم الذين يطلبون من الله غير الله نصيب
على قدر همتهم في الطلب وسئلوا الله من فضله منه معناه ان سئلوه من فضله الخاص وهو العلم اللدني وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وسلوه
منه ولا تسئلوا منه غيره ولكل جعلنا موالي لكل طالب صادق جعلنا استعدادا في الازل للوراثة مما ترك الوالدان والاقربون طلبه لعلم الاستعداد والمشية
والذين جرى بينكم وبينهم عقد الاخوة في الله فاتوهم بالنصح وحسن التربية والتسليك نصيبهم الذي قدر لهم الرجال قوامون على النساء مصالح دينهن ودنياهن
بما فضل الله وهو استعداد الخلافة والوراثة وبما انفقوا من اموالهم اي تجريدهم عن الدنيا وتفريدهم للمولى فالصالحات اللاتي يصلحن للكمال قانتات مطيعات
لله من قلوب حافظات لواردات الغيب بما حفظ الله عليهن حقائق الغيب واسراره واللاتي تخافون نشوزهن اذا دارت عليهن كؤس الواردات كما قيل شعر
فاسكر القوم دور كاس ❊ وكان سكري من المدير ❊ فعظوهن باللسان وخوفوهن بالهجران لتأديب السكران واضربوهن بسطوة الانفصال وفراق الاخوان
كما كان حال الخضر مع موسى حيث قال هذا فراق بيني وبينك هذا قانون ارباب الكمال اذا رأوا من اهل الارادة امارات الملال وعربدة من غليان الاحوال
وان خفتم شقاق بينهما الشيخ الواصل والمريد المتكامل فابعثوا متوسطين من المشايخ الكاملين ومن السالكين المعتبرين ان يريدا اصلاحا فانهما بما رأيا فيه
صلاحهما يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الدنيا والعقبى لتتخلقوا باخلاق الله وتحسنوا الى الوالدين غيرهما
احسانا بلا شرك ورياء وفخر **فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ**
پس چگونه است حال چون بیاوریم از هر طایفه گواهیرا وبیاوریم ترا بر اینگروه گواه در آن روز
وخيلاء والله ولي التوفيق **يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين**
دوست دارند آنان که کافر شدند ونافرمانی کردند پیغمبر را اگر درست کرده شد بایشان زمین وپنهان نمیدارند از خدا سخنی را ای زمره آنان که

آمنوا



النساء

**آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا**
گرویده اید نزدیک مشوید نماز را درحال آنکه شما مستانید تا بدانید آنچه را که میگویید ونه در جنابت مگر گذرکنندگان راه تا وقتی غسل کنید
**وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا**
واگر بوده باشید ناخوش یا در سفر یا بیاید یکی از شما از قضاء حاجت یا که مباشرت کنید زنان را پس نیافتید آبی را پس قصد کنید
**صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا**
خاک را پاکیزه پس مسح کنید روهای خودتان ودستهای خود را بدرستی که خدا میباشد درگذرنده آمرزنده آیا ندیدی آنهائی را که داده شده بهره را
**من الكتاب يشترون الضللة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله**
از کتاب که میخرند گمراهی را ومیخواهند که شما گم کنید راه را وخدا داناتر است بدشمنان شما وبس است خدا دوستی
**نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع**
یاری دهنده از آنان که یهود شدند که تغییر میدهند کلمات را از جای خود ومیگویند که شنیدیم وفرمانرا سرپیچیدیم وبشنو ناشنوده
**وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان**
وراعنا پیچیدن زبانهای ایشان وطعن در دین واگر چنانچه ایشان گفتندی شنیدیم واطاعت کردیم وبشنو ونظر کن ما را هر آینه بودی
**خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا ايها الذين اوتوا الكتاب**
بهتر است از برای ایشان وبصواب ولکن دور کرد ایشانرا خدا بکفرشان پس ایمان نیاوردند مگر کمی ای زمره آنهائی که داده شده اید کتاب را
**آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا**
بگروید بآنچه فرو فرستادیم تصدیق کننده مر آنرا که با شماست پیش از آنکه محو کنیم روها را پس برگردانیم آنها را بر پشتها یا که دور کنیم آنها را از رحمت خود چنانچه دور کردیم
**اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**
اصحاب سبت را ومیباشد فرمان خدا کرده شده بدرستی که خدا نمی آمرزد که انباز داده شود او را ومی آمرزد آنچه را که غیر از آنست از برای هر که خواهد
**ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون**
وهر که شرک آورد بخدا پس بحقیقت که افترا کرده گناهی بزرگ را آیا نمینگری بآنهائی که پاک میشمارند نفسهای خود را بلکه خدا پاک گرداند هر که را خواهد وستم کرده نشوند
**فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب**
بقدر رشته خرما بنگر که چگونه میبندند بر خدا دروغ را وبس است باو گناهی هویدا آیا ندیدی آنها را که داده شده بهره از کتاب را
**يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك**
میگروند بجبت وطاغوت ومیگویند مر آنها را که کافر شدند که ایشان راست تر از آنها که گرویدند راه را آنگروه
**الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا**
آنانند که لعن کرد ایشانرا خدا وآنرا که لعن کند خدا پس هرگز نیابی از برای او یاوری یا مر ایشانراست بهره از پادشاهی پس در آن وقت ندهند مردمان بقدر نقیره
**ام يحسدون الناس على ما آتهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا**
یا حسد برند مردمان را بر آنچه که داده است ایشانرا خدا از فضل خود پس بحقیقت که دادیم آل ابراهیم را کتاب را ونبوت را ودادیم ایشانرا پادشاهی
**عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم**
بزرگرا پس از ایشان کسی است که گروید بآن واز ایشان کسی است که باز ایستاد از آن وبس است جهنم آتش افروخته بدرستی آنها که کافر شدند بآیات ما زود است که در آوریم ایشانرا
**نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا**
در آتش که هر چند بسوزد پوستهاشان بدل کنیم پوستهای دیگر غیر از آن تا بچشند عذاب را بدرستی خدا میباشد غالب استوار وآنها که گرویدند
**وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة**
وکردند شایسته زود است که داخل کنیم ایشانرا در بهشتها که روانست از زیر آنها جوها جاویدان در آن همیشه مر ایشانراست در آن زنهای پاکیزه
**وندخلهم ظلا ظليلا** القراءة تسوى بادغام تاء التفعل في السين ابو جعفر ونافع وابن عامر تسوى بالامالة وحذف التاء الاولى حمزة وعلي
ودر آوریم ایشانرا در سایه انبوه
وخلف الباقون تسوى مبنيا للمفعول من التسوية لمستم من اللمس وكذلك في المائدة حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون
لامستم من الملامسة فتيلا انظر بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن ذكوان الباقون بالضم وفرق بعضهم بين موضع الخفض فلم يجوز
الضم كراهة الانتقال من الكسر الى الضم نحو متشابه انظروا وبرحمة ادخلوا وخبيثة اجتثت وعذاب اركض واشباه ذلك نضجت جلودهم وبابه مدغما حمزة

وعلى وخلف هشام وابو عمرو الوقوف شهيدا الارض حديثا تغتسلوا وايديكم عفورا السبيل باعدائكم نصيرا في الدين لوم لاتصال لكن لمبدا السب مفعولا
لمن يشاء عظيما بزكون انفسهم فتيلا الكذب مبينا سبيلا ربع الجزء لعنهم الله نصيرا لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار وتقديره للعطف من فضله لشاهى الاستفهام مع
نقيضا لقاء عظيما صدعنه سعيرا نارا العذاب حكيما بلا ظليلا لاستيناف لفعل على نزمن تمام المفعول طلبا التفسير سبحانه لما اوعد الظالمين بقوله
ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد المطيعين بقوله وان تك حسنة يضاعفها اراد ان يبين ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله حجة على الخلق لتكون
الالزام اتم والتبكيت اعظم روى ان النبي قال لابن مسعود اقرا القران علي قال فقلت يا رسول الله انت الذي علمتنيه فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن
مسعود فافتتحت سورة النساء فلما انتهيت الى هذه الاية قال حسبك الان فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انه بكاء فرح لما شرفه الله تعالى
بكرامة قبول الشهادة على الخلائق والمعنى كيف يصنع هؤلاء الذين شاهدتهم وعرفت احوالهم من مردة الكفر كاليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم
بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لعل هذه الجملة معترضة والمراد قد
عصوا والظاهر ان الواو للعطف ويقتضي كون عصيان الرسول مغايرا للكفر لان عطف الشيء على نفسه غير جائز فاما ان يحمل الكفر على نوع منه وهو الكفر بالله
او يقال انه عام وافرد ذكر منه اظهارا لشرف الرسول وتعظيما لشان العصيان او يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر فيكون في الاية دلالة على ان
الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ومعنى لو تسوى بهم لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وانهم كانوا والارض
سواء او يصيرون ترابا فيودون حالها كقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما ان يتصل بما قبله والواو للعطف
اي يودون لو انطبقت عليهم الارض ولم يكونوا كتموا امر محمد ولا كفروا به ولا نافقوا او للحال والمراد ان المشركين لما راوا يوم القيامة ان الله يغفر لاهل الاسلام
دون اهل الشرك قالوا تعالوا فلنجحد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر الله لهم فيختم على افواههم وتتكلم ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فهنالك
يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا واما ان يكون كلاما مستانفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه وان قصدوه او توهموه
ثم اتبع وصف اليوم كيفية الصلوة التي هي سنام الطاعات واعظم القربات فقال يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وقد مر سببه في
البقرة وفي لفظ الصلوة ههنا قولان احدهما ان المراد المسجد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن واليه يذهب الشافعي ولابد من الاضمار اي لا تقربوا
موضع الصلوة وثانيهما وعليه الاكثرون ان المراد نفس الصلوة اي لا تصلوا اذا كنتم سكارى ومعنى الاية على القول الاول لا تقربوا المسجد في حالتين احداهما
حالة السكر وذلك ان جمعا من اكابر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم ياتون المسجد للصلوة مع الرسول فنهوا عن ذلك لان الظاهر ان الانسان اذا اتى
المسجد فانما ياتيه للصلوة ولا شك ان الصلوة فيها اقوال مخصوصة يمنع السكر منها وثانيتهما حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور اي الاجتياز
في المسجد بان كان الطريق الى الماء فيه او وقع الاحتلام فيه او كان الماء فيه والمعنى على القول الثاني النهي عن الصلوة في حالتين الاولى حالة السكر ايضا الا اذا علموا ما يقولون
ومعنى قربان الصلوة غشيانها والقيام اليها والثانية حالة الجنابة ويستثنى منها حالة عبور السبيل ويراد به في هذا القول السفر اي لا تقربوا الصلوة
في حالة الجنابة الا ومعكم حالة اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر ويجوز ان يكون الا عابري سبيل صفة لقوله جنبا اي لا تقربوها جنبا غير عابري سبيل
اي جنبا مقيمين وانما استثنى حالة المسافرة لما يجيء من تفصيل فيها وهو ان المسافر اذا اجنب ثم لم يجد الماء تيمم وصلى مع الجنابة ويرد عليه ان الجنب
المقيم ايضا اذا عجز عن استعمال الماء لمرض او برد يجوز له التيمم والصلوة على الجنابة اللهم الا ان يقال ان عذر السفر اعم واغلب فلهذا خصص بالذكر والسكارى
جمع سكران وقوله وانتم سكارى في محل النصب على الحال ولهذا عطف عليه قوله ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى
مجرى المصدر الذي هو الاجتناب وخالف الضحاك جمهور الصحابة والتابعين فقال ان السكر ههنا يراد به غلبة النوم وبناه على الاشتقاق فان السكر
عبارة عن سد الطريق ومنه سكر البثق سداده والسكر في الشراب هو ان ينقطع عما عليه من المضاء في حال الصحو فعند النوم يمتلئ مجاري الروح من الابخرة
الغليظة فينسد تلك المجاري بها ولا ينفذ الروح الباصر والسامع الى ظاهر البدن والجواب ان لفظ السكر حقيقة في السكر من الخمر والاصل في الاطلاق الحقيقة
ومتى استعمل مجازا فانما استعمل مقيدا كقوله وجاءت سكرة الموت بالحق وترى الناس سكارى وايضا جميع المفسرين على انها نزلت في شرب الخمر وسببها لنزول
يمتنع ان لا يكون مرادا من الاية ثم على قول الجمهور يمكن ادعاء النسخ في الاية بانه انما نهى عن قربان الصلوة حال السكر ممدودا الى غاية ان يصير بحيث يعلم ما يقول
والحكم الممدود الى غاية يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضي جواز الصلوة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول فجواز الصلوة مع هذا السكر
يوهم جواز هذا السكر لكنه تعالى حرم الخمر في اية المائدة على الاطلاق فيكون ناسخا لبعض مدلولات هذه الاية ومن قال ان مدلول الكلام يرجع الى النهي عن شرب
الخمر عند القرب من الصلوة وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فلا يكون منسوخا يكذبه ان الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق فكانوا لا
يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون الى ان نزلت اية المائدة فقالوا انتهينا
يا رب والتحقيق فيه ان النهي عن مباح الاصل في وقت ما او بوجه ما وان كان لا يدل على تحريمه ولا على اباحته في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة
في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة راجح بحكم الاصل فيغلب على الظن ذلك كما فهمه الصحابة ثم انه تعالى ذكر حكم المعذورين في حال الحدث الخفيف
او الاصغر مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة والمعنى
ان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذا للذين هم على حالة السفر اذا عدموه لبعده ويحتمل ان يقال قوله فلم تجدوا ماء





ليس قيدا في حكم المرضى لانهم في الرخصة وان وجدوا الماء ثم عمم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف سبع وعدو وعدم الة استقاء او اختصاص مكان الماء
به او غير ذلك من الاسباب التي لا يكثر كثرة المرض والسفر ويراد بالمرض ما يخاف معه محذورا كبطوء برء وشين فاحش ظاهر بقول طبيب مقبول الرواية الا انه يحتاط
ولا يخاف روي ان بعض الصحابة اصابته جنابة وكان به جراحة عظيمة فسأل بعضهم فلم يفته بالتيمم فاغتسل فمات فسمع النبي فقال قتلوه قتلهم الله وقال مالك
وداود يجوز له التيمم بجميع انواع المرض البرد المؤدي الى المرض لو استعمل الماء كما روي في حكاية عمرو بن العاص في تفسير قوله ولا تقتلوا انفسكم والسفر يعم
الطويل والقصير على مسافة القصر وما دونها الاطلاق قوله او على سفر والغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان كان الرجل اذا اراد قضاء الحاجة
طلب غائطا من الارض يغيب فيه عن اعين الناس فكني به عن ذلك واكثر العلماء الحقوا بالغائط كل ما يخرج من السبيلين من معتاد او نادر واما اللمس والملامسة
ففيه قولان احدهما ان المراد به التقاء البشرتين بجماع او بغيره كما هو مقتضى اللغة وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واليه ذهب الشافعي وثانيهما المراد
به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومذهب ابي حنيفة والشيعة لما ورد في القران بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فتحرير
رقبة من قبل ان يتماسا عن ابن عباس ان الله حيي كريم يعف ويكني يعبر عن المباشرة بالملامسة وايضا ليشمل الاية الحدثين الاصغر والاكبر ثم على مذهب الشافعي
قال بعض اهل الظاهر انما ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لقوله او لمستم والصحيح انه ينتقض وضوءهما معا لاشتراك اللامس والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا ماء
قال الشافعي اذا دخل وقت الصلوة فطلب الماء ولم يجد فتيمم وصلى ثم دخل وقت الصلوة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب
فلا بد في كل مرة من سبق الطلب قال ابو حنيفة لا يجب الطلب لقوله ولم يجد له عزما وسبق الطلب في حقه تعالى محال والجواب انه يجري الكلام على المجاز لما اخبر كانه
طلب شيئا ثم لم يجده واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه احتاج اليه لعطشه او لعطش حيوان محترم معه جاز له التيمم ولو وجد من الماء ما لا يكفيه فالاصح عند الائمة
انه يستعمله او يصبه ثم يتيمم ليكون عاملا بظاهر الاية والتيمم في اللغة القصد والصعيد التراب بفعيل بمعنى فاعل وقال الثعلب والزجاج انه وجه الارض ترابا كان
او غيره ومن هنا قال ابو حنيفة اذا كان صخر لا تراب عليه وضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا وقال الشافعي لابد من تراب يتحقق مفهوم البعض فيه
ولا يلتصق بيده فيمكنه المسح ببعضه كما جاء في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ولا يفهم من قول القائل مسحت براسي من الدهن الا معنى التبعيض
ولان الصعيد وصف بالطيب والطيب هو مسح الوجه والبلد الذي يحمل الانبات لقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ولانه خصص التراب بهذا المعنى
فقال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا اما مسح الوجه واليدين فعن علي وابن عباس اختصاص المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقريب منه مذهب مالك
لان المسح مكتفى فيه بما قل ما يطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي وابو حنيفة يستوعب الوجه واليدين الى المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الاباط لان
اليد حقيقة لهذا العضو الى الابط ثم ختم الاية بقوله ان الله كان عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان عادته العفو عن المذنبين
كان اولى بان يرخص للعاجزين عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله
على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله والناس
معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله على
فخذي فنام رسول الله حتى اصبح على غير ماء فانزل الله اية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير وهو احد النقباء ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر قالت عائشة
فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر من اول السورة الى ههنا احكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من احوال المتقدمين والخوض
لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد السامع هزة وجدة فقال الم تر الى الذين اي الم ينته علمك او الم تنظر الى من اوتوا حظا من علم التورية وهم احبار
اليهود وانما ادخل من التبعيضية لانهم عرفوا من التورية نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد فاما الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه فقد وصفهم
بان معهم علم الكتاب في قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لانهم عرفوا الامرين جميعا يشترون الضلالة يختارونها وههنا الان
من اشترى شيئا فقد اثره واختاره قال الزجاج والمراد تكذيبهم الرسول لاغراضهم الفاسدة من اخذ الرشى وحب الرياسة وقيل المراد يستبدلون الضلالة
وهي البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام بعد وضوح الايات على صحته ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه ولا اقبح ممن جمع بين
هذين الامرين الضلال والاضلال عن ابن عباس ان الاية نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه فيثبطانهم عن الاسلام
وقيل المراد عوام اليهود كانوا يعطون احبارهم بعض اموالهم لينصروا اليهودية فكانهم اشتروا بها لهم الشبهة والضلالة والله اعلم منكم باعدائكم لانه عالم
بكنه ما في صدورهم من الحنق والغيظ فاذا اطلعكم على احوالهم فلا تستنصحوهم في اموركم واحذروهم وكفى بالله وليا متوليا لامور العبد وكفى بالله نصيرا
ينصركم ويعينكم فثقوا بولايته ونصرته دونهم وكرر كفى ليكون اشد تاثيرا في القلب واكثر مبالغة وتبيينا لنا في لفاعل ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية
من غيره فكان الباء للسببية وقال ابن السراج التقدير كفى اكتفاؤك بالله وقيل فائدة الباء وهي للالصاق بعلم ان هذه الكفاية صادرة من الله تعالى بغير
واسطة وقوله من الذين هادوا اما بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله اعلم الى اخر الاية معترضات بين البيان والمبين او لاعدائكم والجملتان بينهما
معترضتان واما صلة نصيرا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا واما كلام مستانف على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا
قوم يحرفون الكلم عن مواضعه قال الواحدي الكلم جمع حروف اقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره ومعنى هذا التحريف ابدال
لفظ مكان لفظ لوضعهم ادم طوال مكان اسمر ربعة وجعلهم الحد بدل الرجم واخبر عن الله لا اله على الامالة والازالة اما في المائدة فقيل من بعد مواضعه

نظر الينا لان الكلم كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له وقيل المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتاويلات الفاسدة
كما يفعله في زماننا اهل البدعة وحمل بعض العلماء هذا القول اصح لانه يستبعد التحريف في المتواتر لكن دعوى التواتر بشرطه في التورية ممنوعة وقيل
كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن امر فيخبرهم به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملة جهالاتهم انه كان اذا امرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا
وفي الباطن عصينا او كانوا يقولون كلا اللفظين ظاهرا اظهارا للعناد لمزيد الكفر والجحود ومنها قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين
اما احتماله المدح فلقول العرب اسمع فلان فلانا اذا سبه واذا كان المراد اسمع غير مسمع مكروها كان مدحا وتوقيرا ونصحا واما احتمال الذم فبان يكون معناه
اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لان من كان اصم فانه لا يسمع فلا يسمع او بان يراد اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه اي غير مسمع جوابا يوافقك او بان يراد
اسمع غير مسمع كلاما ترضيه وعلى هذا يجوز ان يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالا من ضميره اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لنبو سمعك عنه ومنها
قولهم لنا راعنا وقد عرفت احتمالاته في البقرة وانما جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد تصريحهم بالعصيان على وجه لان المواجهة بالعصيان امر حاصل في العرف
من المواجهة بالسب ودعاء السوء ولهذا كانت الكفرة يواجهونه بالاول دون الثاني ليا بالسنتهم مفعول لاجله او مصدر لمحذوف وليقولون لانه في معنى اللي
بهم وعيفه واو بلتبل لويت فقلبت وادغمت والمعنى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت
مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا او لعلهم كانوا يفتلون اشداقهم والسنتهم عند ذكر هذا الكلام سخرية
وطعنا على عادة المستهزئين فبين الله تعالى انهم انما يقدمون على هذه الاشياء طعنا في الدين ويقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف
ولو كان نبيا لعرف باطن ذلك فاظهر الله ذلك عليه فانقلب ما جعلوه طعنا في الدين دلالة قاطعة على صحته لان الاخبار عن الغيب معجز ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا بدل قولهم
سمعنا وعصينا اذ وضح لهم الايات وتبين لهم البينات ثم ان يعدم انه واسمع دون ان يقال معه غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واقوم اعدل واشد من قولهم ومح بوم اي مستقيم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي بسببه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بالله وبالتورية وببعض
الانبياء دون سائر رسله او الا قليلا منهم امنوا لان قليلا قد يراد به الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا او اراد بالقلة العدم ثم زجرهم عن كفرهم وجحودهم
بقوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب الاية والطمس المحو يقال طريق طامس ومطموس ومفازة طامسة الاعلام وطمست الكتاب محوته وهو في الاية حقيقة
او مجاز قولان والمعنى على الاول نمحو تخطيط صورها واشكالها من عين وحاجب وانف وفم والفاء في فنردها على ادبارها اما للتسبيب فيجعل الوجوه
بسبب هذا الطمس على هيئة اقفائها مطموسة مثلها لان الوجه انما يتميز عن سائر الاعضاء بما فيه من الحواس والتخاطيط فاذا ازيلت ومحيت لم يبق
فرق بينها وبين القفا واما للتعقيب على ان العقوبة شيئان احدهما عقيب الاخرى الطمس ثم نكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما كانت
هذا عقوبة لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة كما قال في حق اهل النار واما من اوتي كتابه وراء ظهره على ان وجوههم مردودة الى اقفائهم
فيدلك الكتابة وتقرا من هناك واما المعنى على القول الثاني فعن الحسن نطمسها بالهدى ونردها بالخذلان على ادبارها اي على ضلالاتها وشبهاتها
وذلك ان المتوجه الى عالم الحس معرض عن عالم العقل وبقدر الاقبال على ذلك يحصل الادبار عن هذا وقال عبد الرحمن بن زيد نردهم الى حيث جاؤا
منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني قريظة والنضير والطمس على هذا اما تقبيح الوجوه واما ازالة اثارهم عن ديار العرب وقيل الطمس القلب
والتغيير والمراد بالوجوه رؤساؤهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم والضمير في قوله او نلعنهم
اما للوجوه ان اريد بها الوجهاء واما لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فان قيل
فاين وقوع الوعيد فالجواب انه مشروط بعدم ايمان جميعهم ولكنه قد امن ناس من علمائهم كعبد الله بن سلام واصحابه حكى انه لما نزلت هذه الاية اتى عبد الله بن
سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي وايضا انه ما جعل الوعيد هو الطمس
بعينه بل اياه او اللعن فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون
بكل لسان واللعن الموعود ظاهره اللعن المتعارف لا المسخ وقيل هو منتظر ولهذا قيل وجوها منكرة دون وجوهكم ليشمل وجوها غير المخاطبين من ابنائهم
حيلتهم ولا بد من مسخ وطمس لليهود قبل يوم القيمة وقيل ان قوله امنوا تكليف متوجه عليهم في جميع مدة حيوتهم فلزم ان يكون قوله من قبل ان نطمس وجوها
واقعا في الاخرة فالتقدير امنوا من قبل ان يجيء الوقت الذي نطمس فيه وجوهكم وهو ما بعد الموت وكان امر الله مفعولا لانه لا راد لحكمه ولا يتعذر عليه
شيء يريد ان يفعله وهذا كما يقال في الشيء الذي لا شك في حصوله هذا الامر مفعول وانه يفعل بعد فاذا حكم بانزال العذاب على قوم فعل ذلك البتة والمراد
بالامر الشان والفعل الذي تعلق ارادته به لا الامر الذي هو احد اقسام الكلام فلا يصح اسناد الاتيان الى الاية على ان كلامه تعالى مفعول اي مخلوق ثم بين ان
مثل هذا التهديد من خواص الشرك والكفر فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية ولا نزاع ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع لا مضاهاتها بقضيتهم ولانها دليل
على ان ما سوى الشرك مغفور واليهودية غير مغفورة بالاجماع ومن هنا قال الشافعي المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك والمشرك مباح الدم هو الذي
لا يجب القصاص على قاتله ولا يتوجه النهي عن قتله ترك العمل بهذا الدليل في النهي فيبقى معمولا به في سقوط القصاص عن قاتله واستدل الاشاعرة بالاية
على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لان ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا الثاني لمن تاب كما ان الاول خصص بالاجماع بمن لم يتب ثم اوردوا نظيره
قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء والمعنى لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله والمشية يكون فصداق





الفعلين المنفي والمثبت جميعا لانه استثناء لم يقبل المشرك فلا يبعد عليه الغفران وان شاء تاب صاحب الكبيرة فيستوجب الغفران فذكر الواحدي في البسيط باسناده
عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس
لعمر اني لارجو كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة يوم احد وكانوا قد وعدوه العتاق
ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا بذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ندمهم وانه لا يمنعهم من الدخول في الاسلام الا قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله
الها اخر فقالوا قد ارتكبنا كل ما في الاية فنزل قوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فقالوا هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل ان الله لا يغفر ان يشرك
به فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم فدخلوا عند ذلك في الاسلام ومن يشرك بالله فقد افترى اي اختلق
وافتعل اثما عظيما لانه ادعى ما لا يصح كونه عن ابن عباس في رواية الكلبي ان قوما من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء ذنب فقال
لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فنزل فيهم الم تر الى الذين يزكون انفسهم ويدخل فيه كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وقبول الطاعة و
الزلفى عند الله بل الله يزكي من يشاء وان تزكيته هي التي يعتد بها كما اخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله والله اني لامين في السماء امين في الارض وكيف لا ظاهرها المعجزات
على يده تزكيته له وتصديقا لقوله ولا يظلمون فتيلا هو ما فتلت بين اصبعيك من الوسخ فعيل بمعنى مفعول ابن السكيت هو ما كان في شق النواة والقمير
للذين يزكون اي يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او لمن يشاء اي يثابون على زكائهم من غير نقص شيء من ثوابهم ثم عجب النبي صلى الله عليه وسلم عن فريتهم وادعائهم
زكاءهم ومكانتهم عند الله فقال انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اي بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر اثامهم قال المفسرون خرج كعب بن
الاشرف وحيي بن الاخطب في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على ابي سفيان والاخرون في دور قريش فقال لهم اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم
ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وامنوا بهما فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة ليجيء منكم ثلثون ومنا ثلثون فنلزق
اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا
اهدى طريقا واقرب الى الحق نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا على دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني
ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم
والله اهدى سبيلا مما هو عليه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعبا واصحابه فلما رجع الى قومه قال ان محمدا يزعم انه نزل فيكم كذا
كذا قالوا صدقت والله ما حملنا على ذلك الا بغضه وحسده وقد مر معنى الطاغوت في تفسير اية الكرسي واما الجبت ففي الصحاح انه كلمة تقع على الصنم والكاهن
والساحر ونحو ذلك وليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي وحكى القفال عن بعضهم ان اصله جبس فابدلت السين
تاء والجبس هو الخبيث الردي وقال الكلبي الجبت في الاية هو حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف وكانت اليهود يرجعون اليهما فسميا بهذين الاسمين
في اغواء الناس واضلالهم فلا جرم جزاهم الله بقوله اولئك الذين لعنهم الله وبالحري ان جعلوا من هو اضل من النعام واقل من الانعام حيث رضوا
معبودية الاصنام اهدى سبيلا وافضل طريقا من الذين اشرف الانام لاختيارهم دين الاسلام الذي هو عبادة ذي الجلال والاكرام ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا وعيد لهم بلزوم الابعاد والطرد ولصوق العار والصغار ووعد للنبي والمؤمنين بالاستيلاء والاستعلاء عليهم
الى يوم القيمة والخطاب في فلن تجد للنبي او لكل طالب بعرض ثم لما وصفهم بالضلال والاضلال وصفهم بالبخل والحسد اللذين هما شر الخصال لان البخيل
يمنع ما اوتي من النعمة والحاسد يتمنى ان تزول عن الغير ما اوتي من الفضيلة وام قيل انها متصلة وقد سبقها استفهام في المعنى كانه لما حكى قولهم للمشركين
انهم اهدى سبيلا من المؤمنين قال امر ذلك يتعجب منه من قولهم لهم نصيب من الملك مع انهم لو كان لهم ملك لبخلوا باقل القليل وقيل الميم زائدة والتقدير الهم
والاصح انها منقطعة كانه لما تم الكلام الاول قال بل الهم نصيب من الملك ومعنى الاية انهم كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فابطل الله عليهم
قولهم وقيل كانوا يزعمون ان الملك يعود اليهم في اخر الزمان وانه يخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل المراد بالملك التمليك يعني انهم انما يقدرون
على دفع نبوتك لو كان التمليك اليهم ولو كان التمليك اليهم لبخلوا بالنقير والقطمير فكيف يقدرون على النفي والاثبات قال ابو بكر الاصم كانوا اصحاب بساتين
واموال وكانوا في عزة ومنعة كما يكون احوال الملوك ثم كانوا يبخلون على الفقراء باقل القليل فنزلت الاية فيهم وعلى هذا فانما يتوجه الانكار على انهم لا يؤتون احدا
مما يملكون شيئا وعلى الاقوال المتقدمة يتوجه الانكار على ان لهم نصيبا من الملك فكانه تعالى جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك لهم فان البخل والملك لا يجتمعان
كما قيل بالبر يستعبد الحر والانسان عبيد الاحسان والبخيل ينفر الطباع عن الانقياد له فلا يتيسر له اسباب المملكة وان اجتمعت بالتدريج فسوف تضمحل وانما اهمل
اذن لدخول الفاء عليه وذلك ان ما بعد العاطف من تمام ما قبله فلا يبعد بسبب ربط العاطف بعض الكلام ببعض فينجزم بتقدمه فكانه معتمد فيخرج العامل عن
العمل وجاء في قراءة ابن مسعود فاذن لا يؤتوا بالاعمال وليس يقوى النقير نقرة في ظهر النواة فعيل بمعنى مفعول ومنها ينبت النخلة وهو مثل في القلة كالفتيل
فان قيل كيف يقال انهم لا يبذلون نقيرا وكثيرا ما يشاهد منهم بذل الاموال قلنا المدعى عدم ايتاء النقير على تقدير حصول الملك ويراد به الملك الظاهر كالملوك
الدنيا او الباطن كالعلماء الربانيين او كلاهما كما للانبياء وحصول شيء من هذه الاقسام لهم ممنوع لما ضرب عليهم الذلة والمسكنة ولئن فرض حصول شيء

منها فما بالك لعل الشح تغلب عليهم حتى لا يشاهدونهم بذل نقير كما اخبر عنه علام الغيوب اما على تفسير الاصم فلعل المراد لانهم لا يبذلون شيئا نسبته الى ما يملكونه
كنسبة النقير الى النواة او انهم لا يطيبون بذلك نفسا لغلبة الشح عليهم والله تعالى اعلم بمراده فهذا بيان بخلهم اما بيان حسدهم فذلك قوله ام يحسدون وهي
منقطعة والتقدير بل ايحسدون الناس يعني النبي والمؤمنين فان كان اللام للعهد فظ وان كان للجنس فلانهم هم الناس والباقون هم النسناس ومعنى الهمزة انكار
الحسد واستقباحه والمراد بالفضل ما اتاهم الله من اشرف المناصب هو النبوة والخاتمية وما كان ينضم اليها كل يوم من النصرة والعزة والاستيلاء والاستعلاء
والفضل محسود بكل اوان والحاسد مذموم بكل لسان ثم نبه على ما يزيل التعجب من شان محمد فقال فقد اتينا ال ابرهيم الذين هم اسلاف محمد الكتاب الذي هو بيان
الشرايع والحكمة التي هي الوقوف على الاسرار والحقائق والعمل بمقتضى صلاح الدارين واتيناهم ملكا عظيما عن ابن عباس الملك في ال ابرهيم ملك يوسف وداود
وسليمان فليس ببدع ان يوتى ابنائهم ما اوتي اسلافهم ويكون من جملة حسدهم انهم استكثروا نساء النبي فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وكان لداود مائة و
لسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم اي من اليهود من امن به اي بما ذكر من حديث ال ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكر مع علمه بصحته او من اليهود من امن برسول الله
ومنهم من انكر نبوته او من ال ابرهيم من امن بابرهيم ومنهم من كفر والمخزات اولئك الانبياء جرت عادة اممهم فيهم ان بعضهم امن بهم وبعضهم بقوا على كفرهم فانت
يا محمد لا تتعجب مما عليه هولاء والغرض تسلية النبي وتسليته وكفى بجهنم لعذاب هولاء الكفار المتقدمين والمتاخرين سعيرا ثم اكد وعيد الكفار بقوله ان الذين
كفروا باياتنا ويدخل فيها كل ما يدل على ذات الله وصفاته وافعاله واسمائه والملائكة والكتب والرسل وكفرهم بها ان ينكروا او يحرفوا اياتها او يغفلوا عنها ولا ينظروا
فيها او يلقوا الشكوك والشبهات فيها او ينكروها مع العلم بها عنادا وحسدا وبغيا ولددا وههنا سوال وهو انه تعالى قادر على ابقائهم في النار احياء مخلدين
من غير ان يحترق جلودهم فما الحكمة في انضاج جلودهم والجواب لا يسئل عما يفعل كما انه قادر على ايصال الالام اليهم من غير ادخالهم النار مع انه لا يمكن ان يقال لم
عليهم بادخالهم النار وسوال اخر وهو انه كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلودا لم تعص والجواب يجعل النضيج غير نضيج فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة وتوكيده
قول اهل اللغة بدلت الشيء غيرته وان لم يات ببدله ابدلته الشيء غيرته فالتبديل تغيير الصفة او الذات والابدال تغيير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد من هذا
التبديل هو تغيير الذات فلهذا فسر التبديل بالابدال ولعل انما حمله على ذلك وصف الجلود بقوله غيرها ولقائل ان يقول المغايرة اعم من ان يكون في الذات او في الصفات
فما ادريك ههنا في الاية مغايرة الذات لا الصفات اللهم الا ان يعضده نقل صحيح منكوك الجواب عن السوال ان المعذب هو الانسان والجلد المحترق جزء من ماهيته واما
هو سبب لوصول العذاب اليه وقيل المراد الدوام وعدم الانقطاع وكلا احتراق اي كلما ظنوا انه احترقوا واشرفوا على الهلاك اعطيناهم قوة جديدة بحيث ظنوا
انهم الان حدثوا وجددوا وقال السدي يجعل من لحم الكافر جلدا اخر وفي هذا التاويل بعد لان لحمه متناه فتقدير نفاده لا بد من طريق اخر في تبديل الجلد فيعود قول الثواب
وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه ترك للظاهر وان السرابيل لا يوصف بالنضج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز
اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه او ليقدروا بهذه الجلدة الجديدة العذاب والمراد بالذوق احساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق
بالمذوق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يفعل الا الصواب ثم قرن الوعد بالوعيد على عادته فقال والذين امنوا الاية قال
الواحدي الظليل ليس ينبئ على الفعل حتى يقال انه بمعنى فاعل او مفعول بل هو مبالغة في نعت الظل مشتق من لفظه كقولهم ليل اليل وقيل اذا لم يكن في الجنة شمس
توذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل وايضا المواضع التي لا يصل نور الشمس اليها في الدنيا يكون هواؤها عفنا فاسدا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك
الجواب المنع من انه لا شمس هنالك حتى يوجد ضوء ثان هو الظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فينانا اي منبسطا لا جوب فيه اي لا فرج لالتفاف الاغصان وانها
لا ينسخه الشمس وسمسا لا حر فيه ولا برد وعند الحكماء المراد بالظل الراحة لانه من اسبابها ولا سيما في البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا مطلوبا مهما لهم صار موعودا
لهم التاويل لو تسوى بهم الارض اي يتمنون ان يخلوا في عالم الطبيعة ولم ينكشف لهم عالم الحقيقة كيلا يروا ما يرون من عذاب القطيعة كما ان السكران ممنوع
من الصلوة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلات لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى من غلبات الاحوال فان الكامل يصح زايله ولا جنبا بالالتفات
الى غير الله فان الصلوة ازوال باطله وتشتت من العالم الادنى الى الاعلى في الشعور ومن التابعية لغير الله العبودية في الدنيا كانك غريب او كعابر سبيل لغير القدس من الالتفات
من المحظوظات الا ما ابيحها الضرورات وان كنتم مرضى بحب الدنيا او على سفر في متابعة الهوى او جاء احد منكم من الغائط في قضاء شهوة من الشهوات او لمستم
عجوزا لدنيا في تحصيل لذة من اللذات فلم تجدوا ماء التوبة والاستغفار فتيمموا وتمعكوا في تراب اقدام الكرام فانه طهور الذنوب العظام من الذين هادوا يعني ذات
علماء السوء فيه من داب الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه باولوها على حسب ارادتهم ويقولون سمعنا ما في القران بالمقال وعصينا بالفعال وينكرون
على ارباب المقامات والاحوال يقولون اسمع غير مسمع وراعنا يخاطبونهم بكلام ذو وجهين ليا بالسنتهم وطعنا في اهل الدين يا ايها الذين اوتوا علم الكتاب
ظاهرا ولم يوتوا علم باطن الكتاب امنوا بما نزلنا على الاولياء من علم باطن القران مصدقا لما معكم من العلم الظاهر لان اهل العلم اللدني يصدقون اهل العلم الظاهر ولكن
اهل العلم الظاهر يصعب عليهم تصديق علوم الانبياء علوم الاولياء لانه لا يناسب عقولهم من قبل ان نطمس وجوه القلوب بالعمى والصمم فنردها على ادبارها ناظرين الى
الدنيا وزخارفها بعد ان كانوا ناظرين في الميثاق الى نورها او نلعنهم بمسخ صفاتهم الانسانية بالسبعية والشيطانية كما مسخنا اصحاب السبت بالصورة ومسخ
المعنى اصعب من مسخ الصورة لان فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة ان الله لا يغفر ان يشرك به بالشرك ثلث مراتب وكذا للمغفرة فمن جلي بالاعمال وهو للعوام
في عبدة الكواكب والاصنام فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية في اثباتنا لربوبية مصدقا بالسر والعلانية وشرك خفي بالاوصاف للخواص وهو شوب العبودية
بالالتفات الى غير الربوبية فلا يغفر الا بالوحدانية وهي افراد الواحد للواحد وشرك اخفى للاخص وهو رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهي فناء الناسوتية





في بقاء اللاهوتية الم تر الى الذين يزكون انفسهم من اهل العلوم الظاهرة تعلموا العلم ليباهوا به العلماء او ليماروا به السفهاء فحصل لهم صفات ذميمة اخرى مثل المنافسة
والمماراة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وغلبة الاقران والانداد بل الله يزكي من يشاء بالتسليم نفوسهم الى ارباب التزكية من العلماء الراسخين
والمشايخ المحققين كما يسلم الجلد الى الدباغ ليجعله اديما فاذا سلموا انفسهم اليهم وصبروا على تصرفهم دلوا اثر الزكاء فيهم ولن يضيع سعيهم يؤمنون بالجبت
النفس الامارة وطاغوت الهوى ويقولون للذين كفروا من اهل الاهواء والمبتدعة والمتفلسفة هؤلاء اهدى من الذين امنوا بكل ما امر الله به ورسوله
ثم وصفهم بالبخل والحسد ثم قال فقد اتينا ال ابرهيم يعني اهل الخلة والمحبة الكتاب والحكمة العلم الظاهر والعلم الباطن واتيناهم ملكا عظيما هو معرفة الله
فمنهم من امن ومنهم من صد عنه لان من العلماء مقبلين ومنهم مدبرين وكفى بجهنم نفسهم الحاسدة سعيرا تحرق حسناتهم فان الحسد يأكل الحسنات كما تاكل النار
الحطب ان الذين كفروا باياتنا وباولياءنا الذين هم مظاهر ايات الحق وحجج الله على الخلق سوف نصليهم نار الحسد والغضب والكبر والعجب كلما نضجت جلودهم اي انقطع
بعض اماني نفوسهم الامارة ومقتضيات اهوائها ولا يخفى حسن استعارة الجلود لاثار النفس من حيث الظهور والاشتمال بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
فان دواعي الحرص والغضب والشهوة لا نهاية لها ما دامت النفس على صفة الامارية فلن تزال اسيرة بيد الشهوات ذائقة لعذاب التعلقات والذين امنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم اي نجذبهم بجذبات العناية الى جنات الوصلة تجري من تحتها الانهار من ماء الحكمة ولبن الفطرة وخمر الشهود وعسل الكشوف
لهم فيها ازواج من تجلي صفات الجمال والجلال مطهرة من لوث الوهم والخيال وندخلهم ظلا ظليلا هو ظل شمس عالم الوجود يوم لا ظل الا ظله

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ
بدرستی که خدا میفرماید شما را که واپس دهید امانتها را بسوی کسان آن و چون داوری کنید در میان مردمان اینکه داوری کنید بعدالت بدرستی خدا
نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
خوبست آنچه پند میدهد شما را بان بدرستی که خدا باشد شنونده بینا ای زمره آنان که گرویده اید فرمان برید خدا را و فرمان برید پیغمبر را
وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
و صاحبان فرمان را از شما پس اگر نزاع کنید در چیزی پس باز گردید بسوی خدا و پیغمبر اگر بوده باشید که ایمان آورید بخدا و روز
الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
واپسین این بهتر است و نیکوتر است عاقبت ایا ندیدی آنها را که گمان میکنند که آنها ایمان آورده اند بانچه فرستاده شد بسوی تو و آنچه فرستاده شد
يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا
میخواهند که داوری جویند بسوی طاغوت و حال آنکه مامور اند که کافر شوند بان و میخواهد شیطان که گمراه کند ایشان را گمراهی دور
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝ فَكَيْفَ
و چون گفته شد بایشان که روآرید بسوی آنچه فرو فرستاد خدا و بسوی پیغمبر دیدی اهل نفاق را که اعراض میکنند از تو اعراض کردنی پس چگونه است
إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا
وقتی که برسید بایشان مصیبتی بسبب آنچه پیش فرستاد دستهای ایشان پس آیند ترا سوگند خوران بخدا که اراده نکرده ایم مگر نیکوئی و موافقت کردن را
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا
آنها آنانند که میداند خدا آنچه را که در دلهای ایشانست پس روگردان از ایشان و پند ده ایشان را و بگو ایشان را در نفسهای ایشان گفتاری رساننده و نفرستادیم
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
هیچ پیغمبری مگر برای آنکه اطاعت کرده شود بفرمان خدا و اگر که ایشان چون ستم کردند نفسهای خود را آمدندی پس طلب آمرزش کردندی خدا را و طلب آمرزش کردی
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
پیغمبر هر آینه یافتندی خدا را توبه پذیر مهربان پس نه قسم به پروردگارت که نگروند تا که حاکم سازند ترا در آنچه نزاع واقع شد میان ایشان پس نیابند
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا
در نفسهای خویش تنگی را از آنچه حکم کرده و گردن نهند گردن نهادنی و اگر چنانچه نوشته بودیم بر ایشان اینکه بکشید نفسهای خود را یا که بیرون روید
مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا
از خانهای خود نمیکردند آنرا مگر کمی از ایشان و اگر که ایشان کردندی آنچه را که پند داده شوند بان هر آینه بهتر است ایشان را و سخت تر است در ثابت
وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ
و آنهنگام هر آینه دادیم ایشان را از نزد خود مزدی بزرگ و هر آینه هدایت کردیم ایشان را براهی راست و هر که فرمان برد خدا را
وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
و پیغمبر را پس آن گروه با آنهایند که انعام فرموده خدا بر ایشان از پیغمبران و راستگویان و شهیدان

والصّٰلحين وحسن اولٰئك رفيقا ذٰلك الفضل من الله وكفى بالله عليما

و نیکوکاران و خوبند اینطائفه از جهة رفاقت این زیادتیست از خدا و بس است بخدا دانائی

المقرء ان اقتلوا بكسر النون لالتقاء الساكنين ابو عمرو و عاصم وحمزة و سهل و يعقوب الباقون بالضم نقلا لحركة همزة الوصل الى ما قبلها او اخرجوا بكسر الواو للساكنين عاصم و سهل وحمزة الباقون بالضم الا قليلا بالنصب شامي على اصل الاستثناء او بمعنى الا فعلا قليلا الباقون بالرفع على البدل من واو فعلوه الوقوف الى اهلها لان التقدير يامركم ان تؤدوا وان تحكموا بالعدل اذا حكمتم بين الناس بالعدل نعما يعظكم به بصيرا منكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واليوم الآخر تأويلا ان يكفروا به بعيدا صدودا للابتداء مع فاء التعقيب السبع الثاني يحلفون قد قيل على ان ما بعده ابتداء القسم والاولى تعلقوا لتا يحلفون و توفيقا بليغا باذن الله رحيما تسليما قليل منهم تثبيتا عظيما لان ما بعده من تتمة جواب لو مستقيما والصٰلحين لانقطاع النظم مع انتفاء المعنى رفيقا من الله عليما التفسير لما شرح بعض احوال الكفار عاد الى ذكر ما مكائدهم ثم لما حكى عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق فقالوا للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا امر المؤمنين في هذه الآية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب المذاهب والديانات او من باب الدنيا والمعاملات وايضا قد وعد في الآية السابقة الثواب العظيم على الاعمال الصالحات وكان من اجلها الامانة فقال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها روى ان عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلب منه فابى فقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فاراد النبي ان يدفعه الى العباس ثم قال يا عثمان خذ المفتاح على ان للعباس معك نصيبا فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمان يا علي اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرأ عليه هذه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم فجاء جبرئيل عليه السلام وقال ما دام هذا البيت كان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان وقال خذوها يا بني طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة وهو اليوم في ايديهم ثم نزول الآية عند هذه القصة لا يوجب خصوصها بها لكنها تعم جميع انواع الامانات فالكلام الامانة مع الرعية في كل ما امر به ونهى عنه قال ابن مسعود الامانة في الكل لازمة في الوضوء والجنابة والصلوة والزكوة والصوم وعن ابن عمر انه تعالى خلق فرج الانسان وقال هذا امانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب واسع فامانة اللسان ان لا يستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العين ان لا يستعملها في النظر الى الحرام وامانة السمع ان لا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي والفحش والاكاذيب وكذا القول في سائر الاعضاء ثم الامانة مع سائر الخلق ورد الودائع وترك التطفيف وترك عيوب الناس وافشاء اسرارهم ويدخل فيه عدل الامراء مع الرعية والعلماء مع العوام بان يرشدوهم الى ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن العقائد الباطلة والاخلاق غير الفاضلة وتشتمل امانة الزوجة للزوج في ماله وفي بضعها وامانة الزوج للزوجة في ايفاء حقوقها وحظوظها وامانة العبد للمولى وبالعكس وامانة الجار للجار والصاحب للصاحب ويدخل فيه نهي اليهود عن كتمان امر محمد والامانة مع نفسه بان لا يختار لها الا ما هو انفع واصلح في الدين والدنيا ولا يوقعها بسبب اللذات العاجلة في التبعات الدائمة وقد عظم الله تعالى امر الامانة في مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين لاماناتهم وعهدهم راعون وقال لا ايمان لمن لا امانة له والامانة مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع ثم لما امر باداء ما وجب لغيره عليه امر باستيفاء حقوق الناس بعضهم عن بعض اذا كان بصدد الحكم فقال واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل في قوله اذا حكمتم تصريح بانه ليس لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم والقضاء وقد عد العلماء من شرط النيابة العامة الاسلام والعقل والبلوغ والذكورة والحرية والعدالة والكفاءة واهلية الاجتهاد بان يعرف ما يتعلق بالاحكام من كتاب الله وسنة رسوله ويعرف منهما العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ ومن السنة المتواتر والآحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف اقاويل الصحابة ومن بعدهم اجماعا وخلافا وجلي القياس وخفيه صحيحه وفاسده ويعرف لسان العرب لغة واعرابا خصوصا وعموما الى غير ذلك مما له مدخل في استنباط الاحكام الشرعية من ظواهرها ومعانيها وكفى بما في هذا المنصب الخطر انه منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده فعلى المتصدي لذلك ان يتادب بآدابهم ويتخلق باخلاقهم والا فالويل له عن النبي انه قال يجاء بالقاضي العادل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين قط واذا كان حال العادل هكذا فما ظنك بالجائر وعنه ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برا لهم قلما او لاق لهم دواة فيجمعون ويلقون في النار ان الله نعما يعظكم به المخصوص بالمدح محذوف وما موصولة او مبهمة موصوفة والتقدير نعم الذي او نعم شيئا يعظكم به ذلك المأمور من اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يسمع كيف تحكمون ويبصر كيف تؤدون وفيه اعظم اسباب الوعد للمطيع واشد اسباب الوعيد للعاصي ثم انه سبحانه امر الرعاة بطاعة الولاة كما امر الولاة في الآية المتقدمة بالشفقة على الرعاة فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله الآية عن علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله و يؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة وقالت الاشاعرة الطاعة موافقة الامر طلبه ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع في ان المأمور كايمان ابي لهب هل يكون مرادا ام لا فعند الاشاعرة الامر قد يوجد بدون الارادة لئلا يلزم الجمع بين الضدين في تكليف ابي لهب بالايمان وعند المعتزلة لا امر الا بارادة والخلاف بين الفريقين مشهور قال في التفسير الكبير هذه الآية مشتملة





على اكثر علم اصول الفقه لان اصول الشريعة اربعة الكتاب والسنة وقد اشار اليهما بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس العطف للمغايرة الكلية ولكن الكتاب يدل على امر الله ثم يعلم منه امر الرسول لا محالة والسنة تدل على امر الرسول ثم يعلم منه امر الله والاجماع والقياس واشار الى الاجماع بقوله واولي الامر لانه تعالى امر بطاعتهم على سبيل الجزم فوجب ان يكون معصوما لانه لو احتمل اقدامه على الخطاء والخطاء منهي عنه لزم اعتبار اجتماع الامر والنهي في الفعل الواحد وانه محال ثم ذلك المعصوم اما مجموع الامة او بعضها على ما يقوله الشيعة من ان المراد بهم الائمة المعصومون وعلى ما زعم بعضهم انهم الخلفاء الراشدون او على ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انهم امراء السرايا كعبد الله بن حذافة السهمي وكخالد بن الوليد اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وكان معه عمار بن ياسر فوقع بينهما خلاف فنزلت الآية او على ما روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك انهم العلماء الذين يفتون بالاحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم لكنه لا سبيل الى الثاني اما اولا فلان الشيعة عجزوا عن تعيين ذلك المعصوم واما ثانيا فلانا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم والاستفادة منه فلو وجب علينا طاعته على الاطلاق لزم تكليف ما لا يطاق ولو وجب علينا طاعته اذا صرنا عارفين به وعليه ضابطا هذا الايجاب مشروطا وظاهر الآية يقتضي الاطلاق على ان طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة فلو كانت هذه الطاعة مشروطة لزم ان يكون اللفظة الواحدة مطلقة ومشروطة معا وهو باطل وايضا الامام المعصوم عندهم في كل زمان واحد ولفظ اولي الامر جمع وايضا انه قال فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول على هذا ينبغي ان يفوض الى الامام واما سائر الاقوال فلا نزاع في وجوب طاعتهم لكنه اذا علم بالدليل ان طاعتهم حق وصواب وذلك الدليل ليس الا الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسما منفصلا كما ان وجوب طاعة الزوجة للزوج والتلميذ للاستاد داخل في طاعة الله وطاعة الرسول اما اذا حملناه على اجماع اهل الحل والعقد لم يكن هذا داخلا فيما تقدم اذ الاجماع قد يدل على حكم لا يوجد في الكتاب والسنة وايضا قوله فان تنازعتم في شيء مشعر بالاجماع تقدم بحال فحكمه حكم التنازع وايضا طاعة الامراء والخلفاء مشروطة بما اذا كانوا على الحق وظاهر الآية يقتضي الاطلاق واذا بطلان حمل الآية على هذه الوجوه تعين ان يكون ذلك المعصوم كل الامة اي اهل الحل والعقد اصحاب الاعتبار والآراء فالمراد بقوله اولي الامر ما اجتمعت الامة عليه وهو المدعى واما القياس فذلك قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اذ ليس المراد بقوله فردوه الى الله والرسول رده الى الكتاب والسنة والاجماع والا كان تكرارا لما تقدم ولا تفويض علمه الى الله ورسوله والسكوت عنه لان الواقعة ربما كانت لا تحتمل الاهمال بل تفتقر الى قطع مادة الشغب والخصومة فيها نفيا او اثباتا ولا الاحالة على البراءة الاصلية فانها معلومة بحكم العقل فالرد اليها لا يكون ردا الى الله والرسول فاذا المراد رد ما لا نص فيه الى الاحكام المنصوص عليها في الوقائع المتشابهة لها وهذا هو معنى القياس فحاصل الآية الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم لمن عدا الرسول بطاعة الرسول ثم لما سوى اهل الحل والعقد بطاعتهم ثم امر اهل استنباط الاحكام من مداركها ان وقع اختلاف واشتباه بين الناس في حكم واقعة ما ان يخرجوا لها وجها من نظائرها واشباهها فما احسن هذا الترتيب ثم في اطلاق الآية دلالة على ان الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقا سواء كان القياس جليا او خفيا وانه لا يجوز معارضة النص بالقياس ولا تخصيصه بالقياس وقد اعتبر هذا الترتيب في قصة معاذ واستحسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا والقرآن مقطوع في متنه والقياس مظنون والقرآن كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس نتيجة عقل الانسان الذي هو عرضة الخطاء والنسيان وقد اجمع العلماء على ان ابليس خصص عموم الخطاب في قوله اذ قلنا للملائكة اسجدوا بالقياس وهو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين فاستحق اللعن الى يوم الدين والسر فيه ان تخصيص النص بالقياس يقدم القياس على النص وفيه ما فيه ثم ان كان الامر للوجوب فقوله اطيعوا يدل على وجوب الطاعة وان كان للندب فههنا يدل على الوجوب ظاهر الآية ختم الاوامر بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وهو وعيد والظاهر انه عائد الى جميع الاوامر لا الى قوله فردوه وحده وايضا مجرد التهديد وهو الوعيد على الفعل معلوم من تلك الاوامر فلا بد للآية من فائدة خاصة فيحمل على المتمرد التارك بالكلية فيحصل من المجموع معنى الوجوب ثم هذا الوجوب يكون دائما ان كان الامر للدوام والتكرار وكذا ان لم يكن غيره كذلك لان الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة فلو حملناه على العموم كانت الآية مبينة والا كانت مجملة والمبين اولى من المجمل وايضا تخصيص اسم الله بالذكر يدل على ان وجوب الطاعة انما هو لكونه الها والالهية دائمة فالوجوب دائم وانما كرر لفظ اطيعوا للفصل بين اسم الله تعالى وبين المخلوقين ثم نعلم من اطلاق وجوب طاعة اولي الامر ان الاجماع الحاصل عقيب الخلاف حجة وانه لا يشترط انقراض العصر ومن اطلاق قوله فان تنازعتم في شيء ان القياس يجوز اجرائه في الحدود والكفارات ايضا والمراد بالتنازع في قول الزجاج هو الاختلاف وقول كل فريق القول قولي كان كل واحد منهما ينزع الحق الى جانبه ذلك الرد او المأمور به في الآية خير لكم واحسن تأويلا اي عاقبة من آل الشيء اذا رجع وقيل الرد الى الكتاب والسنة خير مما تأولون انتم ثم انه تعالى لما اوجب على المكلفين طاعته وطاعة رسوله ذكر ان المنافقين الذين في قلوبهم مرض لا يطيعون ولا يرضون بحكمه فقال الم تر الى الذين يزعمون الآية قال الليث وزعم فلان معناه لا يعرف انه صدق او كذب ومنه هو امطية الكذب قال ابن الاعرابي الزعم قد يستعمل في القول المحقق لكن المراد في الآية الكذب بالاتفاق قال ابو مسلم ظاهر الآية يدل على ان الزاعم كان منافقا من اهل الكتاب مثل ان يكون يهوديا فاظهر الاسلام على سبيل النفاق لان قوله تعالى يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك انما يليق بمثل هذا المنافق اما سبب النزول ففيه وجوه قال الذي عليه كثر المفسرين ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان رجلا من المنافقين يسمى بشرا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي وقال المنافق بل بيني وبينك كعب بن الاشرف وذلك ان اليهودي كان محقا وكان النبي لا يقضي الا بالحق لانه منصب عن قبول الرشوة وكان كعب يبطل الحقوق بالرشى فلما ابى اليهودي الا النبي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال ننطلق الى عمر بن الخطاب فاقبلا

عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما
مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودي فنزلت
الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله ص انت الفاروق وعلى هذا الطاغوت كعب بن الاشرف وقال السدي كان ناس من اليهود اسلموا ونافق
بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية اذا قتل قرظي نضيريا قتل به واخذ منه دية مائة وسق من تمر واذا كان بالعكس لم يقتل به واعطي ديته ستين وسقا من تمر
وكانت النضير حلفاء الاوس وكانوا اكثر واشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيري قرظيا واختصموا في ذلك فقالت بنو النضير لا قصاص علينا انما
علينا ستون وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه فقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية ونحن وانتم اليوم اخوة وديننا واحد لا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا
الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون لا بل الى النبي ص فابى المنافقون فانطلقوا الى ابي بردة ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعني الرشوة فقالوا لك عشرة اوسق فقال
لا بل مائة وسق ديتي فاني اخاف ان نفرت النضيري قتلتني قريظة وان نفرت القرظي قتلتني النضير فابوا ان يعطوه فوق عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله هذه
الآية فدعا النبي ص لابنيه ادركا اباكما فانه ان جاز عقبة كذا لم يسلم ابدا فادركاه فلم يزالا به حتى انصرف واسلم وامر النبي ص مناديا فنادى الا ان الكاهن اسلم فمن اسلم وعلى
هذا القول الطاغوت هو الكاهن وقال الحسن ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان اهل الجاهلية يتحاكمون اليه ورجل قائم
يترجم الاباطيل عن الوثن فالطاغوت هو ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون الى الوثن يضربون بالقداح بحضرته فما خرج على القداح عملوا به فالطاغوت هو الوثن ثم
ان الطاغوت اي شيء كان من الاشياء المذكورة فانه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به ايمان بالله وبرسوله فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء
رسول الله ص في كل ما امر ونهى ويؤكد قوله بعد ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية ومن هنا ذهب كثير من الصحابة الى الحكم بارتداد مانعي الزكوة وقتلهم وسبي
ذراريهم ثم قال ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا فاحتجت المعتزلة به على ان كفر الكافر ليس بخلق الله والا لم يتوجه الذم على الشيطان ولم يحصل التعجب والتعجيب
فان لقائل ان يقول انما فعلوا لاجل انك خلقت ذلك الفعل فيهم وارادته منهم بل التعجب من هذا التعجب اولى وقد عرفت الجواب مرارا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيه وجهان
احدهما وهو قول الحسن واختيار الواحدي انه جملة معترضة واصل النظم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا ثم جاؤك
يحلفون اي اول الامر يصدون عنك اشد الصدود ثم بعد ذلك يجيئونك يحلفون كذبا على انهم ما ارادوا بذلك الصد الا الاحسان والتوفيق ووجه الاعتراض انه حكى عنهم التحاكم
الى الطاغوت وانهم يصدون ثم اتبعهما بما يدل على شدة احوالهم بسبب اعمالهم القبيحة في الدنيا والآخرة والثاني انه متصل بما قبله لا على وجه الاعتراض والمعنى انه اذا كان
نفرتهم من الحضور عند الرسول في اوقات السلامة هكذا فكيف يكون نفرتهم اذا اتوا بجناية خافوا بسببها منك ثم جاؤك يحلفون بالله على سبيل الكذب ما اردنا بتلك
الجناية الا الخير والمصلحة اما المصيبة فقيل هي قتل عمر صاحبهم فانهم جاؤا وطلبوا بدمه وحلفوا انهم ما ارادوا بالذهاب الى غير الرسول الا الصلاح وهو اختيار الزجاج
وقال الجبائي هي ما امر الله به رسوله من انه لا يستصحبهم في الغزوات ويخصهم بمزيد الاذلال والمعنى ثم جاؤك وقت المصيبة يحلفون ويعتذرون ما اردنا بما
كان منا من مواساة الكفار الا اصلاح الحال وقال ابو مسلم انه تعالى بشر رسوله ان المنافقين سيصيبهم مصائب تلجئهم اليه الى ان يظهروا الايمان ومن عادة العرب عند
التبشير والانذار ان يقولوا كيف انت اذا كان كذا ومعنى الاحسان والتوفيق ما اردنا بالتحاكم الى غير الرسول الا احسانا الى الخصوم واستمالة لهم فانهم لا يقدمون
عند الرسول ان يرفعوا اصواتهم ويبينوا حججهم او ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بالحكم العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه
يحكم له بما حكم به وعلى هذا لا يبقى للحلف مناسبة ظاهرة او ما اردنا بالتحاكم الى غيرك يا رسول الله الا انك لا تحكم الا بالحق المر وغيرك يدور على التوسط
يامر كل واحد من الخصمين بالاحسان الى الآخر وتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهم الموافقة ثم اخبر الله سبحانه عما في ضمائرهم من الدغل والنفاق فقال
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وذلك ان من اراد المبالغة في شيء قال هذا شيء لا يعلمه الا الله يعني انه لكثرته وعظم حاله لا يقدر احد على معرفته الا هو
ثم علم نبيه كيف يعاملهم فامره بثلثة اشياء الاول الاعراض عنهم والمراد انه لا يقبل منهم ذلك العذر ويستمر على السخط او انه لا يهتك سترهم ولا يظهر لهم انه عالم
بكنه ما في بواطنهم من النفاق لما فيه من حسن العشرة والحذر من اثارة الفتنة الثاني ان يعظهم فيزجرهم عن النفاق بالتخويف من عذاب الدارين الثالث قوله
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه وجوه احدها ان في الآية تقديما وتاخيرا والمعنى قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون
منه الخوف الثاني وقل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا هو ان الله يعلم ما في قلوبكم فلن يغني عنكم الاخفاء فطهروا قلوبكم
عن دنس النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك او شرا من ذلك واغلظ الثالث قل لهم في انفسهم خاليا بهم مسارا لهم بالنصيحة فان النصح
بين الملاء تقريع وفي السر انفع والمحج قولا يؤثر فيهم وقيل القول البليغ يتعلق بالوعظ وهو ان يكون كلاما حسنا وجيز المباني عزيز المعاني يدخل الاذن
بلا اذن مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار ثم رغب مرة اخرى في طاعة الرسول فقال وما ارسلنا من رسول اكثر النحاة على ان من صلة يفيد تاكيد
النفي والتقدير وما ارسلنا رسولا وقيل المفعول محذوف والتقدير وما ارسلنا من هذا الجنس احدا قال الجبائي هذه الآية من اقوى الدلائل على بطلان
مذهب المجبرة لكونها مصرحة بان معصية الناس غير مرادة لله تعالى والجواب ان ارسال الرسل لاجل الطاعة لا ينافي كون المعصية مرادة لله ثم على ان قوله
باذن الله يشير الى دقيقة واشارة تدل على ان الكل بقضائه وقدره وكذا لو كان المراد بسبب اذن الله في طاعة الرسول فقيل في الآية دلالة على انه لا
رسول الا ومعه شريعة فانه لو دعا الى شرع من قبله لكان المطاع هو ذلك المتقدم وفيها دلالة على ان الرسل معصومون من المعاصي والا لم يجب اتباعهم في جميع
اقوالهم وافعالهم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص واعتذروا الى رسوله فاستغفر لهم الرسول

انتصب

كاهن اسلم الى الاسلام فابى فقال النبي ع



لانتصب شفيعا لهم الى الله بعد اعتذارهم اليه من ايذائه برد قضائه لوجدوا الله توابا رحيما ولم يقل واستغفرت لهم لشان الالتفات من الخطاب الى ذكر
الرسول للتنبيه على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان قال الاكثر على هذا التفسير من تمام ما قبلها وقال ابو بكر الاصم نزلت في قوم من المنافقين اصطلحوا
على كيد في حق رسول الله ص ثم دخلوا عليه لذلك الغرض فاتاه جبريل فاخبره به فقال ص ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا فليستغفروا الله حتى
استغفر لهم فلم يقوموا فقال الا تقومون فلم يفعلوا فقال ص قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله
من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا فقال الان اخرجوا انا كنت في بدو الامر اقرب الى الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عني فلا وربك لا يؤمنون عن عطاء
ومجاهد والشعبي انها من تمام قصة اليهودي والمنافق وعن الزهري عن عروة بن الزبير انها نزلت في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله ص
في شراج من الحرة والشرج مسيل الماء وكانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك وذلك لان ام الزبير
صفية بنت عبد المطلب فتغير وجه رسول الله ص ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر يعني الجدار الذي يحيط بالمزرعة وهو اصغر من الجدار واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك واعلم ان الحكم في هذا ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقي والرسول اذن للزبير في السقي على وجه
المسامحة فلما اساء خصمه الادب لم يره في حقه امره باستيفاء حقه وحمل خصمه على مر الحق وفي قوله فلا وربك قولان احدهما
ان لا صلة لتاكيد معنى القسم والتقدير فوربك والثاني انها مفيدة وعلى هذا ففيه وجهان الاول انه يفيد نفي امر سبق والتقدير ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا
وهم يخالفون حكمك ثم استونف القسم بقوله وربك لا يؤمنون الثاني انها لتوكيد النفي الذي جاء في الجواب وعلى هذا الوجه لا ينبغي تقديرها اذا كان الجواب مثبتا
ومعنى شجر اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه والتشاجر التنازع لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج الضيق والشك لان الشاك في ضيق من امره
حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا وسلم لامر الله اي سلم نفسه له وجعلها خالصة لحكمه ومن التعليمية من يتمسك بالآية في انه لا يحصل الايمان الا بارشاد
النبي وهدايته والنزول عند حكمه وقضائه في كل امر ديني ومنع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو توقفت معرفة الاله على معرفة النبوة لزم الدور
فاذن الحكم غير كلي والتقليد في جميع الاحكام غير مرضي واعلم ان من رضي بحكم الرسول فقد يكون راضيا في الظاهر دون القلب فلهذا قال ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت وهو الجزم بان ما حكم به الرسول هو الحق والصدق ثم من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقا فانه قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد
او يتوقف في ذلك القبول بعدم الحرج اشارة الى الانقياد في الباطن والتسليم اشارة الى الانقياد في الظاهر وفي الآية دليل على عصمة الانبياء عن الخطا في الفتاوى
والاحكام ودليل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس والا كان في النفس حرج قالت المعتزلة انها لو كانت المعاصي بقضاء الله ثم لزم التناقض لان الرضى بقضائه
واجب والرضاء بالمعاصي واجب لكن الرسول قد نهى عنها فيجب ان يحصل الرضا في تركها ويلزم الرضا بالفعل والترك معا وهو محال والجواب ان المراد من
قضاء الله التكوين والايجاد فالرضى بقضائه ان نعتقد كون الكل بايجاده والمراد من الرضا بقضاء الرسول ان يلتزم ما حكم به ويتلقى بالبشر والقبول وابن
ذلك من هذا قوله ولو انا كتبنا عليهم روي ان حاطبا لما احفظ رسول الله ص فاستوعب للزبير حقه في صريح الحكم خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان
القضاء فقال الحاطب قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ص ثم يتهمونه في قضاء يقضي
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا
فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا قال ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله ص
والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل
بنا ذلك فنزلت الآية والضمير في قوله عليهم يعود الى الناس والمراد بالقليل المؤمنون منهم وعن ابن عباس ومجاهد انه يعود الى المنافقين والمراد انا لو كتبنا القتل
والخروج عن الوطن على هؤلاء المنافقين ما فعله الا قليل منهم رياء وسمعة وحينئذ يصعب الامر عليهم وينكشف كفرهم فاذ لم نفعل بهم ذلك بل كلفناهم الاشياء
السهلة فليتركوا النفاق وليلزموا الاخلاص ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من الانقياد والطاعة لله ولرسوله وسمي التكليف وعظا لانه مقرون بالوعد
والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم اي انفع وافضل من غيره او خير الدنيا والآخرة لان خير يستعمل بالوجهين جميعا واشد تثبيتا اقرب الى ثباتهم
على الايمان والطاعة لان الطاعة تدعو الى امثالها وتجر الى المواظبة عليها ولانه حق والحق ثابت والباطل زائل ولان الانسان يطلب الخير اولا فاذا حصل
يطلب ثباته ودوامه ثم بين ان ما يوعظون به كما هو خير في نفسه فهو ايضا مستعقب للخير فقال واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما وثواب جزيل واذا جواب
لسؤال مقدر كانه قيل ماذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقيل هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا عظيما وفي ايراد صيغة التعظيم في آتيناهم ولدنا وفي قوله من لدنا
ووصف الاجر بالعظم وفي تنكير الاجر من المبالغة ما لا يخفى والصراط المستقيم الدين الحق او الطريق من عرصة القيامة الى الجنة وهذا اولى لانه مذكور بعد
استحقاق الاجر ثم اكد امر الطاعة بقوله ومن يطع الله والرسول ولا شك ان الآية عامة في جميع المكلفين الا ان المفسرين ذكروا في سببها وجوها قال الكلبي
نزلت في ثوبان مولى رسول الله ص وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له يا ثوبان ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك هناك
لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار
قال للنبي ص اذا خرجنا من عندك الى اهالينا اشتقنا اليك فما ينفعنا شيء حتى نرجع اليك ثم ذكرت درجتك في الجنة فكيف لنا برؤيتك ان دخلنا الجنة فانزل

الله عنه الآية فلما توفي النبي اتى الانصاري له وهو قد نحل جسمه لما حزن لموت النبي قال اللهم اعمني حتى لا ارى شيئا بعده فعمي مكانه وقال السدي ان ناسا
من الانصار قالوا يا رسول الله انك تسكن الجنة في اعلاها ونحن نشتاق اليك فكيف نصنع فنزلت وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الآية
ان كلهم في درجة واحدة فان ذلك يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول وانه محال ولكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد
المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك والتحقيق فيه ان عالم الانوار لا تمانع بينها ولا تدافع بل
ينعكس بعضها على بعض ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة اخوانا على سرر متقابلين ثم انه تعالى ذكر اصنافا اربعة النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ولا شك في تغايرها مع مداخلة كالنبي فانه من الصديقين والمراد بالتداخل انه لا يمتنع كون كل متقدم موصوفا بما يتلوه كان يكون النبي صديقا وشهيدا
وصالحا او الصديق شهيدا وصالحا وقد مر تفسير النبي في اوائل البقرة واما الصديق فمبالغة الصادق وهو من غلب على اقواله الصدق وهذه خصلة
مرضية في جميع الاديان ومحققة للنطق الذي هو من مقومات الانسان وكفى به ان الايمان ليس الا التصديق وكفى بنقيضه ان الكفر ليس سوى
التكذيب ذكر المفسرون ان اكثرهم ان الصديقين في الآية كل من صدق بكل الدين لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
وهؤلاء هم افاضل اصحاب النبي وخصص بعضهم بمن سبق الى تصديق الرسول فصار في ذلك قدوة الناس كابي بكر وعلي وامثالهما ولا واسطة بين الصديق
والنبي ولذلك قال في هذه الآية مع النبيين والصديقين وفي صفة ابراهيم انه كان صديقا نبيا يعني انك ان رقيت من الصديقية وصلت الى النبوة وان نزلت
من النبوة وصلت اليها واما الشهداء فالمراد بهم ههنا اعم من المقتولين بسيف الكفار من المسلمين عن ابي هريرة قال قال رسول الله ما تعدون الشهيد فيكم قالوا
يا رسول الله من قتل في سبيل الله قال ان شهداء امتي اذا لقليل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد
وفي رواية ومن مات بجمع فهو شهيد وقيل هو الذي يشهد بصحة دين الله تارة بالحجة والبيان واخرى بالسيف والسنان واولا يبعد ايضا ان يدخل كل هذه الامة
في الشهداء لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس واما الصالحون فالصالح هو الذي صلح في اعتقاده وفي عمله وهذه مرتبة ينبغي
ان يحطه عنها مرتبة المؤمن ثم قال في معرض التعجب وحسن اولئك رفيقا كانه قيل وما احسن اولئك والرفيق كالصديق والخليط استواء الواحد والجمع
فيه وانتصابه على الحال ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وقيل معناه حسن كل واحد منهم رفيقا كما قال يخرجكم طفلا والرفق في اللغة لين الجانب
ولطافة الفعل ومنه الصاحب رفيقا لارتفاقك به وبصحبته ومنه الرفقة في السفر لارتفاق بعضهم ببعض وقد يكون الانسان مع غيره ولا يكون رفيقا
فبين الله تعالى ان الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكونون كالرفقاء للمطيع من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله
خبره او ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره فاكمل المعنى ان ذلك اشارة الى الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الانبياء وهذا شيء تفضل الله به عليهم تبعا
لثوابهم الواجب على الله او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه ولولا انه اعطى العقل والقدرة وازاح الاعذار وانعم
لم يتمكن المكلف من فعل الطاعة فصار ذلك بمنزلة من وهب غيره ثوبا لينتفع به فاذا باعه وانتفع بثمنه جاز ان يوصف ذلك الثمن بانه فضل من الواهب
قال اهل السنة الاشارة الى المجموع ما تقدم ولا يجب على الله شيء البتة بل الثواب كله فضل من الله وكيف يجب عليه شيء وانه هو الذي خلق القدرة والداعية
الموجبة بعد الوجوب عبادة عن استحقاق الذم عند الترك وانه تعالى في الالهية ولانه كل ما صدر من الطاعات فانه في مقابلة النعم السالفة التي لا تعد ولا تحصى
فيمتنع كونها موجبة للثواب في المستقبل معنى الآية ان ذلك الثواب بكمال درجته كانه هو الفضل وما عداه غير معتد به وذلك الثواب المذكور هو من الله
لا من غيره وكفى بالله عليما بالطاعة وكيفية الثواب عليها وفيه ترغيب المكلف على كمال الطاعة والاحتراز عن التقصير فيها التأويل الوجود المجازي انما
من الله تعالى كما ان وجود الظل انما هو من الشمس فلا جرم اذا تجلت شمس الربوبية لظلال وجود النفس والقلب والروح يقول بلسان العزة ان الله يأمركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها فتلاشت الظلال واضمحلت الاعتبارات ومحيت الآثار وبقي الواحد القهار وهذا احد اسرار قوله ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا حكمتم بعد فناء الوجود المجازي وبقاء الوجود الحقيقي بين الروح والقلب والنفس ان تحكموا بالعدل بان تفرق
بين القلب شواهد اللقاء ويلازم الروح عقبة الفناء والسر دوام سلطان البقاء يا ايها الذين آمنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فانهم آمنوا
على الحقيقة وطاعة القلب ان يحب الله وحده وطاعة الروح ان لا يلتفت الى غيره وطاعة السر ان لا يرى غيره في الوجود اما الرسول فهو الرسول الوارد
من الحق في الباطن كما قال لو ابصرت معيدا استغفت قلبك وان ابصرت وان افتاك المفتون واولي الامر منكم يعني مشايخكم ومن بيده امر تربيتكم فان
تنازعتم في شيء يعني منازعة النفس للقلب والروح والسر فردوه الى الكتاب والسنة او بينهما منازعة القلب فيما حكم به الكتاب والسنة رأساعام فهو
الفهم والدراية فردوه الى الله لمراقبة القلوب بشواهد الغيوب والى الرسول فان الحق يفيد في الغيب وصفاء الطوية ذلك الايمان الايقاني خير
لسنبح النور واني خير من علم الكتاب والسنة بالتقليد دون التحقيق ثم اخبر عن حال اهل الغفلة المتحاكمين الى طاغوت الهوى والجبال من اهل البدع
والضلال بقوله الم تر الى الذين يزعمون الآية اصابتهم مصيبة ملامة من الخلق او سياسة من السلطان فلا وربك لا يؤمنون فيه ان الايمان
الحقيقي ليس بمجرد التصديق والاقرار ولكنه سيجري على محك الاعتبار وهو تحكيم الشرع لا الطبع النبوة لا النبوة والمولى لا الهوى ودار الحق
لا مواد الخلق فيما اختلف فيه آراؤهم وتحيرت عقولهم ثم لا يجدوا في قرارة انفسهم صوتا كراهة من القضاء الازلية والاحكام الالهية والتقدير
الذين لهم قدم صدق عند ربهم والشهداء اهل الحياة الاكبر والصالحين لهم صلوح الولاية وحسن اولئك رفيقا في سلوك طريق الحق والله المستعان

يا ايها الذين



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴿﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ
ای گروه آنها که گرویده اید فرا گیرید سلاح خود را پس متفرق شوید فرقها یا متفرق شوید همگی و بدرستی از شما هر آینه کسی است که باز دارد مردم را پس اگر برسد

مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ
بشما آفتی گوید که انعام فرمود بر من خدا چون نبودم من با ایشان حاضر در جنگ و هر آینه اگر برسد شما را بخشش از جانب پروردگار هر آینه گوید گویا که نبود

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿﴾ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ
میان شما و میان او دوستی ای کاش بودم من با ایشان پس بهره میبردم بهره بزرگ پس جهاد کنند در راه خدا آنهائی که میخرند زندگانی

الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿﴾ وَمَا لَكُمْ
دنیا را عوض از آخرت و هر که جهاد کند در راه خدا پس کشته شود یا مغلوب شود پس زود دهیم او را مزدی بزرگ و چه شده شما را

لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
که جهاد نکنید در راه خدا و ناتوانان از مردان و زنان و طفلان آنهائید که میگویند پروردگارا

أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿﴾ الَّذِينَ
بیرون آر ما را ازین ده که ستمکارند اهل آن و بگردان از برای ما از نزد خود کارگذاری و قرار ده از برای ما از نزد خود یاوری آنها که

آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ
گرویدند جهاد کنند در راه خدا و آنها که کافر شدند جهاد کنند در راه بت پس جهاد کنید دوستان شیطان را

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
بدرستی که کید و حیله شیطان میباشد ضعیف آیا ندیدی آنها را که گفته شد ایشان را باز دارید دستهای خود را و بر پای دارید نماز را و بدهید زکوة را

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ
پس چون نوشته شد بر ایشان جهاد ناگاه طائفه از ایشان میترسند از مردم چون ترسیدن از خدا یا سخت تر ترسی و گویند که پروردگارا چرا نوشتی

عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿﴾
بر ما جنگ کردن را کاش پس انداختی ما را تا مدتی نزدیک بگو که بهره دنیا کم است و آن سرای بهتر است مر آنرا که پرهیز کرد و ستم کرده نشوید بقدر پوست هسته

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
هر جا که باشید در می یابد شما را مرگ و اگر چه بوده باشید در قصرهای رفیع و میرسید ایشان را خوبی گفتندی که این از نزد خداست

وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
و اگر رسید ایشان را بدی گفتندی که این از نزد تو است بگو که همه از نزد خداست پس چیست مر این گروه را که نزدیک نیستند که

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ
درک کنند حکایتی را هر چه رسید بتو از نیکوئی پس از خداست و هر چه رسید ترا از بدی پس از خودت و فرستادیم ترا

لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿﴾ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
از برای مردم پیغمبر و بس است بخدا گواهی هر که پیروی کند رسول را پس تحقیق که طاعت کرده خدا را و هر که برگشت پس نفرستاده ایم ترا برایشان

حَفِيظًا ﴿﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ
نگاهبان و میگویند کار ما طاعت است پس چون بیرون آیند از نزد تو باشند گروهی از ایشان بجز آنرا که میگفت و خدا

يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿﴾
مینویسد آنچه شب میسازند پس روگردان از ایشان و توکل کن بر خدا و بس است بخدا کار گذاری

القراءات ليبطئن نحوه مثل فليقتل وليتوبهم بالياء الخالصة يزيد والشموني وحمزة في الوقف كان لم تكن بالتاء الفوقانية ابن كثير وحفص والمفضل وسهل
ويعقوب الباقون بياء الغيبة فيقتل فسوف ونؤتيه بالياء يحتملان نعجب فتحجب لمن يتعلق مدغما ابو بكر وحمزة غير خلف وعلى وهشام ولا يظلمون بالياء والتحتانية ابن كثير
وعلى وحمزة وخلف وهشام ويزيد وابن مجاهد عن ابن ذكوان الباقون بتاء الخطاب بيت طائفة مدغما ابو بكر وحمزة الوقوف جميعا ليبطئن لابتداء الشرط مع
فاء التعقيب شهيدا عظيما بالآخرة عظيما اهلها وليا كل للتفصيل بين الدعوتين نصيرا في سبيل الله للفصل بين الفصلين بالمتضادين ولياء الشيطان لاحتمال
الابتداء وتقدير الفاء واللام ضعيفا الزكوة لان جواب فلما منتظر لكن التعجب في قوله الم تر واقع على قوله اذا فريق منهم يخشون خشية لانقطاع النظم مع اتحاد
المعنى القتال لان لولا اي هلا استفهام آخر مع اتحاد المعمول قريب قليل للوصف للفصل بين وصف الدارين قتيلا مشيدة للعدول لفظا ومعنى من عند الله لاتفق
بين النقيضين من عندك من عند الله حديثا فمن الله وفصلا بين النقيضين من نفسك رسولا شهيدا اطاع الله لحق العطف مع ابتداء الشرط حفيظا الامتنان

العقل بعدها لحاء لابتداء الشرط مع ما المقصود من بيان نفاقهم لانهم بعد يقولون ليتني لاختلاف الجملتين مع الاتصال اى ذا كتب الله ما بينوا فاعرض
ولانهم على اسعيكم ان النفير انه سبحانه عاد بعد الترغيب في طاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد لانه اشق الطاعات ولانه اعظم الامور التي بها ينال تقوية
الدين فقال يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر والمثل والمثل يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر
الة التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه مما يتقى به ويحذر فان قيل
اى فائدة في هذا الامر والحذر لا يغني عن القدر والمقدور كائن والمهم فضل قلت هذا من عالم الاسباب والوسائط المرتبطة ولا ريب ان الكل يقع على نحو ما قدر فمن
امتثل وترتب عليه الاثر كان بقدر ومن اهمل جرى فيه عدم السلامة كان ايضا بقدر وهكذا شأن جميع التكاليف فاذا عرفتم فانفروا الى قتال عدوكم وانهضوا لذلك
قال واذا استنفرتم فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام واصلها ثبي فعوضت الهاء عن الياء المحذوفة والتركيب يدل على
الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض لانه يجتمع عنده الماء وثبت الشيء جمعته او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة وهذا قريب مما قاله الشاعر طاروا اليه زرافات
ووحدانا والغرض النهي عن التخاذل والقاء النفس الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هي الداخلة في خبر ان والثانية هي الداخلة في جواب القسم
وتقدير الكلام لمن حلف بالله ليبطئن وهو اما متعد بسبب التشديد فيكون المفعول محذوفا اى ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو كما هو دين المنافق عبد الله بن ابي
ثبط الناس يوم احد واما لازم فقد جاء بطأ بالتشديد بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اى ابطأ اى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وهذا المعنى اوفق لقوله فان اصابتكم
مصيبة من قتل او هزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن قوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل
الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمنادى محذوف اى يا قوم ليتني وجوز ابو علي ادخال حرف النداء في الفعل والحرف من غير اضمار المنادى كنت معهم فافوز منصوب
باضمار ان اى ليت لي كونا معهم ففوزا والخطاب في قوله وان منكم للمذكورين في قوله يا ايها الذين امنوا ولا ظهر ان هذا المبطئ سواء جعل لازما او متعديا كان منافقا
فلعله جعل من المؤمنين من حيث الجنس والنسب والاختلاط او لانه كان حكمهم حكم المؤمنين لظاهر الايمان والمراد يا ايها الذين المؤمنون في زعمكم ودعواكم
كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض بيان ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل
في الباطن وقال جمع من المفسرين ان هؤلاء المبطئين كانوا ضعفة المسلمين وعلى هذا فالتبطئة بمعنى الابطاء البتة لان المؤمن لا يثبط غيره ولكنه قد يتثاقل قوله
يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ثم لما ذم المبطئين رغب في الجهاد بقوله فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون ومعناه يشترون او
يبيعون وعلى الاول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان ويجاهدوا حق الجهاد ولا يختاروا الدنيا على المعاد وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين يؤثرون
الدنيا الاجل الاخرة والمراد ان ابطاء اهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون وقيل يحتمل ان يراد المؤمنون على التقدير الاول ايضا لان
الانسان اذا اراد ان يبذل هذه الحيوة الدنيا في سبيل الله يجد نفسه فاشتراها من نفسه بسعادة الاخرة ليقدم عليها في سبيل الله او لعله اريد اشتغل
بالقتال ترك ترجيح الفاني على الباقي والمراد انهم كانوا يرجحون الحيوة على الموت لاستيفاء السعادات البدنية فقيل لهم قاتلوا فانكم تستولون على الاعداء وتفوزون
بالاموال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب وعد الاجر العظيم على تقديري المغلوبية والغالبية ليعلم انه لا عمل اشرف من الجهاد وليكون المجاهد على بصيرة
من حاله على اى تقدير كان فيقدم ولا يحجم ثم زاد في تحريضهم فقال وما لكم لا تقاتلون ومعناه انه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله و
المستضعفين اما مجرور اى في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين واما منصوب على الاختصاص اى واخص من سبيل الله لانه هو عام في كل خير خلاص المستضعفين
وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة والضعف عن الهجرة وبقوا بين اظهرهم اذلاء يلقون منهم اذى شديدا فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه
فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح والولدان جمع وليد كغربان في جمع غراب قيل الرجال والنساء الاحرار والحرائر والولدان العبيد والاماء لان
لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولدان والولائد الا انه خص الولدان بالذكر تغليبا كالاباء والاخوة مع ارادة الامهات والاخوات
ابيه وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من الولدان والنساء والظالم صفة للقرية الا انه مسند الى اهلها فتبع القرية في الاعراب وهي مذكر لاسناده الى الاهل
والاهل يذكر ويؤنث ولو انث لانه لا يؤنث الموصوف بل الجواز فانث الاهل فجاز وانما اشرك الولدان في الدعاء وان كانوا غير مكلفين لان المشركين كانوا يؤذونهم
ارغاما لابائهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس ووردت السنة باخراجهم
في الاستسقاء واجعل لنا من لدنك وليا اى كن انت لنا وليا وناصرا وول علينا رجلا يوالينا ويقوم بمصالحنا فاستجاب الله دعاءهم لان النبي لما فتح مكة
جعل عتاب بن اسيد اميرا لهم فكان الولي هو الرسول والنصير عتاب بن اسيد كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من
الظلمة ثم شجع المؤمنين تشجيعا باخبارهم انهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الطاغوت وهو الشيطان فلا ولي
لهم الا الشيطان وان كيد الشيطان اوهن شيء واضعفه والكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال فائدة ادخال كان ان يعلم انه منذ كان كان موصوفا بالضعف والذلة الا
ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا مدة حياتهم في غاية الخمول والفقر واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض اثرهم ولا يبقى في الدنيا
اسمهم ولا ظلمهم قوله سبحانه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم قولان الاول انها نزلت في المؤمنين نفر من اصحاب رسول الله منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود
وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا ويقولون لرسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم
فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجروا الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين كره بعضهم وشق عليهم الثاني قال ابن عباس في رواية ابي صالح لما استشهد الله من

المسلمين



المسلمين من استشهد يوم احد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد لو كان اخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت ويترجح للقول الاول بان
رغبتهم في القتال اولا دليل الايمان ويمكن ان يجاب بان المنافقين ايضا كانوا يظهرون الرغبة في الجهاد الى ان امروا بالقتال فجبنوا واحتج اصحاب القول الثاني بانهم
كانوا يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وكانوا يعترضون على الله ثم يقولون لم كتبت علينا القتال وكانوا يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة فلهذا قيل لهم متاع
الدنيا قليل وكل هذه الامور من نعوت المنافقين واجيب بان حب الحيوة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع وهو المعني بالخشية والاعتراض محمول على تمني التخفيف في
التكليف لا على الانكار وقوله قل متاع الدنيا قليل انما ذكر ليهون على قلبهم امر هذه الحيوة والاولى حمل الاية على المنافقين لان ما بعدها وهو قوله وان
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله في شأنهم بلا اختلاف في الاية دلالة على ان ايجاب الصلوة والزكوة كان مقدما على الجهاد وهو الموافق لترتيب تطابق
لما في المعقول لان التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله مقدمان على التعرض للقتل في سبيل الله واذا في اذا فريق للمفاجاة وهو مجرور عن الظرفية والعامل
فيها معنى المفاجاة اى فاجأ وقت خشيتهم زمان كتبة القتال عليهم وقوله كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لما عطف
عليه من قوله او اشد نصب خشية على التمييز والتقدير يخشون الناس متشبهين باهل خشية الله او اشد خشية من خشية اهل الله نعم لو قيل اشد خشية بالاضافة
لانتصب على المصدر ولا يمكن ان يقول اشد خشية بالنصب على ارادة المصدر اللهم الا ان يجعل الخشية خاشية وقد تخشى مثل جد جده فيكون المعنى خشية مثل
خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وعلى هذا يجوز ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله اى كخشية الله او كخشية اشد خشية منها وكلمة او
للشك ههنا فان ذلك على علام الغيوب محال لكنها بمعنى الواو والمراد ان كل خوفين فان احدهما بالنسبة الى الاخر اما ان يكون انقص او مساويا او ازيد فبين
في الاية ان خوفهم من الناس ليس بانقص من خوفهم من الله فبقي اما ان يكون مساويا او ازيد فهذا لا يوجب كونه شاكا فيه ولكن يوجب بقاء الابهام في
هذين القسمين على المخاطبين وهذا نظير قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يراهم يقول هذا الكلام وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ان كانت الاية في المؤمنين فهم انما قالوا ذلك لا اعتراضا على الله ولكن جزعا من الموت وحبا للحيوة واستزادة في مدة الكف
واستمهالا الى وقت اخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وان كان من كلام المنافقين فلا شك انهم كانوا منكرين لكتبة القتال عليهم فهم قالوا
ذلك بناء على زعم الرسول ودعواه ومعنى لولا اخرتنا هلا تركتنا حتى نموت باجالنا ثم ازال الشبهة وازاح العلة بقوله قل متاع الدنيا قليل والاخرة
خير لا لكل الناس بل لمن اتقى فان للكافر والفاسق هنالك نيرانا واهوالا ومن هنا قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واما ترجيح الاخرة فلان نعم الدنيا قليلة
ونعم الاخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الاخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالاكدار ونعم الاخرة صافية عن الاكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع بها ونعم
الاخرة يقينية الانتفاع منها ثم بكت الفريق الخائفين بانهم يدركهم الموت اينما كانوا ولو كانوا في حصون مرتفعة والبروج في كلام العرب القصور والحصون
اصلها من الظهور ومنه تبرجت المرأة اذا اظهرت محاسنها والغرض انه لا خلاص لهم من الموت والجهاد موت مستعقب للسعادة الابدية واذا كان لا بد من الموت
فوقوعه على هذا الوجه اولى قال المفسرون كانت المدينة مملوءة من النعم وقت مقدم الرسول فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين امسك الله عنهم
بعض الامساك كما جرت عادته في جميع الامم قال وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء فعند هذا قال اليهود والمنافقون
ما رأينا اعظم شؤما من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم فقوله وان تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص وتتابع الامطار وان تصبهم
سيئة يعني الجدب وانقطاع الامطار قالوا هذا من شؤم محمد وهذا كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن
معه وقيل لعموم الحسنة النصر على الاعداء والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة وقال اهل التحقيق خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فكل ما يتعلق به من حسنة
فان كان منتفعا به في الدنيا فهو الخصب والغنيمة وامثالها وان كان منتفعا به في الاخرة فهو طاعة فالحسنة تعم الحسنات والسيئة تعم السيئات فلا جرم
اجابهم الله ثم بقوله قل كل من عند الله وكيف لا وجميع الممكنات من الافعال والذوات والصفات لا بد من استنادها الى الواجب بالذات ولهذا تعجب
من حالهم وقال فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فنفى عنهم مقاربة الفقه والفهم فضلا عن الفقه والفهم قالت المعتزلة هذه الاية
حجة لنا لانه لو كان حصول الفهم والمعرفة بتخليق الله ثم لم يوجد لهذا التعجب معنى البتة لانه تعالى ما خلقها والجواب انه تعالى لا يسأل عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم
والداعي قالت المعتزلة الحديث فعيل بمعنى مفعول والمراد به الايات المذكورة في هذه المواضع فيلزم منه كون القران محدثا والجواب بعد تسليم ما
ذكروا انه لا نزاع في حدوث العبارات انما النزاع في الكلام النفسي قوله عز من قائل ما اصابك من حسنة فمن الله قال ابو علي الجبائي السيئة تارة تقع
على البلية والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الاية الاولى بقوله قل كل من عند الله واضافها في هذه الاية الى العبد بقوله
وما اصابك اى يا انسان خطابا عاما من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق وازالة التناقض وما ذاك الا بان يجعل هناك بمعنى البلية وههنا بمعنى
المعصية قال وانما فصل بين الحسنة والسيئة في هذه الاية فاضاف الحسنة التي هي الطاعة الى نفسه دون السيئة مع ان كليهما من فعل العبد لان الحسنة
انما تصل الى العبد بتسهيل الله والطافه فصحت اضافتها اليه اما السيئة فلا يصح اضافتها الى الله تعالى لا بانه فعلها ولا بانه ارادها ولا بانه امر بها ولا بانه
رغب فيها وقال في الكشاف ما اصابك من حسنة اى من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اى من بلية ومصيبة
فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك كما روى عن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما
يعفو الله اكثر منه وقالت الاشاعرة كل من الحسنة والسيئة باى معنى فرض فانهما من الله تعالى لوجوب انتهاء جميع الحوادث اليه لكنه قد يظن بعض الظاهريين ان

اما انه السبب الى الله تعالى خروج عن قانون الادب وفيه ان الايمان كلما يصيب الانسان من سيئة في الكفر الذي هو اقبح القبائح فان ذلك بتخليق الله تعالى والوجه
فيه ان يقال الكلام استفهاما على سبيل الانكار وليفيدان شيئا من الشيئان ليس مضافة الى الانسان بل كلها بقضائه ومشيئته ويؤيده ما روي انه قرئ فمن نفسك
بصريح الاستفهام وما يدل عليه لانه ظاهر على ان المراد من هذه الآية ان ما اصابنا يرجع الامور الى الله تعالى قوله بعد ذلك وارسلناك للناس رسولا اى ليس لك
الا الرسالة والتبليغ وقد فعلته ذلك وما قصرت وكفى بالله شهيدا على جدك وعدم تقصيرك في اداء الرسالة وتبليغ الوحي فاما تحصيل الهداية فليس اليك
بل الى الله قال علماء المعاني قوله رسولا حال من الكاف اى حال كونك ذا رسالة وللناس متعلق برسولا لا متعلق بارسلناك ولا قبل الى الناس فاصل النظم
وارسلناك رسولا للناس فلا بد للمتقدم من خاصية هو التخصيص اعني ثبوت الحكم للمتقدم ونفيه على غيره حقيقة او عرفا لا اعتقادا مطرد وبعد تقديم هذا
المتقدم فاللام في قوله للناس اما ان يكون للعهد الخارجي او للجنس او للاستغراق والاول باطل لان المعهود الخارجي حصة معينة من الافراد فيلزم اختصاص
رسالته ببعض الانس لوقوع بعض الناس في مقابلة كلهم عرفا فيكون منافيا لما في الآيات الاخر كقوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقوله
بعثت الى الخلق كافة والثاني وهو حمل اللام على تعريف الجنس ايضا باطل لانه يلزم اختصاص رسالته بالانس دون الجن لان ثبوت الحكم لحقيقة الانس بواسطة
التقديم ينفي الحكم عما يقابلها وهو حقيقة الجن او ينفي الحكم عما عداها من الحقائق فيشمل حقيقة الجن ضرورة وعلى التقديرين يلزم الخلف لانه تعالى
مبعوث الى الثقلين لقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية فتعين حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم لكل فرد من افراد الانسان ويحصل
موجبة كلية وينفي نقيض هذا الحكم وهو ما كان يزعمه الضالة من بنى اسرائيل هي انه ليس مبعوثا الى بعض الناس كالعجم وانه رسول العرب خاصة وعلى
هذا يكون الجن مسكوتا عنهم بالنسبة الى هذه الآية فلا دلالة لها ولا دليل اخر على كونه مبعوثا الى الثقلين لا يكون منافيا لدلالة هذه الآية لان التقديم قد
استوفى حظه من الخاصة من غير تعرض الجن ثم لما بين انه لكل فرد من افراد الناس رسول وجب طاعته بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله لان الطاعة
للرسول لكونه رسولا فيما هو رسول لا يكون الا طاعة لله قال مقاتل في هذه الآية ان النبي كان يقول من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله
فقال المنافقون لقد قارف الرجل الشرك هو ينهى ان يعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه الآية وفيه من اقوى الدلائل
على انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي تبليغه وفي افعاله والا لم يكن طاعته فيما اخطأ طاعة لله ومن تولى فيما هو المتولي بالقلب اى حملك يا محمد
على الظواهر واما البواطن فلا تتعرض لها وقيل هو التولي بالبدن ومعناه فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك التولي فما ارسلناك لتحفظ الناس عن المعاصي
فان من اضله الله لم يقدر احد على ارشاده والمعنى فما ارسلناك لتشتغل بزجرهم عند ذلك التولي كقوله لا اكراه في الدين ثم نسخ باية الجهاد ثم حكى سيرة
المنافقين بقوله ويقولون اى حين ما امرهم بشيء طاعة اى امرنا وشاننا طاعة والنصب في مثل هذا جائز بمعنى اطعناك طاعة ولكن الرفع يدل على
ثبات الطاعة واستقرارها فلهذا لم يقرأ فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول اى دبرت خلاف ما امرت به او ما ضمنت من الطاعة قال
الزجاج كل امر تفكر فيه كثيرا وتأملوا في مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا امر مبيت وفي اشتقاقه وجهان الاول ان اصلح الاوقات للفكر ان يجلس
في بيته في الليل فهناك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل فلاجرم سمي الفكر المتقن تبييتا الثاني قال الاخفش اذا اراد العرب قرض الشعر
بالغوا في التفكر فيه فسمي الفكر البليغ تبييتا اشتقاقا من ابيات الشعر ثم انه تعالى خص طائفة من المنافقين بالتبييت في ذكر وفي التخصيص
وجهين احدهما انه ذكر من علم انه يبقى على كفره ونفاقه فاما من علم انه يرجع عن ذلك فلم يذكرهم وثانيهما ان هذه الطائفة كانوا اسهروا ليلهم
في التبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يبيتوا فلاجرم لم يذكروا قلت وجه ثالث وهو ان هذا النوع من الكلام اجلب للقلوب وادخل في علم البيان
والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فاعرض عنهم وتوكل على الله شانهم
فان الله ينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز بانصاره قال بعضهم الامر بالاعراض منسوخ باية الجهاد والاكثرون على ان الصفح مطلق فلا حاجة
الى التزام النسخ والله تعالى اعلم التاويل خذوا حذركم وهو ذكر الله فانفروا ثبات جاهدوا بالرياضات من عالم النفوس وهو عالم الحيوانية او انفروا
جميعا من عالم الجسمية وهو عالم الروحانية الى عالم الوحدة وان منكم ايها الصديقون لمن ليبطئن من المدعين المتكاسلين في السير القانعين بالاسم
النازلين على الرسم مصيبة شدة ومجاهدة فضل من الله مواهب غيبية وعلوم لدنية ومرتبة عند الخواص وقبول عند العوام يشرون الحيوة الدنيا
يشترون حظوظ النفس بحقوق الرب فيقتل نفسه بسيف الصدق ويغلب عليها بالظفر فليسلم على مدة والمستضعفين من الرجال اى الارواح الضعيفة
استضعفها النفوس باستيلائها عليها والنساء اى القلوب فان القلب للروح كالزوجة للزوج لتصرف الروح في القلب كتصرف الزوج في الزوجة
والولدان الصفات الحميدة المتولدة بين الروح والقلب هذه القرية قرية البدن الظالم اهلها وهو النفس الامارة بالسوء نصيرا يشحام ربنا
الم تر الى الذين قيل لهم من اهل السلامة كفوا ايديكم عن الاعتصام بحبل اهل الملامة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فانكم لستم اهل العزائم فانعوا
بتدارا السلام والسلام لارباب العزائم من اهل الملام اذا فريق منهم يخشون الناس يخافون لومة الناس لو كان من شرطهم ان لا يخافوا لومة لائم
ولا يبالوا بلومة لائم فيتبعوا عن قربهم كالهائم وضلوا عن طريقهم كالبهائم لولا اخرتنا الى اجل قريب فيموتوا بالاجال فان لنا كل الحظ مونبني
ترك حظ فيها ايها الطالبين يا بطال الذين غلب عليكم حب الدنيا فاقعدكم عن طلب المولى اينما تكونوا يدرككم الموت اضطرارا ان لم تموتوا قبل
ان تموتوا اختيارا ولو كنتم في بروج مشيدة اجسام موتية مجصنة وان تصبهم يعني لاهل البطالة من نفحات عنبية يقولوا هذه من عند الله لانه

للنبي



للنبي فيما عليهم حقا ولكن ذهبهم سيئة في المجاهدات يقولوا للنبي هذه من عندك اى بسببك وسيئات قل كل من عند الله القبض والبسط والفرج والترح
ما اصابك من فتح وعبيد من الله تفضلا وكرما وما اصابك من سيئة بلاء وعناء من شوم صفات نفسك الامارة والتحقيق فيه ان للاعمال
اربع مراتب التقدير والخلق وهما من الله تعالى والكسب والفعل وهما من العبد ان كان العبد وكسب فعله كلها مخلوقة خلقها الله تعالى فافهم وارسلناك
للناس رسولا ليهتدون بهداك ويتبعون خطاك ويقولون اذا كانوا حاضرين في مجلسك بعكس اشعة انوار النبوة عليهم ويصغون بآذانهم
الواعية الى الحكم والمواعظ الوافية السمع والطاعة فاذا برزوا من عندك وهبت عليهم رياح الهوى عادة الطبع المشوم الى اصله وهكذا حال
اكثر مريدي هذا الزمان الى مشايخهم والله يكتب اى يغير عليهم ما يبيتون لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاعرض عنهم واصبر معهم
وتوكل على الله لعل

افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

الله يصلح بالهم — ايا پس تدبر نمى‌كنند قرآن را واگر ميبود از نزد غير خدا هر آينه يافتندى در آن اختلاف بسيار

واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم

واگر ايشان كارى از ايمنى يا ترس افشا كردندى آنرا واگر بر گرداندندى بسوى پيغمبر وبسوى صاحبان فرمان از ايشان

لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا

هر آينه دانستندى آنرا آنانكه ميشنوند آنرا از ايشان واگر نبود زيادتى خدا بر شما ومهربانى‌اش هر آينه متابعت كرديد شيطانرا مگر كمى

فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا

پس جهاد كن در راه خدا مؤاخذه نميشوى مگر بفعل نفس خود وميل ده گروندگانرا اميد است كه خدا نگاه دارد آسيب آنانرا كه كافر شدند

والله اشد باسا واشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع

وخدا سخت‌تر است آسيبش وسخت‌تر است عقوبت او هر كه وسيله شود وسيله نيكوئى ميباشد مراو را بهره از آن وهر كه وسيله شود

شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا

وسيله بدى ميباشد مراو را عقوبتى از آن وميباشد خدا بر هر چيزى توانا وچون درود گفته شد بدرود پس درود گوييد

باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم

بهتر از آن يا همانرا برگردانيد بدرستيكه خدا هست بر هر چيزى نگاهبان آن خدائى كه نيست خدائى بجز او هر آينه گرد آورد شما را تا روز

القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما

قيامت كه شكى نيست در آن وكيست راستگوتر از خدا از سخن پس چيست شما را در منافقان كه دو گروه شده‌ايد وخدا نگونسار كرد ايشانرا بانچه

كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما

كسب كردند ايا ميخواهيد كه هدايت كنيد آنرا كه گمراه كرد خدا وهر كرا گمراه كند خدا پس نيابى از براى او راهى دوست دارند كه كافر شويد چنانكه

كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم

كافر شدند پس باشيد يكسان پس فرا مگيريد از ايشان دوستان تا آنكه هجرت كنند در راه خدا پس اگر برگشتند پس بگيريد ايشانرا وبكشيد ايشانرا

حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم

هر جا كه يافتيد ايشانرا وفرا مگيريد از ايشان دوستى ونه ياورى مگر آنانكه پيوند گيرند بسوى گروهى كه در ميان شما وميان ايشان

ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم

پيوندى يا آمدند شما را تنگ شده سينه‌هاى ايشان از آنكه كارزار كنند با شما يا كارزار كنند قوم خود را واگر ميخواست خدا هر آينه مسلط كردى ايشانرا بر شما

فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا

پس هر آينه كارزار كردندى با شما پس اگر كناره گيرند از شما پس كارزار نكنند با شما وافكنند بسوى شما آشتى را پس قرار نداده است خدا براى شما بر ايشان راهى

ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان

زود باشد كه بيابيد ديگرانرا كه ميخواهند كه ايمن باشند از شما وايمن باشند از قوم خود هر چند بر گردانيده شوند در فتنه نگونسار شوند در آن پس اگر

لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم

كناره نگرفتند از شما ونيفكندند بسوى شما آشتى را وباز ندارند دستهاى خود را پس بگيريد ايشانرا وبكشيد ايشانرا هر جا كه يافتيد ايشانرا واين گروه

جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا

قرار داديم از براى شما بر ايشان حجتى هويدا

القراءة ومن اصدق وكل ساكن بعدها دال باشمام الزاي علي ورويس وحمزة غير العجلي حصرت صدورهم ونابه صدعا ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف ابن عامر وقرأ سهل ويعقوب والمفضل
حصرت صدورهم بالنصب والتنوين الوقوف القرآن لتناهي الاستفهام الى الشرط كثيرا اذاعوا به منهم قليلا في سبيل الله لان قوله لا تكلف

كشيئات في الحال اي فانك غير مكلف الا نفسك وليعطف قوله حرض على قوله فقاتل المؤمنين لان يجيء مستأنف لفظا ومتصل معنى لانه ان جيء
ما امر به كفرو ثم تنكيلا نصب بهما الابتداء شرط آخر مع واو العطف كفل منها منها نصيبا نصف الجزء وهو حسيبا الا هو ولا ديتيه حديثا بما كسبوا من اصل الله
لتناهي الاستفهام الى الشرط سبيلا في سبيل الله وجدتموهم نصيرا يقاتلوكم ثم انكم السلم لان ما بعده جواب فان سبيلا قوم ثم اركسوا فيها ثقفتموهم
مبينا التفسير لما حكى عن المنافقين ما حكى وكان السبب فيه اعتقادهم انه غير محق في ادعاء الرسالة امرهم بالتفكر والتدبر وهو النظر في عواقب الامور
وادبارها ومنه قول اكثم لا تدبروا اعجاز امور قد ولت صدورها ويقال في فصيح الكلام لو استقبلت من امري ما استدبرت اي لو عرفت في صدره ما عرفت
من عاقبته وظاهر الآية يدل على انه احتج بالقرآن على صحة نبوة محمد والا انقطع النظم ودلالة القرآن على صدق النبي من ثلثة اوجه الفصاحة والاشتمال
على الغيوب والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الآية واختلف المفسرون في المراد من سلامته من الاختلاف فقال ابو بكر الاصم معناه ان المنافقين
كانوا يتواطئون في السر على انواع كثيرة من المكائد والرسول كان يخبرهم عنها حالا فحالا فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله لم يطرد صدقه ولظهر
الاختلاف والتفاوت وقال اكثر المتكلمين المراد تجاوب معانيه وتلاؤم مقاصده مع انه مشتمل على علوم كثيرة وفنون غزيرة ولو كان من عند غير الله لم
من تناقض واضطراب والذي نظن به التناقض كقوله لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان مع قوله لنسئلنهم اجمعين وكقوله فاذا هي ثعبان مبين مع قوله كانها جان
ليس كذلك عند التدبر وملاحظة شرط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما وقال ابو مسلم المراد صحة نظمه وكون كله بل كل جزء من اجزائه وابعاضه بالغا
حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلا بد ان يظهر التفاوت في كلامه بحيث
يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القرآن كذلك علمناه انه معجز من عند الله ثم في الآية دلالة على وجوب النظر والاستدلال على التدبر فيها ابطال التقليد
وقال الجبائي فيها دلالة على ان افعال العباد غير مخلوقة لله لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب انه لا يلزم من كون كلامه غير متفاوت ولا مختلف
ان لا يكون افعاله مختلفة بحسب اختلاف المظاهر والقوابل سلمنا لكن اختلافه هو كونه غير مطابق للاغراض والمقاصد الانسانية ويكون بحسب نظرنا الا بحسب
نفسه ثم حكى عن المنافقين وقيل عن ضعفة المسلمين انه اذا جاءهم الخبر بامر من الامن سواء كان ذلك الامر من باب الامن او من باب الخوف اذاعوا به واشيعوه يقال اذاع السر
واذاع به لغتان ويجوز ان يكون معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ ولا يخفى ما في ذلك الافشاء من الضرر من جهات الارجاف لا ينفك عن الكذب ومن جهة ان تلك
الاخبار ان كانت من جانب الامن ولم تقع اورثت شبهة تستعقب المسلمين في صدق الرسول لان المنافقين كانوا يروونها من الرسول وان كانت في جانب الخوف حصل مضطرا
في تضعيف قلوبهم في الجهاد وابقاء البحث عن الارجاف موجب ظهور الاسرار وذلك لا يوافق مصلحة المدينة فقد يصل الخبر الى الكفار فاستعدوا للقتال الذي يحضرونه
وفي معنى الآية اقوال الاول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولي الامر منهم كبار الصحابة البصراء بالامور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما
اخبر به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر
اول ما تحفر فاستعير لاستخراج المعاني والتدبير الثاني كانوا يقفون من رسول الله واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف
واستشعار فيذيعونه فينعود اذاعتهم مفسدة فقيل لهم لو فوضوه الى الرسول والى اولي الامر وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف
يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه الثالث كانوا يسمعون من افواه بعض المنافقين شيئا من خبر السرايا غير معلوم الصحة فيذيعونه فقيل لهم لو سكتوا حتى
يسمعوه من الرسول واولي الامر ليعلموا اصحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع فالمستنبطوه هم المذيعون ومعنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول واولي الامر
ويستخرجون علمه من جهتهم قالت العلماء في الآية دلالة على ان القياس حجة لانهم امروا ان يرجعوا في معرفة الوقائع الى اولي الامر من المستنبطين فرواية النص
لا تكون استنباطا فهو اذن رد واقعة الى نظيرها وهو القياس واعترض بانا لا نسلم ان المستنبطين هم العلماء واولوا الآراء بل هم المذيعون كما في القول الثالث
سلمنا لكن الآية نزلت في الحروب ولا يلزم من جواز الاستنباط في الوقائع المتعلقة بها جواز الاستنباط في الوقائع الشرعية فان قسم احد البابين على الآخر
كان اثباتا للقياس الشرعي بالقياس الشرعي سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية او من تركيبات النصوص
او بالبراءة الاصلية او بحكم العقل كما يقول الاكثرون ان الاصل في المنافع الاباحة وفي المضار الحرمة وكل هذه الامور ليس من القياس الشرعي في شيء سلمنا ان القياس
الشرعي داخل في الآية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع في مثله انما النزاع في ان القياس المفيد للظن هل هو حجة
ام لا واجيب بان صرفها المستنبطين الى المذيعين ليس بقوي اذ لو كان المراد ذلك لكان الاليق بنظم الكلام ان يقال لو ردوه الى الرسول والى اولي الامر لعلموه
من غير اقامة المظهر مقام المضمر وعن الثاني بان الامن او الخوف عام في كل ما يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامور الحروب ذاع فيها احكام الحرب بالقياس
الشرعي لزم جواز التمسك به في سائر الوقائع اذ لا قائل بالفرق الا ترى ان من قال القياس حجة في باب البيع لا في باب النكاح لم يلتفت اليه وعلى الثالث بان
من لك لا يسمى استنباطا وعن الرابع ان العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن القياس الشرعي عندنا يفيد العلم لانه مهما غلب على الظن ان حكم الله
في الاصل معلل بكذا ثم غلب على الظن ان ذلك المعنى قائم في الفرع حصل ظن ان حكم الله في الفرع مساو لحكمه في الاصل وعند هذا الظن يقطع بانه مكلف
بان يعمل على وفق هذا الظن وقد يعتق توهم الظن واقع في طريق الحكم والحكم مقطوع به كانه تعالى قال مهما غلب ظنك كذا في الواقعة الفلانية فاعلم قطعا ان
حكمي فيها كذا اما قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا فظاهره يقتضي اشكالا وهو ان قليلا من الناس لا يحتاج في عدم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته
لكن الاحتياج بالنسبة الى كل واحد من الناس ثابت بالاتفاق فهذا تناقض ذكر المفسرون في ازالة التناقض وجوها الاول ان الاستثناء راجع الى قوله



اذاعوا به كانه تعالى اخرج بعض المنافقين من هذه الاذاعة كما اخرجهم في قوله بيت طائفة الثاني انه عائد الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا
قال الفراء والمبرد القول الاول اولى لان ما يعلم بالاستنباط فالاقل يعلمه والاكثر يجهله وصرف الاستثناء الى ما ذكروه يقتضي ضد ذلك قال الزجاج
هذا غلط لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بنظر دقيق وفكر غامض انما هو استنباط خبر واذا كان كذلك فالاكثرون يعرفونه الا البالغ في البلادة
والا نصاف ان الاستنباط الوجه على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف فكلام الزجاج الصحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كما هو الحق فما
ذكره الفراء والمبرد الثالث ان الاستثناء مصروف الى ما يليه كما هو حق النسق لان الفضل والرحمة مفسران بشيء خاص بعينه وجهان احدهما قول جماعة
من المفسرين ان المراد انزال القرآن وبعثة محمد والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القرآن لاتبعتم الشيطان ولكفرتم بالله الا القليل منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم
بعثة محمد ما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد وثانيهما قول ابي مسلم ان المراد بالفضل
والرحمة ههنا نصرته تعالى ومعونته اللذان تمناهما المنافقون بقولهم يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما والتقدير لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان
الا القليل منكم وهم اهل البصائر والعزائم من افاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا فلاجل تواتر الفتح والظفر يدل على كونه
حقا بل الامر ولاجل انقطاع النصر والغلبة يدل على كونه باطلا بل الامر في كونه حقا وباطلا مبني على الدليل وهذا احسن الوجوه قوله فقاتل قيل انه جواب لقوله ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل كانه تعالى قال ان اردت الفوز فقاتل وقيل انه متصل بمعنى ما ذكر من قصص المنافقين كذا وكذا فلا تعتد بهم ولا تلتفت اليهم بل قاتل فانك
لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا ادبت فرضك لم تكلف فرض غيرك ويعلم من قوله وحرض المؤمنين ان الواجب على الرسول انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد اي الحث
والاحماء عليه فاذا اتى بالامرين فقد خرج عن عهدة التكليف ليس عليه من كون غيره تاركا شيء واعلم ان الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات فما لم يغلب
على الظن انه يفيد لم يجب بخلاف رسول الله فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله والله يعصمك من الناس وبدليل قوله ههنا عسى الله ان يكف بأس الذين
كفروا وعسى من الله جزم لان الرجاء عليه محال لعموا اطاع واطماع الكريم ايجاب فلزم الجهاد وان كان وحده فلا جرم انه قال في بدر الصغرى لاخرجن ولو وحدي فخرج ومعه
سبعون راكبا ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ثم انه تعالى كف بأس المشركين والقى الرعب في قلوب ابي سفيان واصحابه حتى ندموا وترك الحرب في تلك السنة وفي الآية
دليل على انه كان اشجع الخلق لانه تعالى لم يأمره بالقتال وحده الا انه كذلك وقد اقتدى به ابو بكر حيث حاول الخروج وحده الى قتال مانعي الزكوة ومن عرف ان الكل
بيد الله وانه لا يحدث شيء الا بقضاء الله سهل عليه القتال وكان معرضا عن تقية الموت والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا الا عذابه
دائم وعذاب غيره غير دائم وعذاب غير الله يخلصه الله عنه وعذاب الله لا يقدر احد على تخليصه منه وعذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل الى جميع
الابعاض والاجزاء ويشمل الروح والجسم فهذه طرف من الفرق والله اعلم بكنه عذابه ونعوذ بالله من عقابه قوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة وجه نظم
تعرض من نفسه وذلك انه قيل المراد منه تحريض النبي اياهم على الجهاد لانه اذا كان يأمرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد
وابقاء التحريض هو الحث على سبيل الرفق والتلطف والتهديد بلحاظ مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق آخر في ان يأذن له الرسول
في التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن آخر عند مؤمن ثالث ان يحصل له علاة الجهاد فنزلت ونقل الواحدي عن ابن عباس ان الشفاعة الحسنة
ههنا هي ان يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار والشفاعة السيئة ان يشفع كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقال مقاتل الشفاعة الى الله انما هي دعوة
الله المسلم لما روي عن النبي من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وقال الحسن
ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة والحسنة منها هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة
وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في ابطال حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعلى هذا فوجه النظم ان التحريض على الجهاد بعث على الفعل
الحسن وانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت
في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها قال اهل اللغة الكفل ابلغ النصيب مثل الاختلاف اللفظين فائدة فاجيب بان الكفل اسم للنصيب الذي يكون عليه اعتماد الانسان
ومنه يقال الكفل البعير واكتفله اذا ادار حول سنامه كساء وركب الكفل المتاع لان الغرض اعتماد على التقدير من يشفع شفاعة سيئة يكن له منها نصيب يتكئ
عليه ويكون له ذخيرة في معاشه ومعاده والغرض التهكم وحصول ضد ذلك مثل فبشرهم بعذاب اليم وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا وحفيظا واشتقاقه
من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها والغرض انه قادر على كل المقدورات حفيظ لجميع المعلومات فيجازي كل شافع بما يليق بحاله ثم امر المؤمنين بالجهاد
امرهم ايضا بان الاعداء لو رضوا بالمسالمة او يلقوا في المبارزة بالتسليم فاتلوهم بالاكرام والتحية السلام دعاء بالسلامة والدعاء نوع من الشفاعة والتحية تفعلة
من الحيوة ويجيء الناقص من باب التفعيل على تفعلة مثل تسلية وتعزية لكنه ادغم ههنا لاجتماع المثلين وكانت العرب يقول عند اللقاء حياك الله دعاء له
بالحيوة فابدل الله ذلك بالسلام ولعمري ان هذا احسن لان الحيوة ان لم تكن مقرونة بالسلامة لم يغتبط بها بل لعل الموت خير منها ولان السلام اسم من اسماء الله
فالابتداء به اولى ولان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقد سلم الله على المؤمن في اثنا عشر موضعا في الاول لهذا سمى نفسه بالسلام وعلى لسان نوح يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك والمراد امة محمد على لسان جبريل تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام قال
المفسرون انه خاف على امته ان يصيروا مثل امة موسى وعيسى فقال الله لا تهتم بذلك فاني وان اخرجتك من الدنيا الا اني جعلت جبريل خليفة لك ينزل الى
امتك كل ليلة قدر ويبلغهم السلام منه سلم عليك على لسان موسى والسلام على من اتبع الهدى وسلم على لسان محمد وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

وامرهم بالسلام عليك واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم امر المؤمنين بالسلام عليك واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وسلم عليك على
لسان ملك الموت الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم قيل ان ملك الموت يسلم في اذن المسلم السلام يقرئك السلام ويقول اجبني فاني مشتاق
اليك واشتاقت الجنان والحور العين اليك فاذا سمع المؤمن البشارة يقول لملك الموت للبشير مني هدية وسلم عليك من الارواح
الطاهرة واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وسلم عليك على لسان خزنة الجنة وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
وسلم عليك على لسان الملائكة في الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وسلم عليك على لسان اهل الجنة تحيتهم يوم يلقونه سلام
وسلم عليك الى الابد سلام قولا من رب رحيم ولما اراد اكرام يحيى وعده بالسلام في مواطن ثلاث هي اشد الاوقات حاجة الى السلام فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم
يموت ويوم يبعث حيا ولما ذكر تعظيم محمد صلعم قال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعن عبد الله بن سلام قال
لما سمعت بقدوم رسول الله صلعم دخلت في غمار الناس فاول ما سمعت منه يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام
تدخلوا الجنة بسلام وكانت تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية الجاهلية حياك الله وتحية
الملوك انعم صباحا فشتان ما بين تحياتهم وتحيتنا السلام عليك ورحمة الله وبركاته وفي هذا دليل على ان هذا الدين اشرف الاديان واكملها ومما يدل على فضيلة
السلام عقلا ان الوعد بالنفع قد يقدر الانسان على الوفاء به وقد لا يقدر واما الوعد بترك الضرر فانه يقدر عليه لا محالة والسلام يدل عليه فهو افضل انواع التحية
قال بعض العلماء من دخل بيتا يجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله تعالى واذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وقاله افشوا السلام والامر للوجوب ولان السلام
بالسلامة وازالة الضرر وهو واجب لقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولانه من شعائر الاسلام واظهار شعائر الاسلام واجب وعن ابن عباس والنخعي و
اكثر العلماء ان السلام سنة واما الجواب فواجب بالاجماع لان ترك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام ولقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
وظاهر الامر الوجوب وعن ابن عباس ما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة قال العلماء الاحسن
ان يزيد في جواب السلام الرحمة وان ذكر في الابتداء السلام والرحمة زاد في جوابه البركة وان ذكر المجموع اعادها فقط فان منتهى الامر في السلام ان يقال السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته لان هذا القدر هو الوارد في التشهد وذكر ان رجلا قال لرسول الله صلعم السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر
السلام عليك ورحمة الله فقال له وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاء ثالث فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال نقصتني
يا رسول الله فحيوا باحسن منها فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله بقوله تعالى اوردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام كره ودرجه اما اسناد الى
هذه السورة واما الى التخيير بين الزيادة وتركها ورد الجواب فرض على الكفاية اذا قام به بعض سقط عن الباقين والاولى ان يقوم به الكل اكثارا للاكرام و
الاحسن ان يدخل حرف العطف فيقال وعليكم السلام وهو واجب على الفور بقدر ما يعهد بين الايجاب والقبول في العقود فان اخر عن ذلك كان ابتداء سلام
لا جوابا واذا ورد عليه سلام في كتاب فجوابه بالكتابة ايضا واجب لقوله واذا حييتم بتحية فحيوا ومن قال لآخر اقرأ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل قال العلماء
المبتدي يقول السلام عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليقع الابتداء والاختتام بذكر الله فان خالف المبتدي فليكن الاختتام بحاله ويجوز سلام عليكم بل قالوا
انه اولى من المعرف لان المنكر في القرآن اكثر وان المنكرات وردت من الله والملائكة والمؤمنين والمعرفات وردت في تسليم الانسان على نفسه قال موسى والسلام
على من اتبع الهدى وقال عيسى والسلام علي يوم ولدت وايضا المعرف يدل على اصل الماهية والمنكر على الماهية مع وصف الكمال ومن السنة ان يسلم الراكب
لزيادة هيبته على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر احتراما للجماعة والقائم لانه الواصل على القاعد ولان القائم اهيب
ومن السنة الجهر بالسلام لانه نوع ادخال السرور في القلب ومنها الابتداء به اظهارا للتواضع ومنها الافشاء والتعميم لان التخصيص ايحاش والمصافحة عند السلام
عادة النبي صلعم قال اذا تصافح المسلمان تحاتت ذنوبهما كما تتحات ورق الشجر ومن استقبل رجلا واحدا فليقل سلام عليكم وليقصد الرجل والملكين لانه اذا سلم
عليهما رد السلام عليه ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله ومن دخل بيتا خاليا فليسلم ويكون كانه سلم من الله على نفسه او سلم على من فيه من مؤمني الجن والطير
السلام بركة اسم السلام ممن في البيت من الشياطين والموذيات ولو قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كان حسنا ومن السنة ان يكون المبتدي بالسلام
على الطهارة وكذا المجيب وان واحدا سلم على رسول الله صلعم وهو في قضاء الحاجة فقام وتيمم ثم رد الجواب واذا دخل الجمعة والامام يخطب فلا ينبغي ان يسلم لا
شتغال الناس بالاستماع فان سلم ورد بعضهم فلا باس ولو اقتصر على الاشارة كان احسن ومن دخل الحمام فرأى الناس متزرين سلم عليهم فان لم يكونوا
متزرين لم يسلم عليهم والاولى ترك السلام على القاري كيلا يقطع عليه القراءة باشتغاله بالجواب كذا القول فيمن كان مشتغلا برواية الحديث ومذاكرة
العلم او بالاذان او الاقامة ولا يسلم على المشغول بالاكل هكذا اطلق وحمله بعضهم على ما اذا كانت اللقمة في فيه ولا يسلم على قاضي الحاجة قال ابو يوسف
ولا على لاعب النرد ولا على المغني ومطير الحمام وكل من كان مشتغلا بنوع معصية ولا منع من السلام على من هو في مساومة او معاملة واذا دخل الرجل
بيته سلم على امرأته فان حضرت اجنبية هناك لم يسلم عليها واذا سلمت الاجنبية عليه كان يخاف في رد الجواب عليها تهمة او فتنة لم يجبها بل الاولى ان لا يفعل
وحيث قلنا لا يسلم فلو سلم لم يجب عليه الرد لانه اتى بفعل منهي عنه وكان وجوده كعدمه وروي عن النبي صلعم انه قال لا تبدأ اليهودي بالسلام وعن ابي حنيفة انه
قال لا تبدأه بسلام في كتاب ولا في غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس في الدعاء له بما يصلحه
في دنياه ورخص بعض العلماء في ابتداء السلام عليهم اذا دعت الى ذلك حاجة اما اذا سلموا علينا فقال اكثر العلماء ينبغي ان يقول وعليك لما روي





ان اليهود يقول للمسلمين السام عليكم وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام ولا يقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال
لنصراني سلم عليك السلام ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال اليس في رحمة الله يعيش واعلم ان مذهب ابي حنيفة ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها
ما لم يثب منها فاذا اثابه منها فلا رجوع له فيها وقال الشافعي له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي واحتج لابي حنيفة بالآية وذلك
ان التحية تشمل جميع انواع الاكرام فتشمل الهبة ومقتضاها وجوب الرد اذا لم يحصل بالاحسن لا اقل من الجواز وقال الشافعي هذا الامر محمول
على الندب بدليل انه لو اثيب بما هو اقل منه سقط حكم الرد بالاجماع مع ان ظاهر الآية يقتضي الاثابة بالاحسن ثم احتج الشافعي على قوله بما روي عن ابن
عباس وابن عمر ان النبي صلعم قال لا يحل لرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على
محافظة حقوق التحية وعدمها فكونوا على حذر من مخالفته ثم اكد الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم فالاول توحيد والثاني عدل كانه
يقول من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا اسلامه واكرموه وعاملوه معه بناء على الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما
ينكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيامة الذي يجمع فيه الاولون والآخرون للجزاء والحساب وقوله لا اله الا هو اما خبر المبتدأ واما اعتراض والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيامة اي ليقيمنكم الى ان يجمعن بينكم وبينه بان يبعثكم فيه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب هي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار وذلك ان الصدق من صفات الكمال والكمال للواجب
اولى واحق واقدم واتم من غيره والمعتزلة نفوا عنه الكذب بناء على انه قبيح ومن كذب انما يكذب لانه محتاج الى ان يكذب يجر منفعة او دفع مضرة او هو
غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على
حنكه من الصدق وكل هذه الامور من الحكيم قبيح يجب تنزيهه عنها واعلم ان المسائل الاصولية قسمان منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج الى العلم بصحتها كالعلم
بافتقار العالم الى صانع عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات فهذا القسم يمتنع اثباته بالقرآن والخبر والا وقع الدور ومنها غير ذلك كاثبات
الحشر والنشر فانه يمكن اثباته بالقرآن والحديث والله اعلم ثم عاد الى حكاية احوال المنافقين فقال فما لكم في المنافقين فئتين وهو منصوب على الحال والعامل
معنوي مثل ما لك قائما اي ما تصنع ومثل نصب على انه خبر كان اي ما لكم كنتم في شان المنافقين فئتين استفهام على سبيل الانكار اي لا تختلفوا في كفرهم
ولكن اقطعوا بنفاقهم فقد ظهرت دلائل ذلك وانكشفت جلية الحال وذلك انها نزلت في قوم من العرب قدموا رسول الله صلعم بالمدينة فاسلموا واصابوا وباء
المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله صلعم نريد ان نخرج الى الصحراء فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم هم مسلمون فبين الله نفاقهم وقال مجاهد وقتادة هم قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا انا على دينك ما
اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وعن زيد بن ثابت هم الذين تخلفوا يوم احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وطعن بعضهم في هذا القول بانه
ينافي نسق الكلام وهو قوله حتى يهاجروا في سبيل الله فان الهجرة تكون من مكة لا من المدينة وعن عكرمة هم قوم اخذوا اموال المشركين وانطلقوا بها الى
اليمامة وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا مولى النبي صلعم وقال ابن زيد نزلت في اهل الافك قال الحسن سماهم المنافقين لانهم اظهروا
الكفر باطنا وحالهم التي كانوا عليها والله اركسهم الركس والاركاس رد الشيء مقلوبا ويقال للروث الركس لانه رد الى حالة خسيسة وهي حالة النجاسة
ويسمى رجيعا ايضا لذلك والمراد ردهم الى احكام الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل بما كسبوا اي بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على
النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا يقدر على تبديل خلق الخالق وعلى خلاف مقتضى ارادته ومشيئته وهذا ظاهر في المقصود
والمعتزلة يقولون قوله اركسهم بما كسبوا اي بسبب كسبهم وفعلهم ينفي القول بان ضلالهم حصل بخلق الله فالمراد من اضلال الله حكمه بضلالهم
كما يقال فلان يكفر فلانا اي ينسبه الى الكفر ويحكم عليه بذلك والمراد اضلالهم عن طريق الجنة وهو منع الالطاف ثم ذكر انهم بالغوا في الكفر
الى ان تمنوا ان يصير كفارا فكيف تطمعون في ايمانهم وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء اي في الكفر والمراد فتكونون انتم وهم
سواء الا انه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكر غيرهم لتقدم ذكرهم وقوله فتكونون عطف على تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا اي حتى
يضموا الى ايمانهم المهاجرة الصحيحة المعتمدة وهي الهجرة في سبيل الله لا لغرض من الاغراض الفانية ومثل قوله صلعم انا بريء من كل مسلم قام بين اظهر المشركين
وانا بريء من كل مسلم مع مشرك وكانت الهجرة واجبة الى ان فتحت مكة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم يوم فتح مكة لا هجرة بعد ذلك لكن جهاد
ونية وعن الحسن ان حكم الآية ثابت في كل من اقام في دار الحرب فرأى فرض الهجرة الى دار الاسلام قال المحققون الهجرة في سبيل الله تشمل الانتقال
من دار الكفر الى دار الايمان والانتقال عن اعمال الكفار الى اعمال المسلمين بل هذا اقدم واهم لقوله صلعم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان تولوا عن
الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم سائر المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم في هذه الحالة وليا يتولى
شيئا من مهماتكم ولا نصيرا ينصركم على اعدائكم بل جانبوهم مجانبة كلية ثم لما امر بقتل هؤلاء الكفار استثنى عنه موضعين الاول الا الذين يصلون
اي ينتمون وينتسبون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم قال القفال وقد
يدخل في الآية ان يقصد قوم حضرة الرسول فيتعذر عليهم ذلك المطلوب فيلتجؤا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد الى ان يجدوا السبيل اليه والقوم
هم الاسلميون وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه على ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من

الجوار مثل الذي لحلاله قال ابن عباس هم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح وقال مقاتل هم خزاعة وههنا نكتة وهي انه تعالى رفع السيف عمن التجأ الى الكفار المصالحين فلان يدفع النار عمن التجأ الى محبة الله ومحبة رسوله كان اولى وعن ابي عبيدة المراد بالوصلة الانتساب فقال صلة الى فلان وانتسب براذا انتمى اليه واعترض عليه بان اهل مكة اكثرهم كانوا متصلين بالرسول من جهة النسب مع انه كان قد اباح دم الكفار منهم الاستثناء الثاني قوله او جاؤكم وفي العطف وجهان احدهما ان يكون معطوفا على صفة قوم والمعنى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم جاؤكم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم وثانيهما العطف على صلة الذين كانه قيل الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم وهذا انسب لقوله في صفتهم فان لم يعتزلوكم ثم يقاتلوكم الى آخر الآية اذ بين ان كفهم عن القتال سبب استحقاقهم لنفي التعرض لهم بالاستقلال لا بواسطة الاتصال ومعنى حصرت صدورهم ضاقت والحصر الضيق والانقباض وهو في موضع الحال باضمار قد بدليل قراءة من قرأ حصرة وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف منصوب على الحال اي جاؤكم قوما حصرت وقيل هو بيان لجاؤكم وقوله ان يقاتلوكم اي عن ان يقاتلوكم ثم هؤلاء الجائون من الكفار او من المؤمنين قال الجمهور هم من الكفار بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين وعلى هذا يلزم النسخ لان الكافر وان ترك القتال جاز قتله وقال ابو مسلم انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثنى من له عذر فقال الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق وهم قوم قصدوا الرسول للهجرة والنصرة الا انه كان في طريقهم كفار فالتجؤا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد واقاموا عندهم الى ان يمكنهم الخلاص والثانية من صار الى الرسول لا ليقاتل الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا لانهم اقاربه او لانه بقي اولاده وازواجه بينهم فيخاف لو قاتلهم ان يقتلوا اولاده واصحابه فهذان الفريقان من المشركين لا يحل قتالهم وان كان لم يوجد منهم الهجرة ومقاتلة الكفار وعلى هذا معنى قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي لو شاء لقوى قلوبهم ليدفعوا عن انفسهم ان اقدمتم على مقاتلتهم على سبيل الظلم وعلى الاول معناه عن ضيق صدورهم عن قتالكم لانه قذف الله الرعب في قلوبهم ولو قوى قلوبهم لتسلطوا عليكم ولقاتلوكم وهو جواب لو على التكرير او البدل قال الكعبي انه تعالى اخبر انه لو شاء لفعل وهذا ينبئ عن القدرة على الظلم وهو صحيح عندنا ولا يدل على انه فعل الظلم واراد والنزاع فيه فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها اي رددوا مغلوبين منكوسين فيها وهذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقع في شيء منكوسا تعذر خروجه فان لم يعتزلوكم ويلقوا اي ولم يلقوا ولم يكفوا فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم قال الاكثرون وفيه دليل على انهم اذا اعتزلوا قتالنا وطلبوا الصلح منا وكفوا ايديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا مبني على ان المعلق بكلمة ان على الشرط يعدم عند عدم الشرط واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة لانكشاف حالهم في الكفر والغدر او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً

وسزاوار نيست مر مومنی را که بکشد مومنی را مگر از روی خطا وهرکه بکشد مومنی را از روی خطا

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ

پس بروی است آزاد کردن بنده مومنی وخونبهای فرا رسیده بسوی کسان او مگر آنکه ببخشند پس اگر بوده باشد از گروهی در میان شما ومیان ایشان پیمان

فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ

پس خونبهای فرا رسیده بسوی کسان او وآزاد کردن بنده مومن پس هرکه نیابد پس روزه گرفتن دو ماه پی در پی این توبه ایست از جانب خدا وهست

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ

خدا دانای استوده وهرکه بکشد مومنی را عمدا پس پاداش او دوزخ است جاوید دران وخشم گرفت خدا براو ودور کرد او را ومهیا کرد

لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ

ازبرای او عذابی بزرگ ای گروه گرویدگان بایمان اورده اید چون قدم زنید در راه خدا پس تفحص کنید ومگوئید مرا او را که افکند بسوی شما کردن

السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ

سپر را که نیستی تو مومن که خواسته باشید خواسته زندگانی دنیا را پس در نزد خداست غنیمت بسیار همچنین بودید از پیش

فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ

پس منت نهاد خدا بر شما پس تفحص کنید بدرستیکه خدا است بانچه میکنید آگاه یکسان نیستند نشستگان از مومنان غیر

أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

صاحبان ناخوشی وجهاد کنندگان در راه خدا بمالهاشان ونفسهاشان زیاده داد خدا جهاد کنندگان را بمالهاشان ونفسهاشان

عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

بر نشستگان پایه وهریک را وعده کرده است خدا نیکوئی وزیاده داده است جهاد کنندگان را بر نشستگان مزدی بزرگ

دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي

پایهای بلند از او وآمرزش ومهربانی وهست خدا آمرزنده مهربان بدرستیکه آنهائی که میرانند ایشانرا فرشتگان ستم کننده اند







أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا

نفسهای خود را گویند که در چه حال بودید گویند که بودیم ما ناتوانان در زمین گویند فرشتگان آیا نبود زمین خدا با وسعت پس سفر کنید

فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ

دران پس آن گروه جایگاه ایشان دوزخ است وبد جای بازگشتی است بجز ناتوانان از مردان وزنان واطفال

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا

که راه نبرند حیله را وراه نبرند طریق پس آن گروه امید است که خدا درگذرد از ایشان وهست خدا درگذرنده

غَفُورًا ۝ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا

آمرزنده وهرکه سفر کند در راه خدا می یابد در زمین رحمت بسیاری وفراخی وهرکه بیرون رود از خانه اش سفر کننده

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ

بسوی خدا وپیغمبرش پس دریابد مر او را مرگ پس بحقیقت که واجب است مزدش بر خدا وهست خدا آمرزنده مهربان وچون قدم زنید

فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ

در زمین پس نیست بر شما باکی که کم گردانید از نماز اگر بترسید که بفتنه اندازند شما را آنهائی که کافر شدند بدرستیکه

الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا

کافران میباشند ازبرای شما دشمن هویدا

القراءة فتثبتوا من التثبت وكذلك في الحجرات حمزة وعلي وخلف الباقون فتبينوا من التبين السلم مقصورا ابوجعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف والمفضل وسهل الباقون بالالف غير بالنصب ابوجعفر ونافع وابن عامر وعلي وخلف الباقون غير بالرفع الذين توفيهم مشددة التاء البزي وابن فليح الوقوف لا خطأ بصلة لا الابتداء وحكم آخر ومن ذلك مؤمنة متتابعين لاحتمال كون توبة مصدر الفعل محذوف والاوجه كونه مفعولا له من الله حكيما عظيما مؤمنا لان ما بعده بصلح حالا واستفهاما الدنيا لانقطاع النظم مع اتصال الفاء كثيرة فتبينوا خبيرا وانفسهم الاول درجة الحسنى عظيما لان ما بعده بدل ورحمة رحيما فيم كنتم في الارض فتهاجروا فيها لتناهي الاستفهام بجوابه جهنم مصيرا للاستثناء سبيلا عنهم غفورا وسعة على الله رحيما من الصلوة لا لاحتمال تعلقه بحال المسافر كفروا مبينا التفسير لما لم يكن بدلي مجاهدة الكفار من انه قد يتفق ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم يتبين انه كان مسلما ذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة وانشأ لها في هذه الآيات اما سبب النزول فقد روى عروة بن الزبير ان حذيفة بن اليمان قاتل مع رسول الله يوم احد فاخطأ المسلمون وظنوا ان اباه اليمان واحد من الكفار فاخذوه باسيافهم وحذيفة يقول انه ابي فلم يفهموا قوله الا بعد ان قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فلما سمع الرسول ذلك ازداد وقع حذيفة عنده وزاد الاية وقيل نزلت في ابي الدرداء وذلك انه كان في سرية فعدل الى شعب لحاجة له فوجد رجلا في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال الرجل لا اله الا الله فقتله وساق غنمه ثم وجد في نفسه شيئا فذكر الواقعة للرسول فقال هلا شققت عن قلبه فندم ابو الدرداء والذي عليه اكثر المفسرين ما ذكره الكلبي ان عياش بن ابي ربيعة المخزومي اسلم وخاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله فقدمها ثم اتى اطما من آطامها فتحصن فيه فجزعت امه جزعا شديدا واقسمت لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابوجهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة وكان ابوجهل اخا عياش لامه فاتياه وهو في الاطم فقال له انزل فان امك لم يؤوها سقف بيت بعدك وحلفت لا تأكل طعاما ولا شرابا حتى ترجع اليها ولم يزل يفتل منه ابو جهل في الذروة والغارب ويقول اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل فذهب معهما فلما اخرجاه من المدينة اوثقاه بنسعة وجلداه كل منهما مائة جلدة ثم قدما به على امه فقالت والله ما احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس فاعطاهم بعض الذي ارادوا فاتاه الحارث بن زيد وقال يا عياش والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وان كان ضلالة لقد دخلت لان فيه فغضب عياش من مقالته وقال لا هذا اخي يعني ابا جهل من انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك ثم ان عياشا اسلم بعد هجرة رسول الله وهاجر الى المدينة واسلم الحارث بعده وهاجر وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا هو يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث بن زيد فلما رآه حمل عليه فقتله فقال الناس اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله فقال كان من امري وامر الحارث ما علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن اي ما صح له ولا استقام او ما كان له فيما آتاه من ربه وعهد اليه وما كان له في شيء من الازمنة ذلك والغرض بيان ان حرمة القتل كانت ثابتة من اول زمان التكليف الا خطأ الا لهذا العذر وبهذا السبب فيكون مفعولا له او لا في حال الخطأ او الا قتلا خطأ قال ابو هاشم وهو احد رؤساء المعتزلة التقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا فيبقى مؤمنا الا ان يقتله خطأ فيبقى مؤمنا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة فعليه عتاق رقبة اي نسمة مؤمنة والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل والطير لكرامها والوجه اكرم موضع منه وعبر عن النسمة بالرقبة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق ودية مسلمة الى اهله الدية من الودي كالشية من الوشي والاصل ودية وهي مخصوصة ببدل النفس دون سائر المتلفات وقد يستعمل في بدل الاطراف والاعضاء والمراد بالاهل الورثة الا ان يصدقوا اي يتصدقوا فادغم

الثناء في التصدق والتصدق الإعطاء والمراد ههنا العفو ومحله النصب على الظرف أو الحال من العامل مسلماً أو على أنه قيل يجب عليه الدية أو يسلمها إلا حين
التصدق أو لا متصدقين. وههنا مسائل الأولى القتل على ثلاثة أقسام عمد وخطأ وشبه عمد أما العمد فهو أن يقصد قتله بالسبب الذي يعلم إفضاءه
إلى الموت سواء كان ذلك جارحاً أو لم يكن وأما الخطأ فضربان أحدهما أن يقصد رمي مشرك أو طائر فأصاب مسلماً والثاني أن يظنه مشركاً بأن كان عليه
شعار الكفار فالأول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد وأما شبه العمد فهو أن يضربه مثلاً بعصا خفيفة لا يقتل غالباً فيموت منه فهذا خطأ
في القتل وإن كان عمداً في الضرب. الثانية قال أبو حنيفة القتل بالمثقل ليس بعمد محض بل هو خطأ أو شبه عمد فيكون داخلاً تحت الآية فيجب فيه الدية والكفارة
ولا يجب فيه القصاص وقال الشافعي إنه عمد محض يجب فيه القصاص حجة الشافعي أنه قتل عمد عدوان أما أنه قتل فلقوله تعالى لموسى ﴿وقتلت نفساً فنجيناك من الغم﴾
يعني القبطي إذ وكزه موسى فقضى عليه وأما أنه عمد عدوان فظاهر فإن من ضرب رأس الإنسان بحجر الرحى وصلبه أو غرقه أو خنقه ثم قال ما قصدت قتله عد
ماجناً وإذا ثبت أنه قتل عمد عدوان فهو يوجب القصاص لقوله ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى﴾ وإن المقصود من شرع القصاص صون الأرواح عن الإهدار
والإهدار في المثقل كهو في المحدد والعلم الضروري حاصل بأن التفاوت في آلة الإهدار غير معتبر حجة أبي حنيفة قوله ألا إن قتيل العمد الخطأ قتيل السوط والعصا
فيه مائة من الإبل وهذا عام سواء كان السوط والعصا صغيراً أو كبيراً وأجيب بأن العصا والسوط يجب حملهما على الخفيف ليتحقق معنى الخطأ فإن من ضرب رأس
إنسان بقطعة جبل ثم قال ما كنت أقصد قتله لم يعبأ بقوله. الثالثة قال أبو حنيفة القتل العمد لا يوجب الكفارة لأنه شرط في الإيجاب كون القتل خطأ
وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط وقال الشافعي يوجب لما روي عن واثلة بن الأسقع قال أتينا رسول الله ﷺ في صاحب لنا أوجب النار بالقتل
فقال أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار وأيضاً نص الله تعالى على الكفارة في قتل الصيد عمداً في الحرم وفي الإحرام فأوجبها على الخاطئ
بالاتفاق فههنا نص على الخاطئ فإن يوجب على العامد كان أولى لأنه لما أخرج نفساً مؤمنة عن جملة الأحياء عمداً لزمه أن يدخل نفساً مثلها في جملة الأحرار
لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار كما أن الميت ممنوع من التصرف مطلقاً ولتحقق هذا المعنى أوجب أن يكون الرقبة
كاملة الرق وأن يكون سليمة عن عيب يخل بالعمل كهرم وعمى وجنون. الرابعة قال ابن عباس والحسن والنخعي والشعبي لا يجزئ في الرقبة إلا ما صام وصلى لأنه تعالى أوجب
تحرير الرقبة المؤمنة والإيمان إما التصديق وإما العمل وإما المجموع وعلى التقديرات فالكل فائت عن الصبي وقال الشافعي ومالك وأبو حنيفة والأوزاعي
يجزئ الصبي إذا كان أحد أبويه مسلماً لأن حكمه حكم المؤمن. الخامسة أنه تعالى أوجب الدية في القرآن ولم يبين كميتها وإنما عرفت من السنة عن عمرو بن حزم أن النبي ﷺ
كتب إلى أهل اليمن أن في النفس مائة من الإبل وهذه المائة إذا كان القتل خطأ مخمسة عشرون منها بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون
جذعة وعشرون حقة وبه قال مالك لما روي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قضى في دية الخطأ بمائة من الإبل وفصلها كما ذكرنا وأبدل أبو حنيفة وأحمد بني اللبون
بأبناء المخاض لأن هذا الأقل متفق عليه والزائد منفي بالبراءة الأصلية وقد عهدنا أبناء المخاض غير معتبرة في باب الزكاة فيحتمل أن لا يعتبر في الدية التي سببها
أقوى من السبب الموجب للزكاة واتفقوا على أن الدية في العمد المحض مغلظة ومن ذلك التثليث في الإبل وهو أن يكون ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون
خلفة في بطونها أولادها ومنه الحلول على قياس أبدال سائر المتلفات خلاف دية الخطأ فإنها مؤجلة الثلث في السنة الأولى والثلث الآخر في السنة
الثانية والباقي في السنة الثالثة استفاض ذلك من الخلفاء الراشدين لم ينكر عليهم أحد فكان إجماعاً ومنه أنها في ذمة الجاني لا تحملها العاقلة خلاف
دية الخطأ فإنها تكون على العاقلة لما روي أن امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرى بحجر وهي حبلى بعمود فسطاط فقتلتها فقضى رسول الله ﷺ بالدية
على عاقلة القاتلة وهذه صورة شبه العمد وأن تحمل في الخطأ أولى وجهات التحمل ثلاث القرابة والولاء وبيت المال والقرابة يعني بها العصبة الذين هم على
حاشية النسب هم الإخوة وبنوهم وقال أبو حنيفة ومالك يتحمل الآباء والبنون كغيرهم ويراعى الترتيب في العصبات فيقدم الأقرب فالأقرب فإن كان فيهم
وفاء إذا وزع عليهم لكثرتهم أو لقلة المال وإلا شاركهم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال أبو بكر الأصم وجمهور الخوارج الدية في الخطأ أيضاً يجب
على القاتل كما أن تحرير الرقبة يجب عليه ويؤيده عطف الدية في الآية على التحرير وأيضاً الجناية صدرت عنه فلا يعقل تغريم غيره كما في سائر الإتلافات
وتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد غير جائز وأجيب بإجماع الصحابة على ذلك. السادسة مذهب أكثر الفقهاء أن دية المرأة نصف دية الرجل بإجماع
الصحابة ولأن المرأة في الميراث وفي الشهادة نصف الرجل فكذلك في الدية وقال الأصم وابن علية إنها مثل دية الرجل لعموم قوله ومن قتل مؤمناً
السابعة إذا لم يوجد الإبل فالواجب عند الشافعي في الجديد الرجوع إلى قيمة الإبل بالغاً ما بلغت وإنما يقوم بغالب نقد البلد لما روي أن النبي ﷺ كان
يقوم الإبل على أهل القرى فإذا غلت رفع قيمتها وإذا هانت نقص من قيمتها وقال أبو حنيفة الواجب ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وعند مالك
الدراهم اثنا عشر ألفاً. الثامنة لا فرق بين هذه الدية وبين سائر الأموال في أنه يقضى منها الدين وينفذ منها الوصية ويقسم الباقي بين الورثة على
فرائض الله لما روي أن امرأة جاءت في أيام عمر تطلب نصيبها من دية الزوج فقال عمر لا أعلم لك شيئاً إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فشهد بعض الصحابة
بأن رسول الله ﷺ أمر أن يورث الزوجة من دية زوجها فقضى عمر بذلك وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين
ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وهذا خلاف الجماعة. واعلم أن الله تعالى ذكر في هذه الآيات ﴿من قتل مؤمناً خطأ﴾ فعليه تحرير الرقبة وتسليم
الدية ثم قال ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ وسكت عن الدية فالسكوت عن إيجاب الدية في هذه الصورة مع ذكرها فيما قبلها
وفيما بعدها وهو قوله ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ يدل على عدم وجوب الدية ههنا ثم المعني بقوله

من قوم عدو لكم



﴿من قوم عدو لكم﴾ إما أن يكون أن هذا المقتول من سكان دار الحرب أو أنه ذهب إليهم مع أنه في دار الإسلام والثاني باطل بالإجماع لأن قتل هذا المسلم يو
جب الدية فتعين الأول وإنما سقطت الدية لأن إيجاب الدية في قتل المسلم الساكن في دار الحرب يحوج إلى أن يبحث الغازي عن كل شخص من أشخاص
سكان دار الحرب هل هو من المسلمين أم لا وذلك يوجب المشقة والنفرة عن الجهاد على أنه هو الذي أهدر دم نفسه بسبب اختياره السكنى فيهم وأما
الكفارة فإنها حق الله تعالى لأنه أهلك شخصاً مواظباً على طاعته فيلزمه أن يقيم شخصاً آخر مقامه يمكنه المواظبة عليها وأما قوله ﴿وإن كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق﴾ ففيه قولان أحدهما أن المراد منه الذمي نقل عن ابن عباس هم أهل الذمة من أهل الكتاب وعن الحسن هم المعاهدون من الكفار والتقدير أن
كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق أي عهد على دينهم ومذهبهم وثانيهما أن المراد المسلم عطف على قوله فإن كان من قوم عدو لكم والضمير فيه
عائد إلى ما تقدم وهو المؤمن فكذا ههنا واعترض عليه بأنه يلزم عطف الشيء على نفسه لأن المؤمن المقتول خطأ سواء كان من أهل الحرب أو من
أهل الذمة داخل تحت قوله ﴿ومن قتل مؤمناً خطأ﴾ إلا أنه أفرد المؤمن الساكن في دار الحرب لأن من حكمه سقوط ديته وههنا لا غرض في الإفراد
تكراراً محضاً وأيضاً لو كان المراد ذلك لما كانت الدية مسلمة إلى أهله لأن أهله كفار لا يرثونه ولكان كونه منهم مبهماً مجملاً لأنه لا بد أنه منهم
في أي أمر من الأمور بخلاف ما لو حمل كونه منهم على الوصف الذي وقع التنصيص عليه وهو حصول الميثاق بينهما وأجيب بأنه لما أفرد حكم المؤمن
المقتول في دار الحرب للغرض الذي ذكره ثم أعاد ذكر المؤمن المقتول فيما بين المعاهدين منصوصاً على الفرق بينه وبين ما قبله وتنبيهاً على التسوية
بينه وبين المسلم المقتول في دار الإسلام وأما أهله فهم المسلمون الذين يصرف ديته إليهم وأما الإبهام فيزول إذا جعل من بمعنى في كما في الآية
المتقدمة عليه وههنا مسألة خلافية شرعية هي أن أبا حنيفة قال دية الذمي مثل دية المسلم لقوله تعالى وإن كان أي المقتول من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية وقال الشافعي دية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم ودية المجوسي ثلثا خمسها هكذا روي من قضاء الصحابة ولا يخفى أن استدلال أبي حنيفة
لا يتم على الثاني من قولي المفسرين في الآية وعلى القول الأول أيضاً لا يجوز أن يكون المراد بالدية الثانية مقداراً مغايراً للأول وههنا سؤال
وهو أنه لم قدم تحرير الرقبة على الدية في الآية الأولى وفي الأخيرة عكس الترتيب ويمكن أن يقال الفائدة فيه أن يعلم أنه لا ترتيب بين التحرير والدية بل يقع الافتتاح
والاختتام بحق الله تعالى ويترتب على التحرير قوله ﴿فمن لم يجد﴾ أي رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها فعليه صيام شهرين متتابعين حتى يعتبر
الإعسار المجوز للعدول إلى الصوم الأصح عند الشافعي وقت الأداء وعند بعضهم وقت الوجوب أما الشهران فهما هلاليان إن ابتدأ في أول الهلال
وفي خلال الشهر تمم المنكسر ثلاثين والمراد بالتتابع أن لا يفطر يوماً منها فلو أفطر ولو بالمرض وجب الاستئناف إلا أن يكون الفطر بحيض أو نفاس وعن مسروق
أن الصوم بدل من مجموع الرقبة والدية ﴿توبة من الله﴾ أي شرع ذلكم ما شرع توبة من الله ورحمة منه من تاب الله عليه إذا قبل توبته ومعنى التوبة عن الخطأ أنه
لا يخلو من ترك احتياط ومن تلهف وأسف على ما فرط منه ويجوز أن يكون المعنى نقلكم من الرقبة إلى الصوم توبة منه أي تخفيفاً منه لأن التخفيف من لوازم
التوبة ﴿وكان الله عليماً﴾ بأنه لم يقصد ولم يتعمد ﴿حكيماً﴾ حكم بالعقل لا يؤاخذ الإنسان إلا بالاختيار ولا يتعمده عند المعتزلة معنى الحكيم أن أفعاله واقعة
على قانون الحكمة ومقتضى العدالة. ثم لما ذكر حكم القتل الخطأ أردفه ببيان حكم القتل العمد وله أحكام وجوب الدية والكفارة عند غير أبي حنيفة
وما له القصاص كما مر في البقرة فلا جرم اقتصر ههنا على بيان ما فيه من الإثم والوعيد ولا يخفى ما في الآية من أنواع التهديد فلا جرم تمسك أهل الوعيد
بها في القطع بخلود الفاسق في النار وأجيب بوجهين الأول إجماع المفسرين على أنها نزلت في كافر قتل مؤمناً روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس
أن مقيس بن صبابة وجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار وكان مسلماً فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فأرسل رسول الله ﷺ معه رسولاً من بني فهر وقال له ائت
بني النجار فأقرئهم السلام وقل لهم إن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن صبابة أن تدفعوه إلى أخيه فيقتص منه وإن لم تعلموا له قاتلاً
أن تدفعوا إليه ديته فأبلغهم الفهري ذلك عن النبي ﷺ فقالوا سمعاً وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلاً ولكنا نؤدي إليه ديته فأعطوه مائة
من الإبل ثم انصرفا راجعين إلى المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فأتى الشيطان مقيساً فوسوس إليه فقال أي شيء صنعت تقبل دية أخيك فيكون عليك
مسبة اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ رأسه ثم ركب بعيراً منها وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً وجعل
يقول في شعره: قتلت به فهراً وحملت عقله سراة بني النجار أرباب فارع وأدركت ثأري واضطجعت موسداً وكنت إلى الأوثان أول راجع. فنزلت الآية فيه
﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ ثم أهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة فأدركه الناس بالسوق فقتلوه. الوجه الثاني أنه يجوز عندنا أن يخلف الله وعيد المؤمنين فإن
خلف الوعيد كرم. وضعف الوجه الأول بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبأن ما قبل الآية وما بعدها في نهي المؤمن عن قتل المؤمن فكذا هذه
الآية وبأن ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فيجب أن يكون الموجب لهذا الوعيد هو مجرد القتل العمد وبأن الكفر بالاستقلال مستوجب
لهذا الوعيد فأي فائدة في ضم القتل إليه إذ لا أثر للقتل في هذه الصورة فيكون الكلام جارياً مجرى قول القائل إن من تنفس فجزاؤه جهنم وضعف
الوجه الثاني بأن الوعيد قسم من أقسام الخبر وإذا جاز الكذب فيه لغرض إظهار الكرم فلم لا يجوز في القصص والأخبار ولغير ذلك لغرض المصلحة وفتح هذا
الباب يفضي إلى الطعن في الشرائع. قال بعض العقلاء الآية تدل على أن جزاء القتل العمد هو ما ذكر وقد يقول الرجل لعبده جزاؤك أن أفعل بك كذا إلا أني
لا أفعله ولا يخفى ضعف هذا الجواب أيضاً لأنه كسائر الآيات كقوله ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ على أنه موصل الجزاء إلى المجزي
البتة لأن قوله ﴿وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ صريح في أنه تعالى سيفعل به ذلك لا سيما وقد أخبر عنه بلفظ الماضي ليعلم أنه كالواقع

ولتاكد هذه المعاني نقل عن ابن عباس ان توبة من اقدم على القتل العمد العدوان غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وحمله
الجمهور على التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة حتى الشرك هذا عند المعتزلة وعند الاشاعرة كل الذنوب محتمل للعفو الا الشرك لقوله
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم بالغ في تحريم قتل المؤمن فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا التفعل ههنا بمعنى الاستفعال
اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تهجموا فيه من غير روية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام وهو السلم بمعنى الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التحية
يعني سلام اهل الاسلام قال السدي بعث رسول الله ص اسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان يقول
لا اله الا الله محمد رسول الله ولم يهرب ثقة باسلامه فقتله اسامة واستاق غنمه فلما قدم على رسول الله ص اخبره فقال قتلته رجلا يقول لا اله الا الله
فقال يا رسول الله انما تعوذ من القتل فقال كيف انت اذا خاصمك يوم القيامة بلا اله الا الله قال فما زال يرددها علي قتلت رجلا وهو يقول لا اله الا الله
حتى تمنيت لو ان اسلامي كان يومئذ فنزلت الاية وقد روى الكلبي وقتادة مثل ذلك وقال الحسن ان اصحاب النبي ص خرجوا يطوفون فلقوا المشركين فهزموهم
فشذ منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين واراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال اني مسلم فكذبه ثم اوجره السنان فقتله واخذ متاعه وكان قليلا فرفع ذلك
الى النبي ص فقال قتلته بعد ما زعم انه مسلم قال يا رسول الله انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه قال لم قال لتنظر اصادق هو ام كاذب قال وكنت
اعلم ذلك يا رسول الله قال ويلك انك لم تكن تعلم ذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن فاصبح وقد وضع الى جنب قبره قال ثم
عادوا فحفروا له فامكنوا ودفنوه فاصبح وقد وضع الى جنب قبره مرتين او ثلاثا فلما راوا ان الارض لا تقبله القوه في بعض الشعاب قال الحسن ان الارض تجن
من هو شر منه ولكن وعظ القوم ان لا يعودوا وعن سعيد بن جبير قال خرج المقداد بن الاسود في سرية فمروا برجل في غنيمة له فارادوا قتله فقال لا اله الا الله
فقتله المقداد فقيل له اقتلته وقد قال لا اله الا الله فقال ود لو فر باهله وماله فلما قدموا على رسول الله ص ذكروا ذلك له فنزلت قال القفال ولا منافاة
بين هذه الروايات فلعلها نزلت عند وقوعها باسرها فكان كل فريق يظن انها نزلت في واقعته وعن ابي عبيدة قال قال رسول الله ص اذا اشرع احدكم الرمح
الى الرجل فان كان سنانه عند نقرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء توبة الزنديق مقبولة لاطلاق هذه الاية وقال ابو حنيفة
اسلام الصبي يصح لاطلاق الاية وقال الشافعي لا يصح والا لوجب عليه لانه لو لم يجب لكان ذلك اذنا في الكفر وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله
رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي والنصراني انا مؤمن او مسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد ان الايمان والاسلام
هو دينه ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فلا يحصل الجزم باسلامه لان منهم من يقول انه رسول العرب وحدهم ومنهم من يقول ان محمدا الذي هو
الرسول الحق المنتظر بعد فلا بد ان يعترف بان الدين الذي كان عليه باطل وان الدين الذي هو موجود فيما بين المسلمين
حق تبتغون عرض الحيوة الدنيا قال ابو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء يقال ان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر يسمى عرضا لانه عارض
زايل غير باق ومنه العرض المقابل للجوهر لقلة ثباته كما قيل العرض لا يبقى زمانين فعند الله مغانم كثيرة تغنمونها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام
ويتعوذ به لتاخذوا ماله وقيل هي ما اعد لعباده من حسن الثواب في الاخرة كذلك كنتم من قبل اختلفوا في وجه التشبيه فقال الاكثرون بدا لكم اول ما دخلتم
في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار
بالايمان وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام ما فعل بكم واعترض بان لهم ان يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمان هؤلاء لانا
امنا بالاختيار وهؤلاء اظهروا الايمان تحت ظلال السيوف فكيف يمكن تشبيه احدهما بالاخر وعن سعيد بن جبير المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم
كما اخفى ايمانه هذا الراعي عن قومه فمن الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم واورد عليه ان اخفاء الايمان ما كان عاما فيهم وفي التفسير الكبير المراد انكم
في اول الامر انما حدث فيكم ميل ضعيف باسباب ضعيفة الى الاسلام فمن الله عليكم بتقوية ذلك الميل وتزايد نور الايمان فكذا هؤلاء انما حدث لهم ميل
ضعيف الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم ايمانهم الى ان يتكامل فيهم وقيل ان قوله فمن الله عليكم منقطع عما تقدم وذلك ان القوم لما قتلوا من
تكلم بلا اله الا الله ذكر ان الله من عليكم بان قبل توبتكم عن ذلك الفعل المنكر ثم اعاد الامر بالتبيين مبالغة في التحذير ثم حذر عن الاضمار خلاف الاظهار
فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا وفيه من الوعيد ما فيه لما عاتبهم الله على ما صدر منهم وبكتهم كان مظنة ان يقع في قلبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد
فذكر من فضل الجهاد ما يزيح عللهم ويزيد رغبتهم ويقوي اماناتهم فيعلموا ان الجهاد ... ليبلغوا في الاحتراز عما يوجب خللا في هذا المنصب الجليل فقال
لا يستوي القاعدون عن زيد بن ثابت قال كنت عند النبي ص حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر
اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر قال زيد فتغشى النبي ص في مجلسه الوحي فاتكا على فخذي فوالذي نفسي بيده لقد ثقل علي حتى خشيت
ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون فكتبتها رواه البخاري المراد بالضرر النقصان سواء كان
في البنية كعمى وعرج ومرض او بسبب عدم الاهبة من قرا غير بالنصب فعلى الاستثناء من القاعدين او على الحال عنهم ومن قرا بالرفع فعلى انه صفة للقاعدين
ويجوز ان يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في تفسير غير المغضوب عليهم وقرئ بالجر على انه صفة المؤمنين قال الزجاج ويجوز ان يكون رفعا على جهة الاستثناء
والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولو الضرر فانهم يساوون المجاهدين بدليل قوله ص عند انصرافه من بعض غزواته لقد خلفتم بالمدينة اقواما
ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم اولئك اقوام حبسهم العذر وفي خبر اذا مرض العبد قال الله اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة الى ان يبرا

ويعلم منه



ويعلم منه ان صحة النية وخلوص الطوية لها مدخل عظيم في قبول الاعمال ذكروا في معنى قوله نية المؤمن ابلغ من عمله ان ما ينويه المؤمن ابلغ من عمله لان نية المؤمن
ان لو دام على الايمان والاعمال الصالحة لو بقي ابدا خير من عمله الذي ادركه في مدة حياته ثم انه قدم ذكر النفس على المال في قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم وههنا اخر لان النفس اشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على ان الرغبة فيها اشد والبائع اخر تنبيها على ان المماكسة فيها
اشد فلا يرضى ببذلها الا في اخر الامر وفائدة نفي الاستواء ومعلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان تذكير ما بينهما من التفاوت ليهتز القاعد
للجهاد ويترفع بنفسه عن انحطاط مرتبة المجاهد كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه عن صغر الجهل الى شرف العلم ثم ان
عدم الاستواء يحتمل الزيادة والنقصان فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك وانتصب درجة على المصدر لان الدرجة
تدل على التفضيل وقيل حالا اي ذوي درجة وقيل بنزع الخافض اي بدرجة وقيل على الظرف اي في درجة وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة قال الفقهاء فيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين لم يكن القاعد اهلا للوعد وانتصب اجرا بفضل
لان التفضيل يدل على الاجر وههنا سؤال وهو انه ذكر اولا درجة وثانيا درجات واجيب بان اللام في قوله اولا على القاعدين للعهد والمراد بهم اولو الضرر
وقوله ثانيا على القاعدين للاصحاء الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المراد بالدرجة جنسها الذي يشمل الكثير بالنوع
وهي الدرجات الرفيعة والمنازل الشريفة والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالدرجة الغنيمة في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول المجاهد
الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالنفس والمال وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدلت الشيعة ههنا بان عليا
افضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهد وهم بالاضافة اليه قاعدون بما اشتهر من وقائعه وشجاعته وحماسته واجاب اهل السنة بان مجاهدة
ابي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر حين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا واما جهاد علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان الاسلام
في ذلك الوقت قويا والحق ان الاية لا تدل الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين واما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا قالت المعتزلة ههنا قد
من الاية ان التفاوت في الفضل بحسب التفاوت في العمل فعلة الثواب هو العمل ولهذا سمي اجرا واجيب بان العمل علة الثواب لكن لانه جعل الشارع ذلك
العمل موجبا له قالت الشافعية الاشتغال بالنوافل افضل من الاشتغال بالنكاح لان قوله فضل الله المجاهدين عام يشمل الجهاد الواجب والمندوب
وهو الزائد على قدر الكفاية والمشتغل بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهدين اتبعه عقاب القاعدين الراضين بالسكون في دار الكفر فقال ان الذين توفاهم
وانه يحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا ومضوا عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من المسلمين بمكة فخرجوا في قوم من المشركين
الى قتال فقتلوا معهم فنزلت الاية ويحتمل ان يكون مستقبلا بحذف احدى التائين فيكون الوعيد عاما في كل من كان بهذه الصفة قال الجمهور معنى توفاهم
تقبض ارواحهم عند الموت ولا منافاة بينه وبين قوله الله يتوفى الانفس قل يتوفاكم ملك الموت لانه تعالى هو المتوفي والفاعل لكل الاشياء بالحقيقة
الا ان الرئيس المفوض اليه هذا العمل ملك الموت وسائر الملائكة اعوانه وعن الحسن توفاهم الملائكة اي يحشرونهم الى النار واما قوله ظالمي انفسهم فنصب
على الحال عن مفعول يتوفى والاضافة فيه لفظية ولذا لم تفد تعريفا فصح وقوعه حالا والظلم قد يراد به الشرك ان الشرك لظلم عظيم فالمراد انهم ظالمون انفسهم بنفاقهم
وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به المعصية فمنهم ظالم لنفسه فالمراد الذين اسلموا في دار الكفر وبقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت الهجرة فريضة وفي خبر ان
الاول قالوا فيم كنتم والعائد محذوف للدلالة اي قالوا لهم الثاني ان اولئك يكون قالوا حالا من الملائكة بتقدير قد والثالث ان الخبر محذوف وهو فهلكوا ثم فسر الهلاك
بقوله قالوا فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم والمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضى بالسكون في دار الكفر وهو بالحقيقة النعي عليهم بانهم ليسوا من الدين في شيء ولهذا
لم يجيبوا بقولهم كنا في كذا او لم نكن في شيء بل اجابوا بقولهم كنا مستضعفين اعتذارا بما وبخوا به واعتلالا بانهم ما كانوا قادرين على المهاجرة من ارض مكة حتى يكونوا
في شيء ثم ان الملائكة لم يقبلوا منهم هذا العذر فبكتوهم قائلين الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي
لا تمنعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قيل لم عد الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد
ومن حق الاستثناء ان يدخل فيه المستثنى لولا استثناؤه ولا يدخل الولدان في اصحاب الوعيد لانهم ليسوا من اهل التكليف واجيب بان المراد بالولدان العبيد والاماء البالغون او
المراد المراهقون الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله سلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في سقوط الوعيد هو
العجز وانه حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم بهذا الوجه وقوله لا يستطيعون قيل في موضع الحال والاصح انه صفة للمستضعفين وانما جاز ذلك والجملة نكرة لان
المعرف تعريف الجنس قريب من المنكر والمعنى ان العاجزين هم الذين لا يقدرون على حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض او كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم عن المهاجرة ومعنى
لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق ولا يجدون من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع تنبيها على ان ترك الهجرة
امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر من حقه ان يعفو الله عنه بل يكون من العفو على ظن وحسبان لا على جزم وايقان فربما ظن الانسان بنفسه انه عاجز ولا يكون
في الواقع كذلك لا سيما والقلب مع المال والولد والفراق عن الاوطان شاق فلعل حب الوطن يحمله على ادعاء العجز بسببه مع قيام هذا الاحتمال لا يحصل الجزم
بالعفو هذا من جانب العبد واما من جانب الرب فمعنى الاطماع واطماع الكريم ايجاب فالجزم بالعفو حاصل الا انه علق لفظ العفو لانه لا يتقرر الا مع الذنب لا مع
العجز وجوابه ان يخرج مما قلنا وكان الله عفوا غفورا قال الزجاج اي كان في الازل موصوفا بهذه الصفة او انه مع جميع العباد بهذه الصفة اي انه عادة اجراها
في حق غيره وانه لو قال انه عفو غفور كان اخبارا عن كونه كذلك وحيث قال كان دل على انه اخبار وقع مخبره على وفقه فكان ادل على كونه حقا وصدقا فالله

لا تشاغله عن العفو والمغفرة فلم عبر بعبد بحال التوبة فدل على ان العفو مرجو من غير التوبة قال ابن عباس في رواية عطاء كان عبد الرحمن بن عوف يخبر اهل مكة
بما ينزل فيهم من القرآن فكتب اليهم الاية ان الذين توفيهم الملائكة الاية فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لا اهتدى الى الطريق فحمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايعك به رسول الله صلعم ومات حميدا فبلغ خبره اصحاب النبي فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم اجرا فانزل الله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
اى مذهبا ومهربا ومضطربا قاله الفراء وفي الكشاف راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك واصله من الرغام وهو التراب فانهم يقولون
رغم انفه يريدون انه وصل اليه شيء يكرهه وذلك لان الانف عضو في غاية العزة والتراب في غاية الذلة ويمكن ان يقال ان من هاجر من اهل بلدته فاذا استقام امره في بلدة
اخرى وعلمت اهل بلدته بسبب سوء معاملتهم معه اعلم انه سبحانه لما رغب في الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمنع الانسان عن هجرة الوطن وبين الجواب عنه فالمانع
امران الاول ان يكون له في وطنه نوع رفاهية وراحة فيخاف زوال ذلك عنه فاجاب الله تعالى عنه بقوله ومن يهاجر كانه قيل للمكلف ان كنت تكره الهجرة من وطنك
خوفا من ان تقع في المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فان الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب السنية في مهاجرك ما يكون سببا لرغم انوف اعدائك
ويصير سببا لسعة عيشك وانما قدم في الاية ذكر رغم الاعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج المهاجر بدولته من حيث انها سبب رغم انوف الاعداء اشد من
ابتهاجه بها من حيث انها سبب سعة رزقه وعيشه المانع الثاني ان الانسان يقول ان خرجت من بيتي في طلب العمل والجهاد والمهاجرة الى الله ورسوله فربما
كل غرض ديني من طلب علم وحج او فرار الى بلدة يزداد فيها طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا وابتغاء رزق طيب فهو هجرة وصلت اليه وربما لم اصل اليه فالاولى
ان لا يضيع الرفاهية الحاضرة لطلب شيء مظنون فاجاب الله سبحانه عنه بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
قال بعضهم يثبت له اجر قصده واجر القدر الذي اتى به من ذلك العمل واما اجر تمام العمل فمحال والصحيح ان المراد من قصد طاعة ثم عجز عن اتمامها فان له ثواب تمام تلك
الطاعة كما روي عن رسول الله صلعم ان المريض اذا عجز عما كان يفعله من الطاعة في حال الصحة كتب له ثواب مثل ذلك الى ان يبرأ وايضا من المعلوم ان كل من اتى
بعمل فانه يجد الثواب المرتب على ذلك القدر فلا يبقى في الاية فائدة الترغيب الا ان لا يكون الاجر جوابا عن قول الصحابة في جندب لو وافى المدينة لكان اتم اجرا قالت
المعتزلة في الاية دليل على ان العمل يوجب الثواب على الله لان الوقوع والوجوب السقوط قال تعالى فاذا وجبت جنوبها اى وقعت وسقطت ولفظ الاجر وكلمة على يدلان على
ما قلنا واجيب بانا لا ننازع في ان الثواب يقع البتة لكن بحكم الوعد والعلم والتفضل والكرم واستدل بعض الفقهاء بالاية على ان الغازي اذا مات في الطريق وجب
سهمه في الغنيمة كما وجب اجره ورد بان اسم الغنيمة يتوقف على حيازتها بخلاف الاجر وكان الله غفورا رحيما يغفر ما كان منه من القعود الى ان خرج ويرحمه باكمال
اجر المجاهدين ومما يفتقر المجاهد اليه معرفة كيفية اداء الصلوة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلوة يقال قصر صلوته واقصرها وقصرها بمعنى ولفظ القصر مشعر بالتخفيف لانه ليس صريحا في ان التخفيف في كمية الركعات او كيفية
ادائها والجمهور على ان المراد القصر في العدد وهو ان كل صلوة تكون في الحضر اربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء فانها تصير في السفر ركعتين ويبقى المغرب
والصبح بحالهما وعن ابن عباس فرض الله صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم وعنه ايضا ان المراد التخفيف في كيفية
الاداء كان يؤتى بها عند شدة التحام القتال من الصلوة مع تلطخ الثوب بالدم ومع الايماء مقام الركوع والسجود ويؤكد هذا الرأي قوله ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا فان خوف فتنة العدو لا يزول فيما يؤتى به ركعتين على تمام اوصافهما وانما التجوز والتخفيف حجة الجمهور ما روي عن يعلى بن امية انه قال لعمر بن
الخطاب كيف نقصر وقد امنا وقال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت النبي صلعم فقال صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على انهم فهموا من القصر التخفيف في اعداد الركعات وفي حديث ذي اليدين اقصرت الصلوة
ام نسيت وايضا القصر بمعنى تغيير هيئة الصلوة يجيء بعد ذلك فحمل الكلام على ما لا يلزم منه التكرار اولى واما تقييد القصر بحالة الخوف فلان الاية نزلت على غالب
اسفار النبي صلعم واكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يمكن الاستدلال بمفهومها على عدم جواز القصر في حالة الامن ولا في حالة الخوف بسبب اخر على ان كل
محنة وبلية وشدة فهي فتنة ثم ان الشافعي قال القصر رخصة كسائر رخص السفر فان شاء اتم وان شاء قصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب
ولما روي عن عائشة قالت اعتمرت مع رسول الله صلعم من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال
احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابة عليه قال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد في الثنتين
فسدت صلوته لما روي عن ابن عباس قال كان النبي صلعم اذا خرج مسافرا صلى ركعتين لقوله صلعم فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب وعن عائشة اول ما فرضت
الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر قال صاحب الكشاف فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا
الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه واجيب بان هذا الاحتمال انما
يخطر ببالهم اذا قال الشارع لهم رخصت لكم في هذا القصر اما اذا قال اوجبت عليكم هذا القصر وحرمت عليكم الاتمام وجعلته مفسدا للصلوة بكم فلا يخطر هذا
الاحتمال ببال عاقل وحديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز وخبر عائشة لا يعاضد الاية لان تقرير الصلوة
على ركعتين لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض الظاهريين زعموا ان قليل السفر وكثيره سواء في القصر لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقهاء على
ان السفر المرخص مقدر بمقدار مخصوص فعن الاوزاعي والزهري ويروى عن عمر ان القصر في يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر وقال





انس بن مالك المعتبر خمسة فراسخ وقال الحسن مسيرة ليلتين وقال الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير من الكوفة الى المدائن وهو ثلاثة ايام وهو قول ابي حنيفة فبناء على
ان جواز المسح للمسافر ثلاثة ايام واما اصحاب الشافعي فانهم عولوا على ما روى مجاهد وعطاء بن ابي رباح عن ابن عباس ان النبي صلعم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة
برد من مكة الى عسفان والمراد بالبرد اربعة فراسخ كل فرسخ ثلاثة اميال بالاميال الهاشمية وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر
الف قدم وهي اربعة الاف خطوة فان كل ثلاثة اقدام خطوة قالت الفقهاء فاختلاف الناس في هذه الاقوال يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير منوط
بمطلق السفر وقال اهل الظاهر اضطراب السلف في هذه الاقاويل يدل على انهم لم يجدوا في المسئلة دليلا قويا فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ان الكافرين كانوا لكم
عدوا مبينا بيان العداوة الحاصلة بينكم وبينهم قديما فكونوا على حذر منهم التاويل بين المؤمن الروح ان يقصد قتل مؤمن القلب الا ان يكون قتل خطاء لان
الروح اذا خلص عن حجب ظلمات الصفات البشرية يتجلى الروح للقلب فيتنور بانوار الروحانية ثم ينعكس انوار الروح عن مرآة القلب الى النفس الامارة
فتموت عن صفاتها الذميمة الظلمانية وتحيى بالصفات الحميدة الروحانية وتطمئن الى ذكر الله كاطمينان القلب فيه في بعض الاحوال يتأيد الروح بواردات
روح قدسي رباني ويتجلى في تلك الحالة الروح للقلب فيخر موسى القلب صعقا من سطوة تجلي الروح القدسي الرباني ويجعل جبل النفس دكا وكان قتله
خطأ لانه ما كان مقصودا بالقتل في هذا التجلي وكان القصد تنويره وتصفيته وقتل النفس الكافرة ومن قتل مؤمنا اى قلبا مؤمنا فتحرير رقبة مؤمنة وهي رقبة
السر محررة عن رق المخلوقات ودية مسلمة الى اهله يعني يسلم العاقلة وهو الله تعالى دية القلب الى اهل القلب وهم الاوصاف الحميدة الروحانية من جملة الالطاف
الخفية الاوصاف بها اخلاقا ربانية الا ان يصدقوا الاوصاف بهذه الدية على ساكني اوصاف النفس الحيوانية والشيطانية فان كان القتيل بالتجلي
من قوم عدو لكم اى من صفات النفس وهو مؤمن اذ هذه الصفة قد امنت بانوار الروح القدسي دون اخواتها من الصفات فتحرير رقبة مؤمنة وهي
رقبة القلب بصيرها محررة عن رق حب الدنيا ولا دية لاهل القتيل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهم صفات النفس وميثاقها قبول احكام الشرع
ظاهرا وترك المخالفة مع القلب واوصافه فدية مسلمة على عاقلة الرحمة الى اهل تلك الصفة المقتولة وهم بقية صفات النفس كما قال الا ما رحم ربي وتحرير
رقبة الروح بصيرها محررة عن رق الكونين فمن لم يجد رقبة مؤمنة من الروح والقلب والسر للتحرير بان يكون رقابهم قد حررت عن رق ما سوى الله فصيام
شهرين متتابعين اى غلبة الامساك عن مشارب العالمين على التتابع والدوام مرابطا لله لا يدخله شيء من الدنيا والاخرة مراعيا فيه للواقع بالاخرة
من المشارب كلها امساك الصوم ولا يفطر بشيء دون لقاء الله ثم قال قائلهم لقد صام طرفي عن مشهود سواكم وحق له لما اعزه توا كم بعيد يوم حين سند
فهلا لهم وبندوا اهلا للصبحين توبة من الله جذبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا اى النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا بالعداوة الاصلية
بينهما في حيوة احدهما موت الاخر فجزاؤه جهنم وهي سفل عالم الطبيعة اذا ضربتم في سبيل الله بقدم السلوك حتى صار الايمان ايقانا والايقان
احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا مقام الشيوخ فتبينوا من حال المريد في الرد والقبول
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا ولا تنفروه بالتشديدات والتصرف في النفس والمال تبتغون عرض الحيوة الدنيا اى تهمون لاجل دنيا فان الضعيف
اذا ابتر تنفر كذلك كنتم ضعفاء في الصدق والطلب محتاجين الى الصحبة في مبدأ الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشائخ وتبوا لهم اياكم ان الذين توفيهم الملائكة
هم العوام الذين ظلموا انفسهم بتدسيتها فيم كنتم اى في غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعدادكم الفطري في اى واد من اودية الهوى تهيمون وفي
اى روضة من رياض الدنيا ترتعون اكنتم تؤثرون الفاني على الباقي وتشترون التراب بالطهور قالوا كنا مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامارة وغلبة
الهوى الم تكن ارض الله اى ارض القلب واسعة فتهاجروا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لا يستطيعون حيلة في الخروج عن الدنيا لكثرة
العيال وضعف الحال ولا يهتدون سبيلا الى مناهج الاخرة وهؤلاء مستضعفون هم الخواص المتقيدون واما خواص الخواص وهم السابقون فهم
المجاهدون الجهاد الاكبر وقد مر ومن يهاجر عن بلد البشرية في طلب حضرة الربوبية يجد في ارض الانسانية مراغما كثيرا ومنازل مثل القلب والروح والسر
في تلك العوالم من رحمة الله ورحمتي وسعت كل شيء لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن فافهم بانصاف النظر كثير الفكر والله اجل واكبر

**وَاِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَاَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلٰوةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَاْخُذُوا اَسْلِحَتَهُمْ فَاِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا**
و چون باشی تو با ایشان پس بپای داری برای ایشان نماز را پس باید بایستد گروهی از ایشان با تو در نماز و باید که فرا گیرند اسلحهٔ خود را پس چون سجده کنند باید که باشند
**مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَاْتِ طَائِفَةٌ اُخْرٰى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَاْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَاَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**
از عقب شما و بیاید گروهی دیگر که نماز نگذارده اند پس نماز کنند با تو و فرا گیرند آلات حرب و اسلحهٔ خود را دوست دارند کافران
**لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ اَسْلِحَتِكُمْ وَاَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِنْ كَانَ بِكُمْ اَذًى مِنْ مَطَرٍ**
که بیخبر باشید شما از اسلحهٔ خودتان و امتعهٔ خود پس روآرند بر شما روآوردنی یکمرتبه و نیست باکی بر شما اگر بوده باشد بشما رنجی از باران
**اَوْ كُنْتُمْ مَرْضٰى اَنْ تَضَعُوا اَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ اَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا فَاِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلٰوةَ**
یا بوده باشید ناخوشان که بگذارید سلاحهای خود را و بگیرید حذر خود را بدرستیکه خدا مهیا کرده از برای کافران عذابی خوار کننده پس چون تمام کردید نماز را
**فَاذْكُرُوا اللّٰهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلٰى جُنُوبِكُمْ فَاِذَا اطْمَاْنَنْتُمْ فَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ اِنَّ الصَّلٰوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا**
پس یاد کنید خدا را در قیام و قعود و بر پهلوهای خود پس چون ایمن شدید پس برپا دارید نماز را [illegible]

مُوقُوتًا ‌ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

در زمان ‌ وسست مشوید در جستن ‌ قوم ‌ اگر رنجیده و دردمند کان پس ایشان هم درد دارند چنانچه شما درد دارید و امید دارید از خدا آنچه

يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ‌ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا

امید ندارند و هست خدا دانای محکم کار ‌ بدرستی که ما فرستادیم بسوی تو کتاب را براستی تا داوری کنی در میان مردمان بآنچه نمود ترا خدا و مباش

تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ‌ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ‌ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ

مر خیانت کنندگان را دشمن ‌ و طلب آمرزش کن از خدا ‌ بدرستی که خدا هست آمرزنده مهربان ‌ و خصومت مکن از آنها را که خیانت کنند نفسهای خود را

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ‌ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا

بدرستی که خدا دوست ندارد آنرا که خیانتکار گناهکار است ‌ پنهان دارند از مردمان و پنهان ندارند از خدا و حال آنکه او با ایشان است چون تدبیر کنند از آنکه

يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ‌ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ

خوش نیاید از گفتار و هست خدا بآنچه میکنند محیط. ‌ آگاه شما آنکسانید که خصومت کردید از ایشان در زندگانی دنیا پس هر که خصومت کند خدا را

عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ‌ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا

از ایشان در روز قیامت یا کیست بر ایشان کارگذار ‌ و هر که بکند بدی را یا ستم کند نفس خود را پس طلب مغفرت کند از خدا بیابد خدا را آمرزنده

رَحِيمًا ‌ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ‌ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا

مهربان ‌ و هر که کسب کند گناهی را پس جز این نیست که کسب کرده بر نفس خود و هست خدا دانای داور ‌ و هر که کسب کند گناهی را یا صغیره را

ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ‌ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ

پس نسبت دهد بآن بیگناه را پس بتحقیق متحمل شده است بهتان را و گناه ظاهر را ‌ و اگر نبودی زیادتی خدا بر شما و مهربانی او هر آینه قصد کردی گروهی

مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

از ایشان که گمراه کنند ترا و از راه نبرند بجز نفسهای خود را و ضرر نرسانند ترا هیچ چیز ‌ و فرو فرستاد خدا بر تو ‌ کتاب

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ‌ القراءة عن اسلحتكم وامتعتكم عباس بخلاف

و پیغمبری را ‌ و آموخت بتو آنچه را که نبودی دانای آن و هست فضل خدا ‌ بر تو ‌ بزرگ ‌ باختلاس اطمأننتم و بابه بغير همزة ابو عمرو ويزيد

والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يأبى بالتشديد يزيد والشموني وحمزة في الوقف لو وقف من ورائكم واسلحتهم لانقطاع النظم مع اتصال المعنى واحدة ط اسلحتكم ط حذركم ط مهينا ط وعلى جنوبكم ج للابتداء باذا الشرطية مع الفاء الصلوة لاحتمال فان ولا ان تكونوا القوم ج تألمون لاحتمال الواو الاستيناف او الحال ما لا يرجون ط حكيما ط ابلغ الله ط لان ما بعده استيناف خصيما لا للعطف واستغفر الله ط رحيما ج لانه مع العطف نفسهم ط اثيما لا ج لاحتمال الوصف القول ط محيطا ط وكيلا ط رحيما ط على نفسه ط حكيما ط مبينا ط يضلوك ط من شيء ط تعلم ط عظيما ه التفسير قال ابو يوسف والحسن بن زياد صلوة الخوف كانت خاصة للرسول ولا يجوز لغيره لقوله تعالى واذا كنت فيهم ولان تغيير هيئة الصلوة امر على خلاف الدليل جوزنا ذلك في حق النبي لفضيلة الصلوة خلفه فبقي لغيره على المنع وجمهور الفقهاء على انها عامة لان ائمة الامة بعده في كل عصر الا ترى ان قوله خذ من اموالهم صدقة لم يوجب كون الرسول مخصوصا به دون ائمة امته وذهب المزني الى نسخ صلوة الخوف محتجا بانه لم يصلها في حرب الخندق واجيب بان ذلك كان قبل نزول الآية عن ابن عياش الزرقي قال كنا مع رسول الله في غزاة فلقي المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله الظهر فرأوه يركع ويسجد هو واصحابه قال بعضهم لبعض كان هذا فرصة لكم لو اغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم فقال قائل منهم فان لهم صلوة اخرى هي احب اليهم من اهليهم واموالهم فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها فانزل الله عز وجل على نبيه واذا كنت فيهم الى آخر الآية اما شرح صلوة الخوف فهو ان الامام يجعل القوم طائفتين ويصلي بهم الا ثم ركعة اخرى ويسلم وهذا مذهب من يرى صلوة الخوف ركعة فللامام ركعتان وللقوم ركعة وهذا مروي عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وقال الحسن البصري ان الامام يصلي بتلك الطائفة ركعتين ويسلم ثم يذهب تلك الطائفة الاخرى الى وجه العدو وتأتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم مرة اخرى ركعتين كما فعل النبي ببطن النخل وليس في هذه الصلوة الا اقتداء مفترض بمتنفل لان الصلوة الثانية نافلة للامام لا محالة وفي جواز ذلك اختلاف بينا لعلماء وقال الشافعي ان كان العدو في جهة القبلة صلى الامام بجميع العسكر الى الاعتدال عن ركوع الركعة الاولى فاذا سجد سجد معه صف وحرسه صف فاذا قاموا سجد من حرس ولحق بهم حيث امكنهم واذا سجد الامام للركعة الثانية حرست فرقة اما الفرقة الحارسة في الركعة الاولى او الفرقة الاخرى وهذه اولى فاذا فرغ الامام من السجود سجدت الحارسة ولحقت بالامام في التشهد ليسلم بهم وليس في هذه الصلوة الا التخلف عن الامام بما كان لسجدتين وجلسة بينهما واحتمل لحاجة الخوف وظهور العذر وبمثله صلى رسول الله بعسفان واما ان لم يكن العدو في وجه القبلة او كانوا بحيث يمنعهم شيء من ابصار المسلمين صلى الامام في الثنائية كالصبح والرباعية المقصورة بكل فرقة ركعة وذلك ان ينحاز الامام بفرقة الى حيث لا يبلغهم سهام العدو





فيصلي بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفردوا واتموا وسلموا واخذوا مكان اخوانهم في الصف وجاء الصف المقاتل الى الامام وهو ينتظرهم في الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا واتموا الثانية ولحقوا به قبل السلام وسلم بهم وهذه صلوة ذات الرقاع رواه ابو داود والنسائي عن صالح بن خوات عن النبي وقال ابو حنيفة ويروى عن ابن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلي بهم الامام ركعة ويعودون الى وجه العدو وتأتي الطائفة الثانية فيصلي بهم بقية الصلوة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الاولى فيقضون بقية صلوتهم بغير قراءة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الثانية فيقضون بقية صلوتهم بالقراءة والفرق ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلوة فهم في حكم من خلف الامام واما الثانية فلم يدركوا اول الصلوة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في صلوته ولا خلاف في ان رسول الله صلى بهذه الصلوة في اوقات مختلفة بحسب المصالح وانما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان ايها الاشد موافقة لظاهر الآية فمنها الاقسام فقال الواحدي ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت عند اتيان الثانية كما هو مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالطائفة الثانية تأتي والاولى بعد في الصلوة وما فرغوا منها وايضا قوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلوة الطائفة الثانية مع الامام قال اصحاب ابي حنيفة فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على ان الطائفة الاولى لم يفرغوا من الصلوة ولكنهم يصلون ركعة ثم يكونون من وراء الطائفة الثانية للحراسة اجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود والكون من ورائكم لطائفة واحدة لكن السجود للاولى والكون من الوراء الذي بمعنى الحراسة للطائفة الثانية ومعنى سجدوا صلوا وحينئذ لا يبقى اشكال والآية الذي اختاره الشافعي احوط لامر الحرب فانها اخف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلوة اهون وليس فيها ما في غيرها من زيادة الذهاب والمجيء وكثرة الافعال والاستدبار وليس فيها الا الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامرين والانتظار للامام بالطائفة الثانية مرتين وان كانت الصلوة مغربا فيصلي بالاولى ركعتين وبالثانية ركعة ويجوز العكس وان كانت رباعية فيصلي بكل طائفة ركعتين ويجوز ان يفرقهم اربع فرق ان مست الحاجة اليه بان لا يكفي نصف المسلمين لعدوهم واعلم ان الصلوة على الوجه المشروع ليست بعزيمة بل لو صلى الامام بطائفة وامر غيره فيصلي بالاخرين او صلى بعضهم او كلهم منفردين جاز لكن كان اصحاب النبي لا يسمحون بترك فضيلة الجماعة ويتنافسون امرهم في الاقتداء به فامره الله بان يؤمهم هكذا ليحوزوا على الطائفتين فضيلة التكبير معه والاخرى فضيلة التسليم معه والخطاب في قوله واذا كنت للنبي اي اذا كنت ايها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم واقمت لهم الصلوة فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة منهم معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم فان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فالمراد ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ويحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط ثم قال للطائفة الثانية وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فجعل الحذر وهو التيقظ آلة يستعملها الغازي في شرح الجا لعن في الصلوة بان يجعل بعض فكره في غير الصلوة وامر هذه الطائفة باخذ الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قلما ينتبهون في اول الصلوة لكون المسلمين في الصلوة بل يظنوهم قياما للمحاربة واما في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من كونهم وسجودهم الا قليلين فربما ينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم كما ذكر في سبب النزول فلاجرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير مبيلة واحدة ثم رخص لهم في وضع السلاح اذا اصابهم بلل المطر فيسوء ويفسد حدته وجدته او يثقل على المرء اذا كان محشوا وحين كان الرجل مريضا يشق عليه حمل السلاح ولكن امر الامر باخذ الحذر لئلا يغفلوا عن كيد العدو لا يجوز بكل حال قال بعض العلماء اخذ السلاح في صلوة الخوف سنة مؤكدة والاصح انه واجب لظاهر الامر وللوجوب ولان رفع الجناح عند العذر يبنى عن وجود الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط ان لا يحمل سلاحا نجسا ان امكنه ولا يحمل الرمح الا في طرف الصف وبالجملة لا يتأذى به احد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للنبي ان يأتي بصلوة الخوف على جهة يكون بها حاذرا غير غافل عن كيد العدو فلا يكون شيء من الروايات الواردة بها على خلاف نص القرآن وكما ان الآية دلت على وجوب الحذر عن العدو كذلك يدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا قالت المعتزلة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك وعلى جميع وجوه الحذر لم يكن للامر بالحذر فائدة والجواب انا لا ننكر الاسباب لكنا ندعي انتهاء الكل الى مسببها ولهذا ختم الآية بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ليعلموا انه لا يتبعون على هذا الحذر كون الكفار مخذولين مقهورين وكان كالاخبار قوله فاذا قضيتم الصلوة بقية قولان الاول فاذا قضيتم صلوة الخوف فواظبوا على ذكر الله في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف والحرب جدير بذكر الله واظهار الخشوع والالتجاء اليه الثاني ان المراد بالذكر الصلوة اي صلوا اذا ما لمسايفة والقارعة قعودا وجاثين على الركب حال تشاغلكم بالرمي وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح واورد على هذا القول ان الذكر بمعنى الصلوة مجاز وان المعنى بصريح فاذا قضيتم الصلوة فصلوا وفيه بعد اللهم الا ان يقال المراد فاذا اردتم قضاء الصلوة في شدة الخوف القتال واعلم ان الآية مسبوقة بحكمين احدهما بيان القصر في صلوة المسافر والثاني بيان صلوة الخوف فقوله فاذا اطمأننتم يحتمل ان يراد به فاذا صرتم مقيمين فاقيموا الصلوة تامة من غير قصر البتة ويحتمل ان يراد فاذا زال الخوف وحصل سكون القلب فاتموا الصلوة التي كنتم تعرفونها من غير تغيير شيء من هيآتها ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبة موقتة محدودة باوقات لا يجوز اخراجها عنها ولو في شدة الخوف وفيه دليل للشافعي في ايجاب الصلوة على المحارب في حال المسايفة لا لاضطراب المعركة اذا حضر وقتها وعند ابي حنيفة هو معذور في تركها الى ان يطمئن وان قلت الصلوة الخمس مشهورة فقد يستدل عليها بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى يجب ان يكون مغايرة للصلوات لئلا يلزم التكرار ونهي دائما على الثلث ولو كان الواجب دون ذلك لم يوجد لها وسطى فاذا اقلها خمس وسوف يجيء بان اخرذ لك على الاوقات الخمس كقوله اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل اقم الصلوة

ليلول الشمس وسنشرحها ان شاء الله تعالى في مواضعها قال المحققون ان للانسان خمس مراتب سن النمو الى تمام سن الشباب ثم سن الوقوف وهو ان يبقى ذلك الشخص
على صفة كماله من غير زيادة ولا نقصان وسن الكهولة وتظهر فيها نقصان خفي في الانسان وسن الشيخوخة وتظهر فيها نقصانات جلية الى ان يموت ويهلك
واما المرتبة الخامسة فهي اخبار وانا ان الى ان يندرس وينطمس ويصير كان لم يكن وكذا الشمس اذا ظهر سلطانها من المشرق لا يزال يزداد ضياؤها الى الطلوع ثم لا
يزداد ارتفاعها شيئا بعد شيء الى ان يبلغ وسط السماء ثم تظهر فيها نقصانات خفية من الانحطاط وضعف النور والحرارة الى زمان العصر حين يصير ظل كل شيء
مثله ثم تظهر النقصانات الجلية الى ان يصير في زمان لطيف ظل كل شيء مثليه ثم ازداد الى ان تغرب ثم يبقى آثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم تمحي حتى كان الشمس
لم توجد قط فهذه الاحوال الخمس امور عجيبة لا يقدر عليها الا خالقها ولو جمع الاشياء وموافقة لاسنان الانسان فلهذا تعينت اوقاتها للعبادة ولما امر بالاقبال
على المعبود الحق جده ثم عاد الى الحث على الجهاد فقال ولا تهنوا في ابتغاء القوم لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بما يقلقهم ثم الزمهم
الحجة بقوله ان تكونوا تألمون والمعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم ولكم مع ذلك رجاء الثواب على الجهاد دونهم لانهم ينكرون المعاد فانتم اولى
اولى بالصبر على القتال والجد فيه منهم ويحتمل ان يراد بهذا الرجاء ما وعدهم الله من النصر والغلبة على سائر الاديان او يراد انكم تعبدون الاله العالم القادر
السميع البصير الذي يصح ان يرجى منه وانهم يعبدون الاصنام التي لا خير منها يرجى ولا شر منها يخشى ويروى ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا
وكان الله عليما حكيما لا يكلفهم الا ما فيه صلاح لكم في دينكم ودنياكم ثم رجع الى تتمة الكلام وهو حديث المنافقين ومن ان الاحكام المذكورة كلها بانزال
الله تعالى وليس للرسول ان يحيد عن شيء منها طلبا لرضا قوم ومنه ان كفر الكافر لا يبيح المساهلة في النظر له وان كان يجوز الجهاد معه بل الواجب ان يحكم له وعليه
بما انزل الله تعالى على رسوله قال اكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق احد بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان في جراب
فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند
طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها وما له بها من علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس
من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه في ذلك وسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وكان هواه معهم وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فانزل الله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الآيات الى قوله ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا وفي الآية دليل على ان طعمة وقومه كانوا منافقين والا لما طلبوا من الرسول نصرة الباطل والحاق السرقة باليهودي قال ابو علي قوله بما اراك الله
ليس منقولا بالهمزة من رؤية البصر لان حكم الحادثة لا يرى بالبصر ولا من رؤية القلب لانه يقتضي ثلاثة مفاعيل وليس في الآية الا اثنان احدهما الكاف والآخر الضمير العائد
المحذوف فهو اذن بمعنى الاعتقاد معناه بما علمك الله وسمى ذلك العلم بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور
وكان عمر يقول لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه واما رأي احدنا فظن وتكلف قال بعض العلماء في الآية دلالة على انه ما كان يحكم الا
بالوحي والنص وان الاجتهاد ما كان جائزا له ورد بانه يجوز ان يكون حال الامر كذلك لقوله بغير واجب العمل بالقياس عمل بالنص لانه قال انما اعمل على
ظنك ان حكم الصورة المسكوت عنها مثل حكم الصورة المنصوص عليها بسبب امر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفي في حقك ان تعمل بموجب ذلك الظن ولا
تكن للخائنين اي لاجلهم يعني بني ظفر خصيما مخاصما واصله من الخصم بالفتح والسكون وهو ناحية الشيء وطرفه وكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى
قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لولا ان الرسول اراد ان يخاصم لاجل الخائن ويذب عنه لما ورد النهي عنه ولما امر بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشيء
لا يقتضي كون المنهي مرتكبا للمنهي عنه بل ثبت في الروايات ان قوم طعمة لما التمسوا منه ان يذب عن طعمة ويلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي فلعله امر
بالاستغفار لانه مال طبعه الى نصرة طعمة بسبب انه كان في الظاهر من المسلمين وحسنات الابرار سيئات المقربين ولعل القوم شهدوا بسرقة اليهودي وبراءة
طعمة ولم يظهر للرسول ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودي فاطلعه الله تعالى على صدق الحال فعل المراد واستغفر لاولئك الذين يذبون
عن طعمة ثم قال ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني طعمة ومن عاونه من قومه ممن علموا كونه سارقا والاختيان كالخيانة يقال خانه واختانه وانما قال لخائن
خائن نفسه لانه يحرم نفسه الثواب ويوصلها الى العقاب ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع واثم في نسبته اليهودي
الى تلك السرقة وانما ورد البناء على المبالغة وهو لعموم لبني ابيرق ولطعمة وكل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه لان الله لا يحبه وايضا كان الله
عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ثم ذكر انه هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله ومن كانت تلك خاتمة امره
لا يشك في خيانته وقالت العلماء اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها
فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة وفي الآية دليل على ان من كان قليل الخيانة والاثم لم يكن في معرض السخط من الله يستخفون
يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه لان الاستخفاء لازم الاستحياء وهو معهم بالعلم والقدرة والرؤية
وكفى هذا زاجرا للانسان عن المعاصي اذ يبيتون يدبرون ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته والتبييت
التدبير هو معنى في النفس فهو ليس فيه اشكال عند القائلين بالكلام النفسي واما عند غيرهم فجاز ان يكون لعلهم اجتمعوا في الليل ورتبوا كيفية المكر ثم
الله تعالى كلامهم ذلك بالقول المبيت الذي لا يرضاه الله والمراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء
وهما مبتدأ وخبر وقوله جادلتم عنهم جملة موضحة للاولى كما يقال للسخي انت حاتم تجود بمالك والمراد انتم الذين جادلتم والخطاب لقوم مؤمنين كانوا





يذبون عن طعمة وقومه لانهم في الظاهر مسلمون والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن الذي يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه
ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا عن عذاب الله وهذا الاستفهام معطوف على الاول وكلاهما للانكار والتقريع ثم اردف الوعيد بذكر التوبة فقال
ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا بالسوء غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ما يختص وما يتعدى الى الغير باسم السوء لان
ايصال الضرر الى الغير سوء حاضر بخلاف الذي يعود وباله الى فاعله فان ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا لان الانسان لا يوصل الضرر الى نفسه قد يستدل
باطلاق الآية على ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب وان كان كفرا او قتلا عمدا او غصبا للاموال بل على ان مجرد الاستغفار كاف وعن بعضهم ان الاستغفار
لا ينفع مع الاصرار فلا بد من اقترانه بالتوبة يجد الله غفورا رحيما اي له فحذف هذا الرابط لدلالة الكلام عليه لانه لا يبقى للترغيب في الاستغفار الا اذا
كان المراد ذلك وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون
منه او بعث لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما الكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع ضرر ولذا لم يجز وصف الباري تعالى بذلك و
المقصود منه الترغيب للعاصي في الاستغفار وكانه قال الذنب الذي يتبه انما يعود وباله وضرره اليه والملك الى منزه عن النفع والضر ولا تيأس من قبول
التوبة وكان الله عليما حكيما يقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب ما علم منه ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما كبيرة وقيل الخطيئة الذنب القاصر على فاعله
والاثم هو الذنب المتعدي الى الغير كالظلم والقتل وقيل الخطيئة ما لا ينبغي فعله سواء كان بالعمد او الخطأ والاثم ما حصل بسبب العمد ثم يرم به بريئا جاله المذكور
او بالاثم او بذلك الذنب لان الخطيئة في معنى الذنب او بذلك الكسب بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع
بين الامرين فلا جرم بلغ الغاية في الذم في الدارين ولولا فضل الله عليك ورحمته ولولا ما خصك الله بالفضل وهو النبوة وبالرحمة وهي العصمة لهمت طائفة منهم من بني
ظفر او طائفة من الناس والطائفة بنو ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق والحكم العدل وما يضلون الا انفسهم بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان و
شهادتهم بالزور والبهتان لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما امرت الانبياء الا بالحكم على الظواهر وهو وعد بانه يعصمه
لم ما يريدون في الاستقبال من ايقاعه في الباطل ثم اكد الوعد بقوله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي انه لما امرك بتبليغ الشرع الى الخلق فكيف
يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشبهات والضلالات وعلى الاول يكون المراد انه اوجب في الكتاب والحكمة بناء احكام الشرع على الظاهر فكيف يضرك
بناء الامر عليه [illegible] احد من المنافقين على اضلالك الله وعلمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاولين فيه معنيان احدهما
ان يكون كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي انزل الله عليك الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارهما واوقفك على حقائقهما مع انك ما كنت قبل ذلك
عالما بشيء منهما الثاني ان يكون المراد منها خفيات الامور وضمائر القلوب اي علمك ما لم تعلم من اخبار الاولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه كيدهم
ما تقدر على الاحتراز منهم وكان فضل الله عليك عظيما فيه دليل ظاهر على شرف العلم حيث سماه عظيما وسمى متاع الدنيا باسره قليلا التأويل الصلوة
صورة جذبة الحق ومعراج العبد علمه اذا فرضت في الخوف والامن وشدة القتال والسفر والحضر والصحة والمرض ليكون العبد مجذوبا بالعناية على الدوام واذا
كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة اي ادمتها لهم لان النظر اليك عبادة كما ان الصلوة عبادة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانك تنهاهم عن الفحشاء و
المنكر فلتقم طائفة هم الخواص منهم اي من عوامهم معك اي مع الله لانك مع الله كقوله لا تحزن ان الله معنا وليأخذوا يعني طائفة من بقية القوم اسلحتهم
من الطاعات والعبادات دفعا لعدو النفس والشيطان فاذا سجدوا يعني من معك ووصلوا مقامات القربة فليكونوا اي هؤلاء القوم من ورائكم في المراتب
والمقام والمتابعة يحفظونكم باشتغالهم بالامور الدنيوية وبحوائج الضرورية للانسان ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا معك في الصحبة
فلم يصلوا معك في الوصلة وليأخذوا حذرهم وهو آداب الطريقة واسلحتهم وهي اركان الشريعة ود الذين كفروا وهم عدو النفس وصفاتها لو تغفلون
بكم اذى من مطر يعني اشتغال الدنيا وضرورات حوائج الانسان يمطر عليكم في بعض الاوقات ان تضعوا اسلحة الطاعة من الاركان [illegible]
وخذوا حذركم من التوجه الى الحق ومراعاة الاحوال وحفظ القلب في حضوره مع الله وخلو السر عن الالتفات لغير الله ورعاية التسليم والتفويض
الى الله والاستمداد من همم اعاظم الدين والالتجاء الى كنف النبوة ان الله اعد بهذه الاسباب للكافرين من كفار النفس والشيطان عذابا مهينا
فاذا قضيتم الصلوة المكتوبة فاذكروا الله في جميع حالاتكم ان الصلوة كانت في الازل على المؤمنين كتابا موقوتا موقتا الى الابد كما اشار اليه
بقوله انا فتحنا لك اي بابا من القدم الى الحدوث ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك في الازل من ذنبك انه لم تكن مصليا وما تأخر من ذنبك بان لا تكون
مصليا ويتم نعمته عليك بان يجعل سيئاتك وهي عدم صلوتك في الازل والابد مبدلة بالحسنات وهي الصلوة المقبولة من الازل الى الابد ويهديك صراطا
مستقيما من الازل الى الابد ومن الابد الى الازل ولا تهنوا في ابتغاء القوم النفس وصفاتها ان تكونوا تألمون في الجهاد بعناء الرياضات والعبادات
فانهم يألمون في طلب اللذات والشهوات كما تألمون وترجون من الله العواطف الازلية والعوارف الابدية ما لا يرجون لان همم النفوس الدنية لا تجاوز
مقصودها الدنية المجازية الفانية بما اراك الله حين اوحى اليك بلا واسطة ما اوحى [illegible]

**لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح**
خوبى نيست در بسيارى از رازهاى ايشان مگر كسى كه فرمود به صدقه يا نيكوئى كردن يا اصلاح كردن

**بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد**
در ميان مردم و هر كه بكند اين را خواستن رضاى خدا پس زود است كه دهيم او را مزدى بزرگ و هر كه خلاف كند رسول را از بعد

[illegible]



مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ

وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ

اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ

جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ

مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ

أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ

لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا

[illegible]

الشمس والقمر مسخرين للناس ينتفعون بهما فعبدها فقد غير خلق الله واعلم ان دخول الضرر في الانسان انما يكون على ثلثة اوجه التشويش والنقصان والبطلان فادعى الشيطان لعنه الله القاء اكثر الخلق في ضرر الدين هو قوله لاضلنهم ثم فصل ذلك بقوله ولامنينهم وهو الضرر من قبيل التشويش لان صاحب الاماني يتشوش فكره في استخراج الحيل الدقيقة والوسائل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية والشيطانية وقوله ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام اشارة الى الضرر بالنقصان لان الانسان اذا صار مستغرق العقل في طلب الدنيا صار فاتر الراى ضعيف العزم في طلب الاخرة وقوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله اشارة الى البطلان لان من بقي مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن السعادات الباقية فلا يزال يزيد ميله وركونه الى الدنيا حتى يتغير قلبه بالكلية ولا يخطر بباله ذكر الاخرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بان يفعل ما امره الشيطان به ويترك ما امره الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا اذ فاته اشرف المطالب بسبب الاشتغال باخسها والسبب فيه ان الشيطان يعدهم ويمنيهم مفعول للتعميم انه سيطول عمره وينال من الدنيا مقصوده ويستولي على اعدائه ويوقع في قلبه ان الدنيا دول فربما تيسرت لي كما تيسرت لغيري وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه ربما لم يطل عمره وان طال فربما لم يجد مطلوبه وان طال عمره ونال ماموله على احسن الوجوه فلابد ان يكون عند الموت في اشد حسرة وابلغ حيرة لان المطلوب كلما كان الذ واشهى كان الالف معه ادوم وابقى كانت مفارقته الم وابكى وايضا لعل الشيطان يعدهم انه لا قيامة ولا حساب ولا جزاء ولا عقاب فجهدوا في استيفاء اللذات العاجلة وعموا ورفضوا الحقوق الزاجرة فلذلك قيل اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا مفرا ومعدلا وفيه معنيان احدهما الا بد لهم من ورودها والثاني التخليد بمعنى الدوام للكفار او طول المكث للفساق ثم اردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قال اهل السنة لو كان الخلود الدوام لزم التكرار فاذن هو طول المكث المطلق وقوله ابدا معناه للتابيد وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله سندخلهم وعد منه ومضمونه هو مضمون وعد الله واما حقا فمضمونه اخص من مضمون الوعد لان الوعد من حيث هو وعد يحتمل ان يكون حقا وان لا يكون فمضموناهما متغايران تغاير الجنس والنوع ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ من قبل الاستفهام المتضمن للانكار وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة والقاء امانيهم الفارغة والتنبيه على ان قول اصدق القائلين اولى بالقبول من قول من لا احد اكذب منه والقيل مصدر قال قولا وعن ابن السكيت ان القيل والقال اسماء لا مصدران عن ابي صالح قال جلس اهل الكتب اهل التورية والانجيل واهل القران كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب وقال مسروق وقتادة احتج المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن اهدى منكم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اهدى منكم واولى بالله نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ثم افلج الله حجة المسلمين على من ناواهم من اهل الاديان بقوله ومن يعمل من الصالحات وبقوله ومن احسن دينا الاية وقيل الخطاب في امانيكم لعبدة الاوثان وامانيهم انه لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد ولا عقاب وان عذبوا لكنهم يصفون اصنامهم بانها شفعاؤهم عند الله وقيل الخطاب للمسلمين واماتيهم ان يغفر لهم وان ارتكبوا الكبائر واما اماني اهل الكتاب فقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودات واسم ليس مضمر يفسره اي ليس وضع الدين على امانيكم وقيل ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب اي وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل ويؤكد هذا المعنى قوله بيانا للمذكور من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن هنا استدلت المعتزلة بالاية على القطع بوعيد الفساق ونفي الشفاعة واجيب بانه مخصوص بالكفار لانهم مخاطبون بالفروع عندنا سلمنا انه يعم المؤمن والكافر الا انه مخصوص في حق المؤمن بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون جزاؤهم الالام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية روي انه لما نزلت الاية قال ابو بكر كيف الصلاح بعد هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست يصيبك اللاواء فهو ما تجزون به وعن عائشة ان رجلا قرأ هذه الاية فقال انجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبة في جسده وبما يؤذيه وعن ابي هريرة لما نزلت الاية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الاية لنا شيئا فقال صلى الله عليه وسلم ابشروا فانه لا يصيب احدا منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي تقع في قدمه سلمنا ان الجزاء انما يصل اليه في الاخرة لكنه روي عن ابن عباس انه لما نزلت الاية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا فكيف الجزاء فقال صلى الله عليه وسلم انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية واحدة عقوبة واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب احاده اعشاره وايضا المؤمن الذي اطاع الله سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو مؤمن قد عمل الصالحات فوجب القطع بانه يدخل الجنة قالوا ان صاحب الكبيرة غير مؤمن فاجيب بقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا واما حديث نفي الشفاعة فاذا كانت شفاعة الملائكة والانبياء باذن الله صدق انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله قال في الكشاف من في قوله من الصالحات للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة ولا صلوة في بعض الاحوال ومن في قوله من ذكر للتبيين الابهام في من يعمل والضمير في لا يظلمون عائد الى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا او يعود الى الصالحين فقط وذكره عند احد الفريقين يغني عن ذكره عند الاخر والمسيء مستغن عن هذا القيد لان من المعلوم ان ارحم الراحمين لا يزيد في عقابه واما نقصان الفضل في الثواب فكان محتملا فازال ذلك







الوهم ثم بين فضل الايمان المشروط به الفوز بالجنة فقال ومن احسن دينا وبيان الفضل من وجهين الاول انه الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية والانقياد لله واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله وهو راجع الى الاعتقاد الحق وعلى اظهار كمال الطاعة وحسن العمل والاخلاص واليه الاشارة بقوله وهو محسن وهو عام الى فعل الخيرات وترك المنكرات بصفاء النيات وخلوص الطويات وفيه تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل الا عند تفويض جميع الامور الى الخالق والتبري من الحول والقوة ومن الاستعانة بغير المعبود الحق من الافلاك والكواكب والطبايع وغيرها كائنا ما كان الوجه الثاني ان محمدا انما دعا الخلق الى دين ابراهيم ومن المشهور فيما بين اهل الاديان انه ما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان فانيا عن الملل الباطلة بعيدا عنها بعد المركز عن جميع اجزاء الدائرة ولهذا شرف بقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وهذه جملة معترضة والسبب في ايرادها ان يعلم ان من كان في علو الدرجة بهذه الحيثية كان جديرا بان يتبع طريقته قال العلماء ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال اموره واسراره وقد دخل حبه في خلال قلبه ولما اطلع الله تعالى ابراهيم على ملكوت الاعلى والاسفل ودعا القوم مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس وعن عبادة الاوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم جعله الله اماما للناس ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته الى يوم الدين كان خليلا لله لان خلة عباده عبارة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد قال تخلقوا باخلاق الله فلما بلغ ابراهيم في مكارم الاخلاق مبلغا لم يبلغه من تقدمه فلا جرم استحق اسم الخليل وقيل الخليل الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل فلما كان ابراهيم منقادا لكل ما امره ونهى عنه فكانه سايره ووافق اوامر الله ونواهيه فاستحق اسم الخليل لذلك هذا من جهة الاشتقاق واما من قبل اسباب النزول فعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل لم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعام الطعام يا محمد وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزى دخل ابراهيم بيته فاذا ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه فقال ابراهيم باذن من دخلت فقال باذن رب المنزل فعرفه ابراهيم فقال له ملك الموت ان ربك اتخذ من عباده خليلا قال ابراهيم ومن ذلك قال وما تصنع به قال اكون خادما له حتى اموت قال فانه انت وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس اصاب الناس سنة جهد فاقبلوا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى خليله بمصر يسأله الميرة فقال خليله لو كان ابراهيم انما يريده لنفسه احتملنا ذلك له ولكنه يريد للاضياف وقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم فمروا بالبطحاء فقالوا لو انا احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة انا لنستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملاوا تلك الغرائر ثم انهم اتوا ابراهيم وسارة نائمة فاعلموه ذلك فاهتم ابراهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى تلك الغرائر ففتحتها فاذا هي اجود حوارى يكون فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس واستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله فيومئذ اتخذ الله خليلا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابراهيم اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله فلا جرم اتخذه الله خليلا وروى طاوس عن ابن عباس ان جبرئيل وميكائيل لما دخلوا على ابراهيم في صورة غلمان حسان الوجوه ظن الخليل انهم اضيافه وذبح لهم عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبرئيل انت خليل الله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي قلت وذكرنا الفرق بين الخليل والحبيب في سورة البقرة في تفسير قوله اذ قال له ربه اسلم فتذكر قال في التفسير الكبير اذا استنار جوهر الروح بالانوار القدسية والجلايا الالهية صار الانسان متوغلا في عالم القدس فلا يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يتحرك الا لله ولا يسكن الا لله فهذا الشخص يستحق ان يسمى خليل الله لما ان محبة الله تعالى تخللت في جميع قواه قال بعض النصارى اذا جاز اطلاق الخليل على انسان تشريفا فلم لا يجوز اطلاق الابن على المسيح ايضا مثل ذلك والجواب ان الخلة لا تقتضي الجنسية بخلاف البنوة وانه سبحانه متعال عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعد ذلك ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا العلم انه لم يتخذ ابراهيم خليلا للمجانسة ولا الاحتياج لكنه اصطفاه لمجرد الفضل والامتنان وفيه انه مع خلته لم يستنكف ان يكون عبدا له داخلا تحت ملكه وملكه وفيه ان من كان في القهر والتسخير بهذه الحيثية وجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وينقاد لاوامره ونواهيه كما قال ابراهيم اسلمت لرب العالمين وايضا انه لما ذكر الوعد والوعيد وانه لا يمكن الوفاء بهما الا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل الشامل لجميع الكليات والجزئيات اشار الى الاول بقوله ولله ما في السموات وما في الارض والى الثاني بقوله وكان الله بكل شيء محيطا وانما قدم القدرة على العلم لان الفعل بوجوده يدل على القدرة وباتقانه واحكامه والاتقان يدل على العلم ولا ريب ان الاعتبار الاول مقدم على الثاني قال بعضهم الاحاطة ههنا بمعنى القدرة كقوله واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها ولا يلزم تكرار لان الاول لا يدل الا على ان ملك الله لكل ما في السموات والارض قادر عليها والثاني يفيد القدرة المطلقة على جميع الاشياء وان وقعت خارج السموات والارض وعلى ان سلسلة القضاء والقدر في جميع الممكنات انما ينقطع بايجاده وتكوينه ابداعا التأويل لا خير في كثير من نجوى النفس والهوى الا من امر بالخيرات وهو الله بالوحي او بالخواطر الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول اي يخالف الالهام الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين بالارادة ويتبع الهوى وتسويل النفس والشيطان نوله ما تولى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله نار جهنم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ان الله لا يغفر ان يشرك به ولو كان معفوا لم يشرك بالله الان ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وهو الضلال بالاضلال الازلي فلهم ان يدعون من دونه الا اناثا صفات منهم يتولاها

[illegible]

وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿﴾ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّٰهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللّٰهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿﴾ وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّٰهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿﴾ وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلًا ﴿﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللّٰهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿﴾

ع

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

ع





وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا ﴿﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّٰهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللّٰهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللّٰهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿﴾

[illegible]

انا عمها ووصى ابيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها صغيرة وانها لا تزوج الا باذنها وفرق بينها وبين ابن عمر ولانه ليس في الاية اكثر من كون رغبة الاولياء في نكاح اليتيمة وذلك
لا يدل على الجواز والمستضعفين من الولدان نزلت في ميراث الصغار والخطاب في ان تقوموا للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم بل يجوز
ان يكون وان تقوموا منصوبا اي يامركم ان تقوموا ومن جملة ما امر الله تعالى به ثم امر بقيتهم بره في النساء لكن لم يتقدم ذكره قوله وان امرأة خافت اي توقعت امرأة
بفعل يفسره خافت اي علمت وقيل ظنت والظاهر انه على معناه الاصلي الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة على وقوع المخوف كان يقول
الرجل لامرأته انك دميمة او مسنة واني اريد ان اتزوج شابة جميلة والبعل الزوج والنشوز يكون من الزوجين وهو كراهة كل منهما صاحبه يقع نشوز الرجل
ان يعرض عنها ويقبح وجهها ويترك مجامعتها ويسيء عشرتها عن عائشة انها نزلت في المرأة تكون عند الرجل ويريد الرجل ان يستبدل غيرها فتقول امسكني
وتزوج بغيري وانت في حل من النفقة والقسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها
ومعنى صلحا وهو مصدر من غير لفظ الفعل مثل والله انبتكم من الارض نباتا ان يتصالحا على ان تطيب المرأة له نفسا عن القسمة او عن بعضها او عن المهر او النفقة
فان هذه الامور هي التي تقدر المرأة على طلبها من الزوج شاء ام ابى اما الوطء فليس كذلك لان الزوج لا يجبر على الوطء والصلح خير من الفرقة او من النشوز و
الاعراض فاللام للعهد او هو خير من الخصومة في كل شيء فاللام للاستغراق وبه تمسك اصحاب ابي حنيفة في جواز الصلح على الانكار او الصلح خير من الخيرات كما
ان الخصومة شر من الشرور والجملة معترضة وكذا قوله واحضرت الانفس الشح الا انه اعتراض مؤكد للمطلوب يحصل المقصود والشح البخل مع حرص فارض شحاح لا يسيل
الا من مطر كثير جعل الشح كالامر الحاضر للنفوس لانها جبلت على ذلك ثم يحتمل ان يكون هذا تعريضا بالمرأة انها تشح ببذل نصيبها او حقها او بالزوج انه يشح بانه
ينقضي عمره معها مع دمامتها وكبر سنها وعدم الالتذاذ بصحبتها واعلم انه رخص اولا في الصلح بقوله فلا جناح عليهما وغايته ارتفاع الاثم ثم بين انه كالاحتياج
فيه تكذلك فهو خير كثير ثم حث على الاحسان والتقوى وحسم مادة الخصومة راسا فقال وان تحسنوا اي بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحتملتم عنهن و
تتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة المحوجة الى الصلح فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم على ذلك وعلى هذا الخطاب
للازواج وقيل الخطاب للزوجين ان يحسن كل منهما الى صاحبه ويحترز عن الظلم وقيل لغيرهما ان يحسنوا في المصالحة بينهما وتتقوا الميل الى واحد منهما يحكى ان عمران بن
حطان الخارجي كان من ادم بني ادم وامرأته من اجملهم فاجالت بصرها في وجهه ثم قالت الحمد لله فقال مالك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة لانك
رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت ولن تستطيعوا ان تعدلوا اي لن تقدروا على التسوية بين النساء في ميل الطباع ولو حرصتم واذا لم تقدروا ولعلها
بحيث لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان لم تكونوا مكلفين به وهذا تفسير يناسب مذهب المعتزلة من ان تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز فلا تميلوا
كل الميل اي يرفع عنكم تمام العدل وغايته ولكن اتوا ما استطعتم بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم ويوجد حرف لن تستطيعوا التسوية في الميل القلبي ولو حرصتم
ولا التسوية الكلية في نتائج الحب من الاقوال والافعال لان الفعل يدور مع الداعي ومع قيام الصارف محال فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور
فتمنعوها قسمتها ونفقتها وسائر حقوقها وحظوظها من غير رضا منها فتذروها كالمعلقة بين السماء والارض لا على قرار اي غير ذات بعل ولا مطلقة
والغرض النهي عن الميل الكلي مع جواز التفريط في العدل الكلي في نتائج الميل القلبي واما الميل القلبي فمعفو بالكل وبالبعض لان القلب ليس في تصرف الانسان وانما
هو بين اصبعين من اصابع الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة
كانت احب اليه وعنه صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احدهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل
فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا يرزق كل واحد منهما زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه وسعة الغنى والمقدرة وكان الله واسعا
من الرزق والفضل والرحمة والعلم اي كامل بعرض لهذا اطلق حكيما قال ابن عباس فيما حكم ووعظ قال الكلبي فيما حكم على الزوج من امساكها بمعروف
او تسريحها باحسان ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض وهو كالتفسير لسعة ملكه وعلمه وبيان انه يامر بالعدل والاحسان الى اليتامى والنسوان
ليس لعجز او انتفاع وانما يعود فائدة ذلك الى المكلف لانه الاحسن له في دنياه وعقباه ثم بين ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة لم يلحقها نسخ وتبديل وان استغنائه
تعالى بالتبشير للامم السالفة كهو بالتبشير للامم الاتية فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب اي جنسه ليشمل التوراة والانجيل والزبور وغيرها من
الصحف وقوله من قبلكم اما ان يتعلق بوصينا او باوتوا وقوله واياكم عطف على الذين ومعنى ان اتقوا ان يكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا
عطف على اتقوا اي امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض هو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم
كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يخشون عقابه ويرجون ثوابه او قلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في سمواته وارضه من الملائكة وغيرهم
من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا في ذاته وان لم يحمده واحد منهم ثم كرر قوله ولله ما في السموات وما في الارض وكفى
بالله وكيلا تقريرا لانه اهل ان يتقى وتوكيدا لاستغنائه عن طاعات المطيعين وسيئات المذنبين ثم بالغ في هذا المعنى بقوله ان يشأ يذهبكم
ايها الناس ويأت باخرين يوجد خلقا اخرين غير الانس او من جنس الانس وكان الله على ذلك الاعدام ثم الايجاد قديرا بليغ القدرة لم يزل موصوفا بذلك لا
يزال كذلك وفي الاية من التخويف والغضب ما لا يخفى وقيل الخطاب لاعداء النبي صلى الله عليه وسلم من العرب والمراد باخرين ناس من العجم يروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على
ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس ثم رغب الانسان فيما عنده من الكرامة فقال من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب الاخس بالذات
مع انه اذا طلب الاشرف يتبعه الاخس تطفلا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له ان اراده ليحصل ربط الجزاء بالشرط وكان الله سميعا لاقوال المجاهدين الطالبين





نصيبا بمطامح عيونهم ومطارح ظنونهم فيجازيهم على نحو ذلك ثم بين ان كمال السعادة الانسانية في ان يكون قوله لله وفعله لله وحركته لله وسكونه لله فقال
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل محترزين عن الميل شهداء لله لوجهه ولاجل مرضاته كما امرتم باقامتها ولو كانت
تلك الشهادة وبالا على انفسكم او الوالدين والاقربين بان يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره وفي كلام الحكماء اذا كان الكذب ينجي فالصدق انجى والمراد
الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها وان يقول اشهد ان لفلان علي او على والدي كذا او على اقاربي كذا واعلم انه قدم الامر بالقيام بالقسط على
الامر بالشهادة لله عكس قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لان شهادة الله تعالى عبارة عن كونه خالقا للمخلوقات
وقيامه بالقسط عبارة عن رعايته قوانين العدل في تلك المخلوقات فالاول مقدم على الثاني واما في حق العباد فالعدل مقدم على الشهادة لتقدم الشرط
على المشروط فلعله ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا تكتموا الشهادة طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فالله اولى بامورهما ومصالحهما وكان نحو
ان لو قيل فالله اولى برأي واحد منهما لان الاية تثنى الضمير ليعود الى الجنسين كانه قيل فالله اولى بجنسي الفقير والغني اي بالاغنياء والفقراء ويريد بالنظر لهما
وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال السدي اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم غني وفقير وكان ميله الى الفقير رأيا ان الفقير لا يظلم
الغني فابى الله الا ان يقوم بالقسط في الغني والفقير وانزل الاية وقوله ان تعدلوا يحتمل ان يكون من العدل ومن العدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة
ان تعدلوا بين الناس وارادة ان تعدلوا عن الحق واحتمال الخوف هو ان يراد اتركوا الهوى لاجل ان تعدلوا اي حتى تتصفوا بصفة العدالة لان العدل
عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك احد النقيضين فقد حصل له الاخر وان تلووا بواوين من لوى يلوي اذا مطل وبواو واحدة من الولاية والمعنى
وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدالة او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم او وان وليتم اقامة الشهادة او تركتموها واعلم ان الانسان
لا يكون قائما بالقسط الا اذا كان راسخ القدم في الايمان فلهذا اردفه بما ذكر بقوله يا ايها الذين امنوا امنوا وظاهره مشعر بالامر بتحصيل الحاصل
فالمفسرون ذكروا فيه وجوها الاول يا ايها الذين امنوا في الماضي والحاضر امنوا في المستقبل اي دوموا على الايمان واثبتوا الثاني يا ايها الذين امنوا
تقليدا امنوا استدلالا الثالث يا ايها الذين امنوا استدلالا اجماليا امنوا استدلالا تفصيليا الرابع يا ايها الذين امنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله
امنوا بان كنه الله تعالى وعظمته وكذلك احوال الملائكة واسرار الكتب وصفات الرسل لا تنتهي اليها عقولكم الخامس قال الكلبي ان عبد الله بن سلام واسدا
واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني اهل الكتاب قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه
من الكتب والرسل فانزل الله هذه الاية فامنوا بكل ذلك وقيل ان المخاطبين ليسوا هم المسلمين والتقدير يا ايها الذين امنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل
امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبجميع الكتب المنزلة من قبل لا ببعضها فقط لان طريق العلم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم هو المعجز وانه حاصل في الكل فالخطاب لليهود والنصارى
او يا ايها الذين امنوا باللسان امنوا بالقلب فهم المنافقون او يا ايها الذين امنوا باللات والعزى امنوا بالله فهم المشركون والمراد بالكتاب الذي انزل من قبل
جنسه فان قيل لم ذكر في مراتب الايمان امورا ثلاثة الايمان بالله وبالرسول وبالكتب وذكر في مراتب الكفر امورا خمسة اجيب بان الايمان بالثلاثة يلزم الايمان
بالملائكة وباليوم الاخر لكنه ربما ادعى الانسان انه يؤمن بالثلاثة ثم انه ينكر الملائكة واليوم الاخر لتأويلات فاسدة فلما كان هذا الاحتمال قائما
نص على ان منكر الملائكة والقيامة كافر بالله فان قيل لم قدم في مراتب الايمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر عكس الامر فالجواب ان الكتاب
مقدم على الرسول في مرتبة النزول من الخالق الى الخلق واما في العروج فالرسول مقدم على الكتاب ويوجد الرسول الاول هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والرسل عام لم يعلم
فلما خص ذكره اولا للتشريف جعل ذكره ثانيا لذكر الله لمزيد التشريف وليبان افضليته ثم لما رغب في الايمان والثبات عليه بين فساد طريقة من يكفر بعد
الايمان فقال ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا والمراد الذين تكرر منهم الكفر بعد الايمان مرات واطوارا قال القفال
وليس المراد بيان العدد بل المراد ترددهم وتحيرهم على ذلك وقيل اليهود امنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بعزير ثم امنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفرا عند مقدم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المنافقون اظهروا الاسلام ثم كفروا بنفاقهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم ثم ازدادوا كفرا بجدهم واجتهادهم في استخراج وجوه المكائد في حق المسلمين وقيل هم طائفة من اهل الكتاب قصدوا تشكيك
المسلمين فكانوا يظهرون الايمان تارة والكفر اخرى على ما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم
يرجعون ثم انهم بالغوا في ذلك وازدادوا الى حد الاستهزاء والسخرية بالاسلام وفي الاية دلالة على انه قد يحصل الكفر بعد الايمان وذلك يبطل مذهب القائلين
بالموافاة وهي ان شرط صحة الاسلام ان يموت الشخص على الاسلام وقد يجاب عن ذلك بان المراد بالايمان على اظهار الايمان ومنها ان الكفر يقبل الزيادة
والنقصان فيجب ان يكون الايمان كذلك لانهما ضدان متنافيان فاذا قبل احدهما التفاوت فكذا الاخر وكيف يزداد كفرهم وجوه احدها انهم ماتوا على كفرهم
وثانيها بسبب قوة اصابوها حال كفرهم وعلى هذا فاصابة الطاغوت وقت الايمان يكون زيادة الايمان وثالثها استهزاؤهم بالدين فاقول لم
يكن الله ليغفر لهم قيل عليه اللام يفيد نفي التاكيد هذا لا يليق بالموضع لان اللائق به تاكيد النفي بان نفي التاكيد اذا ذكر على سبيل التهكم افاد تاكيد
النفي ثم اورد عليه ان الكفر قبل التوبة غير مغفور على الاطلاق وحينئذ تضيع الشرائط المذكورة في الاية وبعد التوبة مغفور ولو بعد الف مرة فكيف يصح
النفي واجيب بان اللام في الذين للمعهودين وهم قوم علم الله منهم انهم يموتون على الكفر لا يتوبون عنه قط فقوله لم يكن الله ليغفر لهم اخبار عن موتهم
على الكفر او اللام للاستغراق وخرج الكلام على الغالب المعتاد وهو ان من كان مضطرب الحال كثير الانتقال من الاسلام الى الكفر لم يكن للايمان في قلبه

[illegible]

خضع جميع اجزاء وجوه وامن بالكلية وهذا ايمان عيانی وايمان للاخص وهو بعد رفع الحجب الا انه حين افناه بصفة الجلال وابقاه بصفة الجمال

لا الاين وبقى فى العين وهذا ايمان عيني ان الذين امنوا اى بالتقليد ثم كفروا اذ لم يكن للتقليد اصل ثم امنوا بالاستدلال العقلي ثم كفروا اذ لم يكن عقولهم

مشرفة بالنور الالهى ثم ازدادوا كفرا بالشبهات والاعتراضات لم يكن الله فى الازل غافر لهم بنوره عند الرشد ولا ليهديهم سبيلا اليوم لان الا

لا يخطى بشر المنافقين اى بشرهم بما صلهم من جوهر الكفار وهذا الذين يتخذون الكافرين اولياء فان **ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم**

ابتلاهم مهينا بنية مقارفة ارواحهم وكما يعيشون يموتون وكما يموتون يحشرون — بدرستيكه منافقان فريب دهند خدارا وحال انكه او فريب دهنده ايشانست

**واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى**



**هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون**

اينان ونه بسوى انكروه وهر كرا كمراه كند خدا پس نيابى از براى او راهى اى كروه انانكه كرويده ايد فرا مكيريد كافرانرا دوستان از غير

**المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد**

مؤمنان ايا ميخواهيد كه قرار دهيد از براى خدا بر شما تسلطى هويدا بدرستيكه منافقان در طبقه پايين ترند از آتش اند ونيابى هرگز

**لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف**

از براى ايشان يارى بجز آنها كه توبه كردند ونيكوئى كردند وچنك زدند بخدا وپاك كردند دين خودشانرا از براى خدا پس اينها با مؤمنانند وزود است

**يؤتى الله المؤمنين اجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب**

ميدهد خدا كروندكانرا مزدى بزرگ چه ميكند خدا بعذاب شما اگر سپاس كنيد وكرويده ايد وهست خدا شكر پذيرنده دانا دوست ندارد

**الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء**

خدا اشكار كردن كناه را از گفتار مگر انكه ستم كرده شد وهست خدا شنونده دانا اگر ظاهر كنيد نيكى را يا پنهان كنيد ان را يا بگذريد از بدى

**فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون**

پس بدرستيكه خدا هست درگذرنده توانا بدرستيكه انها كه كافر شوند بخدا وپيغمبرانش وميخواهند كه جدائى اندازند در ميان خدا وپيغمبرانش وگويند

**نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا**

ميگرويم ببعضى وكافر شويم ببعضى وميخواهند كه در پيش گيرند در اين ميانه راهيرا آن گروه ايشانند كافران براستى ومهيا كرديم

**للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم**

از براى كافران عذابى خوار كننده وانان كه كرويدند بخدا وپيغمبرانش وجدائى نينداختند در ميان هيچيك از انها آن گروه زود است كه بدهد بايشان

**اجورهم وكان الله غفورا رحيما** القراءة فى الدرك بسكون الراء حمزة وعلى وخلف وعاصم غير الاعشى الباقون بالفتح يؤتيهم بالياء حفص

مزدهاشانرا وهست خدا آمرزنده مهربان وعباس الباقون بالنون لو قوف خادعهم لعطف المختلفين كسالى لا لان يراؤن صفتهم قليلا

[illegible]

عن الكفر الى ما هو اخبث وهو طريق النفاق ولهذا اورد فيهم من المبالغات ما اورد من قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ٭ يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء اى لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء وهو نهى للمؤمنين عن موالاة المنافقين والتخلق باخلاقهم ومعنى سلطانا حجة بينة على النفاق لان ولى المنافق منافق لا محالة ومن قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فان القعر الاخير من النار درك ودرك ومع ذلك وصف بالاسفل ودركات النار ومنازلها يقتضى درجات الجنة ومنازل المنافق في غاية البعد بها بالطرد عن حضرة الله تعالى وانه مع فرعون لان الدرك الاسفل اشد العذاب لقوله تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قيل ان النار سبع دركات سميت بذلك لانها متدارك متتابعة بعضها فوق بعض قال ابو حاتم جمع الدرك ادراك كفرس وافراس جمع الدرك ادرك كفلس وافلس ثم قال ولن تجد لهم نصيرا احتجوا بهذا على اثبات الشفاعة في حق الفساق من اهل القبلة لانه تعالى ذكره في معرض الوعيد للزجر عن النفاق فلو حصل نفي الشفاعة مع عدم النفاق لم يبق هذا زجرا عن النفاق من حيث انه نفاق ثم استثنى منهم التائبين بشرط امور اربعة اولها التوبة وثانيها اصلاح ما افسدوا من اسرارهم وثالثها الاعتصام بدين الله ورابعها الاخلاص لانه اذا كان مطلوبه جلب المنافع ودفع المضار تغير عن التوبة واصلاح العمل بها اما اذا كان مطلوبه مرضاة الله وسعادة الآخرة والاعتصام بحبل الله بقى على هذه الطريقة ولم يتغير عنها وعند حصول الشرائط قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل مؤمنون تشريفا للمؤمنين انهم متبوعون فالمنافقون بعد الشرائط تبع لهم ثم بين وعد المؤمنين بقوله وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ليشمل المنافقين التائبين بالتبعية ثم برهن على ان فائدة الايمان والعمل الصالح انما ترجع على المكلفين فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لان تعذيب الملوك بعض الرعية انما يكون للتشفي من الغيظ او لدرك الثار او لطلب المنافع ولدفع المضار وامثال هذه الامور في حقه تعالى محال انما المقصود حمل المكلفين على فعل الحسن وترك القبيح لينالوا السعادة العظمى من امتثل واطاع فكيف يليق بكرمه تعذيبه قالت المعتزلة هذا صريح في انه تعالى لم يخلق احدا لغرض التعذيب فان فاعل الشكر والايمان هو العبد والا صار التقدير وما يفعل الله بعذابكم ان خلق الشكر والايمان فيكم ومعلوم ان هذا غير منتظم والجواب مسلم انه تعالى غير مستكمل بالتعذيب ولا بالاثابة لكن وقوع البعض في مظاهر اللطف والبعض في مظاهر القهر ضروري كما سبق وابتغاء انتهاء الكل الى ارادته وخلقه تكوينه ضروري بواسطة او بغير واسطة ومحصول المعنى الى انه لا يعذبكم ان كنتم مظاهر اللطف هذا كلام في غاية الصحة قال في الكشاف وانما قدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر اولا الى النعمة فيشكر شكرا مبهما ثم اذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن وآقول ان لم يكن الواو للترتيب فلا سؤال وان كانت للترتيب فلعله انما قدم الشكر في هذه الآية خلاف اكثر الآيات التي قدم الايمان فيها على العمل الصالح لان الآية مسوقة في غرض المنافقين لم يقع نزاع في ايمانهم ظاهرا وانما يقع النزاع في بواطنهم وافعالهم التي يصدهم عنهم عدم مطابقته للقول والسائل فكان تقديم الشكر ههنا اهم لانه عبارة عن صرف جميع ما اعطاه الله تعالى فيما خلق لاجله حتى يكون افعاله واقواله على نهج السداد وسنن الاستقامة وكان الله شاكرا مثيبا على الشكر فسمى جزاء الشكر شكرا او فيه تحري على الفعل القليل ثوابا كثيرا عليما بالكليات والجزئيات من غير غلط ونسيان فيوصل جزاء الشاكرين اليهم كما يليق بحالهم كما يليق بكرمه وسعة فضله ورحمته ثم انه سبحانه لما هتك ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر ههنا من الكرم والرحمة ظاهرا انكر ما يجري مجرى العذر من ذلك فقال لا يحب الله الجهر الآية يعنى انه لا يحب اظهار الفضائح الا في حق من ظلم وهم المسلمون الذين عظم ضرر المنافقين وكيدهم فيهم وايضا ان المنافق اذا تاب واصلح لم يكد يسلم من تعيير المسلمين اياه على ما صدر منه في الماضي فبين تعالى ان تعييرهم بعد التوبة امر مذموم وانه تعالى لا يرضى به الا من ظلم نفسه وعاد الى نفاقه قالت المعتزلة في الآية دلالة على انه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادته وقالت الاشاعرة المحبة عبارة عن ايصال الثواب على الفعل وعلى هذا يصح ان يقال انه اراده وما احبه قال اهل العلم انه لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر ولكنه ذكر هذا الوصف لان كيفية الواقعة اوجبت ذلك كقوله اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا والتبين واجب في الظعن والاقامة اما قوله الا من ظلم فالاستثناء منه متصل او منقطع وعلى الاول قال ابو عبيدة تقديره الا جهر من ظلم فحذف المضاف وقال الزجاج الجهر بمعنى المجاهر اى لا يحب الله المجاهر بالسوء الا من ظلم وعلى الثاني فالمعنى لكن المظلوم له ان يجهر بظلامته وماذا يفعل المظلوم قال ابن عباس له ان يجهر بظلامته برفع صوته بالدعاء على من ظلمه وقال مجاهد له ان يخبر بظلم ظالمه وقال الاصم لا يجوز اظهار الاحوال المستورة المكتومة حذرا من الغيبة والريبة لكن له اظهار ظلمه بان يذكر انه سرق او غصب وقال الحسن له ان ينتصر من ظالمه وعن مجاهد ان ضيفا تضيف قوما فاساؤا قراه فاشتكاهم فنزلت الآية رخصة في ان يشكو وقرأ الضحاك وزيد بن اسلم وسعيد بن جبير الا من ظلم على البناء للفاعل وقيل انه كلام منقطع عما قبله اى لكن من ظلم فدعوه وخلوه وقال الفراء والزجاج معناه لكن من ظلم فانه يجهر بالسوء من القول وكان الله سميعا عليما فليتق الله فلا يقل الا الحق ولا يقذف مستورا ثم حث على العفو بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه وهو اشارة الى ايصال النفع او تعفوا عن سوء وهذا اشارة الى دفع الضرر وعلى هذين يدور المعاشرة مع الخلق فان الله كان عفوا قديرا قال الحسن يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله وقيل عفو لمن عفا قدير على ايصال الثواب اليه وقال الكلبي معناه ان الله اقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك وفي الخبر ان ابا بكر شتمه رجل فسكت مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر شتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اجلس عند مجيء الشيطان ثم انه سبحانه تكلم بعد ذكر احوال المنافقين في مذاهب اليهود والنصارى واباطيلهم وذلك انواع الاول ايمانهم ببعض الانبياء دون بعض فسلكهم في سلك من لا يقر بالوحدانية ولا بالنبوات وهم الذين يكفرون بالله ورسله وفي سلك من يقر بالوحدانية وينكر النبوات وهم الذين يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الايمان بالله والكفر بالرسل وذلك ان اليهود آمنوا بموسى والتورية وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد

وهو الاصل

والفرقان



والفرقان والنصارى آمنوا بعيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقرآن فآمنوا ببعض الانبياء وكفروا بالبعض واراداوا ان يتخذوا بين ذلك اى بين الايمان بالكل وبين الكفر بالكل سبيلا اى واسطة او كذلك اى للطوائف الثلث هم الكافرون اما الطائفة الاولى فكفرهم ظاهر واما الثانية فلان تكذيب الانبياء وانكارهم تبليغهم تكذيب لله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما الطائفة الثالثة فلان الدليل الدال على نبوة بعض الانبياء هو المعجزة ويلزم منه حصول النبوة حيث حصل المعجز فالقدح في بعض من ظهر على يده المعجزة هو القدح في كل نبي فيلزمهم الكفر بكل الانبياء ولكن ليس اذا توجه الالزام على انسان لزم ان يكون ذلك الانسان قائلا به فالزام الكفر غير التزام الكفر فالجواب ان الالزام اذا كان خفيا يحتاج فيه الى فكر وتامل فالامر كما ذكرتم اما اذا كان جليا واضحا لم يبق بين الالزام والالتزام فرق وانتصاب حقا على انه مصدر مؤكد لغيره كقولك زيد عبد الله حقا اى اخبرتك بهذا المعنى اخبارا حقا وقيل المراد هم الكافرون كفرا حقا وطعن الواحدى فيه بان الكفر لا يكون حقا بوجه من الوجوه واجيب بان الحق هنا هو الكامل الراسخ الثابت ثم ختم النوع بوعد المؤمنين ومعنى بين احد بين اثنين منهم او جماعة لان احدا في سياق النفي يفيد التعدد ومعنى سوف توكيد الوعد لا التأخر ولهذا قال سيبويه لن افعل نفى سوف افعل فالمعنى ان ايتاء الاجور كائن لا محالة وان تأخر ثم بين ان المنافقين يخادعون الله في الدنيا لان الله خادعهم في الازل حين رش نوره وشاهدوه ثم اخطأهم ان شكرتم نعم الله عليكم وامنتم انفسكم من عذابه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ولا من التحدث بالنفس من الخواص ولا من الخواطر من الاخص الا من ظلم اما بمقتضى دواعي البشرية من غير اختيار او بابتلاء من اضطراره ايام لا يحب الله الجهر بالسوء من القول بافشاء اسرار الربوبية واظهار مواهب الالوهية او يكشف القناع من مكنونات الغيب مصونات غيب الغيب الا من ظلم بغلبات الاحوال وتعاقب كؤس الجلال والجمال فاضطر الى المقال فقال بالقلب الفاني لا باللسان الباقي انا الحق وسبحاني ان تبدوا خيرا ما كوشفتم به من الطاف الحق بتنبيه الخلق وافادة بالحق او تخفوه صيانة لنفوسكم عن آفات الشوائب ونظامها عن المشارب او تعفوا عن سوء ما يدعوا اليه هوى النفس الامارة او تتركوا اعلان ما جعل الله اظهاره سواء فان الله كان عفوا فتكونون عفوا متخلقا باخلاقه ان الذين يكفرون فيه اشارة الى ان الايمان لا يتبعض وان كان يزيد وينقص مثاله شعاع الشمس اذا دخل كوة البيت فيزيد وينقص بحسب سعة الكوة وضيقها ولكن لا يمكن تجزيتها بحيث يؤخذ جزء منه فيجعل في شيء آخر عنه محاذي للشمس والله تعالى اعلم يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر

ميخواهند از تو اهل كتاب كه فرود آوري براينها كتابي را از آسمان پس بدرستي كه خواهش كردند موسى را

من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات

بزرگتر از اين پس گفتند كه بنماى بما خدا را آشكارا پس گرفت اينها را صاعقه بستم اينها پس گرفتند گوساله را از پس آن كه آمد اينها را آيات

فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ٭ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا

پس درگذشتيم از اين و داديم ما موسى را پادشاهى هويدا و بالا گرفتيم در فوق اينها كوه طور را بجهة پيمان اينها و گفتيم باينها كه بيائيد از اين

الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا ٭ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم

سجده كنان و گفتيم مر اينها را كه تعدى مكنيد در ماهى گرفتن در روز شنبه و گرفتيم از ايشان پيمانى درشت پس بجهة شكستن اينها پيمان خود را و كافر شدن اينها

بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون

بآيات خدا و كشتن اينها پيغمبران را بدون سزاوارى و گفتن اينها كه دلهاى ما در پرده است بلكه مهر نهاد خدا بر آنها بواسطه كفرشان پس ايمان نيارند

الا قليلا ٭ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ٭ وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول

مگر كمى و بجهة كفرشان و گفتارشان بر مريم بهتانى بزرگ را و گفتارشان كه ما كشتيم مسيح را كه عيسى پسر مريم است و پيغمبر

الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم

خدا و نكشتند او را و بدار نكشيدند او را و لكن مشتبه شد باينها و بدرستى كه آنها كه اختلاف كردند در او هر آينه در گمانند از آن نيست اينها را بآن دانشى

الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ٭ بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما ٭ وان من اهل الكتاب

بجز پيروى كردن گمان و نكشتند او را در واقع بلكه بالا برد او را خدا بسوى خود و ميباشد خدا غالب و نيكو داور و نيست از اهل كتاب

الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا ٭ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم

مگر آنكه ايمان آورد بآن پيش از مرگش و در روز قيامت ميباشد برايشان گواه پس بجهة ظلم از آنها كه يهود شدند حرام كرديم برايشان

طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ٭ واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس

پاكيزه هائى كه حلال بود مر اينها را و بجهة بازداشتن اينها از راه خدا بسيار را و گرفتن اينها زيادى را و حال آنكه بازداشته شدند از آن و خوردن اينها مالهاى مردم

بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما ٭ لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما

بباطل و مهيا كرديم از جهة كافران از ايشان عذابى دردناك ليكن استواران در علم از آنها و مؤمنان كه ايمان آرند بآنچه

انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر

فرود آمد بسوى تو و آنچه فرستاده شد از پيش از تو و برپا دارندگان نماز و دهندگان زكوة و گروندگان بخدا و روز [illegible]

ع ٢

أُولٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

آنگروه زود دهیم ایشانرا مزدی بزرگ ﴿ بدرستی که وحی نمودیم بتو چنانکه وحی نمودیم بسوی نوح و پیغمبران که بعد از او بودند و وحی نمودیم بسوی ابراهیم

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا

و اسمعیل و اسحق و یعقوب و نوادگان و عیسی و ایوب و یونس و هرون و سلیمان و دادیم بداود زبور را

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿ رُسُلًا

و پیغمبرانی که حکایت کردیم ایشانرا بر تو از پیش و پیغمبرانی که حکایت نکردیم ایشانرا بر تو و گفتگو کرد خدا موسی را گفتگو کردنی پیغمبرانی

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ لٰكِنِ اللَّهُ

مژده دهندگان و ترسانندگان تا آنکه نبوده باشد از برای مردم بر خدا حجتی پس از پیغمبران و میباشد خدا غالب استوار ﴿ لکن خدا

يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا

گواهی دهد بآنچه فرستاد بسوی تو فرستاد او را بدانش خود و فرشتگان گواهی دهند و بس است بخدا گواهی ﴿ بدرستی که آنها که کافر شدند و بازداشتند

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ

از راه خدا بدرستی که گمراه شدند گمراهی دوری ﴿ بدرستی که آنها که کافر شدند و ستمگر شدند نمیباشد خدا که بیامرزد مر آنهارا و نه راه نماید مر آنهارا

طَرِيقًا ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿

راهیرا ﴿ مگر راه دوزخ جاویدان در آن همیشه و میباشد این بر خدا آسان ﴿

القراءة لا تعدوا بتشديد الدال مع سكون العين ابو جعفر و نافع غير ورش و قرأ ورش مفتوحة العين مشددة الدال ... بل طبع بالادغام علي و هشام و ابو عمرو و عن حمزة بل رفعه مظهرا و بابه الحلواني عن قالون سيؤتيهم حمزة و خلف و نبيه الباقون بالنون زبورا بضم الزاي حيث كان حمزة و خلف الباقون بالفتح الوقوف بظلمهم لان ثم لترتيب الاخبار مع ان مراد الكلام ... لان التقدير ...

[illegible]



[illegible]

محذوف والتقدير فبنقضهم ميثاقهم وبكذا وكذا لعناهم او سخطنا عليهم او نحو ذلك ثم استأنف قوله فبظلم ومتعلقه حرمنا وكذا متعلق المعطوفات بعده الثاني ان متعلق
الكل حرمنا وقوله فبظلم بدل عن قوله فبما نقضهم قاله الزجاج ويرجح الاول بان حذف المتعلق افخم ليذهب الوهم كل مذهب ولان تحريم الطيبات عقوبة خفيفة
فلا يحسن تعليقها بتلك الجنايات العظام تلك لو جعل قوله واعتدنا معطوفا على حرمنا زال هذا الاشكال ثم انكر الكفر في الآيات ثلث مرات ولزم
من عطف الثالث على الاول او على الثاني عطف الشيء على نفسه فقد اجاب عنه في الكشاف بانه تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف
بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف عليه كانه قيل فجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم
بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا ثم وصف طريقة المؤمنين المحققين منهم
فقال لكن الراسخون في العلم منهم يعني عبد الله بن سلام واضرابه ممن ثبت في العلم وتثبت واتقن واستبصر حتى جعل المعارف بالاستدلال اليقيني دون
التقليد والتخمين لان المقلد يكون بحيث اذا شكك تشكك اما المستدل فانه لا يتشكك البتة والمؤمنون يريد المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين و
الانصار والراسخون مبتدأ ويؤمنون خبره واما قوله والمقيمين الصلوة ففيه قوال الاول روي عن عثمان وعائشة انهما قالا ان في المصحف لحنا وستقيمها
العرب بالسنتها ولا يخفى ركاكة هذا القول لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه الثاني قول البصريين انه نصب على المدح
لبيان فضل الصلوة والمؤتون الزكوة رفع على المدح لبيان فضل الزكوة كقولهم جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد بتقدير الا ترى اعني المقيمين
الصلوة وهم المؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر وطعن الكسائي في هذا القول بان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام وههنا الخبر وهو
قوله اولئك الى آخره منتظر الجواب ان الخبر يؤمنون ولو سلم فما الدليل على انه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ وخبره الثالث وهو اختيار الكسائي ان المقيمين
خفض للعطف على ما في قوله بما انزل اليك والمراد بهم الانبياء لانه لم يخل شرع واحد منهم من الصلوة وقال تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة و
الملائكة لقوله وانا لنحن الصافون واعلم ان العلماء ثلثة اقسام العلماء باحكام الله وتكاليفه وشرايعه والعلماء بذات الله وصفاته الواجبة والممتنعة والجائزة و
المبدأ والمعاد والعلماء الجامعون بين العلمين مع العمل ثم ذكر العلم فهم الراسخون في العلم وانهم اكابر العلماء والى الاقسام الثلثة اشار بقوله جالس العلماء وخالط
الحكماء ووافق الكبراء اللهم اجعلنا من زمرتهم بفضلك بامتنانك ثم انه سبحانه عاد الى الجواب عن سؤال اليهود وهو اقتراح نزول الكتاب جملة فقال انا اوحينا
اليك الآية مبتدأ بذكر نوح لانه اول من شرع الله على لسانه الاحكام والحلال والحرام ثم قال والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من
غيرهم ولم يذكر فيهم موسى لان المقصود تعديد هؤلاء الانبياء انهم كانوا رسلا مع ان واحدا منهم ما اوتي كتابا مثل التورية دفعة واحدة ثم ذكر الانبياء بقوله
وآتينا داود زبورا يعني انكم اعترفتم ان الزبور من عند الله ثم انه ما نزل على داود جملة واحدة وهذا الزام حسن قوي والزبور كتاب داود جملة واحدة من قرأ بضم الزاي
فعلى انه جمع زبر وهو الكتاب كقعد وقعود ثم قال ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك والمعنى انه تعالى انما ذكر احوال بعض الانبياء
في القرآن والاكثرون غير مذكورين على سبيل التفصيل وكلم الله موسى تكليما هذا ايضا من تمام الجواب والمراد انه بعث كل هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام
بشرف التكليم معهم لم يلزم منه الطعن في سائر الانبياء فكيف يلزم الطعن بانزال التورية عليه دفعة وانزال غيرها على غيره منجما رسلا مبشرين ومنذرين يعني ان المقصود
من بعثة الانبياء الزام التكاليف بالانذار والتبشير وقد يتوقف هذا المطلوب على انزال الكتب وقد يكون نزول الكتاب منجما مفرقا اقرب الى المصلحة لانه اذا نزل جملة
كثرت التكاليف فيثقل القبول كما نقل على قوم موسى فعصوا ثم ختم الآية بقوله وكان الله عزيزا حكيما والمعنى ان عزته تقتضي ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه
ان اراد الا امرهم في القدرة وكل حكمة تقتضي هذا الامتناع لانه لو فعل ذلك لاصروا على اللجاج في كل قضية واحتج الاشاعرة بالآية على ان معرفة الله لا تثبت الا بالسمع
لقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيكون قبل البعثة لهم حجة في ترك الطاعات والمعارف واجابت المعتزلة بان الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون
على النظر فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة مع افادة تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرايع المعتزلة قالوا في الآية دلالة
على امتناع تكليف ما لا يطاق لان عدم ارسال الرسل اذا كان يصلح عذرا فبان يكون عدم القدرة والمكنة صالحا للعذر اولى وعورض بالعلم قالوا الآية
تدل على ان العبد قد يحتج على الرب فيبطل قول اهل السنة انه لا اعتراض عليه لاحد اجيب بانه يشبه الحجة وليس حجة في الحقيقة قوله لكن الله يشهد لا بد له من مستدرك
لان لكن لا يبتدأ به وفي ذلك المستدرك وجهان احدهما ان هذه الآيات باسرها جواب عن قول اليهود لو كان نبيا لنزل عليه الكتاب جملة وهذا الكلام يتضمن ان هذا
القرآن ليس كتابا نازلا عليه من السماء فلا جرم قيل لكن الله يشهد بانه نازل عليه من السماء الثاني انه تعالى لما قال انا اوحينا اليك قال القوم نحن لا نشهد لك
بذلك فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله انزال القرآن بحيث عجز عن معارضته الاولون والآخرون ليشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي انزله عليك
ثم فسر ذلك واوضح بقوله انزله بعلمه اي متلبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره او بسبب علمه الكامل مثل كتبت بالقلم وهذا كما يقال في الرجل المشهور بكمال الفضل
اذا صنف كتابا واستقصى في تجويده انما صنف هذا بكمال علمه يعني انه اتخذ جملة علومه ذريعة وسبيلا الى تصنيف ذلك الكتاب وانزله وهو عالم بانك اهل
لانزاله اليك وانك مبلغه او انزله بما علم من مصالح العباد فيه وانزله وهو عالم بمن يغير عليه فما قطعه من شياطين الجن والانس والملائكة يشهدون لا
لانهم يستقلون بالقول فشهادتهم تستتبع شهادته ومن صدقه رب العالمين وملائكة السموات والارضين لم يلتفت الى تكذيب اخس الناس اياه وكفى
بالله شهيدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بمحمد والقرآن وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات كقولهم لو كان رسولا لانزل عليه القرآن
دفعة كما انزلت التورية على موسى وكقولهم ان شريعة موسى لا تنسخ وان الانبياء لا يكونون الا من اولاد هرون وداود قد ضلوا ضلالا بعيدا لانه غاية





الضلال ان يضم معه الاضلال ان الذين كفروا وظلموا محمدا بكتمان نعته وعوامهم بالقاء الشبهات في قلوبهم ومعنى قوله ولا ليهديهم طريقا انه لا يسلكهم
الا الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها والعامل في خالدين معنى لا يهديهم اي يعاقبهم او يدخلهم النار خالدين وكان ذلك على الله
يسيرا لانه لا صارف عنه وذلك ولا يتعذر عليه يفيد الالم انه شيئا بعد شيء الى غير النهاية واللام في الذين اما للقوم معهودين علم الله منهم انهم يموتون على
الكفر واما للاستغراق فيجب ان يضمر شرط عدم التوبة وحمل المعتزلة قوله وظلموا على اصحاب الكبائر بناء على انه لا فرق عندهم بين الكافر وصاحب الكبيرة
في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة التاويل ارنا الله جهرة لعل غيرة موسى يلعن ترابي كانه يشوم القوم وما كان في انفسهم من سوء ادب هذا السؤال لئلا
يطمعوا في مطلوب لم يعط نبيهم فما نقضوا بجهالة نبيهم لانهم كانوا اشقياء والسعيد من وعظ بغيره فكما زاد عنادهم زاد بلاؤهم وابتلاؤهم كرفع الطور
فوقهم وغير ذلك قال اهل الاشارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات والطيبات التي احلت لا ازواجهم الطيبين بل الملوث بقذر المخالفات ولا اسرار
في المباحات تستتبع حرمان المناجاة والقربات لكن الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بقدمي الصدق والعمل في العلم الى ان بلغوا معادن العلوم فاتصلت
علومهم الكسبية بالعلوم العطائية والله يشهد انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اي كلما اوحينا اليك من سر فاوحى الى عبده
ما اوحى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل اي ليلة المعراج ورسلا لم نقصصهم عليك لان في القرآن مفصلا انزله بعلمه تجلى بصفة العالمية حتى
علم بعلمه ما كان وما سيكون والملائكة يشهدون على تلك الخلوة وان لم يكونوا معه في الخلوة وكفى **يا ايها الناس قد جاءكم**
بالله شهيدا على ما جرى فيه كان ما كان سرا الا يوح به فقطن خبرا ولا تسئل عن الخبر ای گروه مردمان بدرستی که آمد شما را
**الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما**
پیغمبر براستی از پروردگار شما پس بگروید که بهتر است برای شما و اگر کافر شوید پس بدرستی که مر خدای راست آنچه در آسمانها و زمین است و هست خدا دانا
**حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن**
بیشکو داور ای اهل کتاب غلو مکنید در دین خود و مگوئید بر خدا مگر راستی را جز این نیست که مسیح عیسی پسر
**مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم**
مریم فرستاده خدا است و کلمه اوست که افکند او را بسوی مریم و جانیست از قبل او پس بگروید بخدا و رسول او و مگوئید که خدا سه است که باز ایستید از آن بهتر است
**انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا**
جز این نیست که خدا خدائیست یگانه منزهست او از اینکه بوده باشد مر او را فرزندی مر او راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و بس است بخدا کارگذاری
**لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر**
سر نپیچد هرگز مسیح از اینکه بوده باشد بنده از برای خدا و نه فرشتگان مقرب و هر که سر پیچید از بندگی او و تکبر کند در عبادت
**فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله**
پس زود است که گرد آورد ایشان را بسوی خود همه پس اما آنها که گرویدند و کردند کارهای شایسته پس تمام دهد ایشان را مزدهاشان را و بیفزاید ایشان را از فضل
**واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا**
و اما آنها که سر پیچیدند از عبادت و برتری کردند پس عذاب کند ایشان را عذابی دردناک و نیابند از برای خود از غیر خدا دوستی و نه یاوری
**يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا**
ای گروه مردمان بدرستی که آمد شما را دلیلی از پروردگارتان و فرستادیم بسوی شما نوری تابنده پس اما آنهائی که گرویدند بخدا و چنگ زدند
**به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم**
باو پس زود است که در آورد ایشان را در رحمت خود و زیادتی و راه دهد ایشان را بسوی خود راهی راست فتوی میپرسند از تو بگو که خدا فتوی دهد شما را
**في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن**
در باب کلاله اگر مردی مرد و نباشد مر او را فرزندی و مر او را خواهری باشد پس مر او راست نصف آنچه نهاد و او وارث برادران خواهر اگر نباشد
**لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل**
مر او را فرزندی پس اگر بوده باشند خواهران دو تا پس مر ایشان راست دو ثلث از آنچه نهاده و اگر بوده باشند برادران مردان و زنان پس مر مرد راست مانند
**حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم** القراءة فسيحشرهم بالنون المفضل الباقون بالياء
نصیب دو زن ظاهر میسازد خدا از برای شما که گمراه نشوید و خدا بهر چیزی داناست الوقوف [illegible]
مع الحال المقصود وروح منه لعطف المختلفين ولكن فالتعقيب يوجب تعجيل الايمان مع تمام البيان ورسله ثلثة خيرا لكم اله واحد ولد لان المنفي مطلق
الولد ولو وصل اوهم ان المنفي ولد موصوف بان له ما في السموات وما في الارض وكيلا المقربون جميعا من فضله اليما ولا نصيرا مبينا وفضل للعطف
مستقيما يستفتونك الكلالة ما ترك لان ما بعده مبتدأ ولكن الكلام متحد البيان ولد لان جملة الشرط يعود الى قوله فلها نصف ولهما عارض ما

نزلت لابتداء حكم جامع للصنفين لا انتبين ان تضلوا عليم التفسير لما بين ونسا طريقة اليهود واجاب عن شبههم عم الخطاب فقال يا ايها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق اي بالقرآن والقرآن معجز فيكون حقا او بالدعوة الى عبادة الله والاعراض عن غيره وهو الحق الذي يشهد له العقول السليمة فآمنوا خيرا
لكم انتصابه بمضمر وكذا في انتهوا خيرا لكم لانه لما بعثهم على الايمان والانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فالمعنى اقصدوا وأتوا خيرا لكم مما انتم فيه
من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد فان الايمان لا شك انه احمد عاقبة من الكفر بل العاقبة كلها له وقيل انه منصوب على خبر كان اي يكن
الايمان خيرا لكم والاول اصح لئلا يلزم الحذف من غير قرينة وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض فهو غني عنكم لانه مالك الكل وهو قادر على انزال العذاب لان الكل تحت
قهره وتسخيره او لانه عبيده فهو غني عنكم وكان الله عليما باحوال العباد حكيما لا يضيع جزاء المحسن ولا يهمل جزاء المسيء ثم لما اجاب عن شبه اليهود خاطب
النصارى ومنعهم عن الغلو في الدين وهو الافراط في شان المسيح الى ان اعتقدوه الها لا نبيا وحثهم على ان لا يقولوا على الله الا الحق الا تحوي الكل
وصفه به وهو تنزيهه عن الحلول والاتحاد بدن انسان والاتحاد بزوجة واتخاذه لصاحبة وولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته وجد بامره من غير
واسطة اب ولا نطفة القاها اي الكلمة الى مريم اي اوصلها اليه وحصلها فيه وروح منه اي انه طاهر نظيف بمنزلة الروح كما يقال هذه نعمة من الله
بذلك لانه سبب حيوة الارواح او كما لها كما سمي القرآن روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اي رحمة منه كقوله وايدهم بروح
منه ولا شك ان وجود النبي رحمة للامة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال انما انا رحمة مهداة وقيل الروح هو النفخ يعني ان النفخ من جبريل
كان بامر الله فهو منه والتنكير للتعظيم اي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية ومنه اضافة ذلك الروح الى نفسه لاجل التشريف فآمنوا بالله ورسله
اي امنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه الها ولا تقولوا ثلاثة هي خبر مبتدا محذوف اي الله ثلاثة ان كان معتقدهم ان الذات جوهر واحد وانه ثلاثة باعتبار
ويسمونها الاقانيم اقنوم الاب اقنوم الابن واقنوم روح القدس وربما يقولون اقنوم الذات واقنوم العلم واقنوم الحيوة او الآلهة ثلاثة ان كان في اعتقادهم
انها ذوات قائمة بانفسها الاب والام والابن لعل القولين مرجعهما الى واحد لانهم اذا جوزوا على الصفات الانتقال والحلول في عيسى وفي مريم فقد جعلوها مستقلة
بانفسها وهذا لزوم الكفر والشرك ولا تحجر واثبات الصفات لله تعالى لا يوجب الشرك فالاشاعرة اثبتوا لله تعالى صفات ثمانية قديمة انتهوا عن التثليث وقيل
خيرا لكم انما الله اله واحد لا تركيب فيه بوجه من الوجوه سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا وانزهه تنزيها من ان يكون له ولد فلا يتصل به عيسى
اتصال الابناء بالآباء ولكن من حيث انه عبده ورسوله موجود بامره جسدا حيا من غير اب له ما في السموات وما في الارض فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه
على ان الجزء انما يصح في المنقسم عقلا او حسا وانه لا ينقسم بجهة من الجهات لا العقلية ولا الحسية وكفى بالله وكيلا واذا كان كافيا في تدبير المخلوقات
الحادثات فلا حاجة به تعالى الى ولد يعينه او شريك قال الكلبي ان وفد نجران قالوا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فقال لهم انه ليس بعار لعيسى ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
والحق ان الشبهة التي عليها يقولون في دعوى انه ابن الله هي انه كان يخبر عن المغيبات ويأتي بخوارق العادات كاحياء الاموات فقيل لهم لن يستنكف
المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة عن عبودية الله ثم ان الملائكة المقربين اعلى حالا منه لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وقد حملوا العرش
مع عظمته فاية منهم بين انهم لم يستنكفوا عن كونهم عبادا لله تعالى فكيف يستنكف المسيح عن ذلك اي يمتنع ويانف والتركيب يدل على التنحية والازالة
مرة لك نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ونكفت عن الشيء اي عدلت والقائلون بافضلية الملائكة استدلوا بهذه الآية وقد تقدم الا
بهاد الجواب عنها والبحث عليها في سورة البقرة في تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا اما قوله ولا الملائكة فانه معطوف على المسيح وهو الاظهر وجوز
بعضهم عطفه على الضمير في يكون او في عبدا بمعنى الوصفية فيكون المعنى ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا الملائكة موصوفين بالعبودية او لا يانف
ان يعبد الله هو والملائكة والمعنيين انحراف عن الغرض فالاول اولى والمراد بالملائكة كل واحد منهم حتى يكون خبره ابهم عبدا او يكون الخبر عبادا او خلقه
لكونه عبدا عليه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا اي يجمعهم يوم القيمة الى حيث لا يملكون لانفسهم شيئا ثم انه تعالى لم يذكر ما فعل بهم
بل ذكر ولا ثواب المؤمنين المطيعين فسئل ان التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد فاجاب في الكشاف بان هذا كقولك
جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به فحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما
حذف احدهما في التفصيل في قوله فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به او نقدم ثواب المؤمنين توطئة كانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب
بالحسرة اذا راى اجور العاملين وسيعذب مع ذلك بما يصيبهم من العذاب او قول لو جعل القيمة في قوله فسيحشرهم ان جعل الناس حكما لم يحتج الى هذه التكلفات
ويحصل الربط بسبب العموم ومثله غير عزيز في القرآن كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى تعميم الخطاب بقوله يا ايها
الناس قد جاءكم برهان الآية يحتمل ان يراد بالبرهان والنور كليهما القرآن ويحتمل ان يراد بالبرهان محمد لانه يقيم البرهان على تحقيق الحق وابطال
الباطل او بالنور المبين القرآن لانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فاما الذين آمنوا بالله في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا
به تمسكوا بدينه او بحبل القرآن يثبتهم على الايمان ويصونهم عن نزغ الشيطان فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس الرحمة الجنة والفضل
ما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ويهديهم اليه اي الى عبادته صراطا مستقيما هو الدين الحنيف والتقدير صراطا مستقيما اليه ويحتمل ان يراد
بالرحمة والفضل اللذات الحسية الباقية وبالهداية اللذات الروحانية الدائمة ثم انه سبحانه ختم السورة بنحو ما بدأ فيها وهو احكام المواريث فقال يستفتونك







الآية قال اهل العلم ان الله تعالى انزل في الكلالة آيتين احديهما في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة والاخرى في الصيف وهي هذه ولهذا تسمى آية الصيف
عن جابر قال اشتكيت فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي سبع اخوات فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن فقلت
الشطر قال احسن ثم خرج وتركني قال ثم دخل فقال يا جابر اني لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك وجعل لاخواتك الثلثين
وذكروا انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت
فنزلت هذه وقد تقدم ان الكلالة اسم يقع على الوارث وهو من عدا الوالد والولد وعلى المورث وهو الذي لا ولد له ولا والد ان امرؤ هلك
ارتفع امرؤ بمضمر يفسره هذا الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد واعلم ان ظاهر الآية مطلق والآية مقيدة من
ثلاثة الاول ان الولد مطلق والمراد به الابن لانه هو الذي يسقط الاخت اما البنت فلا تسقطها ولكنها تعصبها لما روي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
قضى في بنت وبنت ابن واخت بان للبنت النصف ولبنت الابن السدس والباقي للاخت فعلى هذا فلو خلف بنتا واختا فللبنت النصف والباقي للاخت
بالعصوبة الثاني ان ظاهر الآية يقتضي انه اذا لم يكن للميت ولد فان للاخت تاخذ النصف ليس كذلك على الاطلاق بل الشرط ان لا يكون للميت ولد ولا
والد لان الاخت لا ترث مع الولد بالاجماع الثالث قوله وله اخت المراد الاخت من الاب والام او من الاب لان الاخت من الام والاخ من الام ذكر
حكمهما في اول السورة بالاجماع ثم قال وهو يرثها اي واخوها يرثها ويستغرق ما لها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن
لها ولد اي ابن كما قلنا لان الابن يسقط الاخ دون البنت وايضا ان هذا في الاخ من الابوين او من الاب فاما الاخ من الام فانه لا يستغرق الميراث وايضا
المراد ان لم يكن لها ولد ولا والد لان الاب ايضا مسقط للاخ لقوله الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ ثم قال
وان كانتا يعني من يرث بالاخوة اثنتين فاسند وثنى باعتبار الخبر كقولهم من كانت امك وكذا الكلام في قوله وان كانوا اخوة واراد بالاخوة والاخوات
لكنه غلب جانب الذكورة وروي ان الصديق قال في خطبة الا ان الآية التي انزلها الله في سورة النساء في الفرائض اولاها في الولد والوالد وثانيتها في الزوج والزوجة
والاخوة من الام والتي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات من الاب والام والتي ختم بها الانفال في اولي الارحام يبين الله لكم ان تضلوا قال البصريون
المضاف محذوف اي كراهة ان تضلوا وقال الكوفيون لئلا تضلوا وقال الجرجاني صاحب النظم يبين لكم الضلالة لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها
والله بكل شيء عليم فيكون بيانه حقا وتعريفه صدقا ختم السورة ببيان كمال العلم كما انه ابتداها ببيان كمال القدرة فبهما تتم الالهية ويحصل الترغيب
والترهيب للعاصي والمطيع التأويل وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني ان تؤمنوا يكن لكم ما له وان تكفروا فالكل له
لا تغلوا في دينكم لا تميلوا الى طرفي التفريط والافراط فاليهود فرطوا في شانه فلم يقبلوه نبيا وهموا بقتله والنصارى افرطوا في حقه فجعلوه ابن الله وكل
كل له سبحانه تسع قوم بترك احرامه وطلب ابنه وقوم بالزيادة في اعظامه حتى يعتقدوا فيه ما ليس هو به كالخوارج والغلاة من الشيعة ولهذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى هو عبده وروح منه لانه يكون بامر كن من غير واسطة اب كما ان الروح يكون كذلك قل الروح من امر ربي
ولغلبة جانب الروحانية عليه كان يحيى الاجساد الميتة اذ ينفخ فيها وهذا الاستعداد للروحانية الكاملة هو من كلمة الله مركوز في جبلة الانسان مخلوق
جوهره وحقائقه من معدن بشريته في انسانيته يكون عيسى وقته فيحيي الله تعالى بانفاسه القلوب الميتة ويفتح به آذانا صما وعيونا عميا فيكون في قومه كالنبي في
امته ولا تقولوا ثلاثة يعني نفوسكم والرسول والله بل انتهوا ابتغاء الوحدة عن رؤية الثلاثة فيكشف لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له
ولد لانه ليس له الوجود الحقيقي القائم اولا وآخرا وظاهرا وباطنا كل شيء هالك الا وجهه وكفى بالله وكيلا لكل هالك لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله لان العبدية وهي حقيقة الامكان الذاتي فاجبة له ولهذا نطق في المهد بقوله اني عبد الله ولا الملائكة المقربون انما ذكرهم لان بعض الكفار
كانوا يقولون الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله قد جاءكم برهان جعل نفس النبي برهانا لانه برهان بالكلية وبرهان غيره كان في اشيا
غير انفسهم مثل ما كان برهان موسى في عصاه ومن ذلك برهان بصره ما زاغ البصر وما طغى ومنه برهانه انفه اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومنه
برهان لسانه وما ينطق عن الهوى ومنه برهان بصاقه بصق في العين في البئر فاكلوا من ذلك وهم الف حتى تركوه والبئر تفور كما هي ولعين يخبر وبرهانه
تفله تفل في عين علي كرم الله وجهه وهي ترمد فبرأ باذن الله وذلك يوم خيبر وبرهان يده وما رميت اذ رميت وسبح الحصى في يده وبرهان اصبعه اشار بها الى
القمر فانشق فلقتين وقد جرى الماء من بين اصابعه حتى شرب ورفع منه خلق كثير وبرهان صدره كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل الم نشرح لك صدرك
وبرهان قلبه تنام عيناي ولا ينام قلبي نزل به الروح الامين على قلبك وبرهان كله سبحان
الذي اسرى بعبده اللهم ادخلنا الانشراح هذا البرهان والانبساط بمن انزل القرآن انا اعطيناك سبعا من المثاني

قد تم الجلد الاول المشتمل على الربع الاول من التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان

الحمد لله على نواله والصلاة والسلام على محمد وآله ‌ ‌ كتب المصنف في نسخة علقها مؤلفها العبد الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري في بلدة دار الملك الدولة آباد في اوايل صفر سنة ثلاث وعشرين سبعمائة